

٦
الخزانة التاريخية

الدكتور
شاكر الخوري

مجمع المسرّات

قدّم له
د. الياس قطّار



احتفظنا في النص بلغة وفواصل طبعة ١٩٠٨ .
العناوين للمؤلف . ترقيم الصفحات تغيّر .
مضامين الكتاب جديدة .

طبعة ثانية
بيروت ١٩٨٥

الخزانة التاريخية

الدكتور

شاكر الخوري

مجمع المسرّات

قدم له

د. الياس قطّار





منشورات دار لحد خاطر -- ص. ب. -- ١٦٦٠٢٠ -- بيروت — لبنان .

مقدمة

عمّت لبنان ، في القرن التاسع عشر ، النهضة الأدبية والفكرية . وكان روادها متعشقين للمعرفة . فجمعوا العلم الى الأدب والفكر الى الفنّ وغاصوا في ثقافة العصر وعثوا من صخرها . حيث صحّ فيهم التشبيه الشهير : « نحر من العلوم » .

وكان رجال النهضة المشرقية كرجال النهضة في الغرب غير ميّالين للتخصص في حقل واحد من حقول الأدب والعلوم ، فهم مصرّون على الاحاطة بكل شيء وذهبيهم متوقّد ومتفتح لالتقاط أي شيء . ومن الذين ينطبق عليهم هذا الكلام بشكل أكيد الأديب الفرنسي الطريف « رابليه » . ومن غريب الصدف ان يكون « رابليه » طبيباً قبل أن يكون أديباً ظريفاً ثائراً وناقداً خاصة لرجال الدين . وأن يكون له . رديفٌ ونظيرٌ في النهضة الأدبية في لبنان هو الطبيب الأديب الفكاهي الناقد الدكتور شاكر بك الخوري .

شاكر الخوري هو أحد رواد النهضة التي شهدها لبنان وعمّت ارجاء المشرق العربي انطلاقاً منه وهو وإن لم يتبوأ مركز آل اليازجي والبستاني . على صعيد اللغة العربية وآدابها . فلقد لاقى شهرة عنية . نعلمه وعلومه وثقافته ونوادره الطريفة ولأشعاره الفكاهية التي كان ولا يزال يذكرها المعمرون في أقليم جزين ، والعديد من اللبنانيين المثقفين الذين تيسّر لهم سماع نكات شاكر الخوري أو قراءتها في كتابه الذي نقد من الأسواق منذ عشرات السنين وكان الناس يحرسون على تحيته حرصهم على كثر ثمن .

ترك لنا شاكر الخوري جملة مؤلفات نفيسة ، بعضها في الطب والبعض الآخر في مواضيع شتى . ولكن يأتي في طليعتها جميعاً « مجمع المسرّات » وقيمة هذا الكتاب . كما سنبين ذلك وكما سيكشف ذلك القارئ . من تلقاء ذاته عند غوصه في صفحات هذا المؤلف . أنه يجمع الطب الى التاريخ الى الأدب الى الفكر عامة . من هنا . فمجمع المسرّات أصل من الأصول التاريخية اللبنانية في جزء منه ومرجع مهم في الجزء الآخر . وهو يعكس بصدق في أحوال كثيرة واقع الحياة في عهد المصيرية : تاريخياً ودينياً واجتماعياً وإدارياً وثقافياً واقتصادياً وتربوياً .

فن هو شاكر الخوري ؟ وما هي فوائد كتابه ، مجمع المسرّات ؟

١ — حياته

ولد في بكاسين من أقلم جزين صباح الأحد في ٢٥ تموز ١٨٤٧ حساباً غريباً ، وكان بكر والديه : يوسف الخوري من البلدة المذكورة اعلاه ونور من عائلة ناصيف من قرية جزين . تعمّد مسيحياً مارونياً على يد نسيه الرئيس العام للرهبانية اللبنانية القس ارسانيوس النجاوي . وكان عراباه منصور افندي المعوشي من قرية جزين وحرمة جبر أبو عثمة من مزرعة مشموشة .

كان اسمه الحقيقي لويس ، وكذلك كان في المعمودية ، ولكن الأسم استبدل بشاكر نزولاً عند رغبة سعيد بك جنبلاط الذي كان والد الكاتب يعمل عنده كاتباً لاسراره .

بدأ دراسته في القرية ، فتعلّم القراءة والكتابة في اللغة العربية ، كما درس اللغة السريانية بحسب قانون المجمع اللبناني الشهير ، أي مجمع اللويزة ، وذلك بمجرد أن جدّه كان كاهناً وسليل عائلة من الكهنة تبدأ مع الخوري اسطفان المرتسم على رعية بكاسين في ٢٤ من كانون الثاني ١٧٢٩ وللمذكور هو والد جدّ جدّ المؤلف^(١)

في صفوه ، كما في شبابه ، كان شاكر الخوري عصبي المزاج ، حادّ الطبع ، كثير الحركة ، وميلاً للملاعبب المضحكة وه للشيطانيات الصنيانية ، إضافة الى ذلك كان يكره كل أشكال العنف .

وبعد القرية تابع دراسته في المختارة الى جانب اولاد سعيد بك جنبلاط ، وكان معلّمه الشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسي . وقد تعلّم في مدرسة البكوات بعض الدواوين الشعرية العربية . ثم انتقل بعد ذلك الى مدرسة اسقف الابرشية في مشموشة المجاورة لقريته ، في عام ١٨٥٨ حيث تابع دروسه اللغوية .

في ٣٠ ايار ١٨٦٠ ، بدأت الفتنة بين الدروز والنصارى في أقليمي الشوف وجزين ، فهرب شاكر الخوري مع اخويه خليل وأمين واخته ليا وأبوه يوسف ثم لحق بهم بعد حين والدته وجدّه وبعض الاقارب ، واستقر الأمر بالتازحين في بلاد المتولة ، في النبطية وجباع الحلاوي ، حيث لاقوا استقبالا انسانياً ومروءة عربية ، ومن بلاد المتولة رحل التازحون الى صيدا خوفاً من تهديد الدروز باجتياح تلك البلاد . وسكنت عائلة شاكر الخوري في صيدا قرب البحر وبقيت هناك الى شهر تشرين الأول . ففي

(١) راجع تسلسل نسب المؤلف في مقال للسيد جرجي نصر بعنوان : الطيب الأديب : الدكتور شاكر بك الخوري ١٨٤٧ — ١٩١١ ، المشرق ، الجزء الرابع والخامس السنة الرابعة والستون تموز — تشرين الأول (١٩٧٠) (ص ٤٠٧ — ٤٢٠) ، ص ٤٠٧ .

[ج]

ذلك التاريخ حضر فرّاد باشا الى لبنان موفداً من الباب العالي ، فتوقف التمدي على النصارى ونشر سعيد بك جنبلاط تعليمياً للأهالي وطلب منهم العودة الى قراهم . فعاد شاكر الخوري الى قريته ليجدها حيطاناً سوداً لا سقف لها وخربة مهجورة .

وبانتهاء الفتنة قاد الوالد ابنه شاكر الى مدرسة عين طورا . فدخل إليها في ٢ تشرين الأول ١٨٦١ حيث تابع دراسة العربية من جهة وتعلّم الفرنسية واللاتينية من جهة أخرى ^(١) .

وأدخل شاكر الى عين طورا على حساب دولة فرنسا . ولأنه لم يكن نقياً انتزعت منه المنحة الدراسية ، فاضطر والده الى دفع تكاليف الستين التاليتين اللتين امضاهما في تلك المدرسة .

بعد عين طورا انتقل الى المدرسة الوطنية لمؤسسها المعلم الشهير بطرس البستاني . فدخل في الصف الأول في اللغة الفرنسية وفي اللغة العربية وفي الحساب . وكان معلمه في اللغة العربية الشيخ ناصيف اليازجي وفي غياب المذكور كان يحلّ محله ابنه الشيخ ابراهيم . وفي المدرسة تدرب شاكر الخوري على تمثيل الروايات المسرحية ، ولكنه لم يحظ بممارسة التمثيل لأن وباء الهواء الأصفر أجبره على الرحيل الى الجبل ، الى قريته بكاسين . وبانتهاء الوباء عاد مجدداً الى بيروت والى المدرسة الوطنية بالمدات . ولكن هذه المرة ليصبح معلماً وتلميذاً في آن معاً : معلماً للفرنسية في الصف الرابع وتلميذاً في اللغة الانكليزية والعربية ، وكان الشيخ ناصيف اليازجي - استاذاً له ، ايضاً ، في اللغة العربية . وخلال تلك الفترة نظم المؤلف أول قصيدة له وكانت ، طبعاً ، غزلاً في صبية أعجب بها .

وبانتهاء الدراسة عاد الى بكاسين حيث افتتح مع أخيه مدرسة درّس فيها الفرنسية والعربية . وفي شهر أيار من العام نفسه حلّ من العمل في التدريس فطلب من أبيه ، عضو مجلس الادارة آنذاك ، السماح له بالتوجه الى بيروت لاجداد عمل ما . فأذن له والده . فسار الى بيروت واستقرت به قدماء في ١٧ ايار ١٨٦٧ في محل القرية . القرية التي اشتهرت بمعامل حلّ الحرير - وكانت وظيفة شاكر قيد وترجمة وصولات الشرائق التي ترسلها السفارة الى المعامل وتسليمها للمكارية .

ومكث في عمله مدة ، عاد بعدها الى قريته حيث شجعه اسكندر المعوشي من قرية جزين على

(١) تمة رأي السيد نصر . المقال المذكور . يفيد بأن شاكر تعلّم مبادئ اللغة الفرنسية في مدرسة الآباء اليسوعيين في صيدا إبان اقامته فيها هارباً من وجه الدروز . ص ٤٠٥ . ولكن لا توجد أية اشارة في مجمع المسرات الى هذا الموضوع . هذا وقد وافقه في هذا الرأي السيد أميل مراد في اطروحة ماجستير . أعدت في كلية التربية في الجامعة اللبنانية في عام ١٩٨٣ بعنوان « بكاسين من القرن التاسع عشر حتى مطلع الاستقلال » ص ٢٥١ .

الذهاب معه الى مصر لدراسة الطب .. فوافق والده على ذلك وحصل له من داود باشا على تحرير توصية الى وزير داخلية مصر ، وكان سفره نهار السبت في ١٩ تشرين الأول ١٨٦٧ .

وبعد شهرين تقريباً من مكوثه في مصر ، صدر الأمر بدخوله الى مدرسة الطب في ٤ رمضان ١٢٨٤/غرة كانون الثاني ١٨٦٨ ، فدرس ست سنوات نال في نهايتها شهادة في الطب ، وكانت تلك المدة تفرض . فقط ، على الطلاب الآتين من بلاد الشام ، والذين كان عدد الداخلين منهم ، في كل فوج ، الى المدرسة ، عشرة فقط .

وفي مصر نظم المؤلف ، على حسب زعمه ، ديواناً من الشعر الغزلي ، أسماه الديوان المصري ، وقد أنتخب منه بعض الأشعار التي اثبتا في كتابه هذا ، وترك الباقي لأنه لا أهمية له في نظره كونه من عمل سن الجهل . وأثناء وجوده في مصر ، جاء اليها اخواه رشيد وأمين للدراسة . فدخل أمين الى المدرسة الطبية ورشيد الى مدرسة في القجالة ليست شكور اللبنايتي الأصل .

واذ أصيب ، والده ، بمرض الدوسطاريا ، وهو مرض كان يحسب له ألف حساب آنذاك ، استدعي للمجيء على عجل الى لبنان . فسافر الى بلده وأشرف على معالجة والده ، الذي كان الاطباء يسيئون معالجته . وفي نهاية العلاج أصّر عليه والده البقاء في لبنان والعمل في ريوحه . فزل عند ثمني والده ، برغم احلام التجاح العظيم الذي كان يمتي نفسه به في مصر ، ونال في لبنان : « ما لم ينله سواي أن كان بالعلم او الشهرة او المال او الشرف » ، كما يقول .

بعد مصر . أقام مدة في عكا ، وكان قبل توجهه اليها قد خطب فتاة في صيدا من أقارب زوجة أبي خاله . وبعد عكا انتقل الى دمشق الشام حيث استقر بها ، ففتح له عيادة في لوكندة الحموي بباب توما متخصصاً في مداواة أمراض العين على اختلافها . ثم استأجر له محلاً جديداً في شرقي بطريرخانة الموارنة في ملك السفيني ، ثم أضاف الى العيادة صيدلية في منطقة يسكنها ذوات دمشق في صاروجا شاركه فيها اسراييل يدعى سلمون فارحي . واثنا وجوده في الشام فسح الدكتور شاكر الخوري خطوطه السابقة معللاً ذلك بانشغاله بتدبير احواله وبعدم حماس الفتاة لأن تكون متعلمة مهذبة .

وخلال اقامته في الشام تعرّف الدكتور شاكر على وجهاء المدينة وعلى عظامها وكان من بين اولئك الامير الشهير عبد القادر الجزائري .

في ٢٢ حزيران ١٨٧٩ تزوج في بيروت من مريم بنت خليل التيان . وكان له من العمر اثنان وثلاثون سنة . وكانت عروسه من أحسن عائلات بيروت ومن أقدمها « وسرعان ما سافر الى دمشق مع عروسه ليعود منها بعد شهرين ليستقر نهائياً في بيروت .

عمل في بيروت طبيباً في المستشفى الفرنسي الحديث ثم في مرحلة لاحقة أصبح استاذاً في مدرسة الطب الفرنسي للبرجاء الصغرى وكلينيك العين في عام ١٨٧٩ وابتدأ تدريسه فيها في عام ١٨٨٥ ، ونال على ذلك نيشان الاكاديمي ، واستمر مدرساً في الطب الى عام ١٩٠٥ فاستغنى لمدة سنة ثم عاد اليها مجدداً ليني خدماته فيها في عام ١٩٠٨ .

وتوالى المآسي العائلية على الكاتب في نهاية حياته ، فتوفي ولده يوسف وله من العمر اثنا عشرة سنة في ١٨٩٣ ثم في العام التالي توفي اخوه خليل . واذ تعب شاكر الخوري من السنين ومن العمل قرر السياحة في العالم فسافر في السادسة والخمسين من العمر الى الاسكندرية وفرنسا وانكلترا ومصر وسوريا وفلسطين .

وفي ٢٤ آب ١٩١١ توفي شاكر الخوري ^(١) عن خمسة ذكور (توفي احدهم سابقاً) تاركاً وراءه صيئاً ذائعاً في جيله وفي الأجيال التي تلته في منطقته كما في العديد من المناطق اللبنانية ، والأوسمة التي نالها : المجيدي الرابع ، العثماني الرابع ، العثماني الثالث ، المجمع العلمي الفرنسي . مجلس المعارف الفرنسي ، هي خير دليل على المقام الذي تبوأه ، هذا الرائد الكبير للنهضة الفكرية والعلمية في الشرق .

٢ — مؤلفاته

للكور شاكر بك الخوري مؤلفات عدة هي الآتية :

المؤلفات المطبوعة :

أ — تحفة الراغب في صحة المتزوج وزواج العازب : بدأ تأليفه في مصر وباشر طبعه في مطبعة خليل سركيس ، واستلمه مطبوعاً يوم زواجه في ٢٢ حزيران ١٨٧٩ ونال على أثره النيشان المجيدي الرابع من والي سوريا والشهادة الطبية العثمانية .

ب — نائب الطبيب . المطبعة السورية . بيروت ١٨٨١ .

(١) نصر . المقال المذكور ، المشرق ، ٦٤ (١٩٧٠) . ص ٤٠٥ .

(٢) لم تتحقق شخصياً من هذه المؤلفات المطبوعة والمخطوطة وقد استندنا في ذكرها الى السيدين نصر ومراد المذكورين في الحواشي السابقة .

ج — صحة العين ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٠ .

د — مذكرات ، مطبعة الاجتهاد ، بيروت ١٩٠٠ .

هـ — مجمع المرسّات ، وهو أشهر مؤلفاته قاطبة ، مطبعة الاجتهاد ، بيروت ١٩٠٨ .

المؤلفات الضائعة وأكثرها قد بعثته الأيدي ابان الحرب العالمية الأولى :

أ — ترجمة لحياة المؤلف (توجد نسخة منها عند السيد جرجي نصر) .

ب — الخالق والخلقة (كتاب علمي فلسفي) .

ج — الطيب السائح (رواية علمية) .

د — تاريخ شيخ الجبل رئيس الاسماعيلية .

هـ — فن الموسيقى العبرية (أو العربية !) وعلاماتها .

و — قاموس طبي (في نمائى لغات : العربية ، التركية ، اللاتينية ، الإيطالية ، الاسبانية ، الألمانية ، الانكليزية ، الفرنسية وهي الأساس) .

ز — ديوان مجمع الحشرات .

يضاف الى ذلك طائفة من الخطب والمقالات

٣ — ثقافته

شاكر الخوري كسائر أرباب النهضة ، تجتمع في شخصيته علوم متعددة بحيث ان ثقافته كانت مزيجاً من الفلسفة واللاهوت والتاريخ والآداب الانسانية والعلوم البحتة ، وهو من مدرسة « رابليه » ، الأدب والمربي الفرنسي الشهير في النهضة الاوروية ، الداعي الى حَسْوِ العقول بالعلوم قاطبة .

وإذا امعنا النظر في مجمع المَـسَـرَّات لوجدنا أن الكاتب يَـقَـمِّش معلوماته من المصادر الآتية :

١ — مشاهداته الشخصية وخبرته في الحياة العامة .

٢ — اطلاعه على الوثائق والمراسلات العائدة لزمانه والتي من بينها على سبيل الذكر : وثائق دير سيدة شمشوشة في إقليم جزين ووثائق اسماء الموظفين في عهد كل من المتصرفين .

٣ — قراءته في المصادر المحلية والغربية . ومن المصادر المحلية المؤرخ طنوس الشدياق — البطريرك الدويهي — المؤرخ الحنوني — أشعار العرب — أمثال العرب — قصص التراث العربي . ومن مصادره الغربية : المستشرق الأب مرتين اليسوعي ، المستشرق الأب لامنس اليسوعي ، للمؤرخ هيرودوتس . تواريخ فرنسا ، متاحف أوروبا ، الفرنسي موريس فونتان مؤرخ قناة السويس ، الفيلسوف سنيك الروماني ، الفيلسوف الفرنسي فولتير ، الفيلسوف الفرنسي روسو ، كتب شعبية أمثال « مذكرات حمارة » الرحالة فولني ، المستشرق ماسبيرو الخ ...

طبعاً إضافة الى كل هذه المصادر المحلية والغربية نجد لدى شاكر الخوري اطلاعاً عميقاً على الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد وعلى الكتب التي تدور حول مفهوم الدين وحول التشريع والشريعة والشهداء ومنافع الدين وأصول الديانات والاختراعات البشرية .

ويبدو ان شاكر الخوري ذهب بعيداً في قراءاته اذ كان من قراء « الجورنال الاسيوي » الذي كان في فترة من الزمن أفضل مجلة علمية متخصصة في تاريخ الشرق أشرف على إصدارها مجموعة من كبار المستشرقين في ذلك الزمان .

٤ — مذهبه ومنهجيته

يؤمن شاكر الخوري بالعقل ، وعلى ضوئه يشرح كافة مواقفه من الحياة . فالعقل لديه قوة الانسان . وقد اعطاه الله لنا لاستعماله بجمرة . ولذلك فكل ما لا يتوافق مع العقل فهو مرفوض لدى شاكر الخوري ، حتى نكاته التي اشتهر بها هي أقرب الى الحكمة منها الى التهريج المجاني ، فهي أمثلة عاقلة في الحياة صيغت بطابع الطرف والفكاهة . وعلى ضوء العقل يشرح مؤلفنا رأيه في التزينة القائمة وفي الخرافات المستحكة وفي العادات المسهجة وفي العبادات المسيطرة ، ولذلك فوقفه من الدين المسيحي هو موقف عقلائي لا عاطفي .

وإذا قلنا العقل فذلك يعني أن للدكتور شاكر الخوري ثقة تامة بتطور العلم والاختراعات الانسانية .

ويطرب لنا التوقف بعمق عند مذهب شاكر الخوري الفكري . فهو في رأينا انعكاس للواقع الثقافي الذي كان سائداً في أوروبا الغربية وخاصة في فرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث كان المفكرون يؤمنون إيماناً كلياً بالعقل .

ولكن . ان يكن مفكرؤ القرن التاسع عشر في أوروبا قد توصلوا الى الايمان بقدره العقل على تحدي الطبيعة والسيطرة عليها بواسطة العلم القادر على تحقيق انجازات معجزات ، فشاكر الخوري ، الشرقي النزعة . لم يستطع أن يجاريهم في ذلك . ففي أفكار الكاتب مسحة تشاؤمية وروح قدرية . وليس أدل على ذلك من قوله : « فثلثا في هذه الدنيا مثل رجل حكم عليه بالسجن مدة معلومة . فهو في معتقله لا يستطيع الخروج منه وكل عقله هو أن يخترع ملاحاً تلهيه عن التأمل بحال عذابه ... » والانسان في رأيه : « رغمًا عن كل اختراعاته ومعارفه وفلسفته لم يستطع أن يقدم أو يؤخر قدر ذرة في النواميس الطبيعية المخلوقة فيه وفي الكون » . والفلسفة في زعمه هي جعل المصيبة هيئة والراحة من طلب أمر لا تقدر على نواله . وأفضل فلسفة عنده هي فلسفة الاحتيال على المصاعب وتبسيط الأمور .

وبرغم عقلانية الكاتب تجاه أوجه الحياة فهو أسير اسلوب كثيراً ما طبع المؤلفات العربية . عنيبت بذلك الاستطراد . فالكتاب يفتقر الى التماسك واللحمة برغم كونه سيرة حياة غنية بالأحداث ، محورها الاساسي تطور حياة الكاتب .

وبرغم هذا المأخذ فتمتدق داخلني واحد يسري على رواية الاحداث كافة : فالمؤلف يروي الحادثة ثم يعلق عليها ويحللها ويستخلص الحكمة منها مدعماً ذلك بنوادير مستقاة من التاريخ ومن الحياة اليومية . باختصار ، مضمون الكتاب غربي الجذور ومهجه شرقي على طريقة الجاحظ وغيره ممن اشتهروا في باب السرد الاستطرادي .

وبإيجاز يمكن القول أن ثقافة المؤلف قد قادتة الى شخصية فذة قائمة على دعائم ثلاث : العقل ، الفكر الواقعي التطبيقي والايمان بقوانين الطبيعة والتسليم بها .

• — فوائده

أ — فائدة أدبية :

إن بجمع المـسـرّات ، بشروحاته اللغوية وأبياته الشعرية واسلوبه في التعبير وتاريخه للحركة الأدبية والفكرية عامة . هو انعكاس لواقع الحياة الأدبية في مطلع عصر النهضة . طبعا ، عند عامة المثقفين لا

[ط]

عند أبواب الهضة الكبار من أمثال ناصيف وإبراهيم اليازجي وبطرس البستاني وإبراهيم الأحذب وغيرهم من علماء اللغة آنذاك .

وأول ما يطالعنا في الكتاب هو فائدته اللغوية على صعيد شرح أصول أسماء القرى والأمكنة خاصة في أقلم جزين وجواره ، ومن تلك القرى نذكر على سبيل المثال لا الحصر : الشقيف - سنيّا - كفرجرا - أرنون ، صيدون ، طورا ، الليطاني ، مجدلين ، قيتولي - بسري ، الكحلونية ، السمقانية ، بعقلين - بتدين ، بشتفن ، الدامور ، عيناب ، بسابا ، الشويفات - دير القرقفة ، كفرشبا - بيروت ، الذوق - عينطورا ، عري ، بنواقي ، يافا ، مصر - عكا ، بشراي .

وهو في شروحاته اللغوية - يتميز بحسّ نقدي - بحيث لا يتقبل شروحات الآخرين على علائها ، ولنا في نقده لشروحات المؤرخ طنوس الشدياق حول تسمية شقيف طبرون ، مثال على ذلك .

إضافة الى هذه الفائدة اللغوية ، يعنى المؤلف بالترجمة لمشاهير الادباء في زمانه - امثال : بطرس البستاني وخليل الخوري وحيدر شهاب وسلم الخوري وغيرهم - كما أن كتابه حافل بأشعار بعض شعراء زمانه وباشهر الاحداث الأدبية والفنية المعاصرة له وبواقع المستوى العلمي . وهو في مؤلفه هذا - له ميزة خاصة في الكتابة لما نكهة تعبّر عن شخصية المؤلف - ولكن هذه النكهة لا تحول دون ركاكة أسلوبه في التراكيب يعترف هو نفسه بذلك - في الوقت الذي كان مقتنعا فيه بأن نظمه كان جيدا - لأنه سليقة عنده - وميزانه فيه سمعه .

ويحفل بجمع المسرّات بالعديد من ابيات الشعر ومن القصائد وهي تندرج ضمن الأبواب الآتية : المدح - الغزل - شعر المناسبات ، الرثاء ، الهجاء - الموشحات - النقد اللاذع . ويبدو ان قصائد الهجاء كانت أفضل ما ترك من اشعار - وهو فيها على منهاج أين الرومي في التصوير الكاريكاتوري الحيّ وهو في بعض اشعاره ذو نزعة وجدانية ، خاصة في الغزل ، وفي بعضها الآخر متصنّع يسعى للتلاعب بالألفاظ بحيث يدخل فيها مرادفات الطّب حيناً ، ويجوّلها الفاظاً تثير الضحك مرّات اخرى .

وقد يكون من الأفضل لنا مراجعة ما قاله عنه الأديب الكبير مارون عبود ^(١) للتعرف بشكل عميق على قيمة شاعر الخوري الأدبية ، وتوضيح بعض خبايا حياته التي خبره فيه عبود اثناء مشاركته له في تصحيح مسودة كتابه بجمع المسرّات . واليك ما قاله مارون عبود :

(١) مارون عبود - رّواد الهضة الحديثة ، دار الثقافة - بيروت - ١٩٦٦ ص ١٤٨ - - ١٥٧ .

« قال لي موسى صغير صاحب مكتبة المعارف : كلني شاكرك بك الخوري أن أفتش له عن واحد يقرأ عليه كتابه » جميع المرات « فيصطح له الخطأ النحوي والصرفي ، فخطرت أنت بيالي ، فما رأيك ؟

و كنت قد فصلت من الكلية اليسوعية ومدرسة الفرير لأنني محرر جريدة « النصير » المطالبة بتأليف « مجلس ملي » لأبرشية بيروت المارونية ، فأجبت : نعم .

فقال موسى : يدفع لك اليك عشر ذهبات عثمانية عند النهاية .

فوجمت ثم أجبت : لا بأس .

وبلغ الخبر أخذ اصحابي فقال لي : شاكرك بك « عملته رديّة » وهو هجاء ، قلنا سلم من لسانه أحد ، كبيراً كان أم صغيراً ، فلا تعرض نفسك .

فقلت له : وأنا عندي ما عنده . أتخاف عليّ !

واجتمعنا أول يوم في دار البيك وشرعنا نقرأ ، قرأت كلمة « التقيص » فقلت له : « التقيص » فذكر قليلاً وقال : التقيص مفهومة أكثر . وبعد قراءة جملة او جملتين ، مرّت كلمة « تقاصصه » فقلت له : تقاصصه . فقال : وهذي أضرب من هاتيك .

فقلت له : إذن ماذا تريد مني ؟ قال : ابداء الرأي ، وأنا أرى الموافقة .

ثم جاء دور الشعر ، فعرض عليّ ابياتاً نظمها لتكتب تحت رسمه ، كما جرت العادة في ذلك الوقت . قال الدكتور :

لا يــــد من وبختــــه	لقبــــاحة يــــدي الغضب
أو من مــــدحت قريــــبه	يزيــــادة عنــــه أنورب

فهزئت رأسي . فقال : مالك أنوربت أنت ايضاً ؟ فقلت : لو غيرنا هذا الشطر الأخير ، فأومأ برأسه أن لا ، وأنشد :

مها فملت فـــــــــــأنني	مـــــــا بين قومي في عتب
لي أسوة بميجنـــــــا	فأقــــام ميتــــاً وانصلب

[ك]

وهنا وقعت الواقعة ، فأصبرت أنا على القول : أحيا لعازر وانصلب ، وأصر هو . واخيراً صاح بي :

أفضل كسر الشعر مع حسن سمع به على نظم موزون لسمع به قتل

ثم كانت الكلمة الأخيرة له ، فعلمت أن لا طب مع هذا الطبيب ، وأني شاهد زور لا أكثر ولا أقل . وكان البيك مصاباً بالسكري ، فكان يبول بلا حياء فيذكرني بشار وآني امتعضت فقال لي : مارون أنت مثل أولادي . لا تؤاخذني ، أنا ملازم سريري ، وفي روحي ورجعتي ، كل نصف ساعة ، تضيق وقت كثير .

وكان الظهر ففمت ، فقال : اتعد . خيزي اسود ولكنه صحي أكثر من خبز السوق الأبيض . وأنا جبلي مثلك . تتعدى ممي كل يوم ، وتأخذ أجرتك وحبة مسك ...

فضحكت والتفت الى الكوميدينا فأدرك حالاً وقال : يظهر انك اخوراسي ...

ومضينا في عملنا ، فأنستني نظافة طعامه كل ما عداها . كان على المائدة يشرح لي أموراً كثيرة ويحدثني عن كتابه : « صحة المتزوج وزواج العازب » ويصارحني بما يتعلق بي من موضوع الكتاب ، ويقول : هذه دفعة ، قديها . فيدق قلبي وأتذكر قول صديقه « في عمله » . ثم حدثني عما يفعمني من كتابه الآخرين « نائب الطبيب » و « صحة العين » وأفاض ، ولما انتهى قال : هذه دفعة ثانية . قديها معك .

فقلت له : أنا لا اقبض « عملة حكي » هذي بضاعتي . ولو كانت تجوز كنت أغني البشر .

فقال : قال لي صاحبنا موسى انهم خوفوك مني . لا تخف يا ابني . انت لست بمن أطعم فيهم . كل ملوخيا . كل لا تتح .

فقلت : أخاف ان « تملخ » ربة حسابي ، فضحك وقال : خطيتك في رقبتي . احرق دين « الجباط » . كله كله . حسابك رقبته غليظة لا تملخ ...

وكان شاكر يتأدر حتى على أولاده ، فلما دخل علينا ابن له طويل ، قال لي : تعرف ماذا انتقيت له وظيفة ؟ فينت . فقال : ان يضوي قناديل البلدية لأنه لا يحتاج الى سلم . طول بلا غلة .

وظللنا شهرين ثلاثة قرأ وتعدى ، وقضنا اجرتنا علاوة ...

هوذا حق خبزناك أيها الرائد الذي لم يكذب أهله . فكتاب « جمع المسرات » غاريق من طراز آخر . كشكول طريف ، وصاحبه مطبوع على النكة القارصة . كان يشترها باليمن الموجه كل من يتعرض له ، ولذلك هابه معاصروه ، كما هابوا بشار بن برد . كان هجاء محترفاً لا هاوياً كالحاج عمر الأنسي . وقد أبقى هجاءه السخن لديوان سياه « مجمع الحشرات » ولكنه لم يظهره في حياته . ولست أدري إذا كان « قبض » ممن هجاهم حين فتح باب الاشتراك بكتابه « جمع المسرات » فعدل عن ذلك كما حذف الكثير من هذا . لقد كان الاشتراك بكتابه جزية أو ضريبة أداها الاغنياء عن يد ، ليسلموا من لسانه ...

فكتاب « جمع المسرات » ترجمة حياة ، ومذكرات مكتوبة بأسلوب ، طرافته في بساطته . ليس يسأل صاحبه عن الخليل ولا الفراء . فيه صفحات من تاريخ لبنان ووصف للحياة في عصر مؤلفه ، وفيه اشياء عن مصر وغيرها من الأمكنة التي حلها ركابه . فالرجل بشاري غاريقي ، ولو كان في عصر الشدايق وقرأ ركابته ووطناته ولحنه لشمرت الحرب عن ساقها . فهو من هذه الناحية فقير جداً جداً . وأما من ناحية الشخصية فغني . الا انه يظل في الحالين هجاء عصر النهضة ، ولوناً طريفاً من اللونه ، فكل كتابه نكات ونوادر . والذي لا يسه كما لا يسته ، ورآه في مبادله كما رأيته ، يقول مثلي : انه نكة النكت

« ... هذا هو شاكر الخوري . أخاف الناس هجومه ربع قرن وأكثر . وهو اليوم لا يخطر لأحد ببال . الا عند ذكر بعض ما يؤثر عنه من نوادر . لقد نقلت منها ما يقبل ، أما الحامضة كثيراً فظلت في كتابه .

ان شاكر الخوري يقتبس من الكتب الدينية أكثر نكته . فهو في هذا كأبي نواس . وان كان في غيره كان الرومي وبشار .

و.ب قاتل فان : لم يذكر شاكر الخوري الا ليخبرنا انه نصح كتابه . عفواً سيدي . فالكتاب - كفلك نوح بالعلط ، فلا فخر لي في هذا ، ولكن الرجل يستحق أن يقف مع كبار هجائي العرب . لو صحت عبارته . لما أصح قول مثلنا العالمي فيه : يا حيته لولا عينه .

ب — فائدة تاريخية

يقول شاكر الخوري : « فاكتابي هذا الا قصة ما رأيته وما روي لي وما أجريت وما جرى لي » . لذلك فجميع المسرات . سجل تاريخي حافل بالأحداث اليومية العائدة للحياة الشخصية للمؤلف من جهة ولهجريات الوقائع والحدثان والأوضاع والأحوال القائمة في لبنان وبعض الدول المجاورة من جهة

اخرى . وبشكل أدق فالكتاب وثائقي التزعة وتاريخي كلاسيكي ، فالكتاب ، قبل كل شيء ، شاهد عيان واع ودقيق ومطلع بدقة وأمانة على تاريخ عهد المتصرفية في لبنان .

وفي الكتاب مجموعة لا يستهان بها من الوثائق القيّمة التي تنشر لأول مرة ، خاصة ، ما يعود منها لقرية مشموشة في قضاء جزين ولدير سيدة مشموشة ، في المرحلة ذاتها ولأسرة المؤلف وللادارات المتعاقبة على المتصرفية حتى عام ١٩٠٧ ، وبعض نماذج المراسلات الادارية والتربوية . ولعل جداول موظفي أو مأموري المتصرفية هي أفضل وأهم وثائق الكتاب .

والكتاب كتّاريخ لعهود المتصرفية يلقي اضواء على موضوعات متنوعة يمكن اختصارها بما يأتي :
العائلات والشخصيات — النشاط الديني — فترة ١٨٦٠ — الآثار اللبنانية — تاريخ بعض القرى —
النشاط التربوي — النشاط الصناعي واخيراً تواريخ بعض البلدان المجاورة .

فبالنسبة الى العائلات ، وبرغم من انه بصدر كتابه بالكلام عن عائلة كرم الطرابلسي في مصر . فإن عائلتي جنبلاط وشهاب تستحوذان أكثر ما يكون على اهتمام الكاتب : لذلك فهو يخصصهما بلمحة تاريخية وتعريف بواقعهما المعيشي والاقتصادي وباضواء على العديد من افرادهما . إضافة الى هاتين العائلتين نجد في الكتاب كلاماً — مختصراً حيناً ومستفيضاً احياناً — عن بعض العائلات الآتية : عتمة — البستاني — علي الصغير — الأمين — الحر — نصرالله — حماده — ابي نكد — تلحوق — ارسلان — ابي اللمع — رزق الله — بسترس — سرسق — الخوري — توبي ، وعائلات دير القمر بشكل خاص . هذا فيض من غيض العائلات التي يؤرخ لها الكاتب وقد راعينا في ذكرها لا قيمتها المعنوية بل تسلسل ورودها في الكتاب . إضافة الى ذلك فالكتاب مصدر صالح لتراجم العديد من مشاهير القرن التاسع عشر خاصة . ومطلع القرن العشرين . سواء أكانوا من الشخصيات العلمية أو الأدبية أو السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية . ولاكتشافها يكفي القاء نظرة على فهرست محتويات الكتاب المنظم حسب الترتيب الاليجدي ومن ثم التعرف عليها في متن الكتاب الذي يزخر بشروحات وافية عنها .

وليس من غريب الصدف ان يهتم شاكر الخوري برصد التاريخ الديني وهو سليل خمسة اجيال من الكهنة . لذلك فكتابه يعطي لمحات قيمة عن الادارة الدينية لأقليم جزين . كما يعطي فكرة ايضاً عن الأديار وتاريخها ونشوتها عموماً ونشوء الرهبانيات اللبنانية خصوصاً . ويخدم الباحث بشكل أدق بتقديمه جداول بالأديرة والانايش والمدارس المارونية . ولا يكتفي شاكر الخوري من التاريخ الديني بعرض واقعه المادي بل يتعدى ذلك الى انتقاد واقع الرهبان داعياً اياهم الى ضرورة ممارسة واجباتهم الاساسية التي تتركسوا لأجلها . ولا تتوقف معلومات شاكر الخوري عند حدود الطائفة المارونية بل ان كتابه مرجع صالح للتأريخ للرهبانية اليسوعية والطوائف المسيحية . ولا يقتصر كلامه في الطوائف على تاريخها الديني فحسب بل يتعداه الى تاريخها كشعب . واذا اراد الباحث ان يتعرف عن كتب على

الشخصيات الدينية البارزة من بطاركة واساقفة وكهنة ، وحتى رجال دين مسلمين ، في عهد التصرفية ، فما عليه سوى أن يعول على شاكر الخوري ليجد عنده الخبر اليقين .

وتشاء الصدف أن يكون الكاتب من الذين عاشوا عن كثب الفتنة الكبرى التي عصفت بأقليم جزين في عام ١٨٦٠ . وما خلفته من دمار وتخراب في القاعنقامية الدرزية . فلقد بدأت الفتنة بمقتل خوري بتدين اللقش في الكحلونية ثم أنقضّ الدروز في ٣٠ أيار عند القروب بالبنادق من باتر الى قرية بجنين ومنها الى أقليم جزين الذي تهجر أهله وقتل العديد منهم في قراهم أو وهم هاربون لا يلوون على شيء . وفي خضمّ تلك المجازر وقف متاوله الجنوب موقفاً انسانياً لا مثيل له ، فاستقبلوا النازحين وأضافوهم ، وكان على رأس هؤلاء الشرفاء الشيعة كل من : محمد بك شبيب ويوسف نصرالله وحسن الأمين والشيخ علي الحر والشيخ عبدالله نعمة وأسرّة علي الصغير (الأسعد) بالعموم . ومن بلاد المتاوله لجأ المؤلف واسرته الى صيدا ، ثم عاد الى بلدته ليجدها خراباً ، بعد مجيء فؤاد باشا والأسطول الفرنسي الى لبنان وما استتبع ذلك ، من اعلان سعيد جنبلاط السباح للنصارى بالعودة الى منازلهم بأمان . بذلك كان شاكر الخوري وثيقة مهمة لتسجيل وقائع ودقائق الفتنة التي عايشها وعانها كشاهد عيان يتمتع بميزة المراقبة الدقيقة .

ولما كان شاكر الخوري من كبار مثقفي زمانه ، فان حسّه الثقافي يتمثل في تقديره لقيمة الآثار التي تركها الحضارات المتعاقبة . فهو يصف مقام النبي أيوب في نيجا ، وأثارات صيدا ومنها خان الفرنج وأثارات مرج العواميد في مرج بسري وقلمة طيرون وآثار بيروت ونهر الكلب ونهر بيروت في جوارها وأشهر الآثار اللبنانية الموجودة في متاحف اوروبا (باريس ، لندن ، اسطنبول) ، كما يكرّس وصفاً دقيقاً لآثار جبل طورا في أقليم جزين التي يربطها بتاريخ مملكة آفيق جاعلاً من طورا عاصمة لتلك المملكة التي يأتي على ذكرها الكتاب المقدس ، ويعتقد الكاتب بأن طورا هو بالذات الجبل الذي جرّب ابليس فيه السيد المسيح ^(١) .

ويمكن القول إن كتاب شاكر الخوري مادة صالحة للعديد من الذين يرغبون بالتعرف الى ماضي بعض الأمكنة والقرى اللبنانية وجغرافيتها الانسانية . ومن هذه القرى نحصّ بالذكر : مشموشة ، النبطية ، صيدا ، جبل طورا ، جبل حرمون ، تومات نيجا ، مرج العواميد ، الكحلونية ، السمقانية ، بعقلين ، دير القمر ، جسر القاضي ، الدامور ، عيتاب ، الشويفات ، كفرشبا ، بيروت ، نهر بيروت ، نهر الكلب ، الأزواق ، عينطورا ، عراي ، جبل ميسا ، رأس العين ، صور ، عكا ، مصر ، دمشق ،

(١) نمة رغبة جامعة لدى سكان قرية المؤلف لربط طورا التي تخصّصهم عقارياً بمملكة آفيق وربط عائلاتهم بأصول شريفة ، بالرغم من أن هذا لا يرتبط بمقائق علمية أكيدة .

[س]

وهو في شروحاته التاريخية يشرح ما للقوى الجبلية من أثر على الصحة والفكر وما لطبيعة الأرض من أثر على الطباع والأخلاق . فالأرض اللينة الخصبة في نظره تولّد اختلافاً سهلة والأرض الجبلية الصخرية تولّد الصلابة والثبات والأخلاق السيئة والنشاط .

ويكرّس شاكِر الخوري صفحات كثيرة للنشاط التربوي الذي سيأتي الكلام عليه في باب الفائدة التربوية من الكتاب .

وإضافة الى النشاط التربوي عبر مدارس ذلك الزمان ، نستفيد من الكتاب للتعرف الى النشاطات الصناعية عبر مؤسسة بورتاليس التي كانت تعنى بحلّ الحرير الذي كان الهاد الأول في الصناعة اللبنانية في تاريخ لبنان الحديث .

ومن فوائد الكتاب التاريخية ما نجده من كلام عن الدول المجاورة وتاريخها . فهناك معلومات عن يافا وعكا وعن تاريخ مصر وديانتها ولغتها منذ القديم حتى عهد اسماعيل باشا (١٨٦٣ — ١٨٧١) ، وعن ديانة الهند وتاريخها ولغتها ، وعن آلهة اليونان وعن التعليم والزراعة الطبية في مصر . وأبعد من هذه العموميات فالؤلف كان شاهد عيان لتدشين ترعة السويس وما رافقها من احتفالات ، وقد تشرف شخصياً بمقابلة الخديوي اسماعيل ، ولذلك فهو يعطي معلومات دقيقة عن حياة الخديوي ونشاطاته ومشاكله السياسية والاقتصادية . إضافة الى هذا التاريخ الحيّ لمصر يفصل لنا الكاتب مشاهداته في دمشق التي عاش فيها رشحاً من الزمن . واخيراً ففي الكتاب مشاهدات سياحية لرحلته عبر تركيا وأوروبا لا تخلو من متعة ومن قيمة تاريخية .

هكذا فجميع المرات للدكتور شاكِر الخوري هو من أفضل المصادر التاريخية العائدة لفترة المتصرفية هذا مع العلم بأن الكثير من معلوماته التاريخية خارج اطار المتصرفية ، قد عفا عنها الزمن الى حد ما . وهي عرضة للنقد اجمالاً على ضوء الأبحاث التاريخية الحديثة والعاديات الأثرية التي تطوّرت كثيراً في اكتشافاتها منذ زمن المؤلف حتى الآن . يضاف الى ذلك ما ذكره السيد جرجي نصر^(١) من تصويبات خاصة في ما يتعلق بتسلسل نسب عائلة المؤلف وتواريخ بعض أفرادها الذي استند شاكِر في ذكرها على العتقة الضعيفة الاسناد . وقد تحرى السيد نصر ذلك من السجلات الرعائية .

ويأخذ السيد نصر على الكاتب تحاشيه لذكر بعض اللامعين من أفراد قريته . وعرضه لمشاكله مع

بعضهم بطريقة تخدم مصالحه ، وهذه الملاحظات على قيمتها مع النقد غير المباشر الذي يوجهه شاكر الخوري الى معاملة أهل القرى لبعضهم البعض ، تنصب جميعها في خاتمة الحساسيات القروية التي كانت ولا تزال مشكلة المشاكل في القرى اللبنانية .

ج — فائدة تربوية

تظهر الفائدة التربوية في كتاب شاكر الخوري من جهة في وصفه لتاريخ التربية في لبنان ولنوعية التربية التي خضع لها شخصياً منذ نعومة أظفاره وفي إبراز مساوئها ومن جهة ثانية في الأمثولات والمواظع الأخلاقية التي يستمدّها من خبرته الشخصية ويخاطب بها القارئ ، وهو في نظرياته التربوية يبدو سابقاً لعصره .

بدأ شاكر دراسته في القرية ومنها انتقل الى المختارة^(١) فشموشه ، ولم تكن تجربته الأولى في الدراسة لتمرّ دون التوقف عند محاسنها وسيئاتها . فالعلم في نظره ، حسب الطريقة المتبعة شاق . ويتم بالرغم من ارادة الطالب ، ويظهر ذلك في تدريس اللغة السريانية التي يعتبرها الكاتب ميتة ، ويرى ان الولد يتكسّب اخلاق وعادات معلميه وأهله وبلاده . ويتخذها رغباً عنه . ومنها تتولد قيمة العليا التي تختلف باختلاف المجتمع الذي يتربى فيه . فالتربية والعادة هما كل شيء ، والانسان هو أين تربيته . ولذلك . فمن الضروري ، برأيه ، وضع الولد وهو صغير في محلّ يوافق الأدب والراحة والحفائق . بحيث لا يعتاد المخاوف والاعتقادات الباطلة حتى لا يتعب منها مستقبلاً . ويقف الكاتب موقفاً حازماً من الدور السلبي الذي يلعبه حنان الامهات في تربية اولادهن . فحنانهنّ يجعلهنّ ضعيفات الارادة أمام رغبات اولادهن ، ولما كان كسر ارادة الولد يساهم في اراحته في حياته المستقبلية . من هنا يظهر خطر تساهل الامهات في تربية أولادهنّ . والدكتور الخوري يكره العنف وينبذهُ نبدأً قاطعاً في العملية التربوية . ويرى أن العقل هو لبّام الانسان . ويلاحظ الكاتب الانعكاسات النفسية الناتجة عن التربية القاسية ، فيشرح لنا بأن الأولاد كانوا يخافون من والديهم ، نتيجة التربية القاسية وعدم وجود أي حوار عاقل بين الأهل والأولاد ، بحيث أن العصا كانت اداة تأديب من عصي . وكذلك فان أكثر الأولاد يصبحون خيثة وعتائين وكذابين .

(١) راجع جبران مسعود . لبنان والبهضة العربية الحديثة . بيت الحكمة ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٣٦ .

[ف]

ويتخذ الكاتب التربية الدينية المعتمدة ، فيجد بأنه . ليس فيها أثر للوعظ وللتعاليم الدينية . بل هي كتابة عن ممارسة عمياء للواجبات الدينية.

واذ كانت الدراسة تركز على تلقين الطلاب الشعر . يرى المؤلف أن في ذلك فائدة لا يستهان بها لأن الشعر يعلم اللغة العربية على حقها . ويعود الطالب على اللفظ الصحيح ويرسخ القواعد اللغوية في الذهن .

وفي مدرسة مشموشه تعلم شاكر الخوري اللغة العربية حرفاً ونحواً وكذلك السريانية حسب الأصول المعتمدة في عين ورقة . ولاختبار نوعية ما تلقته الطلاب كان يفرض عليهم المشاركة في الصلاة على « القرية » . حيث كان الطلاب يوضعون على المنك أمام جمهور الناس .

ومن مشموشه انتقل المؤلف الى عينطورا طالباً داخلياً . وبشبه هذا النظام . بالنظام العسكري الرهباني القائم على التنظيم والصلاة والدرس . وأكثر ما كان يزعجه في هذا النظام المغالة في كثرة الصلوات التي كانت تصل الى حدود الاثنتين وعشرين صلاة مما كان يعطي مفعولاً معاكساً لما كانت تسعى اليه المدرسة لاذكاء الروح الدينية في نفوس الطلاب . وفي عينطورا درس الطلاب العربية والفرنسية . ولكن ما كان يزعجه ويؤله هو اعتماد العنف وسيلة للتربية والانتكال على بعض الأجانب الاوروبيين الذين كانوا يدرسون بعض المواد باللغة العربية بشكل ممسوخ . ويبدو أن المؤلف كان يعرف قدر قيام تربية متوازنة مع عمر الطالب . ولذلك فهو يشكي من اجبار الطلاب على قراءة نصوص لا تتناسب مفاهيمها مع اعمارهم . ونستخلص من الكتاب نوعية الدروس التي كانت تعطى للطلاب في عينطورا وهي الغرامطيق وقليلاً من الحساب والجغرافية يضاف اليها اللغة اللاتينية . ويعطى شاكر الخوري على مستوى التعليم في عينطورا فيذكر أن ما تعلمه فيها خلال ثلاث سنوات لم يكن شيئاً يذكر .

ومن عينطورا انتقل الى المدرسة الوطنية للمعلم بطرس البستاني . ويبدو انه كان مرتاحاً للدرس وللتدريس فيها . خلافاً لما كان عليه في المدارس السابقة التي كان يشن ويشكي دائماً من الاسلوب القاسي المعتمد فيها . ومن لبنان سافر الى مصر للتخصص في الطب بمنحة من الخديوي سعى له بها متصرف لبنان . فدرس في مصر علم الطبقات الارضية وعلم المعدنيات والكيمياء المعدنية وغير المعدنية وعلم الطبيعة وعلم النباتات والكيمياء النباتية والحيوانية وعلم الحيوانات وعلم المنسوجات وأركان البدن والتشريع الخاص والتشريع العملي ، وعلم تركيب الادوية والعلميات الجراحية وفن التصيب والجراحة العامة والفسيولوجيا والباثولوجيا وفن العلاج وجراحة الانسجة والتشريع الجراحي والتشريع المرضي وقانون الصحة والمادة الطبية وامراض الجلد وامراض النساء والاعطفال وجراحة الاقسام وفن الكهالة والطب الشرعي وفن الولادة وعلم السموم والاكلينيك الجراحي والباطني والرمدي يضاف الى ذلك تجارب جراحية في الجراحات المتعددة .

وفي مدرسة الطب كان شاكر الخوري مشاكساً ومعارضاً لكل أنواع التربية بالطرق العنيفة ، وقد قادته معارضته لذلك الى مقابلة الخديوي لتقديم شكوى بحق المسؤول عن ادارة مدرسة الطب في مصر .

واذ تخرج شاكر الخوري من مصر طبيباً تابر على نقل تجربته الطبية الى قرائه ، وهو ما نقرأه جيداً في هذا المؤلف وفي سائر مؤلفاته التي نمت الى الطب بصلة ، حاملاً الهم فائدة تربوية طيبة جدية بالتقدير . وهو كثيراً ما يقدم النصائح في أنجح الوسائل لشفاء المرضى ، مظهراً المفاط التي كان يقع بها الاطباء الذين كانوا يطيبون الناس بعكس المعالجة الطبيعية . ويقول بهذا الصدد : « فليعلم الطبيب ان الطبيعة هي المحامي الأعظم عن الجسم لأنها متى شعرت بمرض دخل في جسم الانسان تقاومه وتجهذ ذاتها لطرده ... » .

ويسمى الكاتب جاهداً ، في كتابه هذا ، الى عارية الاطباء الدجالين ، مينا أكاذيبهم وغشهم . ويذهب شاكر الخوري بعيداً في نصائحه التربوية الطبية فيشرح واجبات الطبيب نحو صنمته ونحو نفسه والطريقة التي عليه أن يمارسها في مهته مع الأفراد على طبقاتهم ومع المؤسسات ، والأخلاق والمثل التي عليه أن يتحلل بها .

هكذا ، اذاً ، فجمع المسرات مصدر مهم للتعرف عن كتب على تاريخ التربية في لبنان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

وفائدة هذا المؤلف التربوية تمتد الى الاطار ليصبح معها الكتاب وكأنه في الأساس موجّه لاعطاء الامثولات والحكم التي يستخلصها شاكر الخوري من تجربته المربرة مع الحياة .

يمجد شاكر الخوري في كتابه الصداقة ويمدح الفضيلة ويقدم بالذبلة . ويعطي نصائح في كيفية اختيار الاصدقاء . فليس من ييش في وجهنا لحاجة يعتبر صديقاً . فالصاحب الحقيقي من يريد منفعة صديقه ويسمى له بها ويحامي عنه في غيابه كما في حضوره . ويعطي الكاتب نصائحه في العلاقات بين الأفراد وفي حسن اختيار الصديق وفي من ينبغي تجنب صداقته . وفي نظره ينبغي على المرء أن يتي على مسافة معينة في علاقته مع الآخرين ، فكرة الاختلاط بالرفاق تكون سيئاً للاختلاف ، وكذلك رفع التكليف بين الاصدقاء غير جائر .

ولشاكر الخوري نقمة على المرائين ، لا تعادها الا نقمته على رجال الدين ، لسوء تصرفاتهم التي لا تناسب كلياً مع رسالتهم والطريق التي اختاروها لأنفسهم . وهذه النقمة تشبه الحساسية وهي مرافقة للكاتب منذ طفولته . وهو غالباً ما يثور على الطريقة التي يتبعها رجال الدين لممارسة الدين وشرحه . وقد

[ق]

قاداته حماسيته هؤلاء الى ما يشبه الكفر الذي لازمه حتى سن الثلاثين . فعندها بدأ يفكر بالدين ، لا من خلال ما تعلمه ، بل من خلال استنتاجاته الشخصية الفكرية . وهو يميز جيداً بين الدين ورجال الدين الذين يسبون اليه بنصرقاتهم الرعناء . ولذلك فهو يوجه النقد لأصحاب الوظائف وللناسات وللترية الدينية ويعطي حلولاً لأصلاح الخطأ في ملك الرهبان ولسألة زواج الكهنة .

ويدعو المؤلف الى المعروف ونجدة للمهوف والى الحشمة والى محاربة الذهنية الاجتماعية في نظرتها الى المرأة ، خاصة المرأة العاقر ، والى رفض الاكراه في الحياة والدين والترية . ويتوقف مرّات عديدة أمام العلاقة مع الرفاق مظهراً الحسد الذي يدمر العلاقات بينهم ، خصوصاً حسد أبناء القرى لبعضهم البعض .

وللمؤلف مواقف حذرة وجذرية من علاقة الخادم بالمخدوم ومن القمار ومضاره ومن كذب المنجمين والاطباء المشعوذين ومن العملاء التجاريين .

فالقمار ينسي المدمن عليه : « كل لذة خلافة ... فيترك العلم والأدب والمسامرة وكل لذة عقلية ويصير وحشياً بالكاد يرد السلام ... ففكره دائماً في كدر ، ان ربح خشي من الخسارة وان خسر خاف من الزيادة ... » .

ويقف شاكراً الخوري موقفاً صارماً من الخطوبة ؛ فإذا طالت فإن الفساد يظهر بين الحساد . فالأحسن الزواج بدون خطبة ، وإذا شاء المرء اختيار خطيبته فليختبر بدون خطبة .

أما موقفه من الزواج فهو أن الحب يزول سريعاً بين الرجل والمرأة عند فقدان المال . والزواج من فتاة جميلة وأديبة ولطيفة المعشر ومتعلمة يحتمل صاحبه مسؤولية كبرى اي يلزمه الاعتناء بها ومدارأتها أكثر من سواها ، لأنها تصبح كالمجوهره الثمينة . وهو ككل الرجال الشرقيين يدعو المتزوجين حديثاً الى ضرورة ممارسة الرجل هيئته وسلطته على عروسه منذ أول لحظة حتى لا يدفع الثمن لاحقاً . وهو طبعاً يوجه الى عدم الزواج من نساء يكبرن الرجال للحصول على اموالهن . وفي الادارة العامة والمهيات الاجتماعية ، لشاكراً الخوري موقف عملي يدعو فيه الى ضرورة ممارسة السياسة في ادارة الهيئة الاجتماعية التي لا بد لها من رأس ونظام ، وعلى المرء ان يعامل الناس كما يجب ان يعاملوه : « فإذا شئت ان تعرف كيف يرضى عنك من هو أعلى منك فقاوّن بين ما يرضيك في من هو دونك وسر بموجبه » وبناء عليه ، يشرح لنا شاكراً الخوري أيضاً كيفية تعامل الانسان مع من هم أدنى منه مرتبة .

ومن خلال خبرته الشخصية يذهب شاكراً الخوري بالنسبة للمال المذهب الذي ذهبه كافة الحكماء فالمال اذا زار كريماً ازداد كرمه واذا زار بخيلاً ازداد بخله ؛ والمال والحاجة في نظره هما من أسباب اعتبار

الناس بعضهم البعض . وله في مسألة المال نظرية واقعية تستمد جذورها من الاخلاق والمثل المعروفة في المجتمعات الفلاحية الزراعية . ولذلك فهو يشبه من يدخر مالاً نقدياً بالمسافر في البحر بينما صاحب الأموال غير المتقولة كالمسافر في البر ، فالسفر بالبحر أريح ولكن لو غرق المسافر لذهب مع ماله .

ويلقي ، شاكر الخوري ، الضوء ، ايضاً ، على أسباب البخل والكذب ، وما الى غير ذلك من فوائد تربوية يمكن قراءتها بمنفعة في متن الكتاب .

د — فائدة اجتماعية

يصور كتاب مجمع الممرات حياة وعادات القرية والعباب الأطفال فيها وحفلاتها وادارتها ومشاكلها وخلافاتها الداخلية والخارجية مع القرى المحاورة وذهنية أفرادها وملابسهم وجميعياتهم وتعارفهم وزواجهم وأغانيتهم وأخلاقهم ومثلهم مركزاً على مشكلة الحسد واستعراض القوة والتباهي وهي علة غالبية القرى اللبنانية ، طبعاً ، نموذج هذه المعطيات الاجتماعية هي بكاسين قرية الكاتب .

ويعطي المؤلف نوادر متعددة تكشف عينات كثيرة من الحياة اليومية . ويشرح اسباب وجود امتيازات للأعيان فيربط ذلك بالشجاعة والكرم والاخلاق والعلم والقوة والعصبية والغنى ، فاذا تلاشت هذه الفضائل تلاشت الامتيازات وفقدت الاعيان حقها بالتقدم على غيرها من الناس . ومن هؤلاء الاعيان يركز ، الكاتب ، على اسرة جنبلاط فيقدم لنا وصفاً دقيقاً لموانئهم ولوسائل الطبخ ونوعه وتقنيته ولخيلهم ولدور حريمهم ولملاهم .

ويوجه الكاتب النقد للموظفين وللرؤساء منهم خاصة ولعقليتهم ، ويسلط الضوء على تأثير الوسط الأدبي على طبائع وميضية الناس ، ويتقد الوسواس والخرافات الاجتماعية والطلاسم والاعتقاد بقراءة الغيب . ويتوغل شاكر الخوري في المجتمع اللبناني فيصف موقفه من العشاق ويصف العشق وحالاته النفسية ويصور الحياة الزوجية ومشاكلها ، خصوصاً عندما تصبح عرضة للحقد والنكابة .

ويعطينا الكاتب صورة سيئة عن أوضاع المحاكم في عهد المتصرفية وعن المداخلات التي كانت تجري فيها من قبل رجال الدين والنساء . ولا يقتصر كلام الكاتب ، في تصوير الحياة الاجتماعية ، على الريف ، بل يتعدى ذلك الى الحياة المدنية ، فيصف الحياة في بيروت ويعطي وصفاً دقيقاً عن الحياة المترفة التي بدأت تغزوها مع المرافق الخاصة والعمومية ، وعن طريقة ممارسة البروتوكول في عائلات الاعيان والعائلات البرجوازية ، وعن الروايات التمثيلية لقولا النقاش .

[ش]

ولا ينسى الكاتب أن يذكرنا بأنه في حياته السياسية كان يقف الى جانب الحرية والدستور ومعارضة الظلم على اشكاله .

ومجمع المّرات هو أيضاً مصدر مهم من مصادر التاريخ الاجتماعي للبلدان المجاورة . فهو يصوّر الحياة الاجتماعية في مصر ووضع اللبنانيين فيها ووضع الادارة المصرية عموماً ؛ كما يصوّر افراح المصريين وملاهيهم وذهنيّتهم وعاداتهم ومعتقداتهم الخرافية ، كالإيمان بالعاريت مثلاً ، وحالة السياحة في بلادهم . وهو أيضاً يصوّر الحياة الاجتماعية في دمشق فيعطي نماذج من الحياة اليومية ومن أوضاع الاكليروس الماروني في المدينة وأوضاع اليهود وأوضاع العائلات المسيورة وأعيان القبائل والمتدروشين والخدم ؛ كما يصوّر سيطرة عقلية التكفير لأدنى غاصصة ، والتحرّب والغرض في معاشرّة الانسان لأهل بلده .

طبعاً ، ما ذكرنا اعلاه هو جزء بسيط من فائدة الكتاب في تصويره للحياة الاجتماعية ، فالفائدة التربوية والفائدة التاريخية التي سبق ذكرها . هي أيضاً جزء من فائدة الكتاب الاجتماعية .

هـ — فائدة طبية

يعطينا الكتاب فكرة واضحة عن واقع الطب من جهة وعن واقع الدروس الطبية من جهة اخرى . أكثر من ذلك ، فالكتاب يجتري على العديد من الدروس الطبية ، وقد ذكرت في باب الفائدة التربوية ، والدروس في تركيب الادوية وطرق المعالجة . ويلقي الكتاب أضواء على اخطاء بعض المعالجات التي كانت معتمدة في زمانه ؛ وهو يصف كل الحالات المستهجنة التي كانت تعترضه في مهته ، كما يصف الحالات التي كان يمر بها مرضاه . ولادخال مبادئه الطبية في ذهن القارئ ، كثيراً ما كان يحمل اليه تجاربه بقالب النكتة الطريفة .

وكطبيب مسؤول . كثيراً ما بعقد شاكر الخوري العديد من الأبحاث التي تخرج عن اطار رواياته لتاريخ حياته فيشرح مضار بعض المعاديات السيئة كالتدخين واستعمال الكحل وما الى غير ذلك .

و — فائدة نقدية

مجمع المّرات ، هو ، في الاساس ، رواية لحياة المؤلف ولتجاربه في الحياة ، ونقد عاقل لها . ولذلك ، فشاكر الخوري يعتمد في النقد وسيلتين ناجعتين : الأولى وسيلة غير مباشرة ، عبر نكاته الطريفة التي تترك أثراً في النفس لا يحى ؛ والثانية مباشرة ، بتحليله للمشاكل وتعليقها وتبيان مساوئها . وهو في

الوسيلتين انسان ظريف متندر . هكذا سمع عنه الناس ، ولكن ، نادراً ما يتبادر الى اذهانهم ، أن ذلك الظرف كان يخفي نقداً لاذعاً وتصويراً مريراً وقاسياً لواقع الحياة الذي لم يكن شاكر الخوري راضياً عنه . ولقد أحسن الكاتب في استناد أفكاره الى النكات الشخصية أو تلك المستمدة من عيون كتب الأدب ، فالمخاطبة بالتشبيه وبالصور كانت دائماً الوسيلة الفضلى في شرح أفكار كتب الدين وكتب الحكمة .

وأكثر ما يوجّه اليه شاكر الخوري نقده ، والذي قد جرى ذكره في الصفحات السابقة ، هو الآتي : الصيارفة ، الشعراء ، الفلاسفة ، رجال الدين ، رجال اللاهوت ، اللغويون ، أصحاب الوظائف .

وفي الكتاب نقمة خاصة على رجال الدين والقضاة . ويظهر أن شاكر الخوري كان رفضياً بحيث انه يسخر من نفسه بالذات : فهو يتقند مولده الذي لم يكن له فيه حيلة أو يد ، كما يتقند معموديته لأنها جرت خارجاً عن ارادته ، وهو لا فضل له في اختيار دينه ووطنه وحمل اسمه وتعلّمه لغة والديه . وتعلّمه السريانية رغمًا عنه . وبصورة عامة يتقند شاكر الخوري كل ما يخرج عن المألوف ، في ممارسة الدين وفي ممارسة الكهنوت وفي التعلّق بالشعوذات وفي التفلسف على الكون وفي ممارسة الادارة والوظائف والمهن .

هذه النقمة ، صاغها الكاتب بشكل نواذر ونكات غنية بالمعاني نابضة بالظرف ، وهي تشهد لقيمة الكتاب ، لأنها لا تعبّر عن شخصيات اصحابها بالنسبة لزمن المؤلف ، بل تصوّر شخصيات وحالات اجتماعية يعدها في كل زمان ومكان ، ومن هنا سرّ استمرارية تناقل نواذر شاكر الخوري بالرغم من مرور الزمن عليها ،

وختاماً ، كان شاكر الخوري ثائراً على التقاليد البالية والذهنية التقليدية والنمصب الاعمي وعدم ممارسة الافراد لواجباتهم المدنية والخلقية ؛ وكان يستوحي ، كل ذلك ، من عقلانيته الواقعية ومن ايمانه بالحرية العاقلة المقيّدة بالأنظمة والقوانين . وهو في آخر صفحات كتابه يحثّ الحرية بشرح لها ، وكأنني به يوصي بها كوصية اخيرة له في عالم مشرفي كان ولا يزال يفقد اليها كثيراً .

هكذا كان شاكر الخوري طيباً للنفس وللجسد ، يداوي الناس بظرفه وبنكاته التي تسرّ الفؤاد بالرغم من مرارة الواقع الاجتماعي الذي تمثله .

بيروت ١٩٨٥/٤/٥

مجمع المجلدات

تأليف

الدكتور
شاكر بك النخوري

استاذ الاكلينيك الرمدي والجراحة الصغرى في المدرسة الطبية
الافرنسية في بيروت سابقاً . وطبيب اول لمستوصف راميات الحبة في بيروت .
وعضو في الايادسي الفرنساوي سابقاً . وطبيب سكة الحديد من بيروت الى حوران
وبرجيك سابقاً . ورمدي جملة مدارس . مؤلف نخبة الراغب في صحة المتزوج
وزواج العازب . وكتاب نائب الطبيب . وكتاب صحة العين .
وجملة نشرات علمية . حامل البشان المجدي الرابع
والعشاني الثالث . ونخلة الاكادمي افرنساوية
وتيشان مجلس المعارف الفرنساوي
الخ . الخ .

﴿ جميع الحقوق محفوظة ما عدا القراءة ﴾

طبع في مطبعة الاجتهاد * يوسف غنام ثابت * بيروت

١٩٠٨



لَا بُدَّ مِنْ وَبَحْتِهِ
 أَوْ مِنْ مَدْحَتِ قَرِينِهِ
 مِمَّا فَعَلْتُ فَأَتَنِي
 بِي يَا نِفْوَةَ بَيْسِجِنَا
 لِقِنَاصَةٍ تَبْدِي الْغَضَبَ
 بِرِيَاوَةٍ عَنْهُ نَوْرَبُ
 مَا بَيْنَ قُوَيْمِي فِي عَتَبِ
 فَأَقَامَ مَيْتًا وَاصْلَبَ

الدكتور

شاكركان النخوي



ظله
الاکرم وخليفته
الأعظم



بعد
حمد من براني
أحمد

ولد جلالتہ في ١٦ شعبان والحلال بدر

﴿ لعثمان الحلال غمدا شعـاراً شعـار يرفع الانسان قدرا ﴾
﴿ ومنذ عبد الحميد انار ارضاً وشاهد الحلال فصار بدر ﴾

اليكم برهاني كيف كانت المملكة هلالاً واصبحت بدرأ موضعاً التقدم الذي اتصلت اليه المملكة
العثمانية في عهده وكيف رقيت الامة سلم العلوم والمعارف وكيف ازدادت المدارس والجامعات والكنائس
عدداً وكيف عم الامن للمملكة فترى الراحة مستتبة في كل انحاءها عكس ما كانت عليه قديماً من
الاضطراب بين الاهالي .

واهم معجزة لسلطاننا للعظم هي السكة الحجازية والسكك الحديدية الاخرى التي عمت المملكة
وقبل تبوءه العرش لم يكن خط حديد في كل انحاء السلطنة واذا اردت تعداد اعماله العجيبة لاقتضني
جلداً بقدر تأليني هذا ولا ابالغ اذا قلت ان كل دقيقة من حياته له فيها عمل صالح لنهوض المملكة
العثمانية وعلى ذكر العثمانية اقول .

كل مملكة من الممالك تحمل اسم بلادها فتنب اليها كفرنسا وانكلترا والصين واليابان الا مملكة
العثمانية فانها تنسب الى عثمان جد هذه العائلة وذلك لاعتباره فاتح البلاد ومالكها والقابض على زمام

الحكم فيها وما من يلبيضاء تذكر في فتحها الا له ولاسرته ولاكان هذا الفتح غير محصور في مملكة واحدة لتدعى باسمها بل عم ممالك كثيرة تحم ان يطلق عليها اسم العمانية اقراراً بجميل الفاتح وجمعاً لثبات اسمها المختلفة الاجناس والاسماء . والمملكة العمانية مؤلفة من ممالك الفينيقيين والمصريين والكلدانيين والاشوريين والعرب ومالك اسيا الصغرى والبيزنطيين الخ ... وكلها تنتمي الى عثمان جد هذه الاسرة المالكة ومن هنا نعرف وتؤكد اننا نحن العثمانيون نسمى باسم الاسرة المالكة ورعايا السلطان والخليفة الاعظم .

الخلافة العظمى

أولاً : اذا اعتقدنا ان كل من موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام هم انبياء الله وانهم اتوا وماتوا ودفنوا في المملكة العمانية وان قبورهم مكرمة ومحافظاً عليها فيكون السلطان العثماني هو ذلك المحافظ للموكل من قبل الباري عليها فوكيله خليفته .

ثانياً : عدا عن قبور هؤلاء الانبياء العظام ترى قبور جميع الانبياء من كل ملة ودين فقبر آدم ونوح واولادهما وقبور جميع انبياء بني اسرائيل والصحابة والخلفاء والسلطين العظام في مملكته وهو المحافظ عليها بعين لا تنام وطرف سهر على راحة رعاياه .

ثالثاً : نرى كل اصحاب المذاهب وروسائها الاحياء كبطاركة واساقفة ومشايخ طرق وحاخامات وغيرهم من زعماء المذاهب والامم التي لا توجد الا في مملكته هم جميعاً من رعاياه وهو يحافظ على رئاستهم وحقوقهم ومما اختلفوا في اعتقاداتهم الدينية بحيث يحكم الواحد منهم بهلاك الكل والكل يحكم بهلاكه فهم مجتمعون على الاعتقاد بصحة طاعتهم وخضوعهم لسلطاننا الاعظم . أوليس هذا من فضل الله .

رابعاً : اذا اعتقدنا حسب التوراة ان الانهر الاربعة سيحون وجيحون والدجلة والفرات خارجة من الفردوس الأرضي فتكون مملكة سلطاننا هي الفردوس فن اعتناء الباري تعالى في هذه المملكة نرى انه اعطاها لخليفته لانها وطن انبياءه واذا لم تكن مولد الكل فالكل زاروها واتوا اليها ولم يسوا انبياء الا بعد زيارتهم لها وهذه الارض هي التي عرف فيها البشر الخير من الشر وفيها انشئت القراءة والكتابة وسفر البحار والتجارة وليس الارجوان وعمل الزجاج وهي اساس كل تمدن والارض التي تفيض لبناً وعسلاً مثال الجنة وهي ارض بيسان التي فتحها الان سكة الحجاز بهمة سلطاننا المعظم فكل من يؤمن هؤلاء الانبياء يلزم ان يقول معي هذه الجملة التركية التي لا اعرف غيرها من هذه اللغة وهي :

« بادشاهم جرق ياشا »

وعندما افكرت ان اجمع الحوادث التي مضت لا فرق بين حالتينا القديمة والحالية كنت قد دست الدرجة الستين من سلم الحياة واصبحت من عداد الراحلين فالتفت الى الوراء لارى ما لاقيت في هذه السنين واذا انا جهاوية عظيمة وتذكرات الامة تذكرني ما قاسيت فهاذي ما رايت فرسمت امامي خريطة ايامي ونظرت تلك المدارس التي دخلتها وتلك العلوم التي تعلمتها وكم صبرت على جور معلم واستاذ وكم جبال صعدتها وكم اكلة اكلتها وكم تعب تعبته حينما جلبتها وكم من ملّة عاشرتها ومن عادات تعودتها وكم جالست المؤمنين والكافر والمقيم والمسافر والثقيل واللطيف والمرتكب والضعيف وامر من كل هذا ان اقول للمرتكب عفيف وللوسخ نظيف وكم قطعت برأ وخضعت بجرأ وكم من يد قبلتها وهي اولى بالقطع وكم من خد لثمته وهو اولى بالصنع وكم وكم قضيت في حياة ماضيها اجل وحاضرها عمل ومستقبلها امل فلو عرض عليّ الباري بان يخلقني ثانية ويعيد عليّ كلّما قضيت فوحقه لا اقبل وان قبلت يجرى ...

وقد راجعت كل هذه السنين وليس معي مفكة غير ذاكرتي فكنت اسرد كل سنة من سني حياتي مبتدئاً من الثالثة واعيد على ذاكرتي كلّما سمعت وقلت وعملت وهكذا حتى تجمع لديّ هذا الكتاب وحزراً من ضياع هذه الافكار كنت احرقها بكل سرعة غير مراعى اللغة والقواعد الشعرية متكللاً على اصلاحها فيما بعد وقد تبعت جداً في تنظيمها مراعيّاً فيها موافقة السياسة والدين والاداب فكنت اكتب واعمي واحذف واراجع مرات كثيرة حتى يرتاح فكري الى نشرها ولم آخ. موادها من نسق قديم كتأليف قاموس أو قواعد نحوية أو حسابية بل خلقتها من فكري الخاص ولا اضئ التاريخ يذكر رجلاً واحداً مرت عليه جميع هذه النكت وخلق كل هذه المعاني مع اشغاله في الطب وعمله ومداواة المرضى وتربية الاولاد وادارة الاملاك ورد العداة ومزاحمة المعاشات الخ ... ولما كان طبع هذا الكتاب في مصر وكلت الى من يدعي معرفة اللغة والشعر مناظرته فلم يأتِ بالمقصود وقد عرفت ذلك سلفاً ولذلك عملت هذه المقدمة له وهي :

مقدمة المؤلف

لست مقدماً كتابي هذا الى صرفيّ تشغله العلة والنقص . ولا الى شاعرٍ يلذ له الزحاف والوقص . ولا الى منطقيّ تضيقه الكبرى والصغرى . ولا الى فيلسوفٍ وهناك الداهية الكبرى . ولا الى لاهوتيّ يقسمه الى ميمية وعرضية . ولا الى لغويّ لم يسمح له سيوبه بانها عربية . ولست مادحاً قسباً لانا ل البركة . ولا سياسياً ليكلف عني الحركة . ولست متعرضاً لاية سياسة كانت دينية أو مدنية لانني لست ممن يفحص كلف الشمس بالعين العارية ويعرض نفسه للعمى بلا فائدة . لكنني اعتبر كل من يعتبر

وادفع ما لقيصر لقيصر واكرم كل من علا وكل من على مذبح استوى • فالصورة عند مصورها يرمي في الارض ومتى علت يقدم لها الفرض • والمهيئة الاجتماعية تخفض وترفع وكل عاقل الى اوامرها يخضع .

فما كتابي هذا الا قصة ما رأيت وما روي لي وما اجريت وما جرى لي • فهو صورتي الادبية يافعا وصغيرا وشابا وكبيرا مشيت بالطريق حسب الرفيق ادفع له نفس العملة واحمل عنه نفس الحملة كريم مع الكريم • بخيل مع البخيل • كنيته بلغة ليست محتاجة للفيروزبادي ولا قصدت فيه مدح الصديق ولا طعن الاعادي بل مدحت الفضيلة وقدمت بالرديلة بقطع النظر عن الفاعل لانه زائل • ولا قصدت به الفلسفة والفصاحة بل كتبت ما كانت اليه النفس مرتاحة • ولا طمعت بنيل الشهرة عند العموم لان شهرتي متعلقة بالقارئ فهو الذي يحطني علما جاهلا منصفاً ظلماً حسب تطابق افكاره افكاري أو كان بحالة توافق أو تضاد اشعاري • ولست بطامع ان ينال القبول عند العموم فمن الان اقسم قاربي الى اربعة اقسام الى صديق يطرب والى مصاب يضطرب والى عدو يتقهر والى حوود ينفرز والكل له يعتبر .

وقد حدثت به حزنو الكتاب المقدس الذي يذكر عيوب الشخص وقضائيه وهذا دليل على صدق قائله خالو من الغش والتفليق ولا آخذ بالوجوه والتفريق • لأن ذكر العيوب ليس بعيب لكن استحسانها هو العيب • فلا شك ان من يستحسن العيوب لا يستحسن كتابي ولا كتابي يرضيه وأنا لست اليه بمهديه ومهما كان لا بد له من شاكر والى هذا الشاكر

يهديه شاكر

وأخيراً وجدت من أهدي له كتابي وذلك بدون اختيار مي فهذه قصته عندما توجهت الى الاسكندرية قابلت الخواجه أمين كرم وأخبرته عن مشروعي بمجمع المسرات ورأى في الدفتر الذي بيدي اسماء المشتركين فأخذته وكتب فيه مصروف طبع الكتاب عليّ (أمين كرم) فافكرت انه موهوم بكية الكلفة فأجبت سيدي ان طبع هذا الكتاب يكلف نحو مائتين جنيه ربما تكون موهوم فأجاب بكل بشاشة ولم يتعكر وجهه ولا فرك حاجبيه (واذا كان) فعند ذلك حرر لي التحرير الآتي :

جناب الدكتور شاكر بك الخوري

الرجاء أن تعتمدوا في طبع كتابكم مجمع المسرات عليّ مهما كلف دوموا لأخيككم بالوطنية

أمين كرم

فعند ذلك رجوته أن يقبل مني هدية الكتاب فأهديته له ثم حرر الى المطبعة ان تسحب على محله جميع المصاريف التي اصداق عليها فصادقت على ثمانين جنيه الى صاحب المطبعة طانيوس عبدو في

الاسكندرية بعد عمل كونتراتوينا قبضها وبعد ذلك اختلف مع شريكه في المطبعة وانتهت المسألة عل ان الخواجه أمين ساعه فيها تركت الطبع عنده وفي هذه المدة خسر الخواجه أمين خسائر عظيمة لكنه أصلح كل شيء وبقي شرفه محفوظاً وكل ذلك بسبب عملية الجبين وعندما بلغني ذلك قلت :

لقد خسر الأمين كنوز ماله	ولا يسد له من ذي الخسارة
إذا أبقي لــــه الجبين غرضاً	فجود اميننا لم يسق بهاره
كريم بالخسائر كالعطايا	وفي الحالين مرفوع المنــــاره

ولم أزل الآن أهديه كتابي وجمع صرّافي .

عائلة كرم

أصل هذه العائلة من طرابلس الشام ولد جدّها يعقوب ثلاثة أولاد سمعان وجرجي وهبي وأول من حضر الى الاسكندرية وفتح محل تجاري هو المرحوم سمعان ثم تبعه الخواجه جرجي وسنة ١٨٥٦ حضر اليها الخواجه وهبي والد الخواجه أمين .

وهبي كرم

ولد في طرابلس الشام ١٨٤٣ حضر الى الاسكندرية لمحلهم التجاري بالخشب المسمى سمعان كرم وشركاه سنة ١٨٥٦ وسنة ١٩٠٤ تحول هذا المحل الى شركة اسمها الشركة العقارية التجارية المصرية ذات أسهم . تزوج الخواجه وهبي سنة ١٨٦٩ بالسيدة سيدة ابنة المرحوم الياس زحلوط توفيت بعد ١٣ سنة من زواجها ولد سبع بنين لم يبق منهم ذكور سوى أمين وابنتين السيدتين نبيه وليبية اللتان جعلتا صهرين للعائلة من أعظم الأصهرة فيليب بك فرعون التاجر الشهير والخواجه خلاط صاحب الادارة العظيمة . ومن تأمل في صورة الخواجه وهبي كرم يرى رسم الكرم .

الخواجه أمين كرم

الذي ولد سنة ١٨٧٢ تعلم في مدرسة الياسوعيين في بيروت ودرس الحقوق في باريس فكان نتيجة علم الحقوق ان يكرمه يهب جميع حقوقه فأصبح بقاء عن هذا العلم .

وقد عرفت في بيروت الخواجه يعقوب كرم ابن المرحوم سمعان فهو كباقي العائلة بالكرم والانسانية ولم أنل الشرف بمقابلة الخواجه جرجي الذي لا شك فيه ان له أوصاف الباقين .

« المطبعة الجديدة »

قد افكرت أن أطبعه بقطع أصغر وبالحرف الأول لسهولة القراءة فتصورت أن يكون ضخماً واعوذ بالله من الضخم ولكن الذي نجته من الكتاب وقمت به في المطبعة وقد وجدت اني سقطت على رجل آخر لا يلتفت الى الأغلاط الطبعية فكنت أسكت عنها أملأ أن القارئ يقدر أنها ليست من المؤلف وبقيت على ذلك الى ان وصلتني الصفحة ٣٩٢ سطر ٢٣ التي تقول (دخلت الحبس عوض دخلت المجلس) فالتزمت أن أشير اليها هنا وفي كراس آخر وجدته مسقطاً الواو من شاكر الخوري فجئنت وأرسلت حالاً أن يغير الكراس كي لا يظن اني شاكره .

وجودي في هذا العالم

اتيت من عالم لا اعرفه ودخلت اخر لست ادركه وترلت من هذا العالم الجديد في قرية تدعى بكاسين من اقلم جزين من لبنان بسوريا الواقعة في قارة اسيا وهي من القسم الشرقي الشمالي للكرة الارضية وذلك دون مشورتي وعلمي واحساسني وارادتي وقد أخبرتني فيما بعد والدتي (والذي عرفني بها حليبا) انني اتيت الى الارض يوم الاحد صباحاً في الساعة الواحدة حساباً عريباً في ٢٥ تموز سنة ١٨٤٧ حساباً غريباً واختبرتني انها سرّت جداً لولادتي اذ كان قد مرّ عليها سبع سنوات لم ترزق ولداً وكنت اول ذكرائها فانتني عنها عار الغم الذي كانت النساء تعمر به حسب اصطلاح الشرقيات غير انها لم تسألني رأبي بولادتي على الارض وهل شاركها بسرورها ام قد اثر عليّ تأثيراً آخر لانني انما استقبلتها بالصراخ والبكاء والجوع فارضتني ثديها فرضمت حليبها وبلعت وهضمت وغت لم قلت من دون ان يعلمني احد ذلك ولم ازل للان اعمل هذه الاعمال ورغماً عن معارفي وعلمي وفلسفتي ودراهمي واملاكي لم استطع تغيير أو تنويع ما عملته في اول دقيقة من وجودي في هذه الدنيا وبالعكس كانت الحالة حيثد اسهل عليّ مما هي الان لان والدتي كانت تأتيني بالغذاء وانا لا همّ لي اما الان فانتني مضطر للسعي ورآه والتمب للحصول عليه .

لمن الله لــــــذة لاذا نــــــا نالها الامهات والابساء
نحن لولا الوجود لم نــــــا الفققد فاما نانا علينا بلاء

فتتج بما تقدم ان وجودي على الارض واتخاذي وطناً في بقعة منها ووالدين انما كان دون علمي ولا مشورتي ولست مسؤولاً عنها عدلاً وكذلك من وضعني في هذا العالم كان آله لذلك لان قواه العقلية الخصوصية تقصر عن هكذا صنع فاذا كان بعض الاباء يدعي انه هو خلق ولده وركب له المعدة والدماغ الى اخره فليشف له هذه الاعضاء اذا مرضت ويبدلها بغيرها اذا تلفت ويستدل من ذلك ان قوة عظيمة غير منظورة اجبرت والذي لا يحادي في هذا العالم ففعل خاضعاً لها ومحتلاً لامرها وقوتها .

فلا جدال مع القوي

فلطنا في هذه الدنيا مثل رجل حكم عليه بالسجن مدة معلومة فهو في معتقله لا يستطيع الخروج منه وكل عقله هو ان يخترع ملاحباً تلهيه عن التأمل بحالة عذابه حتى تمرّ عليه المدة المحكوم بها فيخرج من سجنه بسلام فالدنيا وما عليها من الاشغال ليس هو الا لينسئ الانسان سجنه فيها ويتسل بما راه لانه رغماً عن كل اختراعاته ومعارفه وفلسفته لم يستطع ان يقدم أو يؤخر قدر ذرة في التوايس الطبيعية المخلوقة فيه وفي الكون ...

قضى على احد الوزراء بالحبس مدة خمس سنوات وكان حبيه معتماً لا يرى النور وعندما دخله في هذه الحالة وجد لا شيء يشغله ان كان للكتابة أو للقراءة أو لخلاف اشياء نظراً لظلمة المحل فطلب علة من الدبايس وصار يذورها في أرض الحبس ويرجع يجمعها على الظلمة بالتفتيش عليها وعندما يجمعها يرجع يذورها وهكذا حتى مضت الخمس سنوات وهكذا كل اشغالنا بذر دبايس وجمعها ...

فالفلسفة والامل ، خلقا لتكوين المصيبة فلذلك كلما كان الانسان متضيقاً أكثر كلما كثر امله ، ويقول
الثل : حلم الجوعان خبز ويقال الامل عند قلة المصائب فالفقير كثير الامل والغني بالعكس وهكذا ...

واما الفلسفة على حسب فكري ما هي الآجل المصيبة هينة والراحة من طلب امر لا يقدر على نواله
فاول فيلسوف عندي واعظم من اطفالون ورفاقه هو ذاك التعلب الذي عندما عجز عن نوال العنب
الشهي ، قال انه حصرم لا يأكل وتركه . وكذلك اول فيلسوفة بين الاناس تلك البغلة التي كانوا يكرمونها
في صباها عندما كانت تلبس الحلل الفاخرة ويركبها الامير وكانت تقول في فكرها انه يليق لي هذا الاكرام
لان الحصان خالي وعندما شاخت ووضعوها على الناعورة ترتع^(١) بأن الحمار والدها وهذا شغله .

فالفيلسوف الحقيقي من يهون مصيبته ويحد سبباً لاحتياها واما من يتفلسف على الخالق والخليقة فلا
اسميه فيلسوفاً لانه يتعب خاله ويتعب افكار سامعه ويرى مضادة له من كل جانب فيفعل عكس غاية
الفلسفة ويقسم الناس .

فاذا سالت هذا الفيلسوف الاخير هذه المسألة وهي هل الباري تعالى يقاص أو يكافي الانسان عند
وجوده في هذا العالم أو بعد خروجه منه لانه يكون عمل ما يستحق القصاص أو المكافات فما هو فضل
ذاك الولد الذي يخلق ابن ملك أو ابن غني في بلاد متمدنة مرتاحة منحصة ذات مياه عذبة وما هو ذنب
الاخر الذي يولد ابن عتال أو فلاح يتقهر ويظلم في ارض قحطة ظمأنة .

فيجب على ذلك اذا كان من الصبن ويعتقد بالتقيص ان هذا كان في دور ماضي شقياً وتقاص في
هذا الدور وذاك كان صالحاً وتكافي واذا ما كان من هذا المذهب يقول ان نيته أو نية والديه اوجبا هذا
العمل فاذا افترضنا هذا في الانسان فترى ان هذه المسألة تحدث للحيوان ايضاً فالحمار الذي يقع بيد حجار
ويحمل الاحجار فهو خلاف الذي يقع في اسطبل امير أو مطران يُخدم ولا يخدم فابن نية والديه وكذلك
اذا شئت تلبط بيتك تقع بلاطة على الشباك تنظفها كل ساعة واخرى تقع في الكنيف ومعاملتها حسب

(١) هكذا في الأصل .

نظافتك وإذا اشترت جوخاً لعمل طقم تقع قطعة منه على كفك تنظفها كلما تغيرت وأخرى على قدتك تملأها وتلف عاجلاً من يجاوبني .

فالفيلسوف الحقيقي يقول مالي وهذه المسألة وتعب فكري بها وما هي النعمة من معرفتها للعالم لكي يتعب الانسان في التفكير عليها وباليه بعد ذلك تعرف الحقيقة فيجب لا اعرف شيئاً وهذا احسن فيلسوف واما الآخر يتندي بالعلة والاسباب وينتهي ان لا يفهمك شيئاً .

حاصله حتى لا تعمل مثل الفيلسوف الاخير نرجع الى موضوعنا وهو ان بعد ولادتي واعطاني سجناً على هذه الارض سلمني خالتي الى سجنائي وهما والدي وابنتا يعملان معي كلما عمل معها وهو ما يأتي .

اولاً : (اعطاني دينها) بعد عشرين يوماً من ولادتي احتفل والدي يوسف الخوري ووالدتي نور ابنة ناصيف الجزيني باقامة حفلة شاققة دعيا اليها كثيرا من الاهل والمعارف وجعلنا تلك الحفلة تيمناً بتلقي دينها واعتقادها وحيث انها مسيحية من الطائفة المارونية فقد دعيا حسب العادة كاهناً منها كان يومئذ رئيساً عاماً للرهبة اللبنانية وهو القس ارسانوس النحاوي احد اقاربنا لكي يعطي دين والدي واحضرا شخصين رجلا وامراً فالرجل يدعى منصور افندي المعوشي من جزين والامراة تسمى اسمها حرمة جبر أبو عتمه من مشموشه وهما المدعوان عرابين أي وكيلين عني بقبول دين والدي وتلاوة قانون ايمانها وموافقة الكاهن على الكفر بالشيطان كل ذلك جرى بغير معرفتي بالدين الجديد ولا بالشيطان ولا بوالدي ولا بالكاهن الذي نصرني ولا بوكيلي وهذا الاحتفال يسمى بالمعمودية أو التنصر ولا فضل لي اذا كان دينها صحيحاً ولا ذنب لي ان كان كفوفاً .

ثانياً : (اعطاني اسماً) بعد التنصر اوجدنا لي اسمين احدهما يوافق اسم احد القديسين ويسمونه اسم المعمودية فدعوني لويساً وبقيت معروفاً بهذا الاسم حتى سأل سعيد بك جنبلاط والدي الذي كان موظفاً عنده ككاتب سره عن اسمي فقال له انه قد دعاني لويس اجابه سعيد بك ان هذا الاسم لا يوافق وصار يتاديه يا ابا ييس ييس لان العادة المتبعة ان يسمو الرجل باسم ابنه البكر ويترك اسمه الاصلي وناداني سعيد بك باسم شاكر وصار يدعو والدي ابا شاكر فعرفت بهذا الاسم واطلق عليّ وبقي لي لويس اسم المعمودية فكانت هذه الاجتماعات والآراء بغير علمي ومعرفتي أعطيت اسماً بلا مشورتي . ولو انهم عرفوني الا ان فيلون شك لم يدعوني شاكرأ .

ثالثاً : (تعلمي لغة والدي) كانت لغة والدي اللغة العربية فتعلمتها أولاً وذلك دون مشورتي ايضاً .

رابعاً : (معرفتي بوالدي) لما ابتدأت بفهم كلام والدي اخذنا يعرفاني بمن حوله واول من عرفت

والذي واول كلمة نقلتها كلمة أبي وامي وهلمّ جرا فثلي مثل رجل دخل بلاداً غريبة وصار يتعرف باهاليا والمعرف لي كانت والذي فلو عرفني وقتئذ بغير الحقيقة لصدقتها فهي المسؤولة بذلك .

خامساً : (تعليمي القراءة) عندما ابتدأت اذكر ما فعلته بالامس وما جرى لي فقد عرفوني ان هذه الخاصة تسمى ذاكرة واني اذكر ما جرى امامي من حين كان عمري ثلاث سنوات فاني اذكر اني رايت ميثاً فهانني منظره والذي يبقى في غيلة الانسان هو ما يؤثر عليه والذاكرة هي نقمة على الانسان فاذا تذكر الماضي وكان حسناً فيتأسف عليه ويتكسر لغواته وان كان عاطلاً تولد تلك الذكرى كانه كان حاضراً كذكره عزيز فقدته وهلمّ جرا فالذاكرة هي نقمة للانسان والسعيد من يستطيع نسيان امور لا يمكنه ارجاعها ولكنها هي معلمة الانسان لولاها لبي كما خلق .

ولما راي والدي تولد ذاكرتي ارسلاني الى معلم القرية لا تعلم منه القراءة والكتابة بلغتها .

وكان خادم منزلنا يحملني على ظهره الى بيت المعلم غير اني لما كنت اشعر بذهابي اليه ابتدئ بالبكاء والصراخ وكنت افضل أعظم عذاب على القراءة والكتابة وانغى الفلاحة وحمل الاحجار وشغل الفاعل من ان اتعلم .

فتبجح من ذلك ان ما تلقيته من القراءة والعلوم اذ ذاك كان رغباً عني فاوّل ما علموني قراءة اللغة السريانية والسبب هو ان جدّي كان كاهناً وهو وكيل مطران الارشبة وقد كان قبل ذلك وكيل البطريرك وبموجب قانون المجمع اللباني كان تعليم اللغة السريانية الزامياً أولاً لاجل اداء الفروض الدينية فتعلمتها حسب ارادة جدي فيكون علمي ونوعه ليسا من ارادتي ومشورتي ومنفعتي لان لغة ميتة كالسريانية لا تنفعني ما لم اكن مستعداً لاكون كاهناً ويا ليتني عملته ولكنني لو خلقت مرة ثانية لا بد ان اعمله بشرط اتباع قوانينه لان فيها الراحة ومنى خرج عنها يتعب حاله وبهلك من معه .

سادساً : (اكسابي اخلاق وعوايد بلادي) ان العوايد التي اكتسبتها والاخلاق التي تخلقت بها هي من معلمي واهلي وبلادي فكانت اطيع طبعاً والذي ومعلمي ومن رباني واتقصد عوائد بلادي في الكساء والاحتياجات والاكل وما اشبه فاكون قد اتخذتها رغباً عني فلو خلقت عند اليدو لكنت افتخر في السلب والنهب الذي هو عيب عند الحضرة ولكن وجدت بين اناس عالمين الحلال من الحرام اختصاره كلما تعطيه من مالك وراحتك واسعافك وعلمك الى جارك بارادتك بدون عوض مادي فهو فضل وتسمى صاحب الفضيلة واما كلما تاخذه من ماله قهراً عنه وتسلب راحته وتضره فهي رزية وتسمى اذا عملتها رزياً وجعلوا للفضيل مكافآت ولولاها لما يفعل الفضل لان الفضل يكلف وكله خسارة وجعلوا للرزيل قصاصاً ولولاه لاكثر من عمله لان الرزية ملذّة للشخص الفرد لكن مضرة بالمعوم ليعلم الاباء ان اولادهم الة بديهم وهم المؤثرون على اخلاقهم وعلومهم وعوائدهم وليس الولد مسؤولاً بشيء منها اذ يتخلق باخلاقهم

واخلاق مطمئنة وجريانه وهلم جراً وكما انه ان عاش في منطقة باردة أو حارة أو معتدلة يعتاد على مناخها كذلك يعود عقله على ما يراه واول مسؤول بذلك هي الام لانها تستعيد الولد بجليها وهي التي تعرفه بالجميع واول ما تعرفه به هو والده فان لم تعرفه به يشب وهو يحمله كذلك لو انكرت الولد لايه فانه يطرده والعكس بالعكس فالام اذا هي كل شيء والولد يعاشرها اكثر من سواها ويتعلم منها اكثر من الجميع فالمسؤولية عليها عظيمة .

(النتيجة) ان ولادتي في هذا العالم واتخاذي وطني وديني واسمي ولغتي وتعليمي كان دون علمي ومشورتي ولست مسؤولاً به عدلاً والعجب ان هذه الاشياء مع كوني تلقفتها بلا علم ولا مشورة اصبحت كل شغلي وعلمي وعليها وحدها احافظ .

انتيت الى العالم رغباً عني فصرت لا اتركه الا رغباً عني والوطن والوالدين والدين والاسم واللغة والعوائد فعلية احافظ وبها اتعلق وما ذلك الا لانفراس هذه الميادى في تعودي عليها وابقائها في ذاكرتي فاجد ان كل شعبي ولذتي بها واقتنر فيها عندما اذكر والدي وعائلتي وبلدي واجادل انهم احسن ما يكون كما اقول عن بكاسين لان اراتي انذكر كل قطعة من ارض بلدي وكيف مررت بها واشتغلت فيها وقابلت اهلي ورفاقي انذكر تلك الشجرة وكم ظللتني من هجير الشمس واعطمني من فاكهتها وكم مرة تسلقها وكيف كانت قوتي حينئذ . انذكر ذلك الماء وكم روى غليلي واطفاً ظمائي . انذكر ذلك الجبل وكم مرة صعدت اليه . انذكر تلك الوديان وكم مرة مررت بها والتقيت فيها بقريب أو حبيب .

فكل هذه التذكارات تربطني بتلك الاماكن وهي خير التذكارات عندي أفضل ذلك المسكن على اعظم مسكن في الدنيا ولو كان اصغر مكان واتمسك بذلك الدين الذي ربيت عليه ولو ما فهمت منه شيئاً وكم من مرة سمعت الصلاة والابتهالات للخالق في تلك اللغة التي تعلمتها صغيراً وقهراً عما سمعت مدة مدرستي دومينيس فوبيسكوم Dominus Vobiscum فانه يحلو لي سماع قديشات ولو كانت هذه انقل من تلك فترى الانسان يفدي حياته للمحافظة على دينه وما ذلك الا من تعود عليه .

وهكذا قل في كل ما ذكرناه فيستنتج ان التربية والعادة هما كل شيء وان الانسان ابن تربيته لذلك تراه يحافظ على وطنه ودينه والعوائد التي نشأ عليها لذلك من الضرورة وضع الولد وهو صغير في محل يوافق الاداب والراحة والحقائق ولا تعود على الخرافات والاعتقادات الباطلة لانها تبقى في دماغه طول عمره فيتمسك منها وان كان يزيلها في المستقبل فكم يلزم له من العلوم والمعارف والتعب حتى تزول فاذا اعتقد بصراخ البومة انها قال فكم يتر بدنه ويتكلم عندما يسمع صراخها وكنت ادوي بعض اولاد الذوات في الجبل في احد الليالي اتاني والده مرتباً ايقظني من نومي يسألني اذا كان ولده محطراً لانه سمع صراخ بومة عظيمة انظر ما فعل معه هذا الاعتقاد وقس على ذلك النول وخلافه وتذكر هذه الحقيقة من الانجيل قال المسيح : « دعا الاطفال ياؤنوني الي ولا تمنعهم لان لمثل هؤلاء ملكوت السماء » لان الانسان يتمسك

دائماً بالكلام الذي يسمعه أولاً فكل من ممارسة الصلاة والاجتماعات المدنية والدينية واللبس والادارة هي عوائد يكتسبها الانسان من الممارسة .

(الصلاة في الكنيسة) كانت تلى الصلاة بالسريانية دون ان يفهم احد منا ما يقرأ فلهذا كانت تلك الصلاة بدون خشوع فهي شبه درس يقرأه التلميذ على معلمه لان الصلاة هي الصلة بين الخالق والمخلوق اعني تذكرك في الله وفي وصاياه فترجع من غيك وضلالك ولجل ذلك يلزمك فهم ما تقول وتطلب من الله وتصوره امامك فعندي كل صلاة بلغة لا يعرفها المصلي لا تكون خشوعية .

(سلوكي في البيت) كنت عصبي المزاج حاد الطبع جداً كثير الحركة يوجد في نوع من الخوف من هو اكبر مني وهذا الذي جعلني ان اسلك حسناً في المدرسة وكان ميلي عظيماً لاعمال ملاعب غير مؤذية بل مضحكة فقط وكنت اطلب من البيت كل ما اريده وان لم انله بدأ الخصام وخصوصاً مع اخوتي وما جرائي على ذلك هو تقيب والدي في عمل وظيفته وبعد عمل سكن جدتي الذي كان متولياً امر تربيتي وحنان وجب والدني اللذان جعلها ضعيفة الارادة معاكباتي النساء الشقيقات فكانت عندما تخرج الى حد لا يحتمل تضربنا ولكن لا تلبس أن يغلب عليها حنانها وصفاء سريرتها فتعود لمرضاتها وتنتلنا ما طلبناه ومنعتنا عنا من قبل فلذلك بدأت ادخن بسن الاربع سنوات وساذكر تركي له فاول ضرر في الترية عدم كسر ارادة الولد لانه اذا عاش على ارادته يتعب في المستقبل لان جميع الناس ليست بامه ولا ظروف الاحوال طبق ارادته فاذا كان غير معتمد على كسر ارادته وحصل له مضادة يتكرر جداً ويتعب راجع ذلك في كتابي صحة المتزوج وزواج العازب .

وكانت والدتي امرأة موصوفة بذكائها وشاعرة عصبية المزاج حادة الطبع كريمة النفس والاخلاق تنسى الاساءة اليها وليس لها من مخيف تفعل الرحمة والاحسان لاي كان وكانت تتدخل في شؤون ادارة البلدة وكثيراً ما كان يعول على رايها ويعمل بشورها وهي بنت ناصيف الجزائري ولدت سنة ١٨٢٤ ولم تزل الى الان حافظة جميع قواها العقلية .

(ملحوظاتي على هذه الترية) لا شك ان الخوف هو اللجام الوحيد لمن ليس له عقل والعقل نفسه هو نوع من الخوف ولذا كان كل عاقل يخاف فالترية الوالدية في ذلك الزمن كانت قاسية جداً بحيث ان الولد يخاف والده كما يخاف العدو فلا يمكنه ان يتكلم بحضرة ولا الجلوس في مجلسه ولا الضحك ولا تناول القهوة ولا التدخين ولا يحدته بالتخل عندما ينجي ذنباً بل يعامله بالضرب ولو بسن العشرين من عمره فيصبح الابن جباناً ولا يستير عقله بشيء اذا ما عرف اضرار هذا الذنب الذي ارتكبه فهذه العوائد تجعل الولد عملاً لان الحيلة ابنة الضعف وتصيره كاذباً خوفاً من القصاص ولكنها تبني في قلبه متى كبر اعتباراً لوالديه وطاعة لها .

(سلوكي مع باقي أولاد القرية)

لا شك ان الصغير يربى على عوائد الكبير في ذلك الزمان يوجد دائماً انقسام بين العائلات فكل قسم كان يتنصر لحزبه وهكذا كانت الصبيان كأبائهم فكان في ايام الاحاد والاعياد تنقسم الى قسمين فيذهب احدهما الى سطوح البيت وتترامى بالحجارة ساعات متوالية حتى تغلب فئة الثانية أو يخرج احد أو يكسر فيه عضو وكثيراً ما كان يمضي النهار وتلك الحرب الصيانية قائمة وقد تمتد الى الليل وخصوصاً في ضوء القمر .

وايام المدة كنا نذهب الى ساحة البلدة ونقيم الحرب بصفة العاب مثل لعب الطاولة وذلك ان ينقسم اللاعبون الى قسمين ويأخذون كرة من الجلد محشوة من الخرق ويعدفها كل قسم الى احد اقطاره المخصوصين الذي يجب ان يتلقاها باحدى يديه ويضرب خصمه المحاور له بيده الثانية ضرباً كثيراً ما كان يؤدي الى عطب المضروب الذي لا يحق له المدافعة ولا الحرب من الضرب بل ان يأخذ بثأره عندما تصل الطاولة الى يد قسمه ويتلقاها هو .

ومثل لعبة القرد المربوط وهي ان يربط حبل بشجرة ويمسكه واحد ويجمع عليه الاولاد ويضربونه ويهربون منه ومن يرفسه ذاك المربوط يأخذ الحبل مكانه ويتلقى ضرب ضاربه وهم رفسه الى ان يصاب احدهم وهكذا .

ومثل لعبة (الشلح) أو (فشتين وقرزه) أو (الدلك أو الملق) وغيرها من الالاب لولا ما تسببه من الاذى لكانت من اهم الالاب الرياضية .

وكنا قبل الاجتماع غروباً نقرر مركز الاجتماع ومن يسبق اليه يصعد الى اقرب سطح بيت منه وينادي زميله في اللعب .

وكان المرحوم جدّي قائماً لي بالمرصاد فكل ما ناداني زميلي يأتي اليّ ويضربني ويمتني عن الذهاب .

فاوعزت الى زملائي ان ينادوني باسم غير اسمي وقد اخطرت اسم حنا جرجي لعدم وجوده في اولاد البلد فالضغط يولد الحيلة .

وكان اخواني يلعبان معي غير انني كنت دائماً من الحزب للضاد لها .

ادارة القرية في ذاك الزمان

كانت تجتمع شيوخ كل عائلة مع الاخرى لفض مشاكل القرية وذلك عند الغروب على سطوح بيوت متممة قرب كنيسة السيدة وكانت تعرف قديماً بالاخوية وهي سطوح بيت المرحومة عمي شات .

ولم يكن جائزاً ان تخضر الشبان تلك الاجتماعات وكان كل الاعتبار الى الشيوخ ولذلك كان الرجل يلتحي عاجلاً ويضع عمة وهو بسن الاربعين فيظهر انه بسن الستين فيزيد اعتباره والان اعطى الحق لهذه العادة لان الشيخ يلزم ادابه أكثر من الشاب ويكون يرد العمر اخلاعه وكذلك التجارب فيكون مصيباً في اراءه .

وتلك المشاكل كانت ادارية اكثر منها قضائية وذلك (تعيين ناطور) (خفير) لحاية الاملاك .

وكان لذلك الناطور تسريع مطلق برودع المعتدين على ملك غيرهم أو على الحرج بأي طريقة يستصوبها وعليه أن يجرس المعتدي مها كانت صنته وذلك بأن يصعد الى سطح الكنيسة أول الليل ويقرع الجرس ثلاث قرعات متباعدة المسافات تنبهاً للأهالي فتصني له .

وحينئذ ينادي مبتدأ هكذا : « يا سامعين الصوت صلوا على المسيح . ان فلان ابن فلان فعل ما هو كيت وكيت الخ ... » وقد جازيته بكذا أي اما بالضرب للاولاد واما بمجزم ماشيته واذا كان ما اخذه المعتدى لم يزل معه يأخذه منه ويقدر عليه ثم يلففه للمعتدى عليه وعندما يحضر بعض اوامر عمومية بفعل كذلك .

ورعما احد القراء بقول تفضلوا مراده يعلتنا متاداة الناطور ولكن فليعلم هذا الممرض ان اغلب قارئى كتابي لا يعرفون هذا الاصطلاح فيلتنون بمعرفة العوايد القديمة النافعة المعقولة .

وكانت شيوخ القرية تجتمع لفصل الامور .

وكانت جمعية أخرى من الشبان تقوم بتحصيل الحقوق في البلدة وخلافها وهذه العصبة متألفة من عشرة شبان ورئيسهم صهري وابن عمي الشيخ منصور مبارك الخوري فاذا اعتدت احدى القرى على نفر من بكاسين كانت تجتمع هؤلاء الشبان ويذهبون الى البلدة المتعدية ويقتلون كما حصل بين بكاسين وعاري .

ذلك أنه بينما كان احد ابناء بكاسين في النهر قرب عاري اتاه ثلاثة اقطار اشداء من اهالي عاري

قاوسوه ضرباً وتركوه بين ميت وحى فلا دري بذلك اهالي بكاسين تجمعوا وذهبوا الى عاري ولم يرجعوا عنها حتى قتلوا واحداً من اهاليها وامتدت الفتى الى القرى المجاورة توسط بالصلح الشيوخ وانصرف المشكل .

فلى فهؤلاء الشبان كان جل الاعتماد في مثل هذه المسائل .

وكانوا عندما يخلوهم من مثل تلك للأموريات ينهبون في ايام الاحاد والاعياد الى عين ماء يرقصون ويطربون الى المغرب وحيثما الى العشي ويعودون الى منازلهم .

وكانت جمعية اخرى مؤلفة من الاولاد .

وكان الشيوخ يلبسون في ذاك الوقت العباة من الصوف والشتيان من الخام المصبوغ ومثله الشبان وكان المركوب يدعونه المداس من السختيان الاحمر ونعله من جلد البقر وقليل من جلد الحمل .

وكان لبس الشبان شتيان من المقصور الابيض وقمص وصدريه من فوقها كوبران جوي وكندره أو صباط أو سماية هذا للوجوه والباقيون يلبسوا الخام المصبوغ أو القمبار .

اما الاولاد فبالشتيان أو مثل اهلهم بالقمبار .

وكان للشابات العذارى والنساء جمعيات خصوصية وفي الافراح والمآتم كن يجتمعن وينشدن الاناشيد المطربة ويرقصن مع الشبان ومن هذه الحفلات كان الرجل يختار له زوجة عند الرقص فأحبها يقول لها تاخذيني تقول نعم فحالا بطلها من اهلها واذا ما رضوا اخذها وذهب الى كرمي المطران أو محل اخر ويتزوج بها بدون مقابلة على الدوتا ولا على الدراهم فهذا هو الزواج الحقيقي فلذلك ترى اولادهم بكل صحة ويجب احدهما الاخر محبة عظيمة واذا مرض الرجل تبع المرأة كل ماها لتخدمه به وتكون له معية حقيقية وكل ذلك حيث الدراهم لم تدخل في زواجها وكانوا يتناشدون الغنا المسمى بالمنا ويقولون قولاً جديداً وينتكون على بعضهم وهذا الفن مخصوص في لبنان وبالحقيقة انهم يمدحون فيه معاني جميلة كالشعر وقد اشتهر منهم جملة اناس خصوصاً رجل امي اسمه ابو علي والخوري بولص لطفي ولهم اقوال جميلة يتناشدونها لليوم منذ ثمانين سنة ولولا ضيق المقام لكنا نذكر بعضها وكانت عجائزهن يلبسن القمبار وقمصاً طويلة للرجلين وتلبس طاسة وهي اسطوانة من فضة أو خلافتها طول ذراع أو أكثر تضعها المرأة على راسها وطرحه من الشاش فوقها وتعلق في شعرها العاقوص وهو اشربة من حرير أو من قطن احمر طول الشريطة ذراع تقريباً فتل على ظهرها وفي انتهاء كل شريطة قطعة من المعدن مستديرة .

فهذه كانت حتى ذلك الزمن عند المتقدمين وقيل انها كانت عمومية .

وقد استمر هذا الزي حتى سنة الستين فزال بتمامه إلا بعض المعجائز حافظن عليه حتى ذهب به الى القبر .

وهذا الزي مأخوذ من الوثنين قديماً حين كانوا يعبدون اعضاء الرجل .

وكان ملبوس الشابات الفسطان مع سلطة من الجوخ أو خلافاً ويضعن على رؤوسهن منديلاً أو طرحة من الشاش الأبيض ويضفرن شعرهن بصفائر من الحرير وتضع الغنيات منهن في جدائلهن بعض المصاغ ان كن من الغنيات .

سهراتهم

كان اهل البلدة لا يسهرون عند بعضهم الا في دواعي افراح أو ماتم وفي غير ذلك .

كانوا يجتمعون في منازل المتقدمين من عائلتنا بيت الخوري .

وكانوا في ليالي الشتاء يجتمعون داخل المنازل فيجلس جدي في زاوية احدى الغرف وعن شباله الخوارة ثم الشيخ ثم الشبان وكانت النساء تجتمع في غرفة ثانية فيقرأ من يحسن القراءة فصلاً من التوراة أو اخبار القديسين أو تاريخاً من التواريخ المترجمة الى العربية أو المولفة بها واذا اغمض فهم شيء على الحضور يستعلمون عنه من جدي وهو يشرحه لهم بكل طول اناة ووضوح . واحياناً يصحكون ويقصون القصص ويتكلمون بالحوادث والاداب المصرية وفي مثل هذه الامور كان يجوز للشبان ان تحضر المجالس مع الشيوخ فكانت سهراتهم اشبه بمدرسة يفقهون فيها العقول ويدربون الشبيبة على النخوة والهمة والشهامة وكل ذلك خير من سهراتهم في القهاوي وخلافها وكانوا يحلون الغازاً ويسمونها حذيره ولذلك يشغلون عقولهم ويعودها على البحث .

وكانوا غالباً يصرفون سهراتهم براءة قصة عنتر بن شداد فحسنا كانوا يفعلون لان هذه القصة من احسن ما ألف في هذا المعنى فهي تاريخ العرب في الجاهلية وهي مثال لكل من يريد التقدم بقطع النظر عن الاصل والفصل .

تمثل عبداً وصل بشجاعته وكرمه وحسن الانتقاد لمن ربه والخلق الشريفة والمحافظة على زمام زوجته

الى اعلی درجة واسمى مقام فهذه القصة من اعظم القصص الادبية ولا سببا فانها حقيقية لا تصورية نعم ان المؤلف يتألي في قوة عنتره احيانا فيزعم انه هجم على الفين وثلاثة فربما هذا كان ليسر اهل عصره وربما حصل ذلك لان الاحابة هي اعظم قوة فتندما يرون افعاله ترجع عنه الاعادي وهذا لا تقطع به بل نحكم ان هذه القصة الادبية تبيجتها كما قيل .

لا تقبل اصلي وفصلي ابداً انما اصل الفتى ما قد حصل

فثل عنتره يثبت هذا الشعر وعندي ان هذه القصة هي افضل من كل الروايات العصرية لما تعلم من الشهامة ومكارم الاخلاق بخلاف تلك التي نراها طافحة بضروب الخلاعة والفساد .

الادارة الدينية

كان اقليم جزين في الاصل تابعا للكرسي البطريركي راساً وكل بطريرك يرسل في كل عام نائبا عنه مطرانا يزور الرعية ويقضي لما مقتضياتها الدينية والمحافظة حلها الى البطريرك . فلما سمى جدي كاهنا كان وكيل البطريرك يومئذ على الاقليم المطران حنا الحلولا ترقى المطران حنا المذكور الى البطريركية ابدل « الاقليم » « بجبل » ورسوم مطرانا على اقليم جزين المطران عبيدالله البستاني وهو اول المطارنة على ابرشية صور وصيدا .

وقبل سيامة المطران عبيدالله وانفصال ابرشية صور وصيدا عن الكرسي البطريركي اقام البطريرك حنا الحلولا المرحوم جدي وكيلاً مفوضاً عنه واذنه بقضاء جميع المهام الدينية مها كان حلها حتى في المحافظة لها للبطريرك بموجب اوامر صادرة من غبطته ستذكرها بحرفيتها وتواريخها عند الكلام على المرحوم جدي .

فلما ارتسم المطران عبيدالله على الابشية وفصلت عن الكرسي البطريركي ابني جدي وكيلاه عنه كما كان من قبل وجعل كرسي المطرانة في بتدين حيث كان يقيم حاكم الجبل الامير بشير الشهابي الذي احب المطران كثيراً وقرّبه اليه وجعله من اعظم مستشاريه .

فطلب المطران مساعدة الامير ببناء مطرانة في مشموشة لتوسطها من الابشية فيها وكان المرحوم جدي ناظراً على ذلك البناء فشاده على ما يرام وسنذكر مشموشة ومدرستها .

ولم يكن للوعظ والتعاليم الدينية شأن في تلك الأيام رغماً عن تفقه المطران وبعض الكهنة بل كانت كل

التعاليم الدينية مقصورة على استماع القداس ايام الاحاد والاعياد وعلان ايام الصوم والقطاع واستماع الاعتراف .

والخلاصة انه هكذا كانت التعاليم الدينية .

الادارة المدنية

كان اقليم جزين تابعاً لقائمقامية الدروز ومركزها الشويفات وأمرها من الامراء بني ارسلان والعامل على الاقليم سعيد بك جنبلاط ابن الشيخ بشير جنبلاط وسأذكر هذه العائلة عند الكلام على المختارة .

فوالذي كان بمنزلة قائم السرّ عند العامل أو المقاطعجي سعيد بك ولهُ عنده مكانة عظيمة وكان مع الشيخ قاسم حصن الدين يديران الامور .

وكان الاقليم يدفع جزية معلومة من المال وكثيراً ما كان يتأخر عن دفعها فيرسل حينئذ سعيد بك خيالة من قبله تصحب معها خيالة من الاقليم موظفين عند المقاطعجي المذكور لقبض الأموال .

وكان عندما يتعدى أحدٌ على الآخر ويشكوه الى الحاكم يرسل الحاكم يطلب المشكوك الذي كان اما يهرب واما يحضر .

وكان الخزاء وقتئذ على حسب الذنب اما الحبس واما الضرب على الأرجل وعلى الاليتين واما البهس أي الغرامة هذا في الأحوال الجنائية وأما في الحقوق فكان في القائمقامية مجلس شرعي مكوّن من كل ملة كثيرة العدد من الجبل ومركزها الشويفات والقائمقام كان الأمير أمين أرسلان بصرف الدعاوى الحقوقية .

واما دعاوي القتل فكانت الاختصاص ترسل الى بيروت حيث يحاكمون فيها وقد اشتهر بالشرع في ذلك الوقت بمجلس القائمقامية المرحوم الشيخ بشارة الخوري العضو عن الموارنة وكان من عائلة مشايخ بيت الخوري من رشميا .

وكان تعداد الانفس يومئذ بيد والدي وتولاها بامر من والي صيدا .

وكانت كل قرية في الاقليم مقسومة الى حزبين كباني البلاد وذلك تبعاً لكل عائلة معتبرة .

وسبب هذا الانقسام هو الحسد الذي يتولد اكثره بين الاهل بحيث ان الواحد من هذه العائلة يحسد الآخر لتقدمه بدون ان يلتفت الى الاتعاب التي قدمته فقط يلتفت ان والدي ووالده ابناء عمر لا يلزم ان يكون احسن مني مع انه لو انصف لوجد ان هذا القريب الذي تقدم عليه تغرب وتعلم علوماً أو تاجر أو خاطر بحياته حتى اكتسب المال أو المقام ولكن ابن العم الآخر بقي في القرية يلعب بالطاولة طول النهار ويستنظر الصباح والمساء فبالطبع لم يحصل على الذي حصل عليه الثاني فلو افكر بذلك لما حسده وكذلك اما الباري خلق في احدهما صفاتاً ميزته عن الآخر ولكن كل هذا لا يقنع الحاسد لانه لا اقتناع لحاسد .

والبلدة التي لا يوجد فيها غير عائلة واحدة معتبرة كانت تلك العائلة تنقسم على ذاتها وتتبع الاهالي قسمها بحيث كان الخصام دائماً والمشاجرات مستمرة كجاهلية العرب .

وكان اذا تحكم الخصام بين الفريقين فان كان مع العائلة الواحدة توسط به شيوخ العائلات الآخر وان كان مع عائلتين توسطت به القرى الأخرى .

فكان كل فرد قائماً بقوة ذراعه وحزبه فلا يخرج من القرية إلا مسلحاً أو محاطاً بمحاشيته .

وكان السيف والرمح والقرابينة وطبنجات على قربوز سرج الفرس للفوارس وبارودة وسبخ وخنجر ويطقان للمشاة .

وكانت البواريد يومتد بقداحة وصوانة وبعده صارت بكبسول .

وكان الشبان يعملون رياضة في كل مدة وذلك بان ينصبوا علماً ويطلقوا عليه الرصاص نمريناً لحسن الرماية وكانوا يلعبون الميدان على ظهور الخيل ويتمرنون على رمي الجريد وهو عصا كان يحدفها العارس على الآخر وكثيراً ما سببت جروحاً بليغة واحياناً قتلاً .

وخلاف ذلك لعب الطاباة والشيلات الثقلة بيد واحدة أو باليدين وكلها ألعاب رياضية تقوي الجسم وقد بطلت الان الا القليل منها لعدم امكان تحمل اجسام هذا العصر تلك المشاق الدالة على القوة والنشاط في الزمن الغابر ويلزم اعادة هذه الرياضات أو مثلها لاجل صحة الجميع .

أعيان لبنان

وحيث بيت جنبلاط هي العائلة الحاكمة في جهتنا واكثر الاملاك لها نبتدي بذكر انسابها واصلهـا وحكمها كمقاطعية فقط تحت يد قاعقام الدروز الذي كان من الامراء الارسلانيين .

وكانت عائلة بيت جنبلاط وعيال اخرى ممتازة في لبنان من اسلام ونصارى ودروز ومتاوله تسمى مشايخ وكان من هؤلاء المقاطعية أي حكام مقاطعة فقط وكانت عيال اخرى امراء مثل المعنيين . والشهابيين اعلا من المشايخ ومنهم كان الحاكم العمومي للجبل من قبل الدولة العلية .

فالامير حيدر الشهابي هو الذي اعطى هذه المقاطعات الى هذه العيال التي نحن في صدها وهي التي رافقته في حرب محمود باشا أبو هرموش أي الحرب التي شبت بين القيسية والبنينة وهو الذي ساهم مشايخ بكتابته لهم الاخ العزيز .

ولا شك ان جد هذه العيال الممتازة كان ذو فضيلة حتى تقدم وعلا على اقرانه وكان من بساطة القلب والامانة على جانب عظيم خصوصاً بلجهة المال (رواية) ذكروا ان احد مستلمي مدخول ومصروف احد الاعيان كان يقيد في دفتره مبلغاً اجرة بيطرة جبال في احد الايام كان الدفتر مفترجاً على الطاوله فدخل احد الزوار ونظر هذه النفذة فقال للامير كيف يا سيدي مقيد في هذه النفذة اجرة بيطرة جبال هل الجبال تسيطر فبعد مدة حضر الكاتب فقال له الامير كيف تقيد هنا دفعه اجرة بيطرة جبال هل الجبال تسيطر فاجاب الكاتب لما صار سيدنا يعرف ان الجبال لا تسيطر ما عاد يخدم فكره وذهب فهكذا كانوا يسرقوهم .

فاذا كان رجل راكباً حصاناً وانا بجانبه فيكون طبعاً اعلى مني ولكن متى ترك الحصان ونزل على الارض فيكون بطولي أو اقصر فحيث لم اعد اعده اعلى مني فاذا كانت هذه الفضيلة التي كانت تميز الاجداد سواء شجاعة أو كرم اخلاق أو علم أو قوة أو عصبة أو غنى ذهبت وتلاشت واقبح عوضها ضدها من الرزايل فهل لا بناء هذه العيال حق في الامتياز والاعتبار اللذان كانا لاجدادهم كلا ثم كلا فاذا لا لوم على من لا يساوي الابناء بالجدود لان هؤلاء كانوا ذوي فضائل وبالعكس الابناء ولكن متى كانت الابناء لم تزل محافظة على فضائل الاجداد فلهم حق التقدم على سواهم ولهم المركز الاول لان الذي كان يرفع الاجداد لم يزل في البنين ولا يقال عنهم .

مات اهل الجود لم يبق سوى مرقف أو من على الاصل اتكـلـ

فاذا لا عتب علينا اذا ذكرنا رزايل بعض ابناء هذه العيال اذا كانوا سقطوا عن فضائل الاجداد .

ولنبداء الان بآل جنبلاط لان عائلتهم تعد بعد الامراء .

انساب بيت جنبلاط

في سنة ١٦٣٠ م . حضر جانبولاد بن سعيد مع ولده رباح من بلاد حلب الى بيروت وكان بينهما وبين آل معن صداقة ووداد وذلك بسبب طرد مراد باشا لعل باشا جنبلاط في حلب سنة ١٦٠٧ فتشتت اقاربه وحضر جانبولاد المذكور الى بيروت وكان ذلك في ايام فخر الدين المعني الثاني .

فجاءت اكابر لبنان الى بيروت ودعوا جانبولاد للاقامة عندهم فقبل دعوتهم واتى معهم واقام في مزرعة الشوف .

فاتفق مع الشيخ ابي نادر الخازن مدير امور الامير فخر الدين ومن ثمة بدأت العلاقات الودادية بين الاسرتين .

وعائلة جنبلاط من الاكراد الايوبيين تولى جدها جانبولاد معرفة النعمان وغيرها من البلاد وفي سنة ١٥٧٢ تولى مدينة كلس وتولى نسله من بعده مدينة حلب الى ان تغلب عليهم مراد باشا كما ذكرنا .

وتوفي جانبولاد سنة ١٦٤٠ في قلعة شقيف ارنود التي كان فيها محافظاً على خمسين فر من قبل الامير فخر الدين .

فاقام ولده رباح في مزرعة الشوف مع اولاده الثلاثة وهم علي وفارس وشرف الدين .

وكان في ذلك الوقت شيخ علي الشوف من اكبر مشايخها هو الشيخ قبلان القاضي التنوخي فتزوج علي بن رباح من ابنة الوحيدة وذهب بها من المزرعة الى بعران وبني فيها مسكناً .

وفي سنة ١٧١٢ توفي الشيخ قبلان القاضي بلا عقب فاتفق اكابر الشوف على اقامة الشيخ علي صهره مقامه فدفع اهل الشوف الى الامير حيدر الشهابي الذي كان حاكماً وقتئذ خمسة وعشرين الف غرش فولاة مقاطعة الشوف وسلمه املاك حميه وهذه الاملاك تسمى بالسبيه وقد تقدم هذا المال من الدروز والنصارى وخمسة الاف من بيت الخازن .

وهوب الشيخ علي المذكور ارضاً من املاكه شرقي جون في اقليم الخروب الى رهبان الروم الكاثوليك لبناء دير على اسم المخلص وسلمهم عقارات لمعاشهم .

وسنة ١٧٧٧ جعل الامير يوسف ضريبة على البلاد فالتفت الاهالي من الشيخ علي ابطلها فرجا الامير بها فلم يستجب طلبه فدفعتها من ماله الخاص فاجتبه لذلك البلاد وعلت منزلته فيها .

فاوجس منه الامير يوسف شراً فسمى يرمي الفتنة بينه وبين الشيخ عبد السلام العماد فقال غرضه واقسمت البلاد منذ ذلك الى قسمين جنبلطي ويزيكي ولم تزل .

وأخيراً رضخ الشيخ عبد السلام الى الشيخ علي واصطلحا وكيفية ذلك هي ان الشيخ عبد السلام حضر الى بعران ليلاً حيث يقيم الشيخ علي وطلب منه الصلح لانه لم يمكنه صرف المال على المجتمعين عنده بسبب الفتنة .

فاعطاه الشيخ علي عشرة آلاف غرش ليصرفها على المجتمعين عنده وقال له ارجع من حيث اتيت ونحن نسعى بالاتفاق فذلك اشرف لك وابقى لمقامك وهكذا حصل .

وفي سنة ١٧٨٨ توفي الشيخ علي في بعران وعمره ٧٨ سنة عن ستة اولاد وهم يونس وجانبولاد ونجم وعمود وقاسم وحسين فتول بعده ولده قاسم سنة ١٧٨٨ وقد توفي الشيخ قاسم في عكا عند الجزائر وحكم عله ولده الشيخ بشير بسن ١٤ سنة وذلك في سنة ١٧٩١ .

وساعد الشيخ بشير بتجديد عمار دير ممشوشة في اقليم جزين فارسل له البابا مرسوماً يشكره به على ذلك .

وفي سنة ١٨٠٦ اجري الشيخ بشير قناة ماء من هر الباروك الى المختارة .

وفي سنة ١٨١١ ارسل دروز الجبل الاعلى يستغيثون به على حاكم حلب فارسل الشيخ حسون مع اربعين فارساً من عنده واربعين من عند الامير بشير فحضر اربعمائة عائلة الى زحلة ووزعوها على البلاد في الشوف والطن وغرب البقاع .

وفي سنة ١٨١٤ بي جامع المختارة على نسق جامع الجزائر في عكا .

وفي سنة ١٨١٩ توفي الشيخ حسن بن قاسم في بعران وعمره إحدى وخمسون سنة .

وفي سنة ١٨٢٠ بني الشيخ بشير كنيسة المختارة للموارنة .

وفي سنة ١٨٢٤ حارب الأمير بشير الذي كسره وفر إلى حوران فخذعه كنج اغا وسلم عن يده واخذه إلى الشام فأرسله وإلى الشام إلى عبدالله باشا وإلى عكا الذي شقه سنة ١٨٢٥ والذين شقوه حضروا بطلون بخيشاً من زوجته لاسم توصوا به مدة الشق فهكذا انتهى الشيخ بشير فكان كلما كانت نفعه المقاطعة مع الاهالي كان يحصل لهم ان كان للنهب أو للشتق وخلافه .

فبعد زوال الأمير بشير من لبنان رجع نعمان بك ابن الشيخ بشير إلى مقاطعته ١٨٣٩ وبعده تنازل وجلس محله أخوه سعيد بك ١٨٤٢ .

وفي سنة ١٨٥٦ احضرني والدي معه إلى المختارة لأنه كان مستخدماً في المقاطعة بصفة كامم اسرار المقاطعي سعيد بك وأمور تعدد النفوس من قبل الدولة العلية على اقليم جزين وهو الوحيد من النصاري الذي كان مستخدماً عند سعيد بك جنبلاط كمقاطعي البلاد خلافاً لباقي الخدمة النصاري فانهم كانوا مختصين بخدمة ادارة املاكه الخاصة .

فكليب العازوري وابن عمه مرعي العازوري المرحومان كانا على محاسبة الأملاك ويوسف الحداد من جزين كان وكيل الحاصل واما والدي فكان للمراسلة بين سعيد بك والقائمقام وباقي الهيئات السياسية وكامم اسرار الحكومة فاتصال عائلتنا بعائلة جنبلاط قديم العهد فاول حاكم من آل جنبلاط علي جنبلاط الذي كان حاكماً إلى سنة ١٧٨٨ كان موكلاً بالحكم والأملاك في اقليم جزين وجبل الرينجان جدنا أبو عساف رزق الله الخوري وبقت هذه الانتصالية مستمرة إلى والدي الذي اركبني حماراً وعليه فرشتي واخذني مسافة ثلاث ساعات نحو الشال إلى ان وصلنا إلى المختارة .

مدرسة المختارة

فلجل هذه المدرسة احضرني والدي من بكاسين وكنت اعرف القراءة والكتابة العربية والسريانية وكان من هذه المدرسة اولاد سعيد بك وهما نجيب بك الذي كان من عمري واخوه نسيب بك الذي كان اصغر مني سناً وكان معلمنا حضرة العالم العلامة والشاعر العظيم الشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسي الذي صار فيما بعد كاتب المحكمة الشرعية في بيروت وتوفي في هذه الوظيفة .

وكانت هذه المدرسة في حارة المشايخ بيت نجم جنبلاط في المحل الذي قتل فيه نعمان بك أولاد عمه فوق الميدان الشرقي .

وكان الشيخ ابراهيم المذكور يعلمنا وكنا سبعة ما عدا اليكين وهم الشيخ صالح والشيخ حسن اولاد الشيخ قاسم حصن الدين مستشار البيك والشيخ قاسم ابن الشيخ حسين شمس من غريفه صراف البيك ثم حسن ابن الماس من عبيد البيك واسعد ابو صوان الذي كان والده ووالدته من خدمة البيك وعلي حسن طليح ابن شيخ العقل من الجديدة فكنا نجلس نحن الاخرون في الغرفة فكل منا يسمع درسه بعد انتهاء درس البكوات وكان يدرّسنا في ديوان ابن الفارض غيباً بحيث كنت أقول القصيدة الياينة غيباً الى آخرها بدون توقف وكذلك الغية ابن مالك وقصيدة لامية العرب التي لم ازل حافظها للان بعد طول هذه المدة فلا شك ان هذه الكتب العظيمة وخصوصاً الشعر كان يعلم العربية على حقها وحيث الشعر موزون فيلزم قابله ان يلفظ جميع حركاته فيتعود على اللفظ الصحيح وكذلك سهولة حفظ الشعر تبقى القواعد المذكورة فيه مدة مديدة بعكس ذلك النثر فإنه ينسى بسهولة ولقد اصاب العرب بمحمل كل علومها ارجوزة ويلزم تأليف الكتب الجديدة بالقواعد شعراً لأن الشعر يحفظ لفظ الكلمة على حقها .

سعيد بك جنبلاط

كان متوسط القامة عصبي المزاج نحيف الجسم سريع الحركة حاد النظر ذا شاربين عريضين بشوشاً باصحابه مهابةً جداً وكان بذلك الوقت حاكم الشوفين واقليم جزين واقليم الخروب وجبل الرينان بسن الخامسة والاربعين تقريباً وكان له أملاك عظيمة في هذه المحلات وخصوصاً اقليم جزين وجبل الرينان .

وكان يضمن من الدولة العلية غربي البقاع بمال معلوم زهيد بالنسبة الى دخله وهو أول غي في جبل لبنان وهو من عظام الطائفة الدرزية وخصوصاً الحزب الجنبلاطي .

وكان عنده مستخدمون كثيرون لهم معاشات سنوية وكان المستخدم من كبار المستخدمين يسكن في داره ويأكل ويقوم له بجميع لوازمه من زيت وصابون وخلافه الى عمله واما المستخدمون الصغار والزوار فكانت تأكل على مائدته العمومية وكان يجلس معهم حتى آخر واحد .

المائدة العمومية

كان يوضع الاكل على اطباق من نحاس بقدر سبعة أو ثمانية وكان يسع كل طبق من العشرة الى الاثني عشر شخصاً وكان البيك يجلس على أول طبق وتتقدم الناس للاكل افواجاً ومتى فرغ أول فوج ينزل الفوج الثاني وهكذا الى ان يأكل آخر واحد وكان الاكلون تقريباً كل يوم محو مائتي شخص والبيك لا يقوم عن الاكل حتى ينتهي الكل .

وكان لهذه السفرة طباخ مخصوص وأما أكل المستخدمين المتنازين فكان يخرج من دار الحرم وكيفية ذلك انه كان يوجد دولاب يدور على محوره شبه خزانة له خادم مخصوص من جهة الرجال وخادمة مخصوصة من جهة النساء فكان عندما يحضر خادم المستخدم المتناز يطلب أكل معلمه فيخاير خادم الدولاب الخادمة من الخارج ويقول لها اكل فلان ويدبر الدولاب فتضع الخادمة الاكل في الدولاب وتديره لجهة الرجل وكان اكل البيك يخرج من هذا المحل ويوضع على أول طبق يجلس عليه ويجلس معه اكبر الزوار .

وكان يوجد فرن يشتغل يومياً بالخبز وكان الاكل من اللحم والارز والمخاشي والخضروات والحلويات وفاكهة الفصل .

ومها عمل الانسان ليميز حاله عن الحيوان تراه من بعض افعال مثله خصوصاً من مسألة الاكل ولست اعني بذلك فعل الاكل الحيواني بل تأثيره الادبي فترى الحيوان يستبعد عندما تقدم له الاكل فيلقى الحيوان الى محل يجده فيه اكلأ أو يستخدم عند من يقدم له الاكل فالانسان في هذه الحالة فكانت كل قوة المقاطعية باعطاهم الاكل الى المستخدمين فكانوا يأخذوهم للحروب ويستعبدهم وجزأهم الاكل هذه احوال ذلك العصر .

الخيال

كانت الخيل الخاصة للبيك من الثلاثين الى الاربعين رأساً وكان اشهرها احصنة تربط على اول الطاولة واولها كان ازرق اللون اسمه شومان وبعده اشقر يسمى أبو حجلان وهلم جرا .

وكان لكل مستخدم فرس تربط على الطاولة نفسها وكذلك خيول الضيوف فكان يبدأ بتوزيع الشعر علياً للخيال قبل الغروب بساعتين الى الساعة الواحدة بعد الغروب بحيث كان يتفق يومياً من مائة وخمسين الى المائتين علوفة كل علوفة نصف مد أو ثلاثة ارطال وكان لذلك رئيس ياخور مخصوص وسياس بكثرة وكان حاصل الشعر بطول خمتين ذراعاً وعرض عشرة وعلوسته اذرع دائماً ملان وفي ايام الربيع كان يرسل هذه الخيل الى ساحل صيدا لاجل اكل الربيع وكان لها محل في المختارة مخصوص يزرع فيه البرسيم المسماة في بلادنا القصة .

وكان في دار الحرم عدد عظيم من الخادومات والنساء الزائرات يصرف لهن اكلا وشرباً كالرجال وكان فرش محلات المستخدمين على حساب البيك بحيث كان المستخدم لا يعرف شيئاً سوى ثيابه واحياناً كان يعطي لهم مخصوصاً من طقومات جوخ أو دراهم نقداً .

وأما دار الحربم فلا يدخلها أحد من الرجال سوى الطبيب الذي كان يومئذ زوج خالتي غالب افندي البقليني تلميذ مدرسة مصر الطلية من اول صف تخرج فيها وكان سعيد بك يذهب بعض الاحيان مع حاشيته في فصل الصيف الى قرية نبحا لاجل صيد الحجل في عين الحلقوم فوق قلعة نبحا المسماة بقلعة طيرون وطيرون لفظة سريانية معناها الشقيف الصغير وليس كما قال طنوس الشدياق في كتابه في أعيان لبنان انه اسم علم لباني هذه القلعة .

وكان ماء هذه العين مجروحاً الى القلعة مدة حصارها من الملك الظاهر سنة ١٢٦٦ مسيحية ثم اختفى فيها الامير فخر الدين الثاني المعني ومنها انتقل الى مغارة جزين كما سيأتي .

في سنة ١٨٥٨ مسيحية توجهت مع البيك واولاده ووالدي وباقي حاشيته الى نبحا وبقيتنا مدة شهرين تقريباً وكان البيك يسكن الصاوين وغن في البيوت وكان يتوجه كل يوم صباحاً مع الصيادين للصيد .

النبي أيوب

مقام هذا النبي على تلة جنوبي نبحا الى الشرق يرتفع عنها ثلاثمائة متر تقريباً وتحتد الدروز في هذا النبي وعلى حسب تقليديهم يقولون ان النبي ايوب عندما كان مصاباً بامراضه وقره حملته امرأته الى هذا المثل وتزلت الى البلد تتسول له خبزاً وربما كان ذلك حقيقياً لان مقتضى قول التوراة ان أيوب من ارض عوص التي هي حوران الان وهي لا تبعد عن نبحا مسافة شاسعة .

في أحد الايام أراد البيك ان يزور هذا النبي فتوجهنا مع اولاده لهذه الزيارة وبعد ما فطرنا الظهر هناك رجعنا الى نبحا وفي اليوم الثاني توجهت الى بكاسين ولم أعد الى المختارة . ودخلت مدرسة مشموشة .

الخلاصة ان سعيد بك جنبلاط هو الرجل الوحيد الغني الذي كان في لبنان فدخله الخصاص من املاكه عبارة عن ستة آلاف ليرة ما عدا ما كان يكسبه من ضمان البقاع واكثر املاكه في اقليم جزين وجبل الريمان وكان مهيباً ذا مجلس أدبي يعطي كل ذي حق حقه من الاحكام كريماً شجاعاً اذا ركب في موكب ركب معه الوف واذا دخل في مدينة ضجت له ضيفه مكرم وقاصده نائل وصديقه معتبر ذو مروءة وزمام عديم الشر ميال للخير ذو فطنة ولطافة وعزم واقدام وبالاختصار كان من احسن رجال عصره .

مشموشة

مشموشة قرية من اقليم جزين تبعد عن بكاسين ثلث ساعة الى الغرب بميلة الى الشمال ارتفاعها عن البحر الف متر على السفح الشمالي لجبل ميثا ذات مياه عذبة باردة وهي لفضة سريانية معناها الخادم ربما سميت بذلك لأنها عمل خديم النبي ميثا ولا شك ان هذا المركز من ارتفاعات بني اسرائيل .

وكان يملك هذا المثل في ابامنا عائلة تسمى بيت ابي عتمة وهذه العائلة كان لها جد يخدم الامير فخر الدين المعني سنة ١٦٣٠ مسيحية فكان يرسله الامير ليلاً الى دير القمر عندما كان محاصراً في مغارة جزين وكان يرسله في ليالي الشتاء ويرجع بكل سرعة وحذاءه نظيفاً حتى تعجب الامير منه وسماه ابا عتمة وقد وهبه الامير احد المعني مشموشة .

وهذه صورة الحجة الموجود اصلها عند الخواج ابراهيم حبيب جبر ابي عتمة وفي كل مدة كان يؤشرون عليها من قضاة أو مفتي صيدا كما موضح فيها وقد نسخنا عن الاصل في ١٠ ايلول سنة ١٩٠٥ من الخواج ابراهيم المذكور وهذه الصورة هي .

وجه تحرير الاحرف هو ان وهبنا عزيزنا الشيخ ابا عتمة قرية مشموشة تكون معاشاً له مستمراً لاجل تبعه وخداماته امانا ورفعا عن المثل المذكور سائر الاقلام المبرية والخوابي رفعاها عنه وعن ذريته وحسود هذا المثل من الشرق الفباطية ومن القبلي السلسلة التي في مغل بكاسين للنبي ميثا عليه السلام ومن الغرب عين الجوزة ومن الشمال الدرب الناطق من الميدان الى بنواني وكتبنا هذا السند الى عزيزنا المذكور لاجل البيان .

حرر في غرة شهر رمضان المعظم في سنة الف وسبعة وثمانين . صح

الحقير
أحمد معن

الحمد لله تعالى وحده

اطلعنا على هذه الحجة من معزة الجناب العالي الأمير أحمد معن ومحبرة تهماتها تجري كما هي محررة لان كلام الملك منزل وقولهم لا يرد وهذا الذي نحن عندنا والحالة هذه والله سبحانه اعلم .

محل الختم
علقه
العبد الفقير
محمود بن منصور

الحمد لله وحده

اطلعت على هذه الحجة من حضرة الجناح العالي الامير احمد معن ومحرومة نخوماتها تجري كما هي لان
الهبة ثابتة في الشرع الشريف وهبة الملوك ما فيها تغيير والله اعلم .

حرره الفقير
ملحم عطا

الحمد لله وحده

اذا قامت البيئة الشرعية بتصرف بيت أبي عتمة في هذه القرية كما حررت حدودها ورسومها تصرف
ملك فليس لاحد من الناس غيرهم التصرف بشيء منها بغير وجه شرعي لان الهبة عقد شرعي يفيد الملك
المؤبد والله أعلم .

محل الختم
كاتبه الحقير
يحيى الحر

فهكذا كانت امراء البلاد تكافئ من يخدمها بحيث اذا مات الاب في خدمة الامير ياخذ الامير ولده
محله ويعطيه املاكاً يعيش بها فكان كل واحد يخدم الامير بدمه وقلبا تسمع بخيانة أو ترك حزب فكانت
المروءة والشهامة سائدين في ذلك الزمن وكل ذلك من معاملة الخادم .

المطران عبدالله البستاني

ولد هذا المطران في قرية الدية سنة ١٧٨٠ وكان حيتذ المطران حنا الحلوكيلا على الابرشية من قبل البطريرك وكان للمطران عبدالله صوت جميل جداً وعندما سمعه المطران حنا اخذته شماساً له وعند ما فتحت مدرسة عين ورقة سنة ١٧٩٣ وضعه في سلك اول صف من تلامذتها وبعد خروجه سامه المطران يوحنا الذي اصبح بطرركا كاهناً وفي ١٥ آب سنة ١٨١٩ سامه اسقفاً ووكيلاً عنه في ابرشية صور وصيدا فحضر المطران عبدالله الى بتدين واقام محل اقامته الانطس الموجود الان جنب الكنيسة وقد احبه الامير بشير واعطاه نفوذاً .

وفي سنة ١٨٣٨ عندما صار مطراناً شرعياً على الابرشية اخذ يبحث عن محل يجعله كرسيه له فاختار قرية مشموشة لوجودها في نصف اقليم جزين ولعذوبة مائها وطيب هوائها وقد اشترى محلاً من أبي عتمة جنب العين واخذ في ان يبني كرسية به وكان الوكيل عنه في الابرشية وفي هذا البناء للرحوم جدي الخوري ابراهيم الخوري ولم يزل عندي دفتر كلفة هذا البناء واوامر البطريرك يوسف حبيش والمطران عبدالله بخصوص تركيله على المدرسة والابرشية .

وكان الامير بشير يحث المطران عبدالله على بناء كرسي واقنتى املاك له ولكن زهده سيادته كان يضعف هذه الفرصة بوجود الامير بشير وقد اشترى لها أملاكاً قليلة وعندما ذهب الامير بشير من هذه البلاد حضر المطران عبدالله الى مشموشة وسكنها الى ان شاخ فطلب معاوناً له الخوري بطرس البستاني الذي كان يومئذ كاتم اسرار البطريرك بولس مسعد . فلو كان استغفم الفرصة في ايام الامير بشير لكانت كرسي صيدا وصور من اهم الكراسي وهذا المثل علم المطران بطرس خلفه ان لا يضعف فرصة بمشترى مقاصف بتدين يجعلها كرسيه فكان الذي فات المطران عبدالله من الامير بشير اكتسبه من خلفه المطران بطرس فاخذ من ورقة الامير بشير كرسيه ليس محتاجاً لبنائها .

المطران بطرس البستاني

هو من اقارب المطران عبدالله ولد في قرية الدية في آخر كانون اول سنة ١٨١٩ أي في السنة التي ارتسم فيها المطران عبدالله اسقفاً والاغرب من ذلك هو ان المعلم بطرس البستاني الشهير ولد في نفس هذه السنة فكانت سنة عظيمة ليبت البستاني لانه ارتسم فيها مطران وولد مطران وعالم شهير وكان المطران بطرس مع المعلم بطرس يتعلمان عند خوري القرية الخوري غايل البستاني وكانا ذكيين فارسلها المطران عبدالله الى عين ورقة فتعلم العلوم الاكليركية فيها ولم يشاء المعلم بطرس ان يرتسم كاهنا لاحتياج والدته اليه .

واما المطران بطرس فقد ساهم كاهناً للمطران يوسف رزق الجزيني رئيس عين ورقة وقتئذ سنة ١٨٤٢ ثم اقيم معلماً للمدرسة مشموشة لان هذه المدرسة كانت تعلم الاكليروس مدة ستين ونصف ثم اخذه البطريك كاتماً اسراره سنة ١٨٤٥ الى سنة ١٨٥٦ وفيها ساهم مطراناً على عكا مساعداً لعمه المطران عبدالله وعندما حضر المطران الى الكرسي وكان عباً للعلم اراد ان يفتح مدرسة لتعليم الاولاد ففتح هذه المدرسة وطلب لها معلماً كان رفيقه في المدرسة وهو الخوري يعقوب الحاصباني من عائلتنا القاطن في قرية قيتولي وعندما فتحت هذه المدرسة ادخلني للمرحوم جدي الخوري ابراهيم تلميذاً فيه فدخلتها في تشرين الاول سنة ١٨٥٨ .

مدرسة مشموشة

وعلمها

كانت تعلم العربية صرفاً ونحواً والسريانية حسب علوم عين ورقة والتلامذة الذي كانوا فيها هم يوسف كرم من المعمربة ومعه اثنان احدهما يسمى عساف والثاني ابن فاضل ثم رزق الله من سنيا الذي سمى فيها بعد كاهناً باسم الخوري يوسف ثم بشاره ابن الخوري جرجس البستاني الذي كان والده عند المطران عبدالله وكيلاً وكان من الكهنة المحترمين وأصحاب الفضل .

ثم صار بشاره المذكور كاهناً باسم الخوري يوسف البستاني الذي بقي مدة كاهن اسرار سيادة المطران يوسف الدبس وقد ترك وافي الى بيته في الجبل وقد توفي في بكركي سنة ١٩٠٥ ودفن هناك ثم يوسف من جرنابا الذي صار كاهناً فيها بعد ثم داود ابن خوري كوكبه الذي طبب العميون ايراً عن ابيه حتى الان وكان عند المطران بطرس شماساً يدعى خليل بن يوسف مارون من جزين ترقى الى درجة الكاهن ودعي باسم الخوري بطرس مارون ولم يزل وكيلاً روحياً على الابرشية لان وهو مشهور بالقوى والصوت الجميل .

حالي في المدرسة

كنت كما كنت في المختارة ناحجاً في العلوم وعفريتاً في غيرها فكان دأبي ان اضحك التلامذة في أي عمل وجدوا باعمال هزلية وكنت ازداد في هذه الامور خصوصاً في وقت الصلاة والدرس .

حادثة

قد قلنا اننا عند المساء كنا نصلي على القراية وهذه عبارة عن طاولة مربعة بعلو ذراع ونصف الى ذراعين لا تسع الا كتاب الصلاة وكنا نجتمع حولها من كل ناحية لاجل القراءة والتنغم وكان الكاهن يقف

على درجة أعلا من الجميع وحيث كنت اصغر الجميع وكانت القراءة اعلى مني فكنت اتقف على الدرجة امام الكاهن ولصغري ما كنت احجزه عن النظر في الكتاب وحيث كان لا يرى وجهي كنت اعمل حركات في عيني ولساني بحيث يضحك الآخرون الذين يرونني فيقاصهم دوني .

ففي احد الايام اخذت حرضونا وربطته بخيط ووضعت في عبي وعند ابتداء الصلاة كنت اخرجه قليلاً واضغطه فيفتح فاه امام التلامذة فيضحكون فاخذ الخوري بضربهم بالعكازة وفيما انا ملته بالفرجة عليهم خرج الحرضون من عبي ونط على الكتاب وبقي مربوطاً بالخيط الذي كشف ذلتي لانه لولا وجود الخيط كنت قلت انه مر صدفة وعندما رأى الخوري الحرضون على الكتاب ضحك قسراً وبعد ذلك عبس وضربني بالكف على وجهي فازاحني عن ععلى وحيث لم يزل الحرضون معلقاً عيبي بالخيط وأخذ يخمش ركني الخوري في الكنيسة الى آخر الصلاة وقطع الخيط وخلص الحرضون من اسره وعلقي انا .

وهكذا كنت اختلق كل يوم اموراً وكنت سريع الركض لركة جسمي وكان المطران عبدالله يسميني شيبوب وهو اخو عنزة لسرعة ركضي وكان يقرب كرسي لمطران دير مشموشة الذي يبعد عنها ١٠ دقائق وهو دير عامر يقطنه نحواً من مائة راهب في ذلك الوقت وكان عيده الاحتفالي في الخامس عشر آب عيد انتقال السيدة فيجتمع في هذا العيد الوف من الجيرة فيسبب هذا الاجتماع يصير خصومات بين القرى المجاورة بحيث انه كل سنة يحصل معركة وقد منع للمطارنة هذه الاجتماع من قديم الزمان . لان القصد منها عند العامة اللعب وقلة الادب والسكر والترهه وليس العبادة فاصبحت كاعياد عابدي الاصنام قديماً وهذه صورة الحرم لمن يزور دير مشموشة في عيده في خامس عشر آب .

صورة حرم

بجوفها

اعلام بالرب لجميع الكهنة باقليم جزين بوجه العموم للمكرمين .

بعد اهداكم البركة انه قد بلغنا ما قد غمنا وكدر خاطرنا وهو تعديكم وتعدي ابناء رعاياكم بمخالفة الرسوم البارزة قديماً من سعيد الذكر البطريك يوحنا المطوب الذكر الصالح في منع وابطال الحضور للاعياد تحت قصاص الربط للكهنة والحرم للعلمانيين .

فهذه السنة قد انهمل هذا الرسم القانوني وانداس من البعض لاجل رخاوتكم وتغاضيكم وحضروا الى دير مشموشة فليكن معلوماً عند الجميع ان كان من حضر نهار العيد من رجال ونساء فهو ممنوع من الدخول الى الكنيسة ومن تناول الاسرار المقدسة والكاهن الذي تشاور على الحضور وارتضى به فليكن

مربوطاً عن التصرف بدرجة ومداخلها ولا نسمح لاحد الكهنة ان يسمع اعتراف شخص من هؤلاء المتعلمين الذين حضروا نهار العيد لدير مشموشة ولسيدة بسري ولا نحلّ أحدا منهم الا انه يدفع خمسة غروش قصاصاً عن ذنبه وتمديه فهذا القانون قد وضعناه عن هذه السنة فقط ومن الان وصاعداً أي من تعدى وخالف الاوامر المرسومة قديماً ومناً جديداً يسقط في الحرم المحفوظ حله لسلطاننا الرعائي قصدنا علم الجميع والبركة تشمل الابناء الطائعين .

في ٢٤ آب سنة ١٨٣٧

الحقير

عبدالله البستاني

مطران صور وصيدا

وفي ذلك الوقت كان من اهالي مشموشة المشهورين حبيب أبي جبر أبو عتمه وهو مشهور بالذكاء والطف والمقل والمعارف وكان يقضي وقته عند المطران .

نادرة لجبر أبي حبيب أبو عتمه

كان لأبي حبيب جبر كرم من العنب وكان ابن اخته يأتيه ليلاً ويأكل من عنبه فاخبروا خاله عنه فسأله عن ذلك فاجاب الولد اما هو عيب عليّ يا خالي ان اعمل هذه العملية في كرمك هل يمكن تصديق ذلك فسكت أبو حبيب الذي مضى في الليل التالي الى الكرم واختبأ فيه وعند الظلام حضر الولد المذكور كعادته وعندما سمع خاله حركة الاكل وثب عليه وابتدأ يضربه فصار يصيح الولد يا خالي انا ابن اختك فاجابه هذا غير صحيح لانه عيب علي ابن اختي ان يعمل هكذا لا اصدق وبقي يضربه وهو يقول له ان ابن اختي لا يفعل هكذا .

وكان المطران عبدالله يذهب بعض الاحيان الى بكشتين قرب الديه ببلدته الاصلية حيث كان له محل يسكنه ابن اخيه المرحوم خطار البستاني .

ففي تلك السنة ذهب الى ذلك المحل ولم يعد .

وفيا نحن في ارغد عيش وانعم بال حدثت فتنة بين اهالي الشوف واهالي الاقليم وتلك للمرة الثالثة . وذلك ١٨٦٠ .

الموارنة والدروز

قبل الدخول بهذه الفتنة نذكر سكان لبنان والمهم الموارنة والدروز

الموارنة

اصل الموارنة : فتنة من السريان وهم الاراميون المذكورون في التوراة نسبة الى القديس مارون احد النساك القاطنين في نواحي حمص وحماه الذي جاهر ضد القائميين بمذهب الطيعة والمشيئة الواحدة الذي أنتشر في أيامه وبقي هو محافظاً على المذهب الكاثوليكي وكان معاصراً ليوحنا فم الذهب وقد اسس رهبنة باسمه .

وكان له دير قرب العاصي فيه ثلاث مائة من الرهبان اضطهدوا وقتلوا شهداء مذهبهم وذهب الذين اتبعوا مذهبهم الى لبنان وسماوا موارنة وذلك لعدم انقيادهم لمذهب ملك القسطنطينية فكان الذين يتبعون الملك يسمون بالملكية والذين تمردوا عليه سموهم مرده وباتوا تاريخهم يؤخذ من المؤرخين .

فبقي الموارنة بلبنان محافظين على حريتهم وایمانهم وفضلوا سكن المفاخر وقلب الصخور وفقر المعيشة على الذل والهوان حتى يومنا هذا . فسبب سكني الموارنة قديماً هذه الجبال هو الخوف والاضطهاد ولولا ذلك لما عمر لبنان فكان لبنان ملجأ لكل خائف في الشرق اتى يستظل تحت حمايته من سريان وأرمن وروم كاثوليك وقد بقي القسم الشمالي من لبنان مختصاً بالموارنة . والجنوبي مختصاً بالدروز .

الدروز

ظهر في الجبل الرابع للهجرة احد الخلفاء الفاطميين للدعوا الحاكم بامر الله ثم تسمى فيما بعد الحاكم بامرهم وكان حاكماً سوريا ومصر سوية فتبعته الدروز وكانوا يسمون اولاً بالموحدين لاعتقادهم العظيم بتوحيد الاله . وقد حصل اضطهاد للدروز أشده في مصر بعد غيوبة الحاكم بامرهم فانتشروا في سوريا وخصوصاً في الجبال للوقاية من الاضطهاد وتملكوا في بلادنا وادي التيم ونواحيها ثم زحفوا على جنوبي لبنان وتملكوه بعد محاربة سكانه المتأولة بحيث اصبح الجبل مقسوماً الى قسمين جنوبي درزي وشامي ماروني واذا لاحظنا سنة لبنان تراها مقسومة الى قسمين قسم يليس لبنان لبساً درزياً وهي العامة البيضاء أي تلجج وآخر يليس قنصوته الزرقاء أو السوداء .

ويوجد ايضاً في لبنان من كل الطوائف ولكن الاهمية هاتين الطائفتين .

قدم النصارى الى جنوبي لبنان

ان نصارى شامي لبنان حضروا الى جنوبيه في اوقات متفرقة ولغايات عديدة بحيث انهم عاشوا مع الدروز بالراحة والسكينة واخذوا عوائلهم واعتبرهم الدروز واكرمهم وصانوا حقوقهم واشركوهم في مصالحهم بحيث اصبحوا لهم ما لهم وعليهم ما عليهم وكانت القرى التي تقبل النصارى تسميها الدروز صاحبة الشرف وبقي الحال على ذلك مدة حكم امراء لبنان فكانوا يذهبون سوية للحرب ويتعاضدون في المصالح العمومية وكانت لهم حرية الدين وبقي الامر على ذلك الى انقضاء حكم الامير بشير قاسم الشهابي واقاموا مكانه اميراً آخر ما امكنه ان يداوم الحكم وفي ايامه حصل الفساد حتى قسموا الجبل الى قائمقاميتين قائمقامية الدروز وجعلوا عليها أميراً من آل ارسلان والثانية للنصارى وهي شمالية وجعلوا عليها قائمقاماً من امراء أبي اللمع .

حكام لبنان سنة ١٨٦٠

في بيروت خورشيد باشا وكان لبنان تابعاً له .
وكان بطرك الموارنة بولس مسعد المشقوني .
قائمقام النصارى في لبنان الامير بشير أحمد أبي اللمع في برمانا .
قاضي النصارى الخوري يوحنا الحاج الذي صار بطريركاً .
قائمقام الدروز الامير محمد ارسلان في الشويفات .
مسلم دير القمر مصطفى افندي .
اميرالاي العساكر عبد السلام بك في دير القمر .
في الشوف واقليم جزين واقليم التفاح واقليم الخروب وجبل الريحان سعيد بك جنبلاط .
وفي الغرب الشيخ حسين تلحوق .
في المرقوب خطار بك العباد وابن عمه كنج بك العباد .
في الشحار بشير بك أبو نكد .
فالان نذكر الفتنة التي حضرناها بالتطويل وقد ابتدأت كما قلنا وعن في مدرسة مشموشة .

ابتداء الفتنة في القلم جزين

في اليوم الثلاثين من ايار ١٨٦٠ عندما كانت الناس ملتية بمواسمها الحريرية عند الساعة التاسعة عريية قبل الغروب بثلاث ساعات سمع اطلاق البنادق من جهة قرية باتر واهلها تتقدم الى جهة بجنين وهي أول قرية من القلم جزين قرية من باتر .

فعدنا ابتداءً إطلاق البارود وتأكد ابتداء الفتنة أركبتنا والدتنا على بعل مع أخوي خليل وامين اللذين هما أصغر مني وأما اختي ليا فقتت معنا وأرسلتنا مع رجل من بكاسين اسمه الياس لبوس الراهب الى مزرعة الرهبان التي تبعد عن بكاسين ساعتين .

وبينا نحن على هذه الحال وكانت الساعة واحدة بعد الغروب والقمر يضيء كالنهار وفد علينا والدي ويوسف بك مبارك وجم غفير من الرجال والنساء والأولاد وأما والدتي وجدي وباقي الأقارب فهم يحضر منهم أحد ولم نعلم ماذا حدث لهم فعند ذلك اجتمع والدي مع ابن عمه يوسف بك وتشاورا على المحل الذي نذهب اليه فاتفقا على التوجه لصيدا كالمادة لان هذه هي الطريق المأمونة .

طريق صيدا

فمرنا على مزرعة اسمها الرمانة وهي في مركز مثل مركز مزرعة الرهبان وهي مزرعة شمسية ومنها رأينا دخان الحريق في القرى التي دخلها أهل الشوف وكنا نسمع صوت البارود الغير المنقطع وصراخ البشر وأصوات الحيوانات كانه يوم القيامة والذي رحم أهل الاقليم في هذا اليوم هو دخول الليل بحيث لم يمكن للاخصام ان يتبعوهم خوفاً ان يكتنوا لهم في محلات يجهلون بها .

فلو كان معهم يشوع بن نون وأوقف الشمس ساعتين هلكت كل أهالي الاقليم ولكن لوجود الليل انتشر الماريون في كل محل واختبأ أهل بكاسين خصوصاً في حرشهم الذي يمتد ساعة من الزمان طولا وعرضاً وفيه محلات تخفي ألوف من الماريين والبعض التجأ الى بيوت شركاء سعيد بك جنلاط مخفيين فيها فاهل الشوف احترمت هذه المحلات واصحابها لأنها تخص البيك الموما اليه . ثم مررنا على قرية سنيا معناها العليقة ثم على كفرجرا معناها حقل السهام وعند الصبح في قرية المعمرية .

المعمرية

فعدنا وصلنا الى المعمرية وقفنا ونزل المطران بطرس البستاني هناك وابتدأوا يتشاورون الى أي جهة يذهبون وبينما هم كذلك اذ وفد على المطران بطرس قواس من قبل قنصل فرنسا في صيدا مع اثنين من قبل عمر افندي يدعون المطران للتوجه مع جاعته الى صيدا واسم يحمونه من كل طارق وكاد المطران عند ذلك ان يذهب معهم فاعترضه بعضهم وقال له ربما كان ذلك فسخ لك ولو افترضنا ان هؤلاء صادقون فلا يمكنهم الدفاع عنك وقت اللزوم وخصوصاً ان شخصك هو المطلوب .

فلذلك تصور المطران ان ارسال القواس والرجلين ما هو إلا فخ لشخصه فامتنع عن التزول الى صيدا

ولكنه أرسل مع هؤلاء نائبه الخوري يعقوب وأخاه الخوري سليمان مع جملة من الرهبان والراهبات وجمهور كبير من الرجال أيضاً الذين توجهوا آمينين بحماية القواس والتفرين .

ولما توجه نائب المطران الخوري يعقوب مع اخيه وباقي الجمهور ووصلوا الى قرب المدينة وارادوا ان يسرعوا هناك فكان الامر ان الاخصام هجموا على هؤلاء المساكين وقطعهم إرباً إرباً رجالاً ونساء واولاداً وريهاناً وكان اولهم الخوري يعقوب وأخيه ظناً منهم انه هو المطران بطرس وكانت ساعة هائلة بالصراخ والاستغاثة بدون سمع أو مجيب .

وقد اخبرني عن هذه الحادثة رجل من بكاسين كان معهم وهرب بعد ما جرح في رأسه ومن ذلك الوقت ابتدوا يصطادون أفراداً من المارين ويقتلونهم .

واما المطران بطرس فانه توجه مع يوسف فرنسيس الى محل محمد بك علي شبيب المتوالي في المروانية الذي اكرمهم وجهز لهم اتباعاً يرافقونهم ويوصلونهم الى صور ومنها نزلوا بجراً الى بيروت .

واما نحن فأخذنا والدنا مع باقي أقاربنا وجملة من الناس أيضاً الى قرية دير الزهراني في بلاد الشقيف التي كان حاكمها يومئذ الشيخ يوسف نصر الله المتوالي .

وقد وصلنا عند غياب الشمس الى دير الزهراني فبتنا هناك تلك الليلة وفي اليوم الثاني حضر طلب لوالدي من حسين بك الامين مدير النبطية التحتى لأنه كان له به معرفة فتوجهنا مع هذا الجمع فانزلنا حسين بك في دار بحارة النصارى نخضع ونقول غور من صيدا التي كانت خالية وقتئذ وكان يرسل الطعام صباحاً ومساء الى جميع من معنا الذين كانوا نحواً من ثلاث مائة تقريباً .

سوق النبطية

ان هذا السوق من اعظم المحلات التجارية في بلادنا تجتمع اليه الناس كل نهار اثنين من كل الجهات على مسافة اثني عشر ساعة واكثر تجارته الحبوب والمواشي ويجتمع فيه من الخمسة الى الستة آلاف نسمة من شار وبياع ومن العجائب انه ينقذ فيه نحو الخمسين الف عقد بين بيع وشراء وكل ذلك بالقول فقط ويتم بكلمتين بيع واشترت ويندر جداً الاختلاف بينهم .

واغرب من ذلك انهم من كل الاجناس بين نصارى على اختلاف اجناسهم ومتاوله ودروز ويهود واسلام وخلافهم ومع هذا الاجتماع لحد الآن ما سمع ان حصل بينهم اختلاف عمومي وكل ذلك يتم

بهار واحد من صباح الاثنين الى عصره بحيث عند مساء الاثنين لا ترى احداً من هذه الجموع العديدة وقد مضى عليه مئات من السنين ولم يزل كما هو رغباً عن تجربة بلدان اخرى لعمل سوق مثله ولم تفلح ويوجد سوق مثله في بلاد حاصبيا اسمه سوق الخان ولكنه ليس بأهميته وخلاف هذا السوق يوجد قلعة عظيمة شرقي النبطية تسمى بقلعة بلاد الشقيف .

قلعة ارنون أو قلعة الشقيف

هذه القلعة باسم الشقيف هي التي اعطت اسمها الى كل الاقليم وتسميتها بقلعة ارنون اتية من اسم قرية بجانبها ومعنى ارنون الحردون وهي موجودة على ارتفاع عمودي غربي نهر الليطاني بحيث لا يمكن الصعود اليها من تلك الجهة وارتفاعها عن البحر نحو الثلاثمائة متر تقريباً كحائط واحد وقد تنظر من مسافات بعيدة وهي مبنية بحجارة ضخمة جداً وفيها منازل للسكن وآبار للمياه وتعلو عن النبطية قدر مائتين متر ولا يمكن الوصول اليها إلا من الجهة الغربية بصعود عظيم عسر المسلك . وقد بنى هذه القلعة الصليبيون وفيها بناء فينيقي قديم وفيها توفي الشيخ جنبلاط جد العائلة الجنبلاطية في لبنان الذي ارسله الامير فخر الدين المعني الثاني للمحافظة عليها مع اربعين من الفرسان وقد استولى عليها شيخ الجبل رئيس الاسماعيلية مدة من الزمن .

واما النبطية فكان يسكنها في ذلك الوقت من المشايخ الصميين خلاف حسين بك الأمين الحاكم اخوه سعد الدين وابن عمه الشيخ فضل الشهير وولده حسين الذي اولاده الان نعم بك وعمود بك .

وبقيتا في النبطية مدة خمسة عشر يوماً مع هذا الجمع الغفير الذي كان منه قسم عظيم ينام في الحقل وتحت الأشجار وكان يُقدم له الأكل من حسين بك الأمين وفي أثناء ذلك ورد لنا خبر عن والدتي واختوني ونخالتي زوجة غالب البعلبكي الطبيب واولاد عمي منصور مبارك الخوري وفرئيس الخوري انهم في جباع الحلوي مع جملة من النصارى في بيت الشيخ علي الحر وهو رجل عظيم جداً من اكابر قومه عمل معروفاً مع النصارى لا يقدر وكذلك الشيخ عبدالله نعمة الذي عمل نفس المعروف . فعند ذلك ارسل والدتي خيالة من قبل حسين بك الأمين الى جباع لتحضر والدتي مع اقاربنا الذين كانوا هناك .

قصة منصور مبارك

قد اخبرتني والدتي انها بينما كانت في جباع وهي متشقة الافكار لا تدري ما جرى لزوجها واختوها واولادها هل هم من الاحياء أم من الاموات واين هم اذا كانوا من الاحياء ومن قتل منهم ومن بقي حياً تقضي يومها بالحنين والبكاء محجوبة مع والدتها واختها في الحرم واذا بسيد من أهل جباع اسمه السيد

ابراهيم يطلب مقابلتها فأسرعت حالاً بالجحيء اليه فرأته سيداً مهيباً متادباً محتشماً فأخبرها انه بينما كان في مزرعة الرهبان في جبل طوراً وجد خمسة رجال من بكاسين مختفين هناك يأكلون القمح الفريك فسأل عنهم فقيل له هؤلاء منصور مبارك الخوري ورفاقه فتقدم اليهم وسأل عن حالهم فأخبروه من هم فسأل منصور من عندكم من اهالي الاقليم في جياع فأخبره عن وجوده والذي فحيتله قال له منصور ارجوك ان تحبر امرأة عمي اننا لم نزل أحياء موجودين في ضيقة عظيمة في هذا المثل وكذا ان نهلك جوعاً فأرجوها ان تعمل لنا طريقة مع الشيخ علي الحر ليوصلنا الى جياع .

فعند ذلك حضرت والذي الى الشيخ وأخبرته بذلك فطلب حالاً السيد ابراهيم وأمره ان يرجع حالاً مع خمسة رجال ويصبحون منصوراً ورفاقه معهم وان اذا نزلت نقطة دم منهم تكون بجيانه فتوجه حالاً السيد ابراهيم مع خمسة من أعوان الشيخ وفتشوا على منصور ورفاقه .

ذهابنا من النبطية الى صيدا

فكان مدة وجودنا في النبطية تأتي اليها أهل الشوف من المشايخ ومن جملتهم الشيخ حسين عساف من نينجا الذي كان صديقاً لوالدي وأخبره ان يخرج من النبطية لان أهل الشوف مستعدون لمطاردة أهل الاقليم فيها كما جرى في جياع .

فعند ذلك اخبر والدي حسين بك الامين وترجاه ان يعطيه رجالاً من المتاوله ليوصلوا اهل الاقليم الى صيدا فارسل حسين بك معنا خمسة عشر خيلاً تحت قيادة ابن عمه حسين بك الفضل فركبنا من النبطية عند غروب الشمس نمشي ليلاً وقد أركبوني مهرة بدون عدة برسن غير مركوبة قبلاً وأخوتي على بطل وكذلك والدي وجدي وكان الليل مظلماً لا اعرف كيف امشي مع مهربي فكانت تأتي حبيثاً تريد لا كما أريد فكانت تارة تمشي على الطريق وتارة تفر الجلالتي وكنت منشراً من ذلك وغير مفكر في الاخطار التي سلاقيها كاني ذاهب الى عرس وكل ذلك من فضائل الحداثة التي لا تشعر بخوف ولا تعب وقد استرحنا قليلاً قبل الضوء في قرية اسمها البابية التي بعدها استلمنا السهل فشت المتاوله امامنا وكنا جمهوراً من الكهنة والشيخ والنساء والولاد والرجال المسلحة .

وبينما نحن بسهل الغازية نظرنا خيلاً أتياً من جهة صيدا فعند رؤيته خفقت قلوب الجميع فلما منهم انه جاسوس من قبل الذين مجتمعين في قرية الغازية وبالحقيقة كان ذلك وعندما رآه المتاوله اصطفوا امامنا وفي وسطهم حسين بك الفضل فتقدم ذلك الخيال وسلم على اليك وقال له ابشر ان زحله اخذت فاجابه اليك انه يعطي النصر لمن يشاء فتوجه الخيال الى الغازية .

المتالة

هي فئة كبيرة من الفرق الاسلامية سموا متالة من قولهم توالينا الذين خمسة أي محمد وفاطمة وعلي والحسن والحسين وسموا رافضية لانهم رفضوا رأي زيد ابن علي ابن ابي طالب وعملوا شيعة وحدهم فسموا شيعة لذلك وقد جعلوا الإمامة بعد الرسول لعلي ثم اختلقوا فيها فيما بعد اختلافاً كبيراً حتي بلغت فرقهم ثلاثمائة فرقة والمشهور منها عشرون لا محل لذكرهم هنا لانه لم يبق منهم احد في بلادنا سوى المتالة الاصيلين .

وأما الذين كانوا مشهورين والحكام في حادثة الستين هم حسين بك الامين في النبطية وتامر بك الحسين والشيخ فضل والشيخ يوسف نصر الله في دير الزهراني وبيت الحرّ في جبّاع ومحمد علي شبيب في الرواية وذكرنا بالخصوص هؤلاء لانهم حافظوا على اهل الاقليم الذي اجتمعوا عندهم وعاملوهم بالخير والاحسان .

فأخيراً اجتمعت مشايخ المتالة مع بعضهم للمخاطبة بامر معاملتهم لاهل الاقليم فاجابهم الشيخ فضل الذي كان اكبر سناً منهم مهابةً مطاعاً ان الرأي عندي ان نتركهم مدة ثلاثة أشهر فاذا نفذ مساعدة اليوم قبل هذا الوقت فنكون صنعنا جميلاً معهم ونكافأ عليه واذا لم يساعدهم احد فهم في قبضة يدينا فنعمل ما نريد بهم .

وهكذا كان فان مشايخ المتالة عملت كل معروف واذا كان بعض جهالهم تعدي بسلب أو خلافة فكانت تقاصه المشايخ وترجع المطلوب وكانوا يصرفون من اموالهم الخاصة عليهم فلذلك يلزم ان تكون التصاري مدبونة بالمعروف والجميل لهم ولا ينسوا حسن بك الامين والشيخ فضل وولده حسين بك والشيخ علي الحرّ والشيخ عبدالله نعمة من جبّاع والشيخ يوسف نصر الله من دير الزهراني ومحمد علي بك شبيب من الرواية ولا أولادهم الى من يأتي من نسلهم فيما بعد .

ومن نسل محمد علي بك الشبيب ابن ابن اخيه الان حسين بك درويش من الرجال أصحاب الاداب والمرؤة وكرم الاخلاق .

واما اسرة المشايخ بيت علي الصغير الذي منهم علي بك، الاسعد الذي توفي سنة ١٢٨٢ هجرية كانوا يساعدون اهل حاصيا كما سنفكر وله ثلاثة اولاد نجيب بك الذي توفي وله ولد اسعد بك وبني شبيب باشا نزيل الاستانة وتناصف باشا الرجل المشهور في المرؤة وحفظ الزمام واما ولد محمد بك الاسعد ابن اسعد بك الخليل واخو خليل بك الذي هو اول من اتصل الى المتصرفية من الشيعة وكان كريم الاخلاق محموداً

وله اربعة اولاد وهم : كامل بك الذي عمل اكثر من والده في الجاه ورتب ماليته ترتيباً عظيماً وله الاسم والشهرة بحيث خلد ذكر هذا البيت والآخرين هم محمود بك وعبد اللطيف بك وزين العابدين بك وهم من الاماجد الكرام .

حادثة الوفاء

بينما كنت يوماً ما في محلي في بيروت اشاهد المرضى وجدت سيداً ليس عليه سمة الغناء وذليلاً متفكراً واعينه مريضة قليلاً فسألته عما يريد فأجابني ان لي معك حاجة وانت لست تعرفني ولكن والدتك تعرفني ربما تكلمت عني امامك انا السيد ابراهيم الذي ساعدت ابن عمك منصور مبارك الخوري ورفاقه من جبل طوره . وكان مضى على ذلك ٣٦ سنة فقلت له نعم ذكرتك والدتي في فعد ذلك تغيرت هيئة ذلك الشخص امامي وابتدل برجل عظيم اعتبرته جداً واصبحت انا المديون له فاجبته على الفور ماذا تريد ان اخدمك فيه فاجاب ان لي ولداً وحيداً مريضاً الرجا ادخاله في المستشفى فحالاً ادخلته الى تمام الشفاء .

حادثة أخرى

وبعد هذه الحادثة الاول بستين حضر رجل يدعوني لزيارة مريضة في احدى اللوكندات فسألت عن المريضة فقال لي انها ابنة فلان رجل سمعت به انه من الذين عملوا معروفاً معنا ستة السنين ولم اعرفه شخصياً فتوجهت وشاهدت المريضة التي عملت لها عملية في عينها وبقيت اعابها مدة شهر من الزمان وعندما حصلت على الشفاء حضر والدما عندي للحساب الذي بلغ ٦٠ ريالاً مجيداً فدفعتها مع الشكر وهم بالخروج من عندي فاجلسته وسألته هل انه يعرفني حقيقة فقال كيف لا اعرفك وصار لك شهر من الزمان تطيب ابنتي فقلت له نعم ذلك هل تعرف والدي فقال كلا فقلت له انا ابن فلان ووالدي فلاتة ابنة فلان التي عملتم معها كل معروف ستة السنين وقد ذكرت ذلك لي وكنت متشوقاً لاجد فرصة لا كافئك على صنيحك .

فالان ان هذه الدراهم التي هي امامنا محرمة علي فارجوك ان ترجعها وتقبل مني هذه الخدمة الصغيرة جزاء خدمتك الكبيرة في وقت ادنى معروف بيان فيه لانه قبل اعظم المعروف نجدة الملهوف لان اذا اسقيت كأساً من الماء لمطشان مدة عطشه الشديد بيان عنده اعظم شيء بحيث اذا اعطيت اعظم الاشياء بغير احتياجه لا يذكر بها لان تذكر الشيء يكون بتأثيره على الشخص وكذلك حتى لا يقال ان المعروف ضاع من الكون وان هذا يقولك على عمله ثانية لان لا شيء اضر على عمل المعروف مثل نسيانه عند من عمل معه .

فامتنع كثيراً لعه نفسه عن قبول الدراهم وقال لي ان هذه الحاسيات هي اعظم مكافأة لي لان عامل المعروف يحب الشكر عليه اكثر من المكافأة به عنه لان المعروف ليس كالدراهم يطلب فائظها ولكن عندما رأى الحاحي عليه بذلك اسرجع المبلغ اكراماً لحاطري وليس لقيمه .

ومشايع المتاوله الان هم ثلاثة اسر مشايخ بيت علي الصغير والمشايع الصعية ومشايخ المتاكرة ولهم شكرنا اجمعين .

صيدا أو صيدون العظيمة

لا شك ان هذه المدينة هي من اقدم مدن العالم وتسمت باسم صيدون بن كنعان ابن حام بن نوح أو باسم صناعة اهلها أي الصيد وكيف كان الامر فلا يعرف مدينة أقدم منها وقد مرت عليها ادوار وحكمتها جميع شعوب الأرض تقريباً فالفينيقيون انفسهم الذين شهرها بصنائعهم واسفارهم البحرية وتجارتهم ما هم الا قوم من المهاجرين اليها كما ذكر هيرودوتس المورخ وعندما اشتهرت في سفرها في الاجمار وجعلت في الخارج جملة مستعمرت أسست جملة مدن اولها مدينة صور التي هي ابنتها البكر التي تأسست سنة ١٢٠٠ قبل المسيح ففاقت شهرة على والدتها سذكراها فبا بعد فصيدون العظيمة التي شاع ذكرها وغناها في العالم القديم كانت مطمع لكل فاتح وكانت تمتد مملكتها الى جبال الكرمل قبة وشالاً الى قرب جبيل وكل لبنان بين هذه الحدود تابعاً لها وكانوا يسموا حيتند بالكنعانيين وقد قصدهم موسى في الجبل الخامس عشر قبل المسيح ولم يملكها الاسرائيليون فكانت مملكتها في كبرها العظيم تمتد طولاً مائتين وعشرين كيلومتر وعرضاً اربعة وأربعين بحيث كان لبنان وانطلي لبنان ذات الاحراش العظيمة يقدمها لهم ما يلزمهم من الاخشاب لمراكبهم وقد ملكها شلمنازار سنة ٧٢٠ قبل المسيح واخذهم نيبكودونوزور اسرى الى بابل .

وقد ملكتها الفراعنة المصريين واخذها قورش مؤسس دولة الفرس منهم وسمح لهم باقامة ملك محصوص ياخذهم بالاسفار البحرية وقد سبب ثورة فيها اكار احد قواد ملوك الفرس الذي كان سبب خرابها وعندما كانت محكومة بملك من قبل داريوس حضر اليها الاسكندر أبو القرنين وفتحها وكان اسم حاكمها اسراطون الذي كان ضعيفاً بحيث اصبح تحت ارادة الشعب وعندما رأى الاسكندر ضعف ملكها امر احد قواده المسمى افستيون بانتخاب ملك من اهلها وكان زمرة من شبابه واغنياها ومهذبها تلي على هذا القائد فاختبرهم ان يتخبروا لهم ملكاً مهم فأجابوه انه لا يمكننا ذلك ولا يمكن لاحد ان يكون ملكاً ما لم يكن من نسل ملوكي فتعجب افستيون من كبر نفس هؤلاء الذين احتقروا ورفضوا ما غيرهم يطلبه تحت ظلال السيف فاجابهم حيتند اغوا أيا الشبان بالجد والفضيلة لانكم انتم اول العارفين بان رفض الملك اعظم من قبوله ومع ذلك احضروا لي واحداً من العائلة الملوكية يمكنه ان يتذكر متى اصبح ملكاً انكم انتم السبب من غملكه ويكون ممنوناً لكم وقد نظرت هذه الجمعية بان عدد عظيم من الاغنياء

طالبين الملك كانوا يتلفون ترفلاً دنيأ الى المقربين من الاسكندر فوقع انتخاب الجمعية علي عبدولونيم الذي كان نظراً لفقره يبحر باجرة بخسة بستاناً قرب المدينة وكان فقره آت من شرف نفسه وكان دائماً مهتماً بشغله اليومي ولم ينتبه الى قرعة السلاح التي هزت اسيا باجمعها فوجهت الشبان حاملين الزينة الملوكية الى عبدولونيم الذي كان وقتئذ ينني اعشاب بستانه فتقدموا اليه وسلموا عليه كملك فتكلم واحد منهم عن الجميع وقال له اخلع هذه الثياب الرثة والوسخة ونظف جسمك من الاوساخ التي تغطيها من زمن مديد والبس هذه اللؤلؤ التي بايدينا وخذ احساسات الملك واعتدل في عوائدك المعتادة لحد العرش الذي انت مستحقه ومتى جلست كملك بيده حياة وموت الشعب لا تنسى الحالة التي لاجلها صرت ملكاً فظن عبدولونيم ان ذلك حلماً وان كيف يمكنهم ان يتجاسروا ويسخروا به هكذا فحلفوا له باعظم اليمينات ان ذاك صحيحاً ثم اخذوه وغسلوا بدنه والبسوه الحلة الارجوانية وعندما تحقق ذلك ذهب معهم لمل الملك وعندما ضج الحزن في المدينة كان البعض فارحين والبعض وخصوصاً الاغنياء مغناظين فذهب كل من هؤلاء الى محسوبي الاسكندر وتكلم كلاماً مهيناً بحق عبدولونيم وانه لا يستحق ان يكون ملكاً نظراً لفقره ولدنائة صنعه ولما بلغ ذلك الاسكندر دعى الملك الجديد اليه وعندما جلس امامه تأمله مدة وقال له ان ظاهرك لا يكذب اصلك ولكن اريد اعرف كيف احتملت الفقر وكيف كان صبرك عليه فاجابه عبدولونيم عسى ان الاله تساعدني بحمل قضيب الملك كما قوتني لاحتال الفقر فهذه الايدي ساعدتني علي كل رغائبي بحيث لا اطلب سوى ما كنت محتاجاً اليه فعندما سمع الاسكندر هذا الحواب عرف صفات هذا الرجل فملكه ليس فقط نعل ما كان يملكه اسراطلون بل اعطاه قسماً مما كان يكبسه من الفرس وازاف أيضاً الى ملكه بلاد اخرى مجاورة للمدينة هذا ما ذكره كتسكيري في تاريخ حياة الاسكندر فلا اشك ان الاسكندر هو اعظم رجل ظهر في الدنيا فخلاف شجاعته وفنوحاته السريعة ترى فيه فضائل ما سبقه اليها ولا لحقة بها فاتح غيره .

أولاً : اخذ ثار اليوناني وعحي عها العار وفتح آسيا لها .

ثانياً : انه بكى عدوه المطلوب وقتل من قتله واكرم عايلته وتزوج ابنته .

ثالثاً : كيف اعتبر الكاهن العظيم في القدس وملكها بهذا الاعتبار .

رابعاً : كيف دخل مصر وامترح معهم وقدم ضحية لالههم .

خامساً : كيف حكم عبدولونيم لاجل الفضيلة فقط .

سادساً : كم شاد من المدن في مدة قصيرة .

سابعاً : اعتباره لمعلمه واماته به حتى لقد وشوا على معلمه انه واضع له السم في الكأس فعند ذلك اخذ وشربه وقال هذا سرّ معلمي .

ثم ان مدينة صيدا دخلت تحت حكم الدولة اليونانية فطارة كانت تتبع مصر وطارة ملوك انطاكية وأخيراً دخلت تحت حكم الرومانيين وبعدها تحت حكم العرب والان تحت حكم الدولة العلية بحيث كونت ثلاث مدن فوق بعضها اولها صيدا الفينيقية ثم صيدا الرومانية ثم صيدا الحالية والذي يدلنا الان

خلاف التاريخ على عظمة صيدا هو ما وجد فيها أخيراً من المدافن التي كشفت لنا ملوكاً لم يذكرها التاريخ قبلاً وأهم هذه الملوك هو اشمون عازار الذي انوجد تابوته في صيدا وهو الآن في اتيكخانة اللوفر في باريس .

وقد شاهدته هذه السنة في شهر آب سنة ١٩٠٣ عندما كنت زائراً باريس وقد شاهدت أيضاً تبنت ولده الموجود الآن في الاستانة العلية مع تابوت الاسكندر الذي انوجد معه سوية في صيدا وقد شاهدت أيضاً قطع فينيقة عن اشمون عازار في اتيكخانة بريطانية في لوندرة هذه السنة نفسها والكتابات الموجودة على هذه التوابيت هي باللغة الفينيقية والمصرية وهذه الخطوط من أحسن الخطوط في هاتين اللغتين وهذه التوابيت من الحجر الاسود الصلد جداً المسمى بازلت وهو حجر من الصخور النارية الجبلية والكتابة التي على تابوت اشمون عازار هي هذه انا اشمون عازار ملك الصيداوين ابن بنت ملك الصيداوين وخفيد اشمون عازار ملك الصيداوين ووالدتي هي ام عشتروت كاهنة سيدتنا عشتروت الملكة وابنة الملك اشمون عازار ملك الصيداوين فنحن الذين بنينا هيكل الالهة في صيدا في الارض البحرية التي تمجد فيه الباشوريون عشتروت وغن أيضاً الذين بنينا على الجبل هيكل لاشمون الذي ساندنا يده على افعى والساميون تمجده فيه وغن الذين بنينا هياكل الهة الصيداوين في صيدا هيكل لبعل صيدون وهيكل لعتشروت في سماء باعال فعسى ان اسياد الملوك تعطي لنا خلودية وحسن الارض ذات القمح الجيد الموجودة في بيرة سارون مكافئة لنا عن الامور العظيمة التي فعلنا .

ذكر ذلك في الجرنال الاسوي في القسم الخامس في الجزء السابع وجه ٢٨٧ من رسالة موسيو مونك .

واما تابوت تبنت الذي نظرت في الاستانة هو كتابوت اشمون عازار يقول انني انا تبنت بن اشمون عازار ملك الصيداوين وان لا يوجد في محلي ذهباً ولا فضة وان من يسلب راحتي ويقلقي لا يجد راحة تحت الشمس .

واما التابوت الذي يظنون فيه انه تابوت الاسكندر نظراً للرسومات التي عليه التي هي موقعة الاسكندر مع داريوس فهي من ابداع التشخيص وقد فحصته فوجدت ان قطعة من هذا الرسم البارز مكسورة وان في وسطها سلك فافتكرت ان جميع هذه الرسومات البارزة هي سلوك من حديد مطلاء بمواد صناعية من اعجب الاعمال .

ويوجد تابوت يجنب هذا عليه صور بارزة وهي صور نساء نائحات والاعجب انها صورة امرأة واحدة لكن باوضاع مختلفة بحيث كل وضع يريك امرأة أخرى وقد وجدني تابوت تبنت جسته التي كانت

محفوظة بسائل فظنوا ان هذا السائل ماتا داخلاً اليه فرفضوه عنه فحينئذ ابتدت الحفنة في التحليل فما كان هذا السائل الا سائل مضاد الفطنة وقد رأينا هذه الحفنة هيكلأ فقط .

مركز صيدا واحوالها سنة ١٨٩٠

ان موقع صيدا الطبيعي هو من احسن المواقع والذين اختاروها عاصمة بلاد فينيقية يحقون بذلك لانها محاطة بسهول خصيبة وبجبال مشجرة ونهر الاولبي الذي اصل نبعه من الباروك وجزين يسقيها ويسقي بساكنيها فتراها على تل من بعيد وحولها السهول وهذه التلة ما هي الا من خريات صيدا القديمة بحيث اذا حضر الانسان تحت هذه المدينة يراها قائمة على خرابات تحتها .

وقد دخلت مدينة صيدا لاول مرة في فنة الستين وقد اجتمع فيها جم غفير لحد الخمسة وعشرين الف من راشيا وحاصبيا واقلبيم جزين فكانت متوزعة في المخانات ونحت الصاويين التي اعطتهم الحكومة الى اهل حاصبيا وراشيا عند ابا روح واما المجل الأكثر اجتماعاً هو خان الافرنج الذي يخص دولة فرنسا التي كان قنصلها يومئذ مسيو دريكولو الذي عمل كل خير والتفت نحو المنصبين وكانت الماشي والغرف حتى السطوح مملوءة من الناس بحيث كانت الناس تنام لئلا يزعجهم بعضها .

تاريخ خان الافرنج

قد أسس هذا الخان الامير فخر الدين المعني وقد اعطاه الى تجار الافرنج الذين حضروا بعد سفره الى توسكانيا من ايطاليا ومن بعده استلمته فرنسا ولم يزل في يدها للآن وقنصلها الصيداوي يقيم فيه وكانت كل اوربا ترسل احسانات الى هؤلاء المنكوبين وكانت جمعيات الاحسان في بيروت ولكل منها فرع في صيدا فرنسا كانت ترسل احساناتها عن يد قنصلها وكانت راهبات مار يوسف تخدم المرضى في المستشفى الذي عملته في الخان وكانوا يلمون الاولاد الايتام الذين كان يتركهم اهلهم وكانت الرهبنة اليسوعية تجمع اليتامى وتلبسهم لبس خصوصي وسموهم بالكاسافرية باسم مار فرنسيس كسافروس وكانوا يعلموهم في مدارسهم الداخلية وهذه الاحسانات التي كانت تنوزع على المحتاجين كانت من الخبز والسمن والارز ومن الكسوة وتطبيب المرضى والمصاريف على اليتامى ذكوراً واناثاً وكان لاحسانات الانكليز والاميركان والالمان جمعية واحدة في بيروت كانت ترسل احساناتها للصيدا عن يد الخواجه يعقوب ابيلا قنصل انكلترا ومن جملة الكسايي التي كانوا يحسنون بها فروات من جلد الغنم وبدلاً من الخبز كان يوزع بزار القمح ويزد الفزر للفلاحين عند رجوعهم وكان طبيب المرضى من قبلهم الدكتور شبلي ابيلا الذي اغرق جهده في التطبيب وكان مساعداً معه ابن عمنا توما افندي الخوري الطبيب .

وفي شهر تشرين اول حضر قزاد باشا وزال الخوف من قلب الجميع وبطل كل تعدد وكان حضر سعيد بك الى اقليم جزين لاجل تطمين الاهلين وارجاعهم الى محلاتهم وعندئذ خطر ببال الخوري اسطفان الذي كان ساكناً معنا في صيدا وكنا اخذنا بيتاً آخر وهو قرب البحر بان يرجع مع عائلته الى بكاسين فاستاجر مراكباً له ولعائلته وسافر عند المساء فتوجهت معه ليلاً وعند طلوع الشمس طلينا على بكاسين .

منظر بكاسين المشروقة

عندما نظرنا هذه القرية بغتة صرخنا صوتاً واحداً واحسرتاه ماذا الم هذه القرية التي كانت مسقط رأسنا واول ما استشفنا من الدنيا هواها وفتحت اعينا على نورها ومرأها وقصينا زمن الولودية والراحة فيها واول ما شربنا واكلنا من مائها وغذاها واول ما عرفنا حب اهلنا واقاربنا فيها وهي التي بعد الله والوالدين اوجدتنا كيف نراها حيطاناً مسودة لا سقف لها خربة مهجورة لا صوت بشري فيها بعد الاجتاعات العظيمة التي كانت تصير فيها ولا اثر لحياة حيوان فيها تلك البلد التي كانت منذ ثلاثة اشهر زاهية زاهرة هذه نتيجة الحروب والاضطرابات ومنافضها فوقنا مدة متحسين متأسفين ومرددين قول امرء القيس .

لقا نبكي من ذكرى حبيب وموتل

ولكن ما النفع من كل ذلك فاخيراً نزلنا الى البلد واول ما ركضت الى بيتنا وعندما دخلته بكيت وعندما رأيته مسوداً كفرن دون باب ولا شباك ارضه مغفورة والاوراق متشرة فيه والقواطع التي بين الغرف مهدومة فكنت انظر المثل الذي كنت انا في مع اخوتي واقتكر كيف كان مفروشاً مكسواً والان لا يوجد فيه شيئاً اجلس عليه وكنت اركض الى كل بيت اعرفه في القرية فلم أر فيه غير آثار الخراب واربع حيطان مسودة من الحريق وكان لنا شريك اسمه شكر الله حنني كان يزرع في ارضنا في جبل طوره فاكلت عنده خبزاً ثم قابلت ابن عمي فرنسيس الخوري الذي كان متوجهاً الى جبل طوره الذي يبعد عنا نحو ساعتين وكان لنا فيه املاًكاً يديرها الشركاء وكانت الأرزاق في جبل طوره اكثرها ملك سعيد بك حنبلط الذي ارسل رجلاً من قبله ليحافظ على الحاصلات والشركاء التي تجمعها فقال لي فرنسيس تعالى معي الى الجبل فتوجهت معه حالاً ونسيت انني قضيت الليل ماشياً وذهبت معه ماشياً على رجلي الى ان وصلنا الى جبل طورا .

جبل طورا

لفظة سريانية معناها الجبل وقد قلت ان هذا المثل مزرعة شمسية لا تسكنه الفلاحون الامدة شغلها زرعاً وحصاداً يطول عن البحر الف وثلاث مائة متر وفيه بعض تلال تكشف لجهة البحر تعلو لحد الف

واربع مائة وخمسمائة متر وهو مكشوف لكل الجهات والاهوية لا تنقطع منه وورده شديد جداً بحيث صيفه شتاء وكانت الحرارة فيه ليلاً في الصيف داخل الصيوان لحد ١٥ درجة فوق الصفر بميزان ستيفراد .

مركزه

عندما يصل لبنان الشامخ الأنف الممتد من الشمال الى الجنوب الى شرقي جزين ويرتفع ارتفاعه الأخير بجهة برجين يعلو احدهما الف وست مائة متر يسمى بتومات جزين فتحول منه لفئة الى الورا اي نحو الشرق فيرى ذلك الشيخ الجليل أي حرمون العظيم المسمى بجبل الشيخ وهو سلسلة انطي لبنان فيطسطة رأسه اجلاًلاً له ويتزلزل امامه ويموت تحت اقدمه عند مجرى الليطاني لفظة سريانية معناها الملون الفاصل بينه وبين مرجعيون وهي مملكة عيون القديمة من أرض نفتالي في سفر الايام الثاني الاصحاح ١٦ عد ٤ وهذا النهر هو الحد الفاصل بين لبنان وولاية بيروت من الجنوب الشرقي فعلى الصفح الغربي للتومات قرية بمجلدين لفظة سريانية معناها البرجين تعلو عن البحر الف واربع مائة متر وغربي هذه القرية ارتفاع صخري يتبدئ بالتدريج من الشرق الى الغرب الى ان يصل الى مطل البحر المتوسط وينتهي بقطع عامودي يمتد من الشمال الى الجنوب كصور للبلاد التي غريبه وعلى هذا الصور مقام الانبياء الذي هو من ارتفاعات بني اسرائيل .

اثاره التاريخية

يوجد في هذا الجبل خرابات تدل على سكنه الاصلي ويوجد فيه نواويس محفورة في الصخور لا شك انها مدافن فينيقية كما ان هذه المدافن توجد في كل جبرته ولم تزل فيه ابار قديمة تستعملها الاهالي الان لجمع ماء الشتاء وقد وجدت فيه عملة رومانية وعملة من صدر الاسلام وعندي حجر مكتوب عليه في اليونانية وقد وجدوا فيه كنيسة يونانية مع صليب يوناني ونواويس من الفينيقيين والكنعانيين .

واذا نظرنا في الاصحاح ١٢ : ١٣ و ١٩ : ٣٠ في سفر يشوع بن نون توكد ما ذكره صاحب تاريخ لبنان العلامة لامرئان الياسوعي في الجزء ٣ وجه ٤٥٩ ان هذا المحل هو مملكة افيق القديمة وان هذا هو كرسي للمملكة لان معنى افيق كما ذكره الاب المذكور حسب تقليد القديس هيرونيم انه اتدفاق الماء أو السيل أو الصخر أو الوادي وقال اخرون ان معناها القلعة أو المدينة المحصنة .

وقد اعتبر الاب المذكور ان مركز هذه المملكة هو جزين نظراً لمياهها ونهرها ولكن اذا اعتبرنا معنى

افيق لفتة قلعة فتكون هذه المملكة هي جبل طوراً وقد قال العلامة المذكور بوجه الاحتمال ان ربما تكون افيق على الطريق بين جزين وكفروونه ونحن نقول ان هذا الاحتمال هو المرجح عندنا وان مركز جبل طوراً هو عاصمة المملكة اولاً لانه متوسط بين الغرايات ثانياً لانه مرتفع ويرى ما حوله تحت اقدامه بحيث يرى كل المملكة وان التاويوس الذي في وسط الكرم وجمع الابار ووجود اثر بيت في الصخر ودرج على صخر اخر لاجل الصعود الى التاويوس ومقعد منقور في الصخر لاجل الجلوس عليه بين الابار ان هذا المحل محل الملك وقد قال يسوع بن نون ان افيق هي شرقي صيدون العظيمة وقد اعطاهما لسيط أشير ص ١٩ عد ٣٠ وجبل طوراً هو شرقي صيدون تماماً .

فنظر هذا الجبل من اعظم مناظر سوريا فاذا كنت جالساً صباحاً على تلة اسمها تلة بيت عبود ترى البحر المتوسط يبعد عنك مسافة ستة ساعات وترى منه جبل الكرمل ونقورة عكا وسواحلها وترى في هذه السهول القرى المرتفعة والادوية ومحاري المياه وترى بلاد بشاره والشقيف وسهل الدامور ومن الجنوب ترى جبل صفد وبحيرة الحولة وما حولها ومن الشرق ترى جبل حوران وحاصبيا وجبل الشيخ وتومات جزين وسلسلة لبنان .

والمنظر الشباني ترى منه جبال فوق جليل وسلسلة جبال كسروان وصنين ومار عبدا الذي فوق الدير وبالاختصار ان المسافة التي يراها نظرك من كل جهة لو كان خيلاً راكباً من نقطة ويدور الى أن يرجع لها وانت ناظره يلزم له مسافة عشرين يوم أو شهر لقطعها .

واظن ان هذا الجبل هو الجبل الذي اخذ ابليس المسيح اليه واره ممالك العالم وعندما لم يرضى المسيح في الرضوخ له وجد راهبين فاتفقا معه فاعطاهما هذه الارض وسموها مزرعة الرهبان .

تأثير جبل طوراً على الفكر

لا شك ان كل قمة من جبل طوراً هي كطور سينا تكلم عليها الله وهو يكلمك اعني عندما تجلس على هذه القمة وترى حولك واسفل منك تلك الوديان والجبال والاراش ومحاري المياه والبحر وهلم جرا ترفع عقلك الى اعلى من الارض وتفتش على صانع هذه الاشياء وتقر حيتن وتسجد لهذه القوة الخالقة التي لا تدرك منها الا وجودها فتكلمها في فكرك وتصعد اليها به فتجلى امام مخيلتك وترها باعين عقلك ولا تعرفك بشيء سوى بوجودها وقدرتها فهذا ما ظهر لي منها وكل اعتقاد بها بخلاف هذا يخل بعظمها فهذا كلما اعطني لي لمعرفتها .

تأثيره على الصحة

فلا شك ان هواء النقي يجلب كل صحة لان سبب ارتفاعه تأكد ان هذا الهواء الذي تستنشقه ما مرّ على رئية قبلك وفي كل سنة اخذ صواوين وأنصهم على نلة فوق الكروم المحيطة بها بعلو ١٣٠٠ متر متجهاً نحو الشمال وكنت اخذ كل عابقي معي وامكث مدة شهر خصوصاً شهر آب الذي تكون فيه الحرارة في النهار لحد ١٨ فوق صفر ميزان سنتي كراد و ١٥ ف في الليل في الصيوان فهذا الشهر الذي استريح فيه كل السنة وكان يلومي كل محب للمال كيف اترك شغلي من بيروت واذهب مدة الصيف فهذه خسائر فاجبتهم ان جسم الانسان مثل الثياب اذا اعتنيت فيها ونظفنها استقامة مدة والا تذهب بسرعة فاذا كنت اعني بجسمي فاعيش سنة زيادة اعرض ما خسرت من اشهر الصيف وكذلك اتمتع بسنة زيادة لانني لم اخلق مرة ثانية لارجع اصيف في جبل طورا وهكذا اعتنارات لاقتاع محبي الدراهم الذين يجعلون سبب وجودهم على الأرض لجمعها .

وقد صدف لي جملة امرار ان بعض الاولاد يمرض في بكاسين فحالاً اخذهم الى الجبل فبلون دواء بشئى المريض اعني المرض ذات الكروب اللطيفة اذا كان يوجد منها لطيفة خصوصاً الماريا حاصله ان مناخه احسن مناخ وليس عندي لوكنة صوفى لارغب الناس الى الحضور اليه ولكن لاجل معرفة هذا المحل الذي هو احسن محل في سوريا .

فؤاد باشا

عند حضور فؤاد باشا لقصاص المجرمين من متوظفين وخلافهم طلب مشايخ الشوف ومن جملتهم سعيد بك جنبلاط الذي حضر الى بيروت وعند وصوله حبسه في القشلة العسكرية وأما الشيخ قاسم حصن الدين فانهم نفوه مع جملة مشايخ آخر من أهل الشوف الى البغار فعند ذلك توجه والدي الى صيدا ومرض بالحمى التيفودية وبعد شفاه حضر الى بيروت .

فاول شيء عمله هو الذهاب الى القشلة ليرى سعيد بك جنبلاط الذي كان محبوساً وبعد طلب الاذن بالدخول اليه وجده على اخر نفس من الحياة لانه كان مريضاً بالصدر وعندما رأى والي انتمش وطلب الغليون لانه كان يشرب الدخان بكثرة وأخيراً طلب ان ينقلوه الى بيت علي الادلبي الذي هو مجانيها وكان والدي الساعي بذلك فكانت احوال سعيد بك تتزايد يوماً فيوم وعندما اشعر بقرب اجله اقام وصياً على اولاده القائم مقام الامير محمد ارسلان وقد كان باقي لوالدي معاشه عنده لحد العشرة الاف غرش .

فاوصى الأمير محمد ان اولاده تدفع له هذا المبلغ الذي قبضه والذي من امراته واولاده وعند الساعة واحدة عربية من هار السبت الواقع في غرة ذي الحجة سنة ١٢٧٧ هجرية والموافق ١٩ نيسان شرقي سنة ١٨٦١ والموافق من ١١ ايار غربي سنة ١٨٦١ توفي سعيد بك جنبلاط الرجل الشهير في بيت السيد على الادلبي ودفن في مقام الاوزاعي الساعة التاسعة من النهار عربية في يوم وفاته بالذات والذي اهم في دفنه وصل عليه هو فضيلة الشيخ ابراهيم الاحدب وكان معه في الدفن والذي فقطع الذي رافق سعيد بك الى القبر وخدمه طول عمره بأمانة وصلح وحب لا يوصف وقد أخبرني والذي أنه حصل له كدر لا يقدر وهكذا انتهت حياة سعيد بك الذي مات بموته كرم الشرق القديم وجميع عوايد حكامه القديمة بالأكل والشرب والضيافة وابتدأ النظام الجديد للبنان فعند ذلك رجع والذي الى بكاسين وبقي هناك وتوطف مأموراً لكرك الدخان في الجبل .

وقد تشكل مجلس مخصوص لاجل توزيع السلويات والمحروقات على البلاد وابتدت الدولة العلية بتشكيل كومسيون مخصوص لاجل عمل نظام مخصوص للبنان وان يكون عليه حاكماً عثمانيًا .

اخيراً اتفق الراي ان يقيموا حاكماً مسيحياً كاثوليكياً لا يكون له طائفة كبيرة في الجبل وان تعطى له السلطة التامة في الاجراءات والتوظيف وان يكون هو المسؤول عن راحة الجبل بعين لمدة خمس سنوات أو عشرة ويموز تجديده وان تعني لبنان من الكارك الداخلية وان يدفع سبعة الاف كيس مائياً وميرة وعسكرية وان تساعد الدولة بخمسة الاف كيس حتى ان يصير كافياً نفسه وان جميع الموظفين وطينين وان العساكر تكون منه بترتيب جنودهم وانه اذا لزم عساكر خلافهم يطلب المتصرف من عسكر الدركون المقيم في بيروت والمقيمة فرقة منه في بتدين .

وكان نظام لبنان محصوراً بثمانية عشر مادة معروفة وتاريخ فرمان هذا النظام في ١٤ ربيع أول سنة ١٢٨١ هجرية فهذا النظام استراح لبنان من كل فتنة داخلية وعرف كل انسان درجته وتنفس الاهالي وتخلصت من استبداد المقاطعجين والمقاطمجيون انفسهم استراحوا من مزاحات بعضهم وجبر الاهالي الى اغراضهم فاصبح لبنان شاكرًا فضل الدولة العلية ابدية القرار ولم يزل يموت ويحيي تحت حكمها واورها ولا يوجد في الدنيا بلاد لها مثل هذا الانعام والامتياز .

فهكذا انتهت فتنة سنة ١٨٦٠ التي خربت البلاد وليس لها نظير في الدنيا ان الرجل وجاره ان كان في البيت أو في القرية يعامل بعضها هكذا معاملة فليس الذنب على الاهالي بل كله على مقاطعجية ذلك الزمن وليس اللوم على فئة واحدة بما فعلت مع الاخرى لانه لو كانت انتصرت اهل الاقليم على اهل الشوف لفعلت معها ما فعلته الاخرى فالحمد لله الذي بطل دولتنا عندما ابعدت المقاطعجين والنهم حصلت الراحة التامة التي نحن فيها الان ومن الصدف المحزنة التي حصلت من ذلك الوقت هي قصة الخوري يعقوب واخوته وهي لم تزل مؤثرة في اليوم .

الخوري يعقوب الخوري الحاصبي واخوته

ان من اغرب الاتفاق قصة هؤلاء المساكين وهم اربعة واحتم الذين ذهبوا من هذه الدنيا في مدة اربعة اشهر باسباب مختلفة وايقروا والدتهم تشكل وحيدة في الدنيا .

والخوري يعقوب من عايلتنا من فرع بيت لها فتوجه جدهم الاصلي خوريا على حاصبيا فخلع اولادا الذي احدهم ارتسم خوريا على ابيه باسم الخوري يوسف الحاصبي لانه قطن حاصبيا والثاني شاهين حضر لدير القمر في ايام الامير بشير واتخذها موطناً له وقد توفي عن شاب يدعى ملحقاً قتل ١٨٦٠ واربع بنات وقد حصل مالاً وجاهاً وافرأ عند الامراء الشهابيين وقد كان كاخياً عند الامير قاسم ومن بناته جبوبة والدة يوسف غنام ثابت صاحب مطبعة الاجتهاد في بيروت والثالث اسمه مارون خلف اولادا وهم الخوري يعقوب صاحب هذه القصة واخوته سليمان واسكندر وجرجي وثلاث بنات احدها من زوجة حبيب وهبي الحج من قيتولي والثانية متروجة في مراح المكنونية والثالثة عزباء كانت في البيت وقد حضروا جميعاً مع عمهم ووالدهم الى قيتولي وتسموا بالحصابي لحضورهم من حاصبيا فقيتولي قرية من اقليم جزين لفظة سريانية معناها مصيفي فالخوري يعقوب المذكور تعلم في مدرسة عين ورقة وذكرنا انه اتى منها الى مدرسة شמושة مع المطران بطرس وانه بعد الفتنة حضر مع المطران بطرس الى المعبرية عندما حضر قواس قصلاتو فرنسا مع اثنين لاجل اخذ المطران وان البعض حذروا المطران ولم يذهب فارسل عوضه الخوري يعقوب مع اخيه سليمان وقبل وصولهم الى صيدا قتلوا قتلنا .

ثم ان لهم اخت قتلت مدة الفتنة في جزين وان لها اخ اسمه اسكندر تعلم عن عينطورا وعندما حضر بالفرصة لاجل مشاهدة والدته الحزينة الى صيدا في ١٥ آب مَرَّ بمحصانه على نهر الاولى عند مصبه وهناك تراب لزوج غرق مع الحصان .

ولم اخ اخر اسمه جرجي كان نجاراً في بيروت ففي شهر تشرين اول ظهر له سرطان توفي به فاصبحت الام الحزينة وحدها فقدت اربعة رجال وابنة مدة ثلاثة أو أربعة أشهر بعد ما كانت تنفخر فيهم اصيحت وحيدة عن العالم وجميعهم ماتوا باسباب مختلفة وعائلات مختلفة في مدة قصيرة فهذه القصة من اعظم المصائب .

قد ذكرت من هذه الفتنة التي عمت سوريا باسرها ما شاهدته عياناً في اقليم جزين والقصد من ذلك ليس تاريخ هذه الفتنة بل ما مرَّ علي من مدتها كقسم لتاريخي ويسبب من الولدنة ما كنت اشعر بخوفها وخصوصاً ما احتجت شيئاً من لوازم المعيشة بل كان كل التعب والخوف عند الاكبر مني سناً .

فبعد ذلك اخذ والدي يفتش لي على مدرسة اتلقى بها العلوم مها كلفه ذلك ان كان لي أو لاخوتي

لانه كان مستعداً ان يصرف جميع امواله لاجل ذلك وقد قال لي انني ساعطيك مالاً لا يمكن لاحد سلبه منك ولا انا ايضاً وهو العلم وهكذا عمل فانه توجه الى بيروت لاجتاد عمل في مدرسة عينطورا التي كانت اشهر المدارس وقتئذ يوجد لها كراسي من قبل دولة فرنسا اي ان هذه الدولة الكريمة كانت تدفع مرتب المدرسة عن جملة تلاميذة وذلك لاجل تعليم لغتها لانها تعتبر ان الذي يعرف لغتها يتاجر معها ويزورها ويحبها فتكسب من ذلك اكثر من مصروف تلميذ وكانت تعطي هذه الكراسي عن يد المطارنة الكاثوليكين أو عن يد من له وساطة عند القونصلاتو فسيادة المطران بطرس البستاني الذي كنت تلميذه في مدرسة مشموشة اوجد لي كرسيّاً في عينطورا فطلعتي والذي الذي كان يومئذ في بيروت للحضور اليها لكي اتوجه الى عينطورا برفقته .

ما شاهدت من بكاسين الى عينطورا

فسفرة مثل هذه كانت تعد في تلك الايام من اعظم السفرات على الاولاد لان يقتضي لها مئتي ثلاثة ايام من بكاسين الى عينطورا نظراً لرداءة الطرقات وعسر مسالكها فعند استعدادي للسفر استأجروا لي حماراً وصاحبه من جنسه ووضعوا لي فرشتي وثيابي بخرج فوقه وركبت كائني ملكت البصري وقد ودعتني الاقارب بالبكاء ومشوا معي نحواً من ربع ساعة كائني ذاهب الى الصين وهذا من عدم العادة علي الاسفار اخبراً وصلنا الى محل يسمى مرج بسري بعد مشينا مدة ساعة من الزمن نزولاً .

مرج بسري

بسري لفظة سريانية معناها اللحم وربما سميت ذلك لانه كان يضحى فيها الضحايا للالهة الهيكل الموجود اثره فيها لحد الان وهي عواميد من الكرانيت لم تزل واقفة للآن وحولها بساتين من التوت وفي هذه البساتين آثار أخرى كل ذلك يدل على وجود هيكل فينتي قديم بنى الرومانيون فوقه هيكلآ آخر وقيل ان اسم هذا الاله سرس اسم اله الخنطة وكان هيكله في هذا المثل وكانوا يقولون عنه بيت سرس حسب اصطلاح السريانية فصار مع الزمن بسري وربما هو الهيكل الذي ذكره تينيت غازار الذي اكتشفوا جثته في صيدا ويذكر انه اقام هيكلآ في الجبل وهذا الهيكل موجود على مسير الانهر المتجمعة في مرج بسري ومصبا بقرب صيدا تسمى بساتينها وسكانها وهذه الانهر هي سر الباروك وخلافه من الشمال ونهر جزين وخلافه من الجنوب وعند اجتماع النهرين يكونان زاوية راسها الى الغرب وهناك هو الهيكل .

وربما اذا حصل بعض حفر عن هذه الارض يجدون ما لم تعلمه فهذه هي النقطة المهمة في طريقنا وكان يسمى المرج بوادي العواميد وقد مر به الملك الظاهر لمحاربة الذين كانوا محاصرين في قلعة طبرون وقد اخذ بوضع مواد ننتة في الماء النازلة الى القلعة وهذا الذي اوجب تسليمها وبعد تسليمها بني الملك الظاهر

برجاً بجانب القلعة وكتب اسمه على العتبة وقد سقطت هذه العتبة على الطريق بين جزين وبار وكادت تسقط من على صخر الى بنتين فرفعتهما عن الطريق مع رجال كانت معنا عندما كنا مع الاب لامنس اليسوعي الشهير في اثار لبنان تزور هذه الاماكن .

وبعد توجهننا الى طريق بتدين بعدما صعدنا بمعبور المزرعة الشهير الذي هو عبارة عن سلم صخري لا يمكن الركوب فيه لا طلوفاً ولا نزولاً ما لم يكن الراكب كارهاً للحياة .

وبعد ما صعدنا هذا المعبور على اقدامنا مدة ربع ساعة صعوداً عمودياً تقريباً دخلنا في غابة من الزيتون تخص مزرعة الشوف وما بلغنا نصف الغابة حتى وجدنا بركة ماء يحيطها الزيتون وكان الوقت ظهراً نظراً لبطء سير فارس وحماره فجلسنا واكلنا وبعد مررنا تحت المزرعة وهي بلد كبيرة بالنسبة للشوف السويحاني .

الكحلونية

فوصلنا الى مزرعة تدعى الكحلونية تبعد عن بكاسين ثلاث ساعات والكحلونية لفظة سريانية معناها مكحلة وهي قرية صغيرة ذات ماء عذب وامام عينها فسحة عليها شجرة صفصاف يجلس المسافرين تحتها للراحة ويبادر البلد ملتصقة بها وهي التي قتل فيها خوري بتدين اللقش ابتداء حركة سنة ٦٠ وبعد ان بعدنا عنها ثلاثة ارباع الساعة وصلنا الى قرية السمقانية .

السمقانية

(لفظة مأخوذة عن السريانية معناها الحمراء — وهي من الشوف) مررنا على عينها التي هي أشرف ماء في تلك الجهات موقع هذه القرية قبة شريحة فيها بناء عظيم كان لعائلة بيت القاضي ومن هذه القرية عائلة بيت ابر هرמוש من مشايخ البلاد التي كان منها محمود باشا وهو الذي حارب اول امراء الشهابيين الامير حيدرأ .

بعقلين

لفظة سريانية مركبة من باي اعوقلين اي بيت حزن المتوطين وهي قصبة الشوف وهي التي تعمرت أولاً في الشوف وسكنها الامراء المعنوين الذين حضروا سنة ١١٢٠ الى لبنان بامر طغتكين صاحب دمشق لاجل اطلاق الفارة على الافرنج الصليبين وسكنوا صحراء بعقلين بالخيام وبعد ذلك اخذوا المنازل وسكنوها .

وهي الآن مركز قائم مقامية الدروز الصني والعائلة المشهورة فيها هي عائلة بكاوات حمادي الدوزية والذي اشتهر منها علي بك حمادي الرجل الشجاع والسياسي العظيم وسأذكر الافراد اللذين عرفتهم منها في مجرى تاريخي وعائلة بيت الغريب النصرانية التي هي من اصل عائلتنا من الكوارزة من بشري حضر جد هذه العائلة مع امراته الى الشوف ونزل ليلاً خارج بعقلين وبينما هو نايم احس برجل داسه وهرب فاقعد بارودته واطلقها بالظلام فاصابت الرجل فقتل وبعد قليل تراكضت الناس بكثرة اليه وسالوه من هو ولاي سبب اطلق بارودته فخاف منهم جداً وانحبرهم انه بينا كان نائماً شعر برجل داسه فرماه بالرصاص دون ان يعرفه فقتل وقال ها انا بين يديكم فتركوه وذهبوا الى المقتول فوجدوه انه من اعظم اعداهم وكان اتى اليهم في ذلك الليل ليفترس احداً منهم فعندما عرفوه ركضوا وراءه فهرب وبينما هم سائرون سمعوا صوت البارود فتوجهوا لحمل الصوت ورأوا الرجل وكان هذا العدو من بيت الحرّ عائلة كانت ساكنة بعقلين فافتنها بيت حمادي وكانت اللقمة على بيادر القرية فالرجل الذي قتله غريب كان هارباً وكان يسطو ليلاً عليهم فعند ذلك انسروا منه لانه خلصهم من عدوهم وصموه غريب للتحب وادخلوه البلد وقطعوا معه عهداً واسكنوه معهم وهذه العائلة تفرقت الآن في البلاد فهنا بيت البقلي في الشوير وبيت الغريب في دير القمر اللذين منهم عيد الغريب المتزوج بابنة ابن خالتي سلم بك طرابلسي اميرالاي العسكر اللبناني وهي السيدة حبوبة .

وبعد ان قطعنا السقمانية وطينا على دير القمر التي هي امامنا للشمال عرجنا على بتدين الامير التي عمرها الامير بشير الشهابي وجلب لها الماء من نهر الصفا وهي الآن مركز حكام لبنان وفيها السراية العظيمة ولها تاريخ مخصوص نذكره ونذكر بعض امور على الامير بشير بالاختصار لان تاريخ الاعيان يكفي عن كل شرح .

بتدين

هي لفظة سريانية معناها بيت الحكم أو الدين كانت أولاً خطوة للدروز غير ان الامير بشير عندما حضر مع جاريته اليها حضر لعند ابي علي صاحب الخطوة وكان يأكل عنده وقبلما اتصل الى حكم لبنان وكان مستخدماً عند الامير يوسف ارسله الامير يوسف الى حاصبيا لاجل اختلاف وقع هناك بين امرأة وورقة زوجها المتوفي وكانت هذه الامراة من الشهابيين وكان مراده الزواج بها قبل زواجها لحاصبيا وكان غنية وتوفي زوجها بدون عقب فذهب الامير بشير لاجل تسوية الخلاف فتم الصلح بتزويجها للامير بشير المصلح فحضرت الى لبنان مع بعلها واشترت بمالها بيت الدين ومزرعة الجية التي هي على طريق صيدا بجانب النبي يونس فلما حكم الامير بيت الدين شاد فيها السرايا وترك دير القمر التي كانت مركز الامراء المعنيين من زمان قديم وسكنها الشهابيون وقد جلب لها الماء من نهر الصفا وبني المقاصف للصيف واحيا تلك الأرض واضحت جنة بعد القفر وقد وصف للمعلم بطرس كرامه الشاعر المجيد النهر عند وصوله الى دار

السرايا وقذف الماء من التوفرة وصبه في وسط الدار في بركة وهذه البركة مزينة بالصمصاف المكتى بالمستحي المتدلية غصونه كشور الغيد .

دار في دار المنها مثل العريس	يتللا في رداء جوهري
حولها السرو كمشاقي عيس	في رداء من حرير اخضر
تبغني لثم عجميها النقيس	والحييا بمنهما بالنظر
خلتهن قسايم خدما	حولها منعطفات الرؤوس
وعليها ساهرات تبا	تلتوي اعناقها بالنمس

وقد انفق الامير كل ما له لاجل بناء هذه الممارات الفاخرة وكانت تشتغل فيها البلاد والاكل من دار الامير ولا تقدر المبالغ التي صرفت والاعباب التي تضح على هذه البنائات فبالعموم هو اعظم محل في سورية ويزيد هذا المحل رونقا قناة الماء فيعد ذهاب عزها ورحيل الامير عنها وتوفيه في الاستانة ورجوع عائلته من النبي وتعين معاش لهم من الدولة العلية حضرت امراته الثانية وهي الست حسنها التي ولدت له ابنتين فقط وهما الست سعدى والست سعود واما اولاده الذكور ولدتهم له امرأته الاولى الحاصبانية التي توفت في بيت الدين ودفنت في جنية السرايا وقبرها هناك لحد الان والست حسنها كانت على جانب عظيم من الكرم فاعطت اكثر ما لها للاديرة والرهبان والخوارة وللخدم وكانت سراية بيت الدين والمقاصف والقناة ملكها قد اعطاها اياهم الامير فعند سنة الستين وتنظيم الحكومة التصرفية في لبنان قد اشترى المنصرف الاول داود باشا السرايا وعماراتها بستة الاف ليرة واشترى منها المطران بطرس البستاني المقاصف والقناة ونقل كرسبه من مشموشة اليها بعد حركة الستين بمال زهيد وعين لها قدايس ابدية عن نفسها فهذا انتقلت بيت الدين من الملك الخصوصي الى العمومي فالسرايا للحكومة اللبنانية والمقاصف والقناة لكرسي المطرانية ولم يبق للامراء شيء من املاكهم ولا دفن احد مهم فيها ولو لم تشتري الحكومة السرايا ويشترى المطران المقاصف لخربت بتدين من مدة مديدة .

وستتكم عن حضور الست حسنها من مصر سنة ١٨٧٣ وعن حضوري معها وعند مروري في بيت الدين كان ابتدا الاصلاح فيها بعد سنة ١٨٦٠ وكان عمار بيت الدين خاليا بين سنة ١٨٠٨ وسنة ١٨٣٠ .

دير القمر

هي عاصمة لبنان تعلو عن البحر ثمانماية متر على سفح جبل متجه للقبلة قبل وصولنا اليها نزلنا بوادي وقطعنا على جسر هناك ثم صعدنا الى ان وصلنا اليها ونزلت ضيقاً على المرحوم الشيخ زيدان افرام البستاني زوج خالتي هدله ابنة ناصيف الجزيني وكان وصولنا عنده غروباً فلم تعرفني خالتي حتى عرفتها بنفسي فقبلتني وترجبت في بيت عندها تلك الليلة .

وقد كانت الدير منذ القديم مسكن الامراء ومحط الامل ونخبة الرجال والذي رفع شأنها اولاً هم الامراء المعنيين كانوا يقضون فصل الشتاء فيها كونها ادنى بالنسبة الى بعقلين ويوجد فيها الى الان بناية باقية من تلك الأيام وهي المسماة بالخرج وهي من بناء للمعنيين وسكنها بعدهم الشهابيون والسرايا الموجودة الان هي من عمل الامير ملحم الشهابي وعندما تولي الحكم الامير بشير انتقل الى بيت الدين وكان عليها من جملة المقاطعة مشايخ بيت ابي نكد .

وبعد ذهاب الامير بشير اصبحت بيد متسلم من قبل والي بيروت وبعد سنة الستين عينت عاصمة لجبل لبنان ومركز حكومتها في بيت الدين وقد اقام فيها داود باشا مدة اما الان فهي مديرية بذاتها واستضاف دعاويها للمركز المتصرفي رأساً قيل في تاريخها السماعي المتناقل ان احد الكلاب بيتا كان يحفر في الأرض هناك (لان الدير كانت احراش ومحل المواشي) وجد ماء ففرحت الناس بهذا الماء فحالا نقلوا الى الدير وعمروها وعندما حكم الامير بشير واعطى الامان هرعت الى الدير كل العيال الشهيرة من المدن التي كانت متضايقة فيها ولذا ترى اسماء العيال في الدير يدل على اصلها مثل بيت طرابلسي والعاكوي وبعض عيال اخرى واما العيال الاكثر عدداً وشهرة بالدير هم بيت البستاني وبيت نعمه وبيت أبو شاعر وبيت ثابت من الموارنة وبيت مشاقه والدوماني وبيت الجاهل والصوصه من الروم الكاثوليك .

اما عائلة آل مشاقه قد ذكر لي العالم العلامة الدكتور مخايل مشاقه عندما كنت في دمشق ان اصل عائلته من ادفو كانت تابعة لحكم الانكليز واعطيت لليونان فحضر جدهم الى سورية وكان يتعاطى بيع وشغل المشاقه الحربية فغلب عليه اسم مشاقه وان احد اجداده كان ماهراً في الكتابة والحسابات فاخذته الجزائر الى عكا وجعله من عاله وحكمه في بلاد بشاره وعندما عرف الجزائر انه جمع مالا كثيراً دعاه اليه وقتله وسلب امواله فهربت زوجته الى صور وكان لها ولد عزيز لديها وهو وحيد فبلغ الجزائر انها اخفت مبلغاً من الدراهم فارسل وامسك ولدها ونادى من يستفك هذا الولد من القتل بخساية ليرة والمهلة ثلاثة ايام فاخذت والدته الخمساية ليرة ودفعته للجزائر وخلصت ولدها وبعد مدة اعيدت العملية ذاتها الى ان استفكته بخساية ليرة اخرى وقد عرفت ان في كل مدة يعمل هكذا عمل فاخذت ولدها وهربت الى دير القمر وهذا هو اصل العائلة فهذه العائلة كريمة الاصل ذات عقول عظيمة اتخذ افرادها العلوم والمعارف ونالت الشهرة وساد ذكر عند وجودي في دمشق الدكتور مخايل مشاقه لاني عرفته فيها .

فعلى العموم عندما ساد الامن في لبنان تجاه امراء النظام ابتدأت النصارى تأتي اليه من كل المدن وقد حضر النصارى الى جنوبيه مدة الامير فخر الدين كما قلنا والى دير القمر في زمن الامير بشير والذي حاز اعظم شهرة منها هو جرجس باز مدير اولاد الامير يوسف الشهابي الذي عمل لهم حزب عظيم في البلاد وبني سرايته الشاهقة في دير القمر ولم تزل للان وهي بالحقيقة دار امراء وبعد تولي الامير بشير اخذ اولاد الامير يوسف وسكن معهم في بلاد جبيل وبني هناك قصره .

ولاحقه عبد الاحد شهرة عظيمة ايضاً خصوصاً في بلاد جبيل وقد قتلها الامير بشير قصد ان يخلص الدير من سيادتها فلذلك ارسل اخاه الامير حسن مع التلاحقة الى جبيل لقتل عبد الاحد وقتل جرجس بالدير واتفقا على قتل الاثنين يوم واحد وهكذا صار قسر بذلك الامير بشير وحكم دير القمر بدون معارض .

فبالاجال ترى ان دير القمر جمعت احسن رجال لبنان وحثت فيها كل اجناس الفضائل كالشجاعة والكرم والمروة وعزة النفس فلو مات احدهم من الفقر فلا يمه وكلهم اصحاب اشغال وصنائع متفنة كالتجارة ونسج الاقشة الحريرية والصباغة وخلاف ذلك ولم على بعضهم غيرة عظيمة ويحبون الضيافة والتزبل عندهم وللان لم تصب لبنان مصيبة الا ويدفعونها عنه بكل شهامة اطباعهم حدة فلا يمكن ان ترى منهم مراء لان عزة النفس تمنع الانسان عن الفس ونسائهم افضل نساء باللفة والطهارة وحب الزوج فلا تعرف المرأة منهم سوى كنيسة التلة وزوجها وقد قال احد مختبري البلاد انه لا يوجد في دير القمر صبوراً لان كل اهاليها ذوي امزجة عصبية حدي الطباع فلا يستطيع احد مازحتهم واذا حشرتهم يسبون لك دينك وادابهم العظيمة لم تزل محفوفة عندهم للان .

الارابي في دير القمر

ان خالتي الكبيرة المسماة حبوبة تزوجت بالمرحوم خليل الطرابلسي الشهير والد سليم بك طرابلسي الذي صار اميرالاي متصرفية لبنان وله اولاداً منهم خليل بك الذي سلك مسلك والده واصبح الان صاقو لغصي في لبنان وكذلك ابراهيم بك مستمل ادارة الاملاك وحليم بك وانيس بك والثانية هدلا ، زوجة الشيخ زيدان افرام البستاني ومنها ولدان امين افندي الذي هو افوكا مشهور الآن في مصر والثاني شاكرك بك الذي سمته خالتي على اسمي وهو الآن عضو في دائرة الجزاء في لبنان والاغرب من ذلك ان هذين الشابين علم نفسها دون مدارس كل العلوم العربية بحيث اصبح امين أول كاتب فيها وشاعر وتعلم الفرنسية ايضاً وكذلك شاكرك بك صاحب الشهرة بالذكاء والاقدام .

المشهورون في دير القمر بزمني

ان الذين اشتهروا وعرفتهم في زماني من الدير هم احسن رجال الجبل منهم شاكرك افندي شاول وبشاره افندي نحول وولده داود الصبيدلي الشهير وكذلك اصلق اهل زمانه خطار افندي ثابت وابن عمه سليم افندي رئيس ديرة الحقوق وكذلك عمون بك وعمون واخوه انطون بك واولاده وجرجس افندي صفا واخوه المرحوم ديب وولده اسكندر صفا وسعيد بوفياض ومخايل عيد رؤساء محاكم وجملة ضباط اشهرهم برتبة يماشي المرحوم اسكندر بك طرابلسي ونمر افندي شمعون وكذلك افراد بيت مشاققة كالمرحوم جبران ورفول واولادهم هما الذكوران داود وسليمان واذا ذكرت الجميع يلزم لي بمجلد مخصوص وكذلك في

القنا والجاهه المرحوم نقولا افندي الدوماني وولده حبيب وترى بالديرين من كل الرجال ان كان للسياسة أو للشجاعة أو للكرم أو للعلم أو للمعارف أو للصناعة أو للمرأة الى اخره .

والذي تفتخر بهم الدير هم اولاد المرحوم انطون بك عمون فسلم بك تقلد جملة قائممقاميات في لبنان واسكندر بك في مصر مع اخوته اذكهم عند سياحتي الى مصر وكذلك رؤساء البك العثماني في سلوتيك يوسف افندي لطيف وفي دمشق غالب افندي شاوول وابراهيم افندي ديب من الذين خدموا الحكومة بامانة وولده الشهير اوغست اديب ومن التجار العظام سليم افندي عكاوي ووالده المرحوم قانعقام زحله سابقاً وجملة اناس الذين عرفتهم .

فبارحنا دير القمر صباحاً مع رفيقي فارس وحجاره ولم نكد نبعد عنها مسافة ساعة من الزمان حتى وصلنا الى قرية بشنخين ومعناها بيت الشركاء تطلو عن البحر سيعاية متر وتبع المتاصف من مقاطعة بيت أبو نكد .

بيت أبو نكد

وهذه العائلة من مشايخ الدروز حضرت الى لبنان سنة ١١٢٠ لما قدم الامير معن الايوبي الى الشوف وكانوا من اعوانه اصل هذه العائلة من قبيلة من عرب الحجاز توجهوا لفتح مصر وبلاد المغرب واقاموا في مملكة مراكش وفيها تسموا ببني نكد وعندما اختلف الامير حيدر الشهابي مع محمود باشا أبو هرموش سنة ١٧١١ كانوا من اعوانه وشاركوه في حرب عين داره على محمود باشا أبو هرموش المذكور وهم على كبيرهم واخوه نجم ويوسف فقاطعهم الامير حيدر الناعمة وما يليها وكتب الى علي الاخ العزيز بذلك تسمى شيخاً .

فهذه العائلة من اشجع عيال لبنان ولها مآثر حميدة ودير القمر والمتاصف من عهدها وقد كانت المتاصف اولاً لبيت حمدان ثم اخفتها النكدية وقد كانوا في غناء عظيم وهم الذين اعطوا لدير الناعمة ارضاً لبناء واشطروا على الرهبان ان يكون صاحب المقام بطل فينوا الكنيسة والدير على اسم مار جرجس راكباً حصاناً وحاملاً رماً فاحبوا الدير وساعدوه واعطوه املاكاً وان شئت الاطلاع على تاريخ هذه العائلة فعليك بتاريخ الاعيان في جبل لبنان وسأذكر من بحري تاريخي من عرفت منهم واشتهر في زمني .

جسر القاضي

ثم نزلنا الى نهر الصفا وهناك شاهدنا جسراً يدعى جسر القاضي لان القاضي التنزيخي من يصور بناءه قبل انه عندما كان يشتغل في مطاحه على النهر مرت امرأة وكشفت عن ساقها لقطع النهر فعندما رأتها الفعلة ضحككت فتكدر القاضي من ذلك فترك المطاحن وابتدأ بعمل الجسر .

انظر اداب هذا الرجل وما كانت اداب ذلك العصر ويخرج هذا النهر من تحت عين زحلته ويجمع مع نبع القاع ويتزلان سوية الى هذا المكان ويصبان في البحر وهنالک يأخذ اسم الدامور .

الدامور

وهي لفظة سريانية معناها العجب (واسم الاله للفينيقيين) وهناك يسرى اراضي المعلقة وستكلم عنه فيما بعد وهذا الجسر أي جسر القاضي يبعد عن دير القمر ساعتين تقريباً ثم ابتدأنا نصعد علواً على طريق اسمه الشحار الى ان وصلنا الى .

عيناب

فعيناب لفظة سريانية معناها عين الاب وهي من مقاطعة مشايخ بيت تلحوق .

مشايخ بيت تلحوق

اصل هذه العائلة من جهة قبله من الغرب من عائلة تسمى بيت عزيز من عرب جزيرة الفراتية اتوا مع الامير معن الايوبي الى الشام فاستدعاهم الامير عامر الشهابي اليه الى حوران واقاموا هناك ثم انتقلوا الى وادي التيم واقاموا بها مدة وجيزة وسنة ١١٤٤ انتقلوا الى بيروت لفترة حدثت بينهم وبين الامراء الشهابيين واقاموا في رأس بيروت فحدثت فتنة بينهم وبين احد امراء بني الحمراء فقتلوه ونزحوا الى ارض الفيجينية بين الشوفيات وكفرشبا وعمروها ثم حدثت فتنة فيما بينهم وبين الامراء آل جمال الدين التنوخية الجينية فدهمهم هؤلاء فقتلوا منهم تسعة انفار ونجى ثلاثة وفروا الى حومال وتوفي اثنان منهم وبقي واحد اسمه أحمد مكى ابا جنبلات الذي ذهب الى عيتات لطلب اهلها وتوطنها .

ثم ان الامير حيدر الشهابي مكافأة لحمد وولده اللذان رافقاه في شر عين داره قاطعها الغرب الاعلى بعدما نزع من يد الامير يوسف الارسلاني واللذين اشتهروا في زمانى هم سعيد بك تلحوق وملحم بك وفي زمان صغري حسين بك الذي اشتهر بفصاحته وشجاعته وكل من التلاحقة لحقه دور يكون فيه مديراً على عاليه .

واذا اعتبرت المبدأ الحسن فكل افراد هذه العائلة معتبرين ومن اهل العلم ففهم الشيخ فريد صيدلي قانوني في بيروت ووالده حمد بك وعمه عبدالله بك مدير عاليه الحالي وعبد الحميد بك تلحوق بمباشي الجندرية سابقاً وعلي بك تلحوق رئيس محكمة الشوف حالياً .

فعيناب بلد شرحة ذات مياه عذبة باردة يقصدها المصطافون من بيروت لجودة مائها وبهجة منظرها لانك ترى منها بيروت ورمالها واحراشها وسجواء الشويفات وكل القرى باسفل منها والبحر المالح وهي تملو عنه غاماية متر فجلستنا للراحة وشربتنا من مائها العذب الكائن على الطريق وفيها يوجد خانات للمسافرين تخص المشايخ بيت تلحوق وبعد ان قطعنا عيناب اخذنا ننحدر في درج يسمى درج عيناب ويعدو وصلنا الى قرية عين غنوب وهي جنية الشوف وللأمراء الارسلانية دور شاهقة فيها ومنها توجهنا الى بسابا .

بسابا

لفظة سربانية معناها بيت الشيخ وهي ملك الامير افندي الشهابي لها عين ماء عذبة ودكان امامه شجرة سنديان قديمة يستظل تحتها المسافر وكانت احسن مركز على الطريق .

الشهابيون

اصل هذه العائلة من سلالة مرة الذي ولد له ثلاثة اولاد كُلاب وتم ويقظة .

فن سلالة كُلاب قضي وعبد قنان وهاشم وعبد المطلب وعبدالله ومحمد نبي العرب (صلم) صاحب الشريعة الاسلامية .

والثاني تيم من سلالة ابو بكر الصديق .

والثالث من يقظة مخزوم بن عمر بن عبدالله ولعبد الله المغيرة وللمغيرة هشام ولهاشم الحرث .

في ٩ تموز الموافق اول صفر من سنة ٦٢٢ لما هاجر محمد بن عبدالله نبي العرب الهاجري (صلم) امن به الحرث وعبد من الصحابة وحضر معه واقعة صفين فاكرمه بمائة ابل وفي سنة ٦٢٤ حضر معه يوم بدر وامن به ايضا ولده مالك .

في سنة ٦٣٣ ارسله ابو بكر مع ابي عبيدة الجراح لفتح دمشق وامره على بني مخزوم .

في سنة ٦٣٥ حضر مع عشيرته الى دمشق مع خالد بن الوليد وقتل الحرث وسنة ٦٣٦ امر عمر بن الخطاب ولده الامير مالك ان يقوم في حوران وسكن الشهاباء .

وفي سنة ٦٦٦ توفي الامير مالك بعمر ٥٢ وولايته ٣٠ سنة .

وسبب تلقب مالك بشهاب ان امه كانت من ذرية شهاب القريشي من رباط امه ام النبي (صلم) وتسمت ذريته بشهاب تبركاً .

وفي سنة ١١٨٢ م توفي الامير عمر وتولى بعده ولده الامير منقذ وهو الذي ترك حوران بعد ان حكمتها عائلته خمسين سنة وثلاثين سنة وسبب ذلك وقوع الضغينة بين نور الدين ملك دمشق وصلاح الدين الايوبي ملك مصر وكانت بني شهاب من حزب صلاح الدين حين اتى البلاد الشامية فلهذا السبب خشي الامير منقذ من نور الدين ورحل مع عشيرته من حوران واقاموا في صحراء الجسر اليعقوبي يرومون الذهاب الى مصر وكانوا نحو خمسة عشر ألفاً .

وسنة ١١٨٣ لما بلغ نور الدين رحيلهم ارسل لهم خلعاً وهدايا وطلب منهم ان يرجعوا الى محلاتهم امنين فرفضوا فامرهم على البلاد التي نزلوا فيها اي بلاد حاصيا بعدما حاربوا الافرنج وطردوهم منها .

وعندما عرف الامير يونس المعني بنجاح الشهابيين وطرد الافرنج فرح وحضر ليزور الامير منقذ وبهتته بالنجاح فرد الأمير منقذ مع ولده محمد الزيارة للأمير يونس الذي استقبلهما في الباروك ثم توجهوا الى بعلين ثم طلب الأمير محمد طيبة ابنة الأمير يونس وكذلك الأمير يوسف ابن الأمير يونس طلب سعدى ابنة الأمير منقذ ومن ذلك الوقت جرى الزواج بين الشهابيين والمعنيين .

ولما توفي نور الدين وملك صلاح الدين الايوبي انتم على الشهابيين بالامارة على البلاد التي افتحوها .

سنة ١١٩٣ توفي الامير منقذ وعمره ٦٨ سنة وتولى ٢١ سنة ثم ان احد الامراء المسمى بالامير نجم قد بني له مصيفاً في قمة جبل الشيخ ولم يزل اثره للان والعامه تقول عنه قصر شبيب غلظاً ونظراً لهذا المركز الذي يربك سوريا باجمعها تقريباً وسهول حوران وما وراهما قال الامير فيه شراً .

ومنزله فوق قن الشيخ بت ————— معانق البسط واللذات والطرب
اهدى لنسا من صبا نجد مطرة ————— ومنظراً من بلاد المعجم والعرب

وبالحقيقة انه منظر وحيد في الدنيا وهو شرقي جبل طورا الذي اصيف به ويمكننا نقول عن جبل طورا ما قاله الامير عن جبل الشيخ .

وسنة ١٦٩٦ في شهر ايلول توفي الامير احمد للمني بدير القمر وانقطعت بوفاته السلالة المعنية وانتقلت

ولاية جبل لبنان الى الامراء الشهابيين فتولى الامير بشير ابن الامير حسين ابن اخت الامير احمد المتوفي صاحب راشيا .

وعندما ارسلوا يطلبون تشيته من الاستانة اعترض على ذلك ابن الامير فخر الدين المعني الذي كان منقياً هناك وقال ان للامير احمد ابن بنت تحق له الولاية وهو الامير حيدر فاستحصلوا عن ذلك من والي طرابلس الذي كان يرغب الامير بشير فكذب ان الامير حيدر قاصر في السن فيكون الامير بشير وكلاً عنه ومن ذلك سنة ١٧٠٦ وقد تولى الامير بشير تسعة سنين وتوفي مسموماً في حاصبيا وذلك انهم عملوا له ملابس احمر وايض فكان الاحمر مسموماً فاكل منه فتوفي في صفد ودفن في صيدا في تربة المعنيين .

فحكم الامير حيدر الشهابي في لبنان وجرت بينه وبين محمود باشا أبو هرموش الحرب سنة ١٧١١ فانتهز الامير الى غزير فقتله الباشا وحرق غزير وعمل تاريخها « ندمت غزير » فهرب الامير حيدر الى الهرمل وبعد رجوع محمود باشا أبو هرموش اليه اجتمع في عين داره من لبنان مع حزب البنية للملاشة القيسية وكان مساعداً على ذلك والي دمشق وبينما هم في عين داره دهمه الأمير حيدر الذي رجع الى المتن وجمع الرجال مع مقدمي ابي اللمع الذين كان يومئذ رئيسهم المقدم حسين وهجموا على عين داره وعملوا السيف في البنية حتى انقطعوا وامسكوا محمود باشا وقطعوا لسانه وفأوا عينيه ومن ذاك الوقت انقطع حزب البنية في لبنان وبعد هذه الواقعة امر الامير حيدر مقدمي بيت ابو اللمع .

سنة ١٧٣٠ توفي الامير حيدر الشهابي بدير القمر ودفن في مدفن المعنيين وعمره ٤٧ سنة وكانت ولايته ٢٥ سنة وتزوج اربع نساء ومن هذه الاربع تكون سلالات بيت شهاب في لبنان الاربع وله تسعة أولاد فالذي حكم بعده ولده الامير ملحم وبعد الامير ملحم الامير منصور ثم الامير يوسف ثم الامير بشير الشهير الذي نذكر عنه اكثر من الجميع وفيه انتهت امرية الجيل فكان يقول اولها بشير واخرها بشير فالامير بشير هو ابن الأمير قاسم بن عمر بن حيدر الامير اللبناني الاصيل وقد توفي والده في غزير وارخه الشيخ احمد القرمفتي بيروت شعراً .

ابا قاسما قد فقت مجدداً على الوري وسرت الى العلياء جيباً مسيرك
فن بالشهابيين مثلك ارتقى الى درج العلياء ارخ نظيرك

سنة ١١٨٠ هجرية

ولد الامير بشير ابن الامير قاسم سنة ١٧٦٧ وتولى سنة ١٧٨٨ وتوفي في اسلامبول سنة ١٨٥٠ ودفن في كنيسة الارمن الكاثوليك تولى ٥٢ سنة وكان عمره ٨٤ سنة وقد زرت قبره في الاستانة مدة سياحتي ١٩٠٣ وله ثلاثة اولاد الامير قاسم والامير خليل والامير امين الذي توفي بلا عقب وجميعهم توفوا في

الغربة والذي عرفتهم من الشهابيين هم الامير سعد ابن الامير خليل الذي كان غنياً شفوفاً محباً
للاصحاب عديم الضرر تقلب في كل وظائف لبنان العالية وفي جميع القاعقيات ورياسة مجلس الادارة
وتوفي عن الامير خليل والامير فايز والامير فؤاد والامير فايق الذي خلف والده بصفاته ووظيفته في
القاعقيات والامير خليل من متوظفي نظارة الرسومات في الاستانة .

ومن المعب انه بعدما قرأت هذه المسودة ونظرت اسم الامير خليل قرأت جريدة لسان الحال اليومي
المؤرخة الخميس في ٦ شباط ١٩٠٨ غربي ان الامير خليل توفي في بيروت .

والأمير فايز الذي تعلم الطب وتركه ودخل في سلك الجندرمه وهو فيا للآن وأما الذي عرفته جيداً هو
الأمير سليم منصور الذي له جملة من قصايد التي سأذكرها وكذلك تعرفت بالأمير سليم عبدالله وأخيه
الأمير منقذ وسأتي ذكرها في ظروف وحوادث جرت بيننا .

تنصر الشهابيين

اول من تنصر من هذه العايلة الامير علي حيدر من وادي شحور سنة ١٧٥٤ عن يد الخوري مخايل
فاضل البيروني من عائلة ابو كاروز توفي هذا الامير سنة ١٨١١ ودفن في كفرشبا مورانياً وسنة ١٨٤٢ تولى
الامير بشير ملحم بعد ذهاب الامير بشير وتوجه الى الاستانة .

وفي هذه السنة اي ١٨٤٢ قسم لبنان الى قاعقتين قاعقيات للنصارى تولوها بيت آبي اللمع ومركزها
برمانا وقاعقيات الدرروز تولوها بيت ارسلان ومركزها الشوفيات .

الامراء بيت ارسلان

في سنة ٧٥٠ مسيحية لما قدم الامير ابو جعفر المنصور العباسي الى دمشق قدم اليها من بلاد المعرة
الامير المنذر بن مالك واخوه الامير ارسلان فآكرمها الامير ولعلمه ان مرده لبنان قاطعين عليه الطريق
وحامين الجبل وكل مدة يهجمون على بيروت امرهم بالتوجه الى جبال بيروت .

في سنة ٧٥٩ قدم الأمراء الى لبنان وتفرقوا فيه فالأمير محمود قطن الغرب والأمير ارسلان سكن سن
الفيل وحدث بينهم وبين المرده وقايع مهولة في نهر الموت ومن تلك المواضع تسمى النهر بنهر الموت لأنه جرى
فيه الدم كالماء وهذه العايلة هي العائلة الدرزية الأميرية في لبنان فلذا كان جميع العيال طابعة ومقرة في
تقدمها عليها فلذلك عندما انقسم لبنان الى قاعقتين كان القاعقام منها ولم يزل الى اليوم .

قائمة المراجع

عندما انقسم لبنان الى قائمتين للثيالية للموارنة والجنوبية للدروز كانت العائلة الدرزية المختصة بالقائمة عائلة امراء ارسلان كما قلنا واول امير تسمى قائمتها هو الامير احمد وبعده الامير امين الذي اخبرني عنه والدي لانه كان يحضر اليه من قبل سعيد بك الذي كان مقاطعني تحت امرته انه كان من اعظم رجال العصر بالقطنة والشهامة والاقدام وكان الجبل بيده يديره كيف يشاء وكان من رجال الدولة العظام وعليه الاعتماد في كل سياسة الجبل وهو الذي جعل والدي مأمور الانفس في اقليم جزين لان الاقليم كان من قائمته وكان الشيخ ناصيف اليازجي شاعره الخاص وله فيه القصائد الغراء وقد توفي قبل سنة الستين وجلس محله ولده الامير محمد الذي شاع ذكره بالعلوم والمعارف حتى استحق ان يكون من اعضاء الشورى في الاستانة فطلب وتوجه اليها وعند توجهه مر بالقاهرة وزار مدرسة الطب قصر العيني وكنت يومئذ فيها وانا الذي استقبلته وعرفني بنفسه فجمعت جميع ارفاق الشوام ومشينا امامه الى المشرحة وخلفها وكان يستمعهم عن كل شيء دليل حبه للمعارف وقد توفي في الاستانة بسبب لم يحدث لحد الان مع بشر ولا ذكر ابدا وهو تسمم بقطرة الاترويين اي تسمم من القطر بينه وقد نظرت ذلك في كتاب طبي للمعين اتى به مثلاً لنواد الاترويين وعندما تشكل نظام لبنان اصبح قائمات الشوف مدة دواود وفرنيكو باشا الامير ملحم ارسلان الذي كان مشهوراً بالسكينة وحب السلام وعندما حضر رسم باشا اقام بدلائمه الامير مصطفى ارسلان اخو الامير محمد وابن الامير الأمين وقهرراً عن صفر سنة فانه كان اول رجل مدة رسم باشا بالذكاء والاقدام وقد تعلم عند المعلم بطرس البستاني وعندما حضر واصا باشا اعطى القائمة الى نسيب بك جنبلاط ثم رجعت الى الامير مصطفى مدة نعوم باشا وفي اخر مدة نعوم باشا استعفى وجعل محله الامير شكيب .

وعند حضور مظفر باشا ارجع نسيب بك الى القائمة الذي بعد مدة استعفى وجعل محله الامير سامي ارسلان وبعده الامير توفيق ابن الامير مجيد ابن الامير ملحم .

فالرجل العظيم الان في هذه العائلة واميرها وكبيرها هو الامير مصطفى فانه صاحب اقدام ومعارف وسياسة وعنده اول الرتب والنياشين ولم ترل منه وعزمه كانه في الشبوية ومن اعظم توفيقاته باولاده الثلاث وهم اعظم خلف فالامير امين قائمات السلط الان والامير محمد مستشار سفارة الدولة في السرب والامير عارف تلميذي في الطب وبالحق يقال عنه الامير العارف .

ومن الشراء الفطاحل الامير شكيب واخيه الامير نسيب وكذلك من اصحاب اقدام الامراء اولاد لامير مجيد وهم الامير سعيد والامير امين فحصل جنرال الدولة في بلجيكا والامير فؤاد والامير توفيق قائمات لشرف الحالي الذي ظهر منه من اقدام اكثر من الامال وكذلك الامير سامي فحصل جنرال الدولة في اشتظون .

وبالاختصار ان هذه العايلة الاميرية الدرزية ممتازة فهي التي حفظت مالها ومقامها لان بسبب ما عندها من الشبان الازكياء واصحاب العلوم والمعارف والجد والاشغال فتراهم متفرقين في كل اقطار الارض لاجل التقدم فانها تستمر في هذا المقام الذي ورثته من اجدادها واكرم شاب الان فيها هو الامير توفيق خليل ارسلان لطيف الخلق وكذلك الامير افندي .

قائمة التصارى

بيت ابي الميع

لم يذكر التاريخ قبل موقعة محمود باشا ابو هرموش وتأمير المقدم حسين الذي أمره يومئذ الامير حيدر الشهابي شيئاً عن بيت ابي الميع قهراً عما سالت من امراتها فم يجبي احد بشيء قال البعض انهم كانوا ابراء قبل الشهابين ولا اثبات لذلك وانهم من بني فوارس وغاية ما يعرفه التاريخ اهم مقدمين واظن ان لقب مقدم كلقب امير فقط ان المقدم يكون عسكرياً كقائد جيش والامير ملكياً يامر على القائد مها كان الامير فقد ذكر التاريخ عن هذه العائلة انها من العيال العظيمة ولها دائماً مواقع خطيرة فهي التي ساعدت الامير حيدراً في شرعندارا وكان لها الحظ العظيم في الفوز وكذلك جملة مواقع تدل على اهميتها .

وعندما انتزع حكم الجبل من يد الشهابيين كانت الامراء الممعين من اعظم ورتاءها لان اول من تعين قائماً على التصارى هو الامير حيدر كان منهم ثم بعده الامير بشير احمد الذي بقي لحادثة الستين وعند تنظيم لبنان كان دائماً قائماً المتمعن منهم فالذين عرفتهم في هذه الوظيفة هم الامير يوسف علي الذي كان شهماً كريماً وقد عرفت الامير قبلان رئيس مجلس الادارة اليوم وهو رجل عظيم سليم الطوبه كريم صاحب اقدام وصاحب صدوق لاصحابه وكذلك الامير يوسف اسماعيل الذي حاز جملة مناصب وقد عرفت الامير امين منصور الذي كان داهية ذلك الوقت في السياسة وعرفت جملة امراء مهم يضيق المقام عن ذكرهم .

الشوفا

مركز قائمية الدروز بسبب سكن الامراء الارسلان فيها سابقاً والان هي لفظة سريانية معناها السهل ربما تسمت بذلك باسم الصحراء الشهيرة امامها وهذه الصحراء من الزيتون قديمة جداً ولم تزل للان كما كانت من زمن الفينيقيين والرومانيين .

وعندما ابتدئت متصرفية لبنان ابتدئت تكون الشوفيات مركزاً شتوياً لقائمقامية الشوف واحياناً لا تكونه
واما الان فقد اصبحت رجبياً مركزاً شتوياً لوجود السرايا فيها التي انشأها نسيب بك جنلاط على مصروفه
الخاص وقدمها للحكومة فكلفتها الف ليرة عثانية وذلك مدة قائمقاميته الاخيرة مدة مظفر باشا وقد انتهت
في سنة ١٩٠٤ .

والعائلة المسيحية التي اعرفها جيداً فيها واعتبرها حقيقة لما ظهر منها من الرجال الكبار هي عائلة بيت
شقيير الذي منها اسير افندي شقيير وابنيه للمرحوم عبد وابنيه سعيد افندي ايضاً والمرحومين فارس وشاكر
وساذكر كل مهم في تاريخي حسب المواقع ومن جملة ما خلقت لنا الشوفيات عائلة المرحوم خليل افندي
الخوري الشهيرة .

فعدا الامراء الارسلانيين يوجد رجال عظام خرجت من الشوفيات .

ومن الاغرب نرى بعض يقع محصية من الرجال كاختصاب خلافها في النبات فاذا تأملنا هذه البقعة
التي فيها الشوفيات وكفرشبا نراها من اخصب الارض في الرجال والعائلات التي اعرفها فيها كافيات
لبرهاني فالارسلانيون من اعظم العيال التي اولدت رجالاً ولم تزل وكذلك عائلة شقيير والخوري واليازجي
في كفرشبا والشميل وتغلا ويوجد خلافهم قلله در هذه الاراضي وربما العدوي بالعلم كالمديني من
الامراض لها تأثير هنا .

دير القرقفة

معناها الجمجمة بالسريانية هو دير على قمة فوق قرية كفرشبا يخص رهبنة الروم الكاثوليك الشويرية
والرهبنة مقسومة الى ثلاثة اقسام للمخلصية التابعة دير للمخلص الكائن في اقليم الخروب وهو اعظم دير لهذه
الرهبنة والشويرية أو الحناوية نسبة الى مار يوحنا الشوير وهو اول دير للروم الكاثوليك واول من استعمل
المطبعة في بلادنا والحلية التي انفصلت عن الشويرية سنة ١٨٢٨ وهذه الرهبانات بقانون واحد وهو قانون
القدّيس باسيليوس وقد دخلت هذا الدير مرة في زمان رياسة الاب اغاييوس المعلوف الذي صار فيها بعد
مطراناً على بعلبك وقد بقي هذا الدير سنة ١٧٦٥ وهو على اسم مار انطونيوس عياط بغابة من السنوبر ولا
يبعد عن كفرشبا سوى ربع ساعة فيبعد ان انتهينا من هذا السلم المبلط بلغنا قرية كفرشبا .

كفرشبا

هي لفظة سريانية معناها قرية الفضة بلدة عامرة يسكنها بعض من الامراء الشهابيين اخصهم من
الذين بعد ان تصروا اتخذوا مذهب الروم الكاثوليك وقد اشتهر من هذه البلدة بزماننا هذا عائلة بيت

شميل وهي عائلة مجيدة ذات عقول ثاقبة وقد احرز من هذه القرية الشهرة في العلوم والمعارف الشيخ ناصيف اليازجي اللغوي الشهير والشاعر الملقب وولده الشيخ ابراهيم امام اللغة والمرحوم ولده الشيخ خليل وصادكر ذلك متى وصلت لوجودي في المدرسة الوطنية لانه كان معلمي في العربية والمرحوم سليم بك نقلا صاحب جريدة الاهرام دفيني في المدرسة ذاتها وعائلته التي بلغت اوج العلا باجتهادها ومنها الاطباء الماهرون والتجار المفلحون والسياسيون العظام واهمهم بشاره باشا نقلا .

فهذه القرية غنية بالرجال والمال مياهاها غزيرة ومركزها الطبيعي على سفح جبل متجهة نحو الغرب وتحت اقدامها غابة من الزيتون تدعى سحرة الشويفات .

وبعد ما مررنا بكفرشبا نزلنا في قناة سر لا ماء فيه في ذلك الوقت يدعى سر الغدير وهذا الهر شتوي وصادكر حادثة جرت لنا به ثم سرنا فبلغنا الى دكان الورور وهناك يوجد بئر ماء .

بئر الورور

يبعد عن كفرشبا بين ربع أو نصف ساعة حوله مخازن للبيج والشراب وخان للمسافرين وفيه بيطار للماشية ومن فوق هذا البئر سطح على اربع قناطر لراحة المسافرين وعندما انفتحت طريق العربات اسفل منه لم يعد يمرّ عليه احد فخرّب تقريباً ومنه استلطنا سهل قرية الحدث وكانت الشمس اذ ذاك قاربت الغروب ولم يعد لها غير ساعة تقريباً .

وبعد مرورنا على بئر الورور وعلى الحدث وصلنا الى بيروت وكان والدي يتظرني في خان الاصفر فانزلي وبنا تلك الليلة عند خالتي بحجمه زوجة غالب افندي البعلقي الطيب وفي اليوم الثاني نجهزنا للتوجه الى عيظورا واخذنا ورقة الكرسي من قونصلانو فرنسا وقبل السفر نذكر شيئاً عن بيروت .

بيروت

لا يمكن الخوض في تاريخ هذه المدينة القديمة التي وصلت الى اعلا الدرجات واسفلها مع تقلبات الایام انما نذكر فقط من هذا التاريخ قسماً باليجازيني بالمقصود ولا يملّ القارئ .

قيل عن اسمها (وهو الاصح) ان باني هذه المدينة هو ايل اول ملك على جبيل كان له امرأة تدعى بيروت واهداها اليها ودعاها باسمها ذكر هذا سكنونيون فقرة ٢ الى ٨ وسكنونيون هذا هو متشرع

الفينيقيين وهو من بيروت نفسها ألف كثيراً وأكثر تأليفه عن عبادات الفينيقيين الأصلية إنما مع الاسف فقدت جميعها إلا القليل منها ترجمها الى اليونانية فيلون الجبيلي في كتاب استحضارات الانجيل .

وقالوا ان اسم بيروت مأخوذ عن الفينيقي بثرث جمع بثر نظراً لما فيها من كثرة الابار وان الجبيلين هم الذين سكنوها أولاً .

قال الاب مارتن اليسوعي في تاريخ لبنان فكيف ان الجبيلين سكنوا فيها قبلما عملت الابار وسموها بهذا لاسم الدال على كثرة الابار فيها مع انه لاجل عمل الابار يلزم مدة طويلة وخصوصاً بانه يوجد فيها نبع ماء يكني لمدينة كبيروت في ذلك الوقت واسم الماء الموجود فيها اليوم يدل على ان اسم هذا الماء فينيقي بركة الدركي الموجودة الان هي لفظة فينيقية معناها (الماء) ذكره فوله .

وكانت تتغير اسمائها واحوالها تبعاً لتغيير الدول التي ملكتها خشق وتسد معها وبها .

انما على رغم تلك التقلبات فقد كانت محبوبة وممتارة امتيازاً خصوصياً من دوحا واذا حققنا في ريخها نراها تقلبت على ادوار شتى نوردها على الترتيب الاتي :

- الاول : الدور الفينيقي من اصل مجهول الى ٧٤٠ قبل المسيح .
- الثاني : الدور الفارسي من ٧٤٠ الى ٣٠٠ .
- الثالث : الدور اليوناني من ٣٠٠ الى ٥٠ قبل المسيح .
- الرابع : الدور الروماني من ٥٠ قبل المسيح الى ٦٣٥ بعد المسيح .
- الخامس : الدور العربي من ٦٣٥ الى ١٠٨٩ .
- السادس : الدور الافرنجي الصليبي من ١٠٩٩ .
- السابع : الدور التركي من ١٥١٦ الى يومنا هذا .

فيتج من ذلك ان بيروت سكنها وملكها كل فاتح وبقي فيها اثر من كل هذه الشعوب وديانهم ائدهم وعلى هذا فيكون اول من سكنها .

- ١ — اهل جبيل آراميون .
- ٢ — كنعانيون .
- ٣ — كلدانيون .
- ٤ — الماديدين هؤلاء ابقوا لها شراثماً .
- ٥ — الفرس .

٦ - اليونان .

٧ - الرومان وقد ضربت نقوداً باسمها يزمان اغسطس قيصر .

٨ - العرب ايام عمر ابن الخطاب سنة ٦٣٥ .

٩ - الاكراد .

١٠ - الافرنج سنة ١١١٠ فتحها بالدين الاول وقطع ادوات الحرب من حرس الصنوبر .

١١ - التركان سنة ١٢٩٠ .

١٢ - الاتراك سنة ١٥١٧ ولم تزل آثارهم للان فاسياء المدن والبلدان والقرى المجاورة لها لم تزل للان على اسمها الاصلى خصوصاً لبنان الذي لم يقر جميع الفاتحين على تغيير اسمه لما في لفظه من السهولة ولوجود احرفه في جميع اللغات .

ولم ترتفع بيروت في جميع احكام هذه الشعوب المتعددة عليها الا في حكم الرومان فقد اوصولها الى اوج المعالي واعطوها حقوق البلاد الرومانية الاصلية ودعوها جوليا باسم ابنه اوجسطس قيصر امبراطور الرومان في ذلك الوقت .

وكانت محطاً للعلم حتى ان الشرائع الرومانية كانت تعلم فيها فهذه هي المدة التي اشتهرت فيها ورغماً عن تقدم صور وصيدا عليها في التجارة وال عمران دامت محافظة على شهرتها بالعلوم والمعارف كما هي الان وفي اخر القرن ١٨ كانت تحت حكم جبل جليل لبنان خصوصاً في ايام الامير منصور والامير يوسف الشهابيين .

موضعها على رأي الدكتور روفيه زميل في مدرسة الطب الافرنسية وكان يشغل بالعاديات هو محل المدينة الرومانية التي كانت تمتد من نهر العذير الى وادي الشويفات ودكان القسيس تحت اسم لاذقية كنعان ارنأى ذلك بالنسبة الى ما وجدته من الانتيكات وهناك يوجد عجائر اكتشفها ولكن لفظة دركي بالنسبة للهاء الموجود فيها تدل على ان اصلها الفينيقي هو محلها الان ولا احب ان ادخل في هذا البحث انما اذكر فقط عن احوال بيوت في ابامي وتقدمها وكيف كانت سنة ١٨٦١ وكيف اصبحت الان سنة ١٩٠٨ .

كانت تجمع بيروت من السكان في ذلك الوقت نحو ٦٠ الفا وكانت المدينة القديمة التي كانت في تلك الوادي المحاطة بسور من الجهة القبلية وهو المحل للمسي الان عصور اي على الصور يقرب بوابة يعقوب وعلى الارتفاع الذي هو غربي بوابة يعقوب بني هناك قلعة ومستشفى للمساكر الشاهانية لم تزل لليوم وكانت بعض بيوت متفرقة مثل شركاء في رأس بيروت وفي رأس المدور وكان لجهة برج الكشف فسحة متسعة فيها شجر الزنزلخت وفي وسطها قناة ماء شتوية وكان برج الكشف يطو ٤٠ ذراعاً تقريباً يدخل اليه بدرج لولبي مثل المأذنة وكانت بجانبه خصوصاً بلجه الغرب بنايات منها دير راهبات المحبة الذي سذكروه

فما بعد وكان على البرج لجهة الغرب محل كومبانية المركبات بين بيروت ودمشق التي نشأت سنة ١٨٥٩ ولم تكن في ذلك الوقت وصلت الى الشام بعد وكانت طرقات البلدة رملية في الخارج ومبلطة في الداخل كما هي الان نظير باقي للبلد الشرقية .

واما بيوتها فلكل بيت تصوية تعلو عن السطح لتحجب كل بيت عن جاره ولهذا التصاوين عيون من ناضل من الضخار لكي تنظر النساء منها ولا ينظرن وخصوصاً لاجل الهواء .

وكانت الخانات محط الغرباء والخيول وغيرها وفي سنة ١٨٦٠ زادت سكانها بمن هاجروا اليها من لثام ودير القمر وحاصبيا وجبل لبنان وانشئت فيها جملة مدارس مثل مدرسة الابهاء اليسوعيين التي كانت وجودة من قبل شرقي ساحة البرج التي اشتراها رعد وهاني وسكنت في جوارها فهذه المدرسة كانت مارجية تعلم الاخرسية والعربية وبعض علوم فالمدارس التي زادت اليوم هي اولاً .

المدرسة الوطنية للمعلم بطرس البستاني سنة ١٨٦٣ .

ثم مدرسة راهبات اللعازريات للبنات .

ثم للمدرسة الطيركية للروم الكاثوليك سنة ١٨٦٥ .

ثم مدرسة الحكمة لسيادة المطران يوسف الدبس للموارنة سنة ١٨٧٥ .

ثم للمدرسة الكلية الاميركانية للعلوم والطب .

ثم مدرسة راهبات الناصرة في البوشرية .

ثم مدرسة البروسيانة في قرب ساحة السمك .

ثم مدارس انكليزية مثل مدرسة مسر موت .

ثم المدارس الاميركية للبنان قرب مطبعة الاميركان التي كانت قبل سنة ١٨٦٠ .

ثم المدرسة الكلية في الياسوعية ومدرسة الطب فيها سنة ١٨٨٣ .

ومدرسة الفرار الاخرسية والمدرسة السلطانية والمدارس الرشيدية العسكرية مما جعل بيروت دار معارف لوم .

وقد أنشئ فيها ايضاً مستشفيات للعازرية والبروسيانة والعسكرية والروم الارثوذكس .

وما زاد في تقدم بيروت وعارها هو انشاء قومية نهر الكلب التي كانت بيد الفرنسيين وباعوها كليز بسبب حرب بين فرنسا والمانيا وذلك سنة ١٨٧٥ وهي تبعد متر الماء بخمس ليرات فرنساوية في سنة وقد انتشت لها ثلاث احواض في مار متر اعلا محل في بيروت ومنها تتوزع على المجلات واصل هذا من نهر الكلب جرتة الكوبانية بقناة الى الضيعة تمر تحت جبال دير مار يوسف البرج وباقي القناة ثوقة الى الضيعة حيث يوجد هناك حياض متسعة لترويق الماء وآلة تقذف الماء بمواسير من حديد الى

احواض بيروت فكثرة الماء في بيروت جعلت البناء فيها يمتد الى كل ناحية وقد اصبح من رأس بيروت الى النهر نحو مسافة ساعتين غرب بشرق ومن البحر الى الحرش مسافة ساعة .

ومما زاد في اتساع بيروت وتجارتها البور أي الميناء التي ابتداء الشغل فيها سنة ١٨٨٤ وكان صاحب امتيازها يوسف افندي للطران الذي ساذكره فيما بعد وسكة الحديد الى الشام التي انتهت سنة ١٨٩٥ وامتدت الى حلب على طريق بطيك وحمص وحماه وكان صاحب امتيازها حسن افندي بهم وقد باع امتيازها الى الكومبانية الفرنسية والترمواي اللبناني الذي ضمها بكسروان وطرق العربات التي امتدت لها من البلدان المجاورة كالحديث وبعدها وسكة النهر وجونية وجبل والبترون وسكة الشام ودير القمر وسائر قرى جبل لبنان وصيدا .

وقد فصلت عن ولاية سوريا سنة ١٨٩٨ واصبحت ولاية مستقلة واول والي عليها كان علي باشا الذي ساذكره فيما بعد وعند دخولي فيها لأول مرة سنة ١٨٦١ لم يوجد فيها سوى جريدة واحدة وهي حديقة الاخبار ولا مطابع سوى مطبعة الالباء الياسوعيين ومطبعة الاميركان ولا عربة واحدة .

واما الان فاصبحت الجرايد كالجراد ولم تزل تزداد وقد ابتدئ عمل الترامواي الكهربائي في سنة ١٩٠٧ .

ولما كانت اقامتي في بيروت اكثر من سواها فساذكر ما حصل لي فيها بالتفصيل .

ولرجع الى مسيرنا في ٢ تشرين الاول سنة ١٨٦١ ركبت بغلاً ونحني فراشي وخرج في ثيابي وركب والذي فرسه وتوجهنا الى عينطورا وهذا ما نظرناه في طريقنا .

نهر بيروت

وبعد سفر نصف ساعة من البرج الى الشرق وصلنا الى نهر بيروت فنبع هذا النهر شرقي دير القلعة وكان اسمه اولاً نهر ماغوراس طول مجراه عشرون كيلومتر يصب في البحر قرب خليج مار جرجس وله جسر ذي قناطر ضخمة لم تزل للان وهو الحد الشرقي الفاصل بين بيروت وجبل لبنان وقد بنى رسم باشا المتصرف مخفراً فيه للمحافظة على الطريق اما عند مروونا عليه فلم يكن هنالك أقل بناء .

وبعد مباحثتنا عن الجسر بنحو نصف ساعة بلجهة الشرق تحولنا الى جهة البحر شمالاً وسرنا على شاطئه الرملي الى ان وصلنا بعد ساعة تقريباً الى ارض صخرية في وسطها بئر قرب البحر عليه سقف فوق قناطر وهو بئر الضيعة التي هي الان جنة ذاك المكان وبعد الضيعة يربع ساعة تقريباً دخلنا وسط صخور وقلعة

طبيعية مرصوفة بالحجارة أصبحت على مرور الأيام لمساء وهي درج نهر الكلب وهي عقبة يتعذر على غير الفارس المجرب ان يجتازها راجياً فترلت مع والذي وقطعتها شيراً على الاقدام وشاهدنا هناك اثاراً قديمة نقشها الفاتحون من الملوك الذين اجتازوا هذا المكان منها صورة وعميس الثاني ملك مصر من نحو اربعة الاف سنة وسنحارب ملك اشور قبل المسيح ٧١٣ سنة والثانية بالفرنسية عن الصاكر الفرنسية التي حضرت سنة ١٨٦٠ وكتابة باللاتينية على الصخور لجهة الشرق من انطونيوس الحكيم تدل على بناء الجسر هناك سنة ١٤٧ بعد المسيح وبعد اجتيازها اجتازنا هذا الدرج وصلنا الى شاطئ النهر وعبرناه بخيولنا ولم نعب على الجسر الموجود يومئذ الذي بناه الامير بشير الشهابي سنة ١٨٠٩ هذا هو نهر الكلب وهذا الجسر يبعد عن هذه المخاضة قليلاً لجهة الشرق .

نهر الكلب

هو الحد الجنوبي لكسروان وسبب تسميته بذلك فهو على ما قاله البطريق اسطفان الدويهي انه بعد ما اصلىح انطونيوس المذكور الطريق في الصخور وضع تمثالاً من حجر كبير على هيئة الكلب وقيدته بسلسلة من حديد معلقة في الصخر وجعل له تقيراً للطعام يقصدون به ان ينههم بعوانه اذا اتى احد ليغزوا كسروان .

وفي سنة ١٦٠٧ قدم بعض تجار الافرنج فقطعوا رأسه وحملوه الى البندقية لاجل الفرجة والبولان تسمى هذا النهر ليقوس ومعناه الذئب وطول هذا النهر ستة اميال ينبوعه من مغارة جعيتا ونجتمع اليه في ايام الشتاء جميع ينابيع جرد كسروان وخلافها .

جسور نهر الكلب

في سنة ١٥٠ قبل المسيح بني له جسراً انطيوخوس ملك سوريا قرب مصبه وخرب سنة ١٤٧ قبل المسيح ثم اقام انطونيوس الحكيم له جسراً وقطع الصخور وبني الجسر وانشأ الطريق السالك الى بيروت على سيف البحر كما هو منقوش على الصخر الكائن امام الجسر القديم من الناحية القبيلة وهذا نص الكتابة .

الامبراطور قيصر مرقس اوديلوس انطونيوس السعيد اغوستوس كبير البرت كبير البريطانيين كبير الجرمانين الجبر الاعظم قطع الجبال المشتملة على نهر ليقوس ونهج الطريق مستهلاً ولقبه بالطريق لانتوناني في سنة ١٤٧ بعد المسيح .

في سنة ١٢٩٢ جدد بناء سيف الدين ابن الحاج في ايام الملك المنصور بكر ابن السلطان الملك الماجر مدد بن قلاوون (الدويهي) .

سنة ١٧٩٣ بعد هدمه اقام الامير بشير الشهابي جسراً غيره وقد هدم .

وفي سنة ١٨٠٩ نقل الجسر الى مكان اعلى من مكانه ولم يزل للآن وهو الجسر الوحيد الذي كان يوم مرورنا عليه .

وفي سنة ١٨٨٩ بني له واصبا باشا متصرف لبنان جسراً عظيماً لمرور العربات على الطريق التي أنشأها على شاطئ البحر فهو اول من سهل هذا الطريق اكثر من انطونينوس وغيره .

وفي سنة ١٩٠٠ انهدم هذا الجسر وجدد بناءه نعيم باشا متصرف لبنان واتفق عليه خمسة الاف ليرا .

وسنة ١٩٥١ انشأت السكة الحديدية اللبنانية جسراً حديدياً لمروها عليه وهذه السكة اخذ امتيازها المرحومان رزق الله خضرا واخوه عبد الاحد من صربا كسروان وقد هدم هذا الجسر الحديدي في اليوم والساعة التي هدم فيها الجسر الاول واقم مقامه آخر محله .

قناة مائه

سنة ١٧٥٠ جرّ الامير ملحم حيدر الشهابي ماء هذا النهر بقناة خصوصية الى الجانب الشمالي وغرس في الوطى اغراساً فكانت تروى املاكه منه بحاناً وضرب ميرة على باقي الاملاك وقد بني مطحنة تحت القناة . ثم بعد ذلك صعدنا شرقاً الى ان وصلنا الى الدوق .

الدوق

لفظة كردية سمّتها بذلك التركان التي انت وسكنتها .

التركّان

قومٌ من التتر اتوا من بحر الخزر ورحل منهم قوم الى خراسان وسبوا نساء تلك البلاد فدعى الفرس نسلهم تركّان فهذه الامة عمرت الاذواق الثلاث ذوق مكاتيل ومصبح والخراب .

وسبب حضور التركّان الى هذه الديار هو انه بعدما ضرب جمال الدين نائب دمشق كسروان سنة ١٣٠٧ مسيحية جلب الى سواحلها تركّان الكورة مع امراءهم آل عساف محافظة على رجوع الافرنج

الصليبيين واهم هذه الاذواق ذوق ميكائيل المدعو باسم احد المقدمين كما ان الاذواق الاخر باسماء مقدميها ايضاً .

ذوق ميكائيل

ان الذوق اخذت شهرة عظيمة في اشغال الالفة الحربية والتصوير على القماش بالحياكة فاصبح اولها متفردين بهذا الفن لم يجاريهم فيه مجار .

قد أنشئ فيها عدة أديرة أهمها دير البشارة للموارنة باسم الشيخ بشارة جفال الخازن الذي توفي بدون عقب ووقفت امرأته وشقيقته هذا الدير باسم راهبات زيارة مريم لاجل بنات عائلة بيت الخازن وكان له اوقاف عظيمة ذهبت من سوء الادارة وكرم المديرين وقد تأسس سنة ١٨٣٧ وكاد يصبح خراباً غير انه قد اخذت الغيرة حضرت الابائي القس لويس الخازن رئيس عام الرهبنة المحلية للموارنة بتجديد بنائه على نسق جديد فابتدى من سنة ١٩٠٦ وهذا الرئيس مثال للغيرة والمروءة فانه يعيد شرف اجداده بعمل المرات .

وعندما مررنا على هذا الدير سنة ١٨٦١ كان رئيسه الخوري يوسف راجي الخازن اعوذج الغيرة والكرم وهو خازني حقة وكان صديقاً لوالدي وقبل الدخول الى كسروان نذكر شيئاً عن امرائه الحقيقيين المدعويين باسم مشايخ وهم بيت الخازن .

وقبلاً نذكر اسرة بيت الخازن نذكر الامراء المعينين الذين هم اول امراء لبنان الذين شرفوا بيت الخازن .

الامراء المعنية

في سنة ١١٢٠ امر طغتكين صاحب دمشق الامير من الايوبي ان يقدم بعشيرته الى البقاع ومها الى لبنان المشرف على البحر لاجل غزو الافرنج في الساحل فحضر الامير الى الشوف الذي كان مقفراً من السكان ونزل بخيامه في مرج بعقلين الذي عمرها وسكن فيها وقد اتحد مع بحر امير الغرب التنوخي .

وفي سنة ١١٤٩ توفي الامير من وقام مقامه ولده الامير يونس الذي في زمانه حضرت الامراء لشهابيين الى وادي التيم وقد أجرى معهم معاهدة وحصل زواج فيها بينهم .

وسنة ١٥١٥ عندما فتح السلطان سليم العثماني البلاد ولي الامير فخر الدين عثمان الاول على الشام جعله مقدماً على الجميع .

وسنة ١٥٤٤ توفي الأمير فخر الدين عثمان وقام بعده ابنه الأمير قرقاز والد الأمير فخر الدين الثاني الشهر الذي يسميه حصلت مهاجرة النصارى من شمالي لبنان الى جنوبيه وسبب ذلك هو .

تربية الأمير فخر الدين

انه في سنة ١٥٨٤ عندما نهبت خزنة الدولة في جون عكار أمر السلطان ابراهيم باشا والي مصر ان يجمع المساكر من مصر وقبرص ودمشق وحلب ويحضر لمقاطعة آل سيف وامراء لبنان فخر الأمير قرقاز والد الأمير فخر الدين الثاني مع ولديه الأمير فخر الدين والأمير يونس ووالدتهما السيدة نسب ومديرهم الشيخ كيوان الى مغارة جزين وتوفي فيها سنة ١٥٨٤ .

فطلبت الست نسب من مدير اولادها الشيخ كيوان ان يخفي ولديها عند احد الامناء في كسروان فلبى طلبها وأخذها ليلاً مع ولادها الى بلونة عند أبي صقر ابراهيم ابن الشدياق سر كسب الخازن لانه قيسي وامين وبعيد عن الجنية ولعدم الشبهة في المكان لانه كان في ولاية بني عساف الجنيين وأصل هذا الانقسام قيسي وبني هو من انقسام علي ومعاوية فكان رئيس القيسية بيت معن ورئيس الجنية بيت علم الدين وكان لبنان تابعاً هذين القسمين .

بيت الخازن

اصل هذه الاسرة من جاج وقد حضر الى كسروان سر كسب بن الياس الخازن الذي ولد ولدين ابا صقر ابراهيم وابا صافي رباحاً فبعدما بقي الأمير فخر الدين واخوه الأمير يونس مدة ستين عند ابي صقر الخازن طلبها خالها الأمير سيف الدين التنوخي من عيه الذي سلم الأمير فخر الدين ولايته على الشوف فتذكر الأمير ابا صقر الخازن وطلبه اليه وجعله معاوناً له في الاحكام واعطاه لقب شيخ .

وفي سنة ١٦٠٠ توفي ابو صقر الخازن فأخذ الأمير عوضاً عنه ابا نادر وبعد حرب الأمير فخر الدين مع يوسف باشا سيفاً ومنازعتة اياه على كسروان وبعد تسليم الأمير فخر الدين هذه المقاطعة الى الشيخ يوسف المسلماني أحد معتمدي آل معن سنة ١٦١٢ سلمها فيما بعد الى بيت الخازن وأقطعهم اياها وعندما تملك بنو الخازن كسروان حضرت النصارى اليه وبنوا لها الكنائس والاديرة وجعلوا لها اوقافاً .

وعندما حضرت الاسرة الجنبلاطية من حلب اتفقت معها وحضنتها عند الأمير فخر الدين .

وعندما ارادت الدروز ان تدفع الى الأمير حيدر الشهابي بدلاً عن الاملاك التي كانت تخص الشيخ

قبلان القاضي التنوخي الذي توفي بدون عقب ذكر وتزوج بابنته الشيخ علي جنبلاط فهذا البلد كان من اهالي الشوف دروز ونصارى ومن جعلتهم بيت الخازن الذين دفعوا خمسة الاف غرش ويدهم علم ان كل امرأة أو رجل افتقر منهم له الحق أن يأكل من بيت جنبلاط وذلك لكي تسلم هذه الاملاك الى الشيخ علي جنبلاط صهر قبلان القاضي وهذه الاملاك تسمى بمال السمية .

فيستج من ذلك ان الاسرة الخازنية الكريمة ما زالت ولم تزل كريمة الاخلاق عبة للخير بعيدة عن الشر ولها فضل على الناس وعلى الاكليروس الكاثوليكي لان كل دير أو مدرسة كانت ارضه هبة منهم وكانوا حامين اشخاص الاكليروس وكان لهم مداخلة فعلية في انتخاب بطرك الموارنة الذي كان يلتجئ اليهم فيحمونه من كل شر كما حصل للبطرك الدويهي .

فترى كسروان بيوتاً متفرقة في البراري دليل الامن في تلك الجهات وكان لها الفضل على كل غريب حضر هذه البلاد خصوصاً اذا كان كاثوليكياً وكانت الباباوات تحميم وكانوا امناء نحو الدولة العثمانية الابدنية القرار .

وبالاختصار لهم الفضل على الديانة الكاثوليكية والانسانية وقد خدم بعضهم دولة فرنسا فجلهم قناصلها .

ارسال والذي الى بيت الخازن

كان والذي كما ذكرنا مديراً لسياسة سعيد بك جنبلاط حاكم الشوف والاقليم وكان سعيد بك من حزب واحد مع بيت الخازن وهذه الاتصالية بينهما من زمان الامير فخر الدين المعني كما قلنا وكان سعيد بك يرسل والذي بامور سياسية الى مشايخ بيت الخازن كما ذكر ذلك الاب الحنوني صفحة ٣٢٩ في تاريخ كسروان قوله وبهذه الفضون ارسل سعيد بك جنبلاط معتمداً من قبله كاتب يده يوسف المخوري البكاسيني الماروني ومعه احد عقال الدروز (وهو الشيخ علم الدين ابن الشيخ قاسم حصن الدين) يخاطب المشايخ الخازنيين قائلاً ان نحرهم ضد قائمقامهم (وهو الامير بشير ابي اللمع) هو آيل الى ضررهم وضرر كامل ذوي الاقطاع في جبل لبنان فالانكشاف عن هذا التحزب هو الاوق والاجدر بهم ان يكونوا حزباً واحداً وغرضاً واحداً ان كان مع الامير أو ضده (لانهم كانوا منقسمين على بعضهم) فاجابه الخازنيون شاكرين معروفه وحامدين زكاه فهمه وانهم صاروا يتصرفون بما هو اوفق الخ .

سبب سقوط بيت الخازن سنة ١٨٥٩ هو عندما انقسمت هذه الاسرة الى قسمين اصبح كل قسم نوي شريكه على ابن عمه حتى قل اعتبارهم عند شركاهم وكان الامير بشير احمد يحرك جماعة الفوق طانيوس شاهين عليهم فجرى ما جرى وكل ذلك بسبب الانقسام فلو سمعوا قول والذي بان يكونوا حزباً

واحداً مع الامير أو عليه لما وصلوا لهذه النكبة وهذا على العموم السبب بسقوط اعيان لبنان وهو الانقسام على بعضهم لحد الان .

فبعد ما جلسنا مدة في الدير رافقتنا الخوري يوسف راجي الى عينطورا لاجل التوصية بي لانه كان له صداقة مع الرئيس وعندما توجهنا الى عينطورا نظرنا دير البشارة للروم الكاثوليك الذي تأسس سنة ١٧١٩ وعمل آخر بناءه بلومانه القاصد الرسولي سنة ١٨٠٨ وقد باعه القاصد الرسولي لوديفيكوس بياني الى الخوجا اسمع عواد وأقام مقامه محلاً في حريصا وعند وصولنا الى هذا المحل كشفنا مدرسة عينطورا التي كان لي ثلاثة ايام مسافراً حتى وصلت اليها وذلك عند العصر .

عينطورا

لغظة سريانية معناها عين الجبل في ١٦٥٢ أعطى الشيخ أبا نوفل نادر الخازن دير مار يوسف الى الرهبنة اليسوعية لاجل السكن فيه سنة ١٧٣٤ في ايام بطريرك يوسف ضرغام الخازن الذي حصل المجمع اللبناني في زمانه سلم البادري بطرس مبارك تدبير مدرسة عينطورا الى الرهبنة اليسوعية .

والبادري المذكور كان مارونياً وهو الذي عمر مدرسة عينطورا من المال الذي جمعه من خدمته لاميير توسكانية ومن مدرسة ييزا الشهيرة وذلك قبل دخوله في الرهبنة اليسوعية وقد دون الاب فرنسيس رئيس عام الرهبنة اليسوعية حجتين احداها بتاريخ ٢٧ شباط سنة ١٧٣٤ والاخرى في ١٠ تشرين الثاني ١٧٢٥ بها يوضح كيفية تسليم الموارنة هذه المدرسة في كسروان ومدرسة زغرنا في زاوية طرابلس لليسوعيين وكيفية ارجاعها للموارنة عند الاقتضاء والحجتان مذكورتان في آخر المجمع اللبناني ومطبوعتان فيه .

وفي سنة ١٧٧٣ تلاشت الرهبنة اليسوعية وحلها البابا اكليمينضوس الرابع عشر بسبب الاضطهادات التي حصلت عليها اولاً من البرتوغال سنة ١٧٥٩ من فرنسا في ٢ تشرين الثاني عام ١٧٦٤ ثم في اسبانيا في ٢ نيسان عام ١٧٦٧ فالبابا اكليمينضوس الثالث عشر لم يلتفت لتشكايات اخصامهم ولكن خلفه خوفاً من أن تمس الكنيسة بضرر الفى هذه الرهبنة ببراءة مؤرخة في ٢١ تموز عام ١٧٧٣ ولكنه أبقاها في مملكتين غير كاثوليكتين لان ملكهما تمسكا فيها وهما روسيا وبروسيا .

فالبابا المذكور ابد اليسوعيين في هاتين المملكتين فعند الغاء هذه الرهبنة استولى بطريرك الموارنة على مدرسة عينطورا في كسروان ومدرسة زغرنا في زاوية طرابلس وفي عام ١٧٨٢ تحولت كل اديرة الرهبان اليسوعيين في الشرق الى الرهبان اللعازريين وذلك بامر البابا بيوس السادس الصادر في ٢٢ تشرين الثاني واسر لويس الخامس عشر ملك فرنسا الصادر في ٢١ كانون الاول فدخلت عينطورا وزغرنا تحت هذه الأوامر .

وعند الساعة التاسعة عرية في ٢ تشرين الاول عام ١٨٦١ دخلت مدرسة عبتورا وقابل والدي وحضرة الاب الخوري يوسف راجي رئيس المدرسة واسمه دير Dupert واعطيا لي ورقة الكونسلاتو فدخلت المدرسة وودعتها ورجعا .

بناء المدرسة في ذلك الوقت

كان بناء المدرسة في ثلاثة دور فالسفل فيه الى الشمال الكنيسة جنب البوابة والى الغرب الاقية القديمة وغرفة المائدة والدار الثانية تقيم فيها الرهبان والرئيس والثالثة للتلامذة وعلى محل للمائدة غرف الدرس .

ترتيب المدرسة اليومي

نقوم من النوم على صوت الجرس صباحاً ونصرخ جميعنا Déogratia اي الحمد لله ثم نركع في الفرشة ونصلي صلاة مختصرة وهذه الصلاة نمرة ١ ثم نلبس ثيابنا ونغسل اوجھنا ونترل الى محل الدرس العمومي وهناك نصلي صلاة الصبح الطويلة نمرة ٢ ثم نجلس الى دروسنا وبعده نذهب الى الكنيسة لاستماع القداس وهناك نصلي نمرة ٣ ثم منة نذهب للمائدة وقبل الاكل نصلي نمرة ٤ ثم نأخذ الاكل بيدنا ونذهب الى الخارج لان هذا الاكل مكوّن من قطعة من الخبز مع الجبن أو قريشة بشرى ونكل الاكل وقت لعب الصبح .

ثم بعد هذه التزهة القليلة ندخل الدرس العمومي حيث يفرّق ناظر الدروس كل فرقة الى مدرستها ويكون معلم تلك الفرقة منتظراً على باب الدرس فيأخذ التلاميذ بانتظام الى مدرستهم وعندما ندخل نصلي نمرة ٥ فيسمع المعلم الدروس السابقة ويعطي الجديدة مع فرض الكتابة وقبل خروجنا نصلي نمرة ٦ ثم نذهب الى محل التزهة نمروا من ربع ساعة ونعود للدرس العمومي لاجل الكتابة فنصلي في الابتداء نمرة ٧ ثم نتوجه الى المائدة لاجل اكل الظهر فنصلي اولاً نمرة ٩ فيجلس كل واحد في عمله وامامه في الطاولة درجاً فيه ملعقته وشوكته وسكينه وكل عشرة يفرّق عليهم واحد والخادم يحمل سلة من الخبز ويدور على التلامذة فيأخذ من كل من خلص خبزته .

واكل الظهر شكلين أو ثلاثة مع فاكهة والجميع يحافظون على السكون يصفون الى القارئ الذي يجلس على محل عالٍ ويقرأ على العموم والتاريخ الذي كان يقرأه في زماننا هو تاريخ الرومانيين والمؤلف وران وفي الأيام المشهورة كالاعياد أو لاعتبار شخص ضيف يعطون اذنًا بالكلم والملازمة هي دق جرس ن يد الرئيس وفي آخر الاكل نصلي نمرة ١٠ ثم نتوجه لعل اللعب وبعد ساعة من الزمان نرجع الى درس العمومي ومنه الى المدارس بعد الظهر فاول المدرسة نصلي نمرة ١١ وفي آخرها نصلي نمرة ١٢ ثم نقل الى مدرسة أخرى كالعربي أو اللاتيني ابتداها نصلي نمرة ١٣ وآخرها نمرة ١٤ ثم نترل الى المائدة

ونأخذ العسرونية التي تكون من الخبز أو التين أو الزبيب أو البلح وقبل اخذها نصلي نمره ١٥ ثم بعد الاكل نتوجه الى الدرس العمومي لاجل عمل الفروض المدرسية وقبل الابتداء نصلي نمره ١٦ وعند الانتهاء نمره ١٧ ثم ننزل الى المائدة للعشاء وقبل العشاء نذهب الى درس التعليم المسيحي وفي ابتداءه صلاة نمره ١٨ وفي انتهائه نمره ١٩ ثم نذهب الى العشاء الذي يكون مثل الظهر في القراءة والاكل من شكلين والصلابة الابدية وقبل الاكل نصلي نمره ٢٠ وبعده نصلي نمره ٢١ ثم نصعد لعل النوم الذي نصلي فيه الصلاة الاخيرة نمره ٢٢ .

وكنتم لاجل المزح اقول عندما خرجت من المدرسة انه اذا كنا ملزومين حسب تعلم الكنيسة ان نسمع القديس نهار الاحد فقط فاذا علمت حساب بالذي صليته في عيظورنا ان كل مرة توفي عن قداس فيكون باقى لي كثيراً وهذا من باب المزح .

لكن ملحوظاني ان كثرة الصلاة تخفض الدين لان كل ما قلّ اعتبر ولا تضجر منه النفس فلذلك حكمة الكنيسة جعلت استماع القديس كل نهار أحد أو عيد ليكون الاشتياق موجوداً خصوصاً للاولاد ولحد الان ما نظرت قديماً خرج من هذه المدارس قهراً عن كثرة الصلوات .

اول ليلة دخولي

اول قطة اكلتها . أول عيورك شمه بطولك

ففي هذه الليلة قبل العشاء ذهبت الى التعليم المسيحي واذ كنت لا أعرف شيئاً من الافرنسية توجهنا الى عند احد الاخوة المدعو فرار لانه الذي كان يعرف العربية مثل باقي الافرنج وكان يومئذ بسن السبعين وله صوت جهوري وكان قاسي الطبع لا يعرف الا الضرب بالكف على وجه التلميذ أو رقبته وكان عنده كراباج يسميه حصاني الايض وكان يرافقه في الدرس وعندما دخلنا المدرسة وجلست على الطاولة التي بقرب الباب والمعلم على كرسية التي كان يعلوها بدرج وهي موضوعة بدائرة كأنها قصص فلم ير من المعلم سوى يده ورأسه وعند ابتداء الدرس خبط بيده على كرسية وركعنا لاجل الصلاة فابتدا يقول باسم آب ابن روح كدس آمين . بصوت جهوري مع اتساع فمه لاجل خروج الكلام منه فعندما سمعت هذا الصوت لم يمكنني ضبط نفسي عن الضحك بصوت عالٍ بحيث التفت الجميع اليّ وعندما سمعني نزل اليّ وضربني بالكف على وجهي فوقعت على الطاولة ووضعت رأسي بين يدي مكباً على الطاولة فصار يضربني على رقبتي كأنني هيئتها له وصرخ وانا مغطي وجهي وعندما نعب أمرني بالركع فركمت على البتك ورجع الى محله وعندما رجع قائلاً : بسم آب ابن صرخت ثانياً اضحك أكثر من الاول فترل ثانية وزاد ضربي وكنتم لم اشعر بالضرب لانشغال ففكري بصوته وضحكي الذي تغلب عليّ وانا تحت الضرب وعندما رجع ثالثة الى محله وقال بسم آب راجعت الضحك أكثر من الاول فأنخيراً اخرجني الى الخارج واركعني على

الباب فشكرت ربي على ذلك وبعدت عن الباب حتى لا يسمع صوتي من الضحك فكنت اضح يدي على فمي حتى لا يسمع ولكني كسرت اضلعي من الضحك عندما كنت اسمع الفاظه المولقة والعربية المضحكة وكان صوته يتنوع بالعلو والانخفاض حسب معاني الشرح وعندما يسكت قليلاً يسعل أو يصفق أو ينشق العطرس فكانت تلك الليلة عظيمة عندي فقهرت عن الضرب والركع وكلمة يوليسون أي معتر ما كان يزول من اذني صوته المضحك .

فاي منا المذنب في هكذا احوال التلميذ أو الرئيس فلا شك الرئيس لان رجل مثل هذا لا يعرف اللغة العربية ولا لفظها فلا يلزم ان يعينه معلماً في هذه اللغة وخصوصاً للتعليم المسيحي لان هذا العلم لا يحمل الضحك فكان الاول بالرئيس ان يضعه محل التهمة فهناك يتعلم العربي على مهله ويضحك التلميذ بحريته فكيف التلميذ الذي حضر من الخارج ليتعلم يجد معلمه اجهل منه ولا يعرف بكلمه في لغته بالطبع يسخر به فوجود القرار له في هكذا مركز على والمذنب على الرئيس فاعبراً انصرفنا وفي اليوم الثاني دبرها الباري فانقسمنا الى قسمين وكنت في قسمة الاخ ميشال شيعا من الشام ابن عرب نتعلم في التعليم المسيحي فقضيت تلك الليلة بكل انتباه وفي اليوم الثاني ادخلونا في مدرسة المعلم يوسف حسني الذي كان له عيناً من الزجاج نظرتها اول مرة في عمري ثم بعد الدرس قسمونا وكنت في قسمة الاخ ميشال فكنت احفظ متاثلي بدون ان افهمها وكان المعلم المذكور يعطينا احياناً بعض ترجيات وكنت دائماً اسأله عن الالفاظ العربية للترجمة لانه كان يفتننا جداً لعمدة وجود قاموس عربي وفرنساوي لاجل الاستعانة به الا قاموس بكنور الذي لا يستطيع أي من كان اة ناهه .

الليلة الثانية

أو حادثة مسيح الدجال

وقد حدث لي حادثة اخرى وهو انه في يوم الاحد كان الرئيس يعظ على مجيء مسيح الدجال وانه يأتي في آخر الزمن ويحصل جوع ومصائب اخرى وكنت جالساً بين اثنين احدهما انطون حيدر ابن سمعان حيدر من الزوق والثاني انطون كفافكو من عكا وعندما سمع انطون حيدر ماذا يعمل مسيح الدجال ابتداء بيكي بشهيق كأن مسيح الدجال اتى وجروعه لانه كان يحب بطنه جداً فصار يبيكي على الجوع سلفاً فتمتدنا رأيت هذه الحالة شفقت عليه وسألته لماذا تبكي اجاب اما انت سامع فقلت له ربما نوت قبل مجيء مسيح الدجال ولا الرئيس يقول انه واقف على الباب لا تخاف ومع ذلك بقي بيكي فلاجل راحته قلت له لا تصدق لا يأتي مسيح الدجال ومضت المسألة في ليلة وأنا في الدرس وكان انطون كفافكو يجانيبي وكان في صني في المدرسة وكان كسلاناً جداً ولم يعرف يعمل فرضه فكنت دائماً أعطيه فرضي لينسخه في أحد الأيام تكلمت منه ولم أشأ أن أعطيه فرضي فرأيتة حالاً خرج من الدرس وكان ذلك ليلة الأحد فبعد مدة

ناداني ناظر الدرس فوجهت اليه متعجباً لماذا يتاديني لاني لست طالب الاعتراف في هذه الليلة لأنه لا أحد يخرج من الدرس ليلاً إلا للاعتراف فقال لي الناظر انك مطلوب لعند الرئيس .

الرئيس ديار

كان هذا الرئيس ديناً جداً ذا آداب عظيمة عصبياً قاسياً جداً مهاباً ما نظرتُه ضاحكاً ابداً فكانت ترتعب منه وكان طويل القامة بمن الخمسين سنة فصيحاً وكان عند كدره يرتجف كله وكان من مدينة كركاسون من فرنسا وكان له غرفتان الواحدة ضمن الأخرى وكانت تلك الليلة من ليالي شباط القاسية والمطريرة فدخلت الغرفة الأولى فلم أراه فيها ودخلت الثانية فوجدت الرئيس في وسط الديوان والمعلمين من حوله وانظرون ابي حيدر البكا واقفاً مع جاري انظون كتافاكو وأنا غير مفكر بشيء وكان العادة عند دخولنا الى غرفة الرئيس نرفع طربوشنا ونركع لانه يكون واضحاً صلياً على الحائط .

فعند دخولي عملت هذه الرتبة وتقدمت بكل اطمئنان فحيث وقف الرئيس وكان يرتجف كله وناداني بصوت عال وبهتمة من الاوج عندما رأيته راكمأ تقرب يا شقي ما هذا ضروري اتقول ان مسيح الدجال لا يأتي فيها هو قد أتى وهو أنت مسيح الدجال أمدد يدك وكان الكرباج بيده وابتدأ يضربني على يدي وهما في حالة التجليد والبرد فابتدأت أصرخ نعم يا سيدي الرئيس ان مسيح الدجال يأتي نعم يأتي وأنا أؤمن ايماناً ثابتاً بحياتك أؤمن بمسيح الدجال يا سيو يا رئيسي بحيات المسيح الصحيح خلصني وهو أصم أبكم وما أسمع منه إلا مد يدك فكنت أرقص من الوجد فكل ضربة على يدي أرفع رجلي التي من جهتها وأخبط الأرض فيها وأعوج في وأغمض عيني بحركة تشنجية فكادت نفسي تذهب واعتقدت ان مسيح الدجال ما كان يعمل معي هكذا وانه اذا عمل هكذا فيؤمن به كل الناس فبعد هذه الحركة آمنت بالدجال الى اليوم وبعد ما تركني رأيت كني مزرعاً وورم في الحال فخرجت من هناك المن بفكري الرئيس والدجال سوية .

فانظر هذه الطريق للامان فبدلاً من ان الرئيس يظني أو يسلمني الى واعظ اخر ويبرهن لي عن مسيح الدجال ويفهمني ان هذا الاعتقاد ضروري ابتدأ يضربني بالكرباج فكيف أؤمن حيثت بالدجال لا بل ان هذه الطريقة تكفرتني بالمسيح الحقيقي وبالرئيس لان جسمي ليس بمستعد ان يكون شهيداً .

وعندما دخلت الدرس ذهبت الى الناظر واخذت يده كمادة للمتعرفين حتى يظنوا الكل في انني معترف وبالحقيقة ان كتافاكو وحيدر اعترفا عني لانني كنت اخشى جداً ان اهان امام التلامذة فحضر كتافاكو ضاحكاً فسكت في اليوم الثاني مدة اللعب حضر كتافاكو يضحك علي فقلت له من غيظي اسكت يا مقروق

دعوى مفروق

وعندما قلت الى كتافكو هذه الكلمة توجه حالاً الى الرئيس الذي لم يعرف شيئاً من العربية وكذلك كتافكو لم يعرف هذه الكلمة بالفرنسية فقال الى الرئيس ان شاكر الخوري قال كلمة سفية لا اعرف ترجمها لك فقال لي مفروق فقال الرئيس ما معنى ذلك فحيث جمع كتافكو يده وأشار الى ما بين فخذه وقال له ها شيء كبير فعندما نظر الرئيس الاشارة الى هذا المحل طار عقله وقال اطلبوا الاخ لامة الذي كان علمنا اول ليلة التعليم المسيحي فحضر وقال له الرئيس استخبر من كتافكو ماذا يتشكى .

فسأله الاخ وقال له ماذا تشكى فاجابه ان شاكر الخوري قال لي مفروق فالاخ كذلك لم يعرف هذه الكلمة بالعربية فترجمها بانها كلمة عظيمة جداً فعند ذلك طلبني الرئيس فحضرت امامه وكان يرغب كعادته ويده كبراج البارح فقال لي يا شني ماذا قلت الى كتافكو فقلت له قلت مفروق لانني لم اعتبر ان لفظة مفروق من الالفاظ الرديئة با اعتبرها مثل أعور كاحتقار للغريب وليست كخطيئة مجنة فلذلك لم انكر ما قلته فقال لي الرئيس ما معنى هذه الكلمة فأجبت اني لم أعرفها بالفرنسية فقال أشر اليها فعملت مثل كتافكو أي جمعت يدي وأشرت بها الى ما بين فخذي وقلت له ههنا يوجد شيء كبير بقدر البرتقانة فكان جوابه هات يدك وابتدأ يضربني وأنا أقول له ما في شيء بهذه الكلمة من السفاهة أسأل عنها فكان لا يسمع ولا يقشع لان مركز الاشارة عنده كان محظراً جداً فعند خروجي من عنده ابتدأت اشم وأسب في فكري والحن هذه العيشة التي بين مسيح الدجال وقرق كتافكو ودمت يدي فحلفت ان لا اكلم كتافكو ابداً ومن بعد هاتين الحادتين صرت منظوراً من النظار فكانوا دائماً بلا حظوني وبمنعوني من التكلم مع بعض تلامذة يشكون فيهم مثلي .

انظر ايضاً الى هذا الذنب فعرض ما يلحقني بالفرنسية هذه اللفظة كان يضربني فاذا كانت معرفتها خطيئة فارفعها بالعربي وما توجهت ليعتظروا الا لانعلم الفرنسية ولاشروطهم على علمي فقط كلمات مخصوصة لا بل كل اللفة فن الواجب أن نعلموا كل شيء حتى يعرف المعلم ما يقول ان كان القول رزياً فلا يعيده أو يعرفه متى قبل له مع كل ذلك هذه الكلمة هي من جملة المشوهات كالاعور والأفزع لا تحتاج الضرب إلا لأنها واطية المركز .

مرض المستطاريا

مرضت في المستطاريا مدة شهر فشفيت ولكن بقيت ضعيفاً جداً بالكاد يمكنني المشي واول يوم طلعت الى الدرس وكان وقت الكتابة العربية قبل الظهر وكان عندي كتاب مجموع من الاشعار احضرته

معي من البيت وكنت اعرف العربية اكثر من ارفاقي لانني تعلمتها في المختارة ومشوشة وكان الكتاب ذا خط جميل من خط والذي فاخذت اكتب بعض اشعار لاجل قاعدة الخط حتى يأخذ خطي عليه فكنت اكتب هذا الشعر .

الفتلة الرابعة

أو الشعر

أحب من اجلكم من كسان يشبهكم حتى لقد صرت اهوى الشمس والقمر
أمر بالحجر القياسي فسانه لان قلبك قياسي يشبه الحجر

وبينا انا اكتب حضر حضرة الاب كوكيل وكيل الطبشة (الطبشة هي قطعة من الخشب بسعة الكف من الاعلى ولها ذنب رفيع يقبضه الضارب) واخذت مني الورقة وطلع الى خارج الدرس فقرأها ولما رأى لفظة احب وشعر رجع واخذ مني الكتاب وذهب بي الى حجرته وانا خارج من المرض يومئذ ولم يمكث امشي كالعادة فأخيراً مشيت بكل تعب وعناء حتى وصلت الى حجرته فسلم الطبشة التي قلت عنها وقال امدد يدك فقلت لماذا فقال انت تعرف قلت يا موسيو انا مريض فاجاب لو كنت مت كان احسن اقله خلصت نفسك فاجته وبماذا اهلكتها اليوم اجاب انت تعرف قال من دون مجادلة هات يدك وامسكها بيده وابتدأ يضربني فاشعرت مع ضعفي ان روحي خرجت من بدني وكلماً يضربني يقول اول الشعر احب احب احب عوض احب وانا اقول ما فيه شيء هذا الشعر فاحيراً تركني وقلت في نفسي هذا الذي قلبه يشبه الحجر فأسفت على ذاتي به وهذه عيشتنا في ذلك الوقت .

انظر هذا التوحش وهذه الطريقة التي تعلم التلميذ الشك فكيف حضرة الوكيل يضربني لأجل أحب مع ان ابدا العلم عنده بالفرنسية فعل أحب لماذا لفظة أحب في العربي خطية بميتة وبالفرنسية مقدسة ولا كنت افكر بلطفة أحب انها خطية وعند تنبيه فكري صرت آخذها على معنى زريل وهذا من فضل الطبشة .

الفتلة الخامسة

حيبي ايض اشقر

وفي ذات يوم كنا في الكنيسة وكان راعياً مجانبى انطون أبني حيدر وكان معنا كتاب للصلاة عربي يوجد في هذا الكتاب بعض اقوال من نشيد الانشاد ومن جملتها هذه الآية حيبي اشقر واحمر الخ

وعندما كنت أقرأ هذه الجملة ضحكت واعطيت الكتاب لجاري انطون الذي ضحك أيضاً عند قراءتها فالأخ فانسان الذي كان مخفياً خلف كرسي الوعظ نظر هذه الحركة قاتى الينا وكان الكتاب لم يزل في يد انطون واضعاً أصبعه في المحل الموجودة فيه هذه الجملة فاستلم الأخ فانسان الكتاب ووضع أصبعه محل أصبع انطون فقرأ هذه الجملة وأخذ الكتاب ومضى وبعد طلوعنا من الكنيسة دعونا لمقابلة الوكيل الذي طعمنا الطيشة كما دته فهذه هي المرة الثانية التي اكلناها على حساب انطون صح المثل ان عدوك العاقل ولا صاحبك الجاهل فلو كان حضرته رفع أصبعه عن محل العلام وأغلق الكتاب لما وجد الأخ غير كتاب صلوة .

ملحوظاتي

ان كتباً كهذه مع جعل من نشيد الانشاد لا يلزم ان تعطي للاولاد لانهم لا يعرفون الأ معناها الدارج ولا يعرفون تفاسيرها اللاهوتية فجملة كهذه ضيبت الفكر لولد بسن الأربعة عشر سنة لا يعرف الآ الحبيب الظاهر وتتعجب من دخول جعل كهذه في كتب الصلاة اظن لو كان الأخ فانسان فسر لنا معناها اللاهوتي والرمزي لكننا نخشعنا وفهمنا الحقيقة اكثر ولكن قصاصه لنا اثبت ما في فكرنا ان هذا كلام معيب .

والذي ا قوله وانكت عليه في هذه المدرسة هي القساوة والضرب وشراسة المعلمين وعدم التحفل في قصاصاتهم وما كنت تسمع الا صوت الكرياج والطيشة واحيانا لم تعرف سببه بل يلزم الطاعة العمياء والخضوع المطلق فهذه الطريقة لا تصلح للتلميذ ولا تجلعه يعرف اضرار ما يرتكبه فلو كان يؤخذ بالحكمة ويعرف الاضرار التي تنتج عن افعاله المغايرة لكان يصطلح اكثر ويحب معلميه اكثر .

مدة الآتي في عيتلورا

قد دخلت السنة الاولى على حساب دولة فرنسا وكان مرتب المدرسة السنوي ١٨٠٠ غرش وحيث اني لم اكن تقياً جداً حذف الرئيس عني الكرسي للطلاة لي ثم ائت ستين على حساب والدي واما العلوم التي نعلمها في هذه السنين الثلاث ليست بشيء يذكر فاني وصلت الى الصف الثاني في الفراماطيق ودرست نيلاً من الحساب والجغرافية ودرست اللغة اللاتينية سنة واحدة ولا شيء تقريباً من العربية بحيث كل هذه العلوم ما كانت تمنعني شيئاً فخرجت من المدرسة سنة ١٨٦٤ .

تهكوي الان في تلك الايام

كنت احسب قبلاً ان تلك الايام ايام الشقاء والتعب وعدم الراحة والحكم وهلم جرا من باقي التشكيكات وكنت اخاف كل معلم من المعلمين وربما سيته في قلبي فاذا حصل الان حتى انقلب كل شيء بالضد لاني عند كتابتي هذه الاسطر تذكرت تلك الايام فاغر ورت عيني بالدموع وتأسفت عليها لاني كنت برحلة الفكر لا افكر بشيء وبالحقيقة لا يعرف الانسان قيمة ما هو عليه الا متى فقدته وعندما كنت ارى معلماً من المعلمين الذين كنت ابتمد عنهم اشعر بانسراح عظيم في لقاياهم الان وريبا ساندتم على هذا اليوم الذي اكتب فيه مثلاً تأسفت على الماضي .

ولا اقوم للمعلمين الان على قصاص الذنب ولكن على طريقة القصاص لاني اعرف جيداً انهم يعتقدون بما كانوا يفعلون ان كانوا يرون الخير يقولون خيراً والشر شراً وان مثل هؤلاء الذين تركوا العالم وولادهم واهلهم وتبناهم لأجل هذه المبادي لا يتركونها لأجل خاطري فانا لست افضل منهم حتى يفضلوني على أنفسهم بل بالعكس كانوا يفعلون حسب اعتقادهم فلا لوم عليهم بل لهم الشكر منا وطلب الرحمة لانهم الان في عالم غير عالمنا .

متصرفية لبنان

من اعظم انعامات دولتنا الطيبة ايدها الله اعطاؤها امتيازاً الى لبنان لم تله بلاد غيره في اية دولة كانت ولذلك ترى اللبنانيين طامعين خاصعين ومستحقين في بعض الاحوال اخلاق وطباع متصرفهم ولا يدون ادنى حركة خوفاً على فقد نظامهم .

فهذا النظام العادل هو اقوى سلاح لضبط وخضوع لبنان فترى منافسه لجميع الطبقات والحالات فللحلاح الحرية التامة في شغله يفلح ويزرع ويحصد ويلبس ويحمل غلته بدون ناظر الاعشار ويزرع دخانه بدون ادارة الرجي ويدفع صاحب الملك مبلغاً معلوماً على املاكه ومهما اشتغل فيها وزادها فللمبلغ نفسه .

واصحاب المقاطعات التي افكرت انها الغني فهي كما كانت ترى القانقام واللمير وكل هيئة حاكمة منهم كما كانوا ونرى الاكليروس متمتع بحرية دينية واعتبار وامن على املاكه احسن ما لو كان في رومية مركزه الديني وهكذا في كل فئة وحال من الاهالي فاية نعمة أعظم من هذه فذلك ترى اللبنانيين متمسكين بدولتهم الطيبة يقدونها بهمهم وامولهم هذه هي حالتهم الصومية للعقولة واهمية هذه المنفعة

بالخصوص الى الطوائف الغير مسيحية كالاسلام والدروز والمثولة لان هذا النظام يعظم من البدلات العسكرية والقرعة العسكرية وخلاف نظمات .

واما حالة الافراد من اللبنانيين فهي كباقي افراد البشر لا يمتنون الا بما يتعمون ويقولون .

اذا مت عطشاناً فلا تزل القطر

وقد كانوا كثيرين في الزمن الماضي وهؤلاء هم الامراء والشايف والاهالي أصحاب الميال الممتازة يطلبون الوظائف لعدم شغل آخر لهم فكانوا يسعون بالفساد ضد متوظف ليتالوا مصلحته ويرمون الفساد بين المتصرف وقسم آخر لكي يأخذ المتصرف حزباً منهم ولا يستغني عنهم هكذا حصل لحد الآن لأن عديم الشغل يفكر في ثلاثة امور مضرة اولها اما يتوسوس بصحته ثانياً يعمل فساداً لتسلية ثالثاً يتقذ على الدين بفلسفته .

فكانت هذه الاحوال ترداد وتنقص حسب اطباع المتصرف فن المتصرفين من وصلت هذه الاحوال معه الى أعلى درجة وكل ذلك كان ضرر على الاهالي وتعب على الاخصام والمكسب للمفسدين وقد شرحت هذه الاحوال في قصيدة دعوتها « وصية والد سياسي الى ولده » ساذكرها في القسم الشعري من هذا الكتاب .

فيستج من ذلك انه قهراً عن الراحة التي أعطيت الى لبنان في نظامه تراها بدلت بتعب من غايات متوظفيه واخلاق متصرفيه ماذا ينفع النظام وحسنه اذا كان يد غير نقيه وحسنه المبدى ويعرف مدير هذا النظام ان كلما عمله الانسان من فلسفة ونظام وقوانين هو لاجل راحته فذلك ترى حسن الحكم غير متعلق بعلوم وذكاء ومعارف الحاكم بل بحسن ادارته التي هي جلب الراحة والسكينة الى من حكمهم ولذلك اذكر في تاريخي هذا ما ابقاه كل متصرف في لبنان من المنفعة والراحة بعد ذهابه منه ولا اعترض ولا ادخل بصرفه وانتخابه مستخدماً سواء كان من حزبي أو ضلّي لان المسئولية على المتصرف فله ان يتخب لخدمة مصلحته من يشاء فهذه ثقة في مستخدميه لا يمكن بطليها لاي كان فله الحرية بانتخاب مأموره لكن على شرط أن لا يدع مأموره يستغنى فرصة في قوته ويستغنى من خصمه لان هذا الخصم له فقط وليس للمتصرف أو للعموم وبكفي المستخدم قبض معاشه وقد فضله المتصرف على غيره فيلزم والحالة هذه ان تعطي الراحة الى خصمك عوض ما هيئت التي تقبضها ويراحة خصمك يسكت عنك بتسريح انت في مأموريتك .

فالغلط الوحيد من المتصرف هو اتقياده أو غشه من مأمور يحمل له خصمه خصماً له نعم ان الذين كزونوا باطناً ضد المتصرف هم اخصام متوظفيه وليس اخصامه لان اعظم ذنب للمتصرف هو أن يوظف

خصمي ويقويه عليّ ولذا اكل متصرف عادل يوظف من الحزبين اولا ليرضي الاثنين ويكشف أسرار الاثنين ولا ينبغي ان يصدق الا بعد الفحص من الاثنين وليس من صالحه وصالح الحكومة ان يأخذ اعداء اقوياء اذا حاربهم يضّر البلاد والراحة ويستعيد الى مأموريه ليعمل له حزباً منهم فجميع هؤلاء الاعداء يصيرون خدماً له عندما يوظف احد اقاربهم أو ييش بوجههم ولاجل راحة المتصرف والاهالي يقتضي ان لا يوظف احداً في مقاطعة هو منها بل ينبغي أن يكون من مقاطعة أخرى حتى يكون بلا حزب وغرض .

وجميع ما ذكرته هو نتيجة اختبار لانه مرّ علي مدة طويلة (ولو ما كنت مستخدماً في الحكومة .

لان هنا كلنا والحمد لله نشغل بالسياسة من المكاري الى القاري

افحص هذه الامور وكلها واحدة فاذا لاحظنا اول متصرف وهو داود باشا نراه أتى باستعداد عظيم لنجاح البلاد طوعاً لاوامر دولتنا العلية التي تعتبر كل مأمور نائباً عنها يفعل كما تفعل لراحة الاهالي لان الراحة هي سعادة الانسان في هذه الدنيا فن كان يجلب القلق الى الرعية فيكون اول عاصر لدولته لانه لا يوجد اب في الدنيا يحب رجلا يتعب اولاده فالذي يريد ان يكون محبوباً من ملكه ومن رعيته ومن الله والناس يلزم ان يسوسهم برفق ويجلب الراحة للبلاد ولذا ذكر الان اول متصرف للبنان وهو .

داود باشا متصرف جبل لبنان الاول

تعين داود باشا في ١٠ حزيران سنة ١٢٧٧ هجرية ومكث ست سنوات واحد عشر شهراً وهو ارميني كاثوليكي ومن رجال الدولة العظام له الفضل العظيم في ترتيب لبنان تولى متصرفيته لما كانت احواله مضطربة والدم جارياً والعداوة متمكنة بين الاهالي فرتب المجالس وانتخب المتوظفين ومسح البلاد وقد احب البلاد جداً حتى انه تربا بزي اهلها وقد رتب العسكرية واحضر ضباطاً افرنسيين وهم القبطانان فان والطاب وابتدأ يعين انفاراً من لبنان وارسل الى اقليم جزين لاجل تعيين الانفار خالي يوسف بك ناصيف وقسم الجندمة الى فرقتين خيالة ومشاة وكان رئيس الخيالة خالي يوسف بك ناصيف ورئيس المشاة الامير سعيد سعد الدين شهاب وقد البهم لباس الزواف .

وسنذكر فيما بعد الضباط الذين اشتهروا في العسكرية عند وصولنا الى مدة تنصيبهم واما داود باشا فقد اظهر العدل والحمية وعندما حضر افكر ان يعامل الاهلين كمعاملة البلاد الاوروبية وقد اخبرني والذي خيراً عنه وهو انه عندما حضر وجلس في بتدين كان عنده كلب افرنجي فكان كل يوم صباحاً وهو في ساحة السرايا يلعب مع الكلب ويركض امامه وعندما رأت اهل البلاد ذلك استخفت به واخذت تتكلم عن خفته وعدم ادارته وقد سمع هذا الكلام بعض المتوظفين وكان يحب داود باشا فاخبره عما يقال عنه وقال

له ان اهل بلادنا لم تتعود ان ترى حكاماً بهذه الصفة فاجابه ماذا يلزم لنوال الهبة فقال يلزم ان تكون رزينا جليلاً في حركاتك امام الناس وتلبس لباساً مهيباً ففي اليوم الثاني لبس بدلة وفروته وملاء غليونه وعبس واذن لا كابر البلاد ان تزوره فكان عندما يدخل عليه شخص يعبس به ويأمره بصرامة ويخرج الزائر الذي كان يقول عند خروجه هذا رجل مهيب تجري اوامره بسرعة ومن ذلك الوقت دخلت الهبة بقلوبهم .

وحادثة اخرى جعلت الكل يرتجفون منه وهي انه رأى حماراً يعطل التوت حول السرايا فاحضر الحمار وسأل عن صاحبه فانكره الجميع خوفاً من القصاص فأمر بشتق الحمار فن ذلك الوقت ما عاد رأى حماراً ولا احدا يتعدى على ملك غيره .

وقد كان عند داود باشا كاهناً ارمنياً يترجم له بعض الاهميات وفي الغالب كان يترجم حسب مرامه واغراضه فالحادثة الالية تكشف عما كان يحصل .

حادثة

مع والدي ويوسف بك مبارك والياس اغا وهبه

ان هؤلاء من المشهورين في اقليم جزين كان يعاكسهم احد الرؤساء في احد الايام وهم في بيوتهم صدر امر داود باشا يدعوهم الى المركز فحضروا وطلب اولاً الياس اغا لمقابلة المتصرف وعندما سأله الترجان بعض مسائل وجاوب فكان امر المتصرف بحجه ثم طلب يوسف بك مبارك وترجم له الترجان فقال نصيب الاول وعندما طلب والدي ونظر الترجان طلب من دولته ان يغير له الترجان واعترض على الوشاية التي اصابهم وانه اذا سمح له بزم اكثر لمقابلته يعرض له كل شيء فاجابه انه نهار غد تنحصر الى هنا فبعد ذلك نزل والدي الى دير القصر وكان له معرفة بالامير افندي شهاب الذي كان يومئذ كاخية دولته فنرجى والدي الامر ان يقابل الباشا عنده في السهرة فوعده بذلك وادخله عليه فقابل والدي دولة المتصرف وعرض له عن جميع الحوادث التي جرت قبله في لبنان وعن اختصاصه المخصوصين فاجابه ان الذي تشكى عليهم هو احد الرؤساء فأمر دولته والدي ان يذهب الى بيت الدين هار الغد وعندما حضر عينه في اليوم الثاني كاتباً في مجلس المحاكمات الذي كانت تسمع فيه الدعاوي الحقوقية والجزائية معاً ثم بعد ذلك قابل والدي ذاك الرئيس وسأله عن سبب التشكي عليه فاجابه اخبروا بان مرادكم تغيروا مذهبكم الماروني فلذلك اخذت القيرة الدينية خوري دولته فحلل ان يهلك اجسادهم في السجن ويخلص انفسهم وعندما عرف داود باشا عمل بعكس خطتهم من الحبس ولم يلتفت الى نفوسهم لان خلاص النفوس يملئ من وظيفة الحاكم .

انتخاب مشايخ الصلح

فعل حسب نظام لبنان كان للاهالي حق بانتخاب المشايخ وكان يحضر هذا الانتخاب مأمور من قبل الحكومة وقد تولى هذه الوظيفة في اقليم جزين خالي حبيب بك ناصيف وكان انتخاب اعضاء مجلس الادارة اللبناني مناطق بالمشايخ قاول عضو لاقليم جزين كان المرحوم والذي وتكرر انتخابه حتى آخر مدة فرنكو باشا وانتخاب الادارة لمدة ست سنوات فبعد ستين ابتدوا يغيروا الثلث .

وعندما اجتمع مجلس الادارة في تلك السنة وارادوا ان يغيروا ثلثهم بعد ستين حسب النظام فلاجل ذلك رموا قرعة وضخوا فيها أربعة أوراق سوداء وثمانية بيضاء وجمعوها سوية واخذت الاعضاء تسحب الاوراق فالذين سحبوا الاوراق السوداء ابدلوا وقد جعل لهذا المجلس رئيساً يتوب عن المتصرف يسمى وكيلاً .

واما مجلس المحاكمات فقد انتخب له من كل الطوائف والذين اشتهروا مدة داود باشا هم عمون بك عمون وبشاره افندي غول وشاكر افندي شاول وعيد افندي ابي حام ونعم افندي قيقانو الذي تسمى قائمقاماً في المركز والمرحوم والذي والشيخ بشاره الخوري وقد رتب داود باشا القائمقاميات التي كانت تسمى يومئذ مديريات وانتخب متوظفياً واغلبهم من اهل المقاطعات الاصليين وقد ارسل قائمقاماً الى جزين في ١٧ ايلول سنة ١٢٧٨ موافقة ١٨٦٢ .

قعدان بك الخازن

هنا هو القائمقام الاول لجزين كان رجلاً كريماً لطيفاً ذا ادارة ثم ابتدل في اول تشرين الثاني سنة ١٢٧٨ موافقة ١٨٦٢ .

عمون بك عمون

هنا هو الذي حضر لجزين وكانت الاهالي تحبه حباً قائماً فكان دائماً عليه التشكي من حزب آخر لم يرضه ولكنه ما كان يتم بهذه الامور فكان شجاعاً جسوراً مهيباً غفيف النفس والذليل فكان الجميع يهابونه ثم انتقل الى رئاسة مجلس الادارة وكان والذي عضواً فيه وكانا باتفاق تام وعندما حضر دولتو المرحوم فرنكو باشا خرج من الخدمة وبقي الى ان ارجعه رسم باشا وكان مهيباً بحيث لم يدع احداً مدة وكالته يدي ادنى حركة وقد توفي فجأة في بعدا ودفن فيها سنة ١٨٧٤ .

وقد احضر داود باشا فابوراً مخصوصاً باسم لبنان كان تحت امره وكذلك أمر بإنشاء جريدة عربية وفرنسية سهاها لبنان طبعت في بيت الدين وعندي أول عدد منها .

وكان في نيته عمل ميناء الى لبنان فافكر في معلقة الدامور ويأشر بعمل جسر حليدي فوق نهر الدامور لم اكمل في مدة رسم باشا ولم يزل حتى الآن وافكر ان يتبع للندن التي تحيط ببلتان كسيدا وبيروت وطرابلس وقد قدمت اهل صيدا عرضحالان بذلك الى الباب العالي وكان غرب البقاع تابعاً لإدارة الجبل السياسية ويعين قائمقامه من قبل داود باشا واما الاموال الاميرية والاعشار فكانت للولاية وبالاختصار انه كان محباً للبنان وكرماً جداً وكان كلما زار بلداً ودخل كنيسة يدفع لها مبلغاً من المال ويهدي للأمورين الامناء هدايا جزيلة وقد سافر الى الاسكندرية وغيره بعض النظام بانتخاب للأمورين في المحاكم والادارة وهذا النظام كان ان رؤساء الاديان تقدم الاشخاص حسب نظام الولاية اليوم وعندهما رأى ان هذه المسألة لا توافقه ولا توافق بعض للأمورين عنده اجتهاد في الاسكندرية ان يحصل أعضاء الادارة بانتخاب مشائخ القرى وان يكون هو المسؤول الوحيد في لبنان .

محكمة التاريخ

لداود باشا

(اعماله الحسنة) كان غفيف النفس كريماً محباً للعلوم والمعارف مجتهداً بتقديم البلاد فن آثاره الحسنة المدرسة الدرزية الداودية في عيه فهو الذي انشاها ولم تزل الى اليوم باسمه وكان عادلاً كبير النفس .

(اضراؤه) من عدم سياسته جعل له اعداء اقوياء منهم البطريك بولس مسعد كان الاول به ان يتصادق مع رئيس ملة قوية في لبنان لمساعدته على اطاعة الاهالي له وكذلك عدم ادارته بارضاء يوسف بك كرم الذي كان يمتنى قائمقامية كسروان فلعدم ادارته سبب تلك الانتساب الى لبنان وخرب بلاداً كانت وقرنها سنة ١٨٦٠ فعل بشمال لبنان كما فعلت سنة الستين بجنوبه فاصلاحه الجنوبي لا يوازي خرابه للشمال ولم يبق اثر في لبنان سواء كان منه أو قسراً عنه وأخيراً مضى لا يمدحه التاريخ الصادق .

ولو كنت ممن يلتفت الى صالحه الخصوصي لكننت مدحته لانه يحق له المدح مني لانه اول من وطف والذي وهو الذي ارسلني الى مصر لأتعلم الطب فله مني اطيب الشكر والذكر العاطر ولكفي لست انا وحدي ببلتان فالتاريخ يتكلم عن العصور وليس عن الخصوص فهذا فكري .

وكان اغاظ بعض البطارقة بكتابه له بطريك افندي على غير اصطلاح لبنان فلاجل ذلك نذكر اصطلاح الكتابة في ذلك الزمن .

اصطلاح الكتابة في ذلك العصر

كان الاصطلاح اولاً بقطع الورق وهو الكتابة على نصف طلحية أو ربع أو ثمن فهذا مهم جداً .

ثانياً التعت والالقاء اذا كان بطريقاً يقال له غب لثم مواطى اقدمكم والامضاء ولدكم .

للمطران غب لثم اناملكم والامضاء ولدكم وللخوري غب لثم اياديكم والامضاء ولدكم أو مستمد دعاكم .

للمحاكم غب لثم اياديكم والامضاء خادمتكم أو عبدكم وهكذا لكل من هو أعلى .

وأما من الأعلى الى الأدنى من البطريك غب اهداكم البركة الرسولية والمطران أيضاً غب اهداكم البركة والامضاء الفقير الحقير .

والخوري يمضي الداعي لكم والامير يمضي الحب المخلص

وبين الاصحاب غب القبلة أو قبلة الوجنت والامضاء اخوكم .

وأما الأوصاف المهمة هي في عنوان التحرير من الخارج وهي يشرف بلثم مواطى أو انامل قدس الكل الشرف والاحترام أو الجنتاب الاكرم والمقام الافخم .

وأما الاسم فكانوا يرفصونه عن السطر وهكذا اصطلاحات عديدة لا نعلم كيف دخلت لغتنا لان كتابات العرب كانت مختصرة جداً تذكر فيها وظيفة الرجل أو لقبه فقط .

مثال ذلك

الى فلان الفلاني أمير الجيش الفلاني أو حاكم البلد الفلانية .

وكان لهم اصطلاحات عجيبة في الاختصار والبلاغة كما حرر احد الخلفاء الى أحد العمال يقول له :

كثر شاكوكك وقل شاكروك فان عدلت ابقيتك وان خالفت عزلتك .

والحاصل ان هذا الاصطلاح دخیل على اللغة العربية .

وكان كثيراً ما يحدث خصاماً وزعاعاً بسبب هذه الكتابات فأخبرني والدي انه كان عنده دفترٌ لاصطلاح الكتابة من سعيد بك جنبلاط الى باقي العيال والمشايع والامراء وغيرهم وكانوا يحافظون كثيراً عليها .

فلنفحص الان في حقيقة هذه المسألة واهميتها فهل كانوا يحقن بهذا الاصطلاح ام لا فاقول متى وجد الاصطلاح صار الامر مهماً ولا يمكن تغييره الا مع الزمن مثلاً كان ذلك الامر يكب لي محب مخلص عندما كان حاكماً عليّ ومعاشي وراحتي منه فكان اصطلاحه موافقاً لمركزه ومركزي واما الان بالعكس فلا يجوز له هذا الاصطلاح .

وقد جرت معي قصة وهي ان احد الامراء فقير الحال وله ابنة مريضة في عينها غنظراً الى فقرها ادخلتها المستشفى مجاناً وعند شفائها حضر والدها واخذها فقلت له ان يمرر لي عنها فذهب متشكراً وبعد مدة وردني منه تحريراً يقول فيه محبنا المعلم شاكر لان الطبيب عنده كان يسمى معلماً لانه من الامراء : بخصوص ولدنا الست شقيقة بغاية الصحة اذا جد شيء نبقي نخبركم .

محب مخلص
قرقاز

فاجبته :
انا انسرينا جداً من صحة الست المصونة ويلزم مداراتها حتى لا ترجع الى المستشفى .

من حبكم مخلص
المعلم غير شاكر

وقد حدث لي وانا في دمشق ان احد المطارنة حرر لي تحرير توصية بفقر الفقير وكان الامضاء الفقير الحقير الطران الفلاني فاختذت اتأمل هذه الكلمات الفقير الحقير كيف يكون فقيراً وعنده مدخول الوف من الليرات واذا ادعى انها ليست له بل لغيره متي مات وانا ايضاً متي لم يبق لي شيئاً فالتقص من الغنى ان يتمتع الانسان بالمال الذي بيده وهو حي من يقدر ان يأخذ منه هذا الدخل أو يتمتع ان يأكل منه يتمتع به فاذاً ليس فقير .

وبخصوص الحقير فهذا أغرب من الاول فكيف يكون حقيراً والناس تركع وتدفع له فما هذا اصطلاح بالامضاء فقلت في نفسي مرادي اجابوه واضع له الامضاء الذي كتبه لارى ماذا يقول فان

اعترض احبه بكتابته واقول له فاذا ان هذا الامضاء غير صحيح وان قبله يكون صحيحاً فكبت له
العنوان :

الى حضرة الفقير الحقير للطران الفلاني دام بقاءه .
قامت عليّ القيامة والصرخة من كل ناحية بانني كافر هرطوقي لا اعرف الله ولا الدين وعلم جراً .
فاجبت هؤلاء انظروا هذا امضاءه فهو مقر بنفسه على حاله وقد اجبته حسباً وصف لي نفسه فاذا كان
كذباً فلا يلزم ان يفعله وان كان صحيحاً فلا يلزم ان يتكلم منه فاخيراً قالوا الحق معك .

النتيجة ان جميع هذه الأمور ليست بطبيعية والانسان العاقل لا يقبلها فالحمد لله ان هذه
الاصطلاحات قد اخذت تزول بالتدريج مع الزمن الذي يصلح كل امر .

وقد كان أحد المشايخ يريد ان يمرّر تحريراً الى أحد التجار في بيروت فاحتار في الكتابة فاستشار احد
اقرابه عن كيفية الاصطلاح فسأله قريبه هل انت بحاجة لهذا الرجل ام لا فاجابه بقاية الحاجة لانني
اطلب منه درهما استينيتها منه فقال له اذا اكتب له غب تقيل كل شيء لكم فهذا رجل عملي يعرف
الاحوال .

فتاية العنوان ان يعرف الشخص المرسل له التحرير فان اصطلاحاً لا يعرفنا به لان هذا الاصطلاح
يكب للجميع مثلاً يكب للكل جناب الاجل الماجد سني الممم كريم الشم صاحب السعادة فلان
الفلاني ادام بقاءه فكل هذه الاوصاف لا تهدينا لمعرفة شخص مخصوص حيث لا يوجد شخصاً بهذه
الصفات كلها ولا يمكن للموزع ان يعرفها الا بعد اختبار كلّي فالاحسن لاجل التعريف ان يقال يصل الى
فلان الفلاني التاجر أو التجار في محل الفلاني الاسمر الشاب الطويل (وخصوصاً لزيادة التعريف اذا كان به
علامة) الاعور الاعرج الاقرع وهكذا فيصل التحرير بكل امن ويتبدى اليه موزع البريد اكثر فهذا
الاصطلاح لا يكون مع انه الحقيقي ولكن لا يجب الشخص ان يقال له الحقيقة على نفسه لكن يحيا على
غيره هذا ايضاً اصطلاح لا يمكن تغييره .

الحاصل انه يلزم تغيير هذا الاصطلاح للمل الذي يقتل الوقت ولم يبق احد يلتفت اليه لا سياً وقد
قلت للمخاضيات لاجله فيكني ان يقال عن وظيفة الرجل والقباه الرسمية مثلاً دولتو متصرف لبنان فلان
الفلاني سيادة فلان مطران محل الفلاني غبطة فلان بطريرك الطائفة القلانية وعلم جراً هذا فكري ولا
اجادل فكر غيري اذا ارتأه غير ذلك فهذه الاقناب ترفع صاحبها في اعين الجمهور وفي اعين ذاته احسن
ما يقال له الخفيف وهو يعرف حاله غير ذلك فاما ان يملك حجاراً لا تعرفه أو كذباً .

ولنرجع الى داود باشا الذي اخذ له خصماً لعدم معرفته اصطلاح كتابة البلاد .

تشكيل حكومة لبنان

قد شكل هذه الهيئة داود باشا لم اخذت تتنوع حسب الظروف والاحتياجات فقد زاد رسم باشا دائرة الجزء وقد ادخل واصا باشا العلية وبذلك اصطلحت المحاكم القضائية التي كانت مكونة من رئيس يدعي قاض يكون من الطائفة الاكثر عددا ومن نائب من الطائفة التي بعدها من الاهمية بالرجال أو بالاملاك ولا وظيفة لهذا النائب بالحكم ما لم يكن القاضي غائبا وباقي الكبة تكون من الطوائف الاخرى حسب الاهمية ايضاً وقد زاد دولة نعم باشا للدعي العمومي وقد زاد دولة يوسف باشا مفتش العادلة فهذه الهيئة التي اذكرها الان هي هيئة سنة ١٨٩٧ .

هيئة المتصرفية سنة ١٨٩٧

المركز المتصرف ١

عدد	المجالس	عدد	باقي للمؤرخين	عدد	العسكرية
١	الادارة	١٦	التخريف	٣	اميرالاي
٢	الحقوق	١٣	النافذة	٧	مباشي
	الجزء	١٠			
٥	القلم العربي	٧	الحبس	٤	قولنصي
١٠	القلم التركي	٥	مأمور السرايا	٣	برزياشي
١١	القلم الاجنبي	٦	مدعي عمومي	٣	لازم اول
٢٠	قلم الاوراق	٦	مأمور قضاكر	٣	لازم ثاني
٩٥٠	مدراء الاعلام	٥			فام وخلافهم
٩٩٩		٧٩		٢٢	

هيئة القامقيات

قامقيات	مدراء	مستخدمون القضاء	قرى
١	٩	١٢	٣٨٧
١	٧	١٣	٢١٣
١	١٢	١٤	١١٣
١	٦	١٢	١٧٨
١	٢	١١	٢١٣
١	٣	٩	٤٣
١	٠	١٠	٣
<hr/>			
٧			

مديريات مستقلة

١	دير القمر ماروني	٧	٧
١	الهرمل متوالي	٠	١
١	سمطار	٠	١

فيكون مجموع ذلك ٣٢ مديراً و ٨٨ مستخدماً في القضاة و ٩٩٩ جندياً وموظفاً في العسكرية و ٧٩ في المجالس و ٢٢ مأموراً في وظائف مختلفة ومجموع الجميع ١٢٢٧ مستخدماً .

لباس العسكرية

قد كان لباس العسكرية كما هو اليوم ما عدا الطربوش كان مغريباً وكان لبس الضابط كالنفر يتميز فقط بالشريط وكان العلم العسكري بالعربي فاوّل من حوله الى التركي واصابا باشا وكان قبله رسم باشا غير الطربوش حتى اصبح الضابط اللبناني كباقي ضباط المملكة في اللباس وصار لهم معاش تقاعد مع الانتفاخ حسب نظام المملكة .

نظام المأمورين

فجميع هؤلاء المأمورين تحت ارادة المتصرف ما عدا مجلس الادارة فانه يعزلم وينصمهم في ساعة واحدة وبكلمة واحدة وكذلك مجلس الادارة اذا شاء فان العضو الذي يخالف تعمد كل اقاربه من الوظائف ويكون الانتخاب حسب ارادة المتصرف فانه يمرر الى القاعقام انه يريد فلان فللمشايع قبل انتخابها تشاور القاعقام الذي كان يعطي اسم المطلوب فينتخب وعلى العموم ان المتصرف ينتخب احسن من انتخاب المشايخ فقد صدف في بعض الاحيان توفي متصرف وتوكل المجلس مكانه فاوّل جلسة عملوها هي ان يضرب الفقير لهم سلاماً عند دخولهم وهكذا اعمل وقد وكلوهم بعض الاحيان بامور فكانت الناس تنأسف على ذلك لان صاحب الشغل يمكنه ارضاء واحد كالمصرف ولا ارضاء ١٢ فعل كل حال فان المتصرف افضل من الادارة وليس له غرض مثلهم وعند اعطاء الحرية للمشايع بانتخاب العضو صارت الدراهم المنصرفة هي المنصرفة فخر لبنان شأنه .

فصار من كان يرفع شأنه قد شأنه

انتهاء مصرفية داود باشا

قررت الدولة العلية ان تضع وزيراً مسيحياً من جملة الوكلاء لما وجدت لذلك الوقت سوى داود باشا وكان فؤاد باشا يريد اخراجه من لبنان فلذلك سموه ناظر النافعة فاستغنى من لبنان وبعد ما جلس في نظارة النافعة توجه الى اوروبا لاجل قرض للدولة فظهرت منه الخيانة فهرب الى سويسرا وتوفي فيها ولم خلف احداً وكانت امراته تركته قبلما يأتي لبنان وهكذا انتهى .

مأمورون داود باشا

المحاسبجي من جانب الاستانة العلية

مين اغندي من ٦ كانون الثاني سنة ١٨٦٧ الى ١٨٧١

رئاسة المعروضات

د بك تلحق من سنة ١٨٦٥ الى ١٨٦٨

رئاسة دائرة الحقوق

الامير امين منصور ١ كانون الاول سنة ١٨٦٤ الى ٢٥ كانون الثاني ١٨٦٥
عيد ابو حاتم من ٢٥ كانون الثاني سنة ١٨٦٥ الى ١٠ ايلول ١٨٦٦
حنّا بك ابو صعب من ١٠ ايلول سنة ١٨٦٦ الى ١ آب ١٨٦٩

مديرية دير القمر

عبدالله افندي غور من آذار سنة ١٨٦٢ الى ١٨٦٨

وكلاء مجالس الادارة

الامير افندي شهاب كانيه ايضاً من سنة ١٨٦٢ الى ١٨٦٤
عيد ابو حاتم من سنة ١٨٦٤ الى ١٨٦٦
نعوم قيقانو من سنة ١٨٦٦ الى ١٨٦٧
عمون بك يوسف من سنة ١٨٦٧ الى ١٨٦٩

مدير الأوض

عزة بك من ١٥ تموز سنة ١٨٦١ الى ١٨٦٤
اكابك من سنة ١٨٦٤ الى ١٨٦٧

ترجبان أول

فضول افندي البستاني من سنة ١٨٦١ الى ١٨٦٤
سركيس افندي من سنة ١٨٦٤ الى ١٨٦٨
جرجي سيرتلي ١٨٦٨ الى اول تموز ١٨٦٨

رئيس القلم الأجنبي

دياب افندي ١٨٦١ ولم يزل الى سنة ١٩٠٧ التي توفي فيها

رئيس القلم التركي

سامي افندي من ١٨٦١ الى ١٨٦٣

خورشيد افندي ١٨٦٣ الى ١٨٦٤

اسعد افندي ١٨٦٤ الى ١٨٦٦

احمد بك ١٨٦٦ الى ١٨٧٠

رئيس القلم العربي

حتا بك ابو صعب ١٨٦١ الى ١٨٦٨

قائمة الشوف

الامير ملحم ارسلان ١٨٦٢ الى اخر متصرفية فرنكو باشا

قائمة جزيين

قعدان بك الخازن من سنة ١٨٦٢ الى ١٨٦٣

عمون بك يوسف من سنة ١٨٦٣ الى ١٨٦٧

داود بك الخازن من سنة ١٨٦٧ الى ١٨٦٨

قائمة زحله

لأمر عبدالله شديد من سنة ١٨٦١ الى ١٨٦١

لمع الصوصه من سنة ١٨٦١ الى ١٨٦٦

تنا افندي زلزل من سنة ١٨٦٦ الى ١٨٦٨

قائمة للنز

مير مراد ابي اللحم من سنة ١٨٦١ الى ١٨٦٥

مير يوسف علي ابي اللحم من سنة ١٨٦٥ الى ١٨٦٦

مير بشير عصف ابي اللحم من سنة ١٨٦٦ الى ١٨٦٨

قائمة كسروان والبترون

الامير مجيد شهاب من سنة ١٨٦١ الى ١٨٦٤
الامير افندي شهاب من سنة ١٨٦٤ الى ١٨٦٧
الامير داود مراد من سنة ١٨٦٧ الى ١٨٦٨

قائمة البترون

الامير امين منصور من سنة ١٨٦٥ الى ١٨٦٧
الامير قيس ملحم شهاب من سنة ١٨٦٧ الى ١٨٦٩

قائمة البقاع

اسعد افندي ١٨٦٥ الى ١٨٦٩

قائمة الكوره

الامير حسن شهاب من سنة ١٨٦١ الى ١٨٦٢
نقولا نوفل من سنة ١٨٦٣ الى ١٨٦٤
الامير علي منصور من سنة ١٨٦٤ الى ١٨٦٥
خليل الجاويش من سنة ١٨٦٥ الى ١٨٦٧
الامير حسن شهاب من سنة ١٨٦٧ الى ١٨٦٨

المدرسة الوطنية في بيروت

انشأ هذه المدرسة سنة ١٨٦٣ المعلم بطرس البستاني في بيروت في زقاق البلاط .

المعلم بطرس البستاني

ولد هذا الرجل في الديية من اقليم الخروب في جبل لبنان سنة ١٨١٩ وقد تلقى العلوم في مدرسة عين ورقة المشهورة وقد درس فيها الى سنة ١٨٤٠ ثم تركها وأتى بيروت وتعرف بالانكليز عندما حضروا الى سوريا فكان ترجان عندهم وحيث تعرف بقسس الاميركان البروتستان قاعتق مذهبهم وابتدأ يعلمهم العربية

وعرب لهم الكتب في سنة ١٨٤٦ انشئت مدرسة عيه للبروتستان فعاون الدكتور فنديك على انشائها وعلم فيها ولف كتابه في مطول الحساب وبنى على هذه الحالة بين تعليم وتأليف وترجمة الى سنة ١٨٦٣ حيث انشا المدرسة الوطنية وهي أول مدرسة داخلية في بيروت ومن اراد معرفة ترجمته مطولاً فعليه بدائرة المعارف في لفظة دايرة لانه توفي عندما وصل الى هذه الكلمة في اول ايار سنة ١٨٨٣ .

معلمو المدرسة

الرئيس المعلم بطرس : كان يعلم صفاً في اللغة الانكليزية
نائب الرئيس ولده سليم : وكان يعلم الصف الاول في الانكليزي
الست ساره : ابنته كانت تعلم صفاً في الانكليزي ايضاً وقد توفيت تلك السنة
الشيخ ناصيف اليازجي : الشاعر الشهير الصف الاول في العربية
ولده الشيخ ابراهيم : كان يقوم مقام والده اذا غاب
الشيخ يوسف الأسير : كان معلماً لصف الصرف
الشيخ خطار الدحداح : الصف الاول في الافرنسية
الشيخ قلان الدحداح : الصف الثاني في الافرنسية
المعلم سعد الله البستاني : الصف الثالث في الافرنسية
المعلم اسير شقير : وبعده المعلم سعيد شقير الافرنسية
المعلم شاهين سركيس : الصف الثاني في العربية والحساب
المعلم يوسف الباحوط : من كفتمتي العربية والحساب
المعلم ابراهيم ناصيف : من سوق الغرب العربية
المعلم خليل ريز : الصفوف الابتدائية المعلم سليم تقلا للمبتدئين بالعربية
فدخلت في الصف الاول في الفرنساوي والاول في العربي وكذلك في الحساب .

المسألة الدينية

كانت تلاميذة هذه المدرسة من ملل مختلفة فكان يرسل الرئيس كل واحد الى كنيسة مع معلم مخصوص بهار الاحد والاعياد وطول حياته لم يتكلم عن المذاهب وكان يوجد خادم مخصوص لاكل اليهود وكان يوجد اختلاف بين المطران بطرس البستاني مطران صور وصيدا وبين المطران طوبياً مطران بيروت بشأن هذه المدرسة فالمطران بطرس كان يميز لاولاد ابرشيته الدخول فيها وبمعكس ذلك المطران طوبيا .

ففي ذات يوم ذهبنا كالعادة الى الكنيسة المارونية في بيروت صحة أحد المعلمين فبعد دخولنا حضر أحد الكهنة وأخرجنا منها عن أمر سيادته ولهذا صرنا نذهب الى كنيسة الروم الكاثوليك .

درسنا العربي

وكان معلمنا الشيخ ناصيف اليازجي الشهير يعطينا درساً في ارجوزته في النحو وهو من قرية كفرشبا خلق شاعراً وقد يز بالشعر والفصاحة فقال اعلى درجات الفضل بما وضعه من المؤلفات والقوانين المفيدة لدرس العربية وكان يقول لنا اول موال عمله وابتدي بعمل مطلع على المعنى وهو الذي علم ذاته وكان المعلم بطرس يعرض عليه تأليفه كقاموسه يحيط المحيط وكان يعطيني الكرّاس المصلح لأعطينه الى المعلم بطرس وكان يقول لي عند ذلك انا القاموس السيار وعند غيابه كان يوكل ولده الشيخ ابراهيم بالدرس وكان لابساً عمامة سوداء مع قفطان وجبة وصرمابة حمراء يخلق لحيته وهو بسن الشيخوخة وكان بيته قريباً من المدرسة وهو من المولعين بشرب القهوة والتدخين وقد كان يعهد الي باشعال سيكارتة أو غليونته فكنت اذهب الى خارج الدرس واشعل له الغليون بعد ان ادخن فيه قليلاً وكان المرحوم اخي خليل معي في المدرسة وهو ذو ذاكره عظيمه يعتني اكثر مني في العربية وكثيراً ما كنت اعمل دروسي ولا اجيب على السؤالات التي اسئل عنها فكان بعد جوابي يلتفت الى المرحوم اخي ويقول له :

شعر

اخوك اخو مكاسلة وجهل فقل لي يا خليل فكيف انت

وكان له صوت جرش ولسانه غير فصيح لا نفهم كلامه الا بصعوبة وخصوصاً هذا الشعر وهو مولع بفن الموسيقى وصوته لا يطابق النغماة وكان معنا احد التلامذة له صوت جميل كان الشيخ يفني امامه بعض تواشيع يتعلمها ومن جملة هذه التواشيع ما يأتي .

توشيح

يسا بدر في سعد العمود	شفيت بي قلب المحمود
ترى ليلى النينا تعود	حب الزمـــــان الاول
قد طال الهين يا نور العين	حتى انضى بك حالي كل الضنى

دور

دارت بليلى قـــــــد سجي	فرأيت بـــــــدراً في دجي
ولمّت ثغراً افلجـــــا	بحكي ومنـــــــه مقتلي
كحيل العين رب الخــــمــــالين	قد رثي وملالي كــــاس المنــــا

دور

مــدامتي عن ثغرها
ويــدي الوشاح لخيرها
والثقل لي من نحرها
تحت الضفــير تتجلي
قد حان الحين ويان البين
يســا فرحتي بغزالي تلت المنى

لو كان بسمنا الاب كوكيل من عينطورا لكسر يدي بالطبشة .

رواية يوسف الحسن

وقد القوا رواية لآخر السنة كنا نتعلمها قبل بشهر وهذه الرواية هي رواية يوسف الحسن وكان المشخصون التلامذة الاتين .

يعقوب	ابراهيم راشد
يوسف	وليم خياط من ياغا كان ذا صورة جميلة
فرعون	يوسف علام وكان له هبة كاملة
رئيس	الاسماعيلية ملحم شكور من غير زحلتا واليوم في مجلس الجيش المصري
امراة فوطيفار	سليمان الجاهل من دير القمر فاعقام زحله الآن
فوطيفار	شاكر الخوري من بكاسين (وهو مؤلفه)

وكان من جملة الرواية نشيد كان يتدب به يعقوب ولده يوسف وهو من نظم الشيخ ناصيف اليازجي وهو :

شعر

يــد يوسف الحسن قلبي
ما طــاب بعــدك عيشي
عليك بــالشوق زابــسا
لكنّ لي الموت طــباب

دور

ويلي على حسن وجــه
ونظرة منــه عنيــدي
قــد فــاق كــل المحاسن
تــوى جــيــع الخرائن

دور

يــا ايــا الــفــتب هلا
قــد صــرت اشرف وحش
رحمت ذلّ القــلام
اذ نلت اذكى طــمام

دور

شربت دماً ذكياً
ربيت له لك حتى

مقني الموت في
بلغت منا تنبيهه

وقد تعلمنا هذه الرواية جيداً وكنا نتمرن عليها في المرحح الذي كان في دار المعلم بطرس وقد شخصناها قبل الفرصة امام دولتلو غلص باشا والي سوريا الذي زار المدرسة وقتئذ وعندما كنا قريين من الفرصة ومستعدين لتشخصها وقد البنا الهواء الاصفر وبسبه هربنا من المدرسة قبل الفرصة .

الهواء الأصفر سنة ١٨٦٥

قد اتانا هذا الرباء عن طريق مصر وقد سمعنا ونحن في المدرسة ان البعض في بيروت توفوا به ولكن الذي زادنا خوفاً هو توفي محالب بن متى فرح ابن المزي الشهر الذي توفي به فجأة وكنت اعرف هذا الشاب عندما كان يتوجه الى مدرسة عيظولوا في آخر السنة لحلب اخوته في المدرسة .

وعندما بلغنا خير وفاته ارتعبت جداً وخصوصاً لأنني كنت اعرفه لأن موت من نعرفه له اعظم تأثير فحيث ذهب الى العلم بطرس واختبرته وقلت له ان مرادي اذهب الى الجبل فضحك وقال وماذا تعمل برواية يوسف فقلت بنقيا للسهة الاية احسن ما نذهب ونشخصها عنده فقال اذهب (اعني الى الجبل وليس لعند يوسف) وكان اخي المرحوم خليل خرج في نصف السهة لضيفه وللأزمة الحمى له فاخذنا حوائجنا ونوجهنا .

وفي اليوم الثاني ذهبنا الى دير القمر ومنها توجهنا الى بكاسين وقد اجتمعت كل اقاربنا في هذه السنة لوجود الهواء الاصفر في المدن فكنا كل يوم نذهب للتتره في عمل دون الاخر وذلك لعدم الشغل وسبب الاجتماع وعائلات شم الهواء هي اولاً .

عري

عري قرية شرقي بكاسين على سفح الجبل المقابل لها وهي كلمة سريانة معناها الباردة وفيها ينبوع عظيم يأتي من اعلاها من تحت الصخور يسمى نبع الناصري نسبة الى الملك الناصر الذي جلس عليه عندما كان في تلك النواحي يعني كل اغراس القرية والجبل الذي في اعلى القرية فيه صخر كبير محفورة فيه طوابق وغرف وابار تسمى قلعة تيرون اي الصخر الصغير كما قلنا وهي قلعة نبحا التي هي ساعة بكاسين وهي متجهة الى الغرب وعندما تصل الشمس الى وجهها الغربي فيكون حينئذ الظهر وهذا في كل الفصول بحيث كل الجيرة تنتفع منها كساعة عمومية .

شم الهواء في ميشا

ميشا مقام بيد الاسلام من قرية بنواثي لفظة سريانية معناها بتاني مركبة من بنوتين التي كانت وقتاً له وهو على ارتفاع يعلو عن سطح البحر الف ومايبي متر وهذا الارتفاع بشكل مركب ترى منه جميع الجهات وهو غربي بكاسين كأنه شمسية وضعته بكاسين على رأسها وقد اختلفت الآراء بخصوص ميشا .

قال البعض ان احد الفتيان الثلاث الذين رموهم في اتون النار وهم حنانيا وعازريا ومشابل اللذين تسمو شدرخ وميشخ وعبدنفو دانيال الاصحاب ١ عد ٦ و ٧ لانه يوجد ثلاث ارتفاعات مقابلة بعضها على كل ارتفاع مقام باسم احد هؤلاء الفتيان الاول حنانيا له اثر مقام فوق ارتفاع قرية نخبت التي هي شرقي ميشا والارتفاع الثاني فيه اثر مقام لعازريا ويسمى المجل باسم تلة عازور وهو غربي ميشا بحيث يرى ميشا المقامين شرقيه وغريه .

واقول ربما ان ميشا هو ارتفاع من ارتفاعات بني اسرائيل كان عليه صنم ميشا وميخا وهو الذي كان خادماً عند رجل في جبل افرائيم بصفة كاهن وكان عنده تمثال واثي بنو دان واخذوا الكاهن والصنم الذي معه وملكوا مدينة لايش وسعوا باسم قبيلتهم دان وهي الان قرية تل القاضي التي لا تبعد عن محل ميشا اكثر من عشر ساعات وفيها نبع الاردن أو فرع منه القضاء الاصحاب ١٨ .

واقول ايضاً ربما هو مقام النبي ميخا الذي كان في ايام آحاز وحزقيا ملوك يهوذا واسمه ميخا المورسني كما انه على تل آخر جنوبي ميشا يوجد مقام للنبي صفنيا ابن كوشي المسمى الان بالنبي صافي .

وحسب قول اهل بنواثي الخادمين لهذا المقام ان ميشا هو ابن يوسف وربما منسى وان مقام زليخه الى الجنوب مقابلاً له وهي والدته فعل حسب قولهم ان الله كافى يوسف واعطاه زليخه زوجة حتى لا ينحرم

منها فولدت له ميثا أو منسى وان احد اجدادهم الذي حضر الى بنوآفي وجد في هذا المثل بلاطاً في الارض مكتوب عليها اسم ميثا وزليخا فجمع مآلاً وبني هذين للمقامين وهما بناء عربي اسلامي هذا ما قاله لي احد اهالي بنوآفي وهو خليل حسين اسعد من نسل مصطفى الشيل .

ومن منا يزعم ان ميثا هو ابن ارام بن سام بن نوح وان لآرام أربعة أولاد وهم عوص وحول وجائر وماش كما في الاصحاح العاشر من سفر التكوين عدد ٢٣ وباسم ماش تسمت مدينة ميثا التي كان يسكنها بنوبقطان وكان سكنهم ممثدا من ميثا الى سفار جبل الشرق أي جبل حرمون وقرية ميثا هي القرية المسماة الان بقرية ميثس الكبيرة مع سلسلة الجبال القائمة فيها القرية المذكورة غربي بحيرة الحولة أو (ميروم) يعني المياه الواطئة وهي بحيرة الحولة الان وأثباتاً لذلك ان سوريا كانت تسمى باسم بلاد ارام وان اليونان سموها سوريا مختصر اشور بعد ما فتحوا بلاد الاشوريين ولنا دليل آخر وهو ان اخوة ميثا كانوا مجاورين له لان بلاد عوص كانت بلاد حوران ومنها النبي ايوب فتجد الان مقاماً فوق نبحا يطل على مقام ميثا لانه شرقية هو مقام النبي ايوب الذي ذكرناه ونبحا لا تبعد عن حوران إلا مسافة اثني عشرة ساعة وكان للنبي ايوب مقام في حوران كانت تزوره الناس في عهد مار يوحنا فم الذهب الذي ذكره .

والثاني من اولاد ارام المسمى حول سكن الحولة وتسمت باسمه وحول معناها انخفاض .

والثالث من اولاد ارام اسمه جائر وهو الذي سكن جهة جاثور وهي بالقرب من شط الاردن الشرقي وبقي هذا الاسم محفوظاً باسم جائر وهو الذي التجأ اليه أبو شالمو بعد قتل اخيه كما في سفر الملوك الثاني ٢ : ٣٠ و ١٣ و ٣٧ .

واما الولد الرابع لآرام وهو ماش أو ميثا فلا بد من ان يكون له املاكاً حول اخوته ولا شك انها كانت ممتدة شمالي اخيه حول الذي منه اسم الحولة الان وهذه الارض هي اقليم جزين الان الذي فيها ميثا كما انه يوجد فيها على جميع ارتفاعاتها مقامات للأنبياء كنبسي صافي فوق جباج والنبي سجد والنبي يعقوب في قرية روم وجملة أنبياء في تلك النواحي والنبي ايوب ايضاً .

النتيجة

لماذا نترك الاسماء الواضحة الموجودة للان في بلادنا والتي تدل بصراحة على كلام التوراة ونفرض محلات اخرى لا دليل لها فكل من التقاليد والاسماء بدلنا الى الان ان مركز الفردوس الارضي وادم وهابيل وقاين وشيت ونوح وسام واران واولادهم كلهم من جهة دمشق والبقاع ولبنان وجبل الشيخ وما حوله وانه بعد ما كثرت العائلة البشرية توجهوا جهة المشرق وصنعوا برج بابل كما في الاصحاح الحادي عشر

للتكوين العدد الثاني وقول التوراة انهم ارتحلوا شرقاً هو برهان قوي يدل على انهم وجدوا في هذه الديار وان الجبل الذي رست عليه سفينة نوح هو جبل الشيخ نفسه لانه بسبب علوه حفظ نوح والحوانات من الغرق وخصوصاً ان الارض التي حوله قابلة للطفون كما يحصل كل سنة وكذلك الحمامة التي اتت بنصن الزيتون كان سيرها قريباً لان حاصيا وخلافها الموجود فيها الزيتون بكثرة هي قرية من جبل الشيخ الذي يدعى باسم حرمون الذي معناه اللعنة وكذلك اسم اراراط الذي تقول التوراة ان سفينة نوح رست عليه ومعناه بدون حرقه الاخير اللعنة فربما ان التوراة تسمي جبل الشيخ اراراط لان المعنى واحد وهو اللعنة واثباتاً لذلك اولاً ان ارمينيا التي ينسب اليها اراراط لا تعرف جبلاً من جبالها بهذا الاسم ثانياً ان الزيتون الذي حملته الحمامة لا يوجد في ارمينيا ولكن يوجد كما قلنا في حاصيا قرب جبل الشيخ فيكون كلما قلناه الان اقرب للمعلل والنقل بان بلادنا هي مركز السفر الاول للتكوين وبالتالي كل اسفار التوراة واثباتاً لوجود آدم عندنا وهو وجود اشكال اكله فالكبه والمريسه هما اكلتاى ايتا ادم لانها اول اكلات للانسان الذي جمع اللحم والخنطة سوية ودقها أو غلاهما ولا توجد في بلاد اخرى لا تضحك ايها القاري فهذا ينه الفكر لان العوايد لها اصل تاريخي .

حالة ميشا الان

ان هذا المقام لا يعرفه غير الاسلام الان اللذين يأتون لزيارته واما النصارى واليهود فلا يعرفون عنه شيئاً مع ان اليهود الى اليوم يزورون النبي سجد ويعتبرونه من أعظم الأولياء وهو اهوليب ابن اخيساماك من سبط دان الذي اشتغل في قبة العهد في الاصحاح ٣١ عدد ٦ الخروج .

وقد اخبرني عنه حاخام باشي صفد لانه زاره ويعرفونه جيداً وهو عند قرية الريحان في جبل الريحان في اقليم جزين وقد كان لميشا املاك عظيمة وقفاً عليه ومنها قرية بنواتي التي ادعت ان الملك ملكها وليست بوقف فاكلت هذه الاملاك فهذا يحق ان يقال عنها انها تلك الامة التي اكلت نبيا .

وبما ان مركز ميشا من اجمل مراكز الدنيا منظرأ فالبحر تحت اقدامه والجبال تحت ايديه رافعاً رأسه الى العلاء يديره الى كل الجهات ويرى كلها فيها وكان محاطاً باشجار من السديان قديمة العهد مثله كانت تظلل الزائر من الشمس تمتدأ في اسفلها وتحت ظلها مستنشأ ذلك النسيم العاطر الرطب مدة الصيف فن جملة مظالم اهل بنواتي ضمنوا هذه الاشجار لقصها وعملها فحماً وكل ذلك بثلاثمائة وخمسون قرشاً مع انني دفعت لهم هذا المبلغ لبقاء هذه الاشجار وبعد غيآبي عنهم قطعوها واصبحت الارض قراء بحث ما امكن ميشا ولا امكن دراهمي ان توقف اهل بنواتي عن قطعهم الاشجار وبما ان هذا المحل اعظم المحلات وكاشف لجميع الجهات كنا نجتمع فيه عندما نريد التتره ونصعد اليه لانه لا يبعد عنا اكثر من نصف ساعة صعوداً .

وإذ كان مركز هذا النبي كاشفاً الى بعد شامع وان بكاسين مخفية حسب اسمها ولا يظهر فيها شيئاً من الزينة اذا صنعت فيها وقد اقتصرت ان اعمل زينة في عيد الجلوس الهايوتي لسلطاننا عبد الحميد خان سنة ١٨٩٧ في هذا المثل فاختيرت الجيرة بذلك وخصوصاً اهل بتوالي اصحاب المثل فتوججنا واحتفلنا بالزينة هناك فكان منظر بديع جداً تمتد لصور وصيدا والساحل والشوف وعندما جاء نعيم باشا لجزين وزار بكاسين عملت له ايضاً زينة هناك فسرته كثيراً .

وعندما كنا مجتمعين في شهر آب سنة ١٨٦٥ مع جميع اقاربنا الذين غادروا المدن بسبب الهواء الاصفر وخصوصاً لاشغل واحد في ذلك الوقت اتفقنا ان نصعد سوية في يوم معلوم الى هذا المثل وتاكل اكل الظهر هناك فاكلنا خروفاً وكخروف بني اسرائيل لا عيب فيه مشواً وتبعنا وصية موسى فيه ان لا نبغى منه شيئاً .

دير مشموشة

ان مركز هذا الدير عظيم جداً وهو على السفح الشمالي الغربي في جبل ميسا اوطى منه متافقي منز فيكون علوه عن البحر ألف متر محاطاً من الشرق بغابة من السندان يسمى الشعرة تمتد لقرب قمة ميسا ومن الجهات الأخرى بغابات من التوت والكروم وهو ذو مياه عذبة باردة وذو منظر بديع لانه يكشف ما يكشفه ميسا بلجهة الغرب وقد تسمى ديراً سنة ١٧٣٦ في زمن الأب العام توما اللبودي الحلبي الذي ترأس من سنة ١٧٣٥ الى سنة ١٧٤٢ وهو الذي أرسل الى رومية بشأن تثبيت المجمع اللبناني وقد كتب الشيخ علي جنبلاط الى البطريك طوبيا الخازن ان لا يقبل في دير مشموشة الا الرهبان البلدية لذلك خرج منه الحلبيون وكان الدير لهم .

واما عمله الحالي الان فقد اشتراه البطريك سمعان عواد من الحج ناصيف الحكيم والحج اشتراه من والدة الامير سيد احمد سنة ١١٤٥ هجرية بثمن عشرين غرش وباعه للبطريك بخمسة وعشرين غرش هذا في روزنامة الدير واشترى قسم من ارض الدير من اولاد ابو عتمه من مشموشة فياض ونغر وصخر وشعمون من عين الحوزة التي هي الان عين الدير لحدود ميسا عندما كان مطراناً على دمشق لان البطريك المذكور انتخب بطريكاً سنة ١٧٤٣ بانتخاب البابا بناديكوس الرابع عشر لانه حصل اختلاف بين المطارين وانتخبوا بطاركة اثنين قابطلت روميه هذا الانتخاب وسامت المطران سمعان بطريكاً سنة ١٧٤٣ ثبت في ٣ تموز سنة ١٧٤٤ توفي ١٢ شباط سنة ١٧٥٦ واصل هذا البطريك من حصرون من شمالي لبنان فاتى اقليم جزين زائراً من قبل البطريك لان الابريشية كانت تخص البطريك وقيل من اضطرهاد المتأولة الذين كانوا حكاماً في تلك الجهات وعندما حضر الى اقليم جزين اشترى نصف مزرعة الميدان من الشيخ

عبد أبي هرموش لأن تلك الجهات مثل الميدان وبتدين اللقش والحرف كانت تخص هذه العائلة وقد أعطى البطريك نصف الميدان إلى أقاربه الذين حضروا معه وأما البطريك سمعان بعدما عمر قسماً من دير مشموه الحالي سلمه إلى الرهبان بموجب حجة مصادق عليها ومن جملة الشهود الموثقون السمعاني الشهير وهذه الحجة في روزنامة دير مشموه ثم انتقل البطريك المذكور إلى الميدان مع أقاربه والميدان هو أسفل دير مشموه يبعد عنه ربع ساعة فكانت تأتي الزوار إلى دير مشموه وتدفع نفورهم ثم تنزل عند البطريك إلى الميدان وتأكل عنده وقد قال البطريك كلاماً أصبح مثلاً وهو النذر للدير والخراب على سمعان وقد توفي البطريك المذكور في دير مشموه ودفن هناك ولم يعرف قبره لأن مع أن قبر والدته موجود قبلي الدير حيث توجد مدافن للعيال التي أحسنت إلى الدير منها عائلة البطريك عواد وعائلتنا وبيت أبي عتمة من مشموه وقد اشترى جدنا غنطوس أبو خالد المدفن هناك بخمسمائة غرش في ذلك الزمن كما هو مذكور في روزنامة الدير وقد عمروا كنيسة الدير التي تكلف الآن لحد مائتين ألف غرش بخمسمائة غرش .

وقد كانت هذه المدافن غربي الدير على الطريق ثم ابن عمنا القس غانويل الخوري ابن فرنسيس الخوري الذي تهرب وصار رئيساً على جملة أديرة ومن جملة دير مشموه عمل لها صوراً منع الطريق عنها فصارت المقابر منصانة من الغرب ولكن انداست من أشغال الرهبان فصارت تضع حطبها وأشغالها عليها وقصدهم نقلها من هذا المثل إلى أبعد لأن بعض عيال مثل بيت أبي عتمة لم تزل تدفن هناك فتضر بالصحة فالحق معهم بذلك لكن على شرط أن القبور القديمة لا تتلاشى ولومنع منها الدفن فعل ذلك أعطيت لبرا فرنسية إلى حضرة ابن عمنا الخوري اسطفان كي يجمع من أفراد العائلة مثل ذلك وأن يعمل درايزونا من حديد ويعمر حجرة القبر وتبقى ظاهرة لأن هناك عظام كل عائلتنا من مائتي سنة .

املاك الدير

إن لهذا الدير املاكاً عظيمة بعضها وفقاً من المحسنين والبعض مشتري من الدروز لأن الأرض تخصهم ومن جملة الاملاك المشتراة من أسرة مشايخ أبي هرموش هي نصف الميدان وبتدين اللقش والحرف وحل الدير من عابلة أبي عتمة وقد وجدت صورة الحجة عند إبراهيم حبيب جبر أبو عتمة وهذه صورتها .

وجه تحرير الأحرف هو أننا أخذنا من حضرة الست أرض في مشموه من عين الجوزة إلى عين مشموه وأوقفناها إلى دير سيده مشموه ومن حصّة أولاد خالتنا بيت أبو عتمة أعطيناهم شقّة من عين مشموه إلى الحجر الكبير الذي على الدرب والحد من ساقية الماء الناطقة من الميدان إلى الصخر الذي فوق الدرب وبقيت حصّتهم في الأرض المذكورة سمحنا فيها للدير تحت كل شيء يخصهم من الأمر الروحي

يكون قيامه على الدبر ابدى ومن الميرة تابعهم ومن الحرش ما صار عليه بيع ولا وقف غير انه مشترك بين
الدير ومشموشة وبعد ذلك كل منا يتصرف بحقه كيفما شاء حرر ذلك وجرى في سنة ١٧٣٥ .

الحقير في الرؤساء

البطريك سمعان

الانطاكي

النسب اليه

حاج نصيف حكيم

محل الختم

شهد بصحة ذلك وعمل بموجباً

ومن جملة املاك الدير مزرعة جبل طوراً والنبطية القوقى التي فصلت الان وعملت دير لحالها واول
رئيس عليه القس موسى خرايب صباح وكذلك اصل دير بختين من دير مشموشة وقد عمله القس
ارسانوس النبحاوي واغلب رؤسائه من عائلتنا .

وقد اشتروا الارض شرقي الدير مع الحرش العظيم بخمسية وعشرين غرش ومن جملة الذين اوقفوا
الى دير مشموشة جدنا أبو عساف .

أبو عساف رزق الله الخوري

ان هذا الرجل من اجدادنا توفي عن ابنتين احدهما تزوجت ابن عمها يوسف الخوري جد بيت
نصرالله والثانية تزوجت فرنسيس العازوري واخوته وهما الخوري ابراهيم جدنا وبيد بيت ابي خالد والثاني
انطون جد بيت شهيدان الذين مهم سيادة المطران شكرالله والخوري عبدالله كاتب غبطة البطريك
الحولك .

وقد كتب وصيته عند موته على يد القس مبارك الديراني رئيس دير مشموشة ومن جملة الوصية انه
وقف الى دير مشموشة مزرعة جوار السوس ليصرف ريعها في عمل مدرسة لتعليم اولاد بكاسين وهذه
الوصية لم تزل عندي بخط الرئيس المذكور وتاريخها من سنة ١٧٨٧ وقد افسد هذه الوصية المطران حنا
الحلو الذي صار فيها بعد بطريكتاً وسبب افسادها اولاً انها ليست بخط الواقف ثانياً ليس فيها شهود الآ
الرئيس فهو شاهد وكاتب الوصية معاً وحيث له جر غشمة في الوصية فسدت شهادته لانه شاهد واحد
وفساد هذه الوصية بخط المطران المذكور ولم تزل معي واتخيراً بعد ان توفي ابو عساف المذكور اتفقت
الورثة واتفق الشيخ غنطوس ابو خالد ابن اخ ابو عساف مع الرئيس على ابقاء هذه الوصية للدير وحيث
كانت مزرعة اسمها خرائب صباح بقرب الدير استبدلها بجوار السوس الموقوفة من ابي عساف وحجة البذل
لم تزل عندي وموجودة ايضاً في روزنامة الدير وهي صورة الحجة .

حجة جوار السوس

وجه تحريره

وهو انه بعنا حضرة ولدنا غنطوس الخوري حصتنا الذي اوصى لنا فيها للمرحوم ولدنا ابو عساف وهي ثلاثة ارباع جوار السوس من جميع ما يكون واخذنا في الثمن المذكور ثلاثة ارباع حصة الشيخ علم الدين الذين اخذناهم من خرائب صباح وصارت مقاوضته وذلك برضانا ونحاطرنا من غير كره وعن الثمن خمسين وخمسين غرش فصار المحل المذكور ملك ولدنا المذكور تحريراً في سنة ١٧٨٧ .

الحقير النفس

مبارك ديراني

لبناني

عمل الختم

رئيس دير مشموشة

وبعد هذه المبادلة عينوا عوض فتح مدرسة ان يقدم الدير سنوياً عشرة قداديس عن نفس العائلة ولم تزل هذه القداديس الى اليوم وهي مقيدة في روزنامة الدير والخوري اسطفان ابن عمنا الان يأخذ كل سنة وصلاً في هذه القداديس التي تقدر نهار عيد مار مارون في ٩ شباط ونوصي كل من بعدنا ان يتبع ما يعمل الخوري اسطفان لان لا احد يرجع من هناك ليخبرنا اذا كان يقدر له ام لا فهذا من خصائص الاحياء .

واذ كان هذا الدير يبعد عن بكاسين ثلاثة ارباع الساعة كثر فيه الرهبان من بكاسين حتى وصل عددهم لحد خمسة وثلاثين راهباً وكان منهم رؤساء ومدبرون يحافظون على هذا الدير كبيتهم الخصوصي وحيث الرهبة كثيرة في بلادنا وبهم كل شخص معرفتها فلاجل ذلك نشرح بعبارات وجيزة ما هي الرهبة وتاريخها في العالم !

ماهية الرهبة

الراهب يعني الخائف والرهبة انما هي اعتزال الراهب عن الدنيا وأمورها العادية لاشتغال النفس بالعبادة وبالأمر الدينية .

وقد وجد أناس من ابتداء العالم في كل دين ومذهب يعتزلون ويتغردون عن العالم فترى عند المنود رهبة وفي أغلب الأديان القديمة أيضاً .

وأما انتشار الرهبة بكثره كان في ابتداء النصرانية بحيث كان كل دير قائماً بذاته وأما في القرن الثالث للميلاد عندما تكاثرت الرهبة وملكت البراري والجبال في آسيا الصغرى وسوريا ومصر انضمت الى بعضها وفي آخر القرن الثالث اقيمت راهبات من الاناث .

أول دير مسيحي ورهبة

ان بولس الطوي وتلميذه بوخوميوس هما اول من انشأ الرهبة ووضعوا اساسها في جزيرة ناميا التي تبعد قليلا عن اول شلالات النيل الى الجهة الشمالية وقبل هذا الدير كانوا يسكنون المغائر وقد نظرت في مصر مدة سياحي في اسبوط التي ساد كرها فوق القرافة الحالية مغائراً من زمن المصريين القدماء كان عليهم كتابة من اللغة المهيروغليفية يعني الخط المصري القديم فعندما سكها السواح المسيحيين وضعوا طيناً على هذه الصور ظناً منهم انها اصنام ولحد الان توجد هذه الطبقة من الطين .

وفي سنة ٣٤٠ اكمل بوخوميوس تنظيمها وترتيبها واتخذت عدة اديرة تحت ادارته وانقسم كل دير الى عدة أسر كل منها يتعاطى اعمالاً آلية خصوصية تحت ادارة رئيس مخصوص وكانت كل عائلة رهبانية مؤلفة من اربعين راهباً تقسم كل ثلاثة منهم في صومعة ولما جاء القديس اثناسيوس الى الجزيرة المار ذكرها سنة ٣٥٦ لاقاه بوخوميوس في جيش من الرهبان يتنعمون بالزبور لم امتدت الاديرة فوق وادي النطرون في تحرم صحراء ليبيا اي بلاد البرابرة الان واجتمع بمدة قصيرة خمسة آلاف راهب يبلغ عددهم سنة ٣٥٦ عشرة آلاف ذكرأ وخمسة عشر الف انثى وكانوا يصلون ويتعاطون الصناعة والزراعة ويقومون بالاحسان وكانت تلك الاديرة عبارة عن مدارس كبيرة وكان لكل دير منها مكان مخصوص لتزول المسافرين مجاناً .

الاديرة في فلسطين

في سنة ثلاثمائة وثمانية وعشرين أسس القديس هيلاديون الرهبة في فلسطين وفي السنة نفسها شاد اوسانيوس اسقف سبستيا الرهبة في ارمينية سنة ٣٦٠ اقام باسيليوس رهباناً في ساحل بحر الاسود الجنوبية وفي ابام يوحنا فم الذهب تكاثرت الاديرة في جوار انطاكية فزادها نمواً وفي سنة ٣٤٠ اخذ القديس اثناسيوس اثنا عشر نفيه الثاني الى رومية بعض رهبان مصريين ثم التقى في القديس مريتنوس الطودي وكان لم يزل جندياً في مدينة تربط الامبراطورية فانخرط في تلك الرهبة وهذا القديس مريتنوس هو ابو الرهبانات في اوربوا ومؤسس الاديرة الاولى غربي جبال الالب .

وانشأ القديس امبروسيوس ديراً في ميلان ونصر هناك اغوستينوس الذي أسس الرهبة في شمالي افريقية ووضع لها قانوناً فاصبح فيها بعد قانون الوف من الاديرة الاوروباية ومن ذلك الوقت ابتدت

الرهبان تتقدم وترداد وتارة كانت تضطهد لتكاسلها وخروجها عن محورها الاصلي والبعض منها ثلاث وظهر خلافتها الى ان بلغ عددهم تقريباً مائة وعشرين الف راهب ومائة وتسعة وثمانين الف راهبة بطقوس مختلفة .

القديس انطونيوس الكبير

هو اب الرهبان الحقيقي الذي اسس العيشة الرهبانية المرتبة بقوانين ولد سنة ٣٥٢ ونوفي سنة ٤٥٧ وعاش سنة ١٠٥ وقصته طويلة وهو الذي زاره اثناسيوس وكان يطلب دعاه في ضيقاته من الاربوسين وكان الملك قسطنطين الكبير يرسله ويطلب دعاه ويركبه وتلامذة هذا القديس هم الذين اسسوا الرهبنة في مصر وسوريا وفلسطين .

الرهبنة المارونية

كان دير بقرب العاصي يسمى بدير مار مارون وهو اول الاديرة في سوريا الثانية وقد غار رهبانه غيرة للرب اضطهدوا واستشهدوا واول دير سكنوه في لبنان هو دير مار مارون في كفرحي الذي زرتة سنة ١٨٨٤ مدة المطران يوسف فريفر وهذا الدير كان مدرسة يومنث لابرشية جبيل والبتون من سنة ١٨١٢ وكانت هذه الاديرة في لبنان منفردة لوحدها يسكنها عباد وائل دير قايم بقاته .

تأسيس الرهبنة المارونية

في اول شباط سنة ١٦٩٤ مثل بين يدي البطريرك اسطفان الدوبيي العالم الشهر ثلاثة شبان خرجوا من حلب لزيارة الاراضي المقدسة وكان البطريرك المذكور في دير قنوبين .

وهؤلاء الشبان الثلاثة هم جبرائيل حوا وعيدافه بن عبد الاحد قرأعلى والثالث ابن البت موارنة ذوي ثروة وحسب وطلبوا من البطريرك مقابلته واطهروا له قصدهم في الذهاب الى القدس وطلبوا منه الاذن والمساعدة على اقامة رهبانية يكون لها قانون واحد يجمعها على طريقة واحدة وان يكون لكل دير رئيس ورئيس عام للجميع .

لبسهم الاسكيم

في اليوم العاشر من تشرين الثاني سنة ١٧٩٥ البسهم البطريرك اسكيم الرهبنة في كرسية دير قنوبين على سبيل للتجربة دون نذر وانعم عليهم بدير مار مورا قرب اهدن احدى قرى لبنان وكان خراباً فاصلحوه

واقاموا عليه رئيساً جبرائيل حوا وهو رئيسهم الاول واقاموا هذه الرهبة باسم القديس انطونيوس ولذلك يتندي مجتمعهم كل ثلاث سنوات مرة في ١٠ تشرين ثاني تاريخ لبس الاسكيم وقد اتهم الرهبان بكثرة وجمعوا قانونهم على قانون مار انطونيوس وتلاميذه وفي سنة ١٦٩٦ اخذوا دير مار اليسع النبي في سفح الوادي المقدس حذاء قرية بشري واقاموا عليه رئيساً عبدالله قرا علي وفي سنة ١٦٩٩ اقيم مجمع عام واقاموا رئيساً عاماً القس عبدالله قرا علي الذي فيما بعد صار اسقفاً على بيروت سنة ١٧١٦ ثم خلفه القس جبرائيل فرحات الشهر الذي تبع المؤسسين بعد ستين وترهب عندهم الى ان اقيم اسقفاً على حلب سنة ١٧٢٥ ودعي جرمانوس وكان اسم هذه الرهبة اولاً حلية لان موسسها حليون وفي سنة ١٧٠٦ لقبها الاب عبدالله المذكور بزمّن السيد بطريرك يعقوب عواد باللبنانية لاسما انتشرت في لبنان .

ثبتيها

في سنة ١٧٠٠ ثبتيها بطريرك اسطفان الدويهي ونذرت رهبانها النذور الثلاث وهي الطاعة والشفقة والفقر واما النذر الرابع التواضع فلم ينذروه الا في سنة ١٧٠٥ وقد ثبت قوانينها الخبر الاعظم البابا اقليموس الثاني عشر سنة ١٧٣٢ بموجب براءة رسولية مدرجة باواخر كتاب القوانين والفرائض المقدم ذكرها .

قسمتها

بعد خمسين سنة من تأسيسها أي سنة ١٧٤٤ قسمت الى بلدية وحلبية عدد اديرتها سبعة عشر ديراً واربعة اناطيش وكان رئيساً عاماً للبلدية الاب عمونيل الرشماوي وللحلبية الأب لويس الحلبي وقد جرى ذلك في دير حريصا فتمعين سنة اديرة للحليين والباقي للبلديين وثبتت هذه القسمة ببراءة رسولية في ١٩ تموز سنة ١٧٧٠ .

الرهبة الانطونية أو مار شعيا

تأسست هذه الرهبة في آخر الجليل السابع عشر وقد تبنها البابا اكليمينفوس الرابع عشر ببراءة رسولية مؤرخة في ١٧ كانون الثاني سنة ١٧٤٠ وهي خاضعة راساً للبطريك .

مؤسوها

- القس سليمان الحججي من قرية مشمش من بلاد جليل .
- القس عطا الله كريكور من بيت شباب القاطع .
- القس بطرس موسى من بزغون من جبة بشري .
- القس موسى من بعبداً المتن .

كان هؤلاء القسس في دير طاميش وكان الدير المذكور للمطران بلوداني مطران حلب ونعت تدبيره وكان رئيس القسس سليمان المذكور فامرهم المطران بالانتقال من هذا الدير الى مار شعيا برمانا الذي كان اسمه وبعد مجيئهم اتفوه لم اجتمع ثلاث قسس واختاروا قانون مار انطونيوس ولذلك تسموا بالانطونيين وعند العامة برهبة مار شعيا .

وهاك مجموع الاديرة والاناطيش والمدارس المارونية سنة ١٩٠٨ .

للمبلدية دير ٣٤ انطش ١٢ مدرسة ١٩

والرئيس العام عليها الاب يوسف وفول الاججي

للمحلية دير ١٢ انطش ١٠ مدرسة ٦

والرئيس العام الاباني القس لويس الخازن

للانطونية دير ٢٠ انطش ٧ مدرسة ٣

ورئيسها العام القس عاتويل الببداني

رهبة مار دوميط ديراً

فيكون مجموع الاديار ٦٧ والاناطيش ٢٩ والمدارس ٢٨

حالة الرهبة قديماً

كان شغل الرهبان في الفلاحة والزراعة وهم الذين انشأوا الاملاك تقريباً وكانوا بسطاء البية يحافظون كل المحافظة على قوانينهم خصوصاً نقشف العيشة والزهد وعدم الخروج من الاديرة وقد عرفت راهباً من

بكاسين اسمه الاخ ابراهيم البكاسيني بقي اربعين سنة في الرهبة في دير مشموشة الذي يبعد عن بلده بكاسين نصف الساعة وفي كل هذه المدة أي الاربعين سنة لم يأت بلده مرة واحدة وكانوا يعيشون بكل اتفاق ولم يختلفوا الا في مدة المجمع لاجل الرياسة وذلك بسبب مداخلة غيرهم معهم لان الذي كان يتوكل على مجملهم سواء كان من قبل الكرسي الرسولي أو من قبل بطريرك الطائفة كان يقيم رئيساً عاماً من يراه موافقاً وليس من يوافقهم فتحصل من ذلك الاضطرابات وهذا الرئيس كان يوظف كل رؤساء الاديرة من حزبه ومشربه وهؤلاء الرؤساء لم يحسوا الادارة بل كانوا يعاكسون من كان مضاداً لهم في الانتخاب وهذا كان سبباً للتشكيكات .

فالباري تعالى جعل لكل امر قانوناً متى خرج عنه بطل الامر فلتنظر في الامور البسيطة فاذا شئت الكتابة بلزمتك قلم وجبر وورق فان كان احد هذه الثلاثة ناقصاً لم تتم الكتابة فالسكة الحديدية اذا خرجت عن خطها تهلك ويهلك من فيها وهكذا كل هيئة اجتماعية وانسانية .

فلا بد يا حضرة الراهب من انك عندما رضيت الدخول في هذه الرهبة نظرت قانونها الاساسي وارادت الخضوع له فيلزمك حينئذ ان تكون خاضعاً لهذا القانون وبما ان الرئيس هو المحافظ على اجراء هذا القانون فيلزم الطاعة له ولكن اذا خرج عنه وتبع قانون شهواته فيسقط ويسقطك معه كالسكة الحديدية التي تخرج من محورها الاصلي وهكذا قل في كل عمل لان البشر نخضع ونحتاج لقانون هذا العمل وليس للأشخاص المسلمين هذه القوانين فاعتبار الاشخاص يتأتي من اعتبار القانون والمحافظة عليه .

حادثة

قال لي احد القضاة المعزولين وكان يشتكي من قلة حفظ العهد في الناس لانه عندما كان في منصبه كانت كل الناس حوله وتزوره وتكرمه وبعد عزله لم يرى شيئاً من هذا فاجبته يا صاحبي ان الناس تكرم وتلتجى الى المنظمات والشريعة التي هي محتاجة اليها وليس لشخصك لان كل من يستلم هذه الوظيفة يسلم اعتبارها واکرامها .

لاي سبب يعتبر الراهب

اي شخص يسمع عن شخص اخر انه مجرد عن كل غايات الدنيا وتارك شهواتها وحابس نفسه في صومعة لا يخرج منها الا بامر غيره حاكم على شهواته تارك حطام الدنيا طائماً لاوامر غيره وقد حلف بميناً معظمة امام الله والناس بان يكون فقيراً عفيفاً طائماً متواضعاً فكيف لا نحب هذا الشخص ونعتره وتكرمه

ألا ترفع عند رؤيته فلمعرفتك بنذره بالفقر قد امته على مالك وعلى مال الفقير وينذره للغة سلمته اسرار ابتك وإمراتك وبسبب نذره للطاعة آتست به وامنت من شراسة اختلافه وبسبب نذره للتواضع صرت نجبه وتتقرب اليه وتواسه فمن اين اتى هذا الاعتبار والاكرام لهذا الشخص اليس من نذوره هذه الاربعة هي الفقر والطاعة واللغة والتواضع فاذا كان حافظاً هذه النذور اما تخضع له قهراً عنك فالمعتبر عند الناس هو من لا يزاحمهم على الدنيا وحطامها فترى انهم لا يشبوا قديماً الا بعد موته واذا مات شقي سكوا عنه وقالوا الله يرحمه وما ذلك الا من كون هذا الشخص خرج من الدنيا وما بقي يزاحم اهلها لاجل الحسد منه فصار يعتبره الكل ومثل ذلك كل من يزهد في الدنيا ولا يزاحم احد ترى الجميع يعتبرونه ويكرمونه لانه لا يزاحمهم فترى اللصوص عندما يكونوا قاطعين طريقاً اذا راوا تاجراً يهبونه ويقتلونه ومتى رأوا رجلاً زاهداً حاملاً عصاه يتوكلوا عليها هاملاً نفسه تتقرب منه وتقبل يده وتطلب دعاه وهذه نتيجة زهده .

فاذا كنا نحن اهل الدنيا نزاحم على حطامها فنحن معزورون لان معيشتنا من المزاحمة ونرى لنا اعداء اكثر كلما زاحمتنا اكثر ولكن انت ايها الراهب ليس لك حق بالمزاحمة لان اسباب معيشتك مؤكدة وعندما تذمر الفقر وتدخل في الزهد كانتك نذرت الفتى لان الفتى من استغنى عن الناس فمن هو غني عن الناس اكثر منك .

ومتى خالف الراهب نذوراته هذه الاربعة أما يزول منك كل اعتبار واحترام له وهل يلام من يحقره أو يفضحه أو يكشف جلد الحملان عنه .

فانت ايها الراهب في هذه الحالة تكرم لاجل المحافظة على نذكورك وتحقر لمخالفتك اياها وقهراً عما يخفي الانسان من المعاصي فانها تظهر لدى العموم واذا وجد بعض اناس يكرمون صاحب الرزيلة فما ذاك الا لانهم يستحسنون هذه الرزيلة والاشترك فيها .

فكل من العقل والتربية والخوف والضعف هي اسباب لحفظ كل نظام وترتيب .

فالعقل يعرف الشخص كما ان النظام الفلاني يحافظ عن غيري مني كذلك يحافظ عني من غيري مثلاً اذا كان النظام يمنعني عن قتل غيري كذلك يمنع غيري عن قتلي وكل شيء يحفظني ان اخرج عن هذا النظام يكون مراماً وشهوة وغرضاً لان مع الفرض لا يتقبل الانسان والعامل الحقيقي هو الذي يكون عاقلاً مدة مصائبه فقد خلق الانسان الفلسفة والعدل لغيره ليس له فاذا توفي والد قريبك يأتي وتزنيه بكلام فلسفي عظيم تراه لا يسمع ولا يتعدى ثم بعد ساعة من الزمان يحصل لك الامر نفسه ويأتي جارك ويعزبك بالكلام نفسه الذي قتله له فتعمل مثله لا تقبل فلسفة ولا تزنيه كما انك تعدل بين اثنين غريبين عنك

ولكن بينك وبين خصمك لا تحب العدل عليك فالرجل الفيلسوف الحقيقي والمعادل الحقيقي هو من حكم على نفسه وتغلب مدة مصيته فيتج بما قلنا ان الشهوة تدوس العقل والمعادل الحقيقي من يدوسها قبل ثلاثة لا عقل لهم المجنون والمعاشق وصاحب الغرض .

الثاني : لحفظ النظام هي التربية الادبية والدينية والعلمية فالتربية الدينية تولد الضمير والتربية الادبية تولد الشرف والحياء والتربية العلمية تولد الاعتقاد بالحقيقة فاذا كان شخص خالياً من هذه التربيات فاذا يكون .

يكون ادنى من الحيوانات لان من جملة الامتيازات بين الانسان والحيوان الحياء والبرهان على ذلك هو انه يوجد افعال حيوانية مشتركة بينا وبين الحيوان ولكن يوجد اختلاف بينا في كيفية عملها فالحيوان يبول مثلنا ولكن الفرق انه يفعل ذلك امام اي كان ونحن نستتر عن الغير عند فعله والذي علمنا هذا العمل هو التربية وكل من لا يستحي ليس بانسان فالتربية الاصلية تكون في البيت لان كل من لا يتربى في بيته لا تربيته للمدارس ولا الرهبنة لانه لا يدخلها الا في الخامسة عشرة من سنه فيكون في هذا العمر انخرست فيه الخصال القوية سواء كانت حسنة او ردية فكل تربية فيما بعد لا تكون الا كطلاء غطى خشباً نغراً أو حمرة غطت وجهاً شيباً حيث عند الامتحان أو باي سبب كان يزول هذا الطلاء وينكشف الاصل .

والثالث : من اسباب حفظ القوانين هو الخوف من القصاص والاسباب الاخرى هي الفقر والضعف .

فاذا لاحظنا الراهب المخالف لقوانين رهبته يكون جامعاً جميع الاسباب المضادة للاسباب التي ذكرناها في حفظ القوانين ويوجد حجتان يحتمي فيها الراهب والحاكم ضد الشاكين فاذا شكوت حاكماً يقول عنك انك عاصي الدولة واذا شكوت رئيساً دينياً يقول انك بلا دين مع انك امين لدولتك ومحب لدنبتك اكثر من هذا الحاكم أو الراهب وقد حصل لي ذلك كما ساقوله فيما بعد فالبعض يظنون امكان الاصلاح ولكن لا اصلاح عندي الا بطوفان نوح حيث يقرضون ونوحاً معهم ايضاً والاضر من ذلك هو اعتبار أهل بلادنا لاناس لم يروا فيهم اسباب الاعتبار فانهم يجربون الغني ولو كان اصل غناه سرقة فلو كانوا يمدحون الفضيل لفصيلته والرزيل لرزيلته لكان كل منها يسر سرية توافق أفكار معاصريه بحيث يكون الرزيل أو السارق منفرداً لا يعاشره أحد ومتروكاً من الجميع فهذا ربما يمنعه عن تكرار أفعاله السيئة .

الرئاسة في بلادنا

لا شيء اصعب من موت الرئاسة في بلادنا لان الكل خاضعون لرئيسهم اما لنفهم منه أو لخوفهم أو لفقرهم فاذا كان الرئيس ذا مال فانه لا يموت .

الترية الدينية

هي جعل الناس اصحاب فضيلة ليستحقوا رحمة الخالق ويلزم معلم هذه الفضيلة ان يمارسها ويجعل تلميذه معتقداً به فكل السلطة تأتي من اعتقاد المؤمن بصلاح الشخص الديني ومحافظته على كل امور الدين فهذا هو اصل السلطة الدينية ومتى ابتدأ الشك في المتسلط الديني سقطت سلطته والسلطة تسقط عند احتقار صاحبها وصاحبها لا يحترق الا متى خالف قانون سلطته وهذا الاحتقار هو اصل فساد الهيئة ورمي الفتن وانقسامها فالقساوة والظلم يخوفان ويمكن زوال تأثيرهما وأحياناً يمكن ان يكون لهما عذر فالدم المهروق قد يمكن ايجاد عذره فيه لصالح عمومي أو لفرض نافع واما الفساد والفسق لا يمكن زوال تأثيرهما فالشعب يعتبر الفاسقين ادنياء وعادمي الاحساسات القلبية وبالاختصار بليدي الفكر قرييين من الحيوانات فالعامة تخاف الظلم ولكن تحترق الفسق .

ولا اضر على السلطة الدينية من الفسق لان الرئيس الفاسق محترق في اعين الجميع لا يسمع ولا يطاق وليس له عذر بذلك مثلاً يعذر الظلم والقساوة كما قلنا ان ضرر الدين يكون بالكثير من فسق الرئيس لا بل هو الاصل واصل الانشقاقات والبدع وتأتي من ذلك اكثر عندما يعمل عكس ما يأمرك به فلو قرض وكان امامك مسحوق ايضاً ناعم خلته سكرًا وشئت اكله وبالصدفة كان عندئذ طيب وقال لك لا تأكل من ذلك لانه سم قتل طيب يعرف السم اطعته ولم تأكل وبينما انت ملتفت الى جهة اخرى وجدت ان الطيب الذي هناك عن أكل هذا المسحوق يأكل هو منه فاذا تقول عنه حيثئذ فلا شك أنك تقول عنه أنه غشاش كذاب ولا تعود تعتبره بل تحترق صنعته مع ان ذلك غلط لأن غلطة الصانع لا تمس الصنعة فيوجد أناس أكثر ديناً من رؤسائهم وأكثر حياءً لقوانينهم وأكثر محافظة عليها من مستلميها .

اصلاح هذا الخلل في الرهبة

يكون هذا الاصلاح بان يؤخذ المبتدئين بسن صغير ويضعونهم في المدارس لاجل العلم والدروس والتدريب الى ان يبلغوا سن الخامسة والعشرين من عمرهم ومتى تعلموا وارادوا ان يساموا كهنة يلزم قبل كل شيء ان يفهمهم علو هذا المقام وان ليس يحفظ اعتبار هذا المقام الا الفضيلة فقط لان اعتبارا لا

يحلّ الا محلها واسباب حب الفضيلة فعل الخير فالانسان يميل قهراً عنه لمن يعمل معه احساناً لان الانسان عبد الاحسان وكذلك الحيوان وما من فضيلة الا فيها خير وتقع للقريب وكل شيء محبوب في الدنيا يجب لنفسه فلو كان الدين والسياسة ليس فيها فضيلة لا يجبا ولا يطاعا فبالاولى ان يكون الكاهن فضيلاً فيصبح محبوباً من الله والناس ان من احبته الناس احبه الله ومن ابغضته الناس ابغضه الله فالباري تعالى جعل كل الشرائع لاجلنا وليس لاجله فاذا قال لنا لا تقتل فما هو خائف على حياته منا بل جعله رحمة لنا ولحفظ حياتنا فبالاختصار ان كل علم وذكاء ووجاهة وغنى وكلما يبهج العيون ظاهراً لا يعتبر حقيقة ما لم يكن مقروناً بالفضيلة وعمل الخير .

تأثير الوسط الادبي

لا شك ان للوسط تأثيراً عظيماً سواء كان ادبياً أو طبيعياً فترى في الشاب تتغير اطباعه وعيسته اذا كان في الوسط الفلاني أو الفلاني كما انه تتغير صحته حسب المناخ واثباتاً لذلك ترى ان شبان بلادنا الذين ولدوا في بلاد واحدة وتربية واحدة يتغيرون حسب المحل الذي يدخلون فيه فترى شباناً منا دخلوا الرهبنة اليسوعية كالأب جبرائيل اده فانه اكتسب نشاطاً وانتظاماً وغيرة الأباء اليسوعيين حتى استحق ان يكون رئيساً لمدرسة بيروت الكلية اليسوعية مدة سبع سنوات وهكذا جملة ابناء من بلادنا دخلوا في هذه الرهبنة الفاضلة وكذلك الأب قيسر الخوري الذي هو ابن عمنا دخل مع الأباء الملازيرين واكتسب فضائلهم حتى استحق ان يكون رئيساً على اديرته في الاسكندرية .

وقد لاحظ هذا الامر الأب مبارك المتيني رئيس عام الرهبنة البلدية سابقاً وعمل مدرسة في بيروت للرهبان يتعلمون في المدرسة اليسوعية ظناً منه انهم يكسبون فضائل هذه الرهبنة نعم انهم اكتسبوا العلوم ولكن لم فر منهم ما كنا نأمله .

وكذلك غبطة البطريرك الياس الحويك الحالي فقد اعتنى في ادارة الرهبنة وجعل ديراً مخصوصاً للبتدئين وجعل معلمين ومدبرين من الرهبان الافاضل ولكن ليس املنا كامله وقد قلت لاحد الرؤساء العام ان الرهبان في حاجة يعلموا بعض الرهبان ثلاث صنائع تلزمهم جداً وهي :

أولاً : ان يعلموا رهباناً لكل دير علم الزراعة لكثرة املاكهم التي يعيشون منها تلزمهم هكذا علم .

ثانياً : تمرىض المرضى يعني أن يعلموا أحد الرهبان خدمة المريض وكيفية اعطائه الأدوية وربط الجروح وخلافها وذلك يكون لوضع بعض رهبان مدة سنة في مستشفى راهبات العازرية كما فعله العازريون في هذا المستشفى .

ثالثاً : أن يعلموا بعض الرهبان صنعة الطبخ وذلك لا يكلفهم زيادة عما يصرفون لأنه لا يمكن لمعدة أبناء هذا العصر أن تستحمل أو تهضم الغذاء الرهباني القديم فهذه الكيفية يمكن للراهب أن يؤمن على نفسه اذا وقع في مرض أو تلك المعدة ان يرى نفسه متصاناً غدوماً لأنه اذا كان نذر الفقر فلم ينذر ان يموت جائعاً مهاناً اذا مرض فهذه الأمور هي التي تجعل الرهبان تحفظ الدراهم يجيبها حتى تستعين بها مدة المرض وتغير الغذاء مدة تلك المعدة وأخيراً والأمر الضروري لغلط الرهبان وتغشيتهم على القانون هو قصاص للذنب وطرده من الرهبة ان لم يصطالح فالرجاء من الرؤساء الذين يبدعهم الحل والمقد الانتباه الى مقالتي هذه الناشئة عن غيرة على رهبنة يمكنها أن تعمل أعظم خير مع طاعتها لأنها غنية جداً ومتى وجد الفنى واستعمل في طرقه الخيرية يعمل عجائباً خصوصاً متى كان هذا الرب الثاني الذي جعله المسيح رباً خاضعاً للرب الأول .

ومن أعظم الفضائل للانسان أن ينقل الفضيلة الى غيره ويعلمه اياها وبذلك تدوم الفضيلة وتلدو المبادي الحسنة وتصبح الدنيا جنة وبدون التعب لا تكون الراحة وبدون الشقا لا تكون السعادة فتحن الموعودون في السماء وعمل الراحة لا يمكن ان نصل اليها ما لم نمت ونبل وهذا حقيقي وشيت لنا سعادة الآخرة لأن من منكم نظر رجلاً غنياً أو عالماً أو طيباً أو صاحب جاه ما لم يكن مرّت عليه امور أمر من الصبر وفهر نفسه وحرته وصرف وقته وزمنه لأجل راحته في المستقبل فيلزمه أن يموت لكي ينجى كما قال الانجيل الطاهر فجة الخنطة ان لم نمت لم ننم ونحي .

وفي سنة ١٩٠٨ حضر فاحصون من قبل الأب الأقدس بسبب تشكي الرهبان على بعضهم فقلت ما يأتي :

أيتها الرهبة المارونية

ما لي أرى صوت تشكيكم اقلق الأب الأقدس في رومية العظمة واتصل الى ما بين النهرين والقدس واتي على نعمته الاباني بناديبكوس غار يارور والأب فرنسيس القرن وخالها يرون تشكيكم ويفتشون سيرتكم وينظّمون احوالكم لماذا هذا التشكي وهذه القلاقل التي اسمعها منذ وجودي في العالم هل ذلك من قوانينكم لماذا لم نسمع برهبات أخرى في الدنيا تعمل هكذا أفعال فقانون رهبنتكم أمامكم اذا ما كنتم تقدرون تمشوا عليه فاتركوه أشرف لكن ولا تدعون كل يوم مفتشاً يطلع على اعمالكم واموركم ويعرف ما بينكم من الحق ومن الادعاء الباطل على بعضكم لانه لا بد من الاخ مارون أو الأب حنا ان يقدم ذنباً ارتكبها ابونا فيليبوس أو اقليموس ماذا يكون مقامكم عند بناديبكوس حيث قد ستمت منكم رسالتكم وكل هذه التشكيات ما هي الا طلب للرياسة التي هي نير على عاتق الراهب الفاضل .

فأين مدارسكم أين مستشفياتكم أين اسعافاتكم للفقير وخلاف ذلك فلا شيء منها مفروض ما تفعلون هذه الاحسانات تمضون عمركم بالشككي على بعضكم .

فما هو عنركم الآن فان رؤساء العام الذين عليكم الآن هم أفضل رهبانكم ان كان للبلدية أو الحليية أو الأنطونية فكل هذه للمدة لم نسع تشككي عليهم ولا كانت الرهبان في راحة مثل هذه ومع ذلك نرى الآن طفعة من الفاحصين يطعون على ما ليس نعلمه فلنسترحم من الآب الأقدس أن يجعل لنا هذه الرهبان ويجعل غيرها بقوانين نافعة لهم وللإنسانية أو يجعل الرئيس لا يستلم دراهماً وان متى شاء عمل شيء من المصروف لا يصرفه إلا بمشورة مجلس ديني من أربعة رهبان من الدير نفسه وان انتخاب الرؤساء يكون من الأصوات العمومية وليس من المديرين ورئيس العام اللذين ينتخبون من غرضهم وحدهم والأهم ان لا تخرج الرهبان من اديرتها لأننا نراها في الأسواق أكثر من الأديرة وعلى حسب فكري لا يمكن عمل اصلاح كما قلت وانه اتى الوقت ان نطلب نحن أولاد الطائفة منافعاً عمومية من هذه الأوقاف كالمستشفيات وخلافها فليفتكر الرؤساء بذلك ويديروه من الآن .

هذا ويوجد في الرهنة رجلاً أفاضل حسني السيرة ذوي جد واقادم عمروا الأديار التي ترأسوها وخدعوا الديانة والآداب منهم الرؤساء العام وحضرة المدير افرام الديراني الحلبي الطائر الشهرة بالاعمال المبرورة والآثار المشكورة ومن مآثره انه اكمل بناء دير مار عبدا في دير القمر وجعله مدرسة والأب غسطين ابو عياش الذي عمر دير الناعمة في هذه السنة على طرز جميل ويوجد غيرهم كثيرون سندكرهم بعد .

جدي الخوري ابراهيم

سأذكر قصة جدي ليس كتاريخ له بهم العالم ولكن لاذكر تاريخ القسوسية عند الموارنة وأوامر رؤسأها واصطلاحهم وكذلك مثال الكاهن الحقيقي .

ومن جملة مصائب هذه السنة وفرصتنا المدرسية هو مرض المرحوم جدي ووفاته .
ولد المرحوم سنة ١٧٩١ وكان اسمه خليلاً سامه المطران حنا الحللو وكيل البطريرك في تلك الأبرشية شماساً برتبة منزل وقاري في أول شباط سنة ١٨٠٥ في قرية بكاسين ،

وبعد خمس سنوات على سيامته تلك رقاها الى درجة الكهنوت المطران الذي أقام فيها بعد بطريركاً وكان عمره اذ ذاك ست عشرة سنة وهذه صورة اعلام ترقيته .

سبب تحريره ،

انه قد قبل وضع اليد عليه ولدنا الجليل ابن الخوري اسطفان البكاسيني ورفقناه الى درجة الشمعداني في ٨ آذار ثم رفعناه من درجة الشمعداني الى درجة الرسايل والانجيل على مذبح القديسة تقلا في قرية بكاسين وهم ذلك نهار الأحد عيد الشهداء الأربعين في كنيسة دير الكرسي قنوين في ٩ آذار ثم انه ثاني يوم نهار الاثنين رفعناه الى درجة القسوسية على مذبح القديسة تقلا في قرية بكاسين وتمت سياسته في ١ آذار سنة ١٨١٠ .

الختم
الحقير يوحنا
بطرس البطريرك
الانطاكي

وقد تزوج بسن الثاني والعشرين قبلما قبل سر الشماس الانجيلي وكانت جدتي بديعة الصورة من عائلة عطيه من بكاسين منها المقدام فارس آغا عطيه أحد ضباط المسافر اللبنانية وأول من أدخل فيها ومنها أولاد شيان عطيه منهم اسكندر الذي فتح تجارة في المكسيك وهو معتبر في التجارة وقد ولدت عمتي شاة سنة ١٨١٤ التي عاشت الى ٢٥ تموز سنة ١٩٠٠ .

ولد والذي في ٩ أيار سنة ١٨١٨ وولد آخر اسمه حبيب في ١٠ كانون الثاني سنة ١٨٢١ وتوفي صغيراً وفي سنة ١٨٢٣ في ١٥ تشرين ثاني ليلة السبت توفاه الله وعمرها ٢٦ سنة وعمر جدي ٣٣ سنة وهذه كانت مصيبة عظيمة على الخوري لانه لا يمكنه بعد ذلك الزواج وحيث كانت أولاده صغاراً طلب اخته المسماة نجمة زوجة رميا من مزرعة الشوف ولما ولد اسمه معوض لاجل تديير الأولاد .

ملحوظاتي على زواج الكهنة

فاتعب عيشة هي عيشة الكاهن المتزوج الذي يصبح صاحب عيال ولا يمكنه عمل لأجل معاشه مثل باقي البشر ولا له معاش من قبل الحكومة أو المطران أو هيئة أخرى فيبقى تعباً ما لم تكبر أولاده وتعبه فيلزم الصبر الجميل لهذه المدة ولكنني أشكو هذا الأمر لأنه لولا زواج جدي لما كنت موجوداً وربما بعض القراء يقول يا ليت ما تزوج واسترخنا من هجوه والبعض يشكر زواجه وهكذا بحيث الانسان الواحد يكون شيطاناً عند حزب وملاكاً عند حزب آخر فالكاهن المتزوج يتعب نفسه ويربح فكر الغير ولعدم الحرية في الشرق بأخذ خادمة تخدماً لحل لهم الزواج .

وكان المرحوم جدي متعلماً للشرعية المدنية بحيث كان يصرف جميع دعاوي القرية بدون أن يتوجه أحد الى المحكمة وقد أقيم وكيلاً بطريكية في أبرشية صور وصيدا وأعطيت له امتيازات كما في الأوامر التي ييدي من البطريرك يوحنا الحلو .

ثم ان البطريرك يوسف الحبيشي ارسل له اعلاماً مخصوصاً يصرفه به بحمل المعترفين من خطاياهم والخطايا المحفوظة لسلطانه ولسلطان المطارين وأن يحل جميع الحرومات والرباطات وكل مانع وتآديب أو حكم كنائسي مما كان حتى ان المحفوظ لشخص البطريرك أو للمطارين ما عدا المحرومين لمخالفتهم منشوره ضد البيليشين البروتستنت أو لمخالفي منشوره المانع دخول الرهبان لحوش الراهبات ثالثاً بأن يحل من موانع الزيجة .

رابعاً : من التزورات ولو مثبتة يمين ما عدا التزورات التي فيها كمية دراهم للبر .

خامساً : ان يفسح للاكليركي جميع الاعجاز الساقط فيها الصادرة عن ذنب جميعها مما كانت واما الاعجاز الصادرة عن نقص ليس له ان يفسح عنها سوى من العجز الصادر من نقص الحنية والعجز الملتحق بمن اقترن بابتنة مفسوخة أو بمن من الاكليركيين باشر سر الزيجة مع قريته مع علمه بفسقها وما خلا ذلك لا تأذنه بالتضييع وأخيراً نقول ان جميع ما ذكر اعلاه سوى كان من حلّ الخطايا والحرومات والرباطات وكل منع وحكم وتآديب كنائسي وحلّ موانع الزيجة والتذورات والايمان قد فوضنا ولدنا المذكور بالحلّ منه بمنبر التوبة فقط وذلك بكل مكان وأي كان من طغيات الاكليروس العلماني والقانوني وطغيات العوام ورجال ونساء وأولاد وأخوية ورهينة أو جمعية كانوا وان يقدس بعد نصف الليل في البيوت والمعابد والكابلات والاماكن الاليفة حتى ولو تكررت القداسات بها يوم واحد فله أن يقدس بعد ذلك ومن يسمع قداسه يوم أحد أو عيد واجبة بطالته يبي الزام وصية الكنيسة ما عدا أيام الفصحية التي ما عداها بقدر تناول سر الاوخراستيا لمن يطلبه في هذه الاماكن المذكورة ثم اذناه بأن يبارك الكنائس والمذابح حينما توجد مدنية كما انه يحل المذابح والمعابد والكابلات والبيوت حينما توجد في رباط أو منع ناموسي أو شخصي ما عدا اذا كان هذا الرباط أو المنع مبرزاً بوضع خصوصي من الرئيس المأثوف ثم اذناه بأن يكرس الأواني والملابس البيعية وأن يمنح غفراناً كاملاً للمشرفين على الموت وأن يشرك بشركة الوردية المقدسة وان يعط في أي محل كان .

الحقير
يوسف بطرس
البطريرك الانطاكي

تحريراً في ٩ أيار سنة ١٨٣١

وفي السنة المذكورة وكله المطران عبدالله البستاني في زيارة الرعية عنه وذلك بموجب أمر بيده يعلم به
الاهالي لزوم الخضوع والطاعة والاكرام للخوري ابراهيم الزائر مثل الطاعة له .

والتحريير في ٢٥ تشرين أول سنة ١٨٣١

وكان يكلفه الأمير خليل الشهابي حاكم اقليم جزين بتوزيع التركات وعندي أمر من الأمير خليل
يكلفه به ان يتوجه الى وادي جزين لتوزيع تركة رجل اسمه ابراهيم .

وفي سنة ١٨٣٥ في ١٥ تشرين ثاني أرسله المطران عبدالله يزور الرعية وفي آذار سنة ١٨٣٥ صُرفه
البطريك يوسف حبيش بتحليل أوجه الزيجة الدسوة أو النسبية قبل عقد الزواج علدا الوجه الرابع كما هو
موجود بأمر عندي .

وقد وجد في دفاتر الكرسي البطريكي في بكركي انه مرسوماً برديوت أي زائر وهو أول كاهن أخذ
هذه الرتبة في اقليم جزين .

في ٢٠ حزيران سنة ١٨٣٧ أقامه البطريك يوسف حبيش وكيلًا لإنشاء مدرسة مشموشة .

وفي السنة ذاتها زار الرعية عن المطران عبدالله بموجب أمر محرر في ٢٠ أيلول سنة ١٨٣٧ وكان يومئذ
سيم برديوطاً أي زائراً .

ثم انه في السنة الثانية اشترك بثلاثة قداديس مع الرهبة اللبنانية وقد ارتسم عن يد حضرة الأب
أرسانبوس النحاوي الذي كان وقتئذ مدير الرهبنة اللبنانية وهذه صورة تحرير الأب ارسانبوس .

بعد الترجمة : وصلنا عرضحالكم للمجمع العام وبحسب مرغوبكم قدمناه وقد حصل تعطيل من
نحوكم أنكم قم سن الأربعين وقانون ذلك ان يدفع حصة قداسات للذين توفوا قبل هذا السن ولكن
حيث ابويتكم معدودين من جملة آباء هذه الرهبنة ولكم ولاياتكم وللاجدادكم اتباعاً وافرة واحسانات
متكاثرة وجمعلون بالأوصاف الحميدة فقد قبلت شركتكم حسب مطلوبكم معافاً من كامل المجمع العام
من الثلاثة قداسات وتقيد اسمكم الكريم بعرائض هذا المجمع العام من جملة الآباء والأخوة المشتركين في
٢١ تشرين ثاني سنة ١٨٣٨ .

القس ارسانبوس

نحاوي

وفي السنة الثانية توفي والد جدي الذي اتصل الى عمر كاف وذلك في ٣ كانون الثاني سنة ١٨٣٩ وقد وجدت قائمة القديسات المتوزعة عن نفسه واسماء الكهنة الذين حضروا الجناز وكان اجرة القديس يومئذ غرضاً واحداً وقد رضعه الى هذه الأجرة البطريك يوسف حيش في منشور فيه قانون تهذيب الكهنة وصورته عندي وكان القديس قبلاً بثلاثين قصة .

وقد بلغ مجموع القديسات المتوزعة عن نفسه اربعمائة وخمسة وعشرين قديماً .

وكان المرحوم جدي أيضاً وكيل كنيسة القرية وهو الذي اقام لها قبة الجرس الآن ومكتوب اسمه عليها وقد وجدت قائمة بخط يده ان كلفة تكليس الكنيسة وسكب الجرس وعمل القبة ٢٧٣٢ غرض واربعة عشر باره .

عيشته

كان جدي الخوري ابراهيم قديماً جداً ذا هيئة عظيمة لا يحسر أحد من الشبان على شرب الدخان أمامه حسب عوائد عصره ولا أن تجلس امرأة في الساحة العمومية كان جميل الصوت جداً ولذلك رافق المطران عبد الله البستاني صاحب الصوت الجميل أيضاً في بتلين عند الأمير بشير الشهابي أما مقامه السياسي فكان من يعتمد عليه في فض المشاكل لعرفته بالشرعة وكان يرسله سعيد بك جنبلاط الى غبطة البطريك بولس مسد في أمور سياسية كانت تعود على طائفته في اقليم جزين بالخير وكان كريماً حريصاً عند لزوم ومحافظاً على ما تحت يده بحيث ان هذه الأوراق التي بيدي من منذ مائة سنة تقريباً حفظت بعنايته رغباً عن الحريق والسلب الذي جرى في الحوادث الثلاث في اقليم جزين .

أوصافه الطيبة

طويل القامة معتدل الجسم عضلي قوي البنية اسمر اللون ولم أعرفه الا بلحية بيضاء ذا هيئة عظيمة نظيف اللبس محتشماً في كلامه وجلسه وكل هذه الأوصاف لم يزل أهل القرية يرددونها الى الآن .

مرضه الأخير

ان الساعة الأخيرة من حياة هذا الشيخ الجليل كانت هي الساعة الأولى التي عرفت فيها الحزن في الدنيا ولم أزل اتصورها ودموعي تجري عند كتابتي هذه الأحرف واتصور ذلك الشيخ الجليل على فراش الموت وأنا ووالدي واخوتي بجانبه يودعنا الوداع الأخير بوصي كلاً منا بالآخر وبالتقوى أه ما أمر تلك الساعة

يريد الانسان ان يكون فيها حيواناً عديم الاحساس وكلما يدعيه الانسان بتمييزه عن الحيوان من معارف ولذة عقل لا يوازي ساعة فراق من يحبه فأني وجع أعظم من هذا الوجع يضعف العقل والفكر لدفع النار أخف من عذابه فهذا ما جرى لي في تلك الساعة المائلة من الحزن الذي نزل على قلبي ولم أكن اعرفه قبلاً وقد كنت جاثياً أمامه وعيتاني لا تنفك عن النظر اليه لكي ترسم تلك الصورة في فكري حتى لا انسها أبداً وكما أنا متحسر على صورته ولعلم وجود المصورين في بلادنا في ذلك الوقت لأن رؤية صورة من تحبه وقد فارق الدنيا تخفف ألم الفؤاد لاسيما اذا تصور وهو في عزه وقوته فتفرس فيه فتخاله أمامك ولكن اذا كانت صورته على حسب الساعة الأخيرة حزناً كبيراً متألماً متأثراً تأثيراً عظيماً فهذه هي الحالة التي اتصور بها جدي الذي كنت أحبه فوق كل شيء لأنه هو الذي علمني ورباني وما امكني اكافته بشيء ، ولم أزل لحد الآن اقدس له بعد وفاته بأربعين سنة لأنه هكذا كان يحب وعليه فبرتاح فكري بعد القداس بأنني وفيت بعض فروضي وانني تذكرت ذلك الحب الحقيقي لي ولانه كان يحبني مثل ذاته وانا احبته كالعبادة تقريباً وربما هذه القصة لا نهم القارئ ولكنها تهمني جداً ونهم من اخطفهم بعدي لمعرفة اجدادهم وأكون وفيت جزءاً من واجباتي وانمتي ان أكون صينياً كي اعبد اجدادي بعد الاهي وكان مرضه بالمائة كمادة الشيوخ ولسوء الحظ لم يكن اطباء في ذلك الوقت فكان الداء يزداد دون معارض وعندما شعر بيومه الأخير أرسل وطلب والدي من بتدين فحضر حالاً لأنه كان يحبه عجة تفوق العقل فأعطاه وصيته الأخيرة وأوصاه بأن لا يخالف منها شيئاً ولم ترل الوصية عندي .

وربما أحد القراء يقول ماذا يهمني موت جده وحزنه فيكون هذا القارئ بلا قلب فهذا الحزن وهذا الكدر على جدي يعلم ولذلك ان يحزن عليك وانت تحزن على من رباك فلا بد من نتيجة اذا كان لك قلب والا فأنت معذور في لومك .

وقد انتشر مناه في كل اقليم جزين حتى اجتمع نحو خمسة آلاف نسمة ودفن في كنيسة القديسة نقلا تحت المذبح الثالث لجهة الشمال وهذا مدفن الكهنة .

القداسات

فالبلغ الذي دفعه المرحوم جدنا عن والده اجرت قداسات كما ذكرنا هو اربعمائة وخمسة قروش وكان القداس يومئذ بقرش واحد وأما المبلغ الذي دفعه والدنا عن نفس المرحوم جدنا هو ألف وثمانمائة وواحد وستين ونصف وكان القداس يومئذ بقرشين ونصف وقدمت عن نفس والدي بخمسة آلاف غرش وكان القداس بثلاثة غروش أما أنا فلا أظن احداً يقلس عن نفسي فاترك ذلك الى قراء كتابي الذين منهم بطاركة ومطارين وقس وكهنة وسائر الطبقات الدينية ان يقدموا عن نفسي أو يقولوا الله يرحمه .

وقد انتهت هذه الصيفية للنحوسة بوجود هواء الاصفر فيما الذي عم مصر وسوريا ما عدا لبنان ،
وبتوفي جدي وحزني عليه وبعد انتهاء هذه الصيفية وانتهاء الهواء الأصفر من بيروت ورجوع أهلها اليها
وفتح مدارسها رجعت الى المدرسة الوطنية ولكن لست تلميذاً بل كنت معلماً وتلميذاً في آن واحد .

رجوعي الى المدرسة الوطنية معلماً

كنت أعلم الصف الرابع في اللغة الافرنسية وكنت معدوداً بين المعلمين وعاشاً مثلهم وكنت تلميذاً
باللغة الانكليزية والعربية عند الشيخ ناصيف اليازجي بحيث كنت لا أخذ شيئاً ولا ادفع شيئاً .

تعليمي في الانكليزية

فكان لي ساعة كل يوم يعلمني فيها صديقي العزيز ملحم بك شكور الذي كان بسني وكان تلميذاً في
المدرسة وسأذكره فيما بعد ولكن كنا نقضي وقت العلم بالضحك واللعب بحيث ما تعلمنا شيئاً سوى
تصريف الأفعال الانكليزية التي لا تعب احداً وتصريف الأوقات المدرسية وفيها بعد صرت أحضر صف
المعلم سليم البستاني ابن الرئيس ولكن كان علمي كالعدم ان كان في اللغة العربية أو الانكليزية غير اني
كنت مجتهداً على صني بالتعليم والذين كانوا يتعلمون عندي اشتبهوا جداً فيما بعد ولست ادعي ان سبب
شهرتهم مني وبسبب تعليمي لهم ولكن لاقول انهم كانوا تلاميذي ومنهم الشهير العالم العلامة سليمان افندي
البستاني نزيل مصر الآن ومتمم دائرة المعارف ومترجم اليازة هور الى الشعر العربي عمل تعجز عنه
الجبارة الذين ترجم حياتهم والثاني المرحوم سعيد البستاني محرر جريدة لبنان سابقاً والثالث تامر أفندي
البستاني طبيب في الشام والرابع بشاره افندي البستاني علم في مدرسة اليهود سابقاً وكذلك الاستاذ البارع
الشهير عبدالله البستاني سيويه هذا العصر وغيرهم كثيرون .

وكنت ممتزجاً بالخصوص مع المعلم سليم تقي الذي كان مثلي يعلم ويتعلم والذي باجتهاده أصبح
صاحب جريدة الاهرام بمصر واكتسب مالاً عظيماً وجاهاً أعظم منه حتى لقب بسليم بك تقي اجعله
مثالاً لكل مجتهد اذكر تاريخه الأدبي بالاختصار حتى يقال :

انما أصل الفتى ما قد حصل

المعلم سليم تقي

حضر سليم المذكور من بلدة كفرشيا الى المدرسة وكان يتوجه عند الشيخ ناصيف اليازجي يتعلم عنده
خصوصي وكذلك في المدرسة وهذه هي السنة الأولى وفي السنة الثانية أصبح يعلم ويتعلم وكل ذلك بالعربية

وكان محبوباً جداً لطيف المعاشرة حيث كنت اعاشره دائماً وفي أواخر سنة ١٨٦٦ طلب الى المدرسة البطريركية التي انشأها سعيد الذكر البطريرك غريغوريوس يوسف الذي له الفضل الأول على طائفته بفتح المدارس وعلم الكليروس فقد طلبت هذه المدرسة للمعلم سليم ليكون معلماً فيها وكنت ازوره هناك وتركته وذهبت الى مصر لأجل علم الطب وبعد انتهائي من علم الطب في السنة ذاتها انشأ جريدة الاهرام في الاسكندرية واتصل الى ما اتصل اليه وبعد خمسة وعشرين سنة من مقابلي الأخيرة له قابلته في بيروت في لوكندة انكلتره وكانت علة القلب متزايدة عليه وقصد يومئذ بيت مري لأجل تخضية فصل الصيف فما كمل بل توفي في القرية المذكورة ودفن في بلدة كفرشبا وهو رأس عائلة بيت نقلا وكل نجاح اعضائها الآخرين كان منه .

أول شعر قلته

وكنا نجتمع مع المعلمين ونعبد اشعار المتقدمين وكل منا يروي اشعاراً عن فلان من فلان وكنت اجتهد ان انظم شعراً ولم أعرف بعد وزنه ولا أصوله ولم أذق لذة معانيه وكنت غير مكترث به لأنه لا يتيح الفكر للشعر ما لم يتأثر من أمور يستحسنها أو يكرهها فالحادثة التي اصابني هي الآتية :

سبب أول شعر قلته

انه حسب ترتيب المدرسة كان يصحب التلامذة عند خروجهم معلمين أو ثلاثة لحفظ ترتيبهم في الطريق وحيث كنت في هذه السن من جملة المعلمين كان يمرّ عليّ دور لأجل هذه الخدمة ففي ذات يوم ونحن متوجهون لجهة الرمل الذي هو غربي المدينة وكانت طريقنا بالقرب من حارة جدي المشهورة والوحيدة في ذلك الوقت وقبل الوصول الى الحارة المذكورة ونحن بين البيوت المبتدئة آخر بساكني التوت لجهة الجنوب وجدت أحد التلامذة واقفاً تحت الشباك فضرب الي وطلب اذنًا ليكلم اخته الجالسة في الشباك لأن الشباك قريب من الأرض فعند ذلك نظرت الشباك وعندما رأيت هذه الغزالة خفق قلبي وأصبحت مثل السكران ضائع الفكر ولم انتبه الا لصوت رنان يجني بالسلام الافرنجي بونجور موسي فانتبهت حينئذ وتأملت بصورة بديعة ذات تقاطيع عجيبه ووجه بشوش وتبسم محشم وشعر أسود وعمود سود ولون أبيض عمر بسن السابعة عشر تقريباً فردبت السلام برأسي وحركات جسمي وعيوني أكثر من لساني فطلبت مني أن أسمع لأخيا بالتكلم دقيقة معها ولا شك ان هذا الاذن لا يلزم له رجاء طويل وكان الاذن بالأكثر لأجلي كي أطيل الوقوف وعندما نظرت الى التلامذة ابتعدت قليلاً عني انتهيت الى الواجب ورجع لي عقلي وطلبت الرخصة منها للذهاب فأوصتني بأخيا هذا فودعتها وودعتها عقلاً وقلباً .

ولما كان مزاجي عصياً سريع التأثير كنت أتأثر من كل شيء بشدة عظيمة ولكن كان عندي حب

الواجب أعظم كل شيء، فما كان شيء يلهيني عن واجباتي وخصوصاً متى كان يمس شرفي وكنت أعطي لكل شيء وقته أحب للزح جداً ولكن لا أخلطه بوقت الجسد ولا أخلط الجسد بوقت الهزل فأخيراً توجهنا الى الرمل محل الترويح ولكن بقي فكري متعلقاً بتلك الفتاة فسألت أخاها في أي مدرسة تعلمت أنتك اللغة الافرنسية فأجاب في مدرسة العازرية فتركته حتى لا يشعر بشيء فعند رجوعنا مررنا بالطريق نفسها وكان نظري يراقب الشاب من مسافة بعيدة وعندما وصلنا الى المحل المذكور نظرتها واقفة أيضاً فقدمت أخوها وكلما وعندما وصلت اليه اوصني به فأنعتت اطاعة للأمر ومشيت ولكن بكل خطوة الفتاة الى الوراء والذي زادني الضافة هو بقائها في الشاب وان عند كل الضافة اليها تحني رأسها كأنها لم تزل تراقبني وهذا مما كان يزيد أشواقي لاعتقادي انها احببني كما احببتها وعند الالتقاء الأخيرة ورجوعي للمدرسة اشعرت بظلمة في عيني وأخلفني الجمود وما عدت أنا ذلك الشخص الذي كان دائماً ضاحكاً بشوشاً خالي الهم والكدر بحيث كانت ارفاقي الاساتذة تكلمني وأنا كالسكران وصرت أحب الانفراد وحدي وأغمض عيني لكي أرى صورتها أمامي وصرت عندما أرى اخاها أقرح جداً كأنني رأيتها وأريد افتح الحديث عما له ولكن كان شرف نفسي يمنني حتى لا يظن الولد بشيء وقد اتفق فرصة للتلازمة القاطنين بيروت ان يزوروا اهلهم مدة عيد الفصح فبعد رجوع التلميذ أخيا من الفرصة اعطاني نغماً باللغة الافرنسية مكتوباً بحبر أحمر تشكر به أفضالي بالاعتناء بأخيا وبه عبارات لطيفة ظريفة أو بالحري بالنظر لحالتي كنت أرى كلما يفعلها المصوب محبوباً فطلب التلميذ جواب التحرير فعند ذلك تجرأت على الكتابة لأن الرجل أضعف واجبن من المرأة في مثل هذه الظروف ولم يتجاسر على ابداء فكرة ما لم ير إشارة من المرأة تجرئه على ذلك فأخيراً جاوبت على التحرير وأردت أن يكون مصحوباً ببعض الشعر أولاً لأظهر احساساتي المشقية شعراً ثانياً لأرياني من الشعراء والعلماء لتزليدي اعتباراً لأن لا محبة حقيقية الا لمن تعتبره ولا يمكن ان تحب شخصاً لم يكن معتبراً وأخيراً نظمت الاشعار الآتية وتعجبت من نفسي كيف قدرت أن أنطق بالشعر ولكن ما كان في قلبي يجعل الأخرس ناطقاً والبلبد شاعراً وهذا هو بالحقيقة السحر المبين .

وهذه الأشعار

يا ظليمة أسر الفؤاد بجمها	كفي الفتال فان طرفك ساحر
أخفيت حبك عن في حتى غدا	لم يسدر فيه وهو فيك الشاعر
والآن أبدي ما كتمت من الهوى	فلك الرضا بقبوليه والخاطر
ان تتكري أو ترتضي أو ترفض	فأنا أنسا في كل حال شاكر

فبعد ارسالي هذا بقيت مدة مفكراً زائع الفكر في هذه الأتية في أحد الأيام جمعت عقلي وشرفي وادابي وتربيتي وديني وقلت لهم عيني على هذا الحب العظيم الذي غيبي وغلبي وعليكم جميعاً من منكم يساعطني على قهره فحضر العقل وقال لي هل مرادك تتزوج بهذه الابنة وهل أنت في مركز ومن

ووقت موافق لذلك فأنجته كلاً فأجاب فإذا ماذا يهلك الافتكار بها فالأحسن تناسها . وبعده حضر شرف النفس وقال لي أنت في مقام معتبر في هذا السن ومكرم فكيف اذا اشتهرت بانك تحب الهوى وتفرق في كأس ماء أما يزول عنك هذا الاعتبار الذي أنت عائش منه ثم حضر الدين وقال لماذا تضر هذه الابنة بصيتها حيث لم يمكنك الزواج بها لانه اذا عرف انك تحبها وتعاشرها يتأخر عنها كل من يريد الاقتران بها واذا بعد الناس عنها بسببك فانك تضرها أعظم مضرة وبعده قهراً عن هذه البراهين الأكيدة جميعها وجدت ان السحر لم يزل في قلبي وكنت اغتاض من تصوري كل ما يضاد مبلي وبقيت في هذا الأمر معذباً مدة الى أن قال لي اخي ان اخي انخطبت وزواجها يكون الجمعة القادمة الى فلان القاطن مصر فعند ذلك شعرت بفك القيد وعلمت انها صارت تخص واحداً غري وانها مالت اليه وتركزت كل من يعرفها وكانت هذه الحادثة سنة ١٨٦٦ ورب قاري يقول ان هذا معلم أم عمر الذي سمع المغني يقول :

يسا أم عمرو جزاك الله مكرمة ردي علي فؤادي اين ما كانا
لا تسألين فؤادي تلعين به فكيف يلعب في الانسان انسانا
فحش أم عمرو لأجل ذلك .

اللقاء بلا ميعاد

وفي سنة ١٨٨٨ كنت زائراً لأحد المرضى والأ وجدت امرأة في ذلك البيت سلمت عليا كباقي الجالسين فكنت استحسن كلامها وهيتها وبشاشتها وبقيت مختاراً لمعرفتها وأخيراً خرجت من البيت فسألت صاحبة المنزل من هي هذه السيدة اللطيفة فأجابت انها زوجة فلان الفلاني من مصر ابنة فلان الفلاني فعلاً خطرت على فكري تلك القادة التي لأجلها نظمت أول شعري فتعجبت في نفسي كيف ان الاحساسات التي شعرت فيها منذ ٢٢ سنة لم تزل هي ذاتها عندما حضر أسباب ظهورها .

خروجي من المدرسة

وعندما تمنا هذه السنة للمدرسة توجهت الى بكاسين مستنظراً أي شغل وأي مسنة يريد والذي أن اتعلمها فيعد تخفية فصل الصيف كان فكر والذي أن يدخني الحكومة وكان مستنظراً فرصة لذلك وكنت أناظر املاكتنا هناك واذا كان يوجد أمام بيتنا في بكاسين قطعة من الأرض مسنة أمربي والذي أن اشتغل هذه القطعة كجنية أمام الدار بعدما أني عشرة أذرع .

شغل الجنية أمام الدار في بكاسين

استأجرت عدداً من الفعلة وولت عليهم أحد أقاربنا يسمى انطون جدعون بن السن وذلك لأجل هندسة المحيطان وهنسة النصب وكان ذا طبع حدّ لطيف للمعاشره مسخناً في هذا السن وكان عندما يعمل حائطاً لا يعجبني كنت أمر الفعلة بتغييره فكان يتكدر ويغضب ويسب وينط ويمرّك ايديه وعيناه تغدحان ناراً وكانت هيته وقتئذ مضحكة لي جداً فكنت كلما اضحك يزيد نطاً وسبب الاختلاف بيننا هو اختلاف هندسة المحيطان فهو يريد ان ينظم المحيط كما يوافق الأرض بحيث يكون المحيط معوجاً كربه المنظر وأنا أريد أن يكون الحائط جالساً واساوي الأرض على حسبه حتى يكون المنظر جميلاً لأن هذا أمام البيت ونراه كل ساعة نعم ان ذلك يكلف أكثر ولكن للظرافة تلزم للكلفة وأنا انطون لا نهمه الظرافة بل يهمه التوفير وربما ان اختلاف السن بيننا جعل الاختلاف في الذوق فان كبير العمر لا يلتفت الا للمتعة والتوفير وأما حديثه فلا يلتفت إلا للظرافة ولا يعرف التوفير .

حادثة غريبة مدة هذا الشغل

وعندما كان الفعلة يشتغلون كنت أجلس أمامهم وأخذ خارطة الجغرافية لأجل التسلية لأنني كنت مولعاً في علم الجغرافية وكثيراً ما كنت أخذ الجائزة الأولى فيها بمدرسة عين طورا وكان يوجد عدة ألوان في الخارطة لأجل تمييز البلدان عن بعضها فكان منظرها مبهجاً للفعلة الذين لا يعرفونها .

في مساء أحد الأيام تقدمت الفعلة لجهني لكي أقيد اسماؤهم فنظر أحدهم المسمى طنوس نوفل المكثي بأبي فتولة هذه الخارطة فسألني ما هذا الكتاب وما هذه الألوان التي فيه فاجبته مازحاً ان هذا الكتاب يدل على عمر الانسان وانه يعرف الشخص في أي حين يموت فاجابني ارجوك ان تنظر عمري واي متى يكون موتي فتأملت في الكتاب مدة كأنني أريد فحص عمره ثم قلت له بعد ثمانية أيام وكان ذلك على مسمع من الفعلة وانما قلته على سبيل المزح .

فاتفق أن أحد المغاربة الذين يطوفون في القرى لأجل التطبيب وصل الى بكاسين وكان ينادي طيب للجسم للعيون للحبل وهلم جرّاً وبينما كان ماراً أمام بين طنوس المذكور وسعده ينادي دعاه اليه وشكى له امساكاً في معدته فاعطاه المغربي حياً سهلاً الهب امعاه وكان سبب موته فيبعد توفيه وكانت الفعلة لم تزل تشتغل عندي أخبروني عن هذه الحادثة فسألت عن المغربي اذا كان لم يزل في البلد لكي اسلمه الى الحكومة ولكن هؤلاء لا يمكنون الا يوماً واحداً في كل بلد يدخلونها لكي لا يشاهدوا ما فعلت ادويتهم .

وحيث كنت مداوماً الشغل واطالع دائماً في خارطة الجغرافية فعند المساء تقدم الي أحد الفعلة المدعو

حبيب السيور وكان جاراً لعلنوس للتوفي وحيث ان حبيباً للذكور خلع عند أحد الأوربيين في بيروت وكان يسمع منه تكراراً لفظة سيور تعلمها بسهولة وعندما رجع الى بكاسين كان يكررها فسموه حبيب السيور فسالني حبيب هذا عن عمره لأنه كان سامعاً عندما قلت الى جاره عن عمره وأنا غير متبته لذلك فقلت له مازحاً ايضاً انه بعد خمسة عشر يوماً تموت فذهب وفي اليوم الثاني لم يعد للشغل وعندما كنا في فرصة الظهر أتت امرأته الى والدتي وقالت لها ان زوجها طريح الفراش وقد قالت لها انه سيموت بعد خمسة عشر يوماً لأن شاكر أخبره بذلك ويعلم هذا من كتاب عنده يدل على العمر وقد أخبر جارنا ابو فتوي انه بعد ثمانية أيام يموت وقد صحح هذا فعلاً كما قال فهذه المرأة ترجت والدتي أن تسألني عما اذا كان ذلك حقيقياً فعندما اخبرتي والدتي تكذرت جداً وعرفت ان مثل هذه الأمور مع سحفي العقول تؤثر جداً وافكرت انه اذا قلت لها ان هذا الأمر مزح ولا صحة له وان لا أحد يعرف تلك الساعة إلا الآب وحده كما يقول الانجيل فلا تصدقي لأن ذلك اثر في عقل زوجها وخصوصاً لأنه شاهد قصة جاره فلم يمكن زوال هذا التأثير من فكره الا بنفس العمل ذاته فأجبت حينئذ امرأته انني سأعيد نظري في الكتاب اجلسي هنا لأرى ذلك فحينئذ أخذت الكتاب وتأملت فيه وقلت لها قولي لزوجك انني غلطان فليس خمسة عشر يوماً بل خمسة عشر سنة اذهبي وقولي له أن يتحضر حالاً يشتغل مع الفعلة فرجعت المرأة فرحة وبعد خمسة دقائق رجع الرجل حاملاً معوله يشتغل مع 'الفعلة' تأمل ماذا يفعل الوهم في قلوب السذج وكم من الاضرار تفعله بهم المبصرون والعرافون فيعد ذلك أخذت اتكلم أمام الفعلة وأمام السيور ان كلمت كنت أقوله لكم هو لأجل المزح ولا صحة لذلك ولا عدم تصديقكم بكمالكم بالغيب لانه لا يعرف الغيب إلا الله وكنت أبذل جهدي لأزيل الوهم من عقول هؤلاء ولكن السيور بي معتقداً بذلك حيث شاهد حادثة جاره ومن الغرائب ايضاً انه بعد رجوعي من مصر وعربي عن بكاسين مدة طويلة رجعت اليها ورأيت بين الجمهور الذي اتى للسلام علي كمادة البلاد زوجة السيور فسألناها عنه فحابت انه توفي بعد خمسة عشر سنة كما قلت له وانه كان يردد ذلك دائماً انه بعد خمسة عشر سنة كما قال لي شاكر سأمويت فسألناها عن أسباب موته والمرض الذي مات فيه قالت انه سقط على راسه من محل عال وتوفي فارتاح فكري حينئذ ان سبب موته ليس من الوهم الذي توهمه مي ولكن بالصدفة مثلاً حدث لموت جاره مع المغربي .

فليحترس كل ذي علم أو من يعتقد فيه ان يزرع اوهاماً في مستشيره متى كانوا ضغفاء العقول أو عقلاء وكانوا مصابين لأن المصائب لا عقل له ولو كان عاقلاً .

مدرستي في بكاسين

وعندما دخل فصل الشتاء وآيست من كل مصلحة أو وظيفة في تلك السنة وكان طبعي يأبى القعود بدون شغل ففكرت بأمر يلهمي في ذلك الشتاء فخطر ببالي أن أعمل مدرسة واجمع فيها أولاد القرية لكي اعلمهم اللغة الافرنسية وكان أخي المرحوم خليل يومئذ موجوداً في البيت وكان ماهراً في اللغة العربية

فجمعت ان يعلم معي الصفوف العربية ولهذا المشروع كانت القرية في غاية الاحتياج لعدم وجود مدرسة ليس في بكاسين فقط بل في كل تلك النواحي تعلم فيها الافرنسية أو نحو العربية فابتدأت أولاً بجمع أولاد العائلة ثم بعض أولاد من أهالي القرية وجعلنا الراتب عن كل واحد ثلاثين غرشاً شهرياً لأجل علم الافرنسية والعربية وقد جعلت الاوضة الشمالية من بيتنا مدرسة حيث لا لزوم لنا فيها وهذا المحل كان كافياً لصف ابتدائي .

وقد كنت أعلم الافرنسية قبل الظهر والمرحوم أخي خليل يعلم العربية بعد الظهر وقد اشتهرت هذه المدرسة وكان يحضرها أناس من جزين يقيمون عند اقاربهم في بكاسين ومن أولاد العائلة الذين تتلمذوا لي اذ ذاك هم :

نعمان بك ابن يوسف بك مبارك وهو اليوم قنصل دولة فرنسة في ماغدور في مراكش .
فرح آغا ابن الخوري اسطفان وهو اليوم مدير فوج كسروان .
سليمان بن شهدان الخوري خيال القضا سابقاً .
سليم بن مرعي ريشا الخوري مستنطق ادارة البوليس في بيروت سابقاً .
رشيد بن فرنسيس الخوري وهو اليوم القس عمنوئيل رئيس دير الناعمة سابقاً .
حبيب ابن الخوري اسطفان تاجر في بكاسين .
يعقوب ابن الخوري اسطفان توفي راهباً .
ملحم بن يوسف بك ناصيف مدير دير القمر .

درس هؤلاء التلامذة

كان مبادئ القراءة الفرنسية وتصريف الأفعال العربية ومبادئ الحساب وكل ذلك بمدة ستة أو سبعة أشهر وهذه المدة وفرت عليهم ستة مدرسية في المدارس العالية التي دخلوها في بيروت وغيرها .

ولما وفد أيار وأقبل الربيع ملئت من الإقامة وضجرت من هذه الحالة فحررت الى والدي وكان عضواً في مجلس الادارة في بيت الدين استأذنته بالتوجه الى بيروت لأجل تدبير مصلحة لأن حالة المدرسة ما هي إلا وقية لا أعتمد عليها للمستقبل .

طلبي رفيقاً لمهنتس لبنان

عندما حررت لوالدي هذا التحرير أمرني أن أرفع عرضاً بالافرنسية لدولة داود باشا متصرف لبنان يتضمن طلب مصلحة فعملت كما أمرني وصرت انتظر الجواب ولا طال الوقت ولم أر نتيجة طلبت الاذن

من والذي بالتوجه الى بتدين فذهبت بعدما أذن لي وسألته ماذا صار في العرضحال اجابني ان كان مراده أن يضعني عند مهندس المتصرفية لدراسة هذا الفن لأنه ذو فائدة كبرى ولكن حال دون ذلك ان نعيم افندي يقانوا وكيل المتصرفية وضع أحد أقربائه في هذا المل وهو المهندس الشهير انطون افندي يقانوا الذي خدم المتصرفية كمهندس مدة ثم عُزل ثم أعيد ثم عزل وهكذا بحيث شكرت الله الآن لعدم توفيتي في الاستخدام في لبنان وأخيراً طلبت الاذن من والذي وتوجهت الى بيروت لاقتش على مصلحة .

مستخدم الحكومة في لبنان

ما من عيشة امر ولا اخره محزنة مثل مستخدمي لبنان وسبب ذلك ان كل الوظائف متعلقة بارادة المتصرف كما قلنا ولا يعرف ما يعجب دولته ولا من يفسد عليه لديه ولا أي قنصل أو مطران يرضى وكل متصرف جديد يريد أن يبدل الموظفين القدماء ويعمل طبقاً لحاله فجميع هذه الأحوال تجعل الموظف لا ينأى ليلاً ولا نهاراً وكنت عندما احضر الى عند والذي الى دير القمر اراه يقض لياليه مع بعض مستخدمين من أصحابه بالسهر والاستفهام عما قال الباشا اليوم وأية حركة عملها وهل تسم بوجه فلان أو عيس وما قال خادمه الخصوصي وكيف المسألة الغلانية وهكذا كنت أنام وكذلك بنام المرحوم أخني خليل فكان والذي يقظله لكي يتعلم المباحث السياسية ويقول له ان اخاك لا يهيمه ذلك وأما أنت ففي السلك بلزم تعرفه .

فكانت أول نعمة لي من عدم الاستخدام هو نومي مرتاحاً حاصله كنت أرى نفس المتصرف هموم وانتقال مثل خادمي فحدث لي ان ازور نعيم باشا في بتدين عندما كنت ماراً عليها لأجل مدة الصيف في شهر تموز متوجهاً الى مصيفي في جبل طوراً فدخلت عليه في اوضة معنمة وكان يوم بوسطة والحر شديد فجلست فقال لي اصبر حتى انهي هذا التحرير فبقيت نصف ساعة اخيراً طلبت الرخصة بالذهاب لأن الحر كاد يخنقني فقال لي اصبر فصبرت الى الانتهاء فقلت لدولته والله لو اعطي لي مركزك على شرط اصيف في هذه القرية لا اقبل وانا متوجه الى محل مرتفع ١٣٠٠ متر متفرعاً من ثيابي استنشق الهواء أريد أنام أو أقوم أو اذهب وعندي فلاحون في أرضي كل منهم يخدمني بصدق وامانة وأرى نفسي سعيداً أكثر من متصرف أقله أناام مراتح الفكر فتبسم وقال الحق معك فاية عيشة أفهم من عيشة مستخدم الحكومة يلزم يكون دائماً لا يلبس رصياً يتكلم رصياً اذا ضحك قالوا مهزاً وان عيس قالوا متكبراً وهو في حالة لا يرتاح فكراً عجوساً أكثر من مجرم وأما أحواله المالية فهي عدم فاذا مشى باستقامة لا يكفيه معاشه وان مشى بخلاف ذلك انتفضح ورأى مثله اكبر منه شلحة كلما جمع فالانتفاء واحد ومع هذا اذا عذل تكبر ومات حقاً فالسعيد كما قال هارون الرشيد عندما سأل احدي جلسائه من اسعد رجل فصار يقدم له من جميع الطبقات وهارون يبين له مصائب كل واحد اخيراً قال له السعيد من لا نرانا ولا نراه واقول السعيد من يستغني عنها معاشاً .

دخولي في معمل الحرير في القرية

ففي يوم وصولي الى بيروت توجهت الى سوق الطويلة فقابلت للرحوم الشيخ قبالان الخوري الذي كان وكيلاً لمعمل القرية في بيروت فسألني عن سبب بعثتي الى هناك فاجبته انني آتية لافتش على شغل فقال لي انتا نحن أيضاً نفتش على شخص نظيرك لكي يكون مدة مسواق الشرائق في معامل القرية ووظيفته قيد وترجمة (الرجع) أي الوصولات بالشرائق التي ترسلها السفارة الى المعامل وتسليمها للمكارية وقبل التكلم عن معامل حل الحرير نذكر الموسيو فرتوني بورتاليس الذي ادخله لبلادنا .

فرتوني بورتاليس

الذي أدخل حل الحرير لبلادنا

هو ابن اتيان بورتاليس الفرنساوي من مدينة اكس وكان والده وزير العدلية في عهد نابوليون الأول وهو الذي سن شرائع نابوليون أو كود نابوليون المشهورة وعندما انقرض حكم نابوليون وعاد حكم الملكية سقط من منصبه واضطهد كثيراً وتوفي وله خمسة أولاد .

الأول اتيان باسم أبيه والثاني نقولا والثالث فرتوني والرابع روبر والخامس يوسف جاءوا بعد موت والدهم الى مصر ثم الى سوريا سكن اتيان حلب وتوفي فيها عن ولد اسمه ادوار الذي كان قنصل صيدا وله ابنة تزوج بها الخواجة نخله زباني الشهير في صيدا .

وأما نقولا فعند حضوره الى سوريا وجد ان الحرير رخيصاً جداً وان لا تعرف اهل سوريا تحله فاعتمد ان يعمل كرخانة للحل فتبعه الأمير بشير فاجيرا طلبه الشيخ عبد الملك الذي كان عدواً للأمير بشير وباعه قطعة أرض في بتاتر باني عشر الف غرش وهي محل الكرخانة اليوم وقد لامته الناس على هذا المشتري الغالي ولكن عندما عرفوا السبب عذروه وأخيراً توجه نقولا راجعاً الى مصر واخبر اخوته عن الغنى الحقيقي في سوريا وهو الحرير فحضر مع اخوته الى سوريا وباع محل الكرخانة الى اخيه الخواجة فرتوني وعاد الى مصر ثم رجع الى سوريا وولد فيها ولداً اسمه ادوار وهو الآن في ياغا وابنة من اجمل البنات عرفتها جيداً وقد تزوج بها صديقي السيو روسو عندما كان ترجان أول في بيروت في قونصلاتو فرنسا والآن قنصلها في بالرم بإيطاليا .

فرتوني أو فورتينه

هو الذي أسس محل الكرخانة وعملها وابتدأ بحل الحرير فيها فهو أول من أدخل حل الحرير لبلادنا كما

قلنا فكم من الجميل له على هذه البلاد التي أصبحت زاهية بسبب الحرير لانه هو الصنف الوحيد الباقي لمعاشها وسنشرح ذلك فيما يلي :

ولد فرتوني في فرنسا في اكتوبر ١٨١٥ بعد وقعة واترلو واتى الى مصر ١٨٢٧ وإلى سوريا ١٨٣٨ وسكن بيروت وفيها استقبل الأخت جلاس رئيسة الراهبات اللعازريات وهي أول راهبة من جنسها دخلت سوريا وقد اعطاهن بيته وأخبرتني هذا الرئيسة جلاس نفسها .

وقد سكن بتاتر سنة ١٨٤٧ وأبتدأ يشتغل بالحرير وكان لا يعطي الدراهم لاجل الموسم سلفاً بسند أو كمبيالة بل بالأمانة وقد كان يتفق في بعض الأحيان ان بعض السائمة أو أصحاب الأملاك يتكبرون المبلغ فعندئذ كان يرتضي منهم باليمين فقط وذلك بوضع يدهم على الانجيل الذي كان عنده على طاولته وحلفهم بعدم أخذهم الدراهم .

فكان يشعر للمكر عند حلف اليمين ووضع يده على الطاولة بارتعاش عظيم ويقرّ بساعته وسبب ذلك ان فرتوني كان صاحب عقل وجد ان التشكي والدعاوي متعبة وطويلة وتخسر اكثر وحيث اشغاله كثيرة لا يوجد وقت لهكذا أمور ومزوم ان يسلف على الشرائق اخيراً جهاز كهربائياً ووضع تحت الطاولة وانفذ الطيار الى الانجيل بحيث كل من لمس الانجيل يشعر بالتيار الكهربائي ويرتجس بدون أن يعرف السبب الا نكرانه للدراهم فيقر وبهذه الطريقة زاد ايمان التاكرين بالانجيل وفرتوني ارجع دراهمه .

هذا وله جملة نوادر وأحاديث يضرب بها المثل في بلادنا وكانت وفاته فجأة في بتاتر في أيام كثيرة الثلج فتوجه الدكتور سنس بطلب له فلم يدركه فاحضره الى بيروت ودفن في تربة اللاتين وذلك في ١٠ شباط ١٨٨٢ ومعه وسام الجيوش دونار وله ولد وجملة بنات .

بروسير يورتاليس

هو ابن فرتوني ولد في بتاتر ١٨٥٥ وتخرّج في فرنسا وبعد ان خدم مدته العسكرية عاد الى بلادنا ووسع شغله وفاق والده في المهارة والشغل والوفرة حتى صاروا يترحموا على الوالد .

فبالحقيقة ان بروسير هو أشهر رجل بين أرباب المعامل وقد فاق والده لأن والده عندما كان يشتغل كان وحده اما الآن فقد كثرت المعامل ورغماً عن ذلك فبروسير لا يزال يزاحم معامل كثيرة من الحرير امتدت عندنا بكثرة وذلك كمادة أهلاً ببلادنا متى عمل جارهم شيئاً تزاحموا وتراكضوا عليه ومع ذلك لم يزل معمل بروسير أول معمل متقن وقد وصل الى ٢١٠ دواليب وحريره دائماً يعد من الطبقة الأولى ومسواقه سنوياً ١٣٠ الف افقة شراقة .

وقد تزوج بابتة اخته ابنة باتال وهي ابنة العريكة ذكية لطيفة دمست الاخلاق وبالاختصار من أحسن سيدات بلادنا وله منها ابنة وولد ذكر ولم يبق في بلادنا من عائلة بورتاليس الا بروسير وقد اشترى سراي عبدالله باشا في رأس بيروت وهي من أجمل المراكز بمضي فيها فصل الشتاء .

وأما الأخ الرابع لغرتوني فهو روبر وقد كان قوي البنية توفي مطعوناً في بئر لان خادمه مات بهذا المرض ولم يوجد من يدفنه فاخذته ودفنه ومن هذا سرت اليه العدوى فقتل شهيد المروءة .

وأما الخامس وهو يوسف فهذا الذي أدخل جمعية مار منصور الى سوريا وكان يتاجر مع أخيه نقولا في بيروت وتوفي عزباً وغاية ما أقصده بهذا الفصل هو تخليد مآثر هذه العائلة الكريمة وشكرها على ما نعمت به بلادنا وخدمتها بتقدم هذه الصناعة التي أحيت البلاد وكذلك انوه هنا بالمساعدات التي أظهرها الشهم الهام بروسير لكل ضعيف وفقير فهذا الشهم هو صديق صديقه يعتمد عليه في الاحوال الحرجة .

معامل القرية

ان هذه المعامل انشئت في لبنان لأجل نسج الحرير وهي تخص محل بلوا وتستوار في ليون وهو أعظم محل تجاري للحرير وله وكيل من قبلهم يسكن القرية محل المعامل ولهم محل وكالة في بيروت كان فيها المرحوم الشيخ قبلان وهو تحت ادارة الوكيل الأصلي الذي كان اسمه يومئذ الخواجه كروزه فاخبرني الشيخ قبلان أن أتوجه لعنده الى المكتب وهناك يقدمني للخواجه كروزه وينظر ترجمتي من العربية للفرنساوية ومن الفرنسية للعربية فتوجهت بعد الظهر فاعطاني الشيخ قبلان مقابلة بين المحل وبين سمسار من السماسرة الكبار اسمه غنطوس ثابت من يحملون لترجمتها من الفرنسية الى العربية فترجمتها حالاً فأعجبت الترجمة الشيخ قبلان الذي أخذني وقدمني للخواجه كروزه الذي عيني بمعاش خمسة ليرات فرنسية وان ابقي حيثئذ في بيروت حتى يصير السوق في الجبل وحيثئذ اطلع الى القرية وأخبرني ان هذه المصلحة وقتية في السوق واذا وافقتهم يمكن أن يعينوني في المحل وكنت أنا في محل براس النبع في بيت الحداد وكانت هناك عمي شات التي حضرت لأجل تطيب عيني وكنت أتوجه كل يوم الى المحل وكان عند العصر يأمرني الخواجه كروزه أن استأجر حصاناً على حساب المحل وأتوجه لقرب معامل الحرير الموجودة في بيروت لأجل الاستخبار سراً عن أسعار الشرائك بدون أن يعرفني أحد من المحل فكنت أتوجه من جهة الى أخرى وأستخير من المكابرة واطلع على الوصولات التي يدهم لأعرف أسعار الشرائك وعندما كنت أخبر الخواجه كروزه بما فعلته كان ينشرح جداً من ادارتي وكذلك الشيخ قبلان .

وكان دخولي في محل القرية في ١٧ أيار سنة ١٨٦٧ فبقينا في بيروت الى أول حزيران وتوجهنا الى القرية وقد وضعنا الخواجه كروزه في بيت الخواجه ساران مدير أحد المعامل السما بمعمل ت لأن هناك يوجد جملة معامل يسمى كل معمل بحرف من الأحرف .

الخواجه ساران

كان هذا المدير بسن ستين سنة وكان له ولدان الأكبر اسمه اغوستوس وكان معي في الشغل ووظيفته تقييد الشرايق الداخلة بعد وزنها واعطاء الرجع الى المكاريه بعد ان اترجمها لهم وهذه وظيفتي وكان له ولداً صغيراً جداً وكان اسم زوجته دالفين فكنيت آكل مع هذه الأسرة وأدفع كل يوم ثمانية غروش وأنام في حجرة لوحدي في البيت ذاته الذي هو ملك المحل .

أكلنا لحم الكلب الصغير

ففي ذات يوم ونحن على المائدة تقدم لنا شكل لحم مع صلصه بلنوق افرنجي فبعد انتهاء الأكل سألتني مسيو اغوستوس اذا كان هذا الشكل للذيذا فأجبته نعم فأجابني أنعرف لحم اي شيء هو قلت اليس هو لحم غنم فأجابني كلا بل هو لحم جرو كلب مولود من خمسة أشهر وهذه اخوته الصغار وأشار اليها فعندما سمعت هذا الكلام انقلبت نفسي وجاشت وكدت ان استفرغ وقد اجتهدت ان اغالط ففكري معتقداً انه يمزح معي ولكي رأيت بصحك ويؤكد المسألة فعندئذ رجوت ان لا يخبرني في المستقبل عما آكله .

التوجه الى بيروت

وعند خلاص الشغل طلبت الرخصة من مسيو كروزه أن أتوجه الى بيروت فاعطاني أجرتي بزيادة عما كان شارطني عليها بحيث كلما دفعته للخواجه ساران قيمة أكل أي ثمانية غروش كل يوم (وأكل لحم الكلب خمسة عشر غرش) كان ذلك زيادة عن كل شيء فودعنا الجميع وتوجهنا حالاً الى بيروت وقد وصلنا ليلاً وكان وصولي في ٤ تموز مساء .

ملحوظاتي على شغل الشرايق

فن سوء حظ لبنان وخصوصاً جرده انه لا ينمو فيه سوى التوت والزيتون والكرم فمحصولات الزيتون كل ستين مرة على الغالب ولا يمكن تصريفها دفعة واحدة فلهذا لا يشر الفلاح بلدة دخله وانهايك عن الأضرار والأخطار للأواني التي يوضع فيها الزيت ككسر وحريق وغيره .

ومن أسباب عدم النجاح في زراعة الزيتون في أعالي وأواسط لبنان هو ما يفاجئه من طوارئ البرد والثلج والهواء اذ يتكسر أو ييبس أو ينقرط حملة وكذلك اطالة المدة لنمو واستغلاله .

وأما الكرم الذي يعطي اثماراً جيدة في لبنان فقد قل من يحسن استنائه جيداً وذلك لأن أكثره يؤكل

عنباً فيباع رخيصاً جداً ولا يوجد معامل متقنة لعمل النبيذ والعرق وباقي الاستحضارات وإذا افترضنا وجود المعامل فصرف الاستحضارات يكون باسعار دنية لأن البلاد حارة والأهالي غير معتادة على شرب النبيذ .

وأما التوت الذي يعيش في كل أنحاء لبنان فإن محصوله يقبض دفعة واحدة فيشعر الفلاح أو صاحب الملك بلذة اذ يقبض مبلغاً كبيراً من الدراهم غير أنه يوجد آفة عظيمة للتوت وهي استحلال سرقة فتبتدي سرقة من السمسار للفلاح ومن صاحب المعمل للسمسار ومن الاوربيين لصاحب المعمل والاستغال بتجارة الحرير كمن يشتغل في لعب القمار فهو لا يعرف أي متى يكسب أو أي متى يخسر فكسبه عظيم وخسارته أعظم بحيث أغلب أهل بلادنا الذين اشتغلوا في هذا الصنف خسروا اموالهم واحوالهم حتى ان هذا المعمل الشهير محل القرية ابطلته اصحابه نظراً لسنين حصلت لهم خسائر عظيمة .

والخسارة الأعظم في هذه الأيام لأصحاب التوت في لبنان هي الأكلاف العظيمة التي يتكبدونها ففرست التوت تكلف في الجبل نحو من عشرين غرشاً لنقب الأرض وعمار الحيطان وبنان البيوت .

أما في الأراضي السهلة كالبقاع مثلاً أو في ساحل بيروت وصيدا فلا يكلف غرس النسيبة أكثر من عشرين من الفضة أي جزء من أربعين لما تكلفه النسيبة في لبنان فأين المزاومة من اغراس لبنان بالنسيبة لسواحلها فلذلك سهل على أهل الساحل أن يبيعوا شرائقهم بأرخص الاثمان بالنسيبة لأهل الجرد .

وأما الضربة القاضية على التوت في لبنان فهي المهاجرة التي لم تبق فلاحاً في الجبل لأجل تربية الحرير بحيث بادت أكثر الأرزاق .

رجوعي الى بيروت

في ثاني يوم وصولي اليها توجهت لمقابلة الشيخ قبلان صاحبنا وسألته اذا كان يوجد لنا عمل حيث انتينا من القرية فوعدنا متى وجد شيئاً يخبرنا .

وكان الشيخ قبلان مع أخويه المرحومين الشيخ افندي والشيخ لوس من أعز أصحابي ورفاقي في مدرسة عين طورا فكنت دائماً معهم وبقيت في بيروت حتى أصبت بداء الدوسطاريا .

مرض في بيروت

وكنت أنام في رأس النبع وعندما علم والدي أرسل أخنفي الى الدير ومنها الى بكاسين وفي أحد الأيام

توجهت الى جزين وقابلت اسكندر المعوشي الذي كان مستعداً للذهاب الى مصر لعند أخيه الدكتور سليم المعوشي فقال لي تعال معي لتعلم الطب في مصر فحررت حالاً الى والدي ليطلب لي تخريباً من داود باشا لأتوجه الى مصر لأجل الدخول في المدرسة الطبية وقد أخبرني فيها بعد انه عندما وصله تخريبي هذا اضطرب فكره .

وفيا هو في هذه الحالة مر بجانبه داود باشا الذي كان في بعض الأحيان يمزح معه فلما رآه في هذه الحالة سأله عن انشغال فكره فأجابني اني عرر له أن مرادي أن أتوجه لمصر لأتعلم الطب وانه اذا حسن لديه أن يأمر بتحرير توصية فحالاً أمر دولتو احمد بك رئيس قلم التركي أن يحرر تخريباً بهذا الخصوص وسلمه لوالدي وعندما استلم والدي التحرير أرسل يخبرني لكي استعد للسفر لمصر فحينئذ حررت الى أختنا اسكندر المعوشي وأخبرته بذلك وأن يلاقينا الى بتدين لأجل السفر سوية وبعدئذ توجهت الى بتدين وقد لاقاني هناك اسكندر افندي ومنها توجهنا الى بيروت وصورة التحرير الذي أرسله داود باشا لمصر لم تزل محفوظة عندي للآن وهذا نصه :

صورة تخريب داود باشا لداخلية مصر لادخالي في المدرسة الطبية

ان يوسف افندي الخوري من أعضاء مجلس الادارة الكبير من جبل لبنان قدم عرضاً ليدعني به وقوع الالتباس من طرف هذا العاجز لمقامكم السامي بقبول ولده شاكراً في المدرسة الطبية بمصر كونه متعلم اللغتين الفرنسية والانكليزية وبما أن هكذا اشخاص عندهم رغبة لاكتساب الصنائع والمعارف وان كافة الحكومات السنية فاعية أبواب لطفها لقبولهم وكما انه عارٍ من الشك والاشتباه أن مدينة القاهرة العالية هي جامعة كافة العلوم والمعارف وهي الوطن الحقيقي لكافة الآداب فبناءً على هذا الاعتقاد صار ارسال الولد المرقوم بهذه المدة الى طرفكم العالي وعلى هذه الصورة مساعدة واسعاف آمال هذا العاجز منوطة بأمر مكارمكم وبكل حال الأمر لحضرة من له الأمر .

متصرف جبل لبنان

داوود

الامضاء

في ٢ ت ١ سنة ١٨٦٧

وهذا التحرير كان بالتركية الى وزير داخلية مصر

ساعة الوداع

لم أر شيئاً كانت رؤيته مهولة في عيني اشد من هذه الساعة التي هي رمز عن فراق الدنيا فكنت أنظر وجهه والذي فأراه عبوساً يتيسم بالرغم عنه وعندما كان يوصيني كنت أرى عيونه غائصة بالدموع ولكنه

كان بكم ذلك خوفاً من أن أتأثر في ذلك الزمن ما كنت أعرف ما عند الولد للولد مثل اليوم أما اليوم فأقيس على نفسي لأن لي أولاداً ولكن نظراً لعقله كان يفضل صالحي المستقبل على احساساته الأبوية .

وأخيراً ما قال لي ان مدنتك ستكون طويلة في مصر فن يعرف اذا كنت أراك أو تراني وعند هذا الكلام لم يمكنه أن يضبط نفسه عن البكاء ولا أنا أيضاً وأخيراً تفارقنا وعيوننا تلتفت كل دقيقة الى الوفاء ورفيقي يشجني وقد كنا واضعين نصب عيوننا البلاد الجديدة وما سراء فيها فوصلنا الى بيروت ومنها ركبنا البحر ووجهتنا مصر القاهرة .

سفرنا الى مصر

السبت في ١٩ ت ١ سنة ١٨٦٧ في القابور المسكوبي

في اليوم الثاني توجهنا الى المدينة وجهزنا ما نحتاجه للسفر وكان مع رفيقي اسكندر تبخ لأجل أخيه في مصر فن بعد ان دفع رسوم الجمرك يومئذ توجهنا الى القابور .

وعندما دخلنا القابور مساء وأخذنا علنا وابتدأنا ننظر آخر نظرة للبلاد ولكن كان فكرنا مشغولاً في البلاد الجديدة وبعد غروب الشمس أبحر القابور وبعد خمسة دقائق من سيره ابتدأت حركات التيء معي وشعرت بدوار لم يمكنني من قعودي جالساً ولا التمدد على ظهري بل تسطحت على وجهي ويدي كابسة على معدني فبقيت طول الليل في هذا الحال وفي اليوم الثاني صباحاً أردت أن أجرب نفسي بالنهوض ولكني شعرت بقيء أشد من الأول وكنت أتمنى لو دام الليل لأن النوم كان يريحني جداً وأما رفيقي فعندما رأي في حالة التيء ابتداءً بضحك .

ولكن في اليوم الثاني وجدته في الحالة نفسها التي كنت فيها وبقياً على هذه الحالة الى أن وصلنا الى بافا التي هي أخطر مينة في البلاد ورغماً عن خطرنا نزلنا الى البرّ أملأ بأنه يمكننا الأكل والشرب عندما نزلنا الى الفلك الصغير كانت كل موجة من البحر آتية علينا نظنها جبلاً مقبلاً ستغرق باسقله أما الزورق فكان يعلو فوق الأمواج ثم يتزل الى أسفل فبقى كأننا في واد بين جبليين من الماء وقد تصورت في فكري بني اسرائيل عند مرورهم في البحر الأحمر ورغماً عن هذه الحركات القوية ذهب عني التيء والدوخة وكل شيء فحالاً طلبت السيكارة واطمئنت من رواق البحرية وعدم اكترائهم في هذه الأمواج بل كانوا يضحكون ولا يخلون عن قبض العملة من المسافرين وويل لمن لا يشارطهم قبل التزل لأنهم يأخذون منه ما يستطيعون من الدراهم لأن المسافر عندما يرى نفسه في هذه الحالة يدفع لهم ما يطلبونه وأحياناً يرجعهم للمسافرين من البر يبقون لقرب سفر القابور ويتداون بالتأخر في المسير حتى يتبيح الراكب

ويبلغ لهم مقداراً عظيماً حتى لا يفوته القابور وقبل الدخول في البر وصلنا بين صخور ضخمة بحيث كانت الأمواج تغلفنا نحوها لولا مهارة البحرية فبالحقيقة أنهم من أمهر البحرية ولولا ذلك لما أمكنهم الخوض في هذه المينا .

ولباذا منظر جميل من جهة البحر في انها مبنية على تلال ويوتها فوق بعضها بحيث يمكن لكل سطح أن يكون داراً لبيت آخر وهذا المنظر الخارجي يعكس منظرها الداخلي كما سنرى من تاريخ يافا .

يافا

لفظة سريانية معناها الجميلة

ان هذه المدينة قديمة جداً وقد ذكرها التاريخ المقدس بهذا الاسم في سفر الايام الثاني الاصحاح الثاني عدد ١٦ حينما ارسل حيرام ملك صور أرز لبنان الى سليمان لبناء الهيكل ومنها نزل يونان النبي كما في الاصحاح الاول عدد ٣ ليونان وفيها رأى بطرس الحلم واقام طاييطا من الموت اعمال الرسل الاصحاح العاشر والخامس عدد ٢٤ وفيها جرت قصة اندروماد رواها القديس جيروموس ومنها توجهت مريم العذراء مع يوحنا الى افسوس وفيها تحارب قلب السبع ايام الصليبية مع صلاح الدين الايوبي وقد عمر اسوارها ثانية مار لويس وفيها ولدت ابنته بلانش وفيها بلغه خبر موت والدته وفي سنة ١٧٩٩ فتحتها نابوليون الاول وقد فتحها ابراهيم باشا الخديوي المصري ولها تاريخ قديم جداً ويوجد فيها نحو اربعين بناية أو خمسمائة بستان واهية مركزها بالماء الموجودة في البساتين ويمكن اصلاح مينائها ومن قرأ سفر المكابيين الثاني الاصحاح الثاني عشر والثالث عدد ٨ يعرف عوائد بحريتها وما لهم من سوء المعاملة مع الزوار وانهم اشهر والامن بحارة الدنيا .

فهذه المدينة هي ميناء القدس ويوجد بعدها سهل سارون أي المشقوقة وهو السهل الذي حرق فيه شمشون زرع الفلسطينيين وبعد هذا السهل توجد الرملة .

وكان لي معارف في يافا وهم ارفاقي في مدرسة عينطورة ومدرسة البستاني وعرفت لما كنت في مدرسة البستاني ولم يخاط وهو الان في كوتسلاو انكلتره في القدس .

وكان اول اهتمامي بدخولي يافا هو الاكل حيث ما امكنتي الاكل في القابور وبقيت في المدينة مدة ليتم الهضم عندي قبل التزول الى القابور الذي نزلت اليه قبل ميطاده خوفاً من ازدحام البحرية الذي لم أر منهم الاكل معاملة حسنة وعند سفر القابور مساء عاد اليّ دوار البحر واصابني كالاول وبقيت هكذا الى ان

وصلنا في اليوم الثالث من سفرتنا من بيروت الى مدينة بورت سعيد التي هي اول مدينة من مصر لجهة بلادنا .

جغرافية مصر

واسمها

ان اسم مصر على حسب اللغة القديمة واللغة القبطية نعيم أي الارض السوداء وبالحقيقة هكذا لان كل ارضها سوداء والعبرانيون يسموها مصراتيم ومعناها المصران وفيها علامة الجمع التي هي الميم في العبرانية ربما يعنون فيها مصر العليا والمتوسطة والسفلى وربما تمت بذلك لية الاقنية التي كانت كالمصارين والاسم اليوناني اميجيتيس يدل على ذلك لان اليونان كانت دائماً تترجم معنى الاسم الى لغتها .

وقبل تمت بذلك باسم مصر ايم بن حام بن نوح واليونانيون سموها اميجيتيس اي بلاد الاقنية ربما بسبب الترع التي فيها وقيل باسم احد الملوك .

(واما مركزها الجغرافي) فهي عبارة عن واد تحيط بها الجبال شرقاً وغرباً وتقسم الى ثلاثة اقسام العليا وتسمى بالصعيد وهو الوجه القبلي والوسطى والسفلى الذي هو الوجه البحري الذي كان من قديم الزمان مغموراً بالماء وكل دولة قسمتها الى اقاليم بعضهم اوصلها الى اربع وعشرين واليونان اوصلتها الى سعة وخمسين وتمتدتها مشى مع النيل أي من الجنوب الى الشمال .

سكان مصر

فالاستكشافات المصرية هي التاريخ الحقيقي لمصر وهي الاثباتات لصدق هذا المورخ أو لتكذيب غيره فلاجل معرفة اصل المصريين نذكر ما قاله هيروdotus انهم اتوا من شواطئ بحر المعجم بسبب زلازل وحضروا مع الفيتقيين اللذين توجهوا الى سوريا والذي ثبت قول هيروdotus ما قاله مسيرو في كتابه عن اصل المصريين صفحة ١٦ وقلنا ان المهاجر لا بد ان يأخذ معه ثلاثة امور لغته ودينه واسمه فاذا فحصنا كماقال مسيرو عن اللغة المصرية نجدها لغة سامية تشبه الارامي والعبراني في اصولها وتركيبها الفرائطقي واحد فاحد ازمان افعالها الاقدم والابسط مركب من الضمير المتصل المشابه للغتين المذكورتين .

وان لا شك ان اللغة المصرية والسريانية من اصل واحد تكونتا في الاصل ثم مع الزمن والبعد ابتعدتا فلننظر الان ان كانت هذه اللغة تشبه اللغة الهندية المسماة بالسسكري لانه يُظن ان المصري والفينيقي اتيا من الهند وسكتا شاطئ بحر المعجم ولاجل اثبات ذلك نذكر اولاً شيئاً ما عن الهند وعن عوايدهم

وديانتهم ولنتظر فيما اذا كانت تشابه المصريين وقبل الدخول بذلك نذكر اكتشاف اللغة المصرية الميروكليفية لاجل البحث والنظر في قواعدها .

ذكر بعض المؤرخين ومن جملتهم هيروdotس ان المصريين اتوا من جهة خليج المعجم بسبب زلازل وكذلك سكان فينيقيا اتوا من هناك والاصل من الهند .

قبل الابدئ بتاريخ مصر نذكر شيئاً عن الهند وعن لغتها وعوايدها واسباب مهاجرة اهلها لكي ترى حقيقة ما رواه هيروdotس المؤرخ .

كشف اللغة الميروكليفية

حجر رشيد

ان هذا الحجر الموجود الان في المتحف البريطاني وقد رايته مدة زيارتي لوندرة في ايلول سنة ١٩٠٣ قد اكتشف مدة نابوليون الاول بقرب رشيد سنة ١٧٩٩ وعلى هذا الحجر ثلاث كتابات الاولى في اللغة الميروكليفية والثانية في اللغة العامية الديموطيقية والثالثة في اللغة اليونانية .

والذي كشف هذا الحجر هو ضابط فرنساوي اسمه بوسار Boussard واهداه الى مجمع العلوم الفرنساوية في القاهرة ولما خرجت الجنود الفرنسية من مصر وضع الجنرال هتشونسون الانكليزي يده على ذلك الحجر واهداه الى المتحف البريطاني في لندن ولم يزل هناك الى اليوم طوله ثلاثة اقدام وقبرطان وعرضه قدما وخمسة قرايط وفي سنة ١٨٠٣ رسمت جمعية العاديات صورته ووعزتها على جمهور العلماء فترجمتها اليونانية تدل على تشكر من كهنة ممف الى بطولابيس البيفانس سنة ١٩٤ قبل المسيح لانه انعم عليهم واما القراءة الميروكليفية فلم يعرفها احد وبقي كشف اسرار هذه اللغة الى سنة ١٨١٨ الذي تمكن منه الرجل فرنساوي شمولون الذي درس اللغة القبطية التي هي لغة المصريين القدماء .

ومن ذلك القوت امكن كشف تاريخ مصر الحقيقي فكان شرف وجود هذا الحجر واكتشاف لغته محفوظين للفرنساويين ولو كان في لوندرة .

الهند مركز الجنس البشري

قال بعضهم ان الهند مركز الجنس البشري ومهدته ومن هناك تفرق على كرة الارض لاجل معرفة اسباب هذا التفرق يلزم ان تعرف عوائل الهند وترتيبهم ولغتهم .

رتب الهنود

كانت تقسم الهنود الى اربع طبقات الاولى البراهمة أي ارباب الدين الثانية الحكام الثالثة التجار الرابعة الصناع ولكل من هذه الطبقات قوانين ونظامات لا يمكن تجاوزها فكان حاجز عظيم بين كل رتبة بحيث لا يمكن انتقال واحد من رتبة الى رتبة اخرى .

وعندما كان احد يتجاوز ويخالف قانون طبقته كان يعاقب بأشد العقاص واعظم قصاص له كان طرده من الهيئة الاجتماعية بحيث لا يكلمه ولا يقبله ولا يطعمه ولا يسقيه ولا يساكنه احد فلاجل ذلك كان يهرب الى البرية ويأكل الاعشاب ويصطاد الحيوانات .

وقيل انهم كانوا يغيرون له كل عوائدة وخصوصاً الكتابة التي كانت من اليسار الى اليمين صارت من اليمين الى اليسار وكان بسبب تركه تكثر عليه الاوساخ والامراض واخصها امراض القلفة التي كانوا يلتزمون لقطعها وهذا هو ابتداء الختان .

وعندما كثر هؤلاء المحرومون واجتمعوا من كل طبقة رحلوا من الهند لجهة الغرب واتوا الى خليج المعجم حيث التاريخ ابتدا فيهم من هناك .

اما القسم الاخر من الهند الذي دخل لجهة أوروبا كان من الهنود الاصليين الذين بقوا حافظين لغتهم وعوائدهم وديانهم التي تنوعت مع الزمن .

لغتهم

ان اللغة الاصلية للهنود هي السنسكريتية التي فيها ديانتهم المقدسة والتي اثارها باقية للان في اللغات الاوروبية وخصوصاً اليونانية .

دين الهنود

كانت الهنود تعبد الها واحداً تعطي له جميع صفات الالهوية ولكن كانوا مثلاً باقي الوثنيين يشخصون الصفات مثلاً من صفات الخالق القوة فكانوا يحلون صنماً يسمونه اله القوة وهكذا لكل صفة وان هذه الالهة ثانوية خاضعة لاله اصلي واحد قالاله الاصلي الذي كان تد الهنود هو الزمن لانهم كانوا يقولون اله سرمدى لا ابتداء له ولا نهاية وهو الخالق والمحافظة والملاشي والحيسي والمعبت وكل شيء يظهر يكون منه وقد قسموا الزمن الى ثلاثة ماضي وحاضر ومستقبل فالماضي سموه الخالق وهو برا لانه زمن الخلقة مضى .

والثاني الحاضر وسحره المحافظ لأنه يحفظ المية الموجودة واسمه فيكتو .
والثالث المستقبل وهو الملائشي لان كل شيء يتلاشى في المستقبل واسمه سليفه وهذه الثلاثة هي واحد
وهو الزمن ومن ذلك اتى التثليث والتوحيد عند الهنود وهم المدعوون بالدهريين الذين قيل عنهم وما هي الا
حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر .

وأما المشرع العظيم عندهم يدعي مانواي الرجل الطاهر وكانوا يعتقدون ان هذا الاله يغضب
ويقاصص وينم ولذلك كانوا يردون غضبه أو يستمطرون نعمه بالهدايا والضحايا والصوم والصلوة
والتعشف فاصبحت البراهمة الوسيط الوحيد بين الالهة والبشر فكانوا يقدمون الذبايح ويرتبون الاعياد
باحتمالات ولا يخفي ما كان لهم من السلطة والفنى والاكرام .

يراهين مهاجرتهم

من المعلوم اذا تقرب الانسان الى بلاد اخرى ياخذ معه ثلاثة لفته وعوائلته ودينه ومتى كان فاتحاً
مستطلاً يعطي هذه الامور الثلاثة الى الذين تحت سلطته فاذا فحصنا شعوب أوروبا واسماها واسماء آلهها
نرى انها آتية من لغة غربية عن لغتهم الحالية التي لا معنى عندها في هذه الاسماء مثلاً لفظة المانيا ليس لها
معنى في لغتها الالمانية ولكن لغة السنسكري الهندية تفسر معناها الذي هو (آلي ماني) أي الرجال الاشياء
وكذلك لفظة (بلجيكيك) فان معناها سكان الغابات ولفظة (هالان) التي هي عبارة عن اصل اليونان فان
هذه اللفظة سنسكريه معناها القمر لانهم كانوا يعبدو القمر وعلمهم الذي اخذته الاتراك كان عليه رسم
الهلال وبينما كان احد السلاطين العثمانيين ليلاً في الخارج رأى نجمة في وسط هلال القمر فامر ان تضاف
الى هلال العلم وهذا هو العلم العثماني الآن .

اسماء الالهة

ان اسماء الالهة عند اليونان هي سنسكريية فالاله الاكبر عندهم اسمه جوبتر الذي لا معنى له في لغتهم
واما في السنسكريية هو مركب من زايس باتر Zeus Pater أي الاله الاب ومنهم اخذت اللاتينيون
لفظة Deus فالاله الاول عند الهنود كان له اسمان اسم قبل الخليفة وهو zeus pater وبعد الخليفة
اسمه (يرا) وربما ان تكون لفظة يرا بالعربية مأخوذة من هناك وكذلك اسم Hercel الذي معناه الاله
القوة وهكذا في باقي الالهة اليونانية وفي لغتهم ايضاً التي لم تزل العلماء تبحث فيها وتثبت اصلها
السنسكريي .

فلنرجع الى المصريين ونبرهن عن اصلهم الديني وقد قلنا ان الهنود كانت تعبد الزمن كما قلنا فالمصريون

وجدوا ان ميزان الزمن هو الشمس لانها كانت تقسم الزمن الى ليل ونهار شتاء وصيف ولها تأثير على حياة النبات والحويوان والمعدن فعبدها وتلقوها وسمتها اليونان عند الشروق هرعيس أي شمس الافق الشارقة والغارة وسمتها المصريون هرعوتي وعملوا ابو الهول تمثلاً لها وعند الظهر سموها را وعند الغروب سموها اوزوريس .

وهي عبارة عن الشمس المغرية وهذه الثلاثة هي واحد فهذا هو التثليث المصري ويوجد تثليث آخر يسمى بتثليث مانف وهو عبارة عن الاب والام والابن واذا قرأ في الكتب الدينية قوانين الذبايح تلقاها واحدة في الهند ومصر حتى اسماء المشرعين هي واحدة مانو عند الهنود ومانس عند المصريين ما هو الا بعض تحريف فاذا حصلت دراسته جديدة وقوبلت لغات وديانات وشرائع الهنود والمصريين ربما يرون براهين جديدة اقوى .

ديانة المصريين القدماء

قد أخذت هذه الديانة عن عبادة الشمس وللشمس تأثير عظيم على ديانة وافكار المصريين وحياتهم فعندما نظروا الشمس تشرق وتكون باعظم قوتها عند الظهر لم تغرب وتغني في البحر وبعد ١٢ ساعة تولد ثانية قسموا حياتهم واعتقادهم على ذلك ان بعد ولادتهم ينمون ثم يموتون ثم يقومون وعملوا لكل قسم في هذه الادوار الهة وقسموها الى ثلاثة اقسام الهة سماوية واله ارضية واله اموات .

فالسماوية هي الشمس اورا والارضية هي سبب الأرض ثم النيل .
والهة الاموات ازيريس وخلافة وكان لكل اقليم الهه فالحكم في منفيس محقر في اقليم اخر ولكن الجميع يقرّون بالشمس .

وكما قلنا ان الهنود كانت تعبد الزمن وتنقسم الى ثلاثة الهة والثلاثة واحد كذلك عبدت المصريون الشمس التي هي مقسمة الزمن الى فصول ونهار وليل فعبدها عند شروقها باسم هور وعند الظهر باسم را وعند الغروب باسم ازوريس والثلاثة واحد وهي الشمس فهذا هو التثليث عندهم ويوجد تثليث اخرى وحيث ازوريس هي الشمس المغرية اعني عند مونها سموه اله الاموات وعنده ٤٢ قاصر ليدينوا الاموات ويحكمون عليهم بالهلاك أو بالسعادة بالهلاك اعني الموت الثاني الابدني وبالسعادة انه يصبح ابن الالهة .

وقد تنوعت الاعتقادات بهذه الالهة تنوعات عديدة وخصوصاً عبادة الحيوانات فكانوا يعتقدون أولاً انها الهة قائمة بنفسها وفيما بعد قالوا انها مركز الالهة لان كل هذه العبادات كانت مؤسسة على المنفعة أو الخوف فعبادة الاسد والنساح وخلافه كانت للخوف لانهم اقوى من الانسان واما عبادة ايبس وخلافها

كانت لتنع الاراضي وتسهل عيشة الانسان ومن العجب ان الانسان يصل وينحط الى هذه الدرجة ويبعد ما هو ادنى منه لان المعبود هو اعظم من العابد فاذا بقي الثور والحمر والقار والبصل والثوم اقوى واعظم من الانسان فاين العقل للانسان .

وقد قال أبو العلاء الميري عن مذهب زردشت الذي كان يكرم البقر ومن غسل وجهه ببولها غفرت خطاياها .

عجبت لكسري واشياعاهه وغسل الوجوه ببول البقر

ومن الاعجب ايضاً كيف ان هذه الالهة الحيوانية كانت تمنهم عن فعل الشر وكانوا اعظم شعب في الدنيا في حفظ الاداب فاذا نظرنا الى الفقرة في كتاب الاموات التي يقولها الميت امام مجلس ازوريس عند دينوته تعجب كيف ان الثور والقط والخنفسة منعت هذه الشعوب عن فعل المنكر وهذه القطعة هي خطاب الى ازوريس يا سيد الحقيقة والعدل انني اعترف بك فلاجلك لاشيت الكذب ولا زورت ولا سرق ولا أحرزت ارملة ولا كذبت امام العرش ولا خنت ولا ارتكبت امراً محرماً ولا اشغلت فاعلاً زيادة عن وقت شغله ولا اهلكت شيئاً ولا كنت كسلاناً ولا خفت ولا ارتخيت ولا عملت شيئاً لا يرضي الالهة ولا هربت عبداً عن سيده ولا تكبرت على عبيدي ولا سببت الجوع لاحد ولا ابكيت احداً ولا قتلت ولا امرت بقتل احد بخيانة ولا كسبت بغش ولا تلقت ميزان الحبوب ولا تعديت على ارض احد ولا اختلست من كفة الميزان ولا قطعت الحليب عن فم الرضعان ولا قطعت الماء عن سيرها فانا نقي وانا نقي

انظر عابدي الثور وانظر حالنا الان فبالحقيقة ان بلاد مصر هي بلاد العجائب وقد خرج منها كل شيء ادبي وعلمي .

وكان المصريون القدماء يعبدون الهاً واحداً فقط وان الاصنام لم تكن الا صفات مشخصة تلنبي العامة بها وكان دينهم مقسوما الى قسمين قسم فلسفي معقول تحفظه الرؤساء والعلماء والثاني قسم مادي يتأثر منه الجاهل ويعتبره اكثر من القسم الاول .

فنظر الصنم كان يؤثر بنفس الجاهل اكثر من المعنى الذي لاجله جعل هذا الصنم والقصد من كل ذلك وجود طريقة تربط الانسان عن فعل الشر فاذا اعتقد احد الوثنيين ان هذه الخشبة تضرة اذا عمل بك سوءاً فتكون هذه الخشبة مانعة عنك الضرب ونافعة لك فلا يلزم ان تبعد شخصاً عن فكره الديني اذا كان دينه يحرم عليه ضررك ولكن متى افسدت عقيدته الاصلية وقصدك تعليمه عقيدة جديدة لا يؤمن بها فيكون خالصاً من هذه وتلك ولا عاد بمنع شيء عن ضررك .

وكان يعتقد المصريون باله واحد وهذا الاعتقاد كان عند الرؤساء سرّاً بحيث كانت جمعية سرية مخصوصة لاجل كشف هذا السر الى بعضهم وكان اسم هذه الجمعية جمعية ايزيس ويقال انها اول جمعية سرية ظهرت في الدنيا وغايتها الاعتقاد باله واحد وان يبقى ذلك محفوظاً عن العامة وهذه الجمعية قرأت عنها في بعض كتب وقد ذكرت في كتاب اسمه الجمعية السرية كتبت استرته من بعض اصحابي لاجل قرائته وارجمته له ولا اعلم اين هو وشرح هذه الجمعية هو كما يأتي حسب الكتاب المذكور .

جمعية ايزيس

ايزيس هو اله من آلهة منف وهو للوث من تثليثه لان هذا التثليث مكوّن من اوزوريس وهو الرجل وايزيس فهي المرأة وهوروس فهو الصبي ويعنون بازيس القمر ويصورونه بصورة امرأة على رأسها طاقية تشبه النسر ومن فوقها تاجا مصر العليا والسفلى ويدها الواحدة مفتاح والاخرى صولحان واحياناً يكون على رأسها قرنان بينها قرص الشمس وفوق القرص ما يشبه تاجي مصر .

وكان لكل اله كهنة مخصوصة تخدمه ويكون عددها مناسباً لعدد العابدين وحيث كانت عبادة ايزيس عظيمة جداً فكان عدد كهنته عظيماً وقبل دخول الكاهن في هذه الجمعية كانوا يصنعون له امتحانات عظيمة .

امتحانات الداخل في صف كهنة ايزيس

كانت هذه الامتحانات جسيمة وعقوبة تجزي بالنار والماء والهواء والتدريب والشجاعة والثبات والجلد والصبر وكان عمل هذا الامتحان الاهرام فعل حسب مؤلف كتاب الجمعيات السرية كان يوجد بين هرم الجيزة الكبير وهيكل ابي الهول طريق مخفية كانوا يلزمون المبتدي ان يمرّ فيها وحده وفيها يقضي أشد الامتحانات .

الطريق السرية من الاهرام لابي الهول

ان الذي كان يريد الدخول في صف الكهنة يلزمه ان يقدم طلباً الى رئيس الكهنة فيأخذه الرئيس ويوكل فيه شخصاً آخر ليعلّمه ماذا ينبغي فعله وهذا الرجل الموكل فيه يسميه عرابه الذي يأخذه بيوم معلوم الى الهرم الشمالي للوجود في وسط وجهه الشمالي طاقة يتزلون منها بدلهيز ينحدرون فيه الى مسافة تحت الارض بحيث الجالس في قعر هذا الدلهيز ينظر السماء من الطاقة في مدة الليل يرى منها نجم القطب الشمالي الذي تأسست الاهرام على حسيه لم يصعدون الى اعل حجارة غير مقترية ببعضها ويحدون هناك غرقاً قيل انها عمل الدفن لان هذه الاهرام كانت مدفناً كما ستذكره فيما بعد وقد دخلت هذا الدلهيز وهذه

الحجارة عندما كانت في مصر وقد ذكر كتاب الجمعيات السرية انه قبلما تصعد الى الحجرة وانت لم تزل في قاع الدلهيز تجد هناك حجارة ضخمة غير مرتبة يوجد بينها شقوق بحيث اذا اراد الانسان بدخل بينها يمكنه ذلك فهذه الشقوق كانت ابتداء الطريق .

فالعراب الذي يأخذ المبتدي الى هذا المحل يوصله الى هناك ويعطيه مصباحاً ويقول له ان من هنا طريقك الى الهيكل فاذا قطعت هذه الطريق ودخلت الهيكل ترانا نحن هناك نستقبلك وتكون كاهناً مثلنا واما اذا كان لا يمكنك ذلك ووجدت صعوبات لا يمكنك مقاومتها يمكنك الرجوع ولا لوم عليك فاذا كان الرجل مستعداً معتقداً من كل قلبه يأخذ المصباح من يد عرابه ويتزل بين هذين الصخرين وعند نزوله يصل الى بشر خالي من الماء فيقف ويتأمل في البئر فيجد على جوانبه من الداخل محطات لوضع الرجل أو اليد فيفتكر ان لا بد لي من التزول في هذا المحل فيترل الى أن تنتهي هذه المحطات فيجد عند انتهاءها باباً يدخل فيه ويخرج منه الى فسحة متسعة ولا يزال المصباح في يده فيجد في هذه الفسحة رجلاً واقفاً يقول له ان جلوسي هنا ليس لمنك عن المسير الى الأمام ولكن لا علمك ان اخطاراً عظيمة امامك وبممكنك الرجوع لتلا تقع في خطر فاذا كان يخاف ويرجع لا يدخلونه في درجة الكهنوت ولكن يعطونه وظيفة خادم في هيكل ويلهونه حتى لا يبيع في السر واما اذا بقي مداوماً المسير فانه يصل الى ترعة ماء قوية كانت تمر بين الاهرام وابي الهول مقية وكانت هذه المياه تأتي باعذار قروي وعندما كان يصل الى حافة هذه التربة يتأمل في جهتها فيرى في الجهة التي هو فيها قطعة من حديد واقفة وقطعة اخرى في الجهة الثانية ولكنها ليست مقابلة للاولى بل اسفل منها بمسافة فيعلم من ذلك انه يلزمه أن يتزل من عند الحديد التي من جهته ويسبح الى ان يصل الى الحديدية في الجهة الثانية لان طيار الماء القوي يسحبه الى هذه المسافة ومع كل هذا فهو ملزوم ان يحافظ على قانون مصباحه فاذا كان ممن يحسنون السباحة يخلص والا اذا رمى نفسه في الماء بدون ان يعرف السباحة ووجد في خطر فالخفير الذي هناك ووظيفته ان يخلص من كاد يغرق ينشله مع ان الخفير لم يخبره انه اذا غرق يخلصه وعندما يخرج من هذا الخطر ولو لم يكمل الطريق ويرجع من هذا المحل يحسون ذلك له لانهم يستتجون من ذلك أن رغبته للدخول الى الكهنوت جعلته أن يخاطر بنفسه ويشهد له الخفير بذلك ولكن الرتبة التي يعطوها له تكون رتبة صغيرة .

واما اذا قطع التربة بدون خطر وقطع الى الجهة الثانية فانه بعد ان يمشي قليلاً يصل الى محل يرى فيه نارا قوية على الجانبين نار ذات لهب يحركه ريح ويحمره الوسط من الجانبين وفي هذا الوسط يمر المبتدئ وخلاف ذلك انه يوجد في الارض قضبان من حديد بيته مصبح بحيث ان كل فتحة بين القضبان تكون قدور رجل الانسان وهذا الحديد محمي في النار جداً فيلتزم الرجل ان يضع رجله في هذه الخليات بحيث أنها لا تمس الحديد وان يستقبل اللهب الاتي من كل جهة من الجوانب فقل مسيره في هذه الطريق يرى رجلاً في هذا المحل ينهه على الاخطار ووظيفة هذا الخفير ان يخلصه اذا وقع في خطر فاذا خلاص من هذه الطريق يدخل في محل مظلم جداً لا يعرف اين يتوجه ولكن يتأوى الى المصباح في يده يرى لمعاً في

آخر الدهليز لان هناك صحيفة من غاس اصفر تلمع متى قابلت الضوء وعندما يرى هذا اللعنان يعرف ان هناك سراً فينتجه لجهته وعندما يصل اليه يرى باباً والصحيفة عليه واعلى هذا الباب حلقة عالية عن الارض فيقفز الى اعل كوي يمسك الحلقة وعندما يمسكها يرى الارض خارت من غمته وظهر طيار هواء شديد يرفسه ويخطه على جدران اباب فيبقى معلقاً بالحلقة مدة خمس دقائق بعد ذلك يرى الارض رجعت الى ما كانت عليه لانها من خشب ويفتح الباب ويرى نفسه في الميكل بين صفيين من الكهنة وعلى العرش الرئيس الذي يناديه قاتلاً له اهلاً يا بني الحبيب فانت الان تستحق ان تكون منا فيتقدم ويربك ويقبل يد الرئيس الذي يسلمه ثوباً ايضاً مع زنار ويسلمه الى عرابه الاول الذي يسمح له بدخول الميكل الى المحل للمسمى قلس الاقداس لاجل درس العلوم وقراءة الكتب المقدسة فيبقى في الميكل مدة يتعلم .

وفي اليوم المعين لسياسته يصنعون له وجمة فاخرة ويطوفون به في الاسواق والجميع تحضر وتقبل يده ويتباركون منه والحكومة تعفيه من العسكرية والاموال الاميرية وتعطيه ارضاً كافية لمعاشه فيقطع على جميع الاسرار ويدخل أي محل كان في الميكل واهم هذه الاسرار المسمى سر ايزيس وهو الايمان باله واحد لا غير .

وعندما خرجت هذه الجمعية القوية عن حدودها ثلاثت كياقي الجمعيات التي حادت عن قوانينها فاخيراً اخذوا الدين لكسب الدنيا فزاحموا الفقير على الغنى وجعلوا كل شيء لهم ولا شيء يفسد الاخلاق مثل كثرة المال وعدم الشغل .

قيل ان البوهوميان في اوروبا أي النور في بلادناهم بقايا هذه الجمعية لان لغتهم لن تعرف لحد الان ولهم اسرار عظيمة في اجتماعاتهم واغلب العلماء ينسبونهم الى هذه الجمعية .

الفكر بالموت عند المصريين

لا يوجد شعب في الدنيا اهتم بالموت مثل الشعب المصري فكان الملك عند جلوسه على العرش يفنش على محل لدننه وطالما هوجي يشتغل فيه فلذلك ترى عظم القبر بذلك على طول حكم الحاكم فاصحاب الاهرام عاشوا مدة طويلة كملوك فلذلك ترى قبورهم التي هي الاهرام من عجائب الدنيا .

تخييط الاجسام (أي تصبيرها)

كان المصريون يعتقدون ان لكل انسان روح وجسد ان الروح تغنى اذا فني الجسد ولذلك يلزم حفظ

الجسد وعلى هذا الاعتقاد كانت قبور المصريين محلين واحد للجنة والثاني للزوار الذين يأتون الى هذا المحل ويقدمون هدايا للميت لاجل الاكل وحفظ الجسد ولذلك وجد في قبورهم القمح والارز والبيض وخلاف اشياء .

واذا ما قدموا لهم تأتي هذه الارواح وتدخل في اجسام الاحياء فتمر ضهاوان بعد ستة الاف سنة ترجع الروح للجسد فيلزم ان يكون محفوظاً كي لا تتعب الروح في جمعه ولهذا اخترعوا التحنيط فكانت عملية مهمة جداً في مصر فانهم يسلمون الميت الى المحتطين ويعطيه يستلمونه منهم واذا كان الميت مديوناً تعطي جسده الى اصحاب الدين مع الولاية على قبره حتى ان اولاده واقاربه تفي الدين عنه وتسلم جثة والدهم وكانوا يحاكون الميت قبل دفنه ومن محاكمتهم يمنونه من الدفن اذا كان مذنباً واذا ادعى عليه احد ولم يثبت دعواه فيقاصص بالقصاص الذي كان واجباً على المدعى عليه .

وكان فكر الموت لا يفارقهم ابداً حتى في افراحهم فكانوا في عز الوئمة والافراح يدخلون تابوتاً للمحضر وذلك لاجل توقيف افراحهم وتبذيرهم وشهواتهم .

ملاحظات

وعندما نظرت في المتاحف جثث هؤلاء الملوك وخلافهم قلت يفكرني انه صح اعتقادهم برجعهم الى الدنيا بعد ستة الاف سنة لان بسبب تحنيطهم وحفظ جثثهم على هذه الحالة حلد ذكرهم الى اليوم وقد اخرجوهم من قبورهم واجلسوهم على عروشهم في هذه المتاحف لاني لا اظن ان قصورهم الاصلية كانت بعظمة هذه المتاحف وبالحقيقة انهم قاموا من بين الاموات .

ابتداء تاريخ مصر

من سنة ٥٠٠٤ ق.م

قد اعتمدوا في تاريخ مصر اولاً على تاريخ هيروdotus وثانياً على تاريخ الكاهن مانيتون والثالثاً الاعتماد الصحيح على كشف الحفريات والفضل في ذلك لكاشف اللغة شامليون لنذكر للقاري تاريخ هذا الكاهن مانيتون الذي يستندون عليه كثيراً .

مانيتون الكاهن (Manéton)

كان هذا الكاهن بعد هيروdotus المؤرخ بنحو جيلين تقريباً وقد وضع بطولميس فلادلف تحت سلطته جميع ما يلزم من سجلات الهياكل لعمل تاريخ من سلف من الملوك في مصر وقد ابتدأ هذا الكاهن

الوطني بتكذيب هيرودوتس مع ان كتاباته التي كانت ثلاثة مجلدات وقد اهداها الى بطليموس مؤلفه من الخط ومع ذلك فقدت جميعها والذي ذكر شيئاً عنها هو جيلوس الافريقي الذي كان كاهناً مسيحياً سنة ٢٣٠ بعد المسيح حتى وجيلوس ايضاً عندما رأى سنيّ مانيتون لا توافق سنيّ موسى فانه قدم واخر فيها لاجل المطابقة فلف الاصل ومن سوء الحظ ان كتابة افريكوس ذاتها ضاعت ايضاً ولم يتصل لنا منها شيء الا من الراهب جورج المكيني بالسينال كما ان هذا الاخير بدل وغير حسب ذوقه واعتقاده ايضاً ومن العيبه ان كل منهم يدعي ان هذا هو تاريخ مانيتون مع ان كلاً منهم مختلف عن الاخر ولائحة ملوكه مختلفة ايضاً وقد صلق مانيتون بترتيب ملوك الدولة الثامنة والتاسعة عشر وقد قسموا التاريخ المصري الى ثلاثة ادوار الاول الوثني والثاني للمسيحي والثالث الاسلامي ويقول المصريون ان الالهة حكمتهم قبل البشر واسباب ذلك انه عندما خرج الانسان من يدهم كان جاهلاً بالصناعات الضرورية للحياة حتى لم يكن له لغة بل كان يتقلد الحيوانات بصوته فتكلمت الالهة بتعليمه وكانت تنزل الى الارض بالتتابع كل واحد بدوره وهذا التتابع النزول كون الممالك الالهية التي ابتدأت في هليوبوليس أي اون الشمالية التي هي الان المعطية هذا ما ذكره مسيرو صفحة ٣٣ في التاريخ القديم ولكن اول ملوكهم البشرية هو منس .

واذا لاحظنا تاريخ كل امة وابتداها نراها تدعي ان اول معلم لها هي الالهة لانهم اخذوا تاريخهم وتاريخ حياتهم الشخصية مثلاً عندما خرج الانسان من حضن والدته كان لا يعرف شيئاً كما تقول المصريون وليس له لغة ولا صنعة لمعاشه فلا بد ان اول انسان الذي خلق من دون اب وام ان تكون الالهة علمته هذا اذا كانت خلقتة كما تخلق نحن الان وما خلقتة رجلاً كاملاً ومع خلقتة رجل كامل لا بد من الهة تعلمه حتى ينقل علمها الى نسله .

حتى اذا نظرنا في التوراة نرى ان الله علم آدم كل شيء وهكذا .

الدور الوثني

فضل مصر على العالم القديم

يحق لهذه البقعة من الارض ان تدعى مقدسة في ذلك الزمن فاذا نظرنا ما علمته للبشر منذ ابتداء نرى حقيقة ما نقوله فلاجل ذلك نعيد على ذهنا رجال مصر وما عملت من زمن الفراغة الى دخول الدين المسيحي اليها وننظر هذا الدور الوثني الذي هو أعظم ادوارها وكم اتى من المعجائب والمنافع للعالم القديم .

فاول من حول النيل الى غير مجراه وبنى هيكلًا هو منس (Ménès) الذي كان من العائلة الاولى التي ابتدأت من سنة ٥٠٠٤ الى ٤٨٥١ ق. م .

- اول من كتب في التشريع والطب هو اطولت (Atot) من العائلة الاولى .
- اول من بنى اهرماً لآكرام الحيوانات المقدسة هو اونفس (Ones) العايلة الاولى .
- اول من جعل عبادة الثور اريس وباقي الحيوانات عبادة رسمية هو كاكو Kakouh من العائلة الثانية التي ابتدأت ٤٨٥١ ق.م .
- اول من اعطي حقوقاً للنساء بالملك عند انقطاع الذكور وجعل للملك خليفة الالهة ولهم نسبة معها بينوتريس Binotris من العائلة الثانية .
- اول من وضع كتاباً في الطب بقي لاول جيل للمسيح هو توزورتس Thosorthus من العائلة الثالثة التي ابتدأت ٤٤٤٩ .
- اول من اشتغل في المعادن في جبل الطور هوسغرو Segouris من العائلة الثالثة .
- اول من عملوا العجائب في بناء الاهرام هم كيوس Khéops وكفرع Kafri ومنكورج Menkeri من العيلة الرابعة التي ابتدأ حكماً ٤٢٣٥ ق.م .
- اول من درس الفقه والفلك وامر برهن مدفن الانسان المديون هو شوسيسكاف Shopsesko من العائلة الرابعة .
- اول من فتح الشام هو ماديراع Madira من العائلة السادسة التي حكمها ٣٧٠٣ ق.م .
- اول ملكة اخذت بتار زوجها وعملت سرداباً يصب فيه النيل اذا افتحت احدى ابوابه وعملت عزيمة ومن جملة المدعويين قاتل زوجها وفحت الباب فاغرقهم وقتلت نفسها بالرماد الحار وهي الملكة نيتوكريس Nitokris من العائلة السادسة .
- اول من فتح طريقاً لبلاد العرب ومنها الى الهند لاجل التجارة هي سنخكاريج من العائلة الحادية عشرة التي حكمت ٣٠٦٤ ق.م .
- اول من عمل المسلات وكتب عليها التاريخ هو اوسيرسن Ousersen الاول من العائلة الثانية عشر التي حكمت ٢٨٥١ ق.م .
- اول من عمل بحرة موريس لجمع الماء الزائد من النيل مدة الفيضان والسقي منه مدة القحل هو امنحت الثالث من العائلة الثانية عشر .
- اول من طرد الرعاة من مصر وحكم مصر كلها هو اموزيس من العائلة الثامنة عشر التي حكمت ١٧٠٧ ق.م .
- اول من امتد حكمه الى ارمينيا والجزيرة والشام هو ططموس الثالث من العائلة الثامنة عشر وهو على حسب حساب التوراة هو فرعون ابراهيم الذي عندما جاع ذهب الى مصر مع زوجته وسنين ذلك فيما بعد .
- اول من عمل الصنم الرنان الذي تتعجب منه العالم لليوم هو امنوفيس الثاني من العائلة الثامنة عشر .
- اول من ادخل عبادة البعل الى مصر هو ساني الاول من العائلة التاسعة عشر التي حكمت ١٤٦٢ ق.م .
- اول شجاع ظهر واول صاحب حروب عديدة واول من عمر ورمم الهياكل هو رعسيس الثاني اول

ملوك مصر بالشهرة ومن يريد روايه فهو الآن في الانتيكاخانة وقد نظرتة وبقيت اتأمل بتاريخه وانظر بده
ورأسه وان هذا هو رعسيس الثاني الذي كتب اسمه على نهر الكلب وحارب وحده الحثيين الخ الخ وهو
من العائلة التاسعة عشر ويقال عنه انه فرعون مضطهد الاسرائيليين سنبحت بذلك .

اول من لحق الاسرائيليين وغرق في البحر هو مفتاح الاول الذي جثته اليوم في الانتيكاخانة من العائلة
التاسعة عشر .

اول من نهب هيكل سليمان واسر رجمام هو شيشاق من العائلة الثانية والعشرين التي حكمت
٩٨٠ ق.م .

اول من ابدل القتل بالاشغال الشاقة هو ساباق من العائلة الخامسة والعشرين التي حكمت
٧١٥ ق.م .

اول من ادخل اليونان في مدارس مصر وحضر اليها يومئذ سولون وفيثاغورس وافلاطون هو بسباتيك
من العائلة ٢٦ التي حكمت ٦٦٥ وقد حاصر اذوف في سوريا مدة ٣٥ سنة .

اول من اوصل قرعة من النيل من بسط قرب الزقازيق الى بركة التساح للبحر الاحمر هو ناكأو الثاني
من العائلة السادسة والعشرين .

اول من اتخدع وغلبنه عساكر القبط التي عملها كاميس ودخل فيها الى مصر هو بسباتيك الثالث
وفيه انتهى الحكم الوطني واما الدولة الفرسية لم يفعل شيئاً من الحسن مع المصريين ولكن الدولة اليونانية
هي التي جددت عزيمة مصر ودامت تنشر علومها ومعارفها وحكمت من ٣٢٣ ق.م الى ٣٠ قبل المسيح
وهي العائلتان الثانية والثالثة والثلاثون فالاسكندر بنى الاسكندرية وبطليموس الاول عملوا الفناء بجزيرة
فرعون بعلومه ذراع وهو اول من اخترع الفئارات للمراكب وقد جمع كل العلماء واقام مكتبته المشهورة
وكذلك بطليموس الثاني ترجم التوراة الى اليونانية المسماة بالسبعينية بالنسبة لسبعين عالم ترجموها وقد زاد
المكبة واما بطليموس الخامس فهو الذي بواسطته فككت اللغة الهيروغليفية لان حجر رشيد الذي فككت
بواسطته كان مقدماً له من الكهنة شكراً منهم له واما بطليموس السابع فانه الف ٢٤ كتاباً معظمها في علم
الحيوانات واما الدولة الثانية اليونانية التي اولها الموسيقي بارانييس والذي خلف الكليوباترا لم تستقم مدة
طويلة ولا كليوباترا افادت احد وقد علمت العالم الغش والخيانة والخلاعة وانتهت فيها دولتها ودخلتها
الرومان الذي يقسم دورها الى قسمين وثني ومسيحي فالمسيحي هو الدور الثاني لمصر .

فضل مصر في دورها الوثني على بلادنا

من أهم هذه الأفضال هو سد الجوع الذي كان يحصل في بلادنا ومصر تدفمه عنا قالنذكر .

جوع ابراهيم

أولاً الجوع الذي حصل من زمن سيدنا ابراهيم وذلك حسب التوراة قال الكتاب المقدس ان ابراهيم عندما خرج من بيت ابيه واتى أرض كنعان كان عمره ٧٥ سنة وزوجته ساره ٦٥ لأنها أصغر منه . بعشر سنوات وذلك في سفر التكوين الاصحاح ١٣ الممد ٤ ثم أنه حدث جوع في الأرض فأتى ابراهيم الى مصر يتقرب هناك التكوين الاصحاح ١٢ عدد ١٠ وأخذ ساره وعلمها ان تقول انها اخته فأخذها فرعون لتكون زوجة له لأن رؤساء فرعون مدحوها له فأكرم ابرام واعطى له البقر والغنم والحمير والاماء والأتين والجمال على شان ساره ثم ضرب الرب فرعون بسبب ساره فاحضر ابراهيم وعاتبه على قوله انها اخته فقدم عذره وقبل فأعطاه امرأته وشيعه مع عبيده فكم من الفضل لهذا الفرعون وكم هو عظيم وصاحب دين وانسانية فانه عندما عرف حقيقة الأمر ترك ساره وابقى كلها اعطاه من المال والحمير وخلافه الى ابراهيم وشيعه عروساً خوفاً من أن احد يتعدى عليه فصرت مختاراً لمرفة هذا الفرعون الذي يجب له الاعتبار فابتدئ افحص حسب التوراة وحسب التاريخ الحديث لمصر حتى وصلنا بالتقريب الى هذا الرجل العظيم وانشاء الله سأذكر نتيجة فحصي عسى أن بعض العلماء تعيد الفحص وتعرف الحقيقة وما قلناه عن ابراهيم مذكور في الاصحاح الثاني عشر للتكوين فلا أدخل في الاعتراضات على كل ذلك لأن هذا لا يعني ولا له منفعه لان مها كان اعتراضي فهذه القصة هي واحدة ولم تزل قهراً عن المعترضين والذي يعجبنا هو جمال ساره في سن الـ ٧٥ من عمرها بحيث كل الملوك اخذتها زوجة .

جوع اسحاق

قال في سفر التكوين الاصحاح ٢٦ العدد الأول وكان جوع في الأرض غير الجوع الأول الذي كان في ايام ابراهيم فذهب اسحاق الى أبي مالك ملك الفلسطينيين في جبرار وظهر له الرب وقال له لا تنزل الى مصر كأن والده اخبره عن جبرار لأنه عمل العملية ذاتها فانكر امرأته ومع ذلك اعطاه أبي مالك ما أعطى الى والده ولا تعلم اذا كان أبي مالك اسحاق هو نفس أبي مالك ابراهيم ومع ذلك شكراً له لأنه رجل عظيم وخايف الله وعاتب اسحاق على غشه له انها امرأته فله الثناء مثل فرعون ابراهيم .

جوع يعقوب

تكوين الاصحاح ٤٢ عدد ١ فلما رأى يعقوب أنه يوجد قح في مصر قال لبنيه ان تذهب اليها وكان ما كان مع يوسف واخوته حتى ان اتى يعقوب الى مصر .

هذا ما حصل من جهة الجوع وأما ما حصل من جهة الالتجاء والتأمين أوفى .

قصة يوسف

الذي حضر الى مصر ويح كعبه وكيف أمنه معلمه فرطيقار على يته وكيف طلع اميناً ولم يمس امرأه معلمه وأنه حبس ستين لأجل ذلك ولم يبح بكلمة من هذا لا الى السجن ولا الى رفاقه .

وكيف تقرب من فرعون ووكله على جميع اعماله وكيف احتسب وجمع مال الخصب وابقاه الى زمن القحط وكيف باع القمح الى المصريين وخلافهم ثم أخذ مواشيهم ثم أرضهم واعطاهم بذاراً لزراع الأرض وأخذ خمس الحاصلات الى فرعون فجميع هذه العملية برهان عظيم على ان يوسف اسرئيلي لا شك فيه .

ثم لما حضرت اخوته كيف عرفهم وكيف طلب اخاه ووالده واحضر الجميع الى مصر وكيف كرم اياه ورحم اخوته ولم يتكبر ولا انتقم منهم وكيف حفظ وصية والده ودفنه في أرض كنعان وكيف كان جوابه الى اخوته عندما استنفروا منه عن عملهم للردي بجمه وكان جوابه ان الله اراد ذلك لاخلصكم من الجوع او انني أصل لهذه الدرجة وكيف عندما والده بارك اولاده تكدر عندما قدم افرايم على منسى لأن منسى الأكبر وكيف أنه عند موته اوصى اخوته بان تأخذ منى رجعت الى أرض كنعان وتدفعه مع قومه الذين لم يساهم قهراً عما جرى له منهم وأنه ترك عز الدفن في مصر حتى ينضم مع ابيه فاية قصة أعظم وأظهر من هذه لا يسها شيء فهي القصة الوحيدة الخالية من كل كذب وغلط وسقطة .

فلنخص الان عن الفراعنة الذين كانوا في ذلك الزمن بعدما نذكر قصة موسى فيوسف انزل والده حسب امر فرعون في أرض رعسيس المخصبة جداً وأحسن أرض مصر وذلك في التكوين الاصحاح ٤٧ عدد ١١ وعاش يعقوب في مصر ١٧ سنة وتوفي وعمره ١٤٧ وعاش يوسف ١١٠ سنوات .

موسى أي المتشل من الماء

نشأته ابنة فرعون من الماء ولولا ذلك لكنا الان بدون تورا وارضعته والدته ثم احضرت الى ابنة فرعون عاش في دارها تعلم علوم المصريين ثم رأى مصرياً يتنازع يهودياً فقتله ودفنه في الرمل ولما عرف به فرعون طلب قتله فهرب فلا نعلم اذا كان هذا فرعون والد محضته ام خلافه ربما خلافه لأن لو كان مريه لما طلب قتله واذا كان بالحقيقة هو فرعون نفسه فيكون أول عادل في الأرض بحيث طلب ان يقتل موسى مريه بكونه قتل رجلاً ولو كان قتيلاً ولكن ربما غيره .

فاخيراً هرب موسى الذي كان منتمياً في دار فرعون بالرعاية التامة وصار بعد ذلك يرعى الغنم في برية مهولة الحر فاخيراً قال له الرب ارجع الى مصر لأن الذي يطلب نفسك قد مات وامرته ان يكلم فرعون الجديد بأن يخرج بني اسرائيل فيكون الفرعون الثالث لموسى واخيراً ان فرعون طالب قتل موسى او الجديد سخر بني اسرائيل وعملوا له مدينتين مدن مخازن وهما فيثوم ورعمسيس الخروج ص ١ عدد ١١ .

واخيراً بعدما عمل موسى جميع المعجائب خرج بني اسرائيل من مصر من رعمسيس الى سكوت ٦٠٠ الف مقاتل ما عدا النساء والأولاد بعدما سكنوا في مصر ٤٢٠ سنة فيكون حسب التوراة من دخول يعقوب الى خروج بني اسرائيل ٤٢٠ سنة الخروج ص ١٢ عد ٣٧ .

من هم فرعون ابراهيم وفرعون يوسف وفرعون موسى

فلنأخذ نقطة الابتداء بالفحص حسب التوراة من يوسف الذي قالت التوراة عنه أنه أسكن والده واخوته في رعمسيس فلنفحص الان عن أول من تسمى بهذا الأسم ومن هو الذي حسب تاريخ مصر بنى مدينة اسمها رعمسيس في أرض جسان .

رعمسيس الأول

ذكر ماسيرو في الصفحة ٢١٤ من كتابه التاريخ القديم لشعوب الشرق أن التاريخ لم يذكر أي متى اتصل الحكم الى رعمسيس الأول وأنه جلس على كرسي الفراغة وهو متقدم بالسن وأنه حارب الحبش وسوريا وعمل معاهدة مع الحيثيين وبعد سبع سنوات توفي وجلس مكانه ولده .

سني الأول

فرعمسيس الأول هو الذي كانت تعتبره المصريين محتلاً للحكم لأنه ليس من عائلة ملوكية واما سني الأول الذي حكم زوج ابنة رعمسيس الثاني الى امرأة من العائلة الملوكية فصار يعتبر رعمسيس باعين المصريين أنه الحاكم الشرعي ولذلك كان يساعد والده سني منذ حداثة سنة فانه فتح حرب مع سوريا وهو ابن عشر سنوات ثم ان سني بعدما حكم وشاخ تنازل الى ولده رعمسيس الثاني .

رععميس الثاني

هذا هو الذي انتشر اسمه في الدنيا وسميت الأرض والمدن باسمه ومن جملة مبانیه مدينة رععميس شمالي مصر .

وقال ماسيرو انه قرى القلاع التي تحمي مصر من دجيات البدو وان الضرورة اوجته ان يسكن شرقي الدلتا وانه بنى جملة مدن على الحدود وأهمها تسمت باسم بارععميس اناختو اي مدينة رععميس الشجاع جداً التي سكنها والتي كانت مخزناً للتجارة فإذا ان الأرض ما تسمت باسم رععميس الا بعد رععميس الثاني وعلى حسب التوراة ان هذه المدينة بناها بنو اسرائيل فكيف يوسف اعطى أرض باسم رععميس الى والده قبل تسخير بني اسرائيل فيكون رععميس الثاني هو رععميس يوسف وليس فرعون بني اسرائيل فلا يوجد رععميس غيره فمن أين اتى به يوسف واذا كان ما بين يوسف وحروج بني اسرائيل ٤٣٠ سنة وكان لا شك رععميس هو فرعون يوسف من العائلة التاسعة عشر فيكون فرعون موسى بعد ٤٣٠ فإذا كان العايلة التاسعة عشر حكمت سنة ١٤٦٢ وكان رععميس الثاني فرعون يوسف وحذفنا من ذلك ٤٣٠ سنة التي قضتها بني اسرائيل في مصر فيكون خروجهم ١٠٣٠ فتكون حينئذ الدولة الحادية والعشرين وهي التي ابتدأت بملكها بينوتمو Pinotmou الذي كان كاهناً واختلس باسلوب ذي الحكم كما هو منقوش على هيكل خوسوي طيبة وانه نفى اسرة رععميس الى الصحراء وتولى بعده ابنه وعائلته الى سنة ٩٨٠ قبل المسيح وهذا يوافق كلام التوراة التي تقول ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف الخروج ص ١ عدد ٨ فابتدأ يظلم بني اسرائيل لأن العائلة التي كانت تعرف يوسف هي العائلة الرعمية وكانت تقدر اتعابه وهذه العائلة الحادية والعشرين نفت عايلة رععميس ونكرت كل من خدمها ومن الحملة يوسف .

ويثبت ذلك ما كانوا يفتكرونه عن مفتاح الأول ابن رععميس الثاني انه دفعون موسى وغرق في البحر مع ان جسده الان محطمة وموجودة في الانتيكخانة واسمه مكتوب على اللغاف .

فعل حسب حساب التوراة وذكر يوسف لرعميس فيكون فرعون يوسف رععميس الثاني خصوصاً لأنه صاهر الحثيين وعمل معاهدة معهم وفرعون موسى هو بينوتمو أو أحد اولاده وحيث عرفنا نقطة يوسف فلنبحت الان عن فرعون ابراهيم ولترجع الى الوراء ٣٠٥ سنوات لان ابراهيم عندما حضر من حاران كان عمره ٧٥ سنة تكوين ص ١٢ عدد ٤ ودخل مصر بعمر ٨٥ سنة وولد اسحاق بسن مئة تكوين ص ٣١ عدد ٥ فيكون بين زيارته مصر وولادة اسحاق ١٥ سنة ثم ان اسحاق عندما ولد يعقوب كان عمره ستين سنة تكوين ص ٢٥ عدد ٢٦ وعندما احضر يعقوب الى مصر كان عمره ١٣٠ تكوين ص ٤٧ عدد ٩ وبقي ١٧ في مصر فيكون عمره كله ١٤٧ .

إذا حسبنا ١٥ لآبراهيم وستين لاسحاق ومائة وثلاثين الى يعقوب فيجمعون ٢٠٥ سنوات اذا جمعناهم مع ١٤٦٢ ابتدئ العائلة التاسعة عشر فيكون الجمع ١٦٦٢ سنة ق.م. في هذه السنة كانت العائلة الثامنة عشر حاكمة مصر ومنها نختصم الأول الذي وسع ملكه من الجنوب الى جبل اثبات في الحبش وشمالاً الى اقصى آسيا ومن ضمنها فلسطين وبابل وحيث ان فلسطين من حكمه وكان ابراهيم الخليل من رعاياه حضر لمصر وكان هذا الفرعون غنياً جداً لأنه حصل أعظم ثروة من بلاد نوبه لان نب معناها الذهب فلذلك تكارم على ابراهيم .

هذا ما ارتبته حسب كلام التوراة وحيث تعريف الفراعنة ليس من قانون الايمان لأجل ذلك دخلت في البحث ولم اتعرض لشيء عما قالته التوراة عن ابراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف وموسى ومعجزاته ولا معجزة ستا ساره التي كانت بين الثمانين وتخطاها الملك بلحالم في هذا السن وهذا لا يمكن ان يكون الا بأحد الامرين اما ان الله اعطى قلب فرعون ورأى ساره جميلة او أنه ارجعها الى صباها واذا كان أحد يعترض على بحني هذا فليقل قبل كل محاكمة من أين أنت ليوسف أرض رمسيس وكيف هذا الاسم فليجادل فيها بعد .

ومن جملة من احتموا في مصر من بلادنا هي العائلة المقدسة قال متى الاصحاح الثاني عد ١٣ منها قال الملك ليوسف قم خذ الصبي وأمه واهذب الى مصر .

فقرى مصر في هذا الدور الوثني اشيعت ابراهيم ويعقوب وأولاده ورفعت يوسف وحكته مصر ادياً ونشلت موسى من الماء لان معنى موسى المنتشل من الماء لأنه لو ما كانت ابنة فرعون في تلك الساعة على النيل لكان موسى ذهب ولم يكن توراة في الدنيا ثم انها حضنت العائلة المقدسة وامنها ولا نعلم ماذا عملت العائلة هناك حاصله ان مصر لم تزل الحد الان تنفع أهل بلادنا لان كل السوربين الموجودين فيها الان دخلوها بحالة غير حالهم اليوم فاغتنم ورفعتهم ولم تزل تفعل جميلاً مع كل من أتى اليها ان كان للعلم او للفنى ومن جملتهم هذا المؤلف وسأذكر كل شيء نلتها منها بعدما ينهي تاريخ مصر القديم .

الدولة الرابعة والثلاثين الرومانية

كان سقوط مصر في ابتداء هذه الدولة وآخر الدولة البيزنائية وبالصدفة وجود اثنين كانا واسعة لسقوطها احدهما من اخر تلك الدولة اليونانية وهي كيلوبترا الشهيرة والثاني من ابتداء الدولة الرومانية وهو انطوان فكما أنه يوجد طرق للنجاح كذلك يوجد طرق للخراب فكل من السهر واليقظة وعدم الالتفات للملاهي طرق للنجاح وعكس ذلك طرق الخراب فلا عجب من نجاح ذاك وخراب هذا اذا كان كل منها مشى على حسب الطريق القلانية او الطريق الاخرى .

فن عرف قصة كليوبترا وخلاعتها وان مرادها تحكم بجبالها وفسقا وخيانتها ومن عرف قصة انطوان معها واندهاشه في جبالها وخضوعه لاوامرها وعدم الالتفات لشيء الا للخلاعة وما مائلها لا يعجب من خراب مصر وتزولها عن درجتها بعدما علمت العالم كل فن أدبي وكانت ملجأ لكل جائع وخائف فليس بالخلاعة والفسق والاهمال والملاذات يمكن أخذ يتسلط لأن الانسان يخضع للسلطة كي تربل هذه المعاصي التي تخرب النظام الانساني فكيف يتسلط من يفصلها واذا ذكر التاريخ بعض امثال بنجاحها فهذا نادر جداً حتى ان التاريخ يرزل هؤلاء الناجحين بهذه الطرق حاصله انه من محس مصر في تلك الالام وجود كليوبترا وانطوان .

وعندما حضر قيصر واسر كليوبترا وانطوان قتل نفسه أصبحت مصر ولاية رومانية ولم تعد مملكة قائمة بذاتها فبالطبع تنحط وخصوصاً لم تعد حكاهما من اهلها بل رومانيون من قبل رومية كان مثلهم كمثل ماشية تأكل عشب ارضي داسها وتذهب .

يقسم زمن المملكة الرومانية في مصر الى قسمين قسم وثني وقسم مسيحي .

الدور الروماني الوثني

ابتدأ من ٣٠ سنة قبل المسيح الى سنة ٣٨١ ب.م. وسمي هذا الدور دور الاضطهادات الدينية لان به ابتداء الاضطهاد على المسيحيين ليس فقط في مصر بل بكل المملكة لأن دخول الدين المسيحي أوجب هذه الاضطهادات لأنه لا يمكن دين يزيل ديناً ولا سلطة تربل سلطة الا بسفك الدماء فاذا لاحظنا الدولة الرومانية نرى اثبات ما قلناه فالدور الوثني كان بسفك دم اصحاب الدين الجديد ولما تقدم الدين الجديد صار بسفك دم الدين القديم فاضطهاد ديوقليطوس للنصارى كان مشهوراً وخصوصاً مذبخته لهم في ٣ حزيران ٢٨٤ للمسيح التي تسميا القبط مذبحة الشهداء ومنها بيتدي التاريخ عندهم يسمونه تاريخ الشهداء .

ولا يوجد دين في الدنيا سفكت فيه الدماء مثل الدين المسيحي فانه بقي في اضطهاد منذ ابتداءه الى سنة ٣٨١ يعني أربعة اجيال تقريباً وأول ما ابتدأ بسفك دمه المسيح نفسه وتلاميذه وهلم جراً وبقي الوثنيون يضطهدونهم الى ان جلس على عرش المملكة الرومانية الامبراطور تيودوسيوس وفي سنة ٣٨١ أعلن ان دين المملكة الرسمي هو الدين المسيحي وابتدأ يأخذ بتأر المسيحيين من الوثنيين .

الدور الروماني المسيحي

ابتدأ الامبراطور ثيودوسيوس بمنح عبادة الاصنام ويخرب هياكلهم ويكسر اصنامهم ويضطهدهم حتى انه حرق مكبتهم العظيمة اي مكتبة اسكندرية وغلطا تموا في حرقها عمر بن الخطاب لان ثيودوسيوس لم يبق وثناً الى زمن عمر ولا كتباً وثنية وعندما انتهت عبادة الاصنام وخربت هياكلها ومكبتها ولم يعد للنصارى عدواً أجنبياً رجحوا يضطهدون بعضهم لمسائل فلسفية في دينهم فكان كل يوم يظهر مذهب متعلق بشخصية المسيح فظهرت الانقسامات وسار كل منهم بحسب الآخر هرطقياً خالاً كونني وعشار وابتدأ الحرب بينهم ومن جملة الانشقاق الذي استولى على المصريين بالخصوص وقسمهم الى اقباط واروام هي بدعة يعقوب البرادعي الذي قال ان للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة وقد تبعته مصر والحلب وجرى اضطهاد بين الروم والاقباط وكذلك بدع اخرى كبدعة اريوس وخلافها من يريد الاطلاع عليها فليطلع على تاريخ المرافقات فهذه المنازعات الدينية كانت تدخل فيها الحكام الذين كانوا تارة يتبعون هذا وتارة ذلك حسب سياستهم وتارة يعملون مجامعاً وتارة يصرفوها ويقوا على هذه الحالة بالاضطراب واضطهاد بعضهم وانتقال الحكام في هذه المسائل وأعمالهم المملكة حتى رحمهم الله وأوقف اضطهادهم عن بعضهم بارساله الاسلام الذين أوقفوا هذه الاختلافات ولم يعد بعد الاسلام يظهر منهم بدع وفلسفة وهذا هو الدور .

الدور الاسلامي

ولد نبي العرب محمد صلعم سنة ٥٦٩ مسيحية في مكة المكرمة وهاجر الى المدينة في ١٦ محرم ٦٢٢ وهذا هو ابتداء تاريخ الهجرة الذي هو اضبط التواريخ .
وقد فتح عمر بن العاصي مصر ٦٤٠ سنة م . موافقة ١٨ هـ في زمن عمر بن الخطاب ولم تزل لليوم تحت سيطرة الاسلام فتحكمها كل من الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين والدولة الطولونية والعباسية الثانية والاحشيدية والفاطمية والايوية والمالكية الاولى والثانية والدولة العثمانية وقد مرت عليها هذه الدول بالحروب مع بعضها وخراب عالمها بحيث انحط مصر الى آخر الدرجات حتى بعض عاملها اراد خراب ما كان فتفتخر فيه مصر من زمن الوثنيين كالاهرام والتمثيل البديعة .

فالملك العزيز بن يوسف من الدولة الايوبية الذي حكم ٥٨٩ هـ ١١٩٣ م . امر بهدم الاهرام وابتدى بالوجه الشمالي للأهرام الصغيرة فكانت جميع الفعلة لا تقبل حجراً واحداً باليوم فتركها واراد كذلك ان يبطل افراح قطع الخليج ولم يقدر وهكذا امورك كانت تحصل حتى تقسمت الممالك الاسلامية الى ثلاث خلفاء واحد عياشي في بغداد وفاطمي في مصر واموي في الاندلس وقد ضر هذا الانقسام جداً في الاسلام من ابتداء انقسام الامام علي مع معاوية وهذا الانقسام منع الاسلام عن غمك الدنيا لأن عند ظهوره لم

يحد ممالك قوية في الدنيا الا الرومان والفرس فكسرها فلوبتي ماشياً على خطته الاصلية لكان ملك العالم بأسره ومن عرف فلسفة التاريخ يقدر ما لخالد بن الوليد من الفضل على الاسلام وليس ذلك من فتوحاته وشجاعته لكن من طاعته عندما امره عمر بن الخطاب بان ينخلع ويحرم بعته فضع لهذا الامر وبذلك حفظ الاسلام لأنه لو عصى لكان أخذ قسماً عظيماً وأنشقت الاسلام ورجعوا الى بعضهم وتوقفوا عن كل ما تقدم فبطاعته عمل فتوحات أكثر من حروبه .

فلنرجع الى مصر التي كانت تأن من هذه الانقسامات التي شتت القوة الاسلامية حتى ان الله رحمها ورحم الاسلام فأرسل الدولة العلية العثمانية التي ضمت الى هيئة واحدة جميع هذه التفرعات وجعلت مملكة واحدة وانقطعت الخلافات العباسية والفاطمية وأخذت الدين والسياسة وأبطلت كل ادعاء وكما ان الاسلام سكنت منازعات النصارى كذلك الدولة العلية العثمانية سكنت المنازعات الاسلامية .

والذي دخل مصر وفتحها هو السلطان سليم الذي حارب القوري والسلطان سليم ابن بيازيد جلس سنة ٩٢٣ — ٩٢٦ هـ ١٥١٧ — ١٥٢٠ م . ومن بعده ولده السلطان سليمان أول من نظم الدواوين والترتيب في مصر وكانت الدولة العلية تولي على مصر من قبلها والي يسمى باشا ثم ولت الامراء المالك ثم باشاوات اخرى لم تنجح الى ان ولت محمد علي وأنعمت على عائلته بوراثنة الولاية تحت رعايتها .

فحيثما تنفست مصر وأخذت بالتقدم وحيث انني اتيت لمصر في أيام هذه العائلة وكان في ذلك الزمن حاكماً اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي وكان أخذ لقب خديوي وجعل وراثته الحكم في نسله بخلاف ما كان أولاً ان يحكم من هو أكبر سناً من العائلة وسأذكر ما قد عرفت ونظرت في مصر بمدة تسع سنوات قضيتها فيها .

فلذلك نبتدي بتاريخ جد هذه العائلة وهو محمد علي .

العائلة الخديوية

محمد علي ١٨٠١

ولد محمد علي سنة ١١٨٢ هجرية او ١٧٦٩ مسيحية في مدينة قواله في مكدونيا وطن اسكندر ذو القرنين واسم والده ابراهيم اغا كان رئيس غفر الشوارع توفي والده وعمره أربع سنوات وكان له عم يدعى طوسون آغا مسلم قواله توفي قتلاً قرباه بعد عمه أحد اقاربه جرينجي براوسلا أحد اصدقاء والده وفي سن ١٦ دخل العسكرية وكان يجمع الضرايب في سن ١٨ أصبح بلوك باشي وأزوجه أحد اقاربه .

ولما كانت الحملة الفرنسية في مصر أرسل الباب العالي يطلب عسكرياً من قواله فجهز جرينجي

ثلاثمائة مقاتل رأس عليها أبنته وجعل محمد علي وكيله وعندما حضروا مصر وانكسروا رجع ابن جربنجي وسلم الانغار الباقية الى محمد علي .

ثم حضر امر بتولية محمد علي على مصر وكان ذلك في ١١ ربيع آخر سنة ١٢٢٠ هجرية موافق ٩ تموز سنة ١٨٠٥ وقرئى الفرمان في بيت محمد علي بحضور كل الاعيان والمشايخ .

قصة غريبة عن كنعان شكور

سمعت عندما كنت في مصر قصة غريبة حصلت عند تولية محمد علي وهي انه عندما كان قائداً لساكر الارناووط احتاج الى مبلغ خمسة الاف غرش لأجل توزيعها على عسكره فكان له في ذلك الوقت صديق يتردد عليه كان صاحب قهوة فكان يجلس عنده في أكثر الأوقات حتى تمكنت الصداقة بينها وكان هذا الرجل سورياً لبنانياً اسمه كنعان شكور من عائلة بيت شكور المارونية من عين زحلته في لبنان ففي أحد الايام اتاه محمد علي طالباً خمسة الاف غرش لاهما ضرورية فأجابه الرجل أن مرادي اشاور والدني ووعده الى اليوم الثاني فذهب كنعان المذّرر واستشار والدته لدفع المبلغ لمحمد علي فأجابه اعطه من كل بد ربما اذا لم تعطه راضياً يأخذ ذلك منك مكراً فعل هذا الرأي اعطى كنعان المبلغ المذكور في اليوم الثاني فحمد علي الذي بواسطته كسب محبة العسكر وبعض المشايخ الذين طلبوه ليكون حاكماً على مصر فعندما محمد علي وصل الى هذه الدرجة وتولى مصر أرسل يطلب كنعان شكور اليه وقال له أطلب مي ما تريد .

زواج كنعان شكور

وقد حدث لكنعان أنه عندما كان في خياره طلب ابنة ليقترن بها فرفضت ذلك نظراً لصنعتة وعندما وصل الى هذه الدرجة كانه لم يزل يتذكر الابنة فطلب من محمد علي أن يأمر والد الابنة بان يزوجه بابنته فصدر الأمر حالاً للرجل الذي افكر ان ذلك سعادة له وكذلك الابنة فأجاب الطلب حالاً فحينئذ أمر له محمد علي ببيت مفروش وكلما يلزم لأموال العرس وبعدما تم العرس وتكامل الرجل على امراته وصمها في بيت وحدها مقدماً لها كل لوازمها من الأكل والشرب والخدمة ولكنه لم يقر بها وعمل ذلك قصاصاً لها لعدم قبولها الزواج به وهو في الخارة فقهرها عما حصل من الوسائط لم يرض بالقرب منها وبقي على ذلك ثلاثين سنة تقريباً ومات بدون نسل نتيجة عناده .

وأما امراته فقد بقيت حية وكانت ساكنة جهة شبرا قد اخبرني هذه القصة الشيخ أبو منصور حنا شكور ابن عمه الذي عرفه عندما توجه مع الامير بشير الشهابي الى مصر وكان كنعان عرض عليه السكن في مصر وترك الامير وانه بورته كلما له فرفض ابو منصور ذلك لأنه لم يشأ ترك الامير بشير ولبنان .

وبقيتا تنعجب من هذا العناد الى ان حدث قصة أعظم منها في بيروت وهي ان احد الوجهاء المعروفين تزوج بابنة كريمة الأصل غنية فيعد ثمانية ايام من زواجها فزمنها من دون ان تعرف الاسباب وبقي معها عشرون سنة في بيت واحد ولم يكلمها ابداً ويقدم مصروف البيت وهي تحاول جملة امرارا لتكلمه ولم يجاوب وقد سهرت عنده في إحدى الليالي وكنا نلعب للتسلية لعبة البازيك فجلست بجانبه وابتدأت تعلمه وتقول ارمي الورقة الفلانية او الفلانية وبقيتا قريباً من ثلاث ساعات في السهرة وما غلط ابداً يرد الجواب والأغرب ان خبرها سمع الى أقصى البلاد واذا سألت السيدة عن سبب الزعل تنكر كل شيء وانها منشرفة جداً .

والأغرب ان هذه الزوجة غنية وليس لها أولاد ولم ترض تبعد عنه بل صابرة الى المنتهى حتى توفي بعد عشرين سنة وقبل خروج روحه قال لها باردون بالافرنجي .

من هذا الرجل محمد علي

ان هذا الرجل من أعظم رجال الدهر والعصر ولد بتيماً وعاش فقيراً جاهلاً بالعلم والقراءة والكتابة التي تعلمها وهو والي مصر عاش بين المماليك والارناؤوط محاطاً بالاعدا من كل ناحية ومتهدداً بالقتل في كل ساعة كيف أمكنه ان يتصل الى هذه الدرجة وكيف حفظ حياته الى هذا الزمن دخل بلاداً لا راحة فيها ولا أمان بل عيشتها بالقتل والنهب والامراض ومع كل ذلك تخلص من هذه الآفات وعندما أصبح الزمام في يده قلب مصر بالكلية انقلاباً ادبياً وسياسياً وكلما نحتاج اليه مصر فانه ابدل الجهل بالعلم والظلم بالعدل والفقر بالثني ومن جملة فضائله حفظ الجميل لأنه طلب الرجل الفرنسي الذي رباه في قوله والذي لم يقدر أن يكافئه فكافأ اخته وارسل لها مبلغاً من الدراهم تعيش به وكذلك التفاته الى كل اهل بلده واقاربه وكان يلتذ جداً بمعاشرته من كان يعرفه في حالة الفقر كما عمل مع كتمان شكور وخلافه ونظف البلاد من المماليك وحارب الوهابيين وكسرههم وفتح المدارس ورتب مدرسة الطب وفتح السودان ونظم الحرية على نظامات جديدة الى اخره مما قاله التاريخ عنه وفي ٢٠ آب سنة ١٨٤٩ توفي في الاسكندرية في سرايا راس التين وأخذ الى مصر ودفن في جامعة في القلعة .

منجد محمد علي

ان أحد المنجدين الذي كان ينجد الفرش الخصوصية لمحمد علي بعدما انتهى منها وضعها على التخت وحيث كان وحده طلع وتسطع عليها وقال هنيئاً لك يا محمد علي على هذه النومة فبالصدقة عند وجوده في هذه الحالة دخل محمد علي وسمع ما تكلم فندد دخوله نهض المنجد واراد الترول عن الفرشة فامر محمد

علي بالرجوع مسطحاً مثلاً كان فابتدأ الرجل يرتعش خصوصاً عندما طلب سيفاً فكاد يقبض عن الوجود فأخذ محمد علي السيف وعلقه بخيط رقيق ووصلة بسقف التاموسية ووجه رأسه على قلب المنجد وأمر ان يبرزوا السرير .

من يقدر بتصور حالة المنجد في هذه الدقيقة وبعد لحظة أمره ان يقوم وقال له انظر يا رجل حالة محمد علي في نومه فما عدت تحسده .

فلا شك ان هذه الحالة هي حالة كل ذي سلطة فكان محمد علي لا يرتاح في نومه بل يتقلب عند كل دقيقة بحيث يسقط الغطاء عنه فكان يضع خادمين لأجل تغطيته ليلاً وبالاختصار ان هذا الرجل من أعظم الرجال لأنه نهض من الطبقة الأخيرة الى الطبقة الأولى وهو أقرب شيئاً في نابليون الأول ومع ذلك عدم وجوده في مدارس وجهله العلوم تجعل له فضل أعظم فنذ ذهاب دولة البطالسة لم ترى مصر مثل محمد علي لأنه أحيأها وجدها .

وقد تولى ولده (ابراهيم باشا) وتوفى قبل محمد علي وهذا هو بطل العائلة فهو الذي حارب الوهابيين وحارب المورة وهو الذي ركر وراثة الحكم في عائلته توفي سنة ١٨٤٩ ودفن في جوار الامام الشافعي وحكم أقل من سنة .

عباس باشا ١٨٤٨ — ١٨٥٤

وهو ابن طوسون بن محمد ولد سنة ١٢٢٨ هجرية او ١٨١٣ مسيحية وكان فرمانه في ٢٤ كانون أول سنة ١٨٤٨ وكان محباً لركوب الخيل وقد نالت مصر في زمانه اعظم الجياد ومن مشروعاته سكة الحديد بين مصر والاسكندرية والمدارس الحربية في العباسية التي سميت باسمه والتلغراف وقد وضع الحجر الأول للجامع السيدة زينب في مصر توفي في بناها العسل ودفن في مدفن الاسرة الخديوية في القاهرة وذلك في شوال ١٢٨٠ الموافق تموز سنة ١٨٥٤ فتولى بعده عمه .

سعيد باشا ١٨٤٨ — ١٨٥٤

هو ابن محمد علي ولد في الاسكندرية سنة ١٢٣٧ وقد تعلم اللغات الشرقية والعلوم الرياضية ومسلكت البحار ومن أعماله أكمال الخطوط الحديدية والتلغراف وتمديد الضرائب واسترجاع الاطيان من المتحدين ومن أشهر ايامه هو تنصيم معاهدة ترعة السويس الذي نشط أعمالها كثيراً وأقام على طرفها الشمالي لمحة البحر المتوسط مدينة سيها باسمه بورسعيد وفي السنة الثانية لتوليته اسس القلعة السعيدية بين القناطر الخيرية وقد ثارت في ايامه مديرية الفيوم فأرسل قوة اخمدتها وفي سنة ١٨٥٩ زار سوريا ومكث ثلاثة ايام في بيروت

وكان ينثر الذهب فيها عند مروره في الاسواق والشوارع وقد توفي في الاسكندرية ودفن في يوم السبت في ١٦ رجب ١٢٧٩ الموافق ١٧ كانون الثاني سنة ١٨٦٣ .

التدعيم

ان المرح للفكر كالرياضة للجسم فلا شك ان عقول الملوك والرجال العظام في الدنيا يحملون هموماً لو لم يكن تركيب دماغهم عظيماً او متعوداً على ذلك لما أمكنهم احتياها فلذلك ان الملوك خلقت ملوكاً فمن الضروري ان يغير الكبير أفكاره او يرضها باستماع شيئاً مزحياً في الظاهر ولكنه جدياً في الباطن يشرح النفس وهذه وظيفة التدعيم ان يسر ملكه بأمور أدبية بطريقة هزلية ويلزم ان التدعيم يخلق ندباً أيضاً لأن ليس كل انسان يمكنه بحد كلمة أو حركة تغير السامع من حالة الى حالة أخرى مضادة لها مثلاً عندما يسمع هذا الحزين أو المتكدر كلمة من شخص آخر يضحك وينشرح فإ هذه القوة في هذه الكلمة وما هذه القوة في مخترعها حتى غيرت هذه الحالة وخصوصاً عند كلوك لا يعجبهم كل شيء ، ويقل من يتجاسر على أخذ حريته أمامهم بالكلام بكل موضوع فالتدعيم هو نادرة زمانه ويلزم قبل كل شيء ادابه وعلومه فإبي التواس مثل التدعيم في عقله ونوادره ومعارفه وهارون مثل الظرافة والحلم ومكافآت أصحاب الزكاء والشهامة .

اخبروا هارون الرشيد يوماً انه يوجد رجل في بغداد يشبه كل المشابهة بحيث عند مروره تأخذ الناس انه هو فقد احضروه لديه فتأمل به فوجد صدق المشابهة فقال له يا عرابي هل أتت والدتك الى بغداد فأجابه كلا يا أمير المؤمنين بل أبي فضحك وأجازه ويوجد أمثلة عديدة لذلك فترى على العموم ان لكل شخص من العظام واحد مخصوص لمسيرته ويستدعيه عند همه وانشغال فكره كما ان له شخص مخصوص يؤثر على فكره فترى ان أعظم رجل له رجل أصغر منه يديره كما يشاء وهذا له اخر اصغر منه أيضاً يديره ، وهكذا الى اخر واحد فيكون الأصغر هو مدير الجميع وذلك من ثقة الكبير في هذا للصغير فالهيئة الاجتماعية كالبنيان لا بد من حجر كبير يستند حجر أصغر يرتكز عليه فن جملة الندما نديم سعيد باشا الذي سمعنا عنه الروايتين الاتيتين .

كان من طبع سعيد باشا اذا تكدر لا يمكن لأحد التكلم أمامه ما لم يتكلم ويش فاتفق في أحد الايام انه دخل على مجلسه الخاص في هذه الحالة وطالت مدتها بحيث كانت الوزراء اصناماً لا يمكن لأحد ان يتحرك وكان لسعيد باشا نديم كما هي عادة الكبار والملوك كان يسليه في بعض الأوقات وكان أطلق له الحرية التامة ولكن هؤلاء الندماء يعرفون أوقات الحرية لأنهم يدرسون أطباع ملوكهم ويعرفون كيف يتصرفون كان أذن له بالتكلم متى شاء وصدف حضور التدعيم والباشا في هذه الحالة فلم يشأ أن يفعل شيئاً بل خرج فتبعه أحد الوزراء وقال له اذا اضحكت اقتدينا في هذه الساعة خذ من كل منا عشرين ليرة فكانوا اثني عشر فوجد هذا الرجل الجائرة جزيلة قبيل وقال له قالوا الى الفاره مر تحت شنب القط وخذي رطلين من اللحم فأجاب ان الجائزة عظيمة لكن الطريق محظرة ومع ذلك سأدخل عليكم

وابتدي ان اسأل كل واحد منكم سؤالاً أجيبوا عليه ومتى وصلت اليك اطردني بحثي فقال له الوزير تفعل ما تريد ورجع الى مجلسه فبعد مدة دخل هذا النديم لابساً لباس كتيبة قدامه الاقباط أي غناباز اسود وزنار اسود وعمامة سوداء والدواية في زناره وشك العينات في عمته ومسك قلم وورقة ووضع العينات ودخل وسأل أول جالس في الديوان لجهة الباب ما اسمك أجابه أحمد واسم والدك مصطفى ثم انتقل الى الثاني كذلك وهكذا الى ان وصل الى الاخير بجانب سعيد باشا الذي لم يزل عابساً ولم يلفت له فسأله مثل الباقيين ما اسمك فقال له الاخير بالتركي (سكتر) بازونك فكذب حالاً النديم وقال وأبوك فعند ذلك ضحك الباشا مقهقهاً لهذه النكتة وزال كدوره فجازته الوزراء كما وعدته .

(حادثة أخرى) ثم جرت مع هذا النديم حادثة أخرى وهو انه كان جالساً مع سعيد باشا على المائدة وكان من جملة الوان الأكل بالذبحان فذاقه الباشا ولم يستطيه فابتدى يزم بالذبحان فأجابه النديم نعم يا افندينا ان بالذبحان سويدها معكر المزاج عسر الهضم وأوصاف أخرى كهذه فصدف مرة أخرى وجود هذا النديم على مائدة الباشا وكان بالصدفة لون بالذبحان الذي وجده يومئذ الباشا للذبحاً او كما هي العادة لم يعرف الانسان لماذا يستطيه هذا اللون احياناً واحياناً يكرهه فهكذا حصل وعندما نظر النديم ان الباشا يمدح بالذبحان أخذ يمدحه بأوصاف عكس الأولى فلاحظ الباشا ذلك وقال له كيف انك تلك المرة عندما لعنت بالذبحان لعنته والان لما مدحته مدحته فأجاب يا افندينا انني لست على مزاج بالذبحان بل على مزاج افندينا كيفما يقول أقول فضحك الباشا منه .

وخلاف هذه الاخلاق الحسنة التي كانت عنده كان محباً للعلوم والمعارف ويكرم الغرباء ويعتني بهم لأنه كان يقول ان مصر بحاجة الى الغريب لأجل تعليمها وبذلك تتوسع التجارة بها والمعارف ومتى دخل الغريب دخل المال معه بالحقيقة ان المكسب لا يكون الا من الغريب وكل ارض اذا لم تكسب ارضاً جديدة من خلفها لا تصلح وكذلك البلدان مدخولها من الخارج .

اسماعيل باشا ١٨٦٣ — ١٨٧٩

هو ثاني أولاد ابراهيم باشا ابن محمد علي ولد سنة ١٢٤٦ هجرية او ١٨٣٠ مسيحية فتعلم العلوم والمهندسة والتخطيط والرسم وجال في أوروبا واختبر احوالها وعوائدها وفي سنة توليه شرف الديار المصرية جتسكان السلطان عبد العزيز خان وكان اسماعيل باشا يحب ذي المدن الاوروباوية فاعتمد ان يعمر البلاد على هذا الزري وسنة ١٢٨٢ او سنة ١٨٦٦ مسيحية نال من الباب العالي خطاً شريفاً مؤذناً له بالأرث الصريح لبيته أي كل بكر من اولاده وأولاده يكون خديوياً وفي السنة التالية نال لقب خديوي وهو أول ما ناله وفي هذه السنة ١٨٦٧ دخلت مصر فيمكنني ان أذكر ما شاهدت عياناً من أعمال اسماعيل باشا الخديوي الأول ومؤسس الخديوية لأولاده ونسله ورافع مصر الى درجة أعظم مدن أوروبا فلترجع الى سيرتنا من بيروت الى مصر ووصولنا الى أول مدينة منها لجهة سوريا وهي :

(بور سعيد) قد قلنا ان هذه البلدة تسمت بأسم سعيد باشا عندما ابتدأت اشغال ترعة السويس وهي مدينة اوراوية تقريباً وهي محل بلوز القديمة وأسسها دليسيس وهي ابتدى ترعة السويس شالاً فبعدها جلسنا فيها مدة استثنافنا السير الى

(الاسكندرية) قد ذكرنا ان بانها الاسكندر وتسمت باسمه وقد كان لها أهمية عظيمة للتجارة قبل فتح بوغاز السويس واكتشاف رأس الرجا الصالح فكانت النقطة الوحيدة بين الشرق وأفريقيا وأوروبا فالتصلت الى أعلى الدرجات وخصوصاً في زمن البطالسة خلفاء الاسكندر وكان فيها المكبة الشهيرة التي انشأها بطليموس الاول كما ذكرنا وهي التي انارت أول مركب في الدنيا بسبب منارتها الشهيرة وفيها تشرح أول انسان لعل الطب وفيها تمت الترجمة السبعينية اليونانية لتوراة وفيها دفن اسكندر ابو القرنين الذي اتى بجثته من بابل وقد فتحها نابليون الأول وبالاختصار كانت أول مدينة تجارية في أفريقيا وكان دخولنا اليها عند الظهر تقريباً وبعد ما خلصنا من قوانين الكركك توجهنا نسأل عن بطركخانة الموارنة .

(بطركخانة الموارنة في الاسكندرية) كان وصولنا اليها قبل المساء فاستقبلنا الرئيس بوجه عبوس وقهراً عن معرفته اننا من طالبين العلم لم يزل كما كان وعندما تطمن اننا أكلنا في الخارج رأينا اسنانه المقدمة ورأيناها جميعها عندما عرف اننا مسافرون نهار غداً واخيراً توجه معنا لزيارة الشيخ يعقوب حبيش الذي كان غائباً فقابلنا السيدة التي يبشاشتها ننتا عبوسة الاب وغربتنا وفي اليوم الثاني ودعنا الأب الذي كان بأعظم درجة في البشاشة وزودنا الدعاء لأن هذا لا يكلفه شيئاً فكان يكثر لنا منه ونمكتنا من منظر اسنانه .

ولأجل تفسير عبوسة الأب هو كثرة الواردين اليه من بر الشام خصوصاً من الطبقة السافلة الذين يكلفون الاب مصاريف أكل وتعب في تدبير مصالح لهم فكان يفتكر ان كل من حضر اليه هو بهذه الصفة فتعود العبوسة وحفظ المثل القائل ان بشاشة الوجه تجلب ضيوف الهوا وفي اليوم الثاني صباحاً سافرنا الى مصر .

(سكة الحديد من الاسكندرية الى مصر) كان أكثر عجبنا من سرعة السير كأناس نظروا أول مرة السكة الحديدية وكان منظر الأرض كمنظر البحر سهول واسعة وفيها بعض بقع مسودة قالوا لي انها قرى يسكنها الفلاح فتعجبت لأول مرة وقلت كيف يعيش الانسان في هكذا عشش اخيراً وصلنا الى القاهرة .

(القاهرة) ففي سنة ٣٥٩ بنى جوهر القاهرة وكان جوهر مملوكاً رومياً رياه المعز لدين الله ثم استوزره سنة ٣٤٧ وجعله قائداً للجيش ففتح له فاس ومصر وقد قال ابن نباته فيها .

تقولوا بنو العباس قد فتحت مصر فقل لبني العباس قد قضى الأمر

وهو الذي بنى الجامع الأزهر وعند وصولنا الى القاهرة كانت هيثما تقريباً مثل إيام جوهر توجها الى بيت سليم أفندي المعوشي الذي كان في حارة القبط وبعدها اعطينه تحرير والذي وأخبرته عن غاية حضوري وعدنا ان نتوجه الى أحد اصحابه المسمى الياس أفندي .

(الياس أفندي) ان هذا الرجل من بلادنا كان معاون في الضابطة وعندما توجها لعنده في السهرة استقبل سليم أفندي بكل بشاشة وعرفه فينا وكانت بجانبه زوجته أكبر سناً منه وبالجانب الآخر ولدها من زوجها الأول بن الياس أفندي تقريباً فعندما نظرت هذا المنظر سقط الياس من عيني وعرفته انه رجل دني محب للمال الذي فضله على لذته وأولاده وحرته وربما افكر انها تموت قبله ويتزوج ونسى أن الجديدة تأخذ بثأر القديمة ومن قصة الاصمعي يعرف طبع النساء ولكن أبقيت لك بفكري وما كنت في حالة تجعلني أقول فكري لأن الفلسفة في غير وقتها تضر فالأحسن للانسان ان يتجاهل في هكذا ظروف لأن معرفته تضره أكثر من جهله .

قصة الاصمعي والامراة

كان الاصمعي مسافراً الى إحدى الجهات فالتقى في طريقه بأمرأة ملتفة فاراد ان يجادتها لان بمثل هذه الظروف ينتمي الانسان عمادة أي كان لأجل التسلية فثله كمثل جيمان يأكل كلما وقع تحت يده يقطع النظر عن صفاته فأجابه المرأة اتركني لاني شائبة فعندما سمع خير شيئا تركها وتوجه فذهبت هي بطريق قريبة الى ان وصلت الى ماء كان الاصمعي ملتزماً ان يمر فيها فجلست على هذه الماء وكشفت رأسها وابتدت ان تمشط شعرها فعند ذلك وصل الاصمعي وعندما رآها في هذا الشعر الأسود الجميل قال لها لماذا تقولين ان شعرك شائبا فقالت له لكي تعلم ان ما تكرهه في أكرهه فيك وكان الاصمعي شائبا .

فأخيراً كلم سليم أفندي الياس أفندي عن شغلي وما هو رأيه أجاب ان نهار غداً نتوجه للداخلية سوية وانشأ الله نال المرام ففرحت ولو كان الوعد كذباً لأن المحتاج يصدق كل شيء وقد حضر في اليوم الثاني فتوجهنا الى الداخلية التي كانت في القلعة يومئذ وركبنا في عربة تخص الياس أفندي فقدمنا التحرير الى ناظر الداخلية الذي كان يومئذ اسماعيل راعب باشا فطلبني لمقابلته فقابلته واحالي الى وكيله ثابت باشا الذي امرني أن ارجع نهار الاربعاء القادم وكانت العربة التي معنا ملك الياس أفندي يستعملها للأجرة وعند رجوعنا سألتهم كم أددع الى العريجي لأنه صار لنا ساعتين معه أجاب ادفع له ليرة فرنساوي فدفعتها حالاً أمام سليم أفندي فقال لي بعد الدفع ان العربة تحت أمرك كلما توجهت الى عمل اخبرني وانا ارسلها لك فشكرت فضله ولكن وضعت بفكري ان لا اراها ابداً لأن اجرة ساعتها بنصف ليرة فرنساوي فلو كانت مركبة مار الياس سميه الذي صعد فيها الى السما لكأنه أرخص فثبت حيثما ما في فكري من جهة حبه للدراهم .

(قلعة مصر) ان باني هذه القلعة صلاح الدين الايوبي الذي كان حاكماً مصر من سنة ٥٦٧ الى ٥٨٩ هجرية أو من ١١٧١ مسيحية الى ١١٩٣ .

وقد وكل صلاح الدين على بناءها بهاء الدين الخصي وكان المصريون ينسبونه للاستياد وكان بهاء الدين اسود فسمته المصريون قراقوش أي الطير الأسود ومن ذلك الوقت كانوا يسمون كل حاكم مستبد قراقوش وقراقوش يضرب به المثل للأحكام الخارجة عن كل تعقل وعدل ومن جملة احكامه ما يأتي

(أحكام قراقوش) ان أحد اصحاب الدين استحق له مبلغ على مديونه فشكاه له فأرسل قراقوش يطلب المديون الذي حضر فأجاب سيدي ان الدين حاضر ولكن كل مرة اتوجه اقتش على صاحب الدين فلم أجده فأجاب قراقوش الى صاحب الدين يلزم ان تبقى هنا حتى يأتي المديون ويعطيك دينك وهكذا بي محبوس مدة ولم يرجع المديون حتى أنه ترك الدين وخرج .

(طاطم) وعندما كنت مستجداً في مصر كنت أجهل اصطلاحاتها الخصوصية في الكلام والاسماء فدخلت في احدى الايام لوكندة الأكل سألت صاحبها عما يوجد عنده فسمى لي اسماء جملة ألوان ومن جعلها طاطم فهذا الشكل والاسم لم أعرفه في بر الشام فظننت اكلة مصرية خصوصية شئت تجربها فطلبت منها صحناً فاذا بها بندورة فقلت له ما هذا ظناً مني أنه غلطان فقال طلبت طاطم فعرفت حينئذ ان البنادورة اسمها طاطم وكنت لا أحبها ومع ذلك دفعت نمن الصحن أجرة معرفة اسم الطاطم ومن ذلك الوقت ما عدت أطلب شكلاً لا أعرفه ما لم أنظره أولاً .

(اليزبكية) كانت في أيام الحملة الفرنسية بحيرة ماء يأتيها من النيل بواسطة ترع مدة الفيضان وكانت الناس تذهب اليها بقوارب للترعة والأنوار ليلاً مع الطرب فاحضر محمد علي ترع بجانبها لأجل تجفيفها فنشفت الماء منها وغرس حولها الأشجار وأصبحت ايام سعيد باشا محل الاجتماعات والقهاوي وعندما حضرت لمصر كانت متروكة على هذه الحالة وفي مدني انشا فيها اسماعيل باشا الحديقة العظيمة وجر لها الماء وجعل فيها جبلاً صناعياً مع منابر صناعية وأجرى فيها الترعة يقطع عليها جسور وهي محل القهاوي والبيارات وتمرته المدينة وعمل لها صوراً من حديد وربما للدخل من أحد ابوابها الأربع والأكثر الباب الشمالي حيث كانت المخازن ومحلات اللوكندات والرسورانات والقهاوي الاوروباوية المنيعة مع جوق من المحسوبات لأجل الموسيقى الافرنجية وهذه المحلات هي محل الترهة وقد ابتدئ بعمل الأرصفة في مصر عند اليزبكية وكان أول ابتدا الاصلاح فيها وكانت البوسطة الافرنسية هناك وكان فيها مأموراً رفيقاً في مدرسة عينطورا انطوان اكوب أسود لكنه افرنسي وكان أكثر تحاريراً لسوريا تذهب فيها ونأتي نزورها كل جمعة .

(القهاوي) وكنا لعدم الشغل نجلس في القهاوي في اليزبكية لأنها مجلس الكسالى وكلما كانت القهاوي

غاصة في الناس يكون علامة على الكسل وقلة الشغل فكان رفيقي اسكندر يطلب الدومينو لتلعب بها بشرط أن المطلوب يدفع نحن القهوة وحيث انه ادرى مني باللعب كان دائماً يكسب الشرط ولأجل المكسب في هكذا ظروف يلزم أن تكون لذة محصورة للاعب اما بحب المال او الخوف من الخسارة فن طبعي ان لا احب هذه الالعب ابداً واذا لعبتها يكون قهراً عني لمسايرة رفيق لي وكل من لا يكثر بشيء ويتبته له يخسر فانا كنت في هذه الظروف بحيث ان رفيقي كان في كل مامن من الخسارة حتى يبلغ به الامر ان لم يعد يحمل دراهماً متى توجهنا للقهوة .

في أحد الأيام غلبته وكان المبلغ وصل الى ريال لأننا أخذنا جملة حلويات فلما كان معه يدفع اخبراً دفعت عنه وحرر لي كميالة وندم على اللعب الذي لا أمان له ويجر العقول لأنك مثلاً في هذا اليوم تغلب رفيقك وفي اليوم الثاني يغلبك مع انك انما فيقال اناه الزهر وكيف الزهر يأتي اليوم الى واحد وفي الثاني الى آخر لا تعرف وحيث لا تعرف لا يلزم نلعب بشيء لا نعرفه وقد كان لاسكندر تقم قديم ذهب الى السوق وباعه لأجل بني الكميالة .

فيما هو راجع وجد رجلاً يلعب على الطريق بثلاث أوراق فيها الريا بحيث ان الشخص الذي يضع مبلغاً على احدى هذه الثلاثة أوراق وتكون الريا فانه يكسب وأما اذا وضعها على احدى الاثنتين الاخريتين يخسر فوجد اسكندر هذا الرجل مع رجل آخر كان شريكه سراً يلعبان فكان كل ما يضع هذا الرجل دراهم على الريا يكسب فحركت اسكندر الغيرة وابتدا يلعب فكسب أول مرة ريالاً وبعده ريالاً آخر فطار من الفرح ثم ابتدا يخسر بالتدريج حتى ذهب بثمان الطقم فوقف مهوئاً صامتاً وعرقه كسيط الدم فكان يتأسف ويتبد عند كل كلمة يخبرني اياها وانا بالعكس كنت اضحك وسندكر هذه الالعب وضررها وكل ذلك من عدم الشغل والطمع .

المأطلة

في اليوم الثاني وكان هار الاربعاء توجهت الى الداخلية لأرى شغلي ولكن ليس في عربة الياس افندي لأنني سألت عن أجرة الساعة قبل انها بفرتك ونصف فاذا كان بقيت ساعتين يكون ثلاثة فرتكات يعني سبعة عشر فرتك انقص من عربة الياس افندي ومبلغ مثل هذا لواحد مثلي غريب ليس له شغل ولا يعرف احداً ولا يعلم أي متى ينهي شغله مهم جداً فأخذت عربة وتوجهت عند دولتلو ثابت باشا وعرضت له ان هذه الاربعاء الثانية المنتظر فيها جواب دولتكم فأجاب الاربعاء الثانية ايضاً فرجعت وابتدأت افكر يا ترى لماذا هذه المأطلة كأن ليس لي نصيب في هذا المحل لماذا لم يخبروني لأدبر شغلي لأنني اتحمل مصاريف وغربة بغير فائدة واذا كان لي عمل في طلبتي هذا لماذا لم يخبروني عنه وبقيت في هذه الأفكار بين الأمل واليأس فكنت دائماً اسأل بعض المصريين الذين عرفتهم هل هذه المأطلة هي ذات خير او عديمة الشغ فاعظم رجل في الدنيا لا يمكنه الجواب على هذه المسألة فكان البعض يطمني فكنت

انفجر وانشرح ولو كان وهماً وبالعكس كنت انزعج عندما يقطع لي الأمل وخصوصاً عندما كنت اسمع ان المحلات اسدنت لأنه لا يوجد أكثر من عشرة محلات للشوام وهؤلاء على مصروف الجيب الخاص للخديوي وقد تحصل على هذا الانعام رئيس بطرركانة الموارنة وهو .

القس ارميا نجيم من الرهينة الحلبية

لان هذا القس كان من القسوس العظام ذا غيرة وحاسة وعجة نحو طائفته بحيث لم تفته فرصة يمكنه ينفع فيها طائفته فعندما جلس اساعيل باشا على الثنخت الخديوي توجه القس المذكور ككاتب بطريرك وورثس طائفة لهنسة خديويته فاستقبله بكل بشاشة فالقس المذكور نظراً لغرفته استغنى فرصة من هذه البشاشة وهذه الظروف وطلب من جنبه العالي دخول عشرة تلامذة في مدرسة الطب من الشوام كما كانت العادة قديماً فأجاب جنبه العالي طلبه وأمر بدخول عشرة شوام في المدرسة على حسابه الخاص فحالا ابتدى القس ارميا بالتفتيش على تلامذة من طائفته لدخولهم في المدرسة فطلب ابن اخته فارس افندي نجيم والشيخ شيبان خازن وميلاد افندي صفيير وابراهيم افندي صافي من بيروت وسليمان افندي أبي نحول الذي كان بالصدفة هناك وجملة أخرى وعندما تمت هذه العشرة دروسها وارادوا دخول غيرهم معهم تسابقت الطوائف الأخرى لأخذ هذه المحلات بحجة أن العشرة المنتم عليهم هم من الشوام وليس من طائفة محصورة فهذا الذي سهى عن فكر الأب ارميا بتخصيص العشرة من طائفته فلذلك كنت اسمع كل يوم اخباراً ان الطوائف الأخرى أخذت ستة محلات بحيث على ما سمعت انه لم يبق لي محل وكنت ارجع دائماً الى الداخلية وانحر دولة ثابت باشا بكل هذه الأخبار فيطمعي فأرجع مطمئن البال ولكن هذه السفرات كنت أقطعها على ظهور الحمير لأنني وجدت انها أوفر من العربية والراكب يمكنه يكون بحرفته وينظر ما حوله بكل تدقيق أكثر وخصوصاً ان حمير مصر من أعظم المراكب .

حادثة الارناؤوطي

ان هذه الحادثة افادتني كثيراً وهو انني مثل شاب ولدت في بلدة كنت شامخ الأنف فيها بسبب وجود والذي عضو الادارة وسبب رئاسة اسرتي في هذا المحل نشامت شرس الطباع بحيث ما كنت أجد احداً يصانني من أهل البلد فكنت اضرب واشتم واهين بلون معارض وذلك نسبة لخاطر والدي وعندما حضرت الى مصر سكت عن هذه الشراسة نظراً لغرتي او لعدم وجود اسباب لها فيوماً ما بيتا كنت راكباً حماراً وماراً في الموسكي وهناك ازدحام عظيم مر بجانبني ارناؤوطي راكباً حماراً ومسرعاً في المشي فصلم ركبتي فتألمت فقلت بالافرنسية (سابرستي) كلمة يقال عند الحق وليس فيها شيء مهين فعندما سمع الارناؤوطي هذه الكلمة رجع وابتدا يسب ويلعن ولكن بلغته التي لم افهمها ولكن فهمت ذلك من فتح عينه واحمرار وجهه وهيشته المائلة فدرت وجهي عنه واريت انني غير متب له ولكن كنت اموت غيظاً في

فكري ولكن حسبت اذا كلمته فهو أقوى مني وحيث انني غريب ولا أحد يساعدني فأكون انا الخسران
فرايت السكوت أولى ولكن جنباً ما كان يسكت بل مشي وكل مدة يلتفت الى الوراء ويقول (سبرسي)
فاخيراً التزمت اذهب بطريق اخرى لابعده عنه وبعد خلاصي من هذه الحركة شكرت الغربة وقلت كم لما
من الفضل على تهذيب الاخلاق وانشاء الفيط وجعل الانسان لطيفاً بشوشاً وانها تعطى علامة لمعرفة
الرجل المتغرب وهي اذا كان الرجل في غربته وديعاً هيناً خجولاً متيقظاً سكيناً فهذا دليل على شرفه
وأصل منته وبالعكس متى كان متكبراً فشاراً مدعياً فهذا دليل على أصله المنحط .

حادثة ضرب الرمل

يقول المثل المصري المحتاج أهبل فهذا صحيح وقد جرى لي فأنني عندما كنت في حالة انشغال الفكر
بطلب مصلحتي كنت أشرح قصتي لأي كان وأظن انه بهم لما مني فكان الذي يميني على حسب أفكاره
انشرح منه جداً والعكس بالعكس مسكين الانسان المحتاج لأنه يكون العوبة الدهر والعصر وقد حدث لي
في أحد الايام فيينا كنت قبل المساء متوجهاً لجهة سكة الحديد وجدت على الطريق رجلاً امامه منديل
عليه مقدار من الرمل يقولون له الرمال فانا الذي لم يعتقد بهذه الامور فعندما رأيته وانا في حالة التفرق
والأس والرجاء قلت فلنذهب عند هذا الرجل ونرى ماذا يقول فيالحقيقة ان الحاجة هي اساس الخرافات
فتقدمت الى هذا الرجل ودفعت له عشرين بارة فوضع يده على الرمل فيني رسمها عليه لم ابتدى يقطع
الرمل باشكال اخر وابتداً يقول كلاماً غير مفهوم ثم فتح كتاباً كل ورقة ابيض وعندما كان يقلب الاوراق
فتح أمامي بفتة محلاً فيه صورة كصورة الشيطان وربما صورة الرمال ولذلك لم ترعني ثم قال لي انك
احضرت معك تحريراً من جبار الى جبار وهذا الاخير بماطلك ولكن لا بد من الانتهاء على خير فتعجبت
من هذا القول واعجبني جداً فذهبت من عنده مسروراً فأقل عقل الانسان وما اخضعه عند المصيبة
والاحتياج فاحسرت بذلك سليم افندي الذي ما كان يعتقد بذلك واخيراً ذهبتا سوية عند الرجل وطلبنا منه
ان يعرف اسباب مجيئنا عنده فأجاب بخرافة لم تصب شيئاً فتحققنا حيثتد انه من الكذابين ولكن الوهم
الذي طبعه بفكري البارح كان يسرني وتدمت على رجوعي اليوم بازالة هذا الوهم عني لأنني كنت منشراحاً
مطمئن البال فاذا افادني معرفتي ان هذا الرجل كذاب فحقيقة امره ازالتي عني انشراح البارح وراحة
فكري فما كان يميني ان اعرف حقيقته لان وهمي به كان انفع لي فن الغلط ان يزيل الانسان وهماً لا يضر
به ادبياً أو مادياً فهذه حالة الانسان مدة المصيبة وحيث لا يخلو في أغلب الاحيان من مصيبة تراه دائماً
يخل بالتعلل الحقيقي عندها فذلك يلزمه استشارة غيره لان غيره خال من المصيبة فيكون رأيه أحسن
والاحتياج الزم الانسان للاعتقاد بمثل هؤلاء الدجالين كضاربي الرمل وكشافي الكنوز وأعظم برهان على
كذبهم هي حالتهم الفقرية لأنهم لو كانوا يعرفوا عمل الكنوز والمستقبل والسارقين لاصبحوا هم الملوك
واستغنت الحكومة عن البوليس وعن كل شيء مع ان هؤلاء يفعلون كما تفعل اللصوص أي يسلبون المال
لأنه قبل ان الذي يفضل عن اللص بأخذه المبصر ومع ذلك يتركض الناس اليهم .

صدر الامر لدخولي في مدرسة الطب

واخيراً بعد عذابني مدة شهرين تقريباً وصعودي مراراً الى القلعة التي أصبحت مثل بيتي مع اني أول مدة دخلتها كنت لا اتجاسر على السير في الدار لأن الأرض كانت مفرشة باليسط الافرنجية والعسكرية والياوروة دائرة فيها ولم ار ذلك في بلادتي ابداً فكنت لا اتحرك ولا أضع رجلي في محل قبلما أرى غيري يمضي أمامي خوفاً من ان ادوس محلاً ليس لي الحق بدوسه حتى لا اعرض الى الاستهزاء بي او التوبيخ وهكذا كنت أفعل في كل حركة وعندما داومت السير لهذه المحلات صرت صديقاً للكل وامشي دون ادنى وهم .

وعندما كنت مفتكراً يوماً ما بهذه العاقبة افتكرت انه ربما الباشكاتب ينفعني بالعجلة لان عليه مدار كل العمل فتصورت بفكري ان ادفع له اربع ليرات انكليزية وأعطيتها له لأجل مساعدتي بسرعة الامر وليس شبه رشوة لان ليس هناك دعوة فتوجهت حالاً وأخذت معي الدراهم ودخلت أوضة الباشكاتب الذي كان غير متبهي لي لكثرة شغله فكنت افكر وافتش على فرصة لأنكته وأدفع المبلغ وانا في هذه الحالة حانت منه التفاتة لي وعندما رأيته قال اهنيك يا مسيو قد صدر الامر لدخولك في المدرسة وهذا هو الامر ولم يبق الا ختمه من دولته الذي لم يحضر في هذا النهار لانزعاجه الصحي وانشاء الله نهار غد ان حضر او لم يحضر نرسله له ويكون خالصاً نهار غد تأتي وتأخذه فن يقدر بصف حالي وفرحي لهذه البشري التي كنت في انتظارها من مدة شهرين والتي لأجلها تركت وطني وأهلي ومتحملاً التعب والمصاريف واليأس والمداواة فلا يقدر أحد ولا انا ذاتي ان يشرح ما شعرت به عند ذلك انخيت شكراً وما أمكن لساني بترجم كلامي في قلبي فخرجت من أوضة الباشكاتب كالسكران أو كشارب الحشيش الذي يرى كل الناس أوطى منه فكان الذي قبل بساعة يكلمني بكبرياء وانا متواضع له صرت لم التفت اليه وكنت أمشي بمسيرة وحديث بكل حرية فكانتني خلعت قيد الاحتياج وصرت حراً في أفكاري وأعمالي آه ما أقبح الانسان في أي حالة كان ان كان ذليلاً يتداني أكثر مما هو لازم وان كان شعباناً لم يرقيداً ورباطاً لأفعاله فلذلك لا بد للانسان من شريعة او رباط يربطه ولذلك الباربي تعالى لم يعطنا كل احتياجاتنا حتى نكون دائماً محتاجين اليه وقد قلت في بعض قصائدي ما يأتي :

لولا ثلاث لم يكن دين ولا ذكر من الانسان للرحان
موت وافلاس وضعف كلما عنه نأت يبدنو الى الكفران

ومع ذلك كل هذا الانشراح لم ينسيني شكر الذين ساعدوني وخصوصاً هذا الباشكاتب الذي لم ازل أتذكره لليوم وأناأسف من نسيان اسمه لأنه واجب علي ان اذكر رجلاً مثل هذا للاقتداء به واخيراً قبلما اتوجه تقدمت سرا الى الباشكاتب وقلت له أرجوك قبول هذا مني لأجل هذه البشارة التي استنظرها من مدة وليس هذا برشوة او ضياع حق الغريب ولا أنت طالب ذلك بل من كل قلبي فأجاب بكل لطف

اشكر احساناتك لذلك ولكن انا رجل غني وانت في غربة تحتاج لهذه الدراهم أكثر مني وما انا عملت شيئاً في مسألتك بل دولته عمل وانا تحت الامر ابقى هذه الدراهم لك ويكفي ما اظهرته فخرجت من عنده منشراحاً من كل جهة وكان قسم من فرحي ايضاً وهو ابقاء الدراهم بحسبي لأنهم لازمون لي جداً في ظروف كظروفي فعند وصولي اخبرت سليم افندي عن ذلك الذي انسر جداً وفي اليوم الثاني رجعت الى الداخلية فوجدت الامر محتوماً ومغلقاً باسم رئيس المدرسة محمد علي فشكرت الباشكاتب من كل قلبي ورجوته ان يقبل عني ازيال دولة راغب باشا الذي كان لم يزل في بيته فدخلت على دولتو ثابت باشا وشكرته فقال لي ان عاقبتى كانت مسببة عن انتهاء دروس فوج الشوام الذي كان في المدرسة لأنه عند وصولي لمصر كان باقي لهم شهرين لخلوصهم وعندما خُطص الامتحان الذي هو في أواخر شعبان اعطوني عمل أحدهم فشكرت فضله بتوضيحه لي الاسباب ولا أعلم لماذا لم يقل لي أولاً لكي ارتاح من كلاً جرى لي ولكن الرجل السيامي لا يسأل عن شيء .

ومن غرائب الاتفاق ان في سنة ١٩٠٤ حضر لمدرسة الطب الافرنسية التي انا معلم فيها شاب مصري ليتعلم الطب وكان في صني فسألت من هو أجاب انه ابن ثابت باشا فتعجبت كيف ابن ذلك الذي كنت ارجو العلم بواسطته يطلب العلم مني الان فخرجت به جداً واعتمدت على مساعدته لان والده ساعدني ولكن لسوء الحظ لم يداوم ورجع لمصر .

اعطائي الأمر لرئيس المدرسة محمد علي البقلي

في ٤ رمضان سنة ١٢٨٤ الموافق غرة كانون الثاني سنة ١٨٦٨ فهاها الان اربعون سنة توجهت الى المدرسة الطبية فوجدنا الرئيس في أوضة الرئاسة وفي بوابة المدرسة في محل متسع محاطاً بالكُتب والكتابة وكان وحده فدخلنا عليه وسلمنا وأجاب على سلامي وبعد مدة اعطيناه الأمر الذي قرأه وقال انه لا يمكن اجابة هذا الامر لأن عندي اوامر ان لا أقبل احداً من العشرة الشوام الا بامر افندينا الخديوي فيها من دققة مرت علي فحطنتني من اعلى الى أسفل وأظلم النهار في عيني ثم قال بعد ذلك اطلبوا الباشكاتب مصطفى افندي درويش لأنه كان عارفاً بكل شيء في الأوامر لان الباشكاتب في الدوائر المصرية مهم جداً وهو المسؤول ولا يمكن الناظر او اللبasha ان يختم تحريراً او امراً ما لم تكن علامة الباشكاتب عليه .

فحضر الباشكاتب فاعطاه محمد علي الأمر فأخذه وقرأه وقال له لا تحالف أمر راغب باشا فأقبله وبعد ذلك أخبر راغب باشا عن الامر الذي عندنا وهو يدبر الحال فقال عظيم فاذا اقبلوه وقيدوا اسمه بين التلامذة .

فيا لها من ساعة رفعتني من الجحيم للنعم وكل قاري ذلك يحس عني وترجم الحالة ملتي كنت فيها

فتقدمت وقيلت ايدي الرئيس ونزلت الى الدار وقال لي ان اليوم فرصة اتريد تكون هنا او تذهب وترجع بعد رمضان اجبته ان ليس لي أحد هنا ابقي هنا وأذهب وقت الفرصة الى المدينة فقال الآن تقيد اسمك بين التلامذة وهكذا كان دخولي في ٤ رمضان سنة ١٢٨٤ موافق غرة ك ٢ سنة ١٨٦٨ مسيحية .

المدرسة الطبية المصرية

هي أول المدارس الطبية في الشرق في أيام الدولة العثمانية وهي من مآثر محمد علي وقد أسسها كلوت بك الفرنساوي الذي نذكر قسماً من تاريخ حياته تأسست اولاً في أبي زعبل وهي بلدة حقيرة على مسافة أربعة فراسخ من القاهرة وكان هناك مستشفى للعساكر وكان تأسيسها في شهر ذي الحجة سنة ١٢٤٢ هجرية الموافقة سنة ١٨٢٧ مسيحية وفيها درس الفوج الأول من أطباء مصر سنة ١٢٥٣ هجرية انتقلت الى قصر العيني بالنسبة لشيخ العيني الذي له مقام يجانبها الجنوبي لأن هناك وهناك تعلمت فيها العلوم الطبية .

كلوت بك مؤسس المدرسة الطبية المصرية

ولد هذا الرجل وهو انطون بارتلمي كلوت في مدينة كرونويل في فرنسا في ٧ تشرين الثاني سنة ١٧٩٣ مسيحية من عائلة فقيرة كان والده ضابطاً في الجيش الايطالي فاستغنى ومرض ومات سنة ١١٨١ وكان يعالجه الدكتور سابه الشهير حيث عرفه في الجيش الايطالي وعندما عرف الدكتور سابه الذي كان مقيماً يومئذ في مدينة بريغونول Brignoles في Hôtel Dieu مالكوته من الرغبة في علم الطب الحق بوظيفة مساعد له واخيراً انتقل من محل الى محل مقامي الم الفقر والذل حتى توصل الى اسمي دكتور واشتهر في ارائه في الجراحة حتى انه في الصدقة ارسل محمد علي حاكم مصر يطلب اطباء للجيش فأرسل تاجراً فرنسياً كان في مصر لأجل ذلك تعرف بكلوت بك وطلب حضوره الى مصر بشروط فحضر سنة ١٨٢٥ وعندما ابتدأ بتنظيم الجيش عمل مستوصفاً لأجل المرضى في أبي زعبل وابتدأ يعلم خادمي المرضى وظيفه كل منهم بالتخير عن الجروح وخلافها واخيراً ابتداء بفتح مدرسة رغماً عن العاكسة له بحيث انه يعمل في مصر اطباء يستغنون بهم عن اطباء أوروبا وكان يصنع امتحاناً كل شهر للتلامذة يدعو محمد علي باشا وبعض الكبار للحضور اليه لأجل مشاهدة الأعمال واخيراً امره محمد علي باشا ان يأخذ تلامذته الى باريس لأجل فحصهم فاذا كانوا من الناجحين استمر على ذلك والايبقى كالأول وكان قاسى صعوبات عديدة لأجل الوصول الى العلم لان لا يوجد في مصر شخص يعرف اللغة الافرنسية لأجل الترجمة فوجد رجلاً سورياً يعرف الايطالية كان يترجم له من الافرنسية الى الايطالية وهذا يترجم منها الى العربية ويوجد مجلس من العلماء لأجل تصحيح اللغة وهذا الرجل السوري هو من اسرة بيت العنحوري من دمشق .

وخلاف هذه الصعوبات في اللغة كانت مسألة التشريع صعبة جداً حتى ان أحد التلامذة يوماً ما قدم عرضة الى كلوت بك فيينا كان يقرأها هجم عليه وضربه بالخنجر في رأسه فأخطأه ثم رجع وضربه في صدره فلقاه في زنده واخيراً مسكوا هذا الخائن وذلك بسبب التشريع وقيل ان معلم التشريع في ذلك الوقت كان رجلاً غسواً فأتت احد الخصيان من دائرة محمد باشا في الاستبالية فاشهرها الخبر ان المعلم شرحه فابتدوا يترصدون معلم التشريع لأجل الحاق الضرر به في ذات يوم وهو راجع ليلاً الى منزله ماراً بقرب السرايا وجده اثنان من الخصيان فسألاه اذا كان يعرف معلم التشريع الذي شرح رفيقها فأجابها نعم أعرفه ماذا تريدان منه فقالا انه شرح رفيقنا مرادنا بشرحه مثله فقال اتبعاني وانا اذكركا عليه فشى الى ان وصلا الى داره فدخلها وعرف اسمها وقفل الباب وراءه وفي اليوم الثاني اخبر عنها فوقيا وكذلك كان المصرون زمن الفراغة عند المصريين مكروهين وكانوا يرمونهم بالحجارة ويخلصوا من القتل بصعوبة مع انها عملية دينية .

مستشفى قصر العيني

هذا هو المستشفى الوحيد الذي كان يومئذ في القطر المصري وكان يسع لحد ألف فرشة وتدخله جميع المرضى من جهادية وملكية وتطبخ فيه جميع الامراض مجاناً وكان يعيده المعلمون والتلامذة صباحاً ويقي طبيب نوبتي ليلاً ونهاراً لمداداة الحوادث الطارئة على المرضى وادخال ما يستجد منها ولهُ ادارة خصوصية مؤلفة من ناظر ووكيل ومجلس كبة ومجلس استشارة كان يصرف مع المدرسة ٣٥ الف ليرة سنوياً ولم يزل مركزه للان شاملي المدرسة وعلى ترعة النيل .

الرئيس محمد علي البقلي

كان هذا الرجل ماهراً في الجراحة فصيح اللسان تنابه التلامذة ذا أطباع حدة لا يبالي بأحد اذا غضب كثرت اعداءه عزل عن الرياسة ثم رجع لها ثم عزل واخيراً توجه في حملة مصر على الجيش وكان بمن السجين املاً منه ان ادى هذه الخدمة يرجع للرياسة فانكسرت مصر يومئذ وقد قتله عبده وهو هربان صرف ذلك وشق العبد .

(التلامذة) وكان عدد التلامذة لحد مائتين للطب وللصيدلة وكان لبسهم لبس ضباط عسكريين ولهم كل سنة طقم جوخ واخركتان وكلما يلزم من الطربوش الى السراية ولهم خرج للأكل من اللحم والأرز والخضرا والخبز يستلمها العشي وكانت تعطى الكتب المطبوعة مجاناً للمصريين وبشن الى الشوام وكان ماهية لكل تلميذ حسب صفه للمبتدي ٣٠ غرساً صاعاً وللمنتهي ١٢٠ ما عدا الشوام وكانت المدرسة داخلية لا تخرج الا نهار الجمعة صباحاً وترجع مساءً والفرصة مدة شهر رمضان وثمانية ايام في العيد الأضحى وكنا بعد التوم يسكر علينا واذا احتجتنا شيئاً نطلب اذننا من الباشا جويش .

(كشف سارقي الماء) كنت في بعض الاحيان استيقظ من النوم وأطلب الماء فأجد قلتي فارغة وما تمكنت من معرفة سارق الماء في ذات يوم خطر لي أن أضع في قلة الماء قليلاً من الطرطر المتي الذي يسبب النقي ولا يضر ففعلت هذا الامر ولما استيقظت من نومي طلبت الماء فلم أجده كالعادة فخرجت من غرفتي افتش في محلات النوم فوجدت ثلاث من التلامذة يتقاضون فقلت لهم عرفتكم يا سارقي الماء فصاروا يترجونني ليعرفوا ما كنت واضعاً في القلة فطمستهم واخبرتهم انني وضعت قليلاً من الطرطر لاعرف بواسطته لص الماء فاطمأن بهم ولم يعودوا الى قلمتهم بعد ذلك ومن الشهادة تعرف الدروس وتربيتها والمعلمين ووظائفهم .

الشهادة

بعد الامتحان النهائي أي بعد درس ست سنوات تعطى الشهادة الى تلامذة الشوام فقط ولا تعطى للمصريين لان هؤلاء يقيمون في المدرسة بعد آخر فحص فتخبر عنهم عمدة المدرسة بمجلس الصحة وهذا يعينهم بالأموريات اللاتفة بهم ولو لم تكن يدهم الشهادة وذلك لأجل حصرهم في مصر بحيث لا يمكنهم مغادرتها لان الحكومة علمتهم مثل عسكرية فلو هرب احدهم الى البلاد الغريبة لا تمكنه المعيشة بلا شهادة وهذا هو القصد من عدم اعطاء الشهادة للمصريين اما شهادة الشوام فهي كما يأتي على الختم :

ابده بنفسك فانها عن غيبا فاذا انتهت عنه فانك حكيم

شهادة نامة طيبة خديوية مصرية

حمداً لمن أعاد الى مصر رونقها الأول همة عالي المهمة الالهي النبیه من اقتدى بنشر المعارف والمنافع بجده وأبيه افنديا ولي النعم ذي الفضل الجزيل خديوي مصر وعزيزها اساعيل حفظه الله وابقاه وأدام توفيقه وشكر مساعاه فانه جدد فيها انواع المدارس واحيي كل علم رمى دارس فن جملة هذه المدارس الجزيلة وأعظمها نفعا المدرسة الطيبة التي أشرق في المشرق نورها حتى احدثى بها كل قاص ودان واتاها القاصدون من أقصى الاقطار والبلدان كان ممن سعى الى هذه المدرسة المنيفة رغبة في تعلم صنعة الطب الشريفة الفطن اللوزعي الاديب والشاب النبيل شاكر افندي الخوري ابن يوسف افندي الخوري أحد اعضاء المجلس الكبير في جبل لبنان من بكاسين من أقليم جزين من جبل لبنان من أعمال بر الشام أرسله دولتو داود باشا متصرف جبل لبنان ووفد الى هذه الديار لأجل التحلي بحلية الفضل ونيل الأوطار وانتظم بسلك تلامذة هذه المدرسة التي هي على نشر المنافع مؤسسة فتعلم بها العلوم الطيبة احساناً من المرحم الخديوية وكان دخوله في ٤ رمضان المعظم سنة ١٢٨٤ هجرية الموافق غرة كانون ثاني سنة ١٨٦٨ مسيحية في السنة الاولى درس كلا من علم الطبقات الارضية وعلم المعدنيات والكيمياء المعدنية وغير المعدنية والجزء الأول من علم الطبيعة وعلم النباتات في آخر السنة المذكورة امتحن بالامتحان العام في هذه الفنون

التي درسها وتلك العلوم التي أتقنها ومارسها فأحسن فيها الأجوبة وظهرت عليه لدى الحاضرين اشارات النجابة وفي السنة الثانية درس كلا من علم الكيا النباتية والحيوانية والجزء الثاني من علم الطبيعة وعلم الحيوانات وفي آخر السنة المذكورة امتحن بالامتحان العام فأجاب واحسن الجواب وفي السنة الثالثة درس كلا من علم المنسوجات وأركان البدن والقسم الأول من التشريع الخاص والتشريع العملي وفن الاقرباين أي علم تركيب الادوية والعمليات الجراحية الصغرى وفن التعصيب وفي آخر السنة المذكورة امتحن بالامتحان العام فسر الحاضرين وأقر عين الناظرين وفي السنة الرابعة درس كلا من القسم الثاني من التشريع الخاص والجراحة العامة والقيولوجيا أي معرفة افعال الاعضاء في حالة الصحة والباطولوجيا العامة وفن العلاج وفي آخر السنة المذكورة امتحن بالامتحان العام وكانت اجابته مرضية شافية وفي السنة الخامسة درس كلا من جراحة الانسجة والجزء الأول من العمليات الجراحية الكبرى والتشريع الجراحي والقسم الأول من الباتولوجيا الخاصة أي علم الأمراض الباطنة والتشريع المرضي وقانون الصحة والمادة الطبية مع اعادة فن العلاج وأمراض الجلد وأمراض النساء والأطفال وفي آخر السنة المذكورة امتحن بالامتحان العام فأجاب الاجوبة الفاتحة بالالفاظ المفيدة الراقية وفي السنة السادسة وهي السنة الأخيرة من المدرسة درس كلا من جراحة الاقسام والجزء الثاني من العمليات الجراحية الكبرى وفن الكحلة أي امراض العين وعملياتها والقسم الثاني من الباتولوجيا الخاصة والطب الشرعي وفن الولادة وعلم السموم والاكليينك الجراحي والباطني والرمدي وفي آخر السنة المذكورة امتحن بالامتحان العام الواقع في يوم الاثنين المبارك لواحد وعشرين خلت من شهر شعبان سنة ١٢٩٠ وكان مجلس الامتحان متشرفاً بمحضرة دولتو محمد توفيق باشا ولي العهد الخديوية المصرية وحضرة دولتو طوسون باشا نجل جتسكان سعيد باشا وسعادة مصطفى رياض باشا ناظر عموم المدارس وسعادة محمد راغب باشا مستشار المجلس الخصوصي وسعادة عبدالله باشا مستشار الداخلية وسعادة أبي بكر راتب باشا وسعادة عبد اللطيف باشا ناظر البحرية وجم غفير من حضرات العلماء الاعلام والذوات والتجار الفخام ورؤساء الملل الأجنبية من ذوي الاحترام وارباب الامتحان فأحسن الجواب والقول المستطاب واعترف له الحاضرون بمجودة العلم والتعليم وانه يستحق ان يسمى باسم الطيب والحكيم وفضلاً عن هذه الامتحانات المذكورة ان يمتحنه كل منا امتحانات اسبوعية وشهرية وكان يجيبه عن كل ما ألقىناه اليه من الاسئلة الأجوبة الجلية فائق الافندي المذكور العلوم الطبية كل الاتقان وكان أول اقترانه على حسب نمرة في كل امتحان وكان قدوة لخواصه التلامذة في تهذيب الأخلاق وحسن السلوك والاجتهاد والمواظبة على تحصيل العلوم المذكورة اعلاه وقرن العلم بالعمل واتقنه من خير خلل حيث كان مواظباً على الحضور معنا في معالجة الامراض والعطل على اختلاف انواعها في الاستباليه العمومية متلقياً بالرغبة والنشاط فوائد الدروس السريرية وعرباً ذلك بنفسه احياناً أمامنا وقد اجري اشهر عمليات الجراحة والرمد من استخراج حصاة وبر واستئصال اورام ظاهرة وباطنة وعمليات كثار كنا وحدقة صناعية وشجرة وتجبر كسور ورد خلوع وغير ذلك فبالعناية الربانية وبالمساعي الخيرية الخديوية قد صار الافندي المذكور طبيباً ماهراً وحكيماً أسياً يصبح الاعتماد عليه في كل رأي وعمل والرجوع اليه في كل مرض اشتكل جعله الله نافعا للأنام ومستنداً للخاص والعام ولذا حق علينا ان نشهد بفضلته ونقر بعمرفته وعلمه وان نجزيه بالعلم والتعليم والعمل والتحكيم فاجزه بالعلوم السابق

نشرها والفنون المتقدم ذكرها وكل ما يفعلهُ الأطباء الحكماء بحيث لا يمانهُ مانع ولا يعارضهُ اي معارض
كان بأي مكان أقام وبأي بلدة استقام وبناء على ذلك قد اعطيناه هذه الشهادة لتكون بيده سنداً مؤيداً
وشاهداً معضداً وحرر ذلك في مجلس اطباء القصر العيني الكائن في المحروسة .

رئيس الاسبتياليه والمدرسة الطيبة ومعلم الجراحة الكبرى والاكليتيك الجراحي محمد علي .

معلم امراض العين وعملياتها حين بك عوف

معلم الباتولوجيا الخاصة والتشريح المرضي والاكليتيك الباطني سالم بك سالم

معلم الكيمياء العضوية والجزء الثاني من علم الطبيعة يوسف بك جاستيل

معلم التشريح الخاص والعام حسن بك عبد الرحمن

معلم الفسيولوجيا وقانون الصحة عبد الرحمن بك هراوي

معلم المواليد الثلاث احمد بك ندى

معلم الولادة محمد بك عبد السميع

معلم المادة الطيبة وفن العلاج وامراض الجلود محمد افندي بدر

معلم العمليات الجراحية الكبرى محمد افندي فوزي

معلم الباتولوجيا العامة محمد أفندي قطاوي

معلم الجراحة العامة والتشريح الجراحي والجراحة الصغرى وفن التنصيب أحمد بك حمدي

معلم الكيمياء المعدنية وغير المعدنية والجزء الأول من علم الطبيعة صالح افندي علي

معلم أمراض النساء والاطفال مصطفى افندي أبي زيد

معلم الاقربازين علي افندي رياض

معلم أكليتيك الرمد محمد افندي بهجت

معلم الطب الشرعي وعلم السموم ابراهيم افندي حسن

معلم التشريح العملي محمد افندي دري

اشهد ان الافندي المذكور كان حسن السير والاخلاق . ضابط المدرسة الطبية ابرهم افندي شوقي ان شاكر افندي الخوري المذكور اعلاه كان في مدة اقامته في الاسيائية حريصاً على اسماف من كان يعالجه من المرضى بالاسيائية المذكورة وكان يؤدي وظيفة نوبتجي في غاية الاتقان .

ناظر عموم اسيتاليات صر وكيل نظارة اسيتاليات مصر
احمد بك كمال محمد افندي حافظ

شاكر افندي الخوري من أهالي بكاسين من أقلم جزين من جبل لبنان من بر الشام صار الحاقه بمدرسة الطب احدى المدارس الخصوصية بالديار المصرية في ٤ رمضان سنة ١٢٨٤ من العشرة الشوام الجاري تعليمهم العلوم الطبية من الاحسانات الخديوية ثم تم دروسه وتعلياته الطبية بظل الذات العلية الخديوية في ٢١ شعبان سنة ١٢٩٠ كما اتضح من نتائج امتحانه وكتب له هذه الشهادة من رئيس المدرسة الطبية وخوجاتها بأنه يستحق ان يكون طبيباً وحكيماً ويعتمد عليه بكل رأى وعمل ولا يمانعه مانع في أي عمل أقام ولأجل الاعتماد لزم التصديق من الديوان تحريراً في ١٤ رمضان سنة ١٢٩٠ .
مدير المدارس والأوقاف
رياض

نظرت هذه الشهادة الممهورة باختم حضرات خوجات المدرسة الطبية بمجلس عموم الصحة المصرية مصدقاً عليها من سعادة ناظر ديوان المدارس والأوقاف ولأجل اعتمادها بمحل اللزوم لزم الشرح منا .

في ١٧ رمضان سنة ١٢٩٠

رئيس مجلس عموم صحة مصرية
كلوتشي

(اسني على الماضي) من الامر العجيب تعلق الانسان بالأوهام فالحقيقة يزعمه وتكدره والان عندما اذكر تلك الايام اتأسف عليها وأطلب زجوعها مع اني في ذلك الوقت ما كنت أصدق ان اتخلص منها بسبب التعب والحكمم والذل ترى للانسان ثلاث حالات .

الماضي يتأسف عليه ولو كان أعس وقت صادفه وأحياناً يكون فيه فقيراً مع ذلك فانه يتكدر على زواله .

الحاضر يكرهه مع انه خير وقت وكفاه فضلاً ان الانسان لا يزال فيه حياً .

المستقبل يتأمل فيه مع أنه شر من الحاضر لأن فيه الموت ويمكن ان تمر فيه على الانسان كل المصائب ومع هذا كله ربما ندم الانسان على الماضي ولعله يكون مصيباً لأن ماضيه كان بحر الشبوبة او الولادة او الطيش او الجهل الذين لا يبالون بالمصائب ويكره الحاضر لأن كل احساس مكدر يحزنه يكون شاعراً به ويتأمل في المستقبل لأنه يعيش بالأمل والأمل اصل العبودية لأنه متى قطع الانسان أمله من شخص لا يعود يتم به وهذا مبدأ السياسة للخصوع وهو ان يحمل الحاكم كل انسان متأملاً فيه فاذا طلب منه امرأ لا يصده بل دائماً يطلعه بقوله تبصر تبصر وهذه الكلمة هي التي تجعله يصبر على المصعب .

ولنعد الى سياقنا الأول وكنا في بعض الأحيان نخرج ليلاً نسمع المنشدين في الأفراح ولذلك نذكر .

أفراح المصريين

لا يوجد شعب في الدنيا أكثر احساساً للصوت من المصريين اذا كان رجل ذاهباً بأمر مهم وسمع رجلاً يقضي فلا بد له من الوقوف ليسمع محط النعمة فاذا اعجبته يضرب عمته في الأرض ويصرخ آه آه والا يشتم اللعني جهاراً ويذهب ولقد كثرت عندهم المنشدون وكان لصاحب الصوت الحسن مقام عظيم ودخل أعظم فاللذين اشتهروا في زماننا من المنشدين في الحفلات الدينية هم محرم والشتوري واخيراً الشيخ يوسف الذي فاق الجميع ومن المغنين اولهم وريسهم عبده الحمولي الذي كان يقضي لنفسه وليس لغيره اعني انه كان يشعر بكل نعمة يقبلها ويظهرها احساس في حركات جسمه فكان يبيع السامع بهذه الحركات أكثر من الصوت أصله من طنطا والتي اشتهرت من العوالم هي السيدة المزايا الغنى لا يمكن لصوت بشري ان يكون الذ من صوتها .

وكان تحت الآلات مكون من الرق يحمله الرئيس المغني ثم العود الذي اشتهر فيه جداً محمد الليسي الذي بقي حياً لسنة ١٩٠٧ وكذلك القانون والمشهور فيه هو الكركجي والكنجة اشتهر فيها الجاهل والثاني الشيخ احمد وكان لكل تحت مطيب أي الذي كان واسطة بين أصحاب التخت والسامعين وبيج المحضر وكان يوجد ايضاً للتكون وهم أغترف من الغنا والذي اشتهر منهم رجل اسمه الصلحجي كان ينكت مع المز وخلافها وكان مضحكاً جداً .

والذي كان يسهل علينا السمع هو عادة مصر التي تسمح لأي كان ان يحضر الفرح سوا كان مدعواً ام لا وكان اذا حضر وقت الأكل يأكل فهذه عادة كريمة جميلة كانت تسمح لأي كان بالسمع ويستفيد منها الغريب أكثر .

ولولع حب الغنا كانت الفعلة التي تشتغل في بناء البيوت تجتمع سويتاً لأنهم كلهم من الأولاد ذكور واناث وتترل وتتعبد بالغنا يتخون ابنة ذات صوت جميل وتشد امامهم وهم يردون عليها بحيث الذي

كان بجانبه ورشة كان ينشر جداً وهذه الطريقة كانوا يخفون اتعابهم وينسون حر النهار وعرقه وقد كانت عادة حسنة واليوم بكل أسف قد أبطلت .

(شم النسيم) ومن جملة مواسم مصر هذا النهار الذي يكون عبارة عن التاروز عند الفرس وهكذا لكل بلاد كائن الراهب في بيروت فتخرج جميع الأهالي مع عيالها الى البرية ويمضون النهار بالافراح والأكل وهكذا امور .

وكذلك قطع الخليج الذي هو عادة قديمة فيه يزنون مركباً يسمونه عروسة النيل عوض العادة القديمة التي كانوا يرمون في النيل ابنة تقدمه له ليجود بالفيضان عادة وثنية ابطها الاسلام فهو يوم هرج ومرج وزينة والعباب تمر العروس عند العصر ويقضون الليل بالأعمال التي ذكرناها وكان يجوارنا مدرسة الولادة وحيث لم نطل على النيل كانت تأتي التلميذات لمدرستنا ويشغلن الطابق العلوي ونبقى نحن في الطابق السفلي وكنت اعرف منهن تلميذة احسن وكانت صداقة بيننا وقد نظمت في ذلك اليوم لها الايات الآتية وكان بيدي مرآة كنت أنظر وجهها فيها :

وماءه بعد صفو صار في كدير	مالي أرى النيل في ذا اليوم مضطرباً
والشمس في خجسل والنار في هدير	والسفن في هرب فيه وفي مرج
منهم على سكنٍ مهم على سفير	والقلب في شغف والناس في فرح
تلك الشواطي بلاهم ولا ضجير	يأتون من كل فج يسجدون على
ويهب فر ناهيك من فر	الى النجوم التي من فوقهم جلست
فوقي ولاح بمراني الى نظري	أبصرت صورته من كان في فت
يلقه دائماً من أسود الحير	محجب برداء اصفر ملس
ونفره يزدرى ان لاح بالصدر	ابدي جيناً صبحاً خلت ملكاً
قلب الشجي بلا قوس ولا وتر	له سهام عيون كم يعيب بها
وأصفر وجهي ورشدي ضاع مع فكري	لما رأيت فؤادي صار في شغف
ومن اراها امامي ابسعد الخور	ايقتني في بدار الخلد متقل

الشحاذون او السوالون في مصر

كان السوالون في مصر يلقون للمارين ويزعجونهم بمطالبهم حتى وصلت بهم القحمة ان يقدموا استدعاء الى الخديوي اساعيل وهو مار بعرفته للترهه فصدر امره وقتئذ بالقبض على كل شحاذ وارسالة الى المستشفى ليخصه الاطباء فكان يرسل السلام منهم الى العسكرية والعاجز الى دار العجزة وفي ذات يوم بينا كنت نوبتياً في المستشفى اذ حضر جمهور غفير مصحوباً بالجند ومعهم أمر من المحافظة فأرسلت خيراً

الرئيس فحضر سريعاً فوجد هذا الجمهور البالغ نحو ثلاثمائة شخص فأمر حيثذ بخلع ثيابهم والبسوهم ثياب المستشفى فصموا ويدأوا يصرخون طالبين ابقاء ثيابهم عليهم وصارت العساكر تصرعهم حتى تمكنوا من تقليمهم ثيابهم وبعد ما وضعوا الثياب اكدياساً امر الرئيس ان تجمع هذه الثياب وعندما اراد احد الخدم ان يرفع ثوباً من الأرض وجده ثقيلاً ووقعت يده على شيء مستدير فجسه واذا فيه دراهم واخبر الرئيس بذلك فأمر بتفتيش ملابسهم فوجدوا فيها مبلغاً من الدراهم بين طيات الثياب غاطاً عليها وقد بلغ مجموعها نحو ثلاثة الاف ليرة استولت عليها الحكومة فهذا بعض فعل الشحاذين ايضاً وهو عندما كنا نمر في شارع الموسكي كنا نرى رجلاً مصاباً بفتاق او بقلبة مائة او بمرض القليل لابساً سروالاً كبيراً يمشي متاهلاً متبائلاً لكل الجهات لتقل الورم الذي بين فخذيهِ وكانت الناس تحسن اليه لأجل عاهته ففي أحد الأيام بينا هو سائر غير متبته صدمته عربة الفتة في الأرض غير انها لم تؤذهِ وعندما انطرح بالأرض اسرع الناس من كل جهة ليرضوه عن الأرض ولكنه أبى القيام واخيراً حضر البوليس وانفضه رغباً عنه وعند نهوضه تساقطت الليرات الصفراء من ارجل سرواله وزال الورم بالكلية لأنه لم يكن سوى دراهم التي بلغت نحو ثلاثمائة ليرا وكان الناس يرونه بهذه الصفة فيحسبونه مريضاً وهذا من بعض حيل المستولين ايضاً فأعمال كهذه ترفع الشفقة من القلوب وعلى المومم كل من يشهد جهازاً لا يكون محتاجاً ولا تجوز عليه الحسنة وأما الفقير المسطور هو المستحق كل شفقة فالشفقة تكون على من يستحي وبالعكس .

بطركخانة الموارنة في مصر ورئيسها القس جبرائيل

كنا نزور البطركخانة عندما نكون مفلسين وفي خلاف حالة كنا نذهب للقهاوي وكان القس جبرائيل صفيـر بشوش الوجه وقد حضر سنة ١٨٦٨ وكان جميل الصورة وهذا نادر عند الرهبان وعمل اعمالاً عظيمة فانه بنى كنيسة درب الجنينة ثم عمل كنيسة وكروسي في شبرا وكنيسة اخرى في الزقازيق واخيراً اخذ عملاً في الخرطوم بمجاناً وكان مراده يعمل فيه كرسياً وكنيسة وكان يستحق ان يسمى مطراناً على مصر وعندما علم ان غيره اخذ هذه الوظيفة تأثر وربما هذا سبب موته في الخرطوم في ٣٠ ك ٢ سنة ١٩٠٥ .

وعندما كنت في المدرسة كنت ازوره وقد قال لي يوماً يزعمون انك شاعر فأنظم لنا شيئاً فقلت :

يـا سائلي عن جنـة في أرضنا	هل لي الى ذاك اللقـام سيـلٌ
ان شئت رويتها فخرج يـا كـراً	وأقصد حمى دير بـه التبجيلُ
وأمر على درب الجنينة واستمع	نفات تسيح الالهـ تطلوـ
فهنالك جنـة أرضنا موجودة	فيمـا ملائكة الاله تـجـلُ
و بها يقيمون الصلاة لربهم	ورئيسهم وأمامهم جبريلُ

فضحك عند ذلك وقال ان هذا الشر ريك ويزم ان تنظم لنا أحسن منه فقلت له غيره حالاً قال
أفعل فارتجلت :

ان كــــــان شعري في المديح خسياً فــــاعــــذر لأني مــــادح قسياً
فأغرب من الضحك وقلت له هل أكمل قصيدتي أجاب كفاني هذا القدر .

(نكتة اخرى معه) عندما نظرت في بيروت وزرته وكان عنده الخوري يوسف العلم فقلت الى الخوري
يوسف ان هذا الرئيس هو رجل فاضل عمل كذا وكذا من الأعمال الحسنة في مصر ولذلك اعرفك به
فأجاب القس جبرائيل الذي يمزح معي أحياناً وقال يا ابونا اعرفك باشطن واحد عرفت لا يخلل احداً من
شر لسانه فالتفت حيثنر الى الخوري يوسف وقلت له الصحيح يا ابونا انتا كذابون لا تصدق أحد .

وكان مع القس جبرائيل قس اخر اسمه مكاريوس عجنتوني وكان جليلاً بسيط القلب يزورني بعدما
خرجت من المدرسة .

في أحد الايام اتاني زائراً وكان الوقت بعد الظهر والحر شديد فتمجبت من مجيئه في ذلك الوقت
وسألته السبب فأجاب انه كان يدفن ميتاً من طائفة الأرمن الكاثوليك وانه مر على متري ليزورني فسألته
مازحاً عن الأجرة التي قبضها أجاب انها ليرة فرناوية فقلت له هذا قدر عظيم فأجاب ببساطة بلغة
الطليعية (هذا يصلح له) يموت وليس هو نظير النور الذين يموتون ولا يخلفون شيئاً للقيس .

وكان نظراً لحبه لي يلج علي بالزواج وكنت أرفض طلبه ميتاً له ان ليس هذا وقته لأنني كنت خارجاً
حديثاً من المدرسة ولست معداً ذاتي له ان كان مالياً او اديباً ولا اعتمد على مستقبل حسن فأجابني انني
أدبر لك ابنة تغنيك عن الدراهم الان قلت له ماذا يكون مقامي عندها اذا كنت محتاجاً لها لأن المرأة لا
تحب زوجها ما لم تكن تعتبره وهي محتاجة اليه وتكون بالعكس اذا احتاجها لانها لا تنتظر ذلك منه قال
ان الابنة التي اعرضها عليك لا تفكر هكذا افكار فقلت لربما تكون في المستقبل مالكة مسلماً غير حسن
فتعني فعدت لأجاب ببساطته المعروفة ان لم توافقك في المستقبل تبقى في كيسي كأنه ظن المرأة فرساً
يعرضها للشراء فأجبت وانا يا ابونا خائف من كيسك .

وكان في الدير قس اخر اسمه اقليموس احرز شهرة عظيمة في طرد الشياطين وقد كنت في أحد الايام
موجوداً بالبطركخانة واذ سمعت بفتة صراخاً قوياً في الكنيسة فترلت ووجدت الاب اقليموس ماسكاً
حذاه وفي لفته مداسه وهو الأصح لأنه اتى من الدوس بيده ويضرب به رأس جارية سوداء ويقول
انخرج منها يا ملعون فما كنت اعرف من أين اتت عادة ضرب المداس لخروج الشياطين فالسبح والرسول

كانوا يخرجونهم بالصلاة والامر وهذه العادة جديدة يفتكرون فيها كسركبرياء الشيطان اذا ضرب بالمداس فيتحقق حيثذ ويخرج فيكون الشيطان بهذه الطريقة شريف النفس أحسن كثيراً من جملة بشر يأكلون ضرب المداس ويقولون ضربك شرف (يا سيدي) ثم يترجح ويصلي ويرجع الى العمل ذاته وله جلد عظيم لاجراء هذا العمل فعندما رأي تيسم فقلت له ارجوك ان تخرج الشيطان من هذه الفتاة وتأمره ان يدخل في قال هذا لا استطيعه لان فيك شيطان أكبر منه ، وكنت متعجباً من جلد الأب اقليموس فخطر بباله قصة تروي عن أحد المقسمين .

قيل انهم احضروا احد المجانين الى راهب ليقسم عليه وكان هذا بليداً نظير القس اقليموس فأمره بالركوع وأخذ كتاب الانجيل ووضعه على رأسه وابتداء يقول ب . س . م . ب . س . م . ا . ل . ا . ب . ب . الاب فقال له الشيطان ماذا تريد ان تعمل قال له مرادي ان اتلو عليك كل الانجيل بهذه الصفة فقال له الشيطان ها انا خارج ولكن خروجي ليس لقداستك بل لبلادتك . ما أظرف هذا الشيطان وأطفه فانه احسن من اناس كثيرين اذا جلسوا عندك يعطلونك عن اشغالك ولو قرأت الانجيل والتوراة تهجية لا ينصرفون عنك . فالأب اقليموس كان يستعمل هذه الطريقة الاخيرة أكثر من الاول وكان يعتقد بذاته ان الشياطين يطيعونه لأنه كان يصوم صوماً طويلاً وكان كثيراً ما تهجم عليه المجانون وتضربه وقد كادوا مرة يخنقونه واخيراً توفي فمسي ان لا يكون في مكان تأخذ الشياطين منه ثأرها .

قصة بشارة مع الرئيس محمد علي البقلي

ففي أحد الايام بينا كنا في درس محمد علي واذا بشهيق حمير اسكت المعلم عن الشرح فكلف احدنا بشاره ان ينظر هذه المسألة فخرج ورجع وعندما سأله المعلم عن ذلك أجابه ان سعادة حمارك عندما رأى دابة مصطفي افندي ابتدى بالتهيق فعند ذلك نظر الي الرئيس وقال يا شاكر هل تمنحون الرب والالاقاب في بلادكم الى حميركم فاجبته نعم يا سيدي ولذلك سميتاه بشاره افندي فضحك الرئيس وانسر من هذا الجواب .

اعتباري الرياضة

باعتبار الرياضة نجاح الهية قيل لا تسكن بلاداً لا تعتبر رئيسها لانها تكون فالتة بدون نظام ومها كانت حال الرئيس يلزم له الاحكام والاعتبار لان من علا ورفعت الهية الاجتماعية هوكل شيء فالصورة التي يصورها الرسام يرميها في الأرض واحياناً يصبغ عليها لأجل صناعتها ويكون لها كل شيء وعندما يرفضها فوق المذبح ترى ان مصورها ذاته يسجد امامها ويصلي لها ولا يمكنه مسها لأن الهية الاجتماعية رفضها وتكرمها فالحالة هذه ان الرئيس هوكل شيء لانه حامل النظام والقانون النافع للهية فعل هذا المبدأ

كنت اسير وأكرم جميع اساتذتي أدق السير على موجب النظام اذ تيقنت ان خروجي عنه يخرج باقي التلامذة وهذا الامر ربما أضرهم فلا احب ان اعلمهم العصيان وكنت افكر انني اذا خالفت النظام ولم يسألني عن عملي احد اعتاد على عقالته حتى اذا شاء صاحب النظام مقاصصني على ذنبي كان قصاصه بحق وان عفى عنه كان عفوه كرماء منه وذلك لي وبأي حالة كانت ليرتاح الانسان في معيشته ويحافظ على شرفه وراحة ضميره يجب عليه ان لا يجحد ابداً عن القانون والنظام وحيث يرى الانسان نفسه حراً ليس مذلولاً بذنوب او مخالفة فهذه هي الحرية وليس بالخروج عن القوانين لان عقل كل واحد لا يشبه الآخر فيس كل واحد قانوناً لنفسه فتخرب الهيئة فلذلك لزم ان يتبع القانون العمومي لبلد الذي ترتب حسب احتياج السكان وعوايدهم ومناخ بلادهم وبالاختصار لا توجد راحة الا بطاعة القوانين والرؤساء ولا يلزم ان تلومهم اذا نظرت منهم عملاً تظنه خارجاً عن دائرة العدل بحسب فكرك ربما فعلوا ذلك لغاية نافعة لا تدركها لأنك لست من ارباب السياسة لتعرف او تدرك اسرارها فلو لمك هذا كلومك طبيب جراح يتناصل ورمماً مضرراً بجياة مريضه فلا تفكر في العمل الا بالذي تشاهده اي صراخ المريض وسيلان الدم ولكن متى عرفت الغاية التي لأجلها اجري الجراح هذه العملية تشكره وحبذا عن بعض عمليات سياسية لا شك يكون فيها نفع العموم ولو ضرت بالافراد ويلزم للحاكم ان يراعي في بعض الظروف أهمية الشخص وقد حدث ان احد شركاء نسيب بك جناب ادعى على ارض بيد نسيب بك انها له وكان ذلك زوراً فقتب الشريك على القاضي بكونه حكم لنسيب بك فقلت له لو كنت انت القاضي وحضرت دعوى بين نسيب بك وشريك له خصوصاً انها كذب الى من تحكم ضحك وسكت علامة الاقتاع .

وكان لي رفيق اسمه مصطفى شكري وهو الوحيد الذي كان يطلع على شعري ومعظم نظمي كان يكلفني به وهذا الذي كان يجعلني أنظم واتعب بالنظم لأجل ان اسره وكنت التذ عندما اراه ينشطني ويطلب مني شعراً اذ لا شيء أقوى للشاعر من استحسان سامعه لقوله واعظم شعراء الدنيا كان سبب حبيم القاطع تشييطهم خصوصاً اذا كان للنساء ضلع به ولكن والسفاه اين نجد تلك النساء العالقات اللواتي ينشطن العلم والعلماء فاذا فحصت ترى اعظم عالم كانت تنشطه النساء فائساء الفاضلات وجدن منشطات في كل الفنون والفضائل كالشجاعة وخلافها ولكن لعب القمار لم يبق واحدة لذلك لأنه يحط العقل والفكر الى أدنى من الحيوانات وكنت في ذلك العمر وتلك الظروف شديد المحوس بهذه الاشعار ومن التي قلتها في ذلك الحين هذه القصيدة :

أضنت فؤادي من زيادة هجرها
وشكايي منها غدت من شكرها
واتت تعود عليا في اسرها
عبد الصغير فكبرته بكبرها
فشقى فؤادي ليتيه من عمرها

روحي فدا من لا ابيع باسمها
فشكوت طول بهادها ودلاها
لما رأيت سقمي بكت من شفقة
لم انسها لما اتت في عيدها
سمع الزمان بليلة من عمره

فيها ظلام قد كست أثوابه كبد السما في حين غيبة بدرها
ناديتها يا مني ومني في ليلة شهدت برقة قدرها
فتبسمت ورأت من تبسمها ثوب الظلام ممزقاً من نفرها
فخشيت من واث يرى ما بيننا فرقتهم حالاً بظلمة شعرها

وقد نظمت قصيدة أخرى عندما سافرت إحدى معارفنا بالسكة الحديدية الى المنصورة منها هذه
الآيات :

لما مشى الفسبور وهي بقلبه وبقلبي النيران عز مثيله
سكبت دموعي حسرة وصبابة في مصر حتى فاض منها نيلها
فحكى نواحي والبكاء هديره وصغيره للروح كان عويلها
أخذوا مياه بخاره من ادعني واعرهم نزار الفؤاد تحيلها

أما الدهر فتبسمته القدر فلا يني لذة ولا راحة لأحد ولقد أصيبت تلك المسكينة بالسل قبل زواجها
وكان حزن خطيها عليها عظيماً لأنها كانت محبوبة من الجميع نظراً لذكائها وصرانها وفطنتها وهذه على
الغالب صفات الملولين .

رفاقي الشوام

وكان الحسد زائلاً بين رفاقي الشوام كمادتنا في كل محل نوجد فيه ولذلك نرى أنه إذا تقدم رجل
على رفاقه يكثر من بغضه ويعملون كل شيء لاسقاطه خصوصاً لأننا كنا نختلط مع بعضنا وقد قيل
الاختلاط سبب الاختلاف لأن قد تباعد الأفكار وتولد الحسد ومتى رفع التكليف حصل الاختلاف
فن رفع التكليف تكلم كل شيء ولربما ان الكلام الذي يسر صاحبك اليوم لا يضحكه غداً اذ ربما كان
في ظروف لا تسره لذلك يجب على الانسان مراعاة ظروف الحال مع صديقه كي لا يزعجه ولا يطلق
لذاته الحرية التامة لأنها تمنع الاعتبار ومتى قل الاعتبار كثر الكلام وهذا الامر يتم بين الشخصين مها
كانا متفقين ومن شروط الاتفاق أن يكون الواحد خاضعاً للآخر ولكن متى كان كل منهما متراً ومديراً
فسد الصلاح المرغوب وكنا في المدرسة من طوائف مختلفة والحسد مشد بيننا وصدف في ذلك الزمن ان
قسماً كبيراً كان من غير طائفة ومن بلاد أخرى وكنت رئيساً لحزب ثان أقل عدداً وكان الحسد متبيحاً علي
أكثر لأنني كنت أكثرهم علماً وتقدماً وهذا هو السبب الوحيد لتوجيه حسدهم الي لأن الرجل مها كان
عاقلاً لا بد ان يكون عرضت للحق من أدنى الاسباب فيكون كالأولاد وكنا في المدرسة نختمص مع
بعضنا ولو بلا داع موجب كذلك الانسان يصغر عقله في بيته وقرية فتري انه اذا حدث حادث في قرية

اخرى واهم اهلها بذلك تضحك منه لصغره ولكن اذا جرى هذا الحادث نفسه في بلدك تهتم به ذات الاهتمام وهذا ما يقال عن بيت الانسان وقد نظمت في هذا المعنى شعر :

يزداد عـقـل الفـتى جـوهراً في خـارج البيت وفي غـربـتـه
وينقص العـقـل بـلا شـيء في داخـل البيت وفي بـلـدـتـه

ان انقسام بلادنا وأهلها الى طوائف مختلفة هو سبب خصامهم المستمر وحدهم بعضهم وقد كانت التلامذة العشرة الشوام يومتلئ من طوائف متعددة وكل منا يذهب وقت العطلة الى بطركخاته وكان وكيلها يقول لجماعته لا تدعوا رفاقكم الشوام خيراً منكم وهكذا يوجه افكار التلميذ للحسد من قريبه بحيث انه كان اذا تقدم عليه المصري لا يتأثر من شيء ولكن اذا فاقه رفيقه الشامي يموت غيظاً ولا يكتم غيظه بل يعمل اسباباً تدعو للعراك والخصام فقلنا كمثل رجل صاعد سلماً ورفيقه بعده فاذا كان سوريا فترى الذي أسفل يشد برجل الذي اعلا ليسقطه واذا كان افريقيياً ترى الاعلى يمد يده للأسفل ويرفعه او يعينه على الصعود وهذا سبب تأخرنا وتقدمهم كفانا قصاصاً ما نحن فيه من الانحطاط عنهم .

(غرق المدرسة) انه في سنة ١٨٦٩ في شهر آب زاد النيل زيادة هائلة وأخذ الماء بالارتفاع الى المدرسة من نوافذ غرفها الغربية التي تعلو عن ترعة النيل كثيراً فصعدنا الى الطابق العلوي وعندما كنا نريد الخروج من المدرسة كانت تأتي الزوارق الى دار المدرسة فتزل من الدرج الى الزورق وكنا في شهر شعبان الذي نستعد به للفحص الذي اخرناه تلك السنة خمسة عشر يوماً لكي يحضره علماء اتوا من اوروبا لأجل تدشين فتح ترعة سويس وقد جرى فحصنا يومتلئ أمام جماعة من اطباء أوروبا ووزير المعارف في فرنسا وكانت هذه سنتا المدرسة .

فتح ترعة السويس

طالما اشغلت هذه المسألة افكار المصريين وحكام مصر منذ نشأتها فقد ذكر التاريخ ان جملة من الفراعنة جربوا فتح هذه التربة ولم ينجحوا ولكن لكل زمن رجال ولكل دولة اقبال ولكل فلاح وسائل وظروف ولنا بحاجة لذكر تاريخ هذه التجارب لان التاريخ ذكرها قبلنا غير اننا نذكر مسألة واحدة وهي الصعوبة التي كانوا يصورونها بفتح هذه التربة اذ كانوا يزعمون ان البحر الأحمر اعلى من البحر المتوسط ويخشون من اتصال مياه هذين البحرين ان تفرق مصر من جهة البحر للتوسط وبقي شرف فتح هذه التربة الى زمن الخديوي سعيد باشا الذي ساعد في اجرائها وقد تولى عملها فرديناند ديليبس المهندس الفرنسي العظيم وبدأ الشغل من جهة البحر المتوسط وهناك بنوا مدينة دعيت بورت سعيد نيمناً باسم سعيد باشا .

ولم يسعد الزمان سعيد باشا لاتمامها بل بقي المجد محفوظاً الى اسماعيل باشا الذي دعيت باسمه مدينة اخرى مبنية في منتصف مسافة التربة وعندما كانوا يبنون هذه المدينة وجدوا بالقرب منها مدينة قديمة اسمها رعمسيس وهي التي ورد ذكرها في التوراة وان بني اسرائيل كانوا يشتغلونها وهي من أرض جسان .

واذا لاحظت الاعمال العظيمة التي جرت على وجه الأرض تراها محصورة في بلاد العبودية اذ لولا القوة لما ظهرت تلك الاعمال الجسام فالاهرام وترعة السويس لا يمكن وجودها بغير مصر وقد كان يستحيل نجاح فتح هذه التربة التي كان مهنتها دليس الشهير رغمًا عن معارفه السامية وعلومه العالية لولا مساعدة اسماعيل باشا المخدوي له فانه ضيق على الفعلة وقبض عليهم بيد من حديد للحضور الى الشغل كما كايوس في بناء الاهرام .

فمن اراد ان ينظر فعلة الاهرام فلينظر الى المراكب التي كانت تأتي بهم من كل نواحي مصر وصعيدا آتين في النيل على سقالة واقفين كالاغنام بحيث لم يكن يوجد عمل كافٍ ليجلس فيه الرجل والفرق بين باني الاهرام وقاتح ترعة السويس عظيم لأن الاهرام عملت لشخص واضعها واما قاتح ترعة السويس فابقاها للعالم اجمع وقد كلفت نصف ما كلف بناء هرم واحد فكلفت التربة مايتي مليون فرنك مع ان هرم كايوس حسب هرودوتس المؤرخ كانت تشغل يومياً مائة الف فاعل مدة خمسين سنة قدر بكم الفاعل مها قدرت ترى التربة نصف اكلاف ولهذا فان ذكر اسماعيل باشا سيقى غلداً وقد اهتم اهتماماً عظيماً ليجعل يوم تشدين هذه التربة لا مثيل له وله يذكر التاريخ مثله وكانت العملة لقيض اجرها من الكومبانية بكل تدقيق ومن اراد الاطلاع على اشغال هذه القناة عليه بكتاب موريس فوتان الذي هو مستوفى شرح ورسومات اشغال القناة لو رسموا باني الاهرام لما حصل فرق البتة في لبسهم وهيئتهم .

(المدعون لتدشين التربة) اولاً : الامبراطورة أوجني زوجة نابوليون الثالث التي استقبلناها في محطة سكة الحديد ونزلت في سرايا الحيزة وعملوا لها زينة ثلاثة ايام وقبل يوم التدشين ذهبت الى سرايا الاسماعيلية مع المدعين .

ثانياً : الامبراطور فرانسوا جوزيف امبراطور النمسا والمجر وهو الوحيد الباقي مثل امبراطور من تلك الحفلة واليوم يويله ١٩٠٨ ،

ثالثاً : فيكتور عمانوئيل ملك ايطاليا وجد الملك عمانوئيل الثاني الحالي .

رابعاً : ولي عهد انكلترا الذي هو اليوم ادوار السابع ملكها .

خامساً : ولي عهد روسيا اسكندر الثاني والد الامبراطور نقولا الثاني الحالي .

سادساً : فريدريك ولي عهد ألمانيا ووالد الامبراطور غليوم الثاني الحالي .

سابعاً : معظم اشراف وعلماء اوربا خصوصاً من فرنساويين وكانت جميع مصاريفهم من حين خروجهم من بيتهم الى حين رجوعهم اليها على حساب الخديوي حيث كان يمكن ان تفتح بهذا المصروف ترعة اخرى .

وقد شاهدت جميع هؤلاء المدعويين من ملوك وخلافهم الذين كان استقبالهم عظيماً وخصوصاً شاهدهته في الاوربا التي عملها الخديوي اسماعيل وكلفت ٣٥ الف ليرة مع لبسها ومشخصها التي كانت تأخذ الاولى منها الف ليرة شهرياً وشخصوا فيها اول مرة رواية عايدة التي تشخص زمن الفراغة وكانت بالاطليانية وكانت ليلة لم بعدها الدهر خلدت ذكر اسماعيل باشا صاحب الدعوة وقد زارت الامبراطورة مدة اقامتها في مصر شجرة العذراء وهي شجرة جميز يقول التقليد ان تحت هذه الشجرة استراحت العايلة المقدسة حين مجيئها لمصر وتوجد في المطرية المسماة قديماً اون الشمالية أقدم من مفس وان العرب بنها وسحقها اليونان هليوبوليس أي مدينة الشمس وفي سنة ١٩٠٦ سقطت هذه الشجرة ومن المطرية توجهت الامبراطورة الى جبل الجبوشي لأجل رؤية الغابة المتحجرة راكية حاراً وقبل اليوم المعين للتدشين ذهبت الى الاسماعيلية .

(الاسماعيلية) بني اسماعيل باشا سرايا مخصوصة لأجل يوم التدشين فكان فيها بالو تلك الليلة وبعد فطور الظهر نزلت الامبراطورة أوجيني في وابورها وسارت بالترعة متقدمة الجميع وبتبعها الملوك في وابوراتهم ومن هناك ذهب كل واحد الى مملكته وكان تاريخ التدشين في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٨٦٩ وفي اليوم الحادي والعشرين من الشهر ذاته بدأت الشركة بوضع الرسم عن كل راكب وكل طن عشر فرنكات .

وكانت هذه الحفلة آخر سعادة الامبراطورة اوجيني لاسها بينما كانت منهمكة بالافراح اتاها تفراف من زوجها الامبراطور نابوليون الثالث يطلب به سرعة عودها الى فرنسا وتقتل بدأت التجهيزات الحربية بين فرنسا وبروسيا ولا يخفى ما حدث لهذه الامبراطورة من المصائب بعدئذ أهمها زولها عن العرش بعد انكسار فرنسا وموت زوجها في بلاد غربية وانحيراً قتل ولدها الوحيد في حرب الزولوس وما قاست في عينها من الامراض بسبب الاحزان والاكدار التي تكبدتها وهي ليست متفية من فرنسا بل يمكنها السكن فيها وقد بلغنا عند كتابتنا هذه الاسطر أي سنة ١٩٠٥ انها حضرت لمصر في طريق بورسعيد وساحت في النيل فعجباً لجرأتها وقساوة قلبها الذي اطاعها على رؤية هذه المحلات التي كانت فيها منذ ٣٥ سنة كأفاه نازلة من السماء وصرت افكر في حالها اليوم التي آلت اليها وكل ذلك يعلمنا ما للدهر من الغدر .

امراضى في مصر

في أول المدة التي دخلت بها الى المدرسة أصبت بالدوسنتاريا وهي مرضي المعتاد في عينطورة وبيروت وكان لي طقم افرنجي من الكتان ألبسه مدة الصيف غير اني كلما كنت ارتديه أصاب بهذا المرض فلا حظت ذلك وجربته مراراً فاخيراً اعتقدت في البنتلون عفريت يحرك هذا الداء وبعد ما تقدمت في الطب ووصلت الى درس هذا المرض عرفت ان الرطوبة اعظم اسبابه وعلمت ان البنتلون الكتاني يسبب لي رطوبة كانت داعية لهذا المرض فتحققت من ذلك ان العلم ومعرفة الحقيقة تزيلان الوهم لأن كل شيء نجعله ولا نعرف نوايسه الطليعية ننسبه الى العفاريث او المردة او لقوة غريبة فائقة الوصف فانه كان حسناً نقول ان ذلك من صلاحنا وان كان مضراً نزع من الشيطان مع انه يكون بريئاً منه كما حصل للراهب الذي كان يشوي بيضا على الشمعة في يوم صوم فعرف به الرئيس وسأله عن عمله فأجاب ان الشيطان جربني فقفز الشيطان من الزاوية وصرخ بوجه الرئيس قاتلاً وحياتك يا رئيس ان علمي وفكري دون مهارة هذا الالب .

وكان هذا المرض المتسلط عليّ منذ الصغر قصير المدة اشقى منه حالاً اما المرض الذي اتعني وطالت مدته فهو :

الالتهاب البلوراوي

اشكر الله اذا اعتراني هذا المرض قبل ان درسته اذ لو كنت اصبت به وانا طبيب وعارف اعراضه لكان زاد علي علمي مرضاً آخر اقوى منه وهو مرض الفكر الذي هو أصل الامراض او علة شفاؤها واسباب هذا المرض هو دخولني لحمام للمدرسة اذ هناك حمام يستحم فيه التلاميذ متى ارادوا في احد الايام وهو اليوم الثاني لعيد الاضحى دخلت الحمام وفي الغد ذهبنا لحضور الانشاد ومشاهدة الاجتماعات فقفضنا النهار سيراً على الاقدام وبعد رجوعي للمدرسة عند المساء اشعرت بتعب وقشعريرة ووجع في جانبي اليسر الزمني لعدم الخروج من المدرسة وبعد مدة اخبرت مطلبي حسن افندي عبد الرحمن بحالي وكان مدرس اكليتيك الامراض الباطنة الملكية ومعلم التشريح وكنت يومئذ في سنتي الثالثة فبعد فحصي وجد معي انسكاباً في البلورا وكانت حبيته جمجمة الآلام عند المسحيين فقيت في المستشفى مدة عشرين يوماً وكان يستعمل لي حراريق ودهان مركب من :

صبغة اليود ٤ كرامات ، صبغة الارنيكا كرامين دهان كل يوم مرة .
ثم حبوب من سلفات الكينا ١٥ حبة ، ديجيتالا ٤ حبات ، بصل المتصل ، ٤ تريدياس ٤ ، زيت
خلو حبتين تعمل عشر حبات يأخذ منها كل يوم خمسة .

وبعد عشرين يوماً من هذه المعالجة امتص المائل واختبرني الطبيب انه يمكنني الخروج من المستشفى وكنت في مدة وجودي فيه اتعزى نهاراً بزيارة رفاقي وفي الليل افكر بغربي وبالحالة التي يصير اليها والذي الذي كنت احبه ومحبي جداً لو اصابني سوء ولكن فكر الموت لم يكن يخطر لي ببال لأنني لم اكن اشعر بوجع ولا حمى وكنت اجهل اعراض المرض ولكي انسى احزائي واسلي ذاتي كنت أنظم الاشعار والشعر الذي تسلط على افكاري هو الشعر المناسب لحالي لان الغريب لا يعرف قيمة وطنه ما لم يصبه داء الافلاس او المرض وقد نظمت القصيدة الآتي :

فليس ذنب لأمي لا ولا لأبي
من لا يهون عليه ان يموت صبي
افنوا حياتهم بالصوم والتعب
بأن اخفف عنهم وطأة الذنب
لا شك رحمتكم أقوى من الطلب
بموتهم وهو بين الأرض والسحب
لأجله مات ذاك الأبن في الكرب
بأنك الله باري المرء من ترب
ما من عيب ولا زل وهو غيبي
فمن يسمع ان غلبت بالأدب
ويا رحومي ويا عوني ويا اربي
مؤملاً عفوكم عن كل مرتكب
ذا الكأس ابعده عني رحمة يا ابي
واجعل لها راحة من بعد ذا التعب
ما القصد مني فخبرني عن السبب
أفضل الوطن المحبوب مع صحبي
لأن ما جئت ذنباً موجياً لحيي
لأن ما قلت تسيحاً ولم اجب
في البحث عنكم وأنتم ما ورا المحجب
ييدي بآيات شخص دير متب
يفيدني اليوم من أهلي ومن صحبي
هي الوحيدة في نثلي من الكرب
فأنت ربي وحبي انت مكسبي

ان كان يا رب ذنبي موجياً اجلي
رققاً بحالها وأرحم لاجلها
أذكر فضائل اجدادي الألى سلفوا
رققاً بحالة اخوانهم أمل
ان كان كلهم في ذنبي اشتركوا
اذكر عنا من فدائي واشترى بشراً
حاشا لوالد ابن ان يميت قتي
لولا السماح لما ابقت عن رقعة
ما من الله والا العفو شيمته
ان كان ربي لم يغفر مخالفتي
فيا الهي ويا زخري ويا أملي
اغفر لمن قد اتاكم ثائباً وبكم
وقائلاً مثل يسوع تشاكوما
ان كان لا بد من موثي فروحي خذ
ان كنت اوجدتني يا رب من عدم
ان كنت في جنة علفني فأنسا
ان كنت اوجدتني للنار متخياً
ان كان قصدك تسيحي لكم فأنسا
لان عمري مضى في المدرس مجتهداً
لا العلم قد فادني عنكم ولا بشر
واذ غلبت مريضاً لم أجد احداً
ايقنت ان يبدأ أقوى محببة
فلا تحب آمالي بكم ابداً

فهذه هي أفكار الغريب المريض وعندما يقال للمريض في عيادته افتقاد الله رحمة يظنون ان الله يفقد المريض بمرضه والحال عكس ذلك فان المريض يفقد الله لأنه بذلك الوقت يفكر فيه .

اخيراً بعد اقامتي عشرين يوماً في المستشفى طلبت رخصة لازل الى البلد واغبر الهواء مدة ثمانية ايام فسمحوا لي بها وبعد ثمانية ايام رجعت واريت ذاتي لاستاذي حسن افندي فقال لي ان الانكساب قد عاد فافكرت بان لا بد لي من طلب رخصة للذهاب الى بر الشام فأستأذنت من الرئيس وسمع لي بها وحرر الى ديوان المدارس وهذا خابر نظارة الداخلية فاذنت لي وسافرت وصلت الى بيروت ومنها لدير القمر ومضيت الفرصة في بكاسين التي مناخها سبب شفاي تماماً بدون أقل معالجة وكان ذلك سنة ١٨٧٠ وعندما كنت أزور والدي في بتدين ورد لنا خبر وفاة خالي حبيب بك ناصيف من جزين .

(اسرة ناصيف) استولت اسرة ناصيف في جزين من زمن مديد وأصلها من بلاد جبيل تفرقت في انحاء البلاد فقسم منها سكن جزين ومن نسله جدي والد والدني المسمى ناصيف الجزيري .

كان ناصيف المذكور حاكماً من قبل الامير بشير قاسم الشهابي على جبل الريحان وكان الامير يحبه جداً لأنه رافقه الى مصر مدة ذهابه الأول وبعد مغادرة الامير بشير من هذه البلاد توفي جدي سنة ١٨٤٢ عن ثلاثة زكور وخمس اناث فالاناث هن حبوبة زوجة خليل طرابلسي ووالدني نور ومريم زوجة طنوس كرم من جزين ونجمه زوجة الدكتور غالب البعلبيني وهذا زوجة الشيخ زيدان قرام البستاني واما المذكور فهم حبيب بك ناصيف ويوسف بك ناصيف والشيخ أمين ناصيف .

(حبيب بك ناصيف) هو رجل الاقليم الكريم المضياف وكان الاقليم تقريباً بيده لأن المتصرف كان يكلفه قضاء بعض اشغال عمومية وهو الذي انتخب مشايخ الاقليم عند ابتداء سن النظام في جبل لبنان وولد له ولدان ذكران احدهما اسمه فرحات والثاني سليم الذي توفي عزباً وبنات رحيل زوجة عبده ابو زخم وحواء المشهورة بالذكاء واللطف تزوجت عبدالله الخوري مارون من بكاسين الذي سكن جزين ولها منه ولدان نسب وعزيز اللذان ذهبا الى المكسيك وفتحاً محلاً تجارياً ونجحاً نجاحاً عظيماً وقد حضرا الى جزين وأظهر أكرم اخلاق وفتح بيت بالحقيقة لها الفناء وقد تزوج احدهما نسيب بك بالسيدة زبيدة كريمة خليل افندي سركيس الشهر والثاني عزيز بك لم يزل عازباً ونهني سلفاً من تكون زوجة له والثالثة دخلت برهينة مار انطونيوس في جزين ودعيت انجليك وهي رئيسة الراهبات هناك وقد توفت هذه السنة ١٩٠٨ ولها زوجة داود الخوري كرم من جزين .

(فرحات بك ناصيف) ان هذا الرجل كان داهية في السياسة تقلب في أهم المناصب ابتداء خيالاً في القضاء ثم صار ضابطاً وبعده انتخب ثلاث مرات عضواً للادارة في لبنان عن جزين وتوفي بمرض القلب وهو بوظيفته وله ثلاثة اولاد ذكور وهم نجيب بك باشكاتب عمكة جزين سابقاً وهو من المهمن

والثاني حبيب بك وهو طبيب في جزين وله شهرة في الطب ومن المعترين في القضا وطبيب قضا جزين سابقاً ورئيس الجمعية الخيرية الجزينية والثالث فيليب بك صيدلي في جزين وله ثلاث بنات هن ادال زوجة يوسف الخوري طانيوس في بعدا رجل اشتهر بالتراحة والعلوم وكان رئيس دائرة الحقوق في المركز وتوفي بمرض القلب سنة ١٩٠٣ والثانية مريم زوجة بشارة غور والثالثة لبيبة تزوجت الياس صبرا .

وقد نظمت قصيدة ارثي بها خالي في ذلك الوقت وهي هذه :

وعيشه بعد صفو صار في كدير
بعداً عن غصون البساتين لم يطير
غشوفة وسناهاها غير متشر
ثوب الحداد بلمع فاض كالطير
ارفق بخالي وقل لي صادق الخير
هل انشبت ظفرها فيه يد القدير
نسى الزمان ولم يبرح من الفكر
افديه بالروح بل بالسمع والبصر
تذكرك سر القضا ما زلت في الحضر
وشهرة الكعب والقرطاس والحبر
بـلـل حبر ميت ومولود من البشر
ملجأ الضعيف وامن الخائف الحذر
نجري على الضيف جري النوم في البصر
علمت جفني ابتسالة النوم بالسهر
كيف صبري ونسيان الغم في اثري
والصبر يكتمها عن عين البشر
وسوف يبقى معي دهرأ الى الكبر
صوت الملائك في الافلاك في السحر
فأدخل جناناً بلا خوف ولا حذر

ما بال لبنان مهتر وفي ضجر
والطير في روضه بعد السرور غدا
والشمس في افقه بعد السناء غدت
والناس في ارضه تبكي وقد لبست
يا طود لبنان لم تهتر مضطرباً
ما اذا جرى لحبيبي لييك من نوب
أم هل قضى بحبه متبقياً كدراً
ابكيه يا عين يا قلب احترق اسفاً
تذكرك يا خال يضر الهند نائحة
الجود والخيال والاقلام قاطبة
أصبحت يا قر مأوى فاضل لسر
رفقاً بخالة من كانت منازلها
أكرم ضيافة من كانت كرامتها
يا خال خلقت لي الاحزان عن صبر
أصبر القلب مني وهو منكسر
اروم اطفاءها والحزن يضرها
الحزن من بعدكم وافى على صفر
لا شيء في الكون عزائي سوى سمعي
وقومهم يا حبيب الله صرت لنا

وقد سلمت هذه القصيدة الى ولده فرحات وودعته لأن وقت رجوعي الى مصر كان قريباً .

(يوسف بك ناصيف) هذا الرجل من أشجع رجال عصره شاهد كل مواقع لبنان وعندما اتى قواد باشا سنة ١٨٦٠ منحه لقب بك وسلمه محافظلة الطريق وعين له جملة خيالة تحت ادارته ولما حضر داود باشا كان بعين عساكر لبنان وهو فيها برتبة صاغ قول اغاسي ثم تعين ضابطاً لقضاء جزين وأصيب بالبول

الزلائي وتوفي في الحلايلة قرب صيدا وعمره ٤٨ سنة ودفن في دير مار الياس فوق صيدا وتعرف بقناصل
انكثرا ولهذا السبب صارت قناصل هذه الدولة تساعد عائلة بيت ناصيف في كل أمورهما حتى اليوم وله
ذكران وأربع اناث .

(سلم بك ناصيف) ابتدا كاتب تحريرات قاعقامية جزين بسن الرابعة عشر من عمره ثم تعين ضابطاً
للقضاء وأنعم عليه بلقب بك ثم نائياً عن الطائفة المارونية في قضاء الشوف ثم عضواً لمجلس الادارة ثم مديراً
لجنوية ثم مديراً لجليل وقد نال الرتبة الثانية ونيشان القبر المقدس وحامي القديس بطرس وخدم الحكومة
٣٤ سنة ابتداءها ١٨٦٨ وأسس الجمعية الخيرية في جزين والان متقاعد بين أملاكه معتبراً بين أقرانه .

(ملحم بك ناصيف) ابتدا باشكاتباً لدائرة الجزاء ثم لمحكمة جزين وقد تزوج سيدة نبيلة وهي ابنة
عبدالله الخوري املي واخت نسيب بك وعزيز بك وهي التي وصفها امير خبير بالنساء عندما سئل عن
أفضلهن فأجاب ان افضلهن من كانت ودوده ولوده ثم صار مديراً في عييه وبعد شهرين مديراً في بشراي
وبعد ثلاثة اشهر مديراً في الزوق وبعد أربعة اشهر رئيساً لمحكمة البترون وبعدها مديراً لدير القمر وكل هذه
الوظائف مدة مظفر باشا بحيث ان أحد الاصحاب تقابل مع اخيه سلم بك آتياً الى بيروت فسأله الى اين
متوجه فأجاب اني حضرت لاقتش على اخي لانني لا اعلم اين مقره لكثرة تنقله ، اما بنات يوسف بك
فكبيرتهن آسبن تزوجت مرعي الذي توفي فجأة وكان قد ارسل قبل وفاته احد اولاده من امراته
الاول المدعو شكري لحل رحم في نيويورك فنجح هناك وبعد وفاة مرعي ذهب اولاده عند اخيهم ونجحوا
نجاحاً باهراً اما الثانية فهي المازة زوجة الدكتور اسكندر الطرابلسي من مشغره وهي مشهورة بجملها وقد
توفي زوجها سنة ١٩٠٤ بمرض البول الزلائي ودفن في مشغره والثالثة ليزا زوجة الخواج حبيب الخوري
طانيوس كرم والرابعة تدعى ماتيلد تزوجت حبيب الشوري من كفرحونه .

هذه هي عائلة بيت ناصيف في جزين صاحبة السطوة والحزب العظيم عن ابايهم واجدادهم ولم تزل
اولادهم مقتضية اثر الجدود أما أمين ناصيف الذي كان شيخ جزين فقد توفي فجأة بعد سنة لوفاة اخيه يوم
جنازه في ٧ آب ١٨٧١ لفرط حزنه على اخيه حبيب ولم يخلف عقباً .

نزول كليتي

في أحد الايام بينا كنا نجري عملية جراحية كان يعملها عماد بك فوزي وكان الازدحام عظيماً
وبالصدفة كنت واقفاً بعيداً عن العملية ومنحنيماً للجهة اليسرى وبدي على جانبي من جهة الخاصرة
الجني في اثناء هذا الوضع وضغط يدي على خاصرتي شعرت بحجم كبير الحجم زلق تحت يدي فوققت
متصباً وأعدت الضغط فلم اشعر بشيء ورجعت لوضعي الأول وضغطت فحسيت بذلك الجسم يزلق
تحت يدي فعلاً ذهبت الى غرقتي واستقلت على سريري وصرت اضغط فلا ارى شيئاً وكنت أقف فلا

اشعر بشيء غير اني حين اغرق قليلاً احس به فثقل بالي جداً وصرت اقرا في امراض الكبد وكل مرض كنت اقرا عنه لا اجد فيه تلك العلامات التي كنت احس بها اختياراً اريت نفسي الى معلما حسن افندي عبد الرحمن فقال لا بد ان يكون عندك كيس مائي في الكبد والأوق البذل فلم اقبل معه لم اريت ذاتي لسواه وكان الجميع يشخصون لي امراضاً مهلكة كورم الخوصلة المرارية وما اشبه فكنت لذلك مضطرب الفكر جداً لكنني لم أكن اشعر بجسمي ولا بألم ومتى كان المريض بهذه الصفة لا يلجئ الى طبيب لأن الألم والجمسى هما رسوله اما اضطراب الفكر فلم يفارقني وشممت للمعيشة وكنت لما ارى احد رفاقي منشراحاً مسروراً أقول هنئاً له سيعيش ويظهر طيباً أما انا فسيفتح الورم وينشق البريتون وهلم جرا وبقيت على هذه الحال مدة سنة كاملة ولكن حيث لم يطرأ علي عوارض مكدره كنت أومل خيراً .

وفي ذات يوم اشتريت بعض كتب طيبة انكليزية وكنت اقراها باجتهاد ونعم ولما وصلت الى امراض الكلى رأيت من جعلتها مرض سقوط الكلى ومن جملة اعراضه ورم كحبة اللوبيا يتحرك لجميع الجهات غير مؤلم واذا استلقى المريض على ظهره لا يظهر له اثر واعراضه غير غفيرة ويمكن ان يعيش الانسان وهو مصاب به او يعالجه بجزء لأجل سنده ولا اقدر أصف الفرح الذي شملني عند تحققي ان مرضي غير خطر فاشترت حالاً حزاماً من الفلاندلا كنت استعمله حتى سمحت فكان شحمي أقوى من حزامي .

لا شيء يكدر الانسان كيانه لان الامل حياة الانسان كما قيل
اعلّل النفس بالأمال ارقها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

والأمل هو أعظم هبة منحنا اياها الباري لانه مسكن اوجاع المصائب ومقوي ومنشط أضعف جبان وصاحبه يقدم على أعظم الاعمال وبه يحتمل الانسان الاخطار والاضطهاد آملاً بالثواب في حياة اخرى فالسعيد في هذه الحياة من تأمل ولو وهماً .

(رفيق الشاعر حسن همة) كنا نتبادل بالاشعار وقد كان خطب ابنة وتركها وبعد تركها احبها فتركه
فقال :

واحزن فهـ انيك الظبي اسروني
يا جاهلين عن الدلال سلوني
ل مصيبة قد زاد منه جنوني
والان من فرط الجوى سلوني
ودنوا فزاد تلهفي وشجونني
واستبدوني بعد ما عبدوني
وعسدت من قبل الرنو عيوني

يـ شاك عزيتي بطول شجونني
هم عرفوني بالدلال وتارة
ان الدلال من الدور اول الجما
ومن العجائب كنت قبلاً سيدا
بعـدوا فشط مزارهم فـأيتهم
سلوا فؤادي بعد سلب فؤادهم
يا ليتني ما كنت شمت جاهلم

فأجبه على ذلك :

اشكو مصابي في الموى وشجوني
فـه دري ودر دمــــــــــــــــــــــــع عيوني
فازداد وجدي كلما لاموني
حتى اعود الى الثرى والطين
تشكو لشاك انهم هجروني
كانت ملتها بعد مـر سنين
من يعد ما ينقص بالكين
صبروا على جور لكم بــــــــــــــــــــــــانين
احطى بمن خلقوا لفرط جنوني
ادموا فؤادك بعد ما ادموني

يا من شكرت صباة فلمن أنا
فـه كم لاقيت من ألم الموى
كم من عـــــــــــــــــنول لامي في حبيم
دعني اذوق المـر في حب الطيبى
احيت ثم هجرت يـــــــــــــــــا حسن ظم
وغدت لواظها فتفت مهجسة
فالحب كالسرطان يأتني ثانياً
فصبر على جور الاحبة مثلاً
وأذكر اذا تم اللقــــــــــــــــــــــــاء لعني
وانا قـــــــــــــــــيل جاهلهم وهم الألى

ولي غير ذلك عدة قصائد منها قولي له :

عجبت من مــــــــــــــــالك شيناً يبدده
ما بالك اليوم نار الحجر توقده
اسيف لحظكم قــــــــــــــــامت تجده
والان انيتني طــــــــــــــــبباً ابعده
هـذا نصيبي وحبي ان اوحده
ارى فؤادي لهذا الحب يحمرده
وكيف اسلو وقلبي بــــــــــــــــات يعمرده
والصبر من بعده أصبحت افقرده
فـه دري فكم سقم اكـــــــــــــــــابده
الى فقير يقرب منك تـــــــــــــــــــــمده

يا من يعذب قلبي وهو مــــــــــــــــالكه
انت الوحيد الذي ملكه كيدي
وكما طاب جرح من جوارحه
انيتني في هواكم متيني وطني
وما بقى لي من الدنيا سوى حنين
فان اتاني حبيب غيره ابداً
قال العــــــــــــــــنول سلوا في محبته
وهني في هواه زدتها شغفــــــــــــــــاً
وهو بتعــــــــــــــــذب قلبي زاد همته
ارجس فؤاداً جزاك الله مكرمةً

وقد توفي مسلولاً وهو تلميذ ولم تزل صورته عندي من اربعين سنة وهو أحد أولاد معلنا عبد السميع .

قصة الخروف والطب الشرعي

ان فن الطب الشرعي لمن أجل العلوم وانتمها بحيث أصبحت كل الدعاوي الجنائية ترجع اليه وتكل عليه اتكالاً عظيماً لكشف حقائقها وهو مؤسس على علوم حقيقية فيرفع النقاب عن الدعاوي الغامضة ولولاه لكان الظلم يقع على ابرياء كثيرين والحادثة التي سأذكرها وشاهدتها تكفي لاطهار فضل هذا الفن ومناقبه وهي القصة الآتية .

رأت الحكومة ضرر ذبح الاغنام امام البيوت في عيد الأضحى فتمت هذا العمل وامرت ان يكون الذبح محصوراً في المسلخ وفرضت على المخالف جزاءً نقدياً وحدث ان رجلاً خالف هذا النظام فقام قبل القجر وأخذ خروفيه الى امام بيت اخر وذبحه في الظلام لم يذهب الى بيته ليأتي بماء يسل به الدم وعندما رجع لم ير الخروف بمحله فخرج من المظلة الى الشارع ليفتش على الخروف وكانت السكين لم تزل في يده وعندما وصل الى الشارع صادفته فرقة من الجند كانت مارت من هناك وكانت قد رأت على بعد عشرين متر قبلاً مضرباً بدمائه وملقى في الأرض ووجدت هذا الرجل والسكين بيده ملوثة دماً فلم تشك بكونه القاتل وان السكين التي معه هي التي استعمالها للقتل فالتقوا القبض عليه وابتداءً بقسم ليبري ذاته ويذكر قصة ذبحه للخروف ولكن لم يكن من يصدق ذلك اخيراً وصلوه للضابطه حيث يوجد دائماً طبيب فأخبر الرجل قصته للضابط والطبيب الذي أخذ منه السكين وثباه للملثة بالدم وارسلها الى مدرسة القصر العيني لفحص الدم بالانفارة المعظمة وقد كنت يومئذ من عداد فاحصيه فاخبرنا الاستاذ عن الفرق بين دم الحيوان والانسان وان دم الانسان مكون من كرات حمراء عذسية الشكل مبعوجة من النصف ودم الحيوان على غير هذه الهيئة وأجابت عمدة المدرسة بما رأت وان الدم الذي على السكين هو دم خروف ولا اثر علينا من دم الانسان حيثذ اطلقوا سبيل الرجل بعد ان دفعوه جزاءً نقدياً جزاء مخالفته لقانون الذبح .

أما سبب حرب الخروف فهو ان الذابح قطع له الخنجره فقط ولم يمس الشرايين السباتية التي حول الخنجره والتي قطعها يسبب الموت اما الخنجره المقطوعة لوحدها فلا تسببه لان الخروف يمكنه ان يتنفس منها ولذلك عندما ترك الرجل الخروف وذهب ليلطل الماء قام ومشي هارباً وهذه الحادثة تكفي برهاناً على فضل الطب الشرعي في كشف الحوادث الجنائية الغامضة .

الأيوان وكثر المغربي

ان احد الايوين كان معتبراً مهاباً يبلغ الخمسين من عمره وله شهرة عظيمة في مصر وكان صديقاً حميماً للأب الاخر وكانا من أفضل اكليوس مصر في ذلك الوقت بالنسبة لحقولها الذكية وسيرتها الحميدة .

ولا شك ان العقل لا يكون مع الشهوات خصوصاً متى كانت الشهوة بغیر عملها كحب المال الذي كان عند هذين الابوين فانه اوصلها الى درجة حطت من قدرهما واتساعت كرامتهما وصيرتهما احدوتة بقلّة العقل والادراك .

فالسحر الحقيقي هو القوة التي تغير الانسان من فكر الى آخر ومن عمل الى سواه وتجعل المسحور طوع ارادة الساحر ولو كان أقل منه معرفة وجاهاً ومقاماً فأَي سحر يفعل ما عمله المغربي مع هذين الابوين الجليلين وكيلى البطارقة ومستلمي الدين فالحادثة الآتية تثبت ما قلناه .

كان أحدهما يتردد على امرأة متقدمة في السن كان له بها ثقة تامة فهذه المرأة كانت تعرف رجلاً مغربياً يتدخل معها وزعم ان في خرابة البيت الذي يجاورها كتر عظيم وانه يستطيع استخراجها بفك الرصد عنه وهذا العمل يقوم بوضع البخور وتلاوة بعض قطع واستحضار اشیاء معلومة وزهيدة الثمن لا تكلف خمسمائة غرشاً ولكثرة ما كرر عليها هذه المسألة اعتقدت بصحة قوله وتحققت وجود الكتر وانخيراً أخبرت الاب فطلب المغربي وسأله عن حقيقة ما زعمه للمرأة فأكد له قوله وطلب منه ان يذهب معه ليريه بعد منتصف الليل الكتر الذي ينكره وهو عبارة عن اواني مملوءة تبراً الذي هو مسحوق الذهب واعاد عليه قوله بان هذا الاستخراج لا يكلف أكثر من خمسمائة غرشاً .

فنعلمنا سمع الاب كلام المغربي وعرف ان المصروف زهيد لا يهيم ولو أدى به الامر الى خسارته خصوصاً وقد كان بمخاطرته بهذا القدر يؤمل الاكتشاف على كتر عظيم فأخيراً اتفق مع المغربي ان يذهبا سوية في الليل وبعد ان دفع له خمسمائة غرشاً اتفقا على يوم وساعة يجريان فيها هذا العمل العظيم وفي اليوم المعين ذهبا الى الخرابة (وانا اعرفها وهي واقعة في درب الجنة) واخذها معها الاب الاخر الذي كان اخبره الاب كل شيء فابتدأ المغربي يطلمس ويحرق ويعمل حركات خفية لأن الظلام كان يستره ويقولوا على هذه الحال الى الصباح ولم يظهر لهم شيء وأعادوا عملهم في اليوم الثاني والثالث الى العاشر فحضر المغربي في احدى الزوايا واخرج تسع جرات تسع الواحدة نحو اثنتي عشرة اقة عمكة السد ثقيلة الحمل وقال لها انه لا يجوز تفريفها ولا مسها الا بعد استخراج الكتر كله الذي هو عبارة عن الف جرة نظير هذه وانه يمكنها لأجل الامتحان ان يأخذ من كل جرة كمية قليلة ويربائها للصاغة لمعرفة الحقيقة وفتحتوا الجرات فأخذ المغربي كمية قليلة من كل واحدة ثم ختمها وأخذوا ما استخرجوه الى صائغ قرر لهم بعد فحصه انه من الذهب الصافي . فجن الكاهنان عند ذلك من الفرح وصدقا قول المغربي ووضعوا الاواني المملوءة ذهباً في قبو بجارة الست وكتبنا الامر حتى يتم استخراج الكتر .

وكان المغربي يأخذ منها كل مدة مبلغاً من الدراهم لكشف الكتر واستمرت هذه حالهم مدة سنة كان يخرج لها كل شهرين ثلاث أو اربع جرات وكان الأب قد صرف في هذه المدة نحو خمسة الاف ليرا كان سلمه اياها احد التجار لتبقى وديعه عنده وكذلك أخذ من الأب الثاني مبلغاً استدانه على حساب

الوقوف ولما طال بها الامر الحما على المغربي بأن يخرج لما باقي الكتر لوقاء دينها فوعدهما وكلفها ان يصبرا شهراً ثانياً وبعد هذه المدة فتشا على المغربي في مصر ونواحيها فلم يجداه ولا يشا منه توجها الى القبر وفتحا الجرار المستخرجة من الكتر فلم يجداه فيها سوى تراب لان المغربي كان قد وضع برادة الذهب على وجه التراب الذي كان في الجرار العشر المستخرجة اولاً وفحصها الصانع وقرر انها ذهب صاف .

افكر بحالة الابوين حيث لا شك ان كل منها تنف لحيه الاخر وما بقي عن رفيقه أكملها بيده وكانت حاملها مزعجة خصوصاً حين ظهر السر للعموم وطالب اصحاب الديون بمالهم وحين علمت بطاركتها بذلك عزلتها وانخرجهما من مصر وعرفت منها الاب الأول الذي أصيب بفالج وقد شاهدته سنة ١٨٨٤ وتوفي بعد ذلك .

أما الاب الثاني فحصلت له سكة محية توفي بها وقد اخبرني عنه ابن اخيه الذي حضر الي من دير الزور سنة ١٨٩٨ لأجل معالجة عينيه .

عفاريت مصر

لا أعلم سبب كثرة اعتقاد المصريين بالعفاريت والاغرب ان تلامذة العلب يعتقدون بهم مع انهم متعلمون ومتفقهون والحادثة الآتية التي جرت لرفيقي علي افندي رسمي تثبت هذا الاعتقاد عندهم وقد سميت هذه الحادثة :

(عفريت رسمي) حدث لي مع علي رسمي احد رفاقي اللطفاء الظرفاء ما يأتي :

وهو انه في أحد الايام كنت طلبت رخصة لأبقى في محل النوم الذي كان يقفل مدة النهار ولا يفتح الا الظهر لمناولة التلميذ طعامه والساعة الثانية عربية ليلاً لدخول التلامذة الى النوم وفي المساء كنت بالعنبر الذي على النيل وكان له كشك من الخشب يسع فراشين وهو احسن محل في المدرسة لأنه يكشف على النيل والمثيل وكان الليل قد ارخى سدوله وحيث كنت لوحدي استلقيت على الفراش وفيما أنا على هذه الحال سمعت صوتاً على الباب يقول خشخش (أي أدخل) فأجابه الثاني انتي اخاف من العفاريت قال الأول لا تخف فأنا واقف لك على الباب فدخل الثاني وتأملمته فاذا هو علي رسمي ورفيقه الذي بقي قرب الباب هو محمد فريد وكان مرادهما الذهاب تلك الليلة الى المدينة فأتني علي ليغير ثيابه وعندما وصل الى فراشه وخلع ثيابه ليلبس ملابسه النظيفة وكنت ناظره فوقفت على السرير ولقيت الأرض بضجة فحين رأى علي الشبح وكنت لابساً قميص نوم وسمعت تلك الضجة صرخ عفريت وترك ثيابه وخرج اما رفيقه الذي كان معتمداً على مساعدته ضد العفريت فكان اسرع منه عدواً وهرب قبل رفيقه حتى وصل الى الطابق الأسفل حيث التلامذة والخدم اما انا فأسرعت واتيت الى غرفة الشوام وعند وصولي سمعت ضجة عظيمة

في المدرسة ورأيت الخدم حاملين المصابيح فصعدت مع التلامذة الى عمل الحادثة واختلطت معهم لأرى ماذا تكون النتيجة وكان علي رسمي قائد الجيش وهو عارٍ فدخلوا المحل وقشوه فلم يجدوا أثراً للعفريت عندئذ ابتداء علي يخبرهم أوصاف العفريت ويقول لهم كان رأسه في السقف ورجلاه في الأرض وعيناه قدحان تاراً هبط بضجة عظيمة واراد ان يتبعني لو لم اسرع بالحرب وكان يؤكد لهم كل التأكيد ان صورة العفريت كانت خفيفة جداً مع أنه لم ير له صورة وقد هرب بمجرد سماعه الضجة وكنت حين اسمع قوله اهزأ عليه سراً وفي اليوم الثاني رأيت علي رسمي وانحبرته انني انا العفريت الذي رآه بالامس واعدت عليه القصة من اولها لآخرها وحديثه مع محمد فريد قبل دخول عمل النوم مع ذلك لم يصدقني ونسب لي الكفر لعدم اعتقادي بالعفريت .

(عفريت المشرحة) يعتقد التلامذة المصريون ان لكل ميت عفريت وحيث ان المشرحة عمل الموتى فكانت ملأى بالعفريت وما كان يدخلها ليلاً الا الكافر .

وقد قلت انه في شهر شعبان قبل الفحص تعطي لنا حرية الدرس فيجتمع كل اربعة او خمسة صوية ويختارون لهم معلماً للدرس وحيث انني كنت استعد للدرس التشرية فرأيت ان أكون في المشرحة حتى اذا اغضض على شيء من الكتاب ارى امامي القطع التشرية او الميت ذاته ولما رأي بعض التلامذة اتخذت هذا المحل للدرس اطمأن عليهم وصاروا يأتون الى المشرحة ويدرسون اما كيفية درسهم فكانت تغلفني لانني كنت احب العزلة لذلك لم ار واسطة لابعادهم الا تخويفهم من العفريت وهالك الطريقة التي عملتها كنت أخذ معي قليلاً من البلع فأكله وابتقي النوى فارمها من اعلى فتسقط عليهم وقبل سقوطها كنت أصرخ من الذي يرمي بالبلع والنوى فيقولون ونحن ايضا وكتررت هذا العمل جملة مرات ثم اجتمعنا وتشاورنا بالامر فحكمت ان هذا الامر من صنع العفريت وصادقوا على حكلي وبالحقيقة انه عمل عفريت ولكن غير الذي يعتقدون وغير عفريت الموتى وقر القرار على ترك المحل فتركته معهم مدة يومين ثم أخذت المفتاح من الخادم ورجعت أدرس وحدي في المشرحة وشكرت حينئذ العفريت التي اراحتني من ضجة العفريت .

(حركة الميت) في احدى الليالي بينا انا مستلقٍ على سجادتي وأمام كسبي والضوء رفعت رأسي لاشعل سيكارتني فوقع نظري على ميت كان في المشرحة ورأيتة يحرك رأسه فاضطربت وافتكرت ان حركة النظارات ارثي هذا الأمر فثبت نظري وأحدثت بالميت وبعد مدة شاهدت الحركة ذاتها فتوجهت لقربه لأرى هذا الأمر واتحفظه واذا بغارة كانت تنهش اذن الميت ونهر رأسه هربت حين قربتي فهذه المشاهدة كانت هائلة جداً لمن يعتقد بالعفريت ولكن عدم اعتقادي بهم جرأني ان اتقدم الى الميت لأرى سبب حركة رأسه وبالحقيقة ان الانسان هو ما يعتقد .

بعض اشعاري في مصر

وقد كنت في هذا السن أكثر النظم بلا غزال وكنت أحب الشعر وأنظمه عن لسان غيري وكلما كلفني صديق بموضوع كنت أنظمه له ومن جملة ما تغزلت به القصيدة الآتية واحسبها جيدة لأن الشاعر يأخذ من كل العلوم وشرطه معرفة كل شيء لأن كل تصور خاضع له وجعلت في هذه القصيدة تصوراتي بالسوائل الحيوية وهي الدم الوريدي والدم الشرياني فالدم الوريدي يكون اسوداً والشرياني احمرأ وكذلك الصفراء واللبفاء التي تكون بيضاء والكيلوس الذي هو هضم المأكولات يكون أبيض وبهذه الكيفية تتكون في سوائل الانسان الالوان السوداء والحمراء والبيضاء والصفراء وبها تتم الحياة فأنظر تصوري في ذلك .

وتحدثوا بصبياني وبنودها
فانا الامام لاهها وجدودها
قلبي وقد ابقته ضمن حدودها
ماء الدموع بل ارتضت بصيدها
اضت فؤادي من عظيم صلورها
ودواي موجود بضم نهودها
وأصول تمليذي برمح قدودها
صادته اذ جعلته ضمن قيودها
وسواد عينها مداد بربدها
كي ترقب الواشين بعد حدودها
للحبر مرت نقطة بخدودها
اخذت يياضاً من محاسن جيدها
فاصغرت الوجنات عند شهودها
محمة مسودة كميدها
فكأنها في بس ليلة عيدها
فوادها أنحى دماء وريدها
وياضها للتفا حين ضودها
وصفارها من صفة بكبودها
من سحر جفنها ولون ورودها
وهي التي للروح فخر وجودها

يا معشر العشاق من بمدي انقلوا
وتعلموا مي المسودة واحفظوا
ان المليحة مريما قد قيلت
وغدت أبكي بالدموع لما ارتضت
فهي التي منها حيائي كلها
مرضي عضال من مريض جفونها
فهي التي منها أصول معيشتي
كبت كتاب السحر في قلبي الذي
واستعملت قلماً سيوف جفونها
وتلفت نحو الشمال بسدهة
من خوفها عند الكتابة بفتة
لمت لحرمتها فلأحمرت كما
فرأت يراقبها الحسود بفعلها
فاتت لقلبي بعد ألوان لها
مبيضة مصفرة من خوفها
فتكونت منها حيائي كلها
وكذلك حرمتها دماً شريانا
وكذلك للكيلوس بعض يياضها
هذي حيائي كلها من نقطة
كيف التباعد عن هواها ساعة

وقد كتبت ما يأتي الى أحد الاصحاب :

هذا الكتاب يياضه من مقلتي
يمشي على قدم الحيا يبغي الرضا
زودته فكري لذلك ما ارتضى
ولقد اضاع بهجركم آماله
من ذوب قلبي قد جعلت سواده
منكم وقد جعل النسيم جواده
بل انه أخذ الحشاشة زاده
ورقاده ودموعه وفؤاده

وقد كنت مودعاً عند أصحابي المسافرين امانة فعندما رأيت حزم الاحمال وتزويد الماء نظمت ما يأتي :

قفي قبل الفراق وزوديني
فعني لن ترى ابداً جالاً
عندي شريان قلبي أو وريدي
وان خلعت عن بيت لسهر
عندي ماء الدموع بديل ماء
ولا تحثي نقاذ الماء منها
ولا تنسي البقاء ذاب شوقاً
بنظرة مقلتي تشني العيلا
لهذا الوجه او طرفاً كحिला
كأحبال بها زمي الحمولا
قلبي قد يكون لك الدليل
عساه يغسل الخبث الاسيل
فعني تنزف الاموه نيل
اذا طمأنا النوى يسي قتيلا

وقلت في مليحة اسمها هانم :

ان التي سلبت عقلي محاسنها
حاكت حروف اسمها بالحسن صورنها
فالحاء نهد لها والهمز قامتها
قد بحث في اسمها قصدي أكرمها
اياك يا عاذلي باللوم تظلمها
والنون حاجيها والميم مبمها

وقلت في مريم :

اهدبك قلباً محرقاً وعرجاً
لو شرحوه وجعلت مكتوباً على
ومغضباً من سهم لحظك بالدماء
جدرانته هذي الدير المرما

وكان لي ديوان في الشعر سميت ديواني المصري كان كله على هذه الحالة حسب السن بالقرن بدون غزال
فالحمد لله فانه كان يلهمني عن الذكر من وري الغزال فاتخيت منه هذه الأشعار والباقي تركته لأن لا أهمية
له فهو خلاف شعري الآتي الذي أقدر أقول انه مي لا مستعار عن أفكار غيري واذا لامي أحد هذه
الأشعار فليعلم من العشرين ولا يحاكمي عن الستين الآن .

زواج أولاد الخديوي اسماعيل باشا

اولهم ولي العهد توفيق باشا .

كانت تزين مصر عموماً مدة ثلاثة ايام لكل عرس اما مركز الافراح فقد كان في قصر والده اسماعيل باشا وهو القصر العالي الكائن شمالي مدرستا وهو أعظم القصور مركزاً .

ان هذا القصر الموجود على النيل وشرقيه كان ممتداً الى مسافة ربع ساعة شمالاً وجنوباً وهو عبارة عن جملة قصور داخل بعضها ببعض ولا يدخله احد من الرجال سوى الاطباء وقد دخلته مرتين مثل طبيب نوبتجي فادخلوني اولاً عند خليل اغا رئيس اغوات القصر الذي كانت ترتعش منه فرائص كل ذوات مصر لانه كان أكبر الجميع وعندما دخلت عليه طرحت السلام فامرني بالجلوس لانه كان يداري الاطباء كثيراً ثم امر ان يعدوا لي طريقاً اعني ان يجعلوا النساء في حجرهن ليبنيا امر .

كانت قطعة الأرض الشرقية الجنوبية التي شرقي القصر متسعة جداً صونوها بالاخشاب وجعلوا لها أربعة ابواب كبيرة في كل جهة باب وفوق كل باب كشك تقف فيه الموسيقى العسكرية وداخل الفسحة كانت الصواوين في كل جانب وفي وسطها كشك تجلس فيه العوالم والمغنيات وكانت الناس تجتمع حول المغنيات والموسيقى والمراقص الافرنجية تقام داخل القصر وكانت جميع هذه المحلات مزدانة بالشموع يعلو ثلاثة اذرع موضوعة بفوانيس ملونة لا تقل عن خمسمائة الف شمعة داخل القصر وخارجه وكانت هذه الفوانيس معلقة على نخشيات موضوعة كالصفوف وفي كل صيوان دائرة من دوائر الحكومة لما خدم وقهوة ونحت الآتية كانت تدخل من خيمة الى اخرى وفي داخل القصر كانت مقامة زينة للنساء نظير هذه ومغنيين المز الشهيرة بحيث ان جميع المغنيات والالاتية والمطربين من عرب واتراك وفرننج كانوا موجودين في هذا الاحتفال الذي كان مرتباً كما يأتي :

(لعب السكاكين) كان يجري في محل مبني بالاخشاب وكيفية اجرائه كما يأتي :

يتجه الواحد نحو الحائط ويمد عليه يديه كالمصلوب ويفتح اصابعه أما الثاني فكان يقف بعيداً عنه مسافة بعض أمتار ويأخذ سكيناً طويلاً عشرة او خمسة عشر سانشي ويضرب فيها الرجل الواقف أمامه فتفرز السكين بجانبه في الحائط ويثابر على عمله حتى يخرج الرجل الواقف عند الحائط ورسمه عليه بالسكاكين من الرأس حتى القدم وما بين الاصابع وهذا المنظر المخيف كان يرجف قلوبنا وعند كل ضربة سكين كنا نظن انها مستصيب الرجل فنضطرب وحتى الظهر نجري العاب جمنايتك أو سواها .

وبعد الظهر يتندي العاب البهلوان العربي والافرنجي فيقف الواحد على حبل معلق في الفضاء وينبح خروفاً ويجلس على الحبل وقتل الماء بساعتين تقريباً يبدأون الأكل الذي يقدمونه لكل الحضور في صالبا متسع لأولاد العرب والأتراك وكان يوجد في هذا المحل ثلاثة صفوف من الصدورة وفي كل صف خمسين صدرأ يسع كل صدر عشرة رجال فأكل الفئة الأولى وتقوم ثم الثانية والثالثة وهكذا الى الساعة الثانية عرية وكان في كل صدر عشرة اشكال من الطعام وخروف عمني ويقدمون لكل فئة طعاماً جديداً .

وأما الافرنج فكانت تقدم لهم مائدة مخصوصة على طريقتهم مع المشروبات وعند الساعة الثانية عرية ليلاً تبدأ المغنيات والموسيقات بالزف من كل ناحية وكيف ذهب المتفرج كان يرى شيئاً جديداً .

في الساعة الرابعة ليلاً كان يحضر الخديوي ويزور القصر العالي ويدخل بين هذه الجماهير بعجلته فعند ذلك تبدي تعرف للموسيقات العسكرية والبلدية والمغنيات والشيخ أحمد يعزفون بالسلام الخديوي فيفتكر السامع ان الارض تهتز به وأنه في غير عالم الوجود وكنت اتخيل ان لو احضر فلاحاً لبنانياً وهو نائم ووضعناه فجأة في ذلك المكان فلا شك انه كان يظن ذاته في الجنة او انه يحن لأن هذه الافراح لم ترها عين ولم تسمع بمثلها اذن وكانت تدوم ثلاثة ايام لكل عرس فان الخديوي زوّج اولاده الذكور الثلاثة وهم توفيق وحسن وحسين وابنته تغيدا هانم وبقيت الافراح متواصلة مدة اثني عشر يوماً ومصر قائمة قاعدة .

وبينا كانت المغنية المزترف تغيدا هانم التي كانت مكحلة بأكليل ملوكي من الجواهر مع باقي الحريم اللواتي كنّ مزدانات ومزينات بأفخر الجواهر فكانت الانوار تعكس اشعتها على هذه الجواهر وتجعلها الى ألوان مختلفة تخطف البصر دخلت الخصيان يصرخون اخرجن خالاً لأن الحسر قد انقطع فصارت النساء تترافض ويسقطن فوق بعضهن وكان الالماس يتساقط كالبرد غير انه بحمد الله لم يحدث ادنى ضرر .

النتيجة ان هذه الافراح كلفت مصر نحو مليون من الليرات وكان هذا من جملة الشكاوي عن تبذير اسماعيل باشا مع هذا كله فهو الذي جعل مصر بلاداً اوروباية وحجب فيها المتدنين من اقاصي الأرض .

سياحي الأولى في النيل

لهذه السياحة طريقتان في ذلك الوقت اما بالذهبيات او بالراكب البخارية النيلية اذ لم تكن سكة حديد الى هناك .

(المراكب البخارية) تسمى قوماينة هذه المراكب الكومبانية الخديوية كانت تقبل السياح على الشروط الآتية وهي ان مدة السياحة تكون واحد وعشرين يوماً ويدفع كل مسافر ليرتين انكليزيتين يومياً

ويقدمون لهم المأكّل وتوجّاناً ودواب للبر والنبيذ المعتاد ما عدا المشروبات التي فوق العادة وطيباً وقد اتفقت الكومبانية مع المدرسة على ارسال تلميذ من الصف الأول حتى لا يتعطّل الطيب عن وظيفته .

وكل من كان يتوجه لهذه المأمورية كان يسر جداً وأغلب الذين يسافرون من الشوام لأنهم يعرفون اللغات الاوروباوية وعندما كنت اسمع عن هذه السياحة انتشوق لها وابتدأت افكر بها واستعد لها وكنت في سني الثالثة ومدة السياحة كانت في شهر رمضان وهو شهر العطلة اختيراً اخبرت كاتب الرئاسة أحمد افندي القديم وطلبت منه ان يقدمني لهذه المأمورية لأنني اعرف اللغة الفرنسية وقليلاً من الانكليزية وليس في الصفوف التي قبلي من الطلبة من يعرف لغة اوروباوية .

وبعد يومين طلبت الكومبانية تلميذاً فأخبرني حيثنر أحمد افندي بذلك وذهبتا سوية الى بيت الرئيس الذي كان يومئذ حسن بك هاشم فأخبره أحمد افندي عن العادة بهذا المطلب لأنه كان حديثاً بهذا المنصب وقال له لا يوجد احد سوى شاكر يعرف اللغة الفرنسية وبسبب الفرصة لا يوجد تلامذة من الصفوف العليا فاعطاني أمراً بالتوجه وتغريراً الى مدير الكومبانية الخديوية شعبان بك فذهبت اليه وأخذت معي صندوق الادوية فاعطاني غرفة في الوابور الذي كان مزعماً ان يسافر عصاري ذلك اليوم ولا اقدر وصف الفرح الذي شملني لنوالي هذه الأمانة التي لولا تيقظي واكتكاري بها لما نلتها .

في ٣٠ رمضان سنة ١٢٨٨ هجرية الموافق ١٢ كانون أول سنة ١٨٧١ مسيحية توجهنا صحبة الوابور المسى بنا وكان برققي ١٢ ساعة ٤ انكليز و امرىكان وشخص فرنساوي وآخر روسي وواحد نمساوي والاخير سويسري وكنا نتكلم اللغة الانكليزية لأن الكل كانوا يعرفونها سوى السائح الفرنسي . وكان توجهنا من بولاق الى بني سويف وهي المحطة الاولى ولا أذكر هنا تاريخ هذه البلاد القديمة لأن كثيرين غيبي قد سبقوني الى ذلك غير أنني أذكر ما صادفته خصوصاً وما اثر عليّ محطات الطريق اول محطة كانت بني سويف ثم المينا واسيوط وجرجا وقتا وندندرا المشهور فيها دائرة البروج المرسوم في هيكلها ثم الاقصر وزرنا رمسيوم او الصم الرنان وكذلك مامون صنم رعسيس الثاني الذي سقط بسبب زلزلة طوله ٢٦ متر وزنه مليون كيلوغرام وطوله من رحله الى ركبته ستة أمتار وقدمه متران من حجر الكرانيت ثم زرنا الكرنك ثم قبور الملوك ثم اسنا ثم اصوان وهناك أول شلال واخيراً قصر أنس الوجود وهناك شاهدنا اولاد البرابرة لأنها أول بلادهم .

(اولاد البرابرة) عندما وصلنا الى الشاطي اتت قوارب لتأخذنا الى الجزيرة وكانت اولاد البرابرة يسبحون حولنا في النيل بايديهم وارجلهم ونحت بطونهم قطع من النخل ليحوموا بواسطتها وكان أكبرهم لا يتجاوز السنة العاشرة من عمره وهم يطليون البخشيش اخيراً وصلنا الى الجزيرة التي تقسم النيل الى قسمين شرقي وغربي وهي مثل النيل ممثلة من البناء وفيها محل مسقوف للأن وفي كتابة تدل ان عساكر نابوليون الاول لحقت الممالك الى هناك وكذلك كتابة من احد الرهبان الفرنسيين وكانت هذه الجزيرة هيكل

قديم اقامته كليوباترة فأكلنا في الجزيرة وبعد الطعام ذهبتا للجهة الغربية على شاطئ النيل فتبعنا اولاد البرابرة وطلب أحدهم منا بخشيئاً وأنه مقابل ذلك يتزل في الشلال بين الصخور سائماً فأجبنا ان طلبه وكانت المياه ترفعه الى الاعل وتهبط به بين هذه الصخور وكنا نظن في كل هبوط ان الصخور ستمزقه واخيراً خرج ظافراً حاملاً قطعة النخل التي كان يسبح عليها وطلب البختيش ثم رجعا الى اصوان وبتنا تلك الليلة في الوابور واعتمدنا على العود الى مصر وكنا ليلة رأس السنة أمام اسيوط فبقينا سهرانين الى منتصف الليل وأمامنا الساعة والمشروبات والبتادق والمسمات وعند الساعة الثانية عشرة صرخنا جميعاً بصوت واحد (يون انه) اي سنة مباركة وابتدأنا باطلاق البتادق والمسمات والشرب وأكل الفاكهة وكان ذلك ابتداء عام سنة ١٨٧٢ ثم أخذنا بتزول النيل الى مصر .

في عصارى اليوم الثاني من شهر كانون الثاني سنة ١٨٧٢ وصلنا الى مصر فاستقبلنا شعبان بك رئيس القومانية وشكر له السياح حسن معاملتي لهم وقالوا انني لم اراقهم بصفة طيب فقط بل كمعلم أفهمنا عن احوال البلاد وتاريخها وبعد ذلك ودعاهم وذهبوا بحال سيلهم فأخذني شعبان بك الى غرفته وقال لي يلزم ان ترجع للوابور المسافر غداً صعبة اسرة اميركانية معتبرة وغنية جداً استأجرت الوابور على حسابها الخاص فطلبنا طبيباً من المدرسة وأرسلوا لنا شخصاً يجمل اللغات الاورباوية فقدمته للسائح ورفضه لجهله وحتى الان لم تزل حيارى بهذا الأمر والحقيقة لقدومك تعال لأعتمدك الى هذا السائح فتوجهت معه وكلمت السائح باللغة الفرنسية واخبرته انني قادم من سياحتي الاولى فسر بي وقال غاطباً شعبان بك عن طيبة خاطر أقبل هذا الطبيب لأنني افهم عليه ما يقوله خصوصاً وقد خبر كل أماكن السياحة وبعد خروجنا من عنده كلفني شعبان بك ان استعد للسفر يوم غد فقلت له ان ذلك منوط بالرئيس ولا استطيع أن أجزم شيئاً بلا أمره أجابني ان هذا الأمر ليس من شأنك ولا نهم فالمصلحة تخاطره رسمياً بطلبك فاسفرت في اليوم الثاني وقبل السفر بخمس دقائق أخبر شعبان بك التلميذ المرسل من قبل الرئيس أولاً لأنه كان من أقاربه انه لجهله لغة السايح لا يمكن سفره بل انا توجهت عوضاً عنه فلا شك لا يرجع شاكراً .

سياحتي الثانية في النيل مع عائلة روزفلت الاميركانية

وهي عائلة رئيس مشيخة الولايات المتحدة حالياً سنة ١٩٠٨

كان خروجنا من مصر في ٣ كانون الثاني سنة ١٨٧٣ فاتبعنا في سياحتنا الذيلة الأولى زهده العائلة مؤلفة كما يأتي :

Mme Roosevelt mère

اولاً : مدام روزفلت والدة

Mr Cornéluis Roosevelt

ثانياً : كرنيلوس روزفلت ابنها الكبير

Mr Frank Roosevelt

Mr G. West Roosevelt

Miss Lilla Mitchel Brooklyn

Miss Ella E. Russel New-york

Miss Sarah Louis Philadelphia

Miss Marie Yean Watts

Ahmed Abdala Drogman

Abou Kadra Domestique

ثالثاً : فرنك روزفلت ابنها الثاني

رابعاً : ج واست روزفلت ابنها الثالث

خامساً : مس ليلي ماتشل من بروكلين

سادساً : مس الارسول من نيويورك

سابعاً : مس سارلوس فيلادلفيا

ثامناً : مس ماري جان واتس ايرلاندية خادمة

تاسعاً : احمد عبدالله ترجمان مصري

عاشراً : علي أبو خضرا خادم مصري

كرويلوس روزفلت

هو رئيس السفر عمره ٢١ سنة مقيم الجسم ذو لحية شقراء وكان يلبس الطربوش مدة السفر لطيف المعاشرة كريم النفس وكنت أقضي أغلب أوقاتي معه لأن اخوته كانوا صغاراً وكان مع أحدهم أطلس تشرح أدرسه فيه مدة السفر .

التقارن في وابور ثان بالنيل

بينما نحن راجعون في النيل قبل وصولنا الى المينا التقينا بوابور فيه سياح كان مسافراً مثلنا فحين رأينا القبطان ذلك الوابور وقف فتوقف الوابور الثاني حالاً ونزلت اليه فوجدت طيبه محمد فريد وسألته عن احوال المدرسة أجبني ان حسن بك هاشم الرئيس مستعد لك استعداداً عظيماً ولا أعلم ماذا ينوي اجراءه معك فتكلمت لهذا الخبر جداً وعند رجوعي الى وابورنا جلست على سطحه كشيئاً متأملأ وعندما شاهدني الموسيو روزفلت بهذه الحال سألتني عما بي فقلت له ان طيب الوابور اخبرني ان الرئيس حاقق علي جداً لانني حضرت معكم وعطلت على الطيب الذي رفضته لجهله لغة يكلمك بها وأكثر حتى الرئيس مني لأن ذلك الطيب قريب له ولست أعرف ماذا يصيني فقال لي ماذا تريد ان اعمل لمساعدتك اجبته هل يمكنك مقابلة الخديوي واخبره حقيقة المسألة اذا تصدى لي الرئيس بشر واراد ظلمي قال اني افضل ذلك دون شك وسأزول في لوكاندة نيو اوئل (التي كانت يومئذ جديدة وهي أول اللوكاندات) وهي الان لوكاندة كوتيتانتال وسأبقى مدة هناك لأنظر ماذا يتم معك وحيث انتهى سفرنا ماذا تريد ان نبي لك تذكاراً منا لأنه اعطى للقبطان ثلاثين ليرة انكليزية ليوزعها على البحرية قال لي ان مراده ان يرسل لي هدية عندما يصل الى باريس وطلب مني ان اذكر له نوع الهدية التي اريدها فاجبته مع الشكر وطلبت منه ان تكون الهدية آلات للعيون، وعند وصوله الى باريس أرسل لي تحريراً باسم والدته مع علية كاملة فيها آلات للعيون وحيث وجدت هذه العلية عندي وانا تلميذ صرت استعملها لاعرف وظيفة كل آلة منها ولهذا ملت

الى تطليب العيون ولم تزل عندي للآن سنة ١٩٠٨ فأشكر فضل المسير روزفلت اذ لولا هديته لما ملت الى تطليب العيون ولما وصلنا الى مصر ذهب الموسير روزفلت الى اللوكاندة وكلفني ان ازوره في الغد وانخبره ماذا يحدث لي وانه يبقى اربعة او خمسة ايام لأجل ذلك فودعته شاكراً وفي اليوم التالي حضرت أزورهم وتصورنا جميعاً سوياً مثلما كنا وقت السباحة مدام روزفلت جالسة في كرسيا السفر التي كان لها أربع زوايد لأجل حملها لأنها ما كان يمكنها الركوب والستات راكبات جمالاً وموسير روزفلت بطربوشه وانا بجانبه واخوته راكبون الحمير وكذلك في الصورة الترجان والخدام ولم تزل هذه الصورة معي لحد الان ١٩٠٨ من ٣٦ سنة وقد اعطاني مسير روزفلت الكرت ورجعت الى المدرسة .

خصامي مع رئيس المدرسة

في اليوم الثالث من رجوعي للمدرسة بينما كنت في درس التشريع حضر باش جاوش المدرسة وطلبي لمواجهة الرئيس في الاستشارة الطلية فدخلت عليه ووجدته مع الاساتذة جالساً على ديوان مرتفع فوضت في الوسط امام طاولة عليها كتب والباش جاوش بجانبني وبعد ما حيت الرئيس والاساتذة قال لي الرئيس بوجه عيوس ان الباش جاوش قيدك غائباً فأين كنت ليلة أمس اجبته انني كنت مرخصاً بها وقد ذهبت الى الكومبانية وقبضت راتبني فقال انني نيت عليك بواسطة البواب ان لا تخرج من المدرسة فلم لم تطع الامر اجبته اني بعد التنبيه لم أعد اخرج فدعا البواب وسأله فصادق على قولي ولم يتألك عندئذ الرئيس من الحمق وقال مغضباً لما سافرت المرة الثانية بلا اجازتي أجبتُهُ ان رئيس الكومبانية كتب لسعادتك يخبرك بسفري فلوم تسمح لما كنت سافرت ولكنك رجعت الى المدرسة قال ولما لم تنم ليلة أمس بالمدرسة اجبته انني اخبرت سعادتك بكل ما توقع معي غير انني لم افهم قصدك من كل هذه الاسئلة قال قصدي بمجازاتك على مخالفتك هذه كلها أجبت امرك وما يكون قصاصي قال اضربك فلق (قد اخبرت فيما تقدم عن الفلق وهو الضرب على الرجلين) فأجبته انني رجل شامي اتيت لانتعلم الطب بارادتي وليس لانتعلم ضرب الفلق وافندينا انهم علي بذلك فأنا حر متى شئت اترك هذه المصلحة وان شئت اعتبر انني مستعفي منذ الان وسأكتب للديوان المدارس ومتى سألوني عن سبب استعفائي اذكره لهم قال لا بد لي من ضربك اجبت اذا كان ضربي يتم بالقوة فاستعمل جهدي لامنعه عني او أموت عندئذ التفت الى الباش جاوش وبعض الخدم وامرهم بمسكي فلما تقدموا الي يسكنوني ضربت الباش جاوش على صدره ضربة ابعدهني عني والقيت الطاولة والكتب التي عليها بالأرض واصابني نوبة كثوة الجنون غير انهم اغلوني وامر الرئيس بسجنني في احدى غرف المدرسة .

لما دخلت الحبس حررت الى الموسير روزفلت حالاً كتاباً ذكرت له فيه حالتي مع الرئيس وخيائته وغدره لي وانه جبنسي وان شاء يأتي يزورني .

وارسلت هذا التحرير مع يوسف كرجي الذي كان تلميذاً خارجياً وأبقته مفتوحاً وسلمته اليه فذهب به ولما لم يجد الموسيو روزفلت اعطاه الى صاحب اللوكاندة وبقيت طول تلك الليلة منتظراً ومتكديراً لعدم حضور أحد وفي اليوم الثاني صباحاً حررت له كتاباً ثانياً ارسلته مع يوسف ورجوته به ان يزورني بعد الظهر لان في ذلك الوقت يكون الرئيس متغيماً وكلفت بعض رفاقي ان يقفوا قرب الباب حتى اذا اتى الموسيو روزفلت يدلونه على حفراً من ان البواب ينجيني عنه وفي عصارى ذلك اليوم حضر الموسيو روزفلت ودخل الى غرفتي ورأى الحديد في رجلي فصرخ بجمتي قائلاً ما الذنب الذي جنيته حتى يعاملوك هذه المعاملة وما الذي تريد ان افعله لك وادمت عيناه قلت ارجوك ان تأتي الى هنا غداً صباحاً نحو الساعة التاسعة افرنجية فترى الرئيس وتغيره انني رافقتك بسياحتك وانك اتيت لزيارتي ووجدتني بهذه الحال فحضرت لتشفع بي ومتي خرجنا من المدرسة يدبر كل منا شغله اجابني لم أخبرك ما حصل بنا في أمس فاني مع والدتي واخوتي وسائر اصدقائنا قرأنا تحريك الذي ذكرت فيه انك عجوس وخرجنا حالاً من اللوكاندة نسأل عن الحبس فدلونا على سراي الضابطية وسألنا عنك فلم يكن من يرشدنا اليك وبقينا حتى الساعة العاشرة ليلاً نبحث عنك فلم نعثرك ومن تحريك اليوم علمنا انك باقي في المدرسة فانيت اليك وعند رؤيتك بهذه الحال طار عقلي فهل هذه هي معاملة الاطباء في بلادكم اجبت لكل بلاد اصطلاح وعوائد .

وفي اليوم الثاني نحو الساعة التاسعة صباحاً حضر الى الباش جاويش يطلبني لمقابلة الرئيس بجددي وذهبت معه فدخلت الى غرفة الرئيس ووجدت عنده الموسيو روزفلت وعند دخولي قال له الرئيس انني احبه وهو تلميذي وأمدح جداً من شطارته ولذلك ارسلته مع السياح غير انه عصي الاوامر ولكني اكراماً لك اسامحه فشكره الموسيو روزفلت وخرج وبعدما خرجت انتظرت الموسيو روزفلت بدار المستشفى وقلت له ان نهار غدا اتوجه لزيارتك لأننا نمطل يوم الجمعة فقال لي ان والدته واخوته سبقوه الى الاسكندرية وهو باقي لاتمام شغلي ودعاني لمناولة الطعام معه في الغد باللوكاندة وفي اليوم الثاني توجهت الى اللوكاندة فقابلت صاحبها وسألته عن الموسيو روزفلت اجاب انه يحضر بعد ساعة فأردت الخروج غير انه استوقفني فتأملته واذا هو رجل مهاب طويل القامة ممتليء الجسم مائل الى السمنة ذو شارب اسود عريض أصله ايطالياني ويدي

(يوسف بتاليني) فسألني هل انت الطبيب الذي ضربت في المدرسة قلت نعم فأدخلني الى غرفة وقال لي أكتب لي قصتك كما توقعت بالفرنسية فكُتبت له ما طلب فأخذه مني وقال لي أصبر فمن قريب يحضر الموسيو روزفلت ولم تمر نصف ساعة حتى حضر فأخذني الى غرفته وقال لي ما الذي تريد ان اصنع لك قلت له حيث انك مقيم في هذه البلاد مدة وجيزة فلا يمكنك ملاحقة دعواي فضلاً عن ان الخديوي يقضي فصل الشتاء من السنة في المينا فأرجوك ان تعرفني بالبحرال ستون وهو رجل اميركافي استخدم في العسكرية المصرية وقد أحضره الخديوي لتنظيم الجيش المصري ومعه ضباط آخرون وكان الخديوي يعزه

كثيراً وطلبت منه ايضاً ان يعرفني بقتصل اميركا ويرجوه ان يخبر الخديوي بهذه الحادثة وان يلاحق دعواي الى نهايتها فقام حالاً وكتب تحرير الى قنصل الولايات المتحدة وهاك صورته :

سيدي القنصل العام

استحلفك بشرف الولايات المتحدة ان تعرض على مسامح الخديوي ما يخبرك به الذكور شاكر الخوري طيبي في سياحتي بالنيل . انه صديق لي حميم وكلما تقطع معه اعتبره عمل لي وان اتخذته صديقاً فسرى به في المستقبل ما يسرك والسلام .

الداعي روزفلت

وقال لي خذ هذا التحرير سلمه للقنصل وارجع لتناول طعام الظهر سوية ولعل يكون هناك الجزال ستون فأعرفك به وللحال اخذت التحرير الى بيت قنصل اميركا فلم أجده فيه ورجعت الى اللوكاندة فلقيته مع الموسيو روزفلت والجزال ستون فاستقبلني امامهم أحسن استقبال وعرفها بي وأحبرها قصتي وطلب منها مساعدتي في اشغالي الحاضرة والمستقبل وفطرنا سوياً .

وحيث ان الموسيو روزفلت شهر في اميركا وله اعتبار عظيم فصار كل من الجزال والقنصل يعدني بالمساعدة وانها سيرضان هذه الحادثة الى الحضرة الخديوية عند مقابلتها أول مرة وفي اليوم الثاني حضر الموسيو روزفلت الى المدرسة ليودعني وطلب مني باللاحاق ان اخبره كل شيء يحدث معي وسافر .

(قنصل دولة انكلترا) كان المستر روجس قنصل دولة انكلترا في مصر قنصلاً لها في بر الشام وعند سفرني الى مصر اخذت له تحرير وصاة فاخبرته قصتي وان مرادي تبليغها للمسامح الخديوية فوعظني ان يخبر قنصله الجزال بذلك عند حضوره ويرجوه اخبار الخديوي بها فرجعت بعد ذلك الى المدرسة كان المسألة لم تكن .

وفي أحد الايام طلبني وكيل المستشفى محمد أفندي حافظ فوجهت اليه ووجدت عنده خيالاً فقال لي انك مطلوب للمحافظة (المحافظة في مصر عبارة عن الضابطة لا يدخلها الا اصحاب الدعاوى الجنائية) وكان المحافظ يومئذ عمر باشا لطفي فسألت حافظ أفندي عن سبب طلبي أجاب انه لا يعلم شيئاً واراني الامر فأخذته وقرأته واذا فيه ما يأتي :

« ان شاكر الخوري يليس على عينيه كوزلك أي عينات تلميذ عندكم ارسوله لهذا الطرف » .

فرجعت الى المدرسة وأخذت أربعة من رفاقي الشوام الخارجين وهم حبيب أفندي جيور والمرحوم الياس الزند والمرحوم يوسف كرجي وشخصاً آخر نسيت اسمه فاركتبهم حمير وذهبت معهم للمحافظة فابقيتهم قرب الباب واختبرتهم اذا امر المحافظ بحبس او بأمر آخر فيذهب احدهم الى الجزال ستون والثاني

الى فصل انكلترا والثالث الى فصل امريكا والرابع الى محل يوسف بتاليني واخيراً دخلت الردهة الموجود فيها المحافظ وسلمته ورقة حافظ افندي وكيل للمستشفى فسألني اذا كان حسن بك ضربي حقيقة وحسني فاجبته بالاجاب عند ذلك نهض وذهب الى طاولة أخرى قرب الحائط الغربي فتبعته ورأيتُه يقرأ تلفرافاً مكتوباً فيه :

ه اطلبوا التلميذ شاكر الخوري وأسألوه عن ضرب وجبس حسن بك هاشم له واذا كان ما ادعاه صحيحاً أرسلوه لهذا الطرف .

وبعد برهة ناوطني المحافظ تحريراً وقال لي اذهب الى الدنيا فحررت ورجوته ان يعطيني تحريراً لمدير السكة الحديدية واخر لمدير المدرسة كي لا يعتبرني متغياً فأعطاني ما طلبت فأخبرت رفاقي وطلبتا عريه ولكن قبل ذهابي الى المدرسة احببت ان استكشف الخبر وأعرف كيف بلغت قصتي مسامع افندينا الخديوي فتوجهت الى فصل امريكا والانكليز والجنرال ستون وسألتهم فأخبروني اسم لم يقابلوا الخديوي بعد أخيراً توجهت الى اللوكاندة وسألت المسيو يوسف بتاليني وأخبرته انني مطلوب من افندينا أجاب انني اخبرته فقصتك كما توقعت معك وكما رويتها لي فاذهب ولا تخف وأقصص عليه ما توقع معك فتجرت عند ذلك وذهبت الى المدرسة عند وصولنا اليها اجتمع حولي التلامذة بسألوني عن سبب طلبي للمحافظ فأجبته ان افندينا ارسل طلبي تلفرافياً من المحافظ فكان لهذا الخبر ضجة عظيمة في المدرسة وتراكم التلاميذ لتقبلي مع أهم قبل ساعتين كانوا يتجنبون مكالمتي وكلفوني أن أخبر افندينا عن سوء تصرف حسن بك معهم وأخيراً اشار علي أحد أصحابي أن اذهب تلك الليلة الى الجزيرة وأنام فيها حتى استطيع للحاق السكة الحديدية قبل سفرها فتوجهت حالاً بعدما قطعت النيل وكنت لا بأساً ثوب المدرسة الرسمي وبالصدفة كانت تلك الليلة ممطرة وقبل نزولي في النيل قابلت مصطفى افندي رضوان ترجان المدرسة وهو من حزب محمد علي الرئيس المعزول فأخبرته عن طلبي من الخديوي ووعدته بأنني سأمدح محمد علي الرئيس السابق أمام حضرته .

كانت الليلة التي سافرت بها ممطرة وعندما وصلت الى الجزيرة توجهت الى احدى المقاهي وسألت اذا كانت توجد هناك لوكاندة للتمامة فأجابني احد الحشاشين ده ده يا سيدي لوكاندة ايه ومتتاع ايه فطلعت من قوله ان اسم اللوكاندة مجهول عندهم وسألت اذا كان احد من الشوام قاطناً تلك البلدة فأجابني احدهم بوجود هنا شخص شامي يدعى الخواجه انطون وهو دخاخني ولكنه أقفل دكانه فقلت له ان يصنع معي جيلاً ويهديني الى بيته فذهب معي وبعدما قرعنا الباب سألوا من الداخل عن الطارق اجبتهم انني اريد مقابلة الخواجه انطون ان شاء التزول لمقابلتي حيثذ فتح الباب رجل وسألني من انا اجبته انني تلميذ بمدرسة الطب في القصر العيني وانا رجل شامي لي شغل بالمينا وقد نصحوني أن أنام في الجزيرة لالحق الواوور وحيث لم أجد محلاً للتمامة الا منزلكم مضيئاً أتيت أرجوكم قبولي هذه الليلة انام فيها عندكم أجابني انني ضيف نظيرك وصاحب البيت متعيب عنه وسأسل الحريم قولك قال هذا وتوجه ثم

عاد بعد قليل ودعاني فدخلت الى ردة الاستقبال وطلبت فراشاً للنوم ففرضوا علي الطعام غير اني ايت بشكر لأنني كنت أكلت قبل حضوري وفي صباح اليوم الثاني توجهت باكراً ولم ار صاحبة البيت ولا صاحبه انما عرفت انه يدعي انطون وحين وصولي الى محطة السكة الحديدية سلمت تحرير المحافظة الى القومسيير فأخذه مني واعطاني عملاً في الدرجة الثانية وفي اثناء سفري قابله شعبان بك مدير قومية الوابورات الخديوية فدعاني الى قربه بالدرجة الاولى .

وعندما سار بنا قطار السكة الحديدية اخبرت شعبان بك ما توقع لي مع حسن بك هاشم وقلت له انني سافرت بالسباحة الثانية مستنداً على اذنك ومعتمداً على محابرتك معه فهل لك ان تشهد بما توقع أمام الخديوي فأجابني بالايجاب وفي الساعة الثالثة بعد الظهر وصلنا الى المنيا وكانت سكة الحديد لا تعدى في ذلك الوقت تلك المحطة فتوجهت توأ الى السراي وسلمت تحرير المحافظة الى خيرى باشا مهر دار الخديوي يومئذ وكنت مرتدياً ثياب المدرسة الرسمية فبعد ما قراه سلمه الى شخص كان بجانبه ففلا هذا والتفت اليّ قائلاً قد حسبتك طيباً ونرى انك لست الا تلميذاً فأجبت هل تتنوع معاملة الطيب عن معاملة التلميذ بالاحكام وهل يجب ان يبقى عرضة للاهانة فضحك وقال حسناً أدخل الآن وطلب وكيل السراي وأمره ان يبد لي غرفة واخبره اني ضيف افندينا أما هذا الرجل فكان

(اسماعيل باشا المفتش) مصري الأصل وهو لم يتخرج في مدرسة بل انتظم في خدمة الاملاك الزراعية الخديوية بطعننا وحين عرف مشرب اسماعيل باشا اجتهد بعمل كل الطرق لاكتساب رضاه فحسن الاراضي وزاد ايرادها حتى ترقى الى درجة مفتش عمومي واحبه الخديوي ورقاه حتى تعين ناظراً للمالية وكان مثله معه كمثل البرامكة مع هرون الرشيد وقد اتصل الى غنى فاحش حتى انه في كل محل كان توجد فيه سراي خديوية كان له قصر اهمه قصره الكائن قرب سراي عابدين وكانت تتوارد اليه الضيوف والهدايا من الغنم يومياً وقد اخبرني وكيل مصروفه انه كان يذبح خمسين رأساً من الغنم يومياً لأجل الطعام ولم تكن فخامته تقل عن فخامة الخديوي وكان في آخر مدة وجودنا بمصر قد بدأ بانشاء سراي في شارع قصر العيني .

وعندما تشكلت المراقبة المالية الفرنسية الانكليزية في مصر وجدوا عليها ديوناً باهظة جداً وكان اسماعيل باشا المفتش حين ذاك ناظراً للمالية فسل عنه أجاب ان الافراج كلفت مليونين وفتح نوعة السوس كذلك وقدم بعض تقارير بلغت الخديوي فلم ترق له ومن بعد ذلك لم تسمح له خيراً وكان له ولد احبب هو وورثه الوحيد ابقوا له شيئاً لمعاشه وكان له ابن اخت اسمه نشأت بك تعرفت به يومئذ في المنيا .

مقابلي مع الخديوي اسماعيل باشا

كان اسماعيل باشا الخديوي الحاكم في مصر بامر غني ويفقر يميت ويحيى يجب العز والجاه كريماً مهياً ولم يكن يمكن التلطف باسمه في كل مصر دون الالتفات يمناً وشيلاً كي لا يسمع احد وكان الناطق باسمه يذكره وجلاً حاسباً ان للحبطان اذناً فهذه الاهابة التي اكتسبها جعلته يعمل ما يشاء في القطر المصري بل كان هو القطر .

وكان يراعي سمعته امام الأجانب كي يحلهم يقبلوا الوراة الخديوية في نسله فكان عادلاً جداً اذا عرف ان المسألة عرف بها الأجانب وهذا ما ساعدني في مسألتي مع حسن بك هاشم وكنت تراه مرة كريماً جداً الى حد التبذير واخرى بخيلاً الى حد التقدير غير انه هو الذي أظهر روتق مصر وجعلها مطعماً للدول الاخرى وكانت مصاريفه باهظة جداً بحيث قدروا ان ثلث اراضي مصر كانت ملكاً له وله ثلث اسهم ترعة السويس وكراخين سكر ومراكب وكانوا يعدونه اغنى شخص في العالم ويقدرون مدخوله السنوي اثني عشر مليون ليرة كان يصرفها عدا مالية القطر التي كانت تحت امرته . وكان يحتاج احياناً للدراهم فيسأل اسماعيل باشا المفتش عن حالة الفلاح وهل يمكنه احتمال ضرائب جديدة فيجيبه المفتش ان افندينا هو الفقير لأن الفلاح مها كان غنياً لا يغير عوائده يأكل اللبن والنوم على الأرض فالدراهم لا تنفعه اما افندينا محتاج للدراهم كان عنده مهات واشغال وعمليات واستقبالات يلزمها المال فكان كلامه بقمع عند الخديوي موقع القبول .

وكان يستدين الديون الباهظة بصرفها عدا هذه المداخيل لكنه كان يصرف منها قسماً للمنافع العمومية في مصر وهو الذي أوصلها الى هذه الدرجة بالسكك الحديدية الترع والمدارس وبالأجلال قد صرف كثيراً وعمر كثيراً وهو الذي كان الموت والحياة بين يديه بلا معارض ولا محاكم وترتجف منه كل اهالي مصر فكيف تكون امامه حالة تلميذ شامي غريب مثلي .

وعندما دخلت غرقتي في سراي المينا واسترحت قليلاً صرت اتقرب من الباورية والمأمورين وكان كل واحد منهم يسألني عن قصتي ويقول لي ربما افندينا يطلب مقابلتك وقد رأيت اسماعيل باشا المفتش وهو يتترجى بحديقة السراي فقال لي ان مسألتك غريبة لأن افندينا عند استجوابه من النوم أمر بأن يطلبوا الحكم الذي ضربه حسن بك هاشم ولا نعلم من أين علم هذه المسألة وسألني هل قدمت استدعاء بذلك أجبته كلا وهذه القصة قد انتشرت في مصر انتشاراً عظيماً حتى بلغت مسامع افندينا .

وفي الساعة الثالثة عرية ليلاً حضر باور وقال لي ان افندينا يطلبك وعندما سمعت ذلك شعرت بطين في أذني وخفقان في قلبي واحمرار في وجهي وأصبحت كأني في عالم آخر ولكن بشاشة وجه الباور

وتبسمه طمئاني نوعاً فنهضت حالاً وبتعته وقد كنت في النهار استخبرت عن كيفية الوقوف أمام افتدينا فقبل لي اذا كان عسكرياً يقف ولا يديدي ادنى حركة حتى يكلمه اما اذا كان لابساً الثوب المدني فينحني وقبل الاذبال وحيث كنت لايسأ زي تلميذ عسكري عرفت ان أكون انخساً بالكلية لان ذلك يوافق حالتي واخيراً بعث الياور ودخلت بين صفوف المساك والضبباط والامراء والبشوات والكل يلتفتون الي ويتعجبون من تلميذ يحصل على شرف هذه المقابلة أما أنا فا كنت اسمع الا طنين اذني وخفقان قلبي ولم يكن نظري يفارق قدم الياور حتى وصل بي الى باب مغطى بستار عظيم لأنه كان فصل الشتاء فرفع الياور الستار وقال ادخل ووقف خارجاً .

عندما دخلت وجدت الخديوي وقتئذ يتمشى وكان ظهره موجهاً للباب وحيث انه لم ينظرني تقدمت خطوتين فالتفت ورائي وسألني بصوت لطيف سكن روعي وقال لي هل أنت الطبيب الذي ضربه حسن بك هاشم اجبت نعم قال انخبرني قصتك فعند ذلك انصرف عني الخوف وزال كل وهم فاخلفت هيئتي المعتادة وابتدأت اتكلم كأن اسما عيل باشا أحد رفاقي ولما انيت كلامي قال لي حرر كل ذلك بورق وادار ظهره فخرجت عكس ما دخلت رافعاً رأسي ولا اسمع في اذني سوى صوت الموسيقى الخديوية أما خفقان قلبي فلما يفارقي غير ان السبب كان مختلفاً عن الأول وهو الخوف أما الآن فالفرح وكان الكل ينظر الي وانا اسلم على المساك كأحد الضباط مع اني عند دخولي لم أكن التفت الى احد .

عندما رجعت الى غرفتي اخذت القلم والورق لأكتب وكنت مفتخراً لمقابلي الخديوي المعظم وانه بش في وجهي واقتكرت اني اقوى الناس فكنت ارتفع عن الكرسي واقوم ثم اعود وأجلس وافرك يدي وأرى كل شيء أمامي كلاً شيء واتصور انتقامي من حسن بك الذي اهانتني وصرت ابحت في مخيلتي عن عبارات فصحي لأكتبها ظناً من انها تيج الخديوي ضد خصمي وبينما انا في هذه الحال خطر لي فكر وهو انه لعل الخديوي لا يعمل شيئاً مع رئيسي حسن بك سوى توبيخه فيبقيه في مركزه وماذا تكون حالتي معه عندئذ وانا تلميذ تحت امرته فانه ينتقم مني ويعمل طردي أقل جزاء استحقه وبعدما أكون قضيت ابامي في الدرس واغتربت لأجل الحصول على نتيجة تذهب اتعابي لما بلا جدوي وارتابت ان اعتدل في كتابتي واخبر قصتي كحادث بسيط بدون ان أسس بشيء كرامة الرئيس حتى اذا بقي في منصبه اعتذر له بأنني لم اشكوه باستدعاء مخصوص بل الحادثة بلغت مسامع افتدينا من الخارج فطلعتي وسألني عنها فلم استطع نكران الحقيقة وكنت افكر ايضاً ان الخديوي لم يطعني ولم يظهر هذا الاهتمام بأمرى الا لقصد سياسي ولعله لا يرضى عني اذا كنت لا اسرد له الحقيقة على علانيتها وبقيت مدة متردداً بين هذين الفكرين اخيراً تسلط على الفكر الثاني وانه لا بد من قصاص حسن بك حتى يظهر عدله لأهل اوربا وعلى فرض بقي حسن بك رئيساً واراد الانتقام بطردي فأسافر حالاً الى اميركا واخبر الموسى روزفلت بأمرى وأنتي طردت من المدرسة بسببه وهناك أكمل دروسي او انه يجد عملاً آخر لأنه قادر على ذلك فاعتمدت على تقديم التقرير الآتي لان الشجاعة هي فكر والجبانة مثلها :

يعرض عبد سموم شاكرك الخوري التلميذ في مدرسة الطب الشامي الأصل ان عظمتكم التي تفصي لياها وايامها بالسهر والصب لكي تمدن مصر وتترع عنها جميع عوائلها القديمة لها اعداء من نفس خادمتها يرجعون بها الى حالتها الاولى .

وأهم اعدائها هو حسن بك هاشم رئيس مدرسة الطب الذي يجتهد ان يبقى عادة الفراعة وهي الضرب على اقدامهم كالحيوانات في حين ان سموم امرم بمنع هذه العادة القبيحة خصوصاً للغرباء الذين هم مثلي القادمون من أقصى البلاد لتلقي العلوم والمعارف في البلاد المتقدمة التي يظلالها عدلكم الشامل فيعاملون كما كان يعامل الفراعة اسراهم وقد جرى لي ما هو كذا وكذا (وذكرت الحادثة كما توقعت معي) كل ذلك لأجل خدمات قدمتها لسمومك لأنني توجهت مع السياح الذين عرفوا بي انه يوجد في مصر اطباء وطنيون يحسنون لغاتهم وقد كان الرئيس يريد ارسال احد اقاربه فرفضه السياح لمجمله لغتهم واننا في مدة عمده علي بك الرئيس السابق لم نر قط مثل هذه المعاملة هذا ما اعرضه لمقام خديويكم والامر لمن له الامر اقدام .

وفي اليوم الثاني قابلت اسماعيل باشا المفتش واخبرته امر افندينا واعطيته التقرير ليقراه وقلت بفكري متى استشرت شخصاً واطلعت على حوادثك وطلبت رأيه فلا بد له من مساعدتك حتى يكون الفائز خصوصاً متى كان الشخص قوياً لذلك يلزم المرء ان يبدي رأيه الصحيح لأي كان استشاره بأي امر .

وبعدما قراء اسماعيل باشا التقرير أمرني ان اسلمه للياور الذي في ثاني يوم صباحاً قبل ذهابي بسكة الحديد الى مصر حضر لعندي وقال لي قد امر افندينا ان توجه سوية الى مصر فسرنا وحين وصولنا الى المحطة حضر ياور آخر وأمرنا بالرجوع الى السرايا فعدنا اليه وهناك سلمني ياور ثالث تحريراً من الخديوي الى المحافظ عمر باشا لطفي فسألت الياور الذي كان ذاهباً معي عن سبب عدم مجيئه معي وكان قد قابل وقتئذ الخديوي فأجابني ان افندينا افكر ان لربما لا تحصل حقوقك في المدرسة نظراً لعداوتك مع الرئيس وأمر ان تنظر دعواك في المحافظة فوجه حالاً قبل ذهاب السكة الحديدية التي استنظرنا بزيادة عن ميعادها وارفضي بياور فدخلت في الدرجة الأولى وبيبا أنا في هذا المحل حضر مفتش التذاكر وسألني عن تذكرني فقلت انني آت بمأمورية فذهب وأرسل المفتش العمومي الذي كان صديقي فحين رأي فرح وسألني عن نتيجة سفري لأن التلاميذ كان ينتظرون عودتي بفروغ صبر فأخبرته ما جرى .

وفي اليوم الثاني وصلت الى المدرسة صباحاً عند شروق الشمس فوجدت التلامذة مصطفين لأجل النذبة (اي لقراءة اسماهم يعرف الحاضر من الغائب) فعندما نظروني خرجوا جميعهم من الصف ومعهم الضابط وصاروا يسألوني عما توقع لي .

ففي هكذا ظروف يجب على الانسان ان يظهر من الضعف قوة يأخذ له حزباً لأن البون بيني وبين خصمي كان عظيماً فافتكرت انني اذا تكلمت بالتمقل يظنون انني لم انجح ويبقى الجميع ضدي لأن الضعف في هذه البلاد يعد أعظم ذنب للانسان خصوصاً متى كان الرئيس خصم تلميذه قُتل لهم افرحوا هاكم امر عزله وارتهم التحرير المرسل من الخديوي الى المحافظ ففرحوا جميعاً وابتدوا يقولوني لأنني نجحت ولو أني الأمر بخلاف ذلك لما كان أحد كلمني ولكان أصابي ما أصاب الأسد والثعلب .

قيل ان الاسد مرض ذات يوم فحضرت اليه جميع الحيوانات يعودونه عدا الثعلب الذي افتكر بان المرض اذا كان قوياً وقضى على الأسد بالوفاة يكون قد تخلص من قتل الزيادة وان شئ يذهب لهيبته بصحته ولما شئ السبع من مرضه فرأى الثعلب ان لا بد له من الزيارة فذهب الى مغارته وبقى راضياً بعيداً عن الباب فحين رآه الاسد بدا يعاتبه لعدم عيادته حين مرضه فأجابه هذا انني لم ارض ان اثقل عليك كباقي الحيوانات وانت مريض احضر لتناول طعامك أو ان آتي بلا هدية فصرت ابحت عنها حتى وجدت الثعلب .

وحين ما سمع الاسد ذكر الهدية سكن غضبه وبش بوجه الثعلب وسأله أين هي قال في روضة قريبة منا حجار سمين ممتلئ اللحم حين رأيته انتهت مأكلاً لسيدي فان امرت فذهب اليه فتوجه الاسد مع الثعلب حتى وصلا الى الحديقة ورأى الحمار كما وصفه الثعلب يرعى ورأسه بالأرض فأشار الثعلب على الاسد ان يأتيه من وراءه ويضربه على كفه ليقبضه بالأرض قبل ان يراه فعزل غير انه نظراً لضغفه لم تكن ضربته قاضية ورفسه الحمار على رأسه فسقط الى الأرض من عظم الضربة وعند ذلك تقدم الثعلب وصار ينهش الاسد فقال له ما هذا شرط المرافقة نهشي وانت الذي اتيت بي فقال يا سيدي ان الدنيا مع الواقف ولو كان حجاراً .

ثم غيرت ملابسي وتوجهت للمحافظة وسلمت التحرير الى المحافظ ورجعت الى المدرسة .

وكان الباش جاويش عدونا قديماً يحزب التلامذة المصريين ضد الشوام بحيث اذا صادفوا أحداً منا في الصف او الدرس او على مائدة الطعام يمتنونه اخبرني رفاقي بذلك فصحتهم ان يتجنبوهم حتى نرى عاقبة الامر ولا يخالطوهم فاتبوا رأيي وكان الباش جاويش يقيد اسماءهم متغيبين وفي ذات يوم حضر الرئيس الى غرفة الشوام وقال لهم اراكم تعصون قوانين المدرسة فافندنا قد طلبني الى حضرته وامرني بضرب وحبس من يخالف الاوامر فأجابه انطون افندي الشراوي وهو واحد التلامذة الحلبيين ان افندنا لا يأمرك هكذا اوامر خارجة عن تمدن العصر .

عندما عرفنا أفكار الرئيس من نحونا قلت لرفاقي لعله يشكونا لرئيس ديوان المدارس علي باشا مبارك فالأوفق ان نسبقه ونعرض ظروف أحوالنا ونوقع نحن العشرة على الاستدعاء فصادقوا على رأيي وكتبنا الاستدعاء الآتي :

دولتو افندم حضرتلري

يعرض عبيد دولتكم العشرة شوام تلامذة مدرسة الطب انه الحادثة التي جرت مع الرئيس واحدا من شاكر الخوري قد تسلط علينا الباش جاويش وبعض رفاقه فهم يشتمونا كلما رأونا في درس او صف او محل أكل حتى التزمنا ان نبقى في غرفنا لا نخرج منها واذا لم تتداركونا لا نعلم ماذا يجري علينا .

ووقع على الاستدعاء العشرة شوام وارسلناه مع التلميذ الخارجي المرحوم الياس زند وفي عصارى ذلك اليوم اتانا وكيل ديوان المدارس وهو اسماعيل باشا زهدي .

وعند حضوره قرع الطبل لاجتماع التلامذة فاصطفقنا في الدار وقال أين هم الشوام أخرجوا من الصف فخرجنا وأخذنا بعيداً عن المصريين وقال لنا هل هذا الاستدعاء متقدم منكم اجبناه نعم قال وما هذا العمل الذي صنعتوه وانتم اناس غريبان (اراد ان يقول غريباء لانه كان يعجز اللغة العربية) ولا يلزم ان تعملوا فتناً في المدرسة فلم أدعه يتم كلامه وقلت له اننا طلبنا مساعدتك لتخلصنا من الباشجاويش لا لأجل ان توبخنا وماذا يستطيع ان يعمل عشرة تلامذة من الشوام مع مائتين من المصريين منهم الرئيس والباش جاويش قال لي من انت اجبته انني صاحب الدعوى مع الرئيس فقال حسناً أرجعوا الى صفكم فامتثلنا امره وطلب الباشا الباش جاويش وقال قد تقرر لي ان كل هذا الميجان الحاصل في المدرسة مسبب منك فانت من هذه الساعة معزول واقام آخر خلافه كنا طلبنا تعيينه ثم امر ان تكون ادارة الشوام لوحيدهم ويعين عليهم اونياشي معهم ولا يتداخل احد من المصريين بشؤونهم وطلب مني ان اكون اونياشياً عليهم فرفضت وعرضت عليه انظون الشرراوي فسره جداً طلبني وجرى تعيينه اما سبب رفضي فهو ان وظيفة الاونياشي تقضي عليه بذكر اسماء المتغييبين عن الدرس او المدرسة فلم اشأ اكتساب عداوة رفاقي في حين نحن محتاجون للاتصاف والمعاوضة وصار فيما بعد اذا حصل اختلاف مع أحد أصلحه فكان انظون اونياشياً وأنا مصلحاً وبقينا على هذه الحال حتى اتانا طلب من المحافظ توجهت الى المحافظة فوجدت هناك الباور الذي كان يريد الحضور معي فسلمت عليه ثم التفت واذا بحسن بك هاشم عند المستنطق مع أحمد افندي القديم كاتب المستشفى والاستشارة الطبية فتقدمت الى المستنطق وقلت له اذا كان الرئيس ينكر فعله فعندي شهود عليه فلم يجب بحسن بك بشيء وخرجت انتظر الباور حتى اتى فسالته قال ان حسن بك اعترف بالضرب والحبس ولكنه زعم انك هجمت عليه قلت هل يعقل ان تلميذاً غريباً نظرياً يهجم على رئيس مدرسة قال ان كلامك مصدق فكأن مرتاحاً وحيث انه اعترف بالضرب والحبس فيسلفي جزاءه فرجعت وتأخرت الدعوى لسبب دخول عيد الأضحى وبعده نفذ الامر بالفرل .

كان حسن بك هاشم من الاطباء الماهرين جداً تلقى دروسه في باريس ونال شهادتين في الطب والصيدلة وكان طبيب النساء في قصر الخديوي ومدرس علم الفسيولوجيا في المدرسة .

وفي احدى الليالي الساعة واحدة عربية حضر اليّ موسى التبرجي وقال لي تعال معي يا موسيو شاكر

فلي حديث اسارك به فذهبت معه واخبرني سرّاً انه كان عند محمد علي وفي المساء حضر ياور افندي الخديوي وسلمه امر الرئاسة بدل حسن بك هاشم فأعطاه ليرتين اكراماً لهذه البشرية ولا تفتت صدق قوله فتشت جيوبى فأريت معي نصف ريال اعطيته له وذهبت حالاً الى العليل وابندأت أقرعه استفاق التلامذة لأن الساعة كانت واحدة وغير محتاد قرع العليل في مثل هذه الساعة وظنوا جعفر الموكل عليه هو الذي يقرعه ولما اتوا ورأوني سألوني عن سبب عملي فأخبرتهم بعزل حسن بك هاشم فعلا الصراح في كل المدرسة وبدأ التلامذة يلعبون الى الصباح .

وتوجهت عند الصباح الى الكاتب أحمد افندي القديم وسألته عن الأمر فقال صدق مخبرك وهالك الامر فأخذته وقرأته وهو كما يأتي وقد حفظت نسخة بين اوراقى .

صورة الأمر العالي الصادر الى المحافظة بعزل حسن بك هاشم

بناء على ما اجراه حسن بك هاشم الحكيم مع شاكرا افندي الخوري التلميذ في مدرسة الطب بقصر المعنى من المعاملات غير اللائقة والمخالفة للأصول والقواعد والأوامر اقتضت ارادتنا رفع حسن بك المولى اليه من وظيفته برئاسة المدرسة والمستشفى وباقي وظائفه بالمصلحة المذكورة واحالتها لمهدة محمد علي بك الحكيم وصدر امرنا بتاريخه لنظارة الداخلية لارساله مع جورنال تحقيق القضية المذكورة واحالتها الى مجلس الاستئناف للحكم بها حسب الأصول وأصدرنا هذا الحكم للمعلومية واجراء رفت حسن بك من تاريخه واحالة وظيفته الى محمد علي بك كما ذكر (وبهذا الأمر حاشية ورد ما فيها) اننا نأمر محمد علي بك ان يتخب من يراه من اطباء المستشفى الماهرين ليقوموا في الوظائف التي كان يؤديها حسن بك .

وبينا نحن في المستشفى حضر حسن بك لأنه لم يعلم شيئاً ودخل بمجلته لدار المدرسة فصرخ التلاميذ معزول معزول ولما سمع هذه الكلمة طلب أحمد القديم وسأله فأخبره ما توقع فرجع توّأ بمجلته بين صفين من التلامذة كانوا يهزأون به وبعد ساعة حضر محمد علي بك .

(رجوع محمد علي) حين رجوع محمد علي رئيساً للمدرسة جمعت رفاقي الشوام وقلت لهم قد تخلفنا المرة الاولى ولكن لا تسلم الحجرة كل مرة خصوصاً اذا كان محمد علي ضدنا فخير لنا ان نسير على موجب القوانين باقي هذه السنة وعلى الله التدبير واتفقنا على ذلك وبعد حين اتى محمد علي الى المستشفى ليرى الدروس فشاهد جميع التلامذة يتكلمون ويكلمون الا أنا فطلبتى وقال لي لم لا تتكلم شيئاً قلت كفاني ما جرى لي مع حسن بك هاشم وصرت اخشى كل رئيس يأتي بعده قال انت كأولادي ولا تخشى من سواء وكان بعد ذلك يحضرنى معه في كل عملية جراحية يحريها ويرسلني الى المرضى في الخارج وعشت حتى آخر السنة كمعلم لا كتلميذ .

بناء على امر الخديوي الصادر بملاحقة الدعوي صار طلبي الى ديوان الاستئناف وسألوني عن دعوي حسن بك هاشم فقلت في ذاتي كفاي ما أصاب هذا الرجل بسببي واذا لاحقه للنهاية ربما كرهني الاساتذة وقالوا عني اني متعنت متطلب متقم فأعلنت اني استوفيت جميع حقوقي من عدل افندينا الخديوي واكفيت بعزله فما عاد لي عليه حق واسقط جميع حقوقي الشخصية وقد عرفت فيما بعد ان الخديوي أمر بتفريجه جزاءً نقدياً عوض اهانتني لكنني اكفيت بالجزاء الأدبي .

من يفكر او يطرأ على باله ان تلميذاً غريباً في مدرسة طيبة لسبب ضربه وجسه في المدرسة وهي أمور معتادة في سائر المدارس اتصل خبره لمسامح الحضرة الخديوية فلاحقته دعواه الى اخرها وطردت رئيسه العامل العلامة وحرمت راتبه البالغ مائة ليرا مصرية شهرياً وصدرت عليه دعوى جنائية فليعلم الانسان ان الظروف هي التي تعمل كل شيء فالانسان التاجع هو الذي يوجد في ظروف تساعد يستغنى فرصتها بمهارته الشخصية .

(ظروف هذه المسألة) كان نجاح هذه المسألة صدفة وهذه الصدفة هي ارسال تحريري الى الموسيو روزفلت مفتوحاً وقرأه صاحب اللوكندة الموسيو يوسف بتاليني له الذي كان يخبر الخديوي كل ما يقال عنه في لوكندة النيواوتل فعندما اطلع على تحريري ورأى تحريري في اليوم الثاني ارسله الى الخديوي وجرى ما ذكرناه فتكون الصدفة هي التي فعلت كل شيء ومن ذلك الوقت بقيت اتردد على الموسيو بتاليني ازوره واشكره لما فعله معي الى ان حضرت من مصر اما حسن بك رئيس المدرسة فانه توفي بعد خمس سنوات متأثراً من هذه الحادثة ولم يرجع الى وظيفته وقد حررت الى موسيو روزفلت حسب وعدي له جميع هذه المعاملات العادلة من الحضرة الخديوي وكيف عزل حسن بك وحاكمه الى آخره .

(الوفاء لانطون اللخاخين وفي السنة الأخيرة لدرسي بينا كنت نوبتجاً في أحد الايام واذا برجل شامي أتى يطلب فوزي افندي استاذنا في الحراقة فسألته ماذا يريد مني أجابني انه يدعى انطون اللخاخيني ساكن البحيرة ويرغب في عملية جراحية فعرفت انه هو الرجل الذي ضفته في منزله ليلة سفري الى المنيا غير اني كتمت عنه هذا الأمر وقلت له خير لك ان تعمل العملية هنا وأبقى ازورك يومياً في منزلك فتوفر عليك أجرة طبيب مهم فاستصوب رأيي وحالاً ذهبت الى فوزي افندي واخبرته قصتي مع هذا الرجل ورجوته ان لا يأخذ منه أجرة وانني ابقي أزوره في منزله وطلبت منه ان يكلف المريض بارسال الاجرة معي فبعد اجراء العملية وزيارتي له مدة سبعة ايام ثم شفاؤه واعطاني خمس ليرات اجرة الزيارات والعملية فأخذتها منه ثم قلت له مرادي الان اخبرك قصة جرت لي هنا في هذا البيت واعدت عليه ما توقع معي وشكرت له فضله وفضل أهل بيته الكرام ورجوته ان يقبل هذا المبلغ جزاء معرفته لضيفاتي تلك الليلة عنده ولرب معترض يقول ان نوم ليلة لا يوازي هذا المقدار فأجيب ان هذا الحساب لا يعمله الا التجار الذين يحسبون رأس مالهم ومكسبهم اما ذو الاحسانات الشريفة الذين يتأثرون من المعروف لا يمكن عندهم هذا الامر وقد افكرت ان هذا البيت عمل معي معروفاً في ليلة كنت محتاجاً ولو كلفني أكثر من ذلك

لكننت دفعته فضلاً عن كونه صنع معي هذا الجميل دون سابق معرفة بي والرجل القوي هو من لا يسأل على ماله ولا على حياته والمعكس الدليل هكذا انتهت هذه الحادثة وبعد ستين من حصولها خرجت من المدرسة وكان الامتحان الاخير في ١٤ تشرين أول سنة ١٨٧٣ لذلك تراني مخصصاً هذا النهار أطيب فيه بجائناً الغني والفقير وهذا هو يوم ولاديتي وعيادي بين الرجال وأخذ اسم شظي دكتور أعني هذا هو اليوم الذي به ابتديت أكل من تبسي وتركتي أبي ومدرستي وهو أول ظهوري في عالم الاشغال فبقيت ٢٦ سنة وشهرين وعشرين يوماً أكل وأكتسي وأتعلم على حساب والدي فلو كنت فلاحاً لسعفته من سن ٥ سنوات لكننت أوفر عليه أقله رعاية المواشي .

(سكني في مصر) لما انيت دروسي وخرجت من المدرسة كنت أفكر أني اغتخلص من كل المهوم حين أنال الشهادة وهذا الفكر بطراً على بحيلة كل تلميذ ولكن عندما انقطعت رواتبي المدرسية والوالدية وخرجنا منها ازددنا همّاً على هم وصرتنا نأسف على حالتنا للماضية اذ زاد علينا هم طلب المعاش وأجرة محل النوم وهذه متاعب كنا براحة منها وبعدما انقضت افراح الشهادة فتح لنا باب المهوم وكان مثلنا كمثل عريس الذي يفرح جداً يوم عرسه لكثرة الاعتبار له وفي اليوم الثاني يتندي بهم في تدبير السيدة وبعد سنة بالأولاد وهلمّا جراً .

فرسنا كان يوم نوال الشهادة وفي اليوم الثاني ابتدي المه وكنت في الاسبوع الأول من خروجي أحضر عمليات اساتفتي الثلاثة محمد علي باشا وحسين بك عوف وسالم باشا سالم وأزور المرضى نيابة عنهم واساعدتهم في اجراء العمليات واكتسبت في ذلك الاسبوع اربع ليرات وحالاً استأجرت محلاً .

وكننت أجلس في صيدلية مصطفى افندي ابو زيد أحد اساتفتنا الكاتبة في اخر شارع الموسكي تسمى بذلك باسم رجل اسمه الموسك أول من عمر فيه قرب سوق الكاتو وكان الصيدلي اللعين فيما يدعى انطون افندي قرا الى الذي ستذكره فيما بعد وكان بالقرب منها مجتمع ماسحو الاحذية وقد اشتهر بين هؤلاء ولد اسمه احمد كان يأخذ اجرة زيادة عن رفاقه لأنه كان يتفنن صناعته جداً وكانت الناس تزدهم عليه وتدفع له اجرة مضاعفة وفي آخر النهار يجمع نحو ليرة وعند ما تأملت هذه الحال قلت بذاتي ان غنى الصناعة هو شهرة صاحبها واذا كان ماسح الاحذية يكسب ليرة يومياً نظراً لشهرته فاذا تكون حال الطبيب لو اشتهر ومن ذلك الحين اعتمدت على اتقان صنعتي وتخصيصي بفرع منها لأنه نظراً لكثرة العلوم الطبية وتفرعاتها لا يمكن الطبيب ان يشتهر فيها كلها ولأجل شهرته وكسبه وافادة مريضه يجب ان يخصص ذاته بفرع منها وحيث كانت توجد عندي آلات العيون التي اهدانها المسيو روزفلت كما قدمت وكنت قد ألقت خصوصاً طبيب العيون حسين بك عوف وجعلت سهولة عظيمة لاتباعي هذا الفن خصوصاً لكثرة امراض العين في مصر وقلت بذاتي اذا كان احمد ماسح الاحذية يكسب ليرة يومياً فلا بد ان تكون قيمة العين أغلى وأعلى من الاحذية فهذه الحادثة تعلم الانسان ان لا يترك شيئاً مما يشاهده لان أغلب

الاكتشافات والاختراعات والاجهادات كانت صدقة وكثيراً ما نتعلم من هم دوننا لذلك لا يلزم احتقار شيء أو النظر اليه دون أهمية .

وقد أخذت بيتاً عند مريم القبطية التي كان لها زوجاً متوظفاً في الحكومة يبتدي بالشرب عند رجوعه حتى يسكر فاذا كان منشراحاً منها ابتدى يمدحها والا يسبها حتى ينام وهو سكران ويقف عند نصف الليل يمد الأكل بجانبه يأكل وينام وكان له جار اسمه تادرس يجلس مساءً على باب داره ومتى مر شخص أمامه ان كان يعرفه ام لا يهزمه للأكل ويخرج عليه واذا دخل المزموم يبتدوا بالشرب وعندما يتخمر تادرس يفلق الابواب ويمسك عصا ويبتدي بضرب الضيف الذي يصيح ويخلع الابواب ويهرب وهكذا كل يوم له ضيف .

وعندما نظرت هذه الجربة وكنت اكتسبت بعض دراهم أخذت بيتاً في شارع كلوت بك الذي فتح جديداً وكان ذو طابقين سكنت الأعلى وسكن معي في الدور الثاني قواص قنصل اسبانيا .

قنصل جزال اسبانيا في مصر ميورامو

كان لهذا القنصل قواص من بلادنا تغيب أحد الايام عن القونصلاتو فسأله قنصله عن السبب أجاب ألم ضرره وانني جاره وطبيب له الضرر فشني وكان للقنصل ضرر باله من مدة مدبدة فأرسل يطلبني لعلاج فعملت له عجيبة من حمض الارستيك والمرفين وضعت في الخرق واعطيته حبوباً من سلفات الكينا وعند نصف الليل ارسل يطلبني لكثرة القيء فترعت العجيبة ومنعت عن أخذ الحب وكان أخذ حبة واحدة فتوجهت الى الصيدلية لأرى الرشتا فوجدت مكتوباً فيها عوض سلفات الكينا سلفات الانروبين فتهددت الصيدلي لان وظيفته ان يرجع غلط الطيب فتواقع عليّ لكن سره فوعده ان اذا لم يحصل ضرر واخيراً كان هذا الذي سبباً لشفاء القنصل لأن الصفراء كانت تخرج له هذه التوب فاخيراً من غلطة كانت شهرتي عند القنصل وصرحت طبيب البيت متى اراد الباري نجاح امر يخلق له اسباباً لا يعلمها الا هو .

ولي في هذا المقام ما لاحظته على هذا الحادث وهو نسبة الطبيب الى المريض وصاحب هذه الصناعة يجب ان يكون راقفاً غير مضطرب لا يتأثر من حالة المريض اما الحديث فيها نظري فيظن ان القناصل الهمة على الارض وحين يطلبونه يضطرب من عظمتهم وقوتهم ويكثر خطاؤه ولهذا يجب على عظيم القدر ان يلاطف طبيبه ويعوده عليه ويمارحه حتى لا يعود يرهبه ولا يؤثر عليه فيحصل كما جرى .

(ابنة القنصل) كان لهذا القنصل ابنة لطيفة المعشر تبلغ الثامنة عشرة من عمرها تحفة الجسم ولكنها فاقدة شهوة الأكل بالكلية وزرتها في أحد الايام فقالت لي بلهجة السرور ان شاهيتي في هذا النهار

عظيمة ، وما ذلك من دوائك ولكني جلست في غرفتي المقابلة لغرفة المائدة فرأيت القواس يأكل باشناه عظيم وسرعة كلية وكل اعضائه تتحرك فأثر بي هذا المنظر وجلب لي الشاهية فطلبت الطعام لرفقي وصرت كلما اراه يأكل ازداد اشتها للطعام وكان أعظم دواء لي .

وبالحقيقة ان الانسان اذا كان جالساً على طعام ورأى رفيقه يأكل باشناه وكان أכולاً تزيد شاهيته ولذلك ترى كبار البطون يتخطفون الطعام من بعضهم وبالعكس اذا كان الواحد قليل الاشتها او أكله ببطء وكسل تفقد الشهية ويضطر الانسان ان يترك طعامه قبل الشبع حياء وأعظم ضرر لفقد الشهية هي عبوسة وجه صاحبة المنزل لأن مها كان الرجل صديقاً لك وبشوشاً وكانت صاحبة المنزل عبوسة تعرف الضيافة لأن البيت للامراة وهي صاحبة المنزل .

(نادرة) اتفق لي ذات يوم ان أكون مدعواً عند أحد اصحابي في مصر وكان له امراة عبوسة خلقاً فجلسنا على المائدة وكان معنا جملة مدعويين وقد جال الحديث على الأطعمة واستحسانها فصار كل واحد يذكر لوناً يفضلُه على غيره اخيراً سألتني صاحبة المنزل لما لا تبدي رأيك في ذلك فأجبته ان الذي يهمني جمعة الأكل وليس الأكل وأحسن جمعة للأكل هي وجه سخن وماء بارد واذا كان الوجه بارداً والماء سخناً لا تكن جمعة حسنة قهراً عن برودة وجهها ضحككت وقتر قليلاً .

(جاري المفلس) كان جاري هذا مفلساً عندما اتى مصر فاشتغل فيها مدة ثلاثين سنة فأكسب غناءً عظيماً فأخيراً ابتدئ (يتمشط) كما يقال وكانت اولاده تقتدي به بالمصروف والتبذير حتى انه بعد مرور مدة شعر يقرب زوال نعمته وكان وصل الى عمر لم يمكنه فيه مداومة الاشغال فابقي عنده مبلغ اشترى به عربتين سلمها لعمريجين يحاسباه عند المساء ففي أحد الايام كان جالساً على بابي وانا بمعينه ينتظر العريبات لقبض ما اشتغلا والا فغدت احدهما ودفع له العريجي نصف ريال قائلاً ان هذا شغلنا اليوم فكفر الرجل بالسب والشتم حتى نفدت الثانية وكان عريجيها يطلب بشتن العليق لأن العرب لم تشتغل في ذلك النهار لان الحصان كان مريضاً فغدت طار عقل الرجل وبعد مدة راق بسبب التعب من الشتم والمسبة وكان في مدة رواقه لطيفاً طريفاً مسخناً فسألته عن احواله المالية واني سمعت انه غني ولذا يعمل هذا العمل وانه صار له مدة في مصر فكيف لم يجمع شيئاً لآخرته فأجابني ان مثله كمثل فارة ضميعة نحيفة دخلت اذن حار ميت فلضمفها أمكنها الدخول وعندما وصلت الى الملح وجدت نخاعاً طرياً ابتدت تأكل فسمت وعندما انتهى النخاع ولم يبق لها أكلأً ارادت الخروج فما أمكنها ذلك لسمتها فككت قهراً عنها وحيث لا يوجد غذاء ابتدت تبرز وتأكل برازها وتضعف ويقت في هذه الحالة حتى صار جسمها رقيقاً يمكنه الخروج من ثقب الاذن فخرجت وعند خروجها سألتها جارتها انشاء الله توقفت في هذه السفرة وجمعت شيئاً لآخرتك اخبريني فأجابته ان مثلاً دخلت خرجت وزيادة أكلت خراي .

شراكتي مع محمد بك عوف

كان استاذي حسن بك عوف يحبني كثيراً وقد وعدني بأشراكي مع ولده ففتح لنا عملاً في آخر شارع الموسكي وأول السكة الجديدة وسوق الكائن وكان محمد بك متزوجاً امرأة فرنساوية قفلت مصر مع ابها وامها وأراد حموها حسين بك ان يغير عائلتها ويلبسها حبرة ويرقصاً فلم تقبل ذلك وفي أحد الايام اشترى حسين بك حصاناً افريقياً فرض وأتوا له بطبيب يعطري فيعد أن عابته امر ان يقوه على عائلته في الطعام كي لا يموت فاضطروا ان يستعملوا له كل العوائد الافريقية وكانت كته حاضرة اذ ذاك فقالت له يا عماء اذا كان الحصان وهو حيوان قد مرض وأوشك ان يموت بسبب تغير عائلته فاذاً يصير بي اذا غطيت وجهي وسترته وغيّرت عائلتي فضحك لجوابها وابقاها كما كانت ولها من زوجها ولد اسمه حسين عرفته هذه السنة ١٩٠٧ في المنصورة وهو يعيش مع والدته لان والده تزوج بغيرها .

وكان لهم صديق سويسري الأصل يدعى راول ييكه من اسرة معتبرة وقد حضر لمصر معلماً في مدارس الحكومة علم الطبيعة وكان صديقاً لاسرة مادام عوف بك يأكل معهم يوماً طعام الظهر وهو عالم زكي وقد استغنى وعاد الى بلاده وقد قرأت مؤخرأ في احدى الجرائد الطيبة انه أكتشف على طريقة لسيلان الهواء وقد دعيّت باسمه وعندما توجهت الى باريس سنة ١٩٠٣ رأيت عملاً باسم ييكه وسألت عنه لأزوره فقبل لي انه لا يوجد هناك بل ان المثل باسمه .

(اسعد الذيب) تاجر اصله من حاصيا كنت طبيب اسرته وكانت له ابنة عمرها ستين وحيدة له وعاشت بعد ان توفي له تسعة أولاد وكان كل ولد يأتيه يتوفى حين يدرك هذا السن فتحصل له تشنجات وحمى بسبب الاسنان يتوفى بها وكان اولاده ليفاوي المزاج لانه وامراته كانا بهذا المزاج وكانت يومئذ ابنته الصغيرة تدعى شفيقة بهذا السن فأصابها هذا التشنج وعندما رأى الاب ابنته بهذه الحال ذهب الى عزنه وهي بحالة يأس شديدة وقال دبروا الكفن لفتائي وأرسل يستدعيني وعندما دخلت البيت سمعت نواحاً عظيماً والكمل آيسون من شغافها ويقولون هذا مرض اخوتها فطمئنهم قدر الأماكن واعطيت الابنة مسهلاً خفيفاً مع كمية من سلفات الكينا فتوقفت الحمى وزال التشنج وغر العصر رجعت لبيادة الفتاة ووجدتها مرتاحة نوعاً فتوجهت الى خان الخليلي لأطمئن اباها وعندما رأي هذا مقبلاً اليه اصفر لونه غير اني تبسمت له فأطمأن نوعاً وسألني عن صحة ابنته فاعبرته بزوال التشنجات فتعجب وقال ان كل اولادي توفوا بهذا الداء قلت له ان المعالجة هي التي أماتت اولادك لا التشنجات لانهم كانوا يستعملون لهم مدة التشنجات الاستغراغات الدموية وهي تريد الاعراض عند ذوي المزاج الليفاي مع انها ناشئة عن حمى يجب معالجتها لأجل ازالتها فهنا أعطي ملحوظات عن المعالجة بوجه العموم .

قد قلت وأقول دائماً انه يجب على الطبيب ان يدرس حالة المريض قبل المرض لان هذا يتنوع حسب الزواج وتركيب الجسم فالجسم ارض تزوج فيها البزور فان كانت جيدة تحت وان كانت عاطلة فيفسد الزرع

فالجسم أرض والمكروب زوانها والمزاج الليفاوي احسن ارض تساعد لانحاء هذه المكروبات فلذلك يجب على الطبيب ان يفحص مزاج المريض قبل كل شيء .

ثانياً : ان يعرف الزمن الموافق لاعطاء الدواء لأنه اذا لم يكن الوقت مناسباً فالدواء لا يفيد شيئاً وربما أضر بدل نفعه فمثل الطعام في غير وقته وهذه الأوقات لا يعرفها الا الطبيب المحرب وهذه المهارة يفضل طبيب على آخر .

فالمرض الذي هو من أصل ميكروبي يكون كالانسان ذا معيشة يلد ويشب ويشيخ ثم يموت فيلزم في كل دور من هذه الأدوار ان يعطي الغذاء المخصوص فان تناوله المريض بشي رقيقه أضر به ولنفرض ان مولوداً حديثاً اطعمناه أنواع الحماشي او الكبه أم الكشك او الخبز فلا شك بأنه يموت اي يلزم له في هذه الحال الحليب وقد نوعت الطبيعة الحليب حسب سن الطفل فحديث الولادة يكون طعامه ماعاً ثم يتكاثف كلما كبر الولد سنّاً وهذه المأكولات تتنوع حسب سنه ويجب استعمال هذه القاعدة بالامراض لان المرض في ابتدائه لا تستعمل له الأدوية القوية القابضة بل اللينة وبالاختصار ان لكل دور من أدوار المرض علاج كما انه لكل سن من عمر الانسان غذاء وهذا ما قصر المؤلفون بذكره في كتب الطب اذ يجب عليهم ان يعينوا الأوقات التي يجب ان تؤخذ فيها أدوية كل داء فالطبيب الحديث الذي لم يكن قد مارس صناعته بل درسها في الكتب وتلقيناً عن اساتذته يختار في أمره ويخطئ في علاجه يخطئ عشاءاً .

ثالثاً : يلزم اعتبار مقدار الدواء لان قوته متوقفة على مقداره ولنفرض على ذلك مثلاً ان الخبز أعظم المغذيات لنا فلو تناولنا منه كمية قليلة لا نفيدنا وان أكثرنا منه ضررنا وما النافع لنا الا الكمية المعتدلة التي يمكن الجسم استهلاكها فمعرفة هذه الأمور الثلاثة أي مزاج المريض وزمن الدواء ومقداره هي التي تكسب الطبيب مهارة ونجاحاً وهذا لا يعرف الا بالتجارب ولذلك نرى ان الرجل الشهير هو المحرب الخبير المحتك وليس للمحتك وكما تقدم للطبيب او الصانع في عمره زادت خبرته وشهرته .

عصاة القرن

كل شيء في بلادنا له اصطلاح ولكل جديد عند اهلنا اعتبار وقد ضربوا بذلك الامثال فقالوا لكل جديد رهجة ولكل قديم دفنة فمثل الطبيب او سواه عندنا كمثل عصي القرن التي تكون طويلة وكما حركوا فيها النار يمتزق جزء منها حتى لا تصلح في آخر الامر لشيء كذلك الطبيب او الصانع فانه ينحط كل يوم وهو لا يشعر بذاته ولا يعرف ان ذنبه تقدمه في السن وترى الامر عكس ذلك في البلاد العظيمة فان الصانع كلما تقدم في عمره زاد اعتباره فيستشيرونه بكل امر عصال لأنه محرب خبير ونرى الكثيرين يتكبرون اوامر الطبيب الماهر ويتبعون آراء الدجالين ولكنهم لا يسلمون كل مرة ومع ذلك فان مهارة الطبيب

متوقعة على اعتقاد المريض به لأن الاعتقاد يفعل عجائب وله تأثير عظيم ولكنه سريع الزوال فلو اتفق ان مريضاً اعتقد بطبيب ذي للمهارة والمقدرة وعالجه هذا بمرضه وتمكن من شفائه في أكثر من المدة التي كان يظنها المريض لقل اعتباره له بالتدريج حتى يضمحل مرة واحدة لأن لا يحسب ان الشفاء خصوصاً السريع ليس يد الطبيب .

اسرة شكور

أصل هذه الاسرة من عين زحلنا من أعمال لبنان وهي من اصل ماروني لم يزل باقياً منها فرع في مصر استوطنها مدة حكم محمد علي باشا ومنه يوسف باشا شكور رئيس بلدية اسكندرية سابقاً وأما الفرع الثاني فأنشأه حنا شكور الذي دخل في المذهب البروتستاني لاختلاف بينه وبين المطران طوبيا عون ولعله أول من أنتظم في هذا المذهب بهذه الجهات وربى اولاده في مدرسة عيه البروتستانية وهم منصور ويوسف وملحم .

(منصور) حضر لمصر واتفق مع مسز هوتلي على فتح مدارس واتخذوا ارضاء من اسما عيل باشا مجانياً وعمرا مدارس الفجالة ثم توفي بعدما تزوج بالسيدة فريدة ناصيف من اقاربه وقد تبنتها مسز هوتلي التي هي انكليزية اتت مصر لفتح مدارس مجانية ثم أصبح اخوه يوسف رئيساً لمحلة تزوج بالسيدة كرس من ايرلندا لم يبق من نسله أحد سوى انيسة زوجة سليمان بك ناصيف وبعد يوسف استلمت كل شيء السيدة فريدة وخصوصاً بعد توفي مسز هوتلي التي لم تترك شيئاً للمدارس فاستلمتها فريدة ودفعت من جيبها الخاص أربعة آلاف ليرة لأجل مداومة المدرسة والان اجرته للامريكان وكانت أحضرت اخاها أمين ناصيف وجعلته رئيساً لمعلم ذهب مع ارملة اخيه يوسف الى بر الشام ثم تزوج انكليزية ورجع الى بر مصر واستخدم في الجيش وهو أول من عرفته من عائلة شكور وهو اعز اصحابي وهذه ترجمته الحربية .

(ملحم بك شكور) ذكرت عنه مدة وجودي معه في المدرسة الوطنية والان أذكر ما أتاه من الأعمال وانا بعيد عنه وهو في القطر المصري فارقته بعد زواجه بمدة ورجع الى مصر ١٨٨١ ثم دخل الحكومة ١٨٨٤ ودخل في القسم الحربي فن يعرف ملحم بك ونخافة جسمه ورقة مزاجه ولطافته ويقول ان هذا الرجل يفعل افعالاً حربية كالتي نذكرها فلو كان قالها لي أي من كان لما كنت أصدق ولكن هذا العمل في نظارة رسمية لا يخفاها شيئاً ومواقفه هي .

اولاً واقعة جنس الذي كان فيها بجانب الجنرال كرانفيل سردار الجيش تحت نار العدو يحذره من أماكن العدو القوية ويخبره عن الضعيفة حتى انتصر وقد كتب ذلك كرانفيل في النشرة العسكرية في ٢٠ يناير ١٨٨٦ .

ثانياً : واقعة الجميزة في سواكن ١٨٨٧ .

ثالثاً : واقعة توشكي ١٨٨٩ .

رابعاً : واقعة طوكو ١٨٩١ وسنة ١٨٩٦ رافق حملة دقلاً لكنه مرض ورجع فكافأته الحكومة بالجدي الثالث والعشاني الرابع ومدالية النيل مع مشبك النيل والجميزة وتوشكي والنجمة المصرية مع مشبك كوكو والرتبة الثانية الممتازة ومع نيشان النسا والبحر لمساعدته في تخليص سلاطين باشا فلوكان أقوى من ذلك فإذا عمل ولم يزل في الحرية الآن مفتش القرعة ومعاشه ٨٧ جته في الشهر وقد شاهده هذه المرة في سياحتي لمصر بعد غياب عشرين سنة وأول ما وصلت الى القاهرة طلبته بالتليفون فاكان يصدق انني هناك وانشرحت جداً من مقابله ومن أخبار ولده منصور الذي هو مهندس في الحكومة بعمل الكبرى .

وكنت مع ملحم الذي كان من عمري كأخوة لا شيء يكدرنا وأغلب الليالي اسهر عندهم كواحد منهم وكنت كثير المزاح معه في أحد الايام كنا مدعويين الى الجمعية الفلكية وكان شهر نيسان وكان رئيسها في صدر المحفل فقال لي ملحم ان الرئيس هو الشمس ونحن السيارات حسب علم الفلك قلت صدقت لأنها دخلت هذه الليلة في برج الثور فضحك وسر الجميع .

وقولنا برج الثور لان الشمس تدخل هذا البرج في شهر نيسان فهذه الابراج تسمت عند الكلدانيين لانهم اعتنوا جداً بعلم الفلك لعبادة الشمس والكواكب وبرهان ذلك اسماء الابراج لانها موافقة حالة البلاد مثلاً قال ان شهر نيسان تدخل فيها الشمس ببرج الثور يعني ان في هذا الشهر يبتدىء الثور بفلاحة الارض كذلك آذار برج الجدي اعني يولد الجدي وآب برج السنبله أي يجمع سنبل القمح فيه وهكذا لكل شهر ولا توافق هذه التسمية الا لأرض الكلدانيين التي هي بغداد اليوم ولا توافق مصر لأن في آب لم يعد سنبل ولا في شباط برج الحوت بسبب كثرة الامطار وهكذا باقي الاشهر .

(نادرة اخرى) كنا مرة نتناول طعام العشاء وكان معنا رفيق يأكل بسرعة ونظراً لنحافة وجهه كان يرى طويلاً وكان يحركه بسرعة على المائدة فطلب مني ملحم ان انظم له شعراً فقلت ارجعياً :

لو كان مع شمشون فرعي فكه أفنى من فلسطين كل نفرسها

فضحكنا جداً من ذلك فشمشون هو الذي قتل ألف فلسطيني بفك الحمار قضاه الاصحاب ١٥
عد ١٥ .

نجيب منصور شكور والان منصور باشا شكور

وهو ابن منصور مؤسس المدارس الانكليزية في مصر كما قلنا وان الست فريدة ناصيف صاحبة الأعمال العظيمة وعندما تزلت صبية وهي بغاية الجمال والغناء لم نشاء ان تتزوج مع انها كانت بعز الشيبية فأخذت تربى اولادها نجيب ولوزا فبعد ما تعلم نجيب العلوم في مصر اخذته الى كليات الانكليزية في انكلترا فخرج فيها حتى تعين مهندساً في السكة الحديدية المصرية وتقدم فيها حتى صار رئيساً لقلم الاشارات والكهرباء ثم استغنى واسس جملة شركات شهيرة وتزوج سيدة عظيمة من عائلة بيت شميل المشهورة وهي أنموذج اللطف والدكاء وخلاف توفيقه الحالي الزايد تقدم في الرب والتياشين حتى تلقب بلقب باشا وحيث يوجد في العائلة ايضاً باشا آخر وهو يوسف باشا شكور من الفرع الماروني والفرننج يسميه شكور باشا فصار يقع التباس بينها ان كان في التحارير والتلفرافات فقدم نجيب باشا تقريراً الى الحكومة كانت تنشره في الجرائد بأنه أخذ اسم ابيه منصور وصار يقال عنه منصور باشا شكور .

هذا اسمه الان ولا اقدر اشرح ما نالني من الفرح عندما قابلته في سياحتي الاخيرة ١٩٠٧ لمصر وهو بهذا العز والغنى والجاه متواضع النفس كريم الاخلاق والايدي تليق له الثروة وأما السيدة لوزة فتزوجت الامير فائر افندي شهاب قائمقام جزين وهو من أنجب الامراء وذو مودة وزمام واستقامة من الاعمال .

يوسف زاهر وملحم طراد

ان لهذين الرجلين خبراً عجباً واتفاقاً مع بعضها اعجب لم يشاهد نظيره ابداً لانها غربا الوطن فيوسف حليبي ماروني وملحم بيروني ارثوذكسي والأول متزوج والثاني أعزب وكانوا يقطنون سورية في منزل واحد .

وقد اخبرني يوسف قصة اتحادهما قال : انني من حلب وكنت في بداية نشأتي فقيراً مهني الصراع فأثبت من حلب الى بيروت لأذهب الى مصر وحيث لم يبق معي ولا بارة الفرد جلست في احدى المقاهي متأملاً مختاراً امري وبينما انا في هذه الحال يكاد يقضي عليّ من حزني تقدم اليّ رجل من وقال لي يظهر يا ابني انك رجل غريب قلت نعم انني حليبي أقصد الذهاب الى مصر قال مالي اراك ساكناً مفكراً اجبته قد تفذت دراهمي ولم يبق معي شيء لاسافر به او اتعيش هنا قال لا تتكدر يا ابني تعال معي الى منزلي ولا تنس والله يدبر الأمور فذهبت معه وابقاني عنده تلك الليلة وفي اليوم الثاني اعطاني جواز السفر وناولني يدي ليرة لمصري وفي ولا اقدر اصف لك ما اشعرت به من الامتنان له فانحنيت على قدميه لاقبلها وبكيت فنعني بلطف فقلت له اعلم انني عبد لك ما حييت وكان هذا الرجل هو بولس طراد .

حضرت الى مصر وبدأت امارس صناعتي في المصارعة وفي سنة كان سوق القطن رائجاً اتخذني احد السماسرة معه وقال لي اشتر على حسابي بسر كذا وما تكسبه فهو لك ففعلت وتوفقت ثم صرت تاجراً .

وفي أحد الايام بينا انا جالس في الازبكية باحدى القهواي رأيت شاباً ظريفاً اديباً خرج به بجانبه فافكرت انه غريب وكنت اشفق على الغرياء نظراً لما قاسيته فقدمت اليه وسألته عن أصله ووطنه فقال لي انه ملحم بن بولس طراد من بيروت فلما سمعت هذا الاسم نهضت عن الكرسي كان تياراً كهربائياً دفعتني عنها وأخذت الخرج على كفتي وقلت له تعال معي الى البيت وعند وصولنا قلت له هذا بيت ابيك وكلما فيه هو ملك لك واختبرته قصتي مع والده وعرضت عليه مساعدتي في كل ما يريد من الأعمال ونحن الان في منزل واحد منذ خمس وعشرين سنة وقد عرفت ملحم طراد هو رجل ظريف لطيف ذو معروف تاجر وعمله بمصر بآخر السكة الجديدة تعرفت عليه حين كان والدي يرسل لي الدراهم بواسطته وكنت كثيراً ما آخذ منه قبل ان يأتيه تحويل والذي لانه كان يحب الخير وعمل المعروف وقد سكن مع يوسف زامر حتى وفاته ثم تزوج احدي بناته وعال جميع العائلة وفي السنة التي حصلت بها حادثة عرابي اتى الى بيروت وقابلته مع امرأة عمه التي كنت طبيبا في مصر وقد توفي ملحم مؤخراً ولست أعلم اذا كان اعقب ذكوراً أم لا وكان يوسف وملحم مثال الزمام والوفاء والاستقامة .

سرقة مخزن باسكال في الموسيقى وجواهره

ان محل باسكال هو أشهر مخزن في مصر لبيع المجوهرات كان مركزه في شارع الموسيقى بالصف الشمالي في احد الايام بعد الظهر نحو ساعتين بينا كنت ماراً في الموسيقى رأيت اجتماعاً عظيماً عند مخزن باسكال فسألته عن سببه قبل لي ان المخزن قد سرق وكيفية حصول هذه السرقة انه حضر الى مصر نحو خمسة اشهر جماعة من الاروام وطلبوا استئجار محل كساحة صغيرة خلف مخزن باسكال بالجبهة الشمالية بفصل عنها عدة مخازن فبنوا في هذه الفسحة دكاناً كبيرة من الخشب كانوا يضعون امامها كراسي كقهوة ويقدمون فيها المشروبات وسواها وكانت مملوءة من البراميل فعند نصف الليل كانوا يحفرون الارض ويملاءون البراميل تراباً ويشحنوها كبضاعة الى رفاقهم في الاسكندرية وعندما وصلوا الى الحفر الى اسفل المخزن حضر منهم قبل الظهر رجل يطلب شراء قطعة الماس من مخزن باسكال وكانت هناك طاولة كبيرة يجلس أمامها صاحب المخزن ويقف مقابله الشاري ويعرضون عليها البضاعة فصار هذا الشخص يقبل البضائع ويقرع الأرض برجليه ثم خرج بدون ان يشتري شيئاً وعند الظهر ذهب صاحب المخزن الى منزله كعادته وقتل الباب واخذ المفاتيح معه وبقي الخادم البربري خارجاً ولما رجع صاحب المحل وجد البربري في مركزه فدخل والتفت يمينا وشمالاً فلم ير في مخزنه شيئاً فحسب ان بصره قد انخطف فصار يفرك عينيه ثم دعا البربري فدهش ايضاً حين رأى المخزن خالياً خاوياً واتى المستخدمون فأعلموا الحكومة بما جرى وأنى المأمورون وتحققوا ان الأبواب والنوافذ والجدران غير ممسومة ولكنهم لما تأملوا الأرض وجدوا بلاطة مرتفعة

قليلاً عن سواها فرضوها وإذا أسفلها دهليز اناروه بالشموع ومشوا فيه وإذا هو عميق متعرج الى ان وصلوا الى القهوة وهي دكان الخشب قرأوها خالية من السكان .

وفي الحقيقة ان أعظم للمهندسين يعجز عن عمل هتلمة نظير هذه اذ في كل مسافة كانت توجد زاوية في الدهليز تسندة كمامود وقد تحقوا ان اللصوص خرفت عشرين جداراً قبل ان وصلوا الى اللخن وسرقوا ما فيه وهربوا فاستحضرت الحكومة صاحب أرض القهوة وسألته عن الذين استأجروها منه فذكر لهم عدة اسماء ولكن من يعرفهم وقد أرسلت الحكومة تفرافات الى جميع الجهات تذكر بها علامات الجواهر وقيل ان قد التي القبض على احد اللصوص في ايطاليا وارسل الى مصر ولكن في ذلك الحين ورد تحرير بدون امضا للموسيو باسكال يهدده بالقتل ان ادعى على اللص فالترم ان يتنازل عن دعواه ضناً بحياته وهكذا انتهت هذه السرقة العجيبة .

أهل سوريا في مصر

لا شك بأن الذكاء والعقول الثاقبة والشغل والعمل غنص بأهل سوريا وكل بلدة دخلوها نجحوا فيها كما قال عنهم سنك بأنهم يدخلون البلد كصناع او خدام وبعد مدة تراهم أصبحوا كالأسياد يدخل السوري بيتاً كخادم فيه وبعد برهة يصير صاحب البيت فان توفي السيد تزوج الامله وقام مقامه وهذا ما يقال عنهم في التجارة لذلك تراهم قد ترقوا في أي بلدة سكنوها . وكان المهاجرون يومئذ الى مصر بغير هذه الحالة التي هم عليها الان فبعد مدة وجيزة أصبحوا اغنياء وتدخلوا في الرتب الوطنية والأجنبية وقصة سيدنا يوسف تثبت مهارة السوري فانه دخلها عبداً فأصبح وكيل فرعون وبعملية واحدة ملك مصر فاذا كان يوسف واحد عمل هذه الأعمال فكيف الان وفيها الوف من اليوسفات فلا عجب من ذلك لأن الغني الكريم لا يلتفت الى ما يذهب منه فصر هي ذاك الغني ولكنها لا تسمح بخروج غناها منها فيبقى كل شيء فيها .

أعظم بخيل في مصر

ان الصدفة جعلتني اتعرف برجل غني جداً ولكنه كان لا يستفيد من غناه ولا يفيد اما اولاده فكانوا دارسين مهذبين ظرفاء كرما النفس ولكنه كان يعاملهم معاملة الخدم وقد حكى لي أحد اولاده البالغ من العمر نحو عشرين سنة ان والده ارسل الكاتب الى بولاق واعطاه الحمار ليتحمل عليه خطباً وأمر ابنه هذا ان يذهب مع الكاتب ويسير خلف الحمار حتى اذا وقع شيء من الحطب يلقطه فحقق الولد من هذا الامر ورفض اجراءه فهدده والده عاصياً وطرده من منزله فأتى يشكو لي امره وطلب مني بعض دراهم لقضاء حاجة له فأعطيته ما طلب وعرفت ان اعدى اعداء البخيل أهل بيته وبالعكس حال الكريم وقد قال لي

ولده لو كنت عالماً ان آخري ستنهي بالسير خلف الحميم والقطاط الحطاب المساقط عن ظهره لما كنت تعلمت ودرست اذ لو كنت جاهلاً لامثلت امره . وبعد مدة تصالح مع والده وارجع لي الدراهم التي كان استدانها مني وقد حضر مرة يدعوني لعيادة طيبة في منزله ورجاني ان اخبر والده بان اجرتي ريالاً واحداً وذكر لي ان عندهم جارية سوداء قديمة العهد يحيا والده لحرصها على المنزل لان امرأته كانت قد توفت منذ مدة وقامت مقامها هذه الجارية فحين مرضها اخبرته عنك ومدحت له مهارتك فسألني عن اجرتك ولما علم انها ريال بجيدي وليس ريالين كمادتك سره وخص الأجرة فطلبك .

(شربة هذا البخيل) عندما توجهت الى البيت وقابلت هذا الرجل وعدت المريضة وصفت لها مسهلاً فسألني عن نوع الدواء وثمته كمادة البخلاء وقد خبرت هذا الامر فكل بخيل يسأل عن ثمن الدواء حين كتابة الوصفة فقلت له انه مسهل وثمته زهيد جداً فأجابني هل تعرف المسهل الذي أتناوله قلت كلا قال لي أنظر الى هذه النافذة الشمالية فحين يكون الهواء متسلطاً مدة الصيف واشعر بلزوم اخذ مسهل اخلع لباسي وأوجه باب بدني الى الهواء وبعد مدة احس بمقص فازيل ضروري واستريح فتعجبت منه ومن بخله . وبعد ان حضرت الى بيروت وجدت في مجلس ضم بخيلاً نظير بخيل مصر وجرنا الحديث فأخبرت قصة مسهله وانصرفنا وفي اليوم الثاني تقابلت مع بخيل بيروت وقال لي اني اجريت العملية التي اخبرتنا عنها بالأمس فلم تنجح معي قلت له وكيف ذلك فأخبرني كيف جلس أمام نافذة غرفته ووضع رجله خارج الحديد وهكذا الى النهاية فضحكت منه وقلت له ان الهواء الشمالي في بيروت يختلف عن هواء مصر الذي يتسلط في الصيف . فهذه قصة من نوادر بخيل مصر واعاله التي لا تعد قنامل .

وكان الوالد يدفع لي ريالاً اجرت عيادتي ويدفع لي الولد الريال الثاني ولست أعلم ماذا جرى بهذه العائلة غير اني انبث ان اولاده بعد وفاته ذهبوا بتركته الطائلة التي كانت تقدر بنحو مائتي الف ليرة وصدق المثل القائل ما يجمعه البخيل يصرفه ولده المبذر .

حسنجهان أرملة الامير بشير قاسم الشهابي

في شهر ايار سنة ١٨٧٤ بينا كنت جالساً في منزلي بشارع كلوت بك واذا دخل علي رجل من بلادنا وبعد السلام اعطاني التحرير من المرحوم اخي خليل يخبرني عن زيارة الست حسنجهان لمصر وان أكون تحت أمرها والذي سلمني اياها هو عبدالله افندي البستاني شقيق المطران بطرس .

(تأثير اسم الامير بشير) لا شك ان للتاريخ وللأخبار تأثير عظيم على فكر الانسان فكنت دائماً اسمع من والدي وجددي عما شاهداه من العز والاجلال والمهابة من الامير بشير وكنت انتقالي مراراً مع الشيخ فرحات العازوري الذي لم يزل حياً الى هذه السنة ١٩٠٥ وهو من الذين خلعوا ذلك الامير في بيت الدين

وربى احفاده فكان يعد علينا قصة طفولية الامير كما كان يرويها الامير لاحفاده وكما سمعها من فيه وقد سافر فرحات المذكور مع الامير ورافقه في منفاه الى الاستانة وزعفران بول ولم يتركه حتى وفاته وكان الشيخ فرحات يخبرني كلما عرفه عنه وحيث ان قصة طفولية الامير لم يروها احد من المؤرخين احببت درجها حسب ما رواها لي الشيخ فرحات المازوري لأنني اعتبره من أعظم الصادقين وتصديق الرواية يكون من مجراها الطبيعي للمقول ويبتدي الشك فيها متى خرجت عن دائرة العقل فطفولية الامير بشير من أبسط الاخبار واقع الروايات في مجراها الطبيعي .

توفي والده الامير قاسم سنة ١١٨٠ هجرية الموافقة سنة ١٧٦٨ مسيحية وكان عمره سنة واحدة وأخوه الامير حسن اربع سنوات وكان لم يكفها موت والداهما من المصاب حتى تزوجت والدتها بالامير سيد احمد بالحدث وتركتهما بهذه الحالة ولما بلغ الامير بشير السنة الخامسة عشرة من عمره حضر الى البرج وكانت معه الخادمة التي ربه من صلبا من بيت المشعلاني وكان الامير بشير يتردد على والدته ولكن لا يملك عندها أكثر من يومين لفريق عين زوجها وكان مولعاً بالصيد جداً فتارة يكون في البرج حيث له عودة هناك وطوراً يذهب الى بشامون ليصطاد وبقي على هذا الحال مدة غير وجيزة حتى خطر له ان يذهب الى دير القمر فحزم امتعته على جمل وأركب عليه خادمته وسار معها حتى وصل الى دير القمر واذا لم يمكنه ان يستأجر عملاً هناك ذهب الى بيت الدين حيث كان يوجد خلوة للدروز وهي محل الكنية اليوم وكان موكلاً عليها رجلاً اسمه ابو علي فطلب منه الامير ان يضيفه فأجاب بكل ترحاب وكان دأب الامير الصيد .

ولما طلب الجزائر مالاً جديداً من البلاد وكان الامير يوسف الوالي مساعداً له على تحصيلها ضجعت الاهالي وصارت تتوارى على طلب تبديل الامير يوسف من الدولة العلية خصوصاً الطائفة الدرزية التي كانت تعرضها الاسرة الجنبلاطية .

وفي أحد الايام قال ابو علي للامير بشير ان شيخ العقل القاطن الخلوات الزنبقية قرب كفرنبرخ يرغب في مقابلتك فأذهب اليه سراً او بينا تكون تصطاد بين الخلوات لانه يريد اخبارك امراً فلا تدع احداً يشعر بك وكان هذا الشيخ يدعى حسن ماضي من العيلدية من عائلة ابو عز الدين .

وفي أحد الايام بينا كان الامير بشير يصطاد بتلك النواحي مر على الخلوات وتقابل مع الشيخ الذي سأله اذا كان يتكلم السر فأجابه حسب العادة بتر عقيق قال الشيخ ان الطائفة الدرزية متكدرة جداً من الامير يوسف وتريد تطلب من الدولة تنصيب سواه من العائلة وقد مدح لي ابو علي حسن صفاتك وشهامتك ومرؤتك ومحبتك للبلاد فهل لك ان تكون حاكماً وقد استشرناك لتعرف رأبك قبل ان تفعل شيئاً فأجابه الامير انني دون شك استطيع ادارة الحكم ولكن من اين لي القوة للحصول على هذا الامر خصوصاً انني محتاج للدراهم التي لا يمكن ان يحصل شيء بدونها قال الشيخ ان الله يدير كل الامور

فارجع الى محلك وابقى على ما كنت عليه وانتظر مني خيراً آخر وبعد هذه المواجهة توجه شيخ العقل قاسم جنبلاط واخبره بما توقع له مع الامير بشير واتفقا على ارسال الامير اليه ليلاً وعينا يوم المواجهة وبعد مدة اخبر ابو علي الامير بشير عن لسان شيخ العقل ان يذهب سراً ويقابل ليلاً الشيخ قاسم جنبلاط وفي احدى الليالي توجه الامير بشير فوصل نحو نصف الليل الى بيت الشيخ قاسم وقرع الباب فأبى البواب وسأله ما يريد أجابه قبل للشيخ ان الذي طلبته ان يحضر ليلاً قد أتى فقال البواب ان الشيخ نائم ولا يستطيع إيقاظه أجاب الامير اني اتيت اليه بشغل غاية في الأهمية ولئن لم تسرع بإيقاظه فتكون كل مسؤولية عائدة عليك فتوجه البواب وابقظ الشيخ وأخبره عن الرجل فنهض مسرعاً من سريره وقال ان غرفة الاستقبال فسأني حالاً ورجع البواب ودخل الامير اليها وبقي متحسناً ليعرف من هو لأن حب الاستطلاع غريزة في الانسان ولما حضر الشيخ وقبل يد الامير واجلسه في محله الخصوصي عرف انه ذو شأن عظيم وانه تأخر بادخاله فلربما عد ذلك عليه ذنباً لا يغفر فدخّل الغرفة وخر على قدمي الامير سائلاً عفوه لتقصيره الأول فطمّنه الامير وقال له انك عملت واجباتك ولما خرج من الغرفة وخلا الشيخ بالامير بداء بمحادثته كما فعل شيخ العقل ويجب له تولى الحكم فاعتذر عن نفسه لقصر ذات يده والضييق الذي هو فيه فقال الشيخ هذا الامر مطلوب مني ودعي في الحال صرافه وهو والد سلوان القهوجي وطلب منه خمسة الاف غرشاً دفعها للامير وقال له متى احتجت لغير هذا القدر فتجد عندي مطلوبك والان استمد بالمال والرجال وانا اوفق الطائفة الدرزية معك وبعد ان رجع الامير الى الخلوة بداء يجمع الرجال حوله فكثره الاقارب وتحدث الناس بذلك وبلغت الامير يوسف قنوسوس من الامير بشير وأرسل وطلب أخاه الأكبر الامير حسن الذي كان من حزب الامير يوسف وقال له ان اخاك الامير بشير بداء يفتن في البلاد فأذهب واقمعه وتهدهد فسمع هذا الكلام احد رفاق الامير بشير في الصيد وهو فارس نصيف من اهالي دير القمر الذي صار فيما بعد مدبراً له رغباً عن رعايته فأبى وأخبر الامير بشير ان اخاه الامير حسن أتى اليه ليقتله بامر الامير يوسف فأخذ عندئذ بارودته وحشاها وتقلد سيفه وجلس على مصطبة وبعد قليل رأى اخاه صاعداً الى الخلوة فلما اقترب منه تناول بندقية وقال له بصوت جهوري ارجع من حيث اتيت لانني عالم بسبب قلوبكم ولئن تقدمت فاني قاتلك قبل ان تقتلني وعبثاً حاول اقتاعه بسلامة نيته فلم يقتنع وأخطر الامير حسن ان يرجع من حيث أتى فرجع فوجد الامير يوسف نائماً وقابل الشيخ سعد الخوري الذي كان مدبراً للامير يوسف وأخبره ما توقع له مع اخيه فقال له الشيخ لا يلزم ان تطلع الامير على هذا الامر بل اخبره انك قابلت اخاك وعففته على الفتن التي يلقيها في البلاد فتعجب من هذا الأمر وقال هل يستطيع اجراؤها رجل فقير مثلي وانني ما اتيت هذه البلاد الا املاً بمساعدته ولي مدة من الزمن هنا ولم يلبثت الي مع انني من اقاربه ومستعد لخدمته بكل ما يطلبه مني وأوصاه ان يكتم عن الامير مقابلاتها فشكر له الامير حسن هذه النصيحة وبعد مدة استفاق الامير يوسف من نومه وطلب الشيخ سعد الخوري وسأله هل قابل الامير حسن أجابه كلا فطلبه ولما حضر أعاد عليه ما علمه الشيخ سعد فعند ذلك هداه غضب الأمير فلما رأى الشيخ سعد هذا التغيير قال الى الامير اني ارى الامير بشير محققاً في قوله فلماذا تسمح له بانارة الفتن وهو بقبضة يدك ولعل الفقر هو الذي دعاه لهذا العمل فالأحسن ان تسكته وتعيته في خدمة الامير وهنا كثير من الخيل فأرى ان نرسل له فرساً ونطلبه فيأتي ونستفيد من خدمته فاستصوب الامير يوسف رأيه وامر بارسال فرس

للأمير بشير وان يستقدموه اليه فأخذها احد السياس وعندما وصل الى الأمير بشير سأله عن الفرس أجابه ان الأمير يوسف ارسلها اليك وانه عنك في خدمته فقال له ان هذه الفرس وعدتها ليست من مقامي فارجمها الى الذي ارسلها فتردد السائس في تتيه امره عندئذ تناول بارودته وذال له ان لم ترجع فاني اقتلك فأخطر السائس ان يعود ويخبر الأمير يوسف بما سمع من الأمير بشير وكان حاضراً عنده للشيخ سعد الخوري فقال للأمير يوسف اني اري الأمير بشير محملاً برفضه هذه الفرس لأنه يوجد عندنا خيل وعدد خير منها فلترسل له فرساً من خيار الخيل ووافق الأمير يوسف على رأي مديره وارسلوا له حصاناً نجياً وعدة من أفخر العدد فحضر الأمير بشير وقابل الأمير يوسف واستخدم عنده .

(زواج الأمير بشير) قد قلنا عن توجه الأمير بشير بأمر الأمير يوسف الى حاصبيا لاصلاح الامر بين ارملة وورثة زوجها وانتهى الامر بزواجه بها وكانت غنية جداً فتزوجها وأحضرها الى بلاده واشترى بدارهما بيت الدين والحيه وهي والده اولاده المذكور الأمير خليل والأمير قاسم والأمير امين وقد دفنت في سراي بيت الدين والقبر العظيم الموجود هناك هو قبرها . وبعد رجوع الأمير بشير من حاصبيا بقيت الفتى على حالها نائرة من كل جهة ونس الأمير يوسف من حكم البلاد لان الجزار كان لا يتفك عن طلب الدراهم وكاد الأهليون يعجزون عن الدفع فجمع اليه الاعيان وقال لهم انه يريد الاستفتاء وكلفهم ان يتخبوا سواه فأجمعوا على انتخاب الأمير بشير الذي كان قد تخابر سراً مع الجزار بهذا الشأن ولما رأى الأمير يوسف ان كل الأفكار مجمعة على انتخاب الأمير بشير خلعاً له دعاه اليه وكلفه ان يذهب الى عكا لمقابلة الجزار مفتكراً انه يلقى القبض عليه لحين وفاة الاموال ولم يدري في خلده ان السائس بين الأمير بشير والجزار منصوبة عليه منذ مدة طويلة فأطاع الأمير بشير الامر وطلب ان يذهب معه خمسة عشر رجلاً ويكون منهم فارس نصيف وان يعطيه خمسة الاف غرماً ليسلمها الى الجزار فأجاب الأمير يوسف طلبه وتوجه الأمير بشير الى عكا واتفق مع الجزار على مال معلوم والبسه الخلعة وأعطاه عسكرياً ليذهبوا معه ويطردوا الأمير يوسف من منصبه وقد صدق الأمير بشير في ما قاله للأمير يوسف قبل ذهابه لمكا انني أذهب من هنا وانا ابنك وارجع وانا ابن الجزار فأجابه الأمير يوسف عندئذ ليأكلها السبع ولا الضيع ومن اراد الاطلاع على ثمة حياة الأمير بشير فليطالع كتاب الاعيان في جبل لبنان .

ولنرجع الان الى حنينجهان وهي جركسية الأصل ارسل الأمير بشير الى الاستانة جوهرجه واشترى له ثلاثة جوار فأعطى واحدة الى الأمير منصور وواحدة الى ولده الأمير قاسم وتزوج الثالثة وهي حنينجهان وعلمها العربية أحد كهنة الارمن ولدت ابنتين الست سعاداً تزوجها الأمير سليم عبد الله والثانية الست سعود تزوجها الأمير خليل ابي اللمع وقد ملكها الأمير سراي بتدين مع المقاصف وباعهم كما ذكرنا وقسمت الحية الى ابنتي وصرفت اموالاً لا تحصى ظناً ان تربوي بذلك شهرة وتحكم لبنان محل زوجها وبعدما صرفت هذه المبالغ الباهظة شاروا عليها ان تذهب الى مصر وتقابل خديويها اسماعيل بن ابراهيم باشا الذي كان الأمير بشير من اغز اصدقاء والده وعلى ذلك توجهت ونزلت في بطركخانة الموارنة مع ذويها الذين

كانوا عشرة منهم صهرها الامير سليم وعبدالله البستاني وابو صهر من صيدا وخلافهم وعندما ضج الاب جبرائيل صفير من هذه الضيوف عملنا طريقة الخواجه يوسف شكور وانا بواسطة رياض باشا بان تنزل في المضيقخانه على حساب الخديوي فصدر الامر بذلك وبقيت خمسة اشهر في مصر ولم يقابلها الخديوي اخيراً مرضت وطلبت السفر الى بلادها فأعطاهما الخديوي خمسمائة ليرة مصرية وسفر عشرة من ارفاقها وسفرها على حسابه الى بيروت وجيتت طلبتي ان اتوجه معها نظراً الى مرضها .

(منسى) لا أعلم كيف تعرف الامير سليم بمنسى واخبره عن شغله فكان يعده الوعود الحسنة وانه سيقضي له كل اشغاله وكانت نارجيله الامير بشير مع صهره الامير سليم وهي عظيمة جداً زواجها وبقي ادواتها من الفضة المشغولة وحين ما كان يحضر منسى عند الامير يقدمون له هذه النارجيلة ليدخن بها غير ان منظرها كان يندوخه أكثر من التباك اخيراً طلبها من الامير بكل دناءة وبجيلة شيطانية دعاه أن يسمح له بها ومعلوم ان افراد الاسرة الشهاية مصابون بداء الكرم وأخصهم الامير سليم فأعطاه النارجيلة أملاً ان يقضي له اشغاله بمصر غير ان امله قد خاب فقد اختفى منسى ولم يعد يراه وحين اخبرني الامير سليم هذه القصة لته لعدم اعلامي بالذين يعرف عليهم بمصر لكي لا يقع في هكذا احاييل واخيراً لأجل تعزيتة بفقد نارجيلته التي عز عليه فراقها جداً نظمت الايات الآتية مزاحاً عن لسانه :

اركيطني ماذا البعاد وذا الجفا	ابن الوداد وأبين حبي والوفـا
عشرون عاماً أين كنت رفيقتي	وشريكتي أوقات غم او صفـا
قد كان تفريد الصباح يزني	طرباً ويقلق طرف انس قد غفا
سلب للنسي القلب منك ولتـنـه	فيا سبي من قبل ذاك قد اكضى
قطع للخاطر قلبها ومعاركاً	وعفى ومن نصب للنسي ما انضى
فرعون ما ظلم الرعيعة مثلاً	ظلم النسي شيتي لم اختفى

(سبب عدم مقابلة الخديوي الست حسنهان) ان أحد رفاق الست كان يلقي على بيت منصور باشا يكن صهر الخديوي بسبب ان احد ابناؤه بلده وهو الشيخ بازا كان هناك ومن جملة الاحاديث قال ان الست حضرت لأجل ترمي امام الخديوي سندات مالية كانت على والده الى الامير بشير مدة وجوده في سوريا وتطلب منه ان يتصرف بها كيفما شاء فعندما سمع الخديوي بذلك سأل عن غاية مقابلتها فلم تجب بشيء سوى قصدي التشرف بالمقابلة فعند هذا الجواب تحقق الخديوي الخبر الذي بلغه من جهة بيت منصور باشا فافكر مالي وهذه المقابلة فابتدا يحلفها حتى ضجرت الست ومرضت وطلبت السفر .

فهذا هو فضل (طق حنك) الخدامين وضررهم لأن لا شيء اضر على الرجل السيامي من كثرة كلام مستخدميه لان كثير الكلام يجب احياناً يخترع كذباً ليرضي سامعه واذا كان السامع يظهر الانشراح له او المدح يزيد هذا الثرثار في الكلام ويفرغ جرابه فلذلك يلزم ان يتبته رجل السياسة الى خادمه ولا

يتكلم امامه شيئاً او اذا عرفه بهذه الصفة لم يستخلمه وهو الأحسن لان ولو ما تكلم امامه شيئاً فانه يخترعه ان كان الكلام له او عليه ولهذا السبب كانوا يسمون المستخدم كاتم اسرار فكيف يكون كثير الكلام كاتم اسرار .

اذا كان صدر المرء بالسر ضيق فصدر السذي يستودع السر أضيق

(سفرنا الى بر الشام) وفي اليوم الثاني سافرنا الى الاسماعيلية وازلنا في ترعة السويس الى بورسعيد وفيها اتا في بورسعيد حضر لي تفراف من مصر بحضور والدي مع اخي أمين وان ارجع من كل يد فأخبرت السب بذلك لما قبلت لأنها مريضة فأرسلت تحريراً الى والدي بعدم امكان رجوعي بسبب مرض السب وان بعد عشرة أيام أكون عنده وفي اليوم الثاني توجهنا بالغابور السماوي الى حيفا حيث لم تشأ ان تنزل في بيروت وبعده توجهنا الى صور ومررنا على رأس العين راكبين البغال وعملنا للسب محارة على بغل ومقابل لها صانعتها .

(رأس العين) لما وصلنا الى رأس العين لم أعرف كيف نزلت عن البغل وكنت أشعر كأنني باقو عليه وقابلنا الخواجا حبيب نجار الذي كان ضامنا وله معرفة بالامير سليم وأول عمل اتيت هناك انني نزعنت حذاءي وكلساني ووضعت رجلي في قناة الماء وشربت كثيراً حتى ارتويت وغسلت وجهي ورأسي الذي كان محترقاً من حرارة الشمس ونسيت اني طيب اعرف مضار هذا العمل ولكن من كانت حالته كحالي عندئذ يفقد عقله والذي زادنا ضرراً أكلنا الخيار التشريفي الذي قدمه لنا الخواجا نجار .

تسمى الافرنج هذه المياه مياه سليمان ظناً ان سليمان الحكيم هو الذي اجراها ولا يعلم لها أصل ويقال انها آبار ارتوازية لا يعرف لها عمق تدفع الماء من اسفل الى أعلى كأنها نوفرة بقوة غريبة وكمية عظيمة حتى تساوي نهراً فتصب في اقنية تدبر مطاحن وتسي تلك الاراضي وترويه حتى البحر وقد نظرنا القسم الأكبر منها وهي نخس الحضرة العلية السلطانية وتسمى جفتك رأس العين وكان مشربها الأول درويش باشا اوصى بها لكل سلطان يتولى خلافة العرش العثماني الأنور ويبلغ ضيائها من الحرير والمطاحن وخلافها نحو مائتي الف غرش وهي التي يقال عنها صور القديمة لأنها كانت مدينة كما يذكر التاريخ عن صور الاصلية وهذه المياه لوحدها تكفي مدينة كصور الاولى اما مياه صور الحالية فيقال انها متسربة تحت الأرض من مياه رأس العين ومياه صور من العجائب لانها صنعة انسان ولم تعلم كيفية صنعها .

وفي اثناء ذلك رأينا السيدة حسنجهان متجهة من أسفل رأس العين قاصدة صور بدون ان نمر من هناك فركبنا حالاً وتبعناها فوصلنا الى صور نحو الغروب .

صور امبراطورة البحار سابقاً

لست أذكر تاريخ صور لأن كثيراً من المؤرخين قد تقدموني الى ذلك بل اقول انه كفها شرفاً انها ابنة صيدا ومعناها الصخر وقد فاقت الابنة مجالها وقوتها والدتها وهي التي كانت امبراطورة البحر ومجاووها اكتشفوا اوروبا وخلافها ولفظه اوروب هي فينتية معناه الغروب وان الاله هرقل الصوري الذي كانوا يعبدونه ويذكرون سياحاته لليونان واوروبا وافريقيا ليس هو الا رمزاً للفتوحات التي اجراها أهل صور . ولا تتعرض لذلك ما كانت عليه من الغنى التجاري بل أذكر ثلاثة امور سبقت العالم اليها ولم يزل الناس يتفنون بها الى اليوم وهي اولاً اختراع الكتابة والثانية صيغة الارجوان التي كانوا يستحضرونها من صدف مخصوص في البحر وكان يلبسه ملوك ذلك الوقت ثالثاً الزجاج فهم الذين اكتشفوا صناعته ومن العجب ان هذه المدينة التي علمت العالم الكتابة ولبس الارجوان وصناعة الزجاج وسير المراكب في البحار ليس فيها الان ما يستحق الذكر ولا بأنها مركب . وقد ذكر حزقيال في نبواته عن غناها أما عن قوتها في ذلك الوقت فحدث ولا حرج وهي التي قاومت سنحاريب ملك اشور وحارب اسكندر المكدوني ذا القرنين وجهاز لقتاله اربعمائة الف محارب وكانت مقسومة الى قسمين الأول في الجزيرة والثاني في البر وصلب الاسكندر أهلها في الجزيرة ومن ذلك الحين أخذت في الانحطاط ولما افتتحها الصليبيون أخذت لها شيئاً من الأهمية وقد نبغ منها المؤرخ كليم الصوري وكانت تابعة لابرشية صيدا عند الموارنة في سنة ١٩٠٦ قسمت لحالها وكان أول مطران عليها من قبل رومية لأنها هي التي تنتخب أول مطران لابرشية جديدة ابن عمنا المطران شكرالله اكخوري الذي عملت له قصيدة لأجل ذلك سأذكرها فيما بعد وقد كان قبلاً يرسلون لها خورياً يسمى نائب مطران ومن الجلمة خوري اسمه يعقوب زاد مصائبها وقد قلت بذلك :

ومن عسدد المصائب لأهل صور وحزقيال أنبأنا عليها
بأن يزورها يعقوب يوماً ويبقى نسايب المطران فيها

وفي صباح اليوم الثاني ركبنا وتوجهنا بطريق صيدا وهي سهلة جداً وعند الظهر وصلنا الى محل يسمى عين القنطرة تناولنا فيه طعامنا واتى لاستقبال السيدة جمهور من صيدا أكثرهم من بيت أبي ظهر وبعد ان جلسنا معهم مدة توجهنا الى الحلالية وهو مركز جميل كان لها فيها دار جميل واليوم خراب وفي اليوم الثاني توجهت الى بكاسين بعدما دفعت لي السيدة حسنجهان مائة ليرة انكليزية أنظر هذا الكرم وصلت بكاسين وشاهدت والدتي وكان توفي يومئذ ابن عمنا فرنسيس الخوري وله أربعة اولاد ولم يترك لهم ما يعيشون براحة فأخذت معي أكبرهم المسى رشيد وسافرنا الى بتدين لروية اخي خليل الذي كان كاتب مجلس الادارة ثم توجهنا الى بيروت وفي اليوم الثاني نزلنا البحر فاشعرت ببرد وحى قوية بقت معي الى بافا ثم رجعت وسخنت في بور سعيد وبقت معي الحمى الى ان وصلنا مصر أول الليل ففرعت الباب ففتح لي اخي امين فقبله وقبلت يدي والذي وانطرحت على الفراش لا اعني شيئاً سوى قلت لهم ارسلوا اطليبا

لي معلني سالم باشا سالم فبالصدقة كان اخي عرف اسعد افندي ابو نحول رفيقنا في المدرسة توجه معه صوتياً لطلب سالم باشا .

(حالة والدي وقتئذ) كان والدي يمضي جداً ليس فقط بالنظر لحنوه الوالدي بل لأنه كان يرجو مني كل راحة في المستقبل وقد حضر مع اخي امين من بر الشام ليدخله في مدرسة الطب وكانت قد مرت عليه خمس سنوات لم يرني فيها وعند حضوره لمصر كان مؤملاً بروقي فرأني مسافراً ولم يكن يعرف احداً ولما رجعت الى مصر وقابلني كنت مصاباً بالحمى او معي ولد يتيم اخبره وفاة والده ابن عمه فحين اتى سالم باشا ليعادني وسأله عن حالتي أجابه اني بخطير شديد فتصور حالة والد غادر وطنه ليرى ابنه في الغربة آملاً منه المساعدة فرأى عكس ذلك وشاهده على سرير الموت وكان بحالة يرثي لما بقي مدة اربعة ايام لا يعرف طعاماً او متناً حتى ذهبت عني الحمى في اليوم الرابع وبعد ان شفيت من الحمى بقيت مدة من الزمن ضعيفاً وهذا المرض أثناني عندما غسلت ارجلي ووجهي وشربت بسرعة وانا عطشان من ماء رأس العين ولو كانت اصابني هذه الحمى في غير مصر لكنت في عالم آخر (ويمكن البصيص يقول للقرء) .

رسامة بطريك الاقباط الارثوذكسي

(كيرلس الحالي) وعندما فارقني الحمى واتاح فكر والدي اخبرني ان مراده يحضر رسامة البطريرك لان البطريركخانه كانت يقربنا ولد غبطته سنة ١٨٢٤ ارتسم بطريكاً سنة ١٨٧٤ ولم يزل حياً الى اليوم ثم بعد ذلك ادخلت رشيد في مدرسة بيت شكور في الفجالة خارجياً وكذلك دخل اخي امين من المدرسة الطيبة وانشرحت جداً من ذلك لأن صار له مصلحة مستقبله .

وأعظم مساعد كان لي دولتلو رياض باشا ناظر المدارس يومئذ وكذلك الخواجه يوسف شكور وعند ما قرب أول الحر في مصر وكان أول نيسان طلب والدي الرجوع الى البلاد وكان اخي خليل حرر له من قبل عمون بك عمون الذي كان يومئذ رايس الادارة للمرة الثانية وكان اخي كاهن اسراره وبجبه جداً ان يحضر ليكون عضواً في دائرة الجزاء التي شكلها رستم باشا لأنها كانت مع دائرة الحقوق ولكثرة الاشغال فصلت عنها وعندما توجه والدي وكنا نستظر اخبار وصوله وفد علينا منه تحوير يخبر عا أصاب لبنان وصابه بالخصوصي بتوفي عمون بك فجأة سنة ١٨٧٥ وان اخاه انطون بك جلس محله وباقي محافظاً على اصدقاء اخيه وانه تعين عضواً في دائرة الجزاء فيكون أول عضو عين عن جزين في مجلس الادارة وأول عضو عن الطائفة المارونية في دائرة الجزاء فعندما سافر والدي الى مصر كان بدون مصلحة لانه مدة فرنكو باشا تعين بعد عضوية الادارة عضواً في الدفترخانه التي عندما حضر رستم باشا ألفاها وأصبح والدي بدون شغل ولذلك امكنه الحضور الى مصر وبعد توجه والدي الى لبنان ودخل اخي في المدرسة بقيت وحدي في

مصر مع رشيد الذي كان يتوجه نهاراً الى المدرسة ويرجع مساء فكتت أخذته معي اذا سهرت خارج البيت وأقفل البيت واعطى مفتاحه الى الدخاخي الساكن بجواري .

(الرومي الدخاخي) وكان جاري شيخ اللصوص كان مستأجراً دكاناً يبيع فيها الدخان أسفل منزلي وكنت اشترى دخاني منه وحين اتوجه للسهرة ليلاً وأخذ معي رشيد أقفل الباب وأسلم له المفتاح لاعتقادي ان اللص لا يخون متى اؤمن وبالحقيقة لم يكن يفقد لي شيء في أحد الايام بينما كنت انزعج معه قال لي انك شيطان رجم اجبتة لماذا قال لو لم تسلمني مفتاح بيتك لكنت سلبت ما فيه قلت له لو حوى منزلي شيئاً لما سلمتك مفتاحه لان طعامي اتناوله من الخارج والدرهم مودوعة في غير محل قال الا يوجد فراشك قلت بلى قال اسرقه قلت انه لا يساوي تعب حمله قال كل ما أخذته السارق ينفقه اذ لا يكون قد دفع ثمنه وكان قصده بذلك ان يفهمني انه يحافظ على منزلي .

(جمال الدين الافغاني) في اثناء المدة التي وجدت فيها بمصر اتاه الشيخ جمال الدين الافغاني وبعد برهة وجيزة أكسب شهرة عظيمة وأخذ له عدة تلامذة وكان يتردد على بيت الخواجبات شكور وقد حضرت احدى جلساته وتاملت ما كان يقوله فلم اسمعه أجنبي على سؤال علمي عند مباحثتي واياه وها اني الان اصوره كما عرفته في ذلك الحين .

هو فصيح النطق جداً ذو براهين يسردها بمهارة كلية ولو كانت مخالفة الحقيقة فان السامع يتوهم الحق بجانبه وفي الغالب لا يكون سامعوه من العلماء وقد رأيت مجهل كثيراً من العلوم الحديثة غير انه يسرد عنها البراهين كما تلقنه عن العلوم القديمة في اليونانية او العربية وكانت نسياسة تنقلب طوعاً أفكاره فكان يطعن بالانكليز طعناً شديداً لأنهم اثروا على بلاده وتنبأ بقرب زوال دولتهم قائلماً فيها قاله ان هذه الدولة التجارية القديمة كصور وقرطاجة وخلافها . وكان سهل العبارة طلقها بطعن باضداده طعناً شديداً ولمله بعد ذهابه الى فرنسا وانكلترا والاساتنة العلية وبطرسبرج قد درس علوماً حديثة أما سبب شهرته فقصاحته وقد توفي بداء السرطان في لسانه وهو مقيم في الاساتنة العلية منذ خمس سنوات .

(سليم افندي البستاني) عندما حضر الى مصر لأجل عمل دائرة المعارف نظمت له قصيدة اتت حسب افكاري في ذلك الحين وهي افترجحية الافكار :

اضحى شهيد جالك الفتان	قف يا اله الحسن كم من عابد
سورساً ايضاً زهرة اليونان	في مصر انت امون والباعال في
عنك استلهم الله ثناني	لا تحشى ان عبداك اقترضوا وان
عن مضا في سالك الازمـان	لا بل لك العباد اعظم طاعة

من كفافسة الأثمار والحويوان
 قلب السدي يواك من انسان
 نار الوقود لكافة القربان
 ففدا يبيع عبادة النيران
 ففدت أول عابيد الاوثان
 أو نظرة تطفي لظى الظلمآن
 ثبتا علناً بكل مكان
 بفصاحة فافت على سحران
 كنت الجدير برتبة التيشان
 لحظوت في تاج من التيجان
 حتى تبدي الدمع أحمر قاني
 كلا ولا سيباناً الى هجران
 يا هاجري لا والذي ابكاني
 اسمع حديثاً في الهوى عزاني
 نطق السليم وليس نطق لساني
 بفصيح أقوال وجمل يبان
 وبلاغه فافت على الازهران
 شيتاً بملاك الرحمن
 لم تخرجن من جنّة وجنان
 في الارض لاح بصورة الانسان
 واليوم هربه لنا البستاني

قد كان يهدي فوق مذبحك العلى
 والان ضحى فوققشاً بشوق
 فافت مذبحك الخلود لانها
 لما رأى زردشت ساطع نورها
 قربت قلبي قبل كل مقرب
 طمعاً بنيل القرب من تقريره
 او سفسفة في شكوتي تلك التي
 أنت الذي في بعض شرك قائل
 لو كان في دول الاحبة رتبة
 وأقول لو جعلوا بمحك رتبة
 أبكي دموعاً ليلتي ونهارها
 لم أدر ذنباً غير اني مؤمن
 حتى واسباب الهوى لم ادرها
 لم استغد من في الشكاية لا ولم
 فعرفت اني اليوم محتاج الى
 حتى ابين حالتي بلسانه
 ولأخبرن ما ناله من كلمة
 واجيد فيه وصف عقل ثاقب
 قالوا ملائكة الاله للطفها
 لكنني لما رأيت سليمهم
 ايقنت ان الحارسين بظلمة

(طليبي سوريا لمرض والدي) عندما كنت احرق كتابي صحة المتزوج كنت اتوجه الظهر الى مدرسة
 النجالة لبيت شكور واجلس في الغرفة التي فوق الدرج لأن صاحب البيت الخواجه يوسف كان لم يزل في
 مصيفه يومئذ بلبنان في عين زحلتا ولم يكن في المنزل سوى اخيه ملحم وكان وقتئذ معي اخي امين لانه كان
 باجازة شهر رمضان وذلك في شهر تشرين الأول سنة ١٨٧٥ وبينما انا لوحدي في غرفتي دخل عليّ اخي
 امين ويده تلغراف من بيروت فيه والدكم بخط كل احضروا .

وكان هذا التلغراف صاعقة سقطت علي فتركت الكتابة وذهبت الى منزلي لأبحث على علم سفر
 الواپورات فرأيت ان بعد ثمانية ايام يتوجه وابور الى سوريا فاضطرت ان انتظر مكرهاً وكنت لا أنام ليلاً
 ولا نهاراً افكرت بذلك الوالد الذي قضى عمره بالنصب والمصاريف علىّ وحين قرب وقت اسعافني له

وتخفيف اتعابه بموت غني بعيداً فلا استطيع اراه المرة الاخيرة لأودعه وانال بركته وكنت أطلب من ربي اذا كان لا بد من وقوع قضائه ان يحملني حتى اصل اليه واودعه الوداع الاخير وكانت هذه الثمانية ايام جميع قضيتها فيه وأرسل يومياً التلغرافات للاستسلام عنه وأدفع اجرة التلغراف ذهاباً وإياباً غير اني لم احصل على نتيجة رغماً عن صداقتي مع مدير التلغراف يومئذ .

(سلامة باشا) وهو من الذوات المعتبرين شفوفاً ذا احساس رقيق وشعور شريف فحين رأى حالتي امر المأمورين ان يخبروا غزه كل ساعة ويطلبوا منها جواباً على تلغرافاتي لانها حدود مصر ففعلوا غير اننا لم نحظ بجواب فقال له سلامه باشا ان التأخير من سوريا فترلت الى بور سعيد مؤملاً ان احظى هناك بجواب وأخذت معي رشيد وبقي أمين في المدرسة .

ولما وصلت الى بيروت اسرعت الى احد عملاقتنا المواطنين وسأله بلهفة عن صحة والدي وهل لم يزل في قيد الحياة وكنت انتظر حكمه كمن يتلقى حكم الموت فاجبتني انه بخاطر لكنه لم يزل حياً فتركته وذهبت استأجرت خيلاً لذهابي مع رشيد الى بيت الدين لان العربات لم تكن قد وصلت الى هناك واشرفنا على بيت الدين الساعة الواحدة ليلاً وقبل ان ادخل غرفة والدي دخلت على والدتي وقيلت يديها ورجوها ان تخبر والدي تدريجاً بقدمي كي لا يتأثر ففعلت وكنت اتكلم بصوت عالي ليسمع كلامي وبعد ذلك دخلت عليه وانكيت اقبل يديه وقبلي وكنت أمنع نفسي عن البكا كي لا يخاف ويحسب ذاته انه بخاطر ولما رأيت ضعفه العظيم كاد عقلي ان يطير وكان لا يستطيع الحركة ولكنه مالك كل حواسه وتحقق انه مصاب بالدوسطاريا التي كانوا يعالجونها في ذلك الوقت عكس معالجتها الطبيعية .

(نظريات المعالجة) فليعلم الطبيب ان الطبيعة هي المحامي الاعظم عن الجسم لأنها متى اشعرت بمرض دخل في جسم الانسان تقاومه وتجهذ ذاتها لطرده ولهذا المقاومة علامات كالتيء مثلاً الذي يتعربه الانسان اذا احس بعسر هضم فالطبيعة تعمل جهدها لاجراج المواد المضرة بالجسم ان كان بالقيء او الاسهال وما اشبه .

فالتبيب الماهر يجب ان يقتدي بالطبيعة لانها أعلم منه بالجد فان وجد شيئاً طبيعياً بالمرض كالقيء يلزم ان يساعده بالمقنيات لا كما يفعل بعض الاطباء باعطائه ما يسكن القيء واذا عملت الطبيعة اسهالاً بالمرض يجب ان تمنع عنه الادوية القابضة التي تحفظ هذه المواد المضرة في الجسم مع ان اخراجها منه يكون اعظم راحة له بل سبباً لشفائه وكان والدي مصاباً بالاسهال والاطباء تامر له بالادوية القابضة التي توقف الاسهال وتبقى المواد في الداخل فتتهيج الاعضاء وتلتب ففعلت عكس المعالجة وكان يتدرج بالشفاء والذي ساعد على شفاؤه حضوري لانه سر جداً حين رأي اطمأن فكره وقد اخبرتي والدتي انه كان دائماً يطلبني بمدة مرضه وكان لو رأى طيراً طائراً يقول جيداً لو طار الى مصر واخبر والدي بحالتي .

وكان يومئذ عضواً في الجنايات وقد قربت مدة عطلة المركز الشتوي فقابلت دولتلو رسم باشا واستأذنت منه بان اتوجه به الى بكاسين على ان يعود متى تم شفاؤه فأمر بذلك .

وفي أول كانون ثاني اي رأس سنة ١٨٧٦ بينا نحن في بكاسين ورد لوالدي امر بتعيينه قاضياً في جزين .

وكان الامير ملحم حمود شهاب يومئذ قائمقاماً في جزين وقد قضى فصل الشتاء تلك السنة في قيتوله ولما شفي والدي استأذنت منه للرجوع الى مصر فلم يسمح لي به مطلقاً وقال لي لو كنت خديبياً في مصر وبعيداً عني ابقى حزياً لفراقك فلما رأيت ارادته الحاتمة علي بالبقاء وكنت مقسماً ان لا أكدره ولو مها تكلفت اضطررت ان اطيعه رغماً عن أملي العظيم بالنجاح في مصر ومع هذا كله لست نادماً على ذلك لأن فكري استراح من جهة رضى والدي وانني لم أكدره ورضاه كان عندي خيراً من كل نجاح ومع هذا كله نلت في بلادي ما لم ينله طبيب سواي ان كان بالعلم او الشهرة او المال او الشرف وما ذلك الى من رضا والدي اخيراً حررت الى اخي امين وطلبت منه ان يبيع امته البيت لاني ساوطن سوريا امثالاً لامر والدي .

تأثير مصر علي وما أكتسبته من العلوم والآداب

ان للبقاع تأثير في الطباع واذا فحصنا هذه الحقيقة نرى اخلاق كل شعب حسب طبيعة بلاده وكما ان البلاد تؤثر في الجسد والصحة كذلك تؤثر في الاخلاق اقتضاء للمعايشة فالأرض اللينة الخصبة التي يتناول فيها الانسان معاشه براحة تولد فيه اخلاقاً لينة سهلة وبالعكس البلاد الجبلية الصخرية الشديدة البرد والعسرة الحراثة فانها تولد فيه الصلابة والثبات والاخلاق السيئة والنشاط فمصر هي الأرض الوحيدة في الدنيا بسهولة حراثتها وخصبها لان الفلاح لا يجد حجراً مدة حراثة ارضه وعيشه سهل جداً وما عليه الا ان يحرك يده او ثوره او حماره حتى تعطيه الأرض خيراتها وما عليه الا ان ينحني على النيل فيروي ظمائه ويسقي حيواناته لذلك اعتاد على اللين والخلق الرضي وأصبح ذا طباع حسنة ومنه تنتقل هذه الطباع الى كل من جاوره او عاشره فالمصري كريم النفس قليل الحسد لأن الغنى سهل عليه لخصب ارضه وحيث ان مصر ذات سهول لها منظر واحد لا يتنوع فلا تلتهى افكار المصري بغير شغله في الحراثة حتى اذا كان ليس عنده ما يعمل اضطر ان يعاشر سواه ولكي يستأنس به اضطر ان يدمث اخلاقه وان يبتدع اموراً مضحكة تلهيه ولذلك ترى المصري رقيق الطبع يحب التسلية كريم النفس لا يحقد ولا يتكدر بسرعة وكل من عاشره وسكن بلاده يكسب اخلاقه .

وحين حضرت الى مصر كنت كما قلت لم أزل شراً وقصتي مع الاناثاومطي التي ذكرتها حسنت اخلاقي واضهت كبريائي خصوصاً حين كنت أرى اعيان مصر ووجهاءها العظيم يسايرون من هم أدنى

منهم بكل لطف وبشاشة ولما رجعت الى سوريا كانت اخلاقي قد تهذبت وتمعنت كل ذلك لعدم وجود ما يدعو الى الشراسة وسوء الطباع في مصر .

وترى المصري يهزأ دائماً بالشامي ويقول ان له خلقاً غير معروف في مصر وهو النفرة التي يستعملها السوري متى سمع شيئاً لا يوافقُه ويذكرون عن ذلك نادر عديدة منها ان رجلاً سورياً اراد مشترى كمكة محشوة بعض حلويات كانت باهظة الثمن في مصر بالنسبة الى سوريا اي اربعة أضعاف ثمنها المعروف وسأل هذا الشامي بائع الكمك عن ثمنها أجاب غرشين فخر الشامي منه وقال : قرد واقه لو كانت محشوة انبياء وأولياء لما سaut هذا الثمن . هذا هو الخلق الذي يولد في السوري ولا يعرفه المصري .

قلنا ان منظر البلاد المصرية لا يلهي احداً فيلترم المصري للتسلل مع غيره او بذاته ان يستعمل الوسائط الداعية له فانقل الهم من الموسيقى واجبه فالفنوه وابدعوا فيه حتى ان الفاعل كما ذكرنا وهو يشتغل بالبناء يترنم بالغناء ومتى اراد احدهم ان يتسلل بذاته يستعمل الحشيش الذي يرى الانسان كأنه ملك على عرشه ويسمعه انغماساً لم يسمعهما ويريه مناظرأ تختطف الابصار وتجعل الدنيا أمامه كلاً شيء ويضحكه من كل شيء . وتأثير الحشيش على الجسم كآثير الحرارة أي أن يحمله خامداً كسلاناً لا يبيحه شيء فوافق طبيعة البلاد بعكس المشروبات الروحية التي تهيج الانسان وتولد فيه حرارة اذا اضيفت لحرارة البلاد اضرت لذلك ترى أغلب سكان البلاد الحارة كالمند ومصر يستعملون المخدرات وأهالي البلاد الباردة كأوروبا يستعملون المشروبات الروحية المهيجة لانهم يحتاجون الى حرارة لمقاومة البرد .

(شظي العلمي) كنت أطلع الكتب الطبية الافرنسية مع العلوم التي أكتسبتها بالمدرسة وتلقنتها باللغة العربية حتى اني عرفت الاصطلاح الطبي بهتين اللغتين وصارت تسهل على الترجمة بهما .

وبما اني تلقيت دروسي باللغة العربية وكانت العلوم التي تلقنتها مطبوعة في كتب عباراتها فصيحة جداً تمرنت على التكلم باللغة الفصحى وسهلت علي اللغة بعد ان كنت اجهلها ولا اعرف منها الا الفاعل والمفعول ونرى كان ركيكاً جداً بعكس النظم لأنه سليقة عندي وميزاني سمعي .

وكننت لأجل تمضية وقتي مدة الاجتماعات بارفاقي اجتهد بان انظم شعراً واشتهرت بين رفاقي بكوني شاعراً وما ذلك الا لعدم وجود بينهم من هو نظيري وأما اليوم يقولون لي انني شاعر ولي ميزان واحد لشعري وهو جعله بدرجة يفهمه الكل لأن هذا هو الميزان اللازم لأن ما الفائدة من نظم شعر لا يفهمه الا الشعراء او طبقة العلماء فاذا يعلم ولكن اذا فهمه الجميع يكون له فائدة اعظم لأجل ذلك جعلت ميزان فهم شعري وكيلي أمين غنايل ناصيف من بكاسين الذي هو بالحقيقة أمين ولكنه بسيطاً جداً ولم يعرف القراءة والكتابة ولكن اتخذته لامانته وكننت عندما انظم شعراً أقوله فاذا فهمه اقبه والا اغير تركيه لانني اعتقد متى فهم أمين شعري يفهمه الكل وكان انتخابي له كاتنخاب احد المطارنة الذي كان بسيطاً لكن نقياً

فلطبت الرعية ان يكن مطراناً عليهم فرض لغيره انه لا يحسن الخطابة والوعظ اللازمين لمطران فأجابته الرعية اننا متخينك للتقاوة وليس للفصاحة اخيراً قبل وبعد سياحته علا المنبر ووعظ وقال يا أولادي لست فصيحاً لأطيل الشرح فقط أقول كلمة واحدة الذي عنده مروءة يطلع للناس ومن دونها لا ساء له بالحقيقة ان المروءة هي اساس كل فضيلة فهذا كان انتخابي لأمين وهو ميزان فهم شعري .

(خروجي من مصر) خرجت منها عكس بني اسرائيل لم املك شيئاً سوى علومي فقط ولم استمر شيئاً من جبراني وقد ابتدى تنظيمها عند دخولي فأول رصيف للطرفات ابتدى من اليزيكية وشاهدت فتح شارع كلوت بك وشارع محمد علي وعابدين والقمالة وفتح ترعة السويس وبناء الاوبرا والنيواوتل وشارع بنايات ذباني وكل حركة جديدة وأما كبرى قصر النيل وابتدى البنايات في شارع قصر العيني وسأذكر ما جد في غيابي عند سياحتي الاخيرة سنة ١٩٠٧ .

اسماء تلامذة الطب في صفي

محمد نديم	مصطفى افندي شكري
السيد حسن	محمد افندي حلمي
محمد نسيب	محمد حلم
احمد فوزي	أحمد حني
ابراهيم عاف	حسن نصره
الياس مدور ونخله مدور	محمد فتحي
سليم الياس	عثمان واصل
اسعد محول	مصطفى ساهي
حسين عوره	احمد نظير
سعد الدين سعدي	ابو العنين علي

وكان طنوس الخوري وانطون الخوري ونقولا لويس وانطون الشعراوي في صفوف قبلي ولكن كنا سوياً وكلهم افندية حتى لا يعتب احد .

فهؤلاء هم رفائي في صفوفي مدة ست سنوات كنا فيها مجتمع سوية اما الان فلا أعلم ابن هم ولا مقرهم ولا ادري ان كانوا في قيد الحياة او توفوا وهل هم اغنياء ام فقراء متوظفين او بلا وظيفة اعزاب او متزوجين عقيمين او ذوي اولاد غير انهم بأي حالة كانوا فيها اهديهم اشواقي وأذكر زمن مساواتنا ايام التلمذة رغماً عما عمله الدهر بكل منا وانني اهدي سلامي الى الاحياء ورحماني للذين سبقوني الى الآخرة .

(غالب الخوري البعلبكي) هو أول طبيب خرج من مدرسة قصر العيني من بر الشام وكان ارسله الامير بشير مع ابراهيم النجار ويوسف الجليخ ويوسف مرهج والملوك خورشيد الى مصر لعلم الطب ولد غالب في بعلبك سنة ١٨١٨ ارسله الطران عبدالله البستاني الى مدرسة مار عيدا هريرا سنة ١٨٣٢ ثم ارسله الامير بشير الى مصر سنة ١٨٣٧ ورجع منها سنة ١٨٤٥ مع الشهادة وخدم البطريك يوسف حيش ثم بقي عشرة سنوات طبيب سعيد بك جنلاط ثم توجه الى الشام وخرج منها سنة ١٨٦٠ وخلصه الامير عبد القادر ثم حضر بيروت وبعده تعين طبيباً في مركز لبنان ثم في جبيل ثم رجع سنة ١٨٩٣ الى دير القمر وتسمى طبيب بلدية فيها الى سنة ١٨٩٦ التي توفي فيها ودفن في دير القمر وهو زوج خاتلي بجمه وقد عاش ٨٨ سنة قضاه في العلم والطب وخدمة المرضى ولم يكسب في حياته سوى ممنونية الفقراء اذا كانوا ممن يذكرون المعروف ومضى ولسان حاله يقول :

أحمل نفسي كل يوم وليلة هو————— على من لا أفوز بخيره
كما سؤد القصار بالشمس وجهه مجدداً على تبيض اثواب غيره

ولم يترك الا ابنة وهي السيدة حواء أرملة الدكتور سليمان افندي أبي محول ولم يترك شيئاً من الاموال كما قلنا وكان شاعراً وله حملة قصائد عظيمة ادوياً وكان من زمرة ظرفاء دير القمر اللذين كانوا دائماً يجتمعون سويتاً في سهراتهم وهم مارون لطيف اول ظريف وبعده يوسف عيد والمرحوم والدي وبشاره ابو محول وغالب افندي فكان يضرب بهم المثل في الالفة والظرافة .

فرنكو باشا متصرف جبل لبنان الثاني من ١٨٦٨ : ١٨٧٣

هو أول متصرف وطني للبنان حليبي الأصل من اسرة كوسا ولد في الاسكندرية العلية ١٨١٤ وتعلم اللغات حتى أصبح يتكلم بستة منها دخل الحكومة وكان أول دخوله مديراً للكتبة في نظارة الخارجية ثم ناظراً للبيوتة والتخلف ثم رافق فؤاد باشا مأمور فوق العادة في سوريا ١٨٦٠ وكان أول مساعد لفؤاد باشا وعمل خدمات عظيمة وعند رجوعه الى الاسكندرية تعين ناظراً للكتاركة ومنها تعين متصرفاً الى لبنان في ١٤ حزيران سنة ١٢٨٤ هجرية و٢٧ تموز ١٨٦٨ مسيحية وبقي في المتصرفية اربع سنوات وسبعة أشهر وتوفي بسن ٥٩ سنة في بيروت ١٨٧٣ في حارة جدي بمرض القلب ودفن في الحازمية لانه اختارها لدفنه مدة حياته لانه كان يجلس فيها للترهه وهو أول من شهرها وله ستة اولاد والذين منهم زاروا قبره وحضروا الى لبنان المرحومة ماري مدام نعم باشا متصرف لبنان الخامس مع اخيه فؤاد بك الذي توفي ودفن بجانب والده في الحازمية وانخيراً ولده دولتو يوسف باشا المتصرف السابع للبنان وهو المتصرف الحالي بحيث قد

أصبحت هذه العائلة عائلة لبنانية فذلك نتراف على لبنان وتحكم فيه كحكم أب بعائلته وترى فيهم صفة واحدة جامعة الكل وهي حب السلام وراحة الأهالي والأمانة العظيمة لدولتهم وهذا كل السياسة .

محكمة التاريخ لفرنكو باشا

حضر الى لبنان بعد خراب شباليه واضطراب جنوبيه من حوادث داود باشا وكرم وانقسام أهليه وسخط اكلوريوس على داود باشا فهد بحكته كل شيء فسكت الخواطر وعندما عرفت الاهالي نيانه الصالحة وحلمه وعفته للفقراء وعدم تكبره ورقفه في الاهالي اطاعته بكل ارادة فصار مها يفعل ينسبون فعله لقصد صالح بدون تفرض وقد جمع بين الاحزاب ووظف من الحزبين وأسكت الجميع بعدله وحسن نواياه وقد قصد تعليم صنعة السجاد في لبنان فدعى معلمين لذلك وعمل معملأ ودخل فيه تلامذة ومن جملتهم ابن عمي حبيب الخوري اسطفان ولم يزل عنده سجاد من عمله في بيته من ذاك الزمن وكان يحب تشجير البلاد فزرع الزنزلخت على الطرقات والصنوبر وامر بزرعه في كل المحلات العمومية .

وعندما رأى ان لبنان وكيل مسخر على غربي البقاع بحيث كان يدير سياسته والولاية تأخذ ايراده تركه للولاية .

وكان يخبرني عن هذه الصفات العظيمة والذي لأنه كان عضو الادارة عن أقليم جزين في مدته ثم صار عضواً في الدفترخانه ولم يحدث للبنان أدنى حادث مكدراً لا داخلي ولا خارجي في مدته فلذلك يشكره التاريخ وخصوصاً لبنان وقد عرفته مدة رخصتي من مدرسة الطب ١٨٧٠ لأنه تعين وتوفي وأنا في مصر .

ماموري فرنكو باشا

- (المحاسبجي) اسما عيل افندي ١٨٧١ : ١٨٧٥ .
- (كوسيون المتأخرات) سعيد بك تلحوق ١٨٦٩ : ١٨٧٣
- (رئاسة المعروضات) قاسم بك نكد ١٨٦٨ : ١٨٧٣ .
- (رئاسة المحقوق) اسكندر بك حيش ١٨٦٩ : ١٨٧٠
- (الشيخ رشيد الدحداح) ١٨٧٠ : ١٨٧٣ .
- (مدير دير القمر) داود بك باز ١٨٦٨ : ١٨٧٣ .
- (وكلاء مجلس الادارة) الشيخ عبد ابو حاتم ١٨٦٨ : ١٨٧٤ .
- (ترجمان أول) اسكندر بك توني ١٨٦٨ : ١٩٠٣ .

- (رئيس القلم الأجنبي) فرنسوا دياب افندي .
 (رئيس قلم التركي) اسكندر افندي الحداد ١٨٧٠ : ١٨٧٣ .
 (رئيس القلم العربي) بشاره افندي ابو نغول ١٨٦٨ : ١٨٧٤ .
 (رئيس الدفترخانه) حنا بك ابو صعب ١٨٦٩ : ١٨٧٣ وكان والدي عضواً فيها بعد الادارة .
 (قائمقام الشوف) الامير ملحم ارسلان ١٨٦٢ : ١٨٧٣ .
 (قائمقام جزين) الامير سعد شهاب ١٨٦٨ : ١٨٦٩ .
 الامير رشيد شهاب ١٨٦٩ : ١٨٧٠ .
 الامير مجيد شهاب ١٨٧٠ : ١٨٧٣ .
 الامير داود ابي اللح ١٨٧٣ : ١٨٧٣ .
 (قائمقام زحلة) فارس افندي زلز ١٦٦٨ : ١٨٦٨ .
 خليل الجاوش ١٨٦٩ : ١٨٧٣ .
 (قائمقام المتن) الامير يوسف علي ١٨٦٨ : ١٨٧٣ .
 الامير سعد شهاب ١٨٧٣ : ١٨٧٣ .
 (قائمقام كمران) الامير رشيد شهاب ١٨٦٨ : ١٨٦٩ .
 الامير سعد شهاب ١٨٦٩ : ١٨٧٣ .
 (قائمقام البترون) الامير ملحم حمود ١٨٦٩ : ١٨٧٣ .
 (قائمقام البقاع) اشرف افندي في ١١ كانون الأول سنة ١٨٦٩ وفي آخر شباط للسنة المذكورة رجعت الى الولاية .
 (قائمقام الكورة) يوسف افندي بشير ١٨٦٨ : ١٨٧٤ .
 وفي مدة فرنكو باشا دخل المرحوم اخي خليل في قلم المحاسبة ثم كاتب في الادارة .

متصرفية رسم باشا

من سنة ١٨٧٣ الى ١٨٨٣ للوافقة ٩ مايس ١٢٨٩ مدة عشر سنوات وشهرين وهو ايطالياني الاصل تولى في الاستانة العلية مع والدته وخدم الدولة بكل امانة وقد كان سفيرها في بطرسبرج لما تعين متصرفاً على لبنان ولما انتهت مدته انتخب سفيراً للدولة العلية في انكلترا وتوفي هناك عازباً سنة ١٨٩٤ وقد عمر كثيراً .

(أوصافه) كان عصبي للزواج طويل القامة نحيف الجسم سريع التأثر عادلاً محافظاً جداً على حقوق الجبل وكرامته لأنه كان يشعر ان مخالفتها تمس كرامته متسلطاً ذا هبة وطباع قاسية عفيف الذليل جداً بالرشوة جعل للبنان مقاماً عظيماً لا يذكر للأمور فضلاً ولم يسمع منه مديح لأحد بل كان اذا اظهر التقائناً

لأحد يقول انه عمل الواجب عليه ولما اتى الى لبنان كان بلا غرض كمادة كل قادم حديث او رئيس لم
نفس كرامته ولكنه حين مست احساساته وعرف ان فريقاً من الاهالي يشتكي عليه وان المطران بطرس
ترأس الحزب المضاد له وجرى ما جرى في ابعاد المطران بطرس البستاني الى القدس ورجوعه الى كرسية
أصبح ذا غرض حتى لو قيل له ان فلاناً من حزب المطران او يميل اليه يتنقم منه بالعزل ان كان مأموراً او
باقامة دعوى عليه ان كان غير مأمور وقد كان الجبل قبله مقسوماً الى عدة طوائف وكل طائفة الى قسمين
اما هو فجعل سياسته تقسم كل عائلة على ذاتها وكيفية ذلك انه كان اذا عزل مأموراً يعين خلفاً له اخاه او
ابن عمه فتحصل العداوة بينهما لان اغلب العداوة في لبنان تنشأ عن المزاخمة في التوظيف وكان يستخدم
كل من يحاهر بعداوة المطران وحزبه وله عيال بحسب انهم صادقون بخدمته وقد عرفت منها اناساً كانوا
يأتون بخاباره وكتابات واعماله كل ليلة ويخبرون بها كاهناً كان خادماً كنيسة مار يوسف في الحدث ليوصلها
الى حزب المطران وآخر كان يوصل الى هذا الحزب كتاباته السرية ومع ذلك كان يعتقد بهم الصديق اما
عبيه الوحيد فكان اصفاؤه للمفسدين بحق للمأمورين الامناء فكان يعزل بدون فحص ويتنقم بلا تريو ولربما
كان يفكر ان يهرب الاهالي ويجعل طاعتهم عمية وذلك لأنه رأى ان هذه الاعمال المحيطة تهدي البلاد
مع انها عملت معه عكس ذلك بالشكيات عليه وكان التحزب ضده عظيماً جداً لأن ابعاده للمطران
بطرس البستاني جرح حرجاً عظيماً للأهالي لم يمكن التمام .

(محاكمة التاريخ لرسم باشا) اما لبنان فلم يتفحم منه شيئاً بل تضرر مادياً وادبياً فانه سلط العداوة بين
الاهل والاقارب وخفض الرواتب مبتدئاً بذاته فقد كان راتبه خمسين ألف غرش شهرياً فجعله خمسة
وعشرين ألفاً ولما رأى المأمورون ان روايتهم لا تكفيهم تضابقوا بخلاف ما كانوا مدة اسلافه وليس له اثر
من المنافع الا شيئين عملهما يوافقان لعلبائه المتقدمة فانه انشا سجن بيت الدين بشكل يضر صحة
المسجونين الثاني بناؤه الجسر المعروف باسمه وقد كلف البلاد خمسة آلاف ليرا ولا فائدة منه . الا ان
يوصل الى حديثه التي كان يجتمع فيها الناس خصوصاً السيدات والأدهش انه بعد عزله وهب هذا المحل
الى صديقه زوجة عبدالله باشا الانكليزي عوض ما يتركه الى لبنان ومن الغلط ان يسمى متصرفاً عاذباً
لان لا شيء يعيقه عن امياله الخصوصية وتنفيذها فأكثر اضطراب لبنان نشأ من داود باشا ورسم باشا
لانها عازبان وقد أصبح سيء الظن بحيث ان خل ادنى انسان بالواجبات نحوه يضره لفكره انه يحقره .

وقد كان أحد الخيالة من أقليم جزين راكباً في بيروت فمرت عربة رسم باشا فرأه وحيث ان الخيال لم
يقف للسلام كالعادة رفته وكذلك الحادثة الآتية :

(حادثة) كانت امرأة ارملة قبيحة المنظر جداً شائبة الشعر سوداء اللون وجهها مرقوش بالجلدي نحيفة
الجسم ثقيلة الذات قد حوت كل الاشكال التي تكره الانسان بها لها ولد شقي وقع بيد الحكومة لانه
نحاصم مع صاحب قهوة بالحازمية وكانت انت تترجى احد المأمورين الذي كان من بلدها ليساعدها
بمسألة ولدها فنصحها الرجل ان تقدم استدعاء لولته وان تحضر معها فتاة تعرف اللغة الافرنسية لتكلمه

وكانت لهذه الارملة جارة تلقى علومها بمدرسة اليتامى في اللمازيرة وتعرف قليلاً من الافرنسية فلا تعلم اصطلاح الكبار والذوات بالكلام فعملت الاستدعاء وأخذتها معها وذهبتا حتى وصلتا الى الحدث ووقفنا أمام دار الحكومة حتى أتت عربة دولته وواراد التزول منها فتقدمت اليه بالحارة وسلمت عليه بالافرنسية كما تسلم على مثيل لها وقالت له بونجور موسيور رسم فلما سمع هذا القول التفت ورأى قباحة منظر رفيقتها فأخذ الغضب منه كل مأخذ ومزق الاستدعاء وامر بطرد المرأة ظاناً انها قصدت احتقاره بهذا السلام ولما رجعت سألها الذي اشار عليها بتقديم الاستدعاء عن نتيجة امرها فأخبرته ما جرى فضحك الرجل وهو الذي روى لي هذه الحادثة .

فيستج من ذلك ان اعماله كلها عادلة كانت او ظالمة وأوامره بالسلاح او العقاب كانت تبعاً لاهواء نفسه اما غايته فكانت حفظ الراحة العمومية ومنع التعدييات داخل لبنان وخارجه ولما انتهت مدته قام الاهالي كلهم ضده وبقيت المذاكرة مدة شهرين دائرة لانتخاب خلف له ولما اتى المتصرف الجديد واصه باشا وتلي فرمان تعيينه كان رسم باشا حاضراً تلك الحلقة بأمر ويسبي حتى تمت تلاوة فرمان قسّم مركزه الى خلفه وسافر الى بيروت وبعد اسبوع سافر الى الاسكندرية .

مأمورون رسم باشا

(المحاسبه جي) جمال بك ١٨٧٥ : ١٨٧٩ ، رشاد افندي ١٨٧٩ : ١٨٨١ ، هاشم افندي ١٨٨١ الى اليوم ١٩٠٦ .

(قومسيون المناظرات) ميخائيل افندي مطانيوس ١٨٧٣ لم الغيت هذه الوظيفة .

(دائرة الجزاء) انشأها رسم باشا قاسم بك ابو نكد ١٨٧٦ : ١٨٨٣ وكان والدي عضواً عن الطائفة المارونية فيها وبعد تعيينه قاضي على جزين أصبح اخي خليل باشكاتباً بها .

(دائرة الحقوق) الامير نصوح شهاب ١٨٧٣ : ١٨٧٧ الامير نجيب شهاب ١٨٧٧ : ١٨٧٩ ، بطرس بك كرم ١٨٧٩ : ١٨٨١ ، رشيد الدحداح ١٨٨١ : ١٨٨٣ .

(مديرية دير القمر) راشد الدحداح ١٨٧٣ : ١٨٧٥ ، مجيد شهاب ١٨٧٥ : ١٨٧٨ ، عثمان شهاب ١٨٧٨ : ١٨٧٩ ، قيس قعدان شهاب ١٨٧٩ : ١٨٨٢ ، قيس ملحم شهاب ١٨٨٢ : ١٨٨٣ .

(وكلاء مجلس الادارة) عمون بك عمون ١٨٧٤ : ١٨٧٤ ، انطون بك عمون ١٨٧٤ : ١٨٧٧ ، عيد ابو حاتم ١٨٧٧ : ١٨٧٧ ، الامير امين منصور ١٨٧٧ : ١٨٧٩ ، الامير سعد شهاب ١٨٧٩ : ١٨٨٣ .

(ترجان أول) اسكندر بك توفيقى كل مدته .

(ترجان) غطاس لبكي ١٨٧٦ : ١٨٧٧ ، ابراهيم ديب ١٨٧٧ : ١٨٨٤ .

(رئيس القلم الأجنبي) مورل بك ١٨٧٣ : ١٨٨٣ .
 (رئيس القلم التركي) اسكندر الحداد ١٨٧٣ : ١٨٨٤ .
 (رئيس القلم العربي) حنا بك ابو صعب ١٨٧٤ : ١٨٧٨ ، غطاس لبكي ١٨٧٨ : ١٨٨٤ .
 (قائمقام الشوف) الامير مصطفى ارسلان ١٨٧٣ : ١٨٨٤ .
 (قائمقام جزين) الامير ملحم حمود ١٨٧٣ : ١٨٧٦ ، وفي مدته أصبح والدي قاضي جزين وهو
 ثاني قاضي وطني وكان الأول سرايوني ابو رزق الشيخ رشيد الخازن ١٨٧٦ : ١٨٧٦ ، الامير سعد
 شهاب ١٨٧٦ : ١٨٧٩ . قسطنطين بك الخازن ١٨٧٩ : ١٨٨٤ .
 (قائمقام زحلة) الامير مجيد مراد شهاب ١٨٧٣ : ١٨٧٦ ، حبيب بك عكاوي ١٨٧٦ :
 ١٨٨٣ ، ملحم افندي شميل ١٨٨٣ : ١٨٨٥ .
 (قائمقام المتن) الامير يوسف علي ١٨٧٣ : ١٨٧٩ ، الامير خليل مصطفى ١٨٧٩ : ١٨٨٠ ،
 الامير يوسف علي ١٨٨٠ : ١٨٨٤ .
 (قائمقام كسروان) الشيخ رشيد الخازن ١٨٧٦ : ١٨٨٠ ، الامير نجيب شهاب ١٨٨٠ : ١٨٨٣ .
 (قائمقام البزوني) عمون بك عمون ١٨٧٣ : ١٨٧٤ ، الامير قيس شهاب ١٨٧٤ : ١٨٧٩ ،
 الامير نجيب شهاب ١٨٧٩ : ١٨٨٠ ، الامير ملحم حمود ١٨٨٠ : ١٨٨١ ، الامير قيس ملحم
 ١٨٨١ : ١٧٨٢ ، الامير ملحم حمود ١٨٨٢ : ١٨٨٣ . الامير قيس قعدان شهاب ١٨٨٢ :
 ١٨٨٣ .

سكني في سوريا

لما اعتمدت على سكني في سوريا ارتأيت ان اسبح في معظم بلدانها قبل ان اعتمد واستقر في بلد منها
 وحيث ان اقاربى الذين في عكا كانوا طلبوني اليهم وكان الوقت فصل الشتاء فاخترت سكني الجهات
 الساحلية وتوجهت من قيتولة بعد ان ودعت والدي وكان برفقتي ابن خالي فرحات بك نصيف الذي كان
 متوجهاً الى صيدا وحين علم الاهالي هناك اني طبيب اتاني رجل من بيت الحداد يطلبني لعيادة ولده الذي
 كان يومئذ بسن الثانية عشرة فحوصته ووجدته مصاباً بحصاة بولية واخبرت والده بلزوم اجراء عملية له
 لاستخراج الحصاة وان لا دواء له سواها وكلفته ان يعتمد على رأيي لأنني مسافر الى عكا فذهب وعاد بعد
 قليل يخبرني ان طبيبه الذي كان يداويه حتى ذلك الحين لم يذكر له شيئاً عنها فقلت له تعال مع هذا
 الطبيب لأرويه الحصاة وسبب جهله وجودها انه حين كان يحسه بالجس ويصل به الى عتق المثانة تتشنج
 وتندفج فتحته ولا يعود في الامكان ادخال الجس وعوضاً عن ان يبقيه في محله لحين زوال التشنج كان
 يستخرجه سريعاً خصوصاً حين ما كان يرى الدم واخير الرجل طبيبه بذلك وحضر معه الى المنزل الذي
 كنت فيه ولما تحقق وجود الحصاة اعتمدنا على يوم لاجراء العملية واجريتها بحضور معظم اطباء صيدا
 واستخرجتها وكانت ذات حجم عظيم نظراً لسن الغلام وانط الخواجه قاعور الحاج من قيتونه بالسهر عليه
 تلك الليلة وفي اليوم الثالثة استخرجنا له الانبوبة ونال الشفاء التام .

وفي أحد الايام كنت في مدرسة عين طورا فرأيت شاباً تقدم اليّ وسلم علي وانخبرني انه هو شكري الحداد الذي عملت له العملية في صيدا .

(خطبتي في صيدا) واذ أقمت هذه اللدة في صيدا كان ابن خالي فرحات بك يشور عليّ بخطبة فتاة من أقارب زوجته كانت جميلة الصورة لا تتجاوز الرابعة عشرة من عمرها فتوجهنا لئراها فوجدتها جميلة المنظر حسنة بسيطة القلب بالاختصار خطبتها وفي اليوم الثالث من خطبتي توجهت الى عكا ووضعنا في المدرسة .

عكا

هي مدينة قديمة العهد جداً كانت تدعى باللغة الفينيقية أكو أي الاحتراق وقد اشتهرت في زمن الفينيقين بعمل الزجاج وكانوا يستخرجون رملهم من شواطئ نهر النعماني والمقطع وزادت شهرة في زمن دولة البطالسة بمصر وقد دعاها احد ملوك هذه العائلة باسمه اي بطولاييس وبقيت على حالها الى ايام الصليبيين حتى حاصروها وافتحوها وسجوها مار يوحنا عكا وكان الاسلام يستولون عليها مرة والصليبيون اخرى وهي البلدة الوحيدة التي بقيت بيدهم الى ان أضمحل أمرهم من هذه البلاد واشتهرت ايضاً بمقاومتها لئابوليون يونابرت الذي قال عنها لو اقتنحت عكا للملكت الدنيا والذي اعاقه عن فتحها هو الطاعون الذي أصاب عساكره كما هو مذكور في التاريخ وثورة الوطنيين على جنده في مصر اما الذي اشهر عكا بعد الصليبيين فهو :

ضاهر العمر

أول من أظهر والده عمر للوجود هو الامير بشير شهاب الأول الذي جعله نائباً في صفد لانه كان متولياً عليها وبعد وفاته حارب عمر البلاد واستولى عليها ومن جعلها عكا وحيفا وبعد وفاته تولى ابنه ضاهر وهو نابغة ظهر في الجيل الثامن عشر كان حاكماً صفد فتنازع مع اخوته واستولى على عكا واستفحل امره جداً حتى هابه الجميع ولما عصى الجزائر على الامير يوسف في بيروت استنجد الامير بضاهر العمر وطلب منه محاصرة بيروت بحراً وهو يحصرها براً فاستأجر ضاهر مركبين روسيين واتى الى بيروت محاصراً ولما رأى الجزائر نفسه غير قادر على المقاومة سلم ذاته وسنذكر فيما بعد ما الذي اجراه مع ضاهر العمر والامير يوسف وكان قبطان المركبين الروسيين الكونت جواني الذي بعد ان اخرج الجزائر من بيروت سلمها الى الامير يوسف وطلب منه المصاريف ففعل له نصفها وبقي النصف الآخر فأقام الكونت جواني وكيلاً عنه حاكماً على البلد يقال له اسطفان حتى استوفى النصف الآخر وقد ذكر ذلك بعض الشعراء بقوله :

قصة الأمير يوسف وغندور الخوري وعزام معه

كان من عادة الجزار ان يتزل ضيوفه في محل ويقم الجواسيس في جواره ليخبروه بما تقوله ضيوفه وعندما وصل غندور الخوري والأمير يوسف وعزام الى عكا انزلهم في هذا المحل فيمد نصف الليل استاقوا من نومهم وبدوا يتشاورون بماذا يعملون ويقولون حين مقابلتهم للجزار فقال الأمير يوسف انني أفضل كلما يطلبه مني الجزار وقال غندور لوطب وزن جسمي ذهباً لاعطيه اما عزام فقال واقه لا تقطن عنقه بهذا السيف لو كلمني شيئاً مهيناً وفي اليوم الثاني طلبهم اليه وقال لهم من منكم يريد ان يقطع رقبة الجزار فوضع عزام يده على قبضة سيفه وقال انا الذي قلت ذلك وان امرت بشيء يؤذي قبل ان يطلع صوتك أقطع رأسك وكان الجزار سياسياً عنكاً فقال له آفرين (عفارم) وحيث انت شجاع لهذه الدرجة فأنا اعفو عنك ولكنك لا تبقى في عكا اربع وعشرين ساعة فخرج عزام من أمامه حاسباً للوت وראה وغادر عكا حالاً غير انه افكر اذا سار على الطريق للعتادة يرسل الجزار اناساً خلفه ليقتلوه فغير الطريق وذهب للجهة الجنوبية وبينما هو سائر التقى بقوم من العرب البدو ارادوا تشليحه فقاومهم وابتدأت المعركة بينهم واخيراً قتل منهم واحداً وكان قريباً من الخيام فلما كل من التعب وضع يده على اطناب خيمة وقال كمادة العرب يا خيمة انا مستجير بك فخرجت من الخيمة امرأة عجوز وقالت للعرب انه استجار بي فأتركوه وارجعوا عنه وكانت هذه العجوز والدة الرجل الذي قتله عزام .

(مرؤة البدو) ولما رجع العرب عنه افكروا ان لا بد لوقوعه في ايديهم لان صاحبة الخيمة لا تجيره أكثر من ثلاثة ايام وحيث انه قاتل ولدها فهي لا شك تبذل جهدها لعدم هربه فتركوه مطمئنين غير ان المرأة ابطلت عزام نصف الليل وقالت له انت قاتل ولدي ولكنك استجرت بي فأنا أصفح عنك قم وأذهب هذه الساعة لأن القوم عنك غافلون واعطته مؤنة الطريق ورجع الى بلاده .

فأين توجد هذه المرؤة وأي قوم يفتخرون بهذا غير البدو الذين دأبهم القتل والنهب وما هذا الا من تأثير الشهامة التي تصاحب دائماً ساكني البراري وقد حدث اعظم منها في بلادنا في البرج وهو ان لمحمد العرب من البرج أولاد وقد بلغه ان أحدهم قتل وقتل خطأً وبينما هو في هذا الاضطراب دخل عليه قاتل ولده مستجيراً به فقبل كل جهده حتى هربه من وجه اخوة المقتول وخلص القاتل فهذه شهامة لا تنسى ولم يزل ذكرها في بلادنا وعهد العرب كان من أكابر البلاد وعضواً عن الاسلام في مجلس ادارة لبنان فلنرجع الى عزام .

أما الجزار فانه ارسل اربعين خيلاً يطلبون عزام ليقتلوه في الطريق وظنوا انه توجه لجهة صور وصيدا فتعقبوه ولما لم يمتروا به رجعوا خائبين اما الأمير يوسف وغندور الخوري فابقاهما الجزار بعكا .

« انتهى الأمير يوسف وغندور » في السنة التالية اراد الجزار ان يحج الى مكة المكرمة فذهب حتى

وصل الى المزارب فافكر ان يشق الامير يوسف وغندور الخوري كي لا يهربا في غيابه ويفتا الجبل فارسل امرأ الى وكيله بعكا ليشقها ثم ارتأى انه لربما تكون عندهما دراهم وان شقها يخسر ما يؤمله منها فأرسل بعد ساعة امرأ ثانياً يقول فيه سبق امرنا لكم بشق الامير يوسف وغندور الخوري والان نأمركم بإبقائهما لحين رجوعنا من الحج ووعد الرسول الثاني انه اذا وصل الى عكا قبل الاول يكافئه ففعل ما امره الجزار ووصل قبل الرسول الأول وكان كاتب الديوان يومئذ رجلاً من اسرة سكروج من طائفة الروم الارثوذكس واليه كانت ترد الاوامر .

« اسرة سكروج » ان هذه الاسرة من طائفة الروم الارثوذكس وكانت تكره جداً غندور الخوري لانه كان يحامي عن الروم الكاثوليك ويضطهد الارثوذكس في جبل لبنان فعندما وصله الامر الثاني اخفاه حتى وصل الرسول الأول فسلم الامر الى الوكيل الذي شقها حالاً وقيل ان غندور مات قبل الشق .

(مظالم الجزار) لما عاد الجزار الى عكا وعرف شق الامير يوسف وغندور فحص سبب مخالفة امره فأطلع على الغش الذي جرى امر بقتل كل افراد اسرة سكروج ولم يبق منها الا امرأة حاملاً هربت الى مصر وولدت ذكراً هو جد العائلة السكروجية المصرية وقد عرفت منهم شخصاً كان ترجان قونسلاتو انكلترا وهو الذي اخبرني قصة اسرته وفي سنة ١٨٨٧ اتى تلميذ الى مدرسة الطب الفرنسية في بيروت من هذه الاسرة ودرس الطب وهو الان الدكتور سكروج المعروف وفي سياحتي الاخيرة في مصر تعرفت في دمياط بالخواجه الياس سكروج من بواق العابلة وهو رجل من التجار يحب المعارف .

اخبرني الدكتور ميخائيل مشاقه الشهير حين كنت في الشام ماذا عمل الجزار بحده وكيف هرب والده الى دير القمر وقد ذكرنا ذلك في اسرة مشاقه واخبرني ايضاً ان الجزار رأى يوماً فلاتك بالبحر تغل ارواماً بقرب المدينة فامر بمسكهم وجسهم فقالوا له بعد مسكهم ان السجون ملأى لا عمل فيها لهؤلاء فامر بقتل المسجونين الذين كانوا اولاً وان يدخلوا مكانهم الاروام .

كان لرجل في عكا حجرتان واحدة عليا والثانية سفلى فكان الاب يقطن العليا والابن السفلى فاراد الولد ان يتزوج وطلب من والده ان يسمح له بحجرتة مئة الفرح وبعده يرجعها له ففعل ولما انتهى الفرح طلب الاب غرفته فتمنع الولد عن تسليمها واضطر ان يشكوه للجزار فدعاه اليه وقال له ما دينك قال اني مسيحي فأمره ان يفعل اشارة الصليب التي هي شعار المسيحيين ففعل ورفع يده الى رأسه وقال باسم الاب ووضعها على صدره وقال والابن فقال له كفك ان الاب من فوق والابن من تحت يلزم ان يكون أبوك في الغرفة العليا وانت في السفلى فخفض الولد لهذا الامر وذهب .

وللجزار قصص غريبة ونوادير عجيبة لا تنطبق على عقل ولا نظام ولا عدل ولا شهامة بل كانت تخوف البلاد والعباد وقد كان يقتل ويشق ويضبط الاملاك وضميره مستريح ومع ذلك كله كان يتظاهر

بالتقوى والدين فلا يترك صلواته قط وقد حج وبنى جامعاً عظيماً في عكا لم يزل قائماً الى اليوم وهو فريد في صناعته ولما توفي الجزار فرح الناس لموته وأرخه بعض الشعراء ومن الذي قيل فيه هذا التاريخ :

وافى السرور وضع ترجيح الأمل	بهلك غاشم لا يعادله مثل
عين المظالم والمآثم والردى	شرّ العوالم ان تفكر او عمـ
أحمد ولكن ليس بمحمد في الورى	قطعاً وفي ثوب الماوى قد رفل
جزار لكن للفضائل جازر	ييدي ولكن بالذاتل قد حفل
بجياته كان الغلام الويا	والقحط والجور الذي لا يحتمل
وموته زال العنا يا حبذا	هذا المنى غاب التعدي والوجل
حاز المقدر عند مالك محسراً	قبض المهيالك في جحيم لم يزل
فه درك يساً منون فقد بدت	منك الحياة وطاب حركك واعتدل
فاز الانعام وارخوه بمقصد	هلك الشقي والى جهنم قد رحل

سنة ١٢١٩ هـ وفاة الجزار

فعكا الان مركز متصرفية ولم يزل سورها للان ولا يمكن البناء بجانبه وفيها البيان الشهير الذي يدخله المجرمون المحكوم عليهم من خمس سنوات وصاعداً .

« بهاء الله » اتى هذا الرجل العظيم من بلاد المعجم متغياً وهو زعيم فئة البايين الذين ظهوروا في المعجم وحين كنت في عكا كان بهاء الله قاطناً منزل الخواجة خمار ولا يراه الا المقربون منه ولا يخرج من منزله الا لزيارة اخصائه فيخرج ويرجع ليلاً وهو متحجب عن الجميع .

قيل انه ألف كتاباً في مذهبه ودينه لم نطلع عليه وكان الاعجام يأتون من كل ناحية ويخضعون له وكان الذي يستقبل الجميع نائباً عنه ولده .

« عباس أفندي » هو بكر انجالة فصيح الكلام كريم النفس لطيف عالم أديب مجله مجلس احتزام ووقار وكان يستقبل الجميع من غريب وقريب ويتباحثون معه في كل علم وقد جلست معه وحضرته عدة مرات وكنا نتباحث في بعض مسائل فاره قروي الحجة ولما توفي بهاء الله دفن في محل مخصوص خارج البلدة يزوره اصحاب هذا المذهب وجلس عباس أفندي في مقام ابيه وخلفه وحتى الان يزور الاعجام وسواهم قبر بهاء الله زيارة دينية وقد سمعت ان احدى السيدات الامريكيات دخلت في مذهبه وهي تنشره الان في امريكا وقيل ان عدد اتباعه والداخلين في دينه صار عظيماً جداً ولم اعلم شيئاً من مذهبه حتى أقول عنه ويستدل من سير اتباعه انه ذا آداب عظيمة .

اشغالي في عكا

كنت في عكا اتعاملى صناعة الطب خصوصاً امراض العين ومن جملة الذين كنت اعودهم القاضي زور افندي الذي كان على عينيه يياض وتمكنت من شفائه اراد مكافأتي فأخرج لي مضبطة من مجلس الادارة لأكون طبيب بلدية وراتب هذه الوظيفة مئة عشر ليرا عثمانية شهرياً وكان يومئذ طبيب بلدية عكا جوسى الايتاليانى الذي كان هوماً وعاجزاً عن اداء وظيفته ولا استلمت المضبطة قالوا لي يلزم التصديق عليها من مركز الولاية في الشام وبالصدفة حضر عثمان بك مردم الشهير بالغنى وعضو مجلس الادارة في الولاية الى عكا لزيارة املاكه تعرفت به وكلفني أذهب الى الشام وتكفل بالتصديق على مضبطة مجلس الادارة بلواء عكا فذهبت حسب وعده اليها .

دمشق الشام

هي أقدم مدينة في الدنيا نظراً لتاريخها وموقعها الطبيعي لان الانسان بعد حالته البدوية ارتأى ان يسكن محلاً فأختار ما جاور الكهأ وخصب التربة لمرعاه ومرعى مواشيه ولم تجمع بقعة في بلادنا هذه الشروط نظير دمشق وذهب بعضهم انها هي الفردوس الارضي حسب الثوراة وان بعد خروج آدم منها وطرده عاش في الأرض المقفرة الكائنة غربيها واستدلوا على ذلك من الاسماء التي فيها نظير ايبلا وهي مدينة قديمة . قيل ان قاين قتل اخاه هابيل فيها . وان لم تكن دمشق الفردوس الارضي فانها دون شك مثال الجنة فيها الانهار والعسل واللبن ومن كل فاكهة زوجان وحور العين ومن رأى دمشق وانهارها وفاكهتها ولبنها وعسلها وحورها لا يشك بأنها مثال الجنة المستقبلية او هي الجنة الحاضرة ولا تعرض لذكر تاريخها فقد تقدمني الكثيرون غير ان منه ما لم يزل غامضاً وذلك لعدم الحفريات على الاثار القديمة التي فيها لان تربتها كثيفة وسببها الاتربة التي تتساقط عليها كل سنة من الاعلى لانها واقعة في سهل ولو ارادوا الكشف عن حفرياتها للزم عمق عظيم ولا أذكر شيئاً عن قدمها اذ هو معلوم ان في ايام ابرهم الخليل كانت عامرة وانه أخذ خادمه البيغازار الدمشقي منها ولا أقول الا ما رأيته فيها قد شبتها من الصالحية بمركب سائر في بحر اخضر وقد ذكرت وعن أهلها ما هو كافٍ بكتابي صحة المتزوج وزواج العازب ولما وصلت اليها سألت على بيت عبدالله افندي غسطين عضو مجلس ادارة الولاية وهو زميل عثمان بك مردم وقهرأ عن مساعدة هذين الذاتين العضوين ما أمكن المصادقة على المضبطة ولا رأيته دمشق وقرعها عن عكا لم اعد الحق المضبطة فأكرتت محلاً في حارة باب توما خاصة الحموي الذي كان أعمى وصاحب لوكتندة .

شغلي الطبي في الشام

لما أكرتت محلي في الشام وعزمت على الإقامة فيها كبت اعلان ونشرته في المدينة وهذا نصه :

قد حضر الى هذه المدينة الدكتور شاكر الخوري وهو تلميذ مدرسة القصر العيني بمصر ويعاين المرضى بمحله الكائن بباب توما في لوكماندة الحموي ومن اختصاصاته مداواة امراض العين على اختلافها ولا يطلب اجرة الا بعد شفاء المريض .

وجعلت هذه الحملة الأخيرة رواجاً عظيماً على وفي اليوم الثاني كان ازدحام المرضى لا يقدر وهم يزيدون على المائة أعمى تقريباً فصففتهم بالدار وابتدأت بمعالجتهم وكنت الذي أرى داءه غير قابل الشفاء أخرجه من الصف وأرسله من حيث أتى أما الباقون فكلفتهم ان يعودوا الى منزلي لاجراء العملية لهم واشترط عليهم ان يبقوا في منزلي بغرفة مخصوصة ليتناولوا الشفاء التام واجريت منها خمس عمليات كحديقة صناعية وكتركها ماء زرقاء وبعد ثمانية ايام شفى الخمسة عيائاً وكانوا من الذين يمشون امام الاموات ومشهورين بعاهم فابقيتهم عندي الى يوم الجمعة وكلفتهم ان يذهبوا الى الصلاة في الجامع الاموي وان يعودوا الى منزلي وابقيت عصيم رهنأً عندي وبعد الظهر رجعوا اليّ ومعهم جم غفير يتعجبون من شفائهم ورأيت فتاة تسول باغلات العمومية وعينا شطراء فأعطيتها ليرة فرنساوية لتقبل معي ان اجري لها عملية وابقيتها عندي حتى نالت الشفاء وعادت الى صمتها فكان كل من يراها يحبب من شفائها وهذا العمل هو الذي سبب لي النجاح لان اطباء دمشق للمخصوصين لامراض العين كانوا من الدجالين من عائلة بيت صخر وعائلة اخرى تدعى عائلة الكفناي وبعد مدة خرجت من منزلي الأول واستأجرت محلاً شرقي البطريركخانة المارونية ملك السفيني واضطرت ان اشترى اثناً وامتعة لان المنزل الأول الذي كنت استأجرته كان بامتعة من صاحبه .

« بشاره » كان يردد علي رجل بهذا الاسم بليد بارد فكان يمسك الثلج في يده ويبتلعه ويفتخر بعلم احساسه بالبرودة فقلت له :

وكان في البيت بئران يستخرجون ماءهما بواسطة دواليب وحيث ان انف باره كان طويلاً تصورت
هذا المعنى ونظمت له ما يأتي :

سكنت داراً لها بئران اولهما
بئران لم ألق جلاً مثل طولها
لكن أنف بشاره جاء طيقها
متين بئراً وتعين الى الثاني
كي استقي منها ماءً للعطشان
والحمد لله عن حبلين اغناني

وقد وجدته شاكراً فطرته .

• صيدلية سوق الخيل • كنت ساكناً في الشام بحارة باب توما اما الذوات والاغنياء فكانوا يقطنون الجهة الاخرى مثل باب ساروجا والقنوت فارتابت ان انتهي صيدلية في تلك الجهة أكون فيها بعد الظهر وقبله ابقى في جهة باب توما واتفقت مع شاب اسمه سلمون فارحي اسراني من عائلة معتبرة وادخلته شريكاً معي في الصيدلية وبواسطته اُكتسبت ثقة هذه الطائفة وصار معظم ذواتها يترددون علي يزوروني وازورهم وكان أهالي هذه الطائفة في ذلك الوقت من أغنى وألطف وأعلم الشعب وفيها اسرات عظيمة غنية كآل استامبولي وشمعايا وهراري وفارحي واسبونا وجملة اسرات اخرى وكان الخاخامباشي صديقاً لي ويرسل فقراء طائفته ادولهم مجاناً لهذا كان كلما حصل فرح عندهم او داع لهم أكون أول المدعوين .

المغنيان ليل وساره

في احدى الليالي دعى حاييم الحكيم الموسيولوتيكة قصص المانيا في الشام وكانت هاتان المغنيتان مهجة تلك الليلة التي دعيت اليها وحين ابتدأ الفناء وعزف الآلات جلست في احدى زوايا المقعد صامتاً مسروراً لأنني كنت ولم أزل اعتبر مصنعي فلا اظهر خفة ولا طيشاً حين اسمع اصواتها الرخيمة ولا اشغافاً بجانها وكانت مصنعي الوجه بالاحمر والابيض والتكحل وجيبان اثباه الحاصرين بلطفها فضلاً عن جنانها وصوتها وكانت تلك الليلة زاهية زاهرة وكنت مسروراً جداً لأنني احب استماع الصوت الحسن غير اني نضايقت من كم احساناتي فشفت على المرائين الذين يخفون شعورهم وأنصتور ما يكادونه من العذاب وهذا العذاب هو قصاص المرائين لانه كم يلزم للمراءى من العناء والثعب وانتهى حى يعني ما يشعر به لثله كمثل جائع ينكر جوعه وألم معدته يقطعه نعم ان هذا الأء قصاص احفاء احسانه وكان الحضور منهجين يصيحون أه يا ستي لان هذا احياج والصراخ يزيد المغنيات تحملاً اما السكوت فيخرجهن ولذلك ارى انه من الضروري وجود البعض من السامعين يفعلون هذه الحركات اذ ما اقع السامع اذا كلمه شخص وبدا يتأهب ويتمطى او لا يبيدي اشارة تدل على فهمه ما قيل له لان هذه البلادة تعد قلة أدب وسوء تربية اما انا فبدلاً من ان اتبيع كالباقين او اظهر بلادة تسأم السامعين والمغنين أخذت قلماً ونظمت شعراً هاتين المغنيتين ساره وليلي وهاك ما نظمته :

يليل مظم أجلتها ليل
وأرخت شعرها ففدا ظلام
ابو الأبياء ابراهيم قبلي
ومرعون له فيها مقال
فتى ام اليهود رأيت لموسى
لقم قد قال اليهود بصلب عيسى
على اولادنا وكذا علينا
ارتقي بالخدود دما مياحي

يليل مظم أجلتها ليل
وأرخت شعرها ففدا ظلام
ابو الأبياء ابراهيم قبلي
ومرعون له فيها مقال
فتى ام اليهود رأيت لموسى
لقم قد قال اليهود بصلب عيسى
على اولادنا وكذا علينا
ارتقي بالخدود دما مياحي

وكنت متيجاً جداً فأتى اصحاب الدكاكين المجاورة وكانوا يعرفوني وسألوني عن سبب ضربى الرجل فأخبرتهم حكايته معه وكادوا يسحقونه من الضرب لئلا يتركه معروفى أخيراً وأخذت حمارى وسرت .

(مصطفى السباعي) كنا نجتمع سويتاً مع هذا الذات فذكرت له هذه القصة قال اني اذكر قصة تنسك هذه الحكاية وهي اني ذهبت في احد ايام رمضان للافطار في بيت باشكاتب مجلس الادارة ولما رأيت ان وقت الافطار لم يحن بعد دخلت احدى القهاري ورأيت فيها رجلاً مسنداً رأسه بيده ومطرقاً بالأرض فتقدمت اليه وسألته عن سبب كدره أجاب انه غريب اتى من ديار بكر وتعين خيالاً وان راتبه لا يكفي لاطعام حصانه فأخذته معي وافطرننا سوية ثم ذهب واتي بحصانه وخرجه الى منزلي وافرزت له فيه عللاً فكان يأكل ويطعم حصانه على حسابي ويدخر راتبه وكان امياً فعلمته القراءة والكتابة وبعد خمس سنوات عينته كاتب في الادارة وصار يترقى مع الزمن الى ان صار باشكاتباً فاغتنى واقتنى القصور والجواري والسراري والمفروشات وأصبح يعد من أعيان البلاد وكنت كلما اراه يتقدم نحو المعالي ازداد سروراً وفي ليلة ذهبت لزيارته فوجدته وحده ملتفاً بفروته وشيقة (غليونه) ممدوداً الى امامه وبعد ان طارحت السلام وجلست رأيته حزيناً مكتئباً ينفخ من جهة فسألته عن سبب كدره وقلت له يجب ان يشكر الله الذي رفاك وأوصلك الى هذه الدرجة من السعادة لا ان تتكدر لأقل الاسباب فقل لي ما يغيظك أجاب اني اخجل أن أقول لك سبب كدري لثلاث تاتر قلت قل ولا حرج عليك أجاب اني اتكدر حين اراك واشتهي لك الموت لانخلص من الذل اذ كلما رأيتك اذكرك حالتي الاصلية واخجل منها قلت اني اشكر لك حرية ضميرك واعدك بأن لا تراني فيها بعد قلت هذا وانصرف من امامه متأثراً غير انه لم يمضي عليه وقت طويل حتى مات شرموتة . وبالحقيقة يجب على الانسان ان يصنع المعروف غير مؤمل بمكافأة من البشر بل من الله الذي لا يضيع له ثواباً ولهذا ترى ذوي الاحسان والمعروف في نجاح مستمر لان المعروف يجد ذاته كالترخون تررعه في عمل وينبت في محل آخر والمعروف هو الجوهر الكشاف للرجال فلأجل معرفة اخلاق الرجل اعمل معه معروفاً فاذا ذكره تأمل به وعده معه والا اذا انكره اجتنبه واتبع قول الحديث الشريف اتقي شر من احسنت اليه لان لكثرة شره ومن جملتها ان لا يطيق جميلك ولكن انت ابتدي دائماً في المعروف فقد وجدت ان اللذين يعملون معروفاً ولو ما تكافؤوا من المعلوم معهم المعروف يرون اناساً لا يعرفونهم ينجدوهم مدة احتياجتهم فهذا مبدى طبيعي .

ترودي على أمين افندي الجندي

(طبيب أمين افندي الجندي) وصرت اتردد عليه كما وعدته وأصبحت بعد مدة وجيزة طبيب منزله وكان وقتئذ متزوجاً حديثاً وهو في سن الخامسة والستين وقد ولد له ذكر وهو بهذا العمر لكنه لم يعيش طويلاً اذ أصيب باسهال أودى بحياته وفي احد الايام دعاني لعيادة جارية سوداء كانت مصابة بسعال قديم مع حمى تصحبها كل ليلة ففحصتها وسألني عن حالها وهل يمكن شفاؤها قلت يلزم لنوال هذا الامر معالجتها مدة شهر بلا انقطاع فأمرني ان اتولى هذا الامر فصنعت لها مركباً تتناول منه ملقتين في اليوم مؤلفاً

من كرام من سلفات الكينا و٢٥٠ كرام ماء قراح وكرامين خلاصة الكيا وكرام من حمض الكلوريدريك وبعد شهر شفيت تماماً وذهب عنها السعال وعادت الى حالها الاولى فسر من هذا الشفاء أمين افندي جداً وقال لي ان سبب سروره ان الطبيب الأول الذي عاينها اخبره انها مصابة بالسل قلت قد يجوز ان يشبه الطبيب بهذا المرض اذا لم يمر فصصاً دقيقاً لانها مصابة بالحمى الدورية التي تشبه باعراضها السل في السعال والحمى والرقق الليلي غير ان الفرق بينهما ان الطحال والكبد يكونا متمددين في الحمى الملاريا كما أصاب هذه المريضة ولعل الطبيب الأول اغفل في فحصه هذا الامر ومن ذلك الوقت أكسبت ثقته فكان يدعوني لكل حادث وبواسطته تعرفت بذوات الشام لأنه كان يمدح من مهاراتي امامهم . وفي احد الايام كنت في غرفتي وكان الثلج يتساقط بكثرة والبرد قارصاً فحضر اليّ خادमे وطلبتني أن اذهب بسرعة لأن سيده يينا كان داخلأ الى دار الحريم سقط بالأرض وغاب عن الوعي ولم يزل على حاله للان فتوجهت سريعاً ورأيت مصاباً بسكتة دماغية وفي اليوم الثاني توفي وخلف تركته العظيمة الى حفيده أمين بك الذي تزوج امرأتين لم يأت منها اولاد واشغله السكر والملاهي فبدد تلك الثروة العظيمة واخيراً توفي بلا عقب وهكذا انقرض ذلك البيت العظيم الذي تعلم منه كيف ان الابناء يهدمون ما عمره الآباء !

الخوري موسى معلمي المحبي

كان هذا الخوري آبة في الفصاحة والمهارة والعلوم والعفة والاستقامة لكنه مصاب بداء البخل فكان يجمع كثيراً ولا يصرف شيئاً وقد شهد واقعة سنة ١٨٦٠ وانعمت عليه الدولة العلية بمبلغ وافر تمويصاً للخسائر التي لحقت وقته وقته فبنى بعض هذه الدراهم معلماً للبطريركخانة وكنيسة عظيمة عوض القديمة وكان عنده خادم من قريته وكان الخوري متعصباً جداً بحب ابناء بلده ولكن هذا التعصب لم يكن يدعوه للتكرم عليهم بشيء ولا اضاف احداً بزمانه الا لغاية او لخدمة او لجر مغنم وكنا نجتمع عند بعض الاصحاب وأخصهم شخص قاطن بأحد بيوت الوقف لأن للوقف منازل ايرادها خمسة وعشرون ألفاً سنوياً عدا ايراد الكنيسة والتنورات وكانت اجتماعاتنا تسر جداً وكنت التذ بمسامرته لكونه كان ماهراً اديباً ظريفاً ويسر بوجودي لانني طبيب وتواصلت بيننا المودة حتى كنت اظن انه لا يرفض أي طلب ارجوه به كما اني لم أكن اتأخر عن المداواة المجانية لمن يوصيني به وصدد ان امرأة فقيرة وذات اولاد صغار طلبتني أزور ولدها المريض فزرتهم مجاناً مع اعطائي الدواء من جيبي وعندما طلبت أكل ارسلتها مع ورقة مني الى الخوري موسى لاعطائها كم رطل من الطحين ففرق الورقة ولم يعطها شيئاً فأخبرتني فتكدرت جداً وعند اجتماعنا في السهرة كدرت وتخاصمتا وابتديت بعمل عرضحال ضده للبطريرك فحين بلغه عزمي وعرف انني عامل على السعاية به لدى رئيسه صار يشيع انني كافر بلا دين كعادة رؤساء الدين مع الذين يخالفونهم في تنفيذ مآرهم . وكان فاتحاً دكاناً لشماس عنده يبيع فيها طحيناً فكان الشماس يفسد الناس ويبيعه الطحين ناقصاً في وزنه وحين يذهب هذا ويراجع الوزن بدكان اخرى ويرى الفرق يعود الى الشماس يخاصمه على عمله وحين يسمع الخوري موسى ان احداً خاصم الشماس يقول عنه انه بلا دين وقتل ابن الطبيب البياضي في قرية بجانب دمشق فاستدعى والد القاتيل حبيب خالد الحلوطانيوس ابو

ناصر للمحمادة عن دعواه وصار كل من مدح حبيب خالد او فضله على طانيوس أبو ناضر أمام الخوري موسى يقول انه بلا دين لأن طانيوس من بلده . وحين بلغني ما اشاعه عني قلت ان للخوري قانون ايمان مخصوص والذي يخالفه يكون بلا دين وهذا القانون هو :

قانون ايمان الخوري موسى

تؤمن بخوري واحد ضابط وقف الموارنة كل ما يرى وما لا يرى وبشماس واحد ابنه الوحيد لا يتقص ولا يزيد في بيع وتؤمن بطانيوس ابو ناضر المنيق من الخوري والشماس الذي هو مع الخوري والشماس وبكنيسة واحدة بسكتاوية وبخوري واحد يبقى للهر الداهرين ليكفر الاحياء والاموات آمين .

فكان لهذا القانون رنة عظيمة في دمشق ولما اتصل اليه ضحك رغماً عن غيظه ولكنه ظل يقول عني اني بلا دين اخيراً نظمت له قصيدة مثلت فيها بخله بكل صفاته وهذه القصيدة هي : وهي ابتداء هجوي والذي يتكدر من هجوي قليل ما يقوله عني الى الخوري موسى لأنه هو السبب :

لا تعجبوا ان رأيتم بعض طائفة لأنهم قبلوا عند اللام بدأ لو مس حاتم طي كف حصرته ولو حوت داره ماء الفرات وقد وفي الصليب اتى يسوع سيده ما جاد عن كرم في بل أصبعه مع كل هذا له من نبة كرم تفاؤلاً نبوه مثل ما نبوا ما بين محذوف واو من وظيفته قد أصبحت ذقنه تبدي للحيته قد سن موسى عهداً في شريعته من جها كان متقاداً الى عدم فقبلة الأب موسى بيت موته عزربل يحرسها من كل ناحية	في البخل قد شهروا سرأ وعلانا للأب موسى فاعدهم كما كانا لكان ابخل خلق الله انسانا غلك النيل اكراماً واحسانا وقال يا ابني موسى بت عطشاناً وقال مت ان فضل الموت ظمآننا فلا أرى مثل ذا زورا وبهتاناً حب المبارك للزهري عواننا وحذف آخر حرف لاسمه شاننا قولاً كما قيل في حانا وفي مانا وقبة العهد للايمان اعطانا يموت في الحال محروماً ومنهانا رغيفها بات كالاقداش منعاننا ان حضرة الاب عنها بات غفلاننا
---	--

وفي شهر آب سنة ١٨٩٨ توفي الاب موسى ولكن ذكره باقو لا يزول .

(ناشد باشا) حين أنبت الى الشام كان والياً عليها صاحب الدولة الحاج ناشد باشا وبعد مدة عزل وتعين محله ضيا باشا .

ضيا باشا

هو أحد الولاة العظام تلقى علومه في اوروييا وكان متمدناً جداً عفيف النفس ذا حمية وغيره وقد اخبرنا ان اوروييا ليست كما نظن فيها وان المعارف سائدة بكل نواحيها بل فيها من هم في حال من الجهل عظيمة وقد اخبرنا القصة الآتية .

قال كنت مسافراً بالسكة الحديدية وكان فيها عدة نساء يتكلمن عن الشرقيين ويقلن لبعضهن ان لأهل الشرق قروناً تنبت في رؤوسهم فمئذ ذلك تقدمت اليهن وكشفت عن رأسي وقلت لمن اسمعن لي ايها السيدات ان اعالطكن في ما نقلته فها انا شرقي ورأسي لا قرون فيه فلم يصدقن اني شرقي بل قلن لي لو كنت من هذا الجنس لكان برأسك قرون فانظر الى هذا الجهل السائد في بلاد المعارف .

وأهم ما فعله ضيا باشا في الشام هو :

حجرة صلاح الدين الايوبي

عندما زار ضياء باشا قبر صلاح الدين الايوبي ورآه بحالة دارسة قال لمن حوله أمكذا تفعلون بمحافظ الدين والاسلام والمدينة الا تذكرون انه هو الذي اعاد هذه البلاد الى الاسلام بتعبه وجهاده ولولاه لما كنتم فيما الان فيلزم ان نصلح هذه القبة ونقيم له مقاماً لائقاً به فأدعوا عدم وجود الدراهم قال اني اوجدتها لكم وعمل لائحة وزَّع بها على بعض الذوات قدرأ معلوماً حتى جمع مبلغاً غير يسير وأقام حجرة عظيمة باقية حتى اليوم .

وصلاح الدين الايوبي هو الذي حكم سوريا ومصر وكان أعظم حاكم بالعدل والانصاف وقد حفظ له التاريخ ذكراً مجيداً وحسان وشهامة لم يذكرها لسواه حتى ان أعداءه الصليبيين يشهدون له هذه الشهادة وكان عدوه الأكبر ريكاردوس قلب الأسد ملك الانكليز فكانا عند انتهاء المواقع يجتمعان ويأكلان سوية وفي الحرب يمددان الى العداة ولما تهادنا رجع ريكاردوس الى مملكته وبقي صلاح الدين في بلاده وتوفي بدمشق ولم يخلف شيئاً من المال فدفن في القلعة الأولى ثم نقل الى الصالحية ثم الى جانب الجامع الاموي الشريف حيث لم يزل هناك .

وقد أناط ضيا باشا هذا العمل بصاحب الدولة احمد عزت باشا العابد الذي كان يومئذ رئيس الأتلام بدمشق والذي بنى الحجرة رجل نصراني من دمشق اسمه الورددي وهو من النحاتين المشهورين .

(حالة صلاح الدين) قد اخبرني يومئذ دولتو احمد باشا والوردي الذي كان نحاتاً مسيحياً انها حين ارادوا نقل التابوت الى الحجرة وجدوا الخثة على حالتها الطبيعية كأنها دفنت حديثاً وليس من ستاة سنة وكان لم يزل شعر رأسه وشاربه ولحيته .

ولم تطل مدة ضيا باشا حتى نقل الى ادرنه وتوفي فيها وخلفه دولتو .

(جودت باشا) ان الشهرة التي اكتسبها صاحب الدولة جودت باشا لتأليفه تاريخ الدولة العلية ولعلومه الشرقية وتبعه في ترتيب المحلة والنظامات كانت عظيمة جداً وقد اتى معه احد مواطننا الدكتور الياس افندي مطر وجعله طبيب بلدية الشام بدلاً عن الدكتور كوسيني .

(مستشفى نور الدين) كان في دمشق مستشفى قديم جداً بناه نور الدين وأوقف له أوقافاً عظيمة وعين فيه اطباء ومستخدمين عديدين منهم فئة وجدت اسماهم في دفاتر قديمة في هذا المستشفى كانت تدعى المظنين ووظيفة المظنين ان يجلس في غرفة قريبة من محل المريض بحيث يسمع صوته ويقول ان الطبيب اخبرني عن فلان النائم في الفراش الفلاني ان مرضه بسيط جداً وسيشفى عن قريب فحين يسمع المريض هذا القول يتنشط ويكون النشاط سبباً لشفائه فانظر الى هذه العادة الجميلة التي غفلت عنها مستشفيات عصرنا .

أما حالة هذا المستشفى الآن فهي عبارة عن بناء قديم من تلك الايام وأوقافه قليلة جداً تكاد تنفي راتب الناظر والكتاب والمصاريف التي يتطلبها خمسة او ستة مرضى وقد خصوه للمجانين ومن واجبات طبيب البلدية زيارته وعيادة المرضى وكل اسبوع على الأقل .

في أحد الايام ذهب الياس افندي مطر الى حاصبيا بأمورية ووكلي محله لرؤية اشغاله في البلدية ومن جملتها عيادة مستشفى نور الدين ففي اليوم الثاني توجهت اليه فرأيت الناظر وهو مدير الادارة والكتاب الذي يجر كل المصاريف والمداخول ويكون كصيدلي للطبيب اي ان يقيد كل الادوية التي يأمر بها ويطلبها من صيدلية البلدية وبعد ان اجريت العيادة اجتمعنا سوية وصادقنا على مصاريف الادوية والطعام وختمنا اللائحة وارسلناها للبلدية وكان اسم الكتاب مري فارس وهو من رفقائي بمدرسة عين طورا عالم اللغتين العربية والافرنسية من اسرة معتبرة ولكنه محتاج للعمل .

(عزل مري فارس) بينا كنا جالسين سوية وقد وفد امر يحمله خيال وسلمه للناظر فأعطاه هذا للكتاب ليقراه غير انه لم يكذ بتلو مسطره الأول حتى قفز عن كرسيه وصرخ ها أتي لا ازال حياً فسألناه عن سبب اضطرابه قال انظروا الى هذا الامر فانه مذكور به بناءً على وفاة مري فارس كاتب مستشفى نور الدين قد صار تعيين فلان خلفاً له فتكدرنا لكدر مري ولكن استغربنا اعظم فكلفناه ان يذهب الى مجلس

الادارة الذي اخرج مضبطة وفاته بناءً على استدعى المعلن جديداً فلم يشأ لانه دخل في خدمة كومبانية طريق الشام وأظن لم يزل حياً .

سرقة الخادم لنا

عندما رأيت المصروف كثيراً علينا والخدم يترددون عند محاسبي اياهم بذكر بعض ما يخلون به لذلك صرت أشك بهم اخيراً لكي أكون منهم اميناً ارتأيت طريقة وهي ان لا أسلم الخدم دراهم بل اتفق مع البائع وما احتجت اليه ارسل به ورقة الى البائع فبقى عنده الى آخر الاسبوع واحاسبه على موجبها وهكذا كنت أفعل مع الدخاخي وبائع التبنك والخضرة والجزار في أحد الايام وكانت جمعة عيد الفصح حضر اليّ بائع التبنك وقال لي سرّاً ارجوك مسامحتي وان يحسم على حسابي اربعين غرشاً لاني اشتركت مع خادمك بسرقتك وحين كنت ترسل لي ورقة يطلب ثلاث اوقيات كنت ارسل لك اوقيتين ونصف ونصف الاوقية اقتسمه مع خادمك وفي هذا الاسبوع اردت ان اعلم اعتراف الفصح فلم يرص الكاهن ان يمنحني السماح الا اذا ارجعت اليك ما اختلسته بالتواطؤ مع خادمك فاضطرت ان آتي اليك وارجع لك ما أخذته منك ولما عملت حسابي رأيت ان لك بدمي اربعين غرشاً وأظن انك لن تعود الى هذا العمل لاني اعتقدت بك صحة الدين وكنت فكرت ان آخذ الاربعين غرشاً التي اختلسها البائع من الخادم لأنه أقوى ذنباً بل هو الخائن الحقيقي وبعد مدة سألت الخادم هل اعترف في الفصح فأجاب سلباً فقلت له اذهب واعترف حالاً فتول عليه العجب لاهتمامي غير المعتاد باعترافه اخيراً توجه للكنيسة ورجع ولم يعمل نظير بائع الدخان فسألته هل اعترف أجاب بالاجاب قلت وهل اجازك الكاهن قال نعم قلت كأنك لم تحبه بما كنت تفعله مع بائع التبنك فتعير لونه ولكن نظراً لمهارته بهذه الصناعة لم يظهر عليه أدنى تأثير بل تجاهل المسألة وسألني عن الذي كنت اعنيه بقولي فلما رأيت منه هذه القحة اخبرته ما سمعته وخصمت عليه ثمانين غرشاً وصرقته من خدمتي .

ملاحظات على السرقة

ينبغي ان يتنبه صاحب البيت او صاحب المال الى الخدم الذين يكونون ابدأ يقطنون للسرقة لان السرقة تكون من الأدنى الى الاعلى اذ لا يخطر قط بفكر سيد ان يسرق خادمه ولكنه يكون بالعكس وكل ما يمكن تصوره يستطيع الكبير ان يصنعه مع الصغير الا السرقة وقد حصلت لي حادثة في الاملاك تؤيد هذا القول وهو ان أحد الفلاحين كان مجاوراً للملكي فتقدم بالحدود على ارضي والتزمت للتشكي عليه وكان من جملة الادلة التي سردها لتأييد دعواه انني رجل مسكين لا استطع التمدي على فلان فأجبت امام القاضي ان الاقوياء يتعمدون على الضعفاء بكل شيء ما عدا السرقة وقد فحصت هذه الدعوى وكان الحق بجانبني .

(ترك خطيبي) في أحد الايام ورد لي تحرير من رجل معتبر في صيدا وهو قريب لخطيبي يذكر فيه انه منذ مدة لم ترسل تحريراً الى خطيبك وهذا ناشيء عن رغبتك بتركها على ما قيل فأن كان هذا رأيك ارجو ان تغيرنا الحقيقة فأجبت ان هذا الامر لا صحة له وأما تأخري عن مكاتبتنا فكان لانشغال فكري في تدبير احوالي بالشام لانني قدمت اليها حديثاً وبعد مدة اتاني كتاب ثان فيه ان خطيبك لا تستطيع ان تداوم على المدرسة لانها تسحق ان تلتقي دروسها مع الأطفال فان كنت تحبها وتريد الاقتران بها فرأيي ان تزوجها وان اردت ان تكون متعلمة فيمكنك ان تستحضر لها استاذاً يلقيها درسها في منزلك اما اذا كنت لا ترغب ذلك فأننا نعد وفضلك رغبة بتركها لذلك نرجو ان تعرفنا رأيك صراحة حتى نجري الامور الكنائسية فأجبتني انني رغبت ان تكون امرأتي متعلمة متهدبة لخبرها في المستقبل والعلم لا حياة به وان خجل امرؤه فيجب ان يخجل من جهله لا من طلبة العلم وبما انني انا الذي أدفع مصاريف العلم ولست مضطراً الان الى الزواج فلا يمكنني اجراءه الا بعد ان ارتب ذاتي واتخذ مركزاً الى واما تركي لها فهذا امر لم يخطر قط بفكري وقلكم انكم تريدون اجراء القوانين الكنائسية فأذكركم ولستم بحاجة للذكرى ان خطيبي لم تكن كنائسية قط ولم يحضرها كاهن ولا قسيس وهب انها كانت كنائسية واراد الخطيب ترك خطيبته فانه يحير في هذه الحال ان يتنازل لها عما يكون اهداه اليها وهذا الامر افضله عن طيبة خاطر ولا ابالي به اما الحكم على زواجي فيستدل منه ان الفتاة اتاها خاطب خير مني او انكم تحشون تأخري في الزواج فأننا اهبكم حريتمكم المطلقة في كلتا الحالتين اذ لا استطاع الزواج الا متى كنت على تمام الاستعداد له . وبعد بضعة ايام اتاني من ذات الشخص تحريير يقول فيه اتمتع بك كيف انك تذكر بمكويك ان الخطبة لم تكن كنائسية ولم يحضرها كاهن فهل لم أكن حاضراً انا وهل لم أقل ذات الكلام والصلاة التي كان على الكاهن ان يقولها فلما قرأت كتابه قلت ان هذا الشخص ام انه يستجهلي او انه يخفي باقوله وتهديدهاته فأجبتني اعتبرتكم اميراً مكرماً وكيل دولة (لانه كان قسلاً) لا وكيل الاب الاقدس وانك اذا عدت اقوالها فلا تمنح السلطة التي لخدمتها ولا اذا قلت الكلام الجمهوري يستحيل الخبز والخمر الى لحم ودم اذ للوصول الى هذا الامر يجب وضع الايدي فان احبتم ادراك هذه المترلة اطلبوا وضع الايدي ومتى قبلتموه غخطف ثانية بمعرفتكم خطبة توافقكم اما الان فاني مضطر لترك هذه الخطبة اكراماً لكم ويمكن الخطبة ان تعتبر ذاتها حرة محولة من كل عهد ولا اسأله شيئاً مما كنت قدمته لها وهكذا انتهت خطبتنا وهكذا كل خطبة يطول امرها لان الفساد يظهر بين الحساد فالأحسن الزواج بدون خطبة واذا شاء اختيارها فليختبر بدون خطبة .

وكنت في الشام اتردد على بيوت كثيرة وكل بيت فيه بنات يظنون انني اريد زواجهن ومن البيوت التي عرفتها لمرض في عين احد اعضائها وصداقتي مع أحد شبانه منزل عظيم فيه ابنة كانت بديعة الجمال بل هي الوحيدة التي اشتهرت في جبالها بذلك الوقت وكانت متعلمة متهدبة تتكلم اللغة الفرنسية اديبة لطيفة المعاشرة حتى انني صممت ان لا تزوج سواها اما الذي اعاقني عن تأخير الزواج فهو عدم انتظام احوالي للمالية في دمشق كما انها كانت لا تمتلك شيئاً فافتكرت ان حبتنا يزول سريعاً عند فقد المال خصوصاً لأنها ظريفة الشكل يلزم الاعتناء بها ومداراتها أكثر من سواها لأن الانسان اذا امتلك جوهرة نعمة يحرص عليها

او ثياباً جديدة يعني بتنظيفها او فرساً كريمة تركبه أكثر مما يركبها لذلك ترى العاقل لا يقتني لخدمته من هو خير منه اذ يكون في هذه الحال خادماً لا محموراً ومن اراد اقتناء الاشياء البديعة يجب ان يكون في حال تمكنه من المحافظة عليها فالجمال هو من الاشياء الثمينة جداً المحتاجة الى المداواة والخدمة والكلفة التي لا يمكن لكل انسان ان يقوم بها فجميع هذه للملاحظات كانت تعيني عن طلب الزواج وانني احمد الله اذ منحني عقلاً منعني عن التهور وكنت في بعض الأحيان اتأثر من لطفها وجلالها واطرز اسمها بالايات الآتية :

حدثت لأجلك عـامـنا الاعوام	وترينت بوجودك الـايـام
سجدت لظلمتك الانام جلاله	وجئت لعرّجالك الـانـام
يا من عـبـدت وكنت أول عـابـد	شهدت بصدق عبادتي الـاسـام
بلغت محاسنك الملائك في العل	فغسدا لم مثلي هوى وغرام
هتفوا ونــــادوا كلهم بتخشع	يا زينة الدنيا عليك سلام

وفي أحد الايام كنت في بيروت مع ارملة غني فسألني هل تعرف فلانة في دمشق قلت نعم بلغني انك كنت تريد زواجها فلم تفعل قلت هي التي رفضت طلبي اذ يقتضي مثلها رجل أعظم مني وأغنى قلت ذلك لأسهل عليها امر الزواج وبعد مدة ذهب الى دمشق وتزوجها .

شندين آغا

ان شندين آغا من عائلة معتبرة من قبيلة الاكراد وهو رئيس قبيلة الدقورية أنت من جهة ماردين وقد كان كريم النفس جداً فتح علماً للضيافة حتى انه كان يوجد في كل يوم عنده عدد عظيم من الضيوف يأكلون ويشربون على مائدته وكان منزله في الصالحية يجلس أمامه على مقعد مخصوص وله عدة اولاد احدهم سعيد باشا الذي بعدما تقلب في مناصب عديدة اتصل ان يصير امير الحج وقضى حياته بهذه الوظيفة وأصبح غنياً جداً وكان له ابنة وحيدة تزوجها احمد باشا اليوسف وتوفت في حياته وقد خلف معظم تركته الى حفيده الذي تعين مكانه في اماره الحج رغماً عن صغر سنه وهو باقو في اماره الحج حتى الان ويدعى عبد الرحمن باشا اليوسف وهو اغنى وأكرم رجل في سوريا وقل من يكون غنياً كريماً وقد كان سعيد باشا اول متصرف تعين على اللقاء وتوفي بغنى عظيم .

(شندين آغا والبدوي) أمر احد ولاية الشام بشتق بدوي لذنوب ارتكبه وبالصداقة كان شندين آغا حاضراً فتوسط لدى ولاية الامر حتى عني عنه وبعد بضع سنوات تغيب شندين آغا عن دمشق لاسباب لا نعلمها وترك عائلته في الشام وكان كل سنة يأتي الى منزله شخص يدعى انه آت من قبل شندين آغا ومعه كل مؤنة البيت من قمح وشعير وسمن وأرز وما شاكل وظل على هذه الحال نحو أربع سنوات حتى حضر

شندين آغا وعاد الى دمشق فسأله أهل بيته عن الشخص الذي كان يرسل لهم معه مؤنتهم السنوية فتعجب من كلامهم وقال لهم انه في مدة غيابه لم يرسل شيئاً فأنذهلوا لقوله وفي آخر السنة اتى ذات الشخص ومعه المؤنة المتأخرة وقال لهم انها مرسله من شندين آغا فخرج عندئذٍ للقائه وحين رآه عرفه فسأله عن سبب عمله أجابه ارجوك عني لأنك من حين توسعت لي وخلصت حياتي اوقفها لك واقسمت بيميناً ان ثمرة انتعابي تكون كلها لك وها قد مر علي خمس سنوات اقدم لمتلك كل ما اجنيه فعنه شندين آغا شاكراً له هذه المؤنة التي دعت ان يتذكر ما اجراه معه من المعروف فله اين توجد هذه المؤنة وهذا الكرم والوفاء .

شندين آغا والسائح المسكوبي

في سنة ١٨٥٣ اتى الى دمشق سائح رومي وكان يرفقه ترجان عرفه كل المحلات التي يؤمها السياح وبينما كان ماراً من أمام منزل شندين آغا رآه جالساً قرب باب بيته وحوله خلق كثير فسأل السائح الترجان عنه قال انه من اعيان البلد يفرج السياح على منزله حين يأتون هذه الجهات فطلب ان يزوره وتقدم الترجان يستأذن شندين آغا فسمح له بذلك واشترط عليه ان يتناول طعامه الظهر عنده فقبل السائح هذا الشرط ولما احضروا الطعام جلس شندين آغا مع السائح في جهة وباقي الحضور في جهة الاخرى وكان السائح مسروراً جداً لرؤيتهم يأكلون بهذه الصفة ولما انتهى طعامهم وقاموا ودع شندين آغا وخرج فرأى قرب الباب حصاناً عربياً مسرجاً بعدته الكاملة وهو من خيار الخيل فسأل عنه قيل له انه هدية من الاغا لكم ويستحيل رفضه فتعجب السائح من هذا الكرم وشكر فضل شندين آغا ودون اسمه عنده ذكراً لهذه الحادثة .

في سنة ١٨٥٤ اشهرت الدولة العلية بالاتفاق مع فرنسا وانكلترا الحرب على روسيا وحاصرت قلعة سيسنبول وكانت الجنود العثمانية تجتمع من سائر انحاء المملكة وقد وقع بعض اسرى عثمانيين بيد الروس فأخذوهم الى داخلية البلاد وجمعوهم في محل ليفرقوهم على المدن وكان مديراً على التفريق أحد القادة العظام رتبته جنرال فكان يأخذ اسم كل واحد وبلده وأهله ولما انتهى الى رجل وطلب منه اسمه واسم ابيه قال له انه يدعى عبدالله آغا ابن شندين آغا من الشام فعند ذلك اخبره القائد من الصف وقال له ابق هنا لوحديك فاضطرب عبدالله جداً وخاف خوفاً شديداً وبعد نهاية التفريق حضر اليه القائد وأخذ بهرته الى منزله وقال له هذه هي غرفتك وهذه العربة والمترل والخدم كلهم تحت أمرك ومصروفك تأخذه مني كل يوم عشر ريالاً مسكوبية فأنذهل عبدالله من هذه المعاملة غير المتوقعة وبقي على هذه الحال مدة شهرين حتى تم الصلح وأعيدت الاسرى الى بلادها فأحضر له القائد اثني عشر بدلة من سائر الاشكال واعطاه مائتين ريالاً مسكوبياً وودعه وقال له اقر والدك شندين آغا سلامي وقل له ان السائح الذي اهديته الحصان لا زال يذكر مصروفك وهو انا .

وهنا يحق لنا العجب لأننا لم نستطع الحكم على أيها أكرم ولكن هذه الصفات المتنازة من كليهما

محبوبة جداً وتهز النفس طرباً وتسرع السامع ولو بعد ألف سنة لأن الحادثة هي التي تؤثر في النفس ان خيراً او شراً .

(عبيد الدين) كان يرى هذا الرجل في الاسواق وهو شبه عار من ملابسه وفي عنقه المسابح ويدعى الجذب ويطوف المدينة من محل الى محل آخر يأخذ ما يشاء من الخبز والفاكهة دون ان يتعرض له احد وكان شهيراً جداً في المدينة في أحد ايام الشتاء كنت جالساً في منزلي منفرداً واذ دخل حلاق في غير ميعاد حلاقتي فسألته ماذا يريد علي غير عادة أجاب اني اتيت اليك بمرضى وهو عبيد الدين الذي تراه في الاسواق متجولاً قلت ماذا أفعل به وهو معنوه أجاب انه مصاب بعينه ولا نظنه معنوها فترى منه ما يدهشك انما لا يقابلك الا منفرداً قلت أدخله عليّ فدعاه ودخل الى الثرفة وقفل الباب ورآه فقال له اهداء وقل للطبيب مرضك فسألته عن مرضه واسبابه فأخبرني عنه وكان يطله لي بكل تعقل فوضعت له علاجاً وكلفتني ان يرجع في اليوم الثاني ففعل وبعد اربعة ايام تم شفاؤه واراد ان يدفع لي اجري فأبيتها لانني علمت ان بواسطته سأنتفع كثيراً فسألته هل يوجد من يعتقد بك قال ان كثيراً من الناس يعتقدون بي الصلاح ويكرمونني وسألته هل يعرف منزل محمد بك الذي توفي منذ مدة قال اني اعرف كل من هناك فاذا تريد منهم قلت اسمع حكايتي معه .

عندما قدمت الى الشام وأعلنت اني طبيب درست في مصر اتاني كل ذوي العاهات اخصهم الزمنة الذين كانوا جربوا الاطباء الوطنيين وهم يأملون بكل طبيب جديد خيراً على ظن انه يكون عارفاً دواء جديداً فيرى الطبيب كثرة زبائنه فيظن بنفسه اغتنى ولكن لا يلبث ان يضمحل امله ويصبح كالأخرين ومن جملة من داووته كان محمد بك دعيت لعيادته ففحصته ووجدته مصاباً بالسل الرئوي فطلعت استحالة شفاؤه واخبرت اهله بذلك فرجوني ان اصف له علاجاً ليسلي ولا يقطع منه معة ففكر الموت قبل حصوله قلت اما على هذا الشرط فلا بأس ووضعت له جرعة مسكة وفي اليوم الثاني دعوني ايضاً وقالوا لي ان البك طلبك لأنه ارتاح على علاجك ونام فأعدت هم كلام الأمس وان شفاؤه يستحيل فقالوا لي هذا الرجل غني جداً وسيترك كل غناه ويموت ولا يهمه لو أخذت قليلاً من كثير من هذه التركة فامتثلت وصرت أكرر زيارتي الى ان توفي وبعد مدة ارسلت لورثته قائمة الحساب ولكن لم يكن من مجيب ومضت مدة طويلة وأنا اطلب بمالي عندهم ولكن كنت كالكتاب على صفحات الماء اخيراً تركت هذه المسألة ولم اعد اطلب بها ولم اتشك عليهم كي لا يقال اني طبيب وتشكيت على مريض عاجلته ولما يشت من كل طرق الانسانية والسياسية ارتأيت ان اتجىء الى الطريقة الدينية التي ساعدتني حين كان يسرقني خادمي مع الدخاخني فقلت لمحبي الدين هل يعتقد بك أهل هذا المنزل قال نعم قلت أرجوك ان تعمل طريقة تولني حتي وتفي عن ذمة محمد بك ما عليه فقال لي غداً ان شاء الله يكون مالك عندك .

وفي اليوم الثاني نحو الظهر حضر الى منزلي وكيل محمد بك يبلغني سلام عائلته ويطلب مني الحساب الذي لي عندهم قلت اني اترك هذا الحساب للأخرة والله يفعل ما يشاء فعندما سمع ذكر الآخرة ارتعب

وقال سندفع لك حسابك حالاً غير اني ارجوك ان تخبرني عن المقدار الذي تطلبه قلت اربعين ريالاً فاستكثره وحاول تخفيض شيء منه فلم أقبل وقلت له او ان تعطني المبلغ كله او انتازل عنه فذهب ورجع بعد ساعتين واعطاني ما طلبت .

وفي اليوم الثاني حضر محيي الدين يسألني عن وصول المبلغ اليّ فأجبتة بالإيجاب وسألته عن الطريقة التي عملها حتى نلت حقوقي فقال اني ذهبت قبل الفجر الى منزل محمد بك وصرت اقرع الباب بشدة حتى دعر من في البيت وقاموا بدعشة وفتحوا الباب وحين رأوني سألوني عما اريد فطلبت مقابلة أصحاب المنزل ولما رأيتهم قلت لهم ان محمد بك مديون لشخص قبل وفاته وان لم تفوا الدين الذي عليه يؤخذ منه دينه في الآخرة بدل دينه والرجل قد خلف ثروة عظيمة فلماذا لا تفوا الدين الذي عليه لطيب وهو زهيد جداً فحالاً أمروا الوكيل ان يأتي ويدفع لك مها طلبت فشكرت فضله واردت اعطاه خمس ريالات فرفض قبولها .

افتكاري بالدين

يقطع النظر عما تعلمته بل ما استنتجه فكري .

فن الآن وصاعداً صرت شاكر القائم بأفكاريه وابتداء هذه المباحث كنت بسن الثلاثين بعد هاتين الحادثتين الأولى مسيحية وهي قصة خادمي م . بنوع الدخان والثانية اسلامية وهي حكاية محيي الدين ابتدأت افكر بمنافع الدين مع اني كنت كفرب بكل دين بعد حادثة الخوري موسى وصرت افكر وأميز بين الدين وخادمه وقلت بذاتي اذا كان الخادم فاسداً او شريراً فما ذنب المخدم واعمال الخوري موسى ليست من الدين ولا هو يأمره بها بل من شخصياته الخارجة عن وظيفته الدينية وحيث ان دمشق هي من البلاد التي تحوّل الانسان راحة الافتكار والتأمل لقلة الشغل فيها خصوصاً في فصل الشتاء حيث يلزم بيته فظراً لوحدي دون امرأة ولا عائلة كنت اتسلّى أما بالقراءة او بالكتابة خصوصاً بالافتكار في كل الامور الدينية فكنت تارة اشك بها وطوراً اصدقها حسب العوامل والتأثيرات التي كانت تطرأ عليّ اخيراً ارتأيت ان ادع المجال لافكاري الخصوصية وأقدم البراهين من نفسي لنفسي بصرف النظر عما كنت اقرأه في الكتب الدينية والتي ضدّها كمؤلفات فولتير وروسو وخلافها لانني في مدة وجودي بالشام كنت أطالع كل هذه الكتب لان كما قلت قلة الشغل تعمل هذه الامور فارتأيت ان افكر وايرهن لذاتي باصل كل دين وعقله وقلت ان اساس كل دين هو :

الله

قالت الاديان ان الله هو أول كل أول ومبدع كل شيء المنظم والمحافظ المحيي والمميت القادر المطلق فهذه الصفات الالهية بعقل كل انسان قد اختلفوا في تمثيلها فالبعض اتخذ صنماً وأعطاه هذه الصفات

والبعض جعله نوراً أو قطعاً أو حيواناً من الحيوانات واختيراً قالوا ان لا صورة ولا مثال له كل فئة قالت عنه حسب ما ارتأته ولكن أوصاف الاله العمومية واحدة .

وحيث ان الصانع يعرف من صنعه قالوا ان الطبيعة صنعة الخالق وبما اني درست الطب الذي هو عبارة عن درس الطبيعة ارتأيت ان اقابل الطبيعة بالصنائع التي اخترعها العقل ورأى المشابهة التي بينها فتبقى المشابهة بين فاعلين .

فالعلوم التي اخترعها الانسان من عقله دون ان يشارك بها اشغال الجسد هي :

أولاً : القراءة والكتابة

ثانياً : علم الشعر .

ثالثاً : علم الموسيقى .

رابعاً : علم الحساب .

وبعض علوم اخرى .

كيف اخترع الانسان القراءة والكتابة

لأجل وصول الانسان الى هذه الدرجة ابتدأ باختراع وضع الاحرف المعجانية التي هي عبارة عن مخارج الصوت فقال عن صوت اس علامة دعاها سينا وعن صوت بب اشارة سبها باء وجمع من هذه المخارج علامات حسب اختلاف اللغات بعضها اربعة وعشرين وغيرها ثمانية وعشرين وأصبح كل حرف من هذه المخارج يدل على صوت دون الدلالة على معنى ولأجل دلالة المعنى وجب اجتماع حرفين على الأقل مثلاً اذا اجتمع حرف الالف بالياء تكونت منها لفظة اب وهي تدل على حيوان متزوج له امرأة وولد واذا أضفت الى هذه الكلمة لفظة اخرى زاد المعنى مثلاً لو زدنا على كلمة اب لفظة ضرب تصورتنا هذا الحيوان الكبير رفع يده وسقط على آخر وهو فعل الاب ولو اضفنا على هاتين الكلمتين كلمة ثالثة وهي ابن نعرف ان الاب ضرب الابن ولكي نعلم أي ابن ضرب يزيد عليه حرف الهاء التي تنسب هذا الابن الى ابيه فنقول ان الاب ضرب ابنه وهكذا كلما أضفنا كلمة الى اخرى تزيد المعاني التي تتحد البشر بالفهم بحيث ان هذه الاحرف اذا اضيف لبعضها مع قلتها يؤلف منها ملايين من الالفاظ والمعاني . هذه هي أول صنعة العقل تكونت من البسيط وترقت الى المركب ومن الفرد الى ' احلة ومنها تألفت صنعة القراءة والكتابة .

(الشعر) مؤلف من اسباب واتواد وفواصل متى ربطت ببعضها صارت شعراً ومن الشعر القصيدة ومنه الديوان والمبدأ واحد من البسيط الى المركب .

(الموسيقى) مؤلفة من سبع طبقات اعتبارها في الموسيقى اعتبار الاحرف في القراءة والكتابة وهي في الموسيقى الافرنجية دوري مي فاسولا سي وفي الموسيقى العربية الرصد والدوكا والسيكا والجهاركا والنوى والحسيني والأوج وكلها اسما فارسية الأصل الدوكا المقام الثاني السيكا الثالث وهلم جراً ومن اجتناعها ببعضها تتكون الانغام والالخان .

(الحساب) يتكون من تسع مقامات وهي من الواحد الى التاسع ٩٨٧٦٥٤٣٢١ فانتقال كل رقم الى يسار آخر يزيد عشرة اضعاف وهكذا الى ما لا نهاية له هذه هي باختصار الصنائع التي اخترعها العقل البشري فلنتظر الى الطبيعة .

(صناعة الطبيعة) فلنحصى صنعة الطبيعة ولنرى اذا كانت تشبه في تأليفها الصنائع العقلية لنبدأ بتحليل الطبيعة المكونة من ثلاث ممالك وهي المملكة الجائدة والمملكة النباتية والمملكة الحيوانية فزراها مؤلفة من احرف هجائية كصناعة الكتابة وهذه الاحرف هي الاجسام البسيطة التي عرف منها حتى الان ٧٢ جسم كالأكسجين والهيدروجين والازوت وكل من هذه الاجسام لا متفعة له بذاته ولكن متى اجتمع مع رفيقه كَوْن معنى فالأكسجين بعد ذاته محرق والهيدروجين مطفي فلو اتحدوا مع بعضها يتكون الماء الذي هو أصل كل شيء حي وكذلك لو اختلط الاوكسجين بالازوت يتولد الهواء الذي هو حياة النبات والحيوان وكما انه باجتاع بعض الحروق يتولد ملايين من الالفاظ والمعاني كذلك باجتاع هذه الاجسام يتولد ملايين من الكائنات فينتج من ذلك ان الطبيعة هي صناعة كصناعة الكتابة والقراءة وحيث ان هذه اخترعها العقل لذلك وجب ان يكون مخترع الطبيعة عقل عظيم لا يمكن ادراكه كما لا نستطيع ادراك صناعته وهذا الصانع ندعوه الله .

وحيث ان الطبيعة محفوظة للان بقوانينها ونواميسها ولا يمكنها ان تعيد عنها فلا بد ان يكون الذي اوجدها محافطاً عليها كي لا تخل بوظائفها اذ لو تركها لكادت تلاشت كما تتلاشى الصنائع العقلية لو اهملت هذا ما اربأنا اثباته برهاناً على وجود الخالق الحافظ .

الدين

هو خضوع الانسان لقوة اوجدته ونميه ونمته وقد خلق الانسان ليكون ديناً لان الاسباب التي جعلته يفكر بقوة أعظم منه مغروسة فيه وهذه الاسباب هي الموت والمصائب والمؤذيات اذ يعتقد ان موته صادر عن قوة عظيمة تقضي عليه بذلك فيسترحم منها خاضعاً متواضعاً ان تبعد عنه زمن الموت مدة من الزمن واذا سقط في مصيبة لا يستطيع النجاة منها او يتخذ ذويه منها يرتفع عقله حالاً الى قوة غير منظورة لهذا نرى الانسان لا يذكر الدين الا في ابان الشدائد ولذلك يقولون استفاد الله رحمه في هكذا ظروف ولكن هنا الشطط لان ليس الله يفقد المصائب بل هو يستفقد الله اذ يرفع نفسه اليه ومن جملة الاسباب التي

تدعو الانسان لاعتبار الدين هو حبه لراحته وتجنب تبعه فلما رأى نفسه عاجزاً عن هذا الامر بذاته التجاء لقوة أعظم منه طلب منها راحته وابعاد تبعه ولذلك قسم أعماله الى قسمين فسمى ما نفعه وراحه خيراً وما ضره واتبعه شراً ولهذا اوجدت بعض الاديان كمذهب زردشت عند قدماء الفرس المأ للخير والمأ للشر وكل دين مؤلف من ثلاث أمور :

الاول : الاعتقاد بقوة عامة قادرة على كل شيء تجازي او تعاقب .

الثاني : الوسيط بين هذه القوة والبشر .

الثالث : الشريعة .

وتقسم الشريعة الى ثلاثة اقسام :

الأول : واجبات الانسان نحو خالقه .

الثاني : واجباته نحو قريبه .

الثالث : واجباته نحو نفسه .

وحيث تكلمنا عن المخلوق واثبتنا وجوده فلتكلم عن القسم الثاني وهم المشرعون اللذين ظهروا قبل الاديان المترلة .

(المشرعون) لا يخفى انه منذ ابتداء العالم ظهر كثير من المشرعين في الهند والصين بودا وكثفوسوس الذي هو اعظم القدماء بادبياته العظيمة ومن جملة اقواله انسى الاسى ولا تنسى الجميل . أمنع الشركي لا تتبع في قصاصه . لا يمكن تحكيم عائلتك ما لم تعطها المثل وهكذا جملة حكم وفي العجم زردشت وفي اليونان سولون وفي مصر منس وكذلك عند باقي الأمم القديمة ظهر مشرعون وكما قلنا ان الصفات التي اعطيت للمخلوق واحدة فكذلك الصفات التي اعطيت لكل مشرع واحدة ولو اختلفت الاسماء لأن كل من سن شريعة موافقة للهيئة الاجتماعية تمنع الضرر عن القريب وتنفع الغير انه ممتاز من الله عن باقي البشر بعقله السامي وكذلك لما خصه به الله من الهبات وظروف الزمن فكيفما كان الحال فهو رجل خير مني ميزه الله عني يلزم اعتباره وقد ظهر كل منهم في زمن مختلف وسن كل شريعة توافق زمانه وبلاده واحتياجات اهل ذاك الزمن فيفتح من هذا ان كل مشرع صنع ما يوافق احكام زمانه ولو فحصنا ما أمر به كل مهم تراهم متفقين في المبدأ فلو سمعنا عظة صينية او هندية او يابانية نراها واحدة لا يمكن تمييز واحد عن آخر وحيث كلامهم وشرائعهم لجهة الخلق وعبادة الخالق واحدة تصور عندهم الاعتقاد بالتقنص مثلاً ان المشرع الفلاني ظهر من ألف سنة وقال كذا وكذا ثم بعد ألف ظهر آخر وقال مثل الأول فيكون هذا ذاك أي روحه وانه ليس قيصاً جديدة وهو الجسد وكذلك نقول اذا كان شخص عنده مبادي شخص آخر ان هذا من روح ذاك اعتبار ان كلمة فلان او مبداه هي روحه وهي هو لان اذا صدر امر سلطاني الذي هو

كلمته يلزم الخضوع له كالخضوع لآمره لان امره هو نفسه اما جعلهم اختصاصت لكل مذهب فهذا لا يحس الجوهر .

(خلطوا المشرعين) حيث ان كل انسان معرض للموت لا يمكنه الخلود وكان المشرعون قد سوا شرائعهم واحبوا ان يبقوها بعدهم وجب ان يقوم مقامهم بعد وفاتهم من يأمر باوامرهم وينهى بنواهيهم فسموا هؤلاء خلفاء واناطوا بهم المحافظة على شريعتهم لذلك يجب اعتبار الخلف كالسلف او كاعتبار الشريعة التي يحافظ عليها ويتلاشى للمذهب عندما تتلاشى الجمعية المحافظة عليه فهكذا كانت تتلاشى عبادة النور عندما تلاشت كهنته وهكذا كل مذهب وتتلاشى المحافظون عند منع تعليم هذا المذهب الى الصغار لانهم يشبون على غير افكار وغير مذهب ولذلك اعظم شيء للملاشاة دين هو عدم المدارس لتعليمه .

(الشهداء) هم المحافظون على الشريعة والمحامون عنها المائتون لأجلها وباعتقادي ان اول معجزة اتوها هي محافظتهم على مبادئهم وموتهم لأجله فالذين قضوا لمحافظتهم على حياة ورفاهية الناس فيحق لهم الاعتبار الحقيقي لانهم افنوا حياتهم بتعليم الآداب والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . قد زارني أحد تلامذة الطب وكان غير مسيحي فأخذته يزور المدرسة الطبية ثم بعد ذلك اخذته الى كلية الباسوعية الذي يوجد في ساحتها شخص مار يوسف فالتفت اليّ وقال ما هذا فهل تعبد الاصنام وهل تعتبر هذا الشخص فأجبت بكل رواق ان هذه الاشخاص عندنا تمثل الفضيلة ليس كصنم باعال والثور ولكل شخص عندنا فضيلة اشتهر بها نجعل تمثاله تذكرة لفضائله التي يُكرم لأجلها فلزمررت على تمثال نابوليون الأول اما تحيي رأسك للشجاعة المتجسدة في هذا الشخص وهكذا نحن نعتبر كل واحد من هؤلاء لأجل الفضيلة التي امتاز بها ولأجل نجمة الاحياء والافتقار به وكذلك فكر زميني ايضاً ان هذا الشخص الذي تراه هو شخص مار يوسف الذي ربي المسيح في صغره فلولا لما كانت هذه المدرسة ولا المدرسة الطبية لأن اعتقاد الياسوعيين به جلبهم الى هذه الديار وجمعوا دارهم من امريكا واوروبا وبنوا لنا هذه المدارس النافعة لنا وسبب نفهمهم هو اعتقادهم بهذا الشخص فأنا اكرمه فعند ذلك رفع طربوشه وقال وأنا أكرمه ايضاً لهذه الاسباب .

هذا فكرنا بشأن المشرعين وخلفائهم والأولياء ولتكلم الان عن القسم الثالث من الدين وهو الشريعة .

الشريعة

هي القسم الذي عليه أهمية العمل وهي التي تخضع لها العقول وتسهل الايمان لأن العقل البشري لا يستطيع ادراك الاعتقاد مما كان الدين بسيطاً ولا يمكنه استعمال عقله لأن لا عقل يفهم الاعتقاد فأني

عقل يسلم بعبادة الثور والقط والتمساح وانهم آفة ولكنه يدرك الشريعة لأنها تأمر بالنافع وتنهى عن المضر وإيمان الشخص بمن وضعها يكون حسب منفعتها فتنى رآها الانسان نافعة لا يلتفت الى عقائد ايمانها بها مثلاً لو دعى طبيب لعيادة مريض فانه يطلب منه دواء دائه لا تفصيل العلاج وتعليمه الصناعة وشفاؤه من مرضه يكسبه الثقة بالطبيب ولو لم يعرف تفصيل صنعته وابوابها وكل شريعة تنوعت حسب الزمن والحالة والاحتياج .

فالشريعة هي دواء الهيئة الاجتماعية وسبب شفاؤها وحين رأت بها المنافع آمنت بكل ما قيل عن مترها .

فالباري تعالى اوجد الشريعة لأجل نفع البشر لا لنفعه لانه اذا كان قد أمر بعدم القتل فلا لانه يخشى احداً بقتله بل شفقة على مخلوقاته وحيث ان الشرائع وجدت لنفعنا ورحمة لنا فلذلك الهيئة الاجتماعية هي وكيلتها على الارض وهذه الهيئة وكلت شخص عنها فمن احبته احبه الله ومن ابغضته بغضه فلهذا نرى ان حفظ الشريعة ضروري لنا اذ لولاها لما كانت هيئة اجتماعية ولا اتفق انسان مع رفيقه بل بقي كل انسان للمفرده يعيش كالحیوانات على مجرد امواته فمن الضروري اذاً وجود شرائع وقوانين في كل عمل يشترك فيه شخصان أو أكثر .

(الشريعة الطبيعية) اذا لاحظنا الانسان على ما هو عليه نرى ان الشريعة مفروسة فيه لا يمكنه ان يعيش بدونها فهو حيوان قابل للاشتراك مع آخر وحيث وجد الاشتراك وجد القانون لذلك ولكي يأمن كل واحد على حقوقه سنت له الشريعة التي منها لا تقتل لا تسرق ولو زدنا تدقيقاً في هذا الشأن نرى ان العشر وصايا خلقت في كل منا قبل نزولها كتابة وبدلنا على ذلك حال البشر الذي وجدوا قبل موسى الكليم الأول .

وأول ما اشترك الانسان مع زوجته ثم اولاده فتألفت عائلة واتحدت هذه مع اخرى لأجل رفع الضرر عنها من السوى كمقاومة الحيوانات الكاسرة والتعاقد على بناء منازل تقبها حرارة الصيف وبرد الشتاء ولتنع الحيوانات عن مزاحمتها الغدا ولو كانت العائلات تعمل ببعضها ما تفعله الحيوانات فلا يلزم والحالة هذه الاشتراك ومن هذا الاتحاد تكون الشعب وهكذا الى ما لا نهاية له وكلما زاد تمدن الانسان زادت شرائعهم حتى أصبح له في كل حركة ومع كل شخص قانون فلهذا امرته قانون وبينه وبين اولاده قانون آخر وشريعة وهلم جرى وتناقلت الشرائع من الافراد الى الجموع ومنهم الى الشعوب والممالك وهكذا تجرد الانسان عن قواه الحيوانية وأصبح الحق قوته المجردة .

ولو لاحظنا القوانين المنتشرة الان من دينية وسياسية وأدبية وتجارية نراها كلها تصبوا الى غاية واحدة وهي عدم ضرر القريب والتفتيش على النفع فالقوانين الدينية تحكم على الضمير وهي أقوى شكيمة

والسياسية تحكم على الاعمال الظاهرة وكذلك للمدنية أما حاكم الضمير والعقل فله السلطة التي لا تنازع لا ترى هيئة بدون دين بطبيعة الانسان اوجبت له الشرائع وجبه للتملك الخصوصي سن له القانون .

وأصل هذه للشرائع الامراة فكل الاديان جعلتها السبب الأول في استبعاد الرجل فانه حين رأى الامراة واراد تخصيصها لذاته نزلت عليه وصية لا ترن وعندما اراد ان يجمع مالاً بتعبه ويملك ارضاً يسكنها بدون معارض نزلت له وصية لا تسرق وعندما خاف من قوي يقتله ويأخذ امرأته منه او ماله نزلت له وصية لا تقتل كل شريعة أو قانون وجد لدفع شهوة الانسان المضرة بقربيه وبمقدار هذه الشهوات تكون الشرائع وهكذا أصبح الانسان اسير الشرائع التي تخلص منها الحيوان وكل ذلك من طمعه بالتخصيص له دون رفيقه فلأجل منع هذه التمدنيات عن القريب المخصص نفسه انزل الدين والحكم والمحامات وتخضع الانسان لهم وبقيت الحيوانات مستريحة منهم فلا تجد حيواناً يركع أمام آخر ويقول له باركي يا سيدنا او يقدم معروضاً الى رفيقه ويقول له يعرض عبد سمادتكم فكل هذا أوجبه طمعنا وجب التخصيص وقد أصبح ضروري لنا اذا اعتبرنا الانسان الذي كان في حالة متفردة وأصبح فيها بعد عضواً في الهيئة الاجتماعية لخدمنا بوجود وجود شرائع وقوانين دينية له أولاً لأنها هي التي طمعت فكرة وجعلته بأمن لقربيه وكانت علة الاجتماع وحين اجتمع وارتاح فكره تشارك بالعمل والافكار مع قربيه فتولدت الشرائع السياسية والصنائع والاكتشافات وبناء المدن واختراع كل شيء نافع للهيئة وان الانسان فضلاً عن المنافع التي يأملها في الحياة الاخرى بواسطة الشرائع الدينية ترى منافعها عديدة في هذه الدنيا ايضاً فلنخصص منافعها لنا في حياتنا ونفحص الوصايا العشر التي هي اساس كل دين وشريعة فنقول :

منافع الدين في الدنيا

« الوصية الاولى » انا هو الرب الهك لا يكن لك اله غيري .

المنافع الدنيوية لهذه الوصية هي اولاً راحة الضمير بالاعتقاد باله واحد قوي قادر على كل شيء يتسم من المعتدي ويسعف في المصائب شقيق رحيم يكافيء على احوال النوائب والانتعاب ولكم من راحة يجد الانسان في هذا الأمل فتراه في مصائبه فرتاحاً وفي احزانه مسروراً بصبر لكل ما اصابه آملاً بالمكافأة وبالحقبة ان المؤمن يتمتع في السعادة الموعود بها في السماء وهو على الأرض .

وعكس ذلك من لا يؤمن بهذه القوة الروحية المسعفة فتراه في حزن دائم من يأسه من كل ما هو حواله فيرى مصيبته لا نهاية لها ولا يرجو مكافأة لصبره فهذه الحالة المتعبة للقلقة تكفيه قصاصاً لمخالفة هذه الوصية كما ان ايمانه يكفيه مكافأة فيقاسي الاول عذاب جهنم على الارض وينوق الثاني حلاوة السعادة لان الله هو أمل واشقى الناس من قبح أملة .

وهناك براهين اخرى كثيرة لا حاجة لذكرها هنا وأهم ما قيل في الاعتقاد بالله هو اعتقاد السوى وهذا الذي يمنع الاذى اذ لو تلاشى اسم الله لتلاشت الارض وأصبح الانسان حيواناً مفترساً فالله هو حافظ الدنيا وما عليها وهو بقلب كل انسان واليه مرجع كل عمل .

« الوصية الثانية » لا تحلف باسم الله باطلاً .

الصدق هو الرباط الوحيد للمعاملات البشرية وضده الكذب والكاذب لا يعامله احد من الناس والحلف باسم الله بلا سبب موجب هو علامة الكذب وقد قال المثل لا تصدق الرجل الذي يحلف بلا داع ولا المرأة التي تبكي بسرعة وسبب ذلك ان الكاذب يحلف حتى يوهم السامع صدقه ويخفي كذبه كاللون الاحمر الذي تتحل به ذات اللون الاسود . والحلف بالله يدل على عدم اعتقاد الحالف به ومتى كان شخص غير مؤمن فقد حل من رباط الانسانية والهئية الاجتماعية لان الله هو رابطها الوحيد ومن لا يؤمن بالله يستل جميع المعاصي فتتفر الناس منه وتقطع معاملاتها معه ويميش ذليلاً مهاناً وبالعكس منى صدق يتال كل خير لأن أي من كان يأتمنه ويسلمه .

« الوصية الثالثة » احفظ ايام السبت .

منافع هذه الوصية صحيحة اذ لا بد للانسان من راحة اعضائه لتجديد قوتها وقد وجد ان الذين يداومون على الشغل بلا استراحة يتضررون فكما ان الجسم يرتاح يوماً بالنوم لا بد له من استراحة عمومية كل ثمانية ايام وقد ارتأى الفرنسيون ابان ثورتهم ان يجعلوها كل عشرة ايام فما استطاعوا والمحافظة على هذه الوصية تكسب الجسم راحة وترويض الفكر وتهذب الاخلاق اذ لا بد للانسان في هذا اليوم من حضور حفلة دينية او زيارة كنيسة تدعى بيت الله .

هل الكنيسة بيت الله حقيقة وهو محصور فيها مع انه ماليء كل الكائنات السماء والارض كلا لعمرى بل هذا المحل يفكرنا بالله ولا يجعلنا نعمل ما يخالف اوامره بل نطيع وصاياه ونجتنب نواهيه ونجلس فيه كأننا جالسون امام الله ولهذا عدت الكنيسة بيت الله حقيقة وبسبب هذه الزيارة ترجع الافكار الدينية الى محلة الانسان فيكبح شهواته ولو على اقراض غضب من قريبه واراد اذيته ومر في تلك الساعة على معبد ودخله له فتى خرج من الكنيسة تضمحل منه هذه الافكار الشريرة . هذا ما تفعله الكنيسة وتؤثر به على الداخلين اليها اما الصلاة فما هي الا طلب للمساعدة في الاحتياج والتوفيق ورفع الضرر فيتعاهد الانسان ثانية مع الله ويتذكر دائماً وصاياه ويحفظها . هذا هو التأثير الأدبي ليوم السبت اما مكافأته فالراحة الجسدية والعقلية ينالها من يتبع هذه الوصية والعكس من خالفها وداوم على الشغل والتهى بمكافأته ونسي زيارة الكنيسة والصلاة فانه يتبع شهواته التي تضره وتضر قريبه وعواقبها الوخيمة التي تطرأ عليه في المستقبل هي اعظم قصاص له .

« الوصية الرابعة » أكرم أباك وأهلك .

فالباري تعالى الذي أوجد كل الاشياء للانسان لم يخلقها مباشرة بل جعل لها واسطة وواسطة خليقة الانسان ابوه وأمه وهما الصلة بين الله والانسان وكما ان الامر يؤدي له الاكرام فكذلك يجب ان يؤدي لمأموره لهذا يجب ان تكرم واسطة الخليفة لأنها هي الموكلة من قبل الخالق لاعطاء الحياة والحفاظة عليها فاذا كان الانسان يقدم لرجل اضافة واعطاه ما يلزمه ويسهر عليه كل ساعة ويقدي نفسه حتى الموت عنه كل أكرام واحترام فاذا يجب عليه ان يفعل للأب والام فبالطاعة والاكرام والمحبة تكون لذة الضمير وراحة الافكار ونجاح الاعمال لأن والدين لا يشوران على الولد الا ما فيه صالحه . ومتى عرف الناس شخصاً بكرم والديه يقدمون له الاعتبار والاحترام فاللذة الداخلية والمناة والراحة وأكرام الناس هو اعظم مكافأة في هذه الدنيا وعكس ذلك اذا كان الانسان لا يكرم والديه ولا يحترمها فانه لا يرى في الناس صديقاً او مسعفاً اذ يقال عنه اذا كان لم يرجع ذمام من اوجده ورباه وعلمه وهذبه فكيف يحفظ صداقة الغير ولهذا يتركه الجميع وان اصابته مصيبة لا يجد من يشفق عليه بل يقال انه استحقها ومن يخالف رأيهم يتبع شهواته فيسقط في شر اعماله ويكون قصاصه في هذه الدنيا تبكيته ضميره بتقصيره في اكرام والديه واحتقار الناس له وتخذلانه من حيث يؤمل نجاحاً واهم تجربة يمكن بها احتبار الانسان وهل يمكن صداقته ام لا هو النظر الى معاملته لوالديه فان كان ملتفتاً لها مكروماً نفسه لخدمتها غيوراً على مصالحها فصداقته تكن نافعة يجب التمسك بها والعكس بالعكس ومن المقرر ان ما يصنعه الانسان مع والديه يأتيه يوم يصنع فيه اولاده معه ما صنع لأنهم يقتنون به في حركاته واعماله ومبادئه .

« الوصية الخامسة » لا تقتل .

من خالف هذه الوصية يقتله الحاكم او اهل القتل واذا اختفى او تمكن من النجاة بقي ابداً فكره مصطرباً خائفاً وجلالاً كما سمع خبراً عن القتل فيضطر للفرار ومغادرة ولده وبلده ووطنه وعائلته ويصير مكروهاً من الناس معرضاً للقتل في كل آن ومكان اذ يستهل والحالة هذه عمل كل شيء أما من سامح فيكسب محبة عدوه الذي يصير صديقاً له بعد هذا السباح ويرتاح من كل مشقات العداوة والانتقام وهذه مكافأته عن ذلك .

« الوصية السادسة » لا تزني .

اذا تعرض زاني لامرأة متزوجة ودري به زوجها فانه يعرض نفسه للقتل وان كانت بكرأ او ثيباً فأهلها يفعلون به ذات الامر ولكم يضعج الزاني وقته بالبحث على قضاء شهواته ويصرف ماله لنواله فيخسر اوقاته ويقل شغله ويكسي فقيراً ولذا قالت الامثال بشر القاتل بالقتل والزاني بالفقر ولو بعد حين ناهيك عن اضرار صحته والامراض التي تمر به وتنهك جسده وتجعل الناس يتجنبونه وان نتج من هذا الزنا مولود فانه

يضطر لتحمل مصاريفه واتعابه لغيره فكانه يسرق مال غيره لان حجة الوالد قائمة بتحقيقه ان المولود من نسله ويكني لرجل له ولد ان تقول له امرأته ان هذا الولد ليس من نسلك بل هو ابن سواك فيكره هذا الولد كرهاً لا يمثل له او يقال له هذا ولدكم ولو لم يكن ليحبه .

(حادثة)

جآني امرأة وابنتها وطلبت مني دواء لاسقاط جنين فتأتها الحبل من شهرين وقالت انها اختلفت مع خطيبها على ألف غرش لم ألت هذه للصيبة بالفتاة وترغب ملاقاتها اجبتها ان ما تغليينه لا يمكن لطبيب ان يجرحه اذ هو محرم عليه ديناً ووظيفة ولو فرض انك وجدت طبيباً او قابلة لاجراء هذا الامر فيكلفك أكثر من ألف غرش للمختلفة عليها مع خطيب ابنتك ناهيك عن الاخطار والأمراض وقد قلت لها هذا الامر وانخفتها من عواقبه كي لا تنسب الي قابلة او الي أحد الدجالين فيجيبها الي طلبها وبعد نحو ستة اتاني رجل معه ولد مريض بعينه وزوجته فأخذت الولد لأكشف على عينيه فبكي وكان الاب يقبله بلهفة ويرجوني ان لا أوجعه فنظرت الي الأم وعرفت انها تلك الابنة التي أتت الي وطلبت مني امها اسقاط جنينها والوالد معتقد كل الاعتقاد انه ولده ولد في الشهر السابع اذ سألتني هل يمشي السباعي اجبته دون شك وكانت امرأته تنظر الي وتسيب فكيف يطاوعها ضميرها باعطاء ولد لرجل غريب يقضي تبعاً وشغل أفكاره طول حياته لأجل هذا الولد ولو كانت عملت ما جاءت تطلبه مني لكانت تلفت صحتها ناهيك عما تقاسيه من الازل اذا افترض امرها .

« الوصية السابعة » لا تسرق .

ان مخالفة هذه الوصية تحدث مضرات عديدة لمن يرتكبها واحداً انه اذا عرف السارق تجازيه الحكومة عدا الاتعاب والسهر والاحطار والخطر من القتل التي يتعرض لها عند ارتكابه هذا الامر وكم من مرة لا يجني ثمرة من اتعابه سوى النصب ولا يجد احداً يغني بسرعة ويفقر حالاً سوى السارق اذ تراه في الصباح فقيراً وعند المساء غنياً اذ يستهل صرف المال لسهولة نواله وقيل ان للسارق صلاة مخصوصة يقول فيها يا الهي لا أكلفك ترزقي مالاً بل اهدني على محله وانا ضمن بالحصول عليه وأعظم ضرر يناله السارق هو سلب الأمانة منه فيكون مطروداً من الجميع محترقاً لا يخالطه احد ولا يعاشره حتى ان رفيقه بالسرقة يتنكر منه ويخافه ابوه وامه ويطردانه .

ولو افترض ان لصين سرقا مبلغاً واقسماء واراد كل واحد ان يودع قسمة بمحل فلا يأمن لرفيقه ولذلك ترى كل ارباب المعاصي يأغنون بعضهم الا اللصوص وأهم صفة يتميز فيها السارق هي الجبن والذل .

« الوصية الثامنة » لا تشهد بالزور .

من المعلوم ان الشاهد زوراً في مسألة يكون كأنه ارتكبها بذاته لذلك ترى الشرائع المدنية تفرض عليه قصاص من ارتكب هذه الجريمة ويكون شاهد الزور كمرتكب لكل المعاصي فهو شر من القاتل والسارق والزاني وهو مضر بالهيئة الاجتماعية أكثر من سواه وهو مكروه مردود لا يقرب اليه أحد .

« الوصية التاسعة والعاشره » لا تشهي امرأة قريبك ولا تشته مقتنى غيرك .

ان مخالفة هاتين الوصيتين كمخالفة الوصيتين السادسة والسابعة وأخص احرازها الكدر الدائم لعدم حصول مرتكبها على شهواته فيتولد فيه الحسد للمخالف لسائر المعاصي لان يباقي الرذائل بشر الانسان بلدة وقية او منفعة قليلة اما الحسد فلا لذة له ولا منفعة لأنه يجلب الكدر وهذه هي المصيبة القاهرة التي تؤثر دائماً على صاحبها ولذلك ترى دائماً الحساد في شروور وهم ارباء ذوي وجوه عابسة يتغير لونهم لكل خير خيري .

وهناك وصايا اخرى ضد الكبرياء والشره والحسد والغيرة وما أشبه من الزوائل التي تسبب ضرراً لفاعلها وبالاختصار ان الفضيلة هي التي تجلب الخير بعكس الرزيلة وحيث ما وجدت الفضيلة تكون محبوبة بصرف النظر عن فاعلها .

(حادثة)

أصاب الكلاب في احدى السنين داء الكلب فأمرت الحكومة بنسيم كل الكلاب وذلك بأن تطرح لها قطعة لحم فيها مقدار معين من السمك وصدف ان أكلت كلبة من اللحم فتمت وماتت وكان لها اجره صغيرة لا تستطيع الزحف فحن الله عليها كلبة غريبة كانت تأتي وترضعها كل يوم مرتين في أحد الايام رأيت بوليساً مجهزاً قطعة لحم مسمومة يريد ان يطعمها هذه الكلبة فرجوت ان لا يفعل لأنني كنت اشاهدها كل يوم واخبرته ما تفعل مع الاجرة الصغار فتخشع وتحن قلبه عليها واعطاها قطعة لحم غير مسموم وكنا نحامي عنها كمحاماتنا عن شيء عزيز . فاذا كانت الفضيلة تعتبر في البهائم فكيف بها في البشر .

هذه هي الافكار التي كانت تشغلني والتي اعتقدت بتائجها الحسنة حسب عقلي وسرت على موجها لانها نتيجة تعقل الخصومي ولست اجبر سواي على اتباعها لان لكل انسان شريعة يوحى اليها ضمير .

(أكوب مكر)

بينما كانت هذه الأفكار تشغلني في احدى الليالي ففعل بي الناس فمتم وبعد ساعتين سمعت قرع الباب بشدة فاستيقظت الدائمة وفتحته فاذا برجل يدعوني لمعاينة رجل تقوص وكان منزل المريض قريباً

منا فتوجهت ورأيت أكوب الخياط الأرمني ملقى على سريره وكان يحب الصيد فأخبرني انه اصطاد في ذلك اليوم مع اخيه جملة طيور اهداها الى قنصل إيطاليا لأنه يخطط له ملبسه ولما رجع اخوه سأله عن الطيور فأخبره ما فعل ففتح منه وقال يمكنك ان تهدي ما يخلصك لا ما يخلصني وقد قضيت النهار بطوله راکضاً ولم انتفع شيئاً وأدى به الخصاص الى درجة حتى شديدة وتاما بعد ذلك لانها يقطنان غرفة واحدة وبعد ان نام أكوب شعر برصاصة في اذنه فاتبه وصرخ ودعاني لعيادته اما اخوه فكان قد هرب ولما رأيته يتكلم جيداً ويخبر الحادثة بلا ازعاج فحصت أذنه ولم أجدها شيئاً سوى خدش صغير وغشاء الطيلة لم يزل موجوداً وأنه يسمع بالأذن المصابة كرفيقها وكان يزعم ان اخاه قوصه بمسدس نمره ١٢ فلم أصدقه وقلت له كيف كانت الحال فلا خوف عليك قط الان وسأعودك غداً وفي اليوم الثاني اتيت الى منزله وفحصت الاذن فرأيتها كالأمس انما شاهدت نقطة سوداء في آخر القناة فجسستها ورأيتها صلبة فحسبت انه مقوص بالخردق وفي اليوم الثالث رأيت البقعة السوداء زادت اتساعاً وبعد اربعة ايام عابت طرف الرصاصة خارجاً بالعرض الى القناة وكانت الحكومة في هذه الاثناء قبضت على اخيه وأخذت مسدسه واعترف بجريمته .

(سير عجب للرصاص)

حين رأيت المسدس أخذت رصاصة منه وقسمتها على فتحة الاذن فكانت أكبر منها بمرات وكيفية دخولها في هذه القناة انها بدلاً من ان تذهب رأساً الى الغشاء الطيلي وتزقه اغرقت لجهة العظم الصدغي والقسم الحلقي الذي تركيه يكون كاسفنجية وخرقته واستقرت فيه وهذا الامر من أعظم المعجزات لسير الرصاص ولم يتسبب عنه اعراض سوى شلل القسم العيني والوجهي بسبب ضغط الرصاص على العصب وقد كان متكدراً لرؤية عينه المشتورة وهو شاب فأخبرته ان لا يمكنني استخراج الرصاص من الاذن اذ يلزم لذلك تكسير العظم في التواء الحلقي من الخارج وهي عملية خطيرة لان العظم هناك اسفنجي اذا التهب يكون قريباً من الدماغ والخطر شديد وبقي على هذه الحال مدة شهرين يتعاطى اشغاله الى ان اتى الى دمشق طبيب من بيروت دعي لمعالجة فتحت تحت فم أكوب وحسن له ان يتبعه الى بيروت ليجري له العملية فأطاع وكانت سبباً لوفاته رحمه الله .

محمد الأنطاكي المنجم وكيفية تنجيمه

حضر مع دولة جودت باشا وعرفني به الدكتور الياس مطر وكان ضيفاً على دولته .

كان لما يباشر العمل يأخذ ورقة ويضع عليها نقطاً على اربعة صفوف هكذا :

ز.....
 ف.....
 أ.....
 ن.....

ويبدأ بحساب هذه النقط من الصف الأول فيعد من الواحد الى العشرة ومن العشرة الى العشرين الى المائة والمائتين والثلاثة والالف وحين يصل الى الالف يرجع الى الواحد ولما ينتهي الصف الأول يعود الى الثاني وهكذا الى النهاية وكلما اتم حساب صف يضع له حرفاً من الالفية بمثله عدداً مثلاً لو عد الصف الأول وانتهى بعدد سبعة يضع حرف الزين والثاني بمائتين يضع حرف الفاء والثالث بواحد حرف الالف والرابع بخمسين حرف النون واصل هذا العدد للالفية من الفينيقين للذين كانوا يستعملون التجارة وهم اللذين علموا الالف بآء للعالم وكان كل حرف عندهم بعدد لأجل عمل الحساب مع عملاتهم وهذا أيضاً من اختراع الفينيقين فيحصل لنا اربعة احرف هي النون والالف والفاء والزين وعنده جدول مقسوم الى ١٢ برج لكل واحد اسم مخصوص وتقسّم الاحرف الالفية على هذه البروج ويكون لكل برج حرفان او ثلاثة وفي هذه الابراج مسطور كل ما يطرأ على الانسان من فرح وكدر واحتياج وطلب ولما يستخرج هذه الحروف من آخر الصفوف يراها في أي برج كانت ومنه يعرف نتيجة ما يطلب منه بعد عملية اخرى لا حاجة لذكرها .

اخيراً تعلمت منه هذه الطريقة وسألته هل يضع النقط بعدد معلوم لكل صف فأجاب ان الروح هي التي تولمهم لوضع النقط ويكون عددها كما ينزأ لمكره وهذا هو سر الارواح وسألته عن ماهية الروح التي نكلمه وتلمهم فقال انه يستطيع ان يجعلني أؤمن به وذلك بسماحي كلامها فقلت له وما يجب علي عمله قال ان تكون في محل مظلم متفردين وان لا يأكل الا الزيت مدة ثلاثة ايام فأجبت على طلبه وفي اليوم المعين ذهبنا الى منزلي وكنت اعزباً فصرفت الخادمة ودخلنا سوية الغرفة المظلمة .

(استحضار الروح) دخلت معه الغرفة المظلمة ووضعت طاولة في منتصفها وجلسنا على كرسيين بازاء بعضنا وابتدأ يتنم الفاظاً غير مفهومة ويقول لي اسمع الصغير انه يستحضر لي الارواح التي تخاطبني بواسطة تحريك الطاولة مدققت بعمله جيداً ورأيت ان الصغير والحركة منه فقلت له يظهر انه لا يوجد عفريت الا انت فتبسم وقال لي بل يوجد آخر اعظم مني وهو انت اذ تبعتني الى النهاية دعني وشأني فهذه صنعتي اتعيش بها وانتهت جلستنا بسرور عظيم وبقيت على فكري الأول بالتنجيم .

(مركز الحياء)

كان أحد العميان يدعى ابو عمر وهو سفيه اللسان لا يستحي من شيء فقلت فيه :

ذهبت اطباء الزمان مع الخبر ان الحيا في الرأس طبعاً مستقر
لكني لما عرفت ابساً عمر خالفهم وجعلت مركزه النظر

تعلمي عزف العود

لما كنت احضر بعض الليالي المطربة التي يعزفون بها على الالات وخصوصاً العود وكانوا يسمون النغمة الفلانية من السبكا والاخرى من الدوكا ولم أكن ادر هذه ولا تلك كنت اتأثر كثيراً وبالصدفة كان يتردد علي رجل يشغل بهذا الفن وهو متقن عزف العود جداً لكنه لا يتعاطى عملاً لأن نظره كان بدا بالضعف لاصابته بلاء الزرقاء وربما كانت صداقته لي لأجل مداواته ولكنني اغتصمت هذه الفرصة خصوصاً لقلة الشغل في دمشق وعزمت ان اتعلم عزف العود او على الأقل اتلقى عليه علم الموسيقى حتى اذا كنت في مجلس استطعت ان اميز بين نغمة واخرى وكان اسم هذا الرجل :

(جرجي كاورك)

فاشترت عوداً من صنع يوسف النحاة الذي كان شهيراً في صناعة الاعواد وكان قد عمله الى مغنية ورفضت مشترائه غير اني لجلهلي بالاعواد اخذت بزخرفته ولم يكن صوته حسناً ولاني لم استشر من هو خبيراً بهذا الفن غرتني ظواهره وابتداء يطمني مبتدئاً بالسلم الموسيقي معوداً اصابعي على التنقيط وكنت حين اضغ اصبعي على برج اضرب عليه عدة مرات حتى تؤثر تلك النغمة علي ولا أعود اتساها وبعد مدة رأيت ان استاذني يعرف الموسيقى بالممارسة ولكنه لا يعلم درسها الحقيقي وأخبرني ان الدكتور ميخائيل مشاقه الشهير قد ألف رسالة في هذا الفن مستوفية الايضاح وحيث كان الدكتور ميخائيل مشاقه من اصدقائي وهو رجل شهير بالذكاء والعلوم والمعارك الادبية توجهت اليه وسألته عن تأليفه الذي كان لم يزل خطأ فاعطاني اياه وهو التأليف الذي حاول سليم ملور حين انشاء مطبعته في الشام ان ينشره ولكن المؤلف أبى ذلك فأخذت الكتاب ودرسته ونسخت عنه بعض الاشياء وأخذته أخيراً بمجلة المشرق من ورثته وطبعته في اجزائها باسم الرسالة النهائية لست بحاجة الى ذكرها وحيث ان الدكتور ميخائيل مشاقه من مشاهير رجالنا فنورد لحة من اخباره .

(الدكتور ميخائيل مشاقه)

ولد في ٢٠ آذار سنة ١٨٠٠ في قرية رشعيا في لبنان وكان أبوه خادماً عند الامير بشير فانتقل الى دير القمر وكان مفرماً بالحساب ثم درس علم الفلك واشتغل في التجارة حين كان بدمياط سنة ١٨١٧ وتولع بالموسيقى وألف الرسالة التي ذكرناها وبسبب الطاعون الذي ظهر بدمياط غادرها ورجع الى دير القمر فأرسله الامير بشير الى امراء حاصيا الذين أكرموا وفادته ثم اغرم بعلم الطب ف تلقى شيتا منه على كريس

الاطلياني الذي كان طبيباً في دير القمر وفي سنة ١٨٣١ حضر حصار عكا وعاد الى دمشق وراجع صناعة الطب على كلوت بك ثم صار ترجماناً للسرد وقصّل انكلترا بدمشق وفي سنة ١٨٤٦ ذهب الى مصر ونال الشهادة الطبية من القصر العيني ورجع الى سوريا واتبع المذهب الانجيلي وألف كتاباً ضد المذهب الكاثوليكي وذلك لمناورات حصلت بينه وبين البطريرك مكسيموس مظلوم وفي سنة ١٨٥٩ تعين قصّل لاميركا في الشام وفي سنة ١٨٦٠ جرح في ايدان الحادثة وقد خلصه الامير عبد القادر الجزائري وفي سنة ١٨٧٠ اصيب بغالج في جنبه الأيمن واقطع عن الاشغال وقد عرفته وهو بهذه الحال أما عقله فكان سليماً وقد حصل له حادث غريب وهو ان شئت الناريوماً في غرفته فلما أحس بقرب الخطر فزع من سريره الى الخارج بعد ان بقي ثمان سنين مفلولجاً وقد خلف اربعة ذكور وهم تصنيف الذي خلف اياه بوظيفته وسليم مبشر انجيلي وابراهيم واسكندر طبيبان وقد اهديت الدكتور ميخائيل نسخة من كتابي صحة المتزوج ونظمت له البيتين الآتيين :

ان كان للتأليف فخر يحني فلأنت جانيه وانت الذانحر
أفضلت حتى طود لنبان زهي ولفضلكم هـ هذا المؤلف شاكراً

وقد حررت الى ولده الدكتور ابراهيم كتاباً ونظمت له الايات الآتية ارسلنا مع منظار رحمي كنت استعرت منه :

جاءني مع منظاركم أنظاركم فشفى العليل بها وطبت مآثراً
وغدا المريض بطول عمرك داعياً وطيبه من طيب ذكرك شاكراً

(حسن العواد) وتولعت في الموسيقى مدة حتى تعلمت أصولها النظرية أكثر من الفعلية وهذا ما كنت احتاج اليه وصرت اناثر من حسن الغزف كما اترعج من ردايته وفي احدى اللبالي حضرت مجلساً فيه عواد اسمه حسن تشمتر من سماعه النفوس فقلت فيه هذين البيتين :

وليلة حظها قد بات يجمعنا منها لقد جمعت حاناً والحانا
شمعت انعام عود من يدي حسن كأنها لم تزل لليوم مصراننا

موسى الفتدي المرادي

هو من اشراف اسرات دمشق خال دولتلو احمد عزت باشا العابد وله ذوق بفن الموسيقى وكان يجمع اليه أغلب العارفين به وهو شاعر يحب الشعر وفي احدى الجلسات كان مجلسه الشيخ طاهر والشيخ سليم والشيخ انيس ونظم كل منهم موشحاً في الموسيقى فاقتديت بهم وهذا هو موشحي الذي نظمته :

فوق عود في دمشق اثرا
وغسلت اوتاراه لي وطرا
وعليسه الطير غصناً صفرا
وعياء في صباه طيبا
فبدا منه بكاء قد سبا

دور

عائق الطاءين طيباً وطرب
طسبت الحآن حب وحب
طاف بالخاهين خمر وخب
والسمع الصادين صباً وصبا
وسكرنا ليس بما سكبنا

دور

بابي طاهر قسد طأب السهر
يذهب الهم وأنواع الكدر
ليت ليلى كان معدوم السحر
انني عشاق هـاتبك الظبي
تكشف النفس بـاسرار الصبا

غرد الشحورور في وقت السحر
فجئنا منسـه اثار الشجر
أطربت الحانـه جنس البشر
جهـ الشادي كتبخ في ضنـه
فركت اذانهـ مـذ الحنا

هيج العود فؤادي عنـدما
وعليه الظبي لما دمـدما
فأرى الساقى خديداً عنـدما
قال خـذ كـأسـي ونـحلي الحزنـا
ما حوت خـداه عـقلي افتـنا

يـلـم الود غن ساحرا
ففسـدا انس أنـيـي حـاضراً
ومرادي صرت منـسـه شاكرـا
وقراري في الحـجـاز اعلـنا
وجوابي في سـاح عنـدما

سلم الود هو الشيخ سليم بابي طاهر هي نعمة موسيقية قرارها الدوكا وهناك الشيخ طاهر ومرادي هو موسى افندي .

الحجاز نعمة موسيقية وكذلك العشاق نعمة وجوابي هو الجواب في الموسيقى وهو المقام السابع بعد الاستهلاك مثلاً جواب الرصد الماهو الذي هو السابع لأنك اذا حبت الرصد والدوكا والسيكا والنوى والحسيني والأوج فيكون السابع الماهور بعد الرصد والصبا نعمة ايضاً قرارها الدوكا .

(تخميس الايات الآتية)

قلبي لطول المدى قسد عمه الكد
وزادني الشوق اضعافاً لما أجد
ومـذ وهي الصبر مني وانحى الجلد
جاء الحبيب وعيناه بها رمـد
والنار في مهجتي يصلي بها كبدي
وحين أقبل نحوي صحت واطربا
وقلت يا مهجتي ما تبغني اربا
فقال ارجو علاجاً قلت واحربا
اسن امياف قلتي عامداً بيدي

بيت العابد

أصل هذه الاسرة من العرب الموالي حضر منها الى الشام محمد العابد ١٨٨٠ هـ وهو امير امراء عشيرة الموالي وسكن فيها وولد قدور بك الذي ولد عمر بك والد هولوباشا الذي وصل الى اعلى المراتب والوظائف حتى أصبح نايبة الشام وقد كان متصرفاً بجناه وتابلس وعضواً في مجلس ادارة الولاية وقد اجتهد ان يعلم اولاده العلوم المصرية وهذا نادر في ذلك الزمن وقد اشتهر منهم دولتو احمد عزت باشا الكاتب الثاني للحضرة السلطانية العلية الذي ابتداء ان يكون كاتباً في قلم المكسجي في الشام ثم صار مميزاً فيه ثم باشكاتب مجلس الادارة ثم رئيس محكمة الحقوق في الشام ثم مفتش عادية سوريا ثم مفتش عادية سالونيك ثم عضواً في محكمة بداية الاستانة العلية ثم رئيس مجلس التجارة فيها ثم عضواً في شورى الدولة ثم كاتب ثاني للحضرة العلية السفطانية والان اذكر عنه عما نظرت منه في دمشق وابقى باقي اعماله الى مشاهدتي له في الاستانة العلية عندما كنت فيها ١٩٠٣ فانه وصل الى درجة عظيمة وحين كنت في دمشق كان من خيرة شبانها عقلاً وذكاءً وفصاحة متقناً للغة العربية والافرنسية والتركية وكان الوحيد بين الاسلام يعرف اللغة الافرنسية يومئذ يجب الشعر واجتماعه دائماً علمية أدبية ولما كنا نجتمع تناسر بالاشعار وكان يومئذ مشهوراً بالشعر الشيخ هلال الحموي الذي كان حياً وقتئذ يتردد على الشام ويمدح الامير عبد القادر الجزائري ومن اسرة بيت العابد مصطفى باشا شقيق دولته الذي أصبح الان والياً على الموصل فهو ذومعه ونشاط وعدل واستقامة .

(الشيخ هلال)

هو شاعر مطبوع ولكنه لم يحفظ مقام صنعته شاهده برهان افندي وحسن افندي اعضاء احد المجالس في حياه في قارة الطريق بحالة غير مرضية فامرا بحجسه تلك الليلة ولما استفاق بالغد ورأى ذاته مسجوناً وعرف الذي امر بسجنه حرر الى المتصرف الايات الآتية :

اننا لست اول طـــــــائر	هي حيز القفص انجمن
وهلال فضل عنـــــــه قـــــــد	عميت عيون ذوي الفطن
في بلـــــــدة عيمـــــــاء في	اعياها انقلب الزمن
بلـــــــد به البرهان خـــــــاف	والقيح بها حــــن

وهجا انساناً بقصيدة طويلة ولم اعد اذكر منها الا الايات الآتية :

ما قرّ قلبي بالهوى او طــــارا	الا ليقيضي منكم اوطـــــــارا
قوم لـــــــقد خلق الشعر لهم فلا	عجب اذا لم يشعروا الاشـــــــارا
ولادعين بـــــــدعوة نوحـــــــة	يسا رب منهم لا تزر ديبـــــــارا

وقد وجدتها الآن مطبوعة في بيروت . وهجا والده بقوله :

لو كنت جئت في زمان محمد ما جاء في القرآن برّ الوالد

ونظم تاريخاً لدار سعيد افندي الكيلاني في دمشق بايات كل شطر منها يحوي تاريخ السنة :

١٢٨٣ سيد الاشراف باليمن ابنتي	بيت حسن باهي الشكل مشيد ١٢٨٣
١٢٨٣ عين شمس الانس منه قد زهت	بننا الامناح والفضل المزيّد ١٢٨٣
١٢٨٣ يا له يتأ زهي بالعر اذ	ربه ابن الباز ذو القول السديد ١٢٨٣
١٢٨٣ دام في أوج التهاني مشرقاً	حيث في العلياء انشأه سعيد ١٨٢٣

ويوجد غلط في بعضها .

الامير عبد القادر الجزائري

أعظم ما يفخر به تاريخ الجيل التاسع عشر تاريخ الشرف والمروءة والشجاعة والشهامة والاحسان والنيرة والفضائل الانسانية التي أمّنتها الامير عبد القادر الجزائري الذي حارب فرنسا مدة اثني عشرة سنة غير انها اجبته واهدته ايقونة مكتوب عليها ما قلناه وسيفاً أقسم عليه ان لا يجرده عليها مطلقاً وبني محافظاً على يمينه حتى وفاته وكنت اعرف هذا الامير واتردد عليه وعلى اولاده الاميرين محيي الدين ومحمد اللذان بعد وفاة والدهما ذهبا الى الاساتذة العلية وتبعنا ياورين فخرين للحضرة السلطانية وقد اهديت نسخة من كتابي تحفة الراغب في صحة المتزوج وزواج العازب ونظمت له الايات الآتية :

اقبل هدية عاجز يا من له	تهدي القلوب وقلب هـادٍ شاكِر
ارجو الامير بغض طرف علومه	عن « تحفة » تأليف عبد قاصر
ان كان في تأليفه وجدت له	أقوال حسان وقسيدة شاعر
فيكون هذا ناشئاً عن كونه	أضحى بطوع عبد عبد القادر

وسألته يوماً اذا كان حين حربه مع فرنسا وجد رجلاً من قبائل اخرى فأجابني هذه الكلمة الفلسفية ان الفتى تولد الرجال وقد توفي في دمشق في ١٩ رجب ١٣٠٠ ودفن في الصالحية في مقام محيي الدين العربي وله قبر لحاله وتوفي عن عشرة ذكور وست بنات فالذكور هم الامراء احمد ومحمد ومحيي الدين والمهاشمي وابراهيم وعبدالله وعلي وعمر وعبد المالك وعبد الرزاق .

(لبس الخوام للطبيب) عندما حضرت من مصر كان لي ساعة مع سلسلة ذهبية معلق فيها ذخيرة زرقاء لطيفة وأما لبس الخوام فكنت أكرهه لأن الطبيب لا يوافق لبس الخوام اذ يلتزم ان يغسل يديه كل دقيقة لانه يوسخها بما يلمسه ان تكون سيئاً لأزعاجه في الترع واللبس فضلاً عن ان الحلي بأيدي الطبيب تقلل اعتباره بدلاً من ان تجعله في أعين الناس معتبراً اذ يظنون ان لا شغل له سوى التحلي وارتأيت ان مشترى كتب طبية او آلات جراحية تنفعني أكثر من هذه المجوهرات التي لا فائدة منها فلذلك لم ألبس خاتماً قط أما السلسلة والذخيرة فكنت محافظاً عليها جداً لانها لا يعيقاني عن العمل بل الساعة ضرورية لي جداً لأعرف منها الوقت ولما أتيت الى الشام كان قد خف شغفها عندي ولم اعد افكر بها وأهملت النظر الى السلسلة ويظهر ان الحلقة المعلقة بها الذخيرة انبرت وانقطعت وبالصدفه نظرت اليها فرأيتها بلا ذخيرة ولم اعلم اين فقدت وكان لي صديق صائغاً اسمه خليل يركات فذهبت اليه واخبرته امرى ورجوته اذا رأى الذخيرة مع احد معرضه للبيع في السوق ان يخبرني بها .

(لقاء الذخيرة) وبعد شهرين اخبرني خليل انه رأى الذخيرة بيد صائغ فضبطها وقال له انها مسروقة وهي تخص فلاناً فعرفه الصائغ ان الذي اتى بها اليه هو من اعيان البلد وانه أخبره عن كيفية وصولها اليه لما سأله عن ذلك قال ان له قرية تبعد عن دمشق اربع ساعات ذهب لمراقبة أعمالها فأتى اليه فلاح وقال له انتي بيينا كنت ابيع تبناً في سوق الخيل بدمشق رأيت هذه الذخيرة واريد بيعها فاشترتها منه بثلاثة غروش ولما رأيتها بلا حلقة أتيت بها اليك لعمل حلقة لها .

ولما كان الصائغ محتاجاً الى آلة للصباغة لأجل عملها اتى الى خليل يركات بالذخيرة ليعملها على آتته فلما عرفها خليل ضبطها فاخبرني ان ثمنها ثلاثة غروش فاعطيته ما طلب وارجعها اليّ فتصجبت من تلك الصدفه الغريبة واخبرتها الى جاري نقولا افندي فرح عضو دائرة الحقوق في دمشق وكان عمره خمس وستين سنة فقال لي ان عجبك يزول حين تسمع القصة الآتية :

(الخاتم في الملقوفة) اخبرني ان من عادات اهل الشام الذهاب كل ليلة تقريباً للترعة في الحدائق فتجلس كل عائلة أمام طاولة او يتترهون بالسير في البساتين يلتقون الزهور فأحدى السيدات بعد يوم نزهة فقدت خاتمها ولم تدر اين اصاعته وكان ذلك في بداية فصل الخريف ولما أقبل الشتاء مر بائع الملقوف حاملاً على حماره مقداراً يدور به على البيوت لأجل بيعه فر على بيت هذه السيدة التي اشترت منه ملقوفتين اختارتها من بين عشرين وفيها هي تفرطها لأجل الطبخ رأت خاتمها في احداها فكان الخاتم سقط من أصبعها يوم التزهة في ملقوفة صغيرة لما كانت تلتقط شيئاً من الارض وكبرت الملقوفة والخاتم فيها وبقيت محافظة امينة على وديعتها حتى ارجعتها الى صاحبها فقلت حقاً بعد ذا لا ارى عجباً .

أحمد باشا الشمعة

أصل هذه العائلة من الحجاز حضرت من ثلاثمائة سنة الى دمشق ظهر منها جملة علماء والذي دخل في التجارة هو الشيخ علي والد احمد باشا الذي ولد ١٢٦٥ هـ في دمشق ابتدا مع والده في التجارة بسن ٩ سنوات وسن ١٥ دخل في قلم المكنتجي وسن ١٧ توجه للاستانة في قلم الصدارة ثم حضر مع خورشيد باشا والي بيروت كان عضو للادارة مدة صبحي باشا بقي فيه تقريباً عشرين سنة وسنة ١٣٠٠ دخل بارادة سنية بمعية باشكاتب المابين وقابل الذات الشاهانية وفي اثناء ذلك أنعم عليه برتبة بكالربك وفي ١٣٢٤ نال رتبة بالا مع الأول العثماني والأول المجيدي ومداية الامتياز الفضية والذهبية ومداي اللياقة تعلق على صدره بيد الذات الشاهانية عندما كان في الاستانة ثم صار رئيس كومسيون الاراضي السنية .

وله ثلاثة أولاد رشيد بك الذي هو عضو في الادارة الان وسلم بك صديقي الخصوصي وهو الذي عرفني باخوته يتعاطى الاملاك ويحب العلوم وقد نظمت لأحمد باشا الايات الآتية عندما كان في الادارة وكنت في دمشق :

جـنـح الغـرب كـجـنـح لـيـل حـنـلـس	عـثـي بـخـطـوة خـائـفـ مـتـوسـوس
ان دار في دار الادارة لا يرى	خـلا بـشـوشاً او يـرى مـن مـونـس
لكن اذا رفع الحجاب اناره	نـور الـالـه بـشـمـعـة فـي المـحـلـس
يـهـدي الـي الحـق المـبـين بـشـمـعـا عـيـن	عـن صـنـع كـل اغـائـة لـم تـعـيـن
يرجو الغـرب بـشـمـعـه نـوال مـراده	مـن بـعـد يـأس مـن عـرـيـم مـفـلـس
يـضـحـي مـدى الـايـام مـنـه شـاكراً	ولـسانـه عـن حـمـسـه لـم يـخـرس

كاتبى صحة المتزوج

لما كنت في مصر ابتدأت بتأليف كتابي نخفة الراغب في صحة المتزوج وزواج العازب وفي ابتداء سنة ١٨٧٩ باشرت بطبعة مطبعة خليل افندي سركيس في بيروت وقدمته هدية لوالي ولاية سوريا حين ذاك ونظمت له القصيدة الآتية التي تغزلت بها في الابنة التي كنت أريد زواجها لها خال اسود على وجنتها البيضاء فشبهه بعنتر بن زبيبة حامي بي عبس :

فـتـكـت سـيـوف لـحـاظـهـا بـفـؤادـي	فـتـكـلـت مـن مـهـجـنـي بـسـواد
وتـكـلـت عـيـنـي بـرؤـيـسـة عـيـنـها	بـسـواد لـيـل دـام فـيـه سـهـادـي

وعملت مراض جفوتها جسمي ضنى
 وغابت عجباً قال لها
 وقد أكتت ثوب الحياء بنظري
 فرأيت ورد الحزن وهو مـدبج
 حاولت قطف الورد لكن أمها
 واتت بخيال في الملاحاة عمها
 فجمت من يضاء أصل خـمـالها
 يسطو برهف لحظها فحيتـه
 يحمي بني الصبي من نكد العدى
 لم يثنى من حب عـلـبة مرهف
 لكن دعاني عن هواها شأن من
 صدر لدولته بشاقب رأيـه
 الصدر يحوي القلب من عاداته
 رب الشجاعة والبلاغة والندى
 اهـدبت عليه كتاباً صفته
 وبصحفة المتزوجين دعوتـه
 حتى الرجال اذا اعتدوا بنصائح
 تأتي بمن يحكي فضائل والي

ونعاسها لم يعدني برقـاد
 من كان يلحاني من الاضداد
 فعلا يياض الخد ورد يـاد
 ترهو ازاهره بلا مـعـداد
 وشقيقها عملا على ابعـادي
 من شعرها متسلل الاجـداد
 عبد له العناق كالعباد
 ابن الزبيبة للكفاح يـنـادي
 ويصون ورداً لم تطلـه ايـادي
 حاشا قلت عارة بن زيـاد
 رجت لهيئته ثغور بلادـي
 والى الرعيبة منيد الاسـناد
 ونراه صـدراً حـلـل كـل فؤاد
 افضل والفخر الرجيب الثـنـادي
 لينال منه ملجأ القـصـاد
 وملائكته بفوائـد الارشاد
 فتعال منه صحة الأولاد
 فأكون اعظم نـفـع لبلادـي

وم طبع هذا الكتاب واستلمته يوم زواجي الواقع في ٢٢ حزيران سنة ١٨٧٩ ولما عدت الى الشام
 قدمته للوالي فأثنى لي بالنيشان المجيدي الرابع الذي كان يومئذ عزيزاً جداً وثلته في السنة التالية مع
 الشهادة الطيبة العتائية .

محمود افندي حمزة مفتي دمشق

هو العصامي العظامي سليل النسب الثالث والحب الطريف من أعظم رجال عصره وله مؤلفات كثيرة
 في اللغة وكان يشرح القرآن التبريف بالمعاط مهمة ولا نعلم ماذا آل الرمان بتأليفه وقد كان متعصباً جداً
 بالحنط حتى انه كتب الفانغة الشريفة على حبة ارز وكانت تقرأ بالنظارة المكبرة وكتب أيضاً الفانغة
 داخل زجاجة ولا أعلم كيف أدخل القلم في عنقها وكتب في داخلها وكان فصيح اللسان شاعراً أديباً ألف
 كتاب ترجيح البيئات وبالاختصار انه كان يومئذ نايعة الشام وكان له أخ اسمه اسعد افندي بني طول حياته
 عضواً في المحاكم وقد اكتسب شهرة عظيمة بالاستقامة وكرم الاخلاق .

الصوفانية في دمشق

الصوفانية هي عبارة عن متره عمومي بل هي جنة أرضية يشطرها النهر الى قسمين فكان المتزهرون يجلسون في القسمين المقابلين ويسمعون الغناء او يتعاطون المشروبات كل واحد مع اصحابه وفيما كنت يوماً جالساً وحدي على الشاطئ متأملاً هذه الرياض متعجباً من الاشجار وعظمتها ووضعاً يدي على الطاولة ومستنداً بها رأسي واذا بصوت يتنادي من الجهة الاخرى وقائل يقول بم تصفن في الصوفانية ومن أي شيء تعجب فانتبهت والتفت واذا هي احدى حور الجنة من اصدقائي ومعارفي متعلمة تحب الاشعار جداً وكانت دائماً تترجح معي لنسمع جواباتي التي كنت تسر منها على زعمها وعمل وصفها انها كانت فريدة في الشام بعقلها وعلمها وآدابها فارجل الشعر بخاطري ونظمت لها الابيات الآتية لأن سبب الشعر استظرف موضوعه بل هو شعور النفس ينطق به الانسان ولا يدري اذا راق للغبر وهالك ما نظمته لها :

وما بيننا نهر وفي قلبي جمرٌ	ولا جلسنا في حدائق جلق
ولا تنطق منــــــــــــــــنه وبينها نهرٌ	عجبت لئلا من فؤادي بخدما
بنهر وممع ان النحور له نحرٌ	وأعجب من ذا ان قلبي معلقٌ
حديثاً ولم يفعل به ابداً سكرٌ	وما زال عقلي صاحياً وهو سامع
كما كنت لم يلدخسل على مهجتي سحرٌ	عجيب اري في الجفن سحراً ولم أزل
ففي كبدي من خدما ابداً حرٌ	ولو كنت مع حور وفي وسط جنة
ونحرق في نارها ابداً سقرٌ	ومن عجب اني أقف بمنــــــــــــــــة

وقلت في مخدرة اسمها نور كانت بدية الجلال ذات خد وردي أفضله مذهبي على كل جمال لأنه دليل الصحة وأصحابه يكونون دائماً من المحبوبين لأنه مزاج اللطف والظرف والباشاة وقد سألت بعضهم ان أصف النور فقلت :

قالوا صف النور في شمر فقلت لهم
فمن تراب برائنا الله من عجلٍ
يا قوم لا ينبغي وصف الى النور
ومن ظلام ولكن نور من نور

وقد بلغني انها توفت هذه السنة ١٩٠٤ فحزنت عليها .

فردوس أفندي

كان هذا الرجل كاتباً في مجلس الادارة ويدعى بوظيفة مقيداً وكنت اذا دخلت غرفته تری مركزه على يدك اليمنى قرب الباب وفي الصدر الرئيس وأولاد النوات وكان من جملتهم أمين افندي الطرقي أحد

الكنيسة وهو من الشبان الأذكيا ذهب يوماً الى مجلس الادارة لكي أخذ غمرة الامر السامي الوارد من الاستانة العلية بشأن الأطباء والقاضي بأن الطبيب يلزم ان يذهب الى الاستانة ليؤدي الامتحان وينال الشهادة بعد ان يدفع خمس ليرات رسمها وان الطبيب من مدرسة مصر يكي ان يصادق على صورة شهادته من مجلس الادارة بدون ان توجه الى الاستانة فطلبت غمرة هذا الامر من فردوس افندي ولم يكن يعرفني فابتدى بالمحاولة ولما رأي امين افندي الطرقي سألني عن طلبي فقلت له أتمم كتابة ما بيدك من التحارير لم أخبرك قصتي وفي هذه المدة نظمت الايات الآتية:

يسا زائراً دار الادارة فانتبهه	عند الدخول يبها تترنم
في صدرها صف الملائك جالس	ورثيهم بشمالها يتنم
اياك تبدي خطوة يمينها	فردوسها عند القيود جهنم

فأخذ أمين هذه الايات وصار ينقلها من كاتب الى آخر حتى وصلت الى الرئيس حسين افندي فطلب فردوس افندي وتلاها عليه فاتى اليّ معتذراً ويده مرة الامر فقلت له اي اجزلك ثلاثة ايات وهي تخلص ذكرك وقد بلغني انه توفي لكن ذكره باقي كما تنبأت عنه ببت اياتي .

زواجي في بيروت

عندما كنت في بيروت اتيت اليها لمقابلة والدي الذي حضر اليها للملاقة رسم باشا عندما رجع من الاستانة قابلي الخوجا اسمع مطر عندما كنت عازماً على التوجه الى الشام فقال لي ان والدك بلغ عليّ منذ عدة سنوات ان أنجب لك عن فتاة تزوجها حيث وجدت صدقة في بيروت تعالى أريك الفتيات لعلك تحار واحدة منهن فافتكرت ان اجيه الى طلبة لانني باق في بيروت ذلك اليوم فأخفني الى بيت رايت فيه ابنة يزيد عمرها على الثلاثين سنة سوداء حولاء واخبرني ان معها (دوة) ثلاثين الف غرش فبقيت صامتاً الى ان خرجا فقلت له اذا كانت كل الفتيات اللواتي تعرفهن نظير هذه فخير لك ان لا تتبع وتتبعني قال اتبعني والتدبير على الله واخيراً أخفني الى اليسوعية وكانت الساعة الثانية بعد الظهر من نهار الأحد فوصلنا الى محل اجتماع الاهالي بأولادهم ورأينا ثلاث بنات مع اخوهن وكانت احدهن متزوجة واثنان باكرات فعرفني الخوجا مطر بالجميع وجلسنا نتحدث فكانت الاختان صاعيتين لي الا واحدة كأن لم يكن أحد ولما قرع جرس الكنيسة لأجل الزياح ذهب هذه لحضوره وبعد خروجنا سألني الخواجه مطر عن رأيي بها وهل اعجباني واية الابتين اختار فقلت اني ارجب التي توجهت الى الكنيسة وسألني كيف اخترت هذه مع كونك لست متمصباً بالدين قلت اني اريد الزواج لأجل الراحة وخصوصاً كطبيب اني اميل الى البساطة فشكرني على كل فكري وقال حقيقة لقد صدقت باختيارك فهذه الفتاة متتاهة بالتعلم والزانة حتى انها تتناول بلا اعتراف كما اجيز لها وعند المساء توجهنا الى بيتين وكان اخوهن واعيراً انفقنا على الأكليل بعد غنائية ايام وزوجتي هي مريم بنت خليل التيان واسرتها من أحسن عائلات

بيروت وأقدمها وعمي كان وكيل الأمير بشير أحمد قائمقام النصارى في لبنان وكان أول غني في زمانه في بيروت وكان عند زواجي متوفياً .

كان زواجنا يوم الأحد مساء في ٢٢ حزيران سنة ١٨٧٩ والذي كلنا هو الخوري يوسف بزماري وكيل مطران الدبس لأنه كان غائباً عن بيروت مع الخوري حنا العنلي الذي لم يزل حياً وقبل توجهنا الى الشام حررت لجاري ميخائيل ملوك وهو من التجار المعتبرين بان يؤث في منزلي لأن ما كان فيه من الاثاث كان يوافق المزاج واختبرته عن يوم سفرنا وأخذت حياي مي ولاقانا الملاقون الى دمر وكان دعائي الخواجه مخايل للوصول الى بيته .

لما وصلنا الى داره رأيناها مزدانة بالمصاييح والانوار والمدةوين كثيرين وهؤلاء الشهيرة تطرب بالحنان الشجية وكانت مائدة الأكل متقنة جداً فيها سائر انواع الحلويات والاثمار وبقينا الى ما بعد نصف الليل وعند ذلك انصرف المدعوين وحضرنا الى منزلنا فوجدنا الخواجه ملوك قد فرش بندق لطيف للغاية ولكنه لم يكن كافياً لمتزوج حديثاً بقينا تلك الليلة وكان عندي عشية اخذتها لخدمتي منذ ستين وخادم ومعهما رشيد .

ولما دخلنا الى منزلنا بالشام وكان غير متقن لانني كنت اعزياً وبقي كذلك نظراً لسرعة زواجي فرأيت ان امرأة عمي تنظر اليه بعين الاحتقار وتلفت بابنها فقلت بذاتي يجب ان اعلمها درساً جديداً ينسبها هذه الاشوة الاولى التي تلقها الى ابنتها فلا ترجعنا الى غيرها لانني بلغت ان حياي كانت قوية فبقي ذلك بفكري .

وفي اليوم الثاني عند الظهر كان طعامنا لذيقاً حاداً ومن جملة ما فيه الصبر فأخذت واحدة وقلت ان لا يزال بها شوكة ولم تنظف جيداً وكانت الخادمة واقفة قرب المائدة فصرخت بها لماذا لم تنظفي الصبر جيداً قالت انني نظفتها ما استطعت عندئذ قلت عن الكرسي وصرت اضربها وأقول لها كم مرة نهيت عليك ان لا تجاوبي متى كلمتك وكان لها عركة عظيمة وارادت زوجتي ووالدتها ان تتدخلوا وترداني عنها فلم أقبل منها وكان عجب الخادمة اشد لأنها كانت عندي منذ نحو سنة لم اسبها بشيء وهي أول مرة رأت مني هذه المعاملة فخرجت من الغرفة ورجعت الى محلي وانا صامت آكل وانا عابس الوجه لا أأكل اهدأ ولما انتهينا طعامنا ذهب سراً الى الخادمة واعطيتها ريالين اجرت ضربها وقلت لها هذه أمثلة لسواك لا لك وكانت ابنة حلال جداً لأنها قبلت الدراهم وبقينا بعد ذلك نحو شهرين في الشام ولم ار من امرأة عمي ما يدعوني للشكوى منها فكنت مرتاحاً كأني غير متزوج وقد اتبعت بعلمي حكاية الاخوين المتزوجين وهي :

(حكاية الاخوين) تزوج شقيقان سوية وكانت احدهما الزوجتين طائعة خاضعة لزوجها مرتاحة معه وهو مسرور منها جداً عكس الثانية التي كانت تكدر رجلها ولا تدعه يوماً مرتاحاً فاتى زوج هذه وسأله

حضور أخي أمين من مصر الى الشام

بينما كنت أودع الشام وأعد لولائي للانتقال منها واذ حضر أخي أمين فجأة بمناسبة العطلة المدرسية وكان قد مر علي أربع سنوات لم أره فيها ففرحت به جداً وبقي في الشام مدة عشرة ايام ثم طلب مني ان يسبقني الى والدي وسافر عن طريق البقاع ومنها الى مشرفة فجزين والمسافة لراكب الخيل يومين وبعد مدة التقينا في جزين وهذا هو اللقاء الوحيد الذي جمع ثلاثنا منذ تسع عشرة سنة .

حكايتي مع المغربي

بعض هؤلاء المحتالين يدجلون في الطب خصوصاً بامراض العين في أحد الايام كنت جالساً قرب باب منزلي الذي كان مجاوراً لمنزل حنا عازار فسمعت مغربياً يتادي طبيب العيون انا الطبيب اشفي الامراض فناديته وشكوت له مرضاً في عيني ولما رآني لا بأساً نظارات صدفتي وفحصني فقال اني مصاب بالماء السوداء قلت وما دواء هذا الداء قال الكي في العنق وسألته هل معه مكوي أجاب بالايجاب فكلفته ان يدخل ويحمي وفيما هو منهمك بعمله دعوت شخصين من الجيران وافهمتهما حكايتي وكلفتهما ان يسكاه لان مرادي كيه ولما عاد الرجل والمكوي بيده مسكه الرجلان والقياء بالأرض فكونيته بعنقه وقلت له هذا جزء من يخدع الناس ويدجل عليهم ويتداخل فامراض العين وهو بريء من معرفة أدويتها فان كنت لا تكفي بهذا القدر فانا اسلمك للحكومة وحين عرف اني طبيب هرب وبقي المكوي عندي .

ولما كنت عند والدي في بكاسين حين مرضه الاخير وانا حزير جداً خرجت من غرفته فرأيت رجلاً واقفاً في وسط الجمع يتادي قائلاً اني اشفي المريض بدواء واحد وبينما هو يتكلم التفت ورآني فجمد في مكانه برهة ثم تقدم وسألني هل أنت الدكتور شاكر الخوري قلت نعم قال وهل قطنت دمشق أجبت أجل فنهض مسرعاً وولى هارباً دون ان ينث بينث شفة فسألته عن سبب هربه قال اني لا انسى ما حييت ذلك الكي وركب بغلته واسرع بها ولم يبق دقيقة واحدة في البلد .

قائلي من الشام وتأثيرها علي

لا يخفى ان الشام بلدة زراعية يقسم أهلها الى قسمين الأول اصحاب الاملاك والثاني الصناع فأصحاب الاملاك يرتبون معيشتهم حسب ايرادهم والصناع يشتغلون لهم بهذا الايراد لذلك ترى الدراهم عندهم محدودة قليلة والقريب لا يمكنه ان يكتسب أكثر من صانع خصوصاً اذا كان طبيباً غريباً ليس له معاش مخصوص كاطباء البلدية والعسكرية وليس هو من أهل الوطن ولا ذا عائلة ساكن عندها يضطر لدفع أجرة منزله وعن أكله وشربه وأجرة لخدمه ولا ايراد له ليقم بهذه المصاريف لذلك مدة وجودي

بالشام اني صرفت بها علاوة على مدخولي نحوماية ليرا ولم أقم فيها أكثر من ثلاث سنوات أما الذي دعاني على هذه الإقامة بها فهو أُملي ان أكون طبيب بلدينا او بلدية اخرى تابع للولاية كنت اعيش بالأمل ومنتهى هذا العيش الخساره ولكن لما تزوجت وصارت لي واجبات أودبها نحو سواي لأهوم بمعاشهم عارفاً ان كل سنة سترداد عائلتي لم اعد ارى بالشام ما يكفيني لأن اهلها وسكانها يقولون لكثرة المهاجرة اذ لا يرى الصانع فيها ما يقوم بأوده ويكسب بالخارج أكثر منها أما الغنى فانه يرى فيها كل سعادة ورقاهية والراحة الجسدية والأدبية اما انا فلم أكتسب منها شيئاً مادياً قط .

أما علومها فليس فيها شيء من العلوم العصرية التي يمكن الانسان ان يعيش منها بل الجميع مقتصرين على العلوم العربية والشرعية وكنت انسى فيها صنعة الطب أما الذي أكتسبته فهو الجرأة على ممارسة العمليات الجراحية لأنني كنت الوحيد بين الاطباء الذي أقدم على ذلك في العين فصارت عندي بهذا الأمر مهارة فتحتني فيها بعد .

أما تأثيرها الأدبي فكنت لطيفاً مع الناس كمعادة أهل دمشق وتولى على الكرم فصرت أحب ان أضيف اياها كان كمعادة أصحاب الاملاك بدمشق فان الملك الذي عنده القمح والفاكهة بكثرة يستهل ما يبذله عكس التاجر الذي يدفع ثمنها دراهم معلودة فانه يهون عليه ان يدفع الى عتال فرنكاً ولا يدعوه لطعام ولو كلفه أقل من هذه القيمة أما صاحب الملك فانه يفضل ولحمة تكلفه عشرة فرنكات ولا ان يدفع فرنكاً واحداً نقداً وحيث ان الشام بلدة زراعية والشغل فيها قليل فيرى الانسان ذاته متفرغاً للمطالعة والعلوم والدرس لذلك تمكنت من مطالعة كتب عديدة فقرأت فولتير وفولته وروسو واليهودي التائه وكل الكتب التي يقال انها كثرية لأعلم ماذا ورد فيها او ماذا يعلم مؤلفوها وما يقولون فبعد البحث والاطلاع وجدتها ليس فقط عديمة النفع بل مضرة لأنها تعلم الانسان الازدراء بالاديان والقوانين والشرائع ولا تلقنه واجباته او ما يقوم مقامه وضررها الأكثر انها تجعل الانسان غير مقيد بقانون فالدين مها كان وكيف كان وأين كان يفضل كثيراً لأنه يحفر من ضرر الغير .

قبل ان نرحل من الشام أودعنا جميع امتعتنا في منزل جارنا مبخائيل افندي ملوك الذي حاسبناه بالمصاريف التي علينا أخذت منه أفشة حريرية هدايا لوالدي ووالدتي وبعض اقاربي وكان وقتئذ طلب منا دراهم فأعطيتهم نحوياً بخمسة عشر ألف غرش على محل اسعد ملحمة في بيروت فلما قبضه حرر لنا كمياالة به بفائدة المائة عشرة لحين الطلب وسندكر فيها بعد ما آلت اليه حال هذا الدين وكيف انتهى امره وكيف صح به المثل اذا ادنت أحد دراهم فتصبح عدوه في الأول اذا رفضت طلبه وفي الأخير اذا ادنته وطالبته بمالك فركبتا الدليجانس الى بيروت وارسلت الفرس التي كانت عندي مع رشيد ولما وصلنا الى بيروت بقينا ثلاثة ايام نستعد للذهاب الى الجبل ولم تكن العربات يومئذ قد عرفت فتوجهت مع زوجتي ورشيد ونمنا تلك الليلة في عيتاب بمنزل أحد اقارب زوجتي المدعو يوسف منصور الثيان لأنه كان مصيفاً هناك وفي اليوم الثاني وصلنا الى جسر القاضي بعد شروق الشمس وهناك تناولنا طعام الصباح وبيتنا نحن جالسون رأينا

اخي خليل قادماً للملاقاة من بيت الدين فتوجهنا سوية وبقينا عنده ثلاثة ايام ثم ذهبنا الى بكاسين بطريق معبور المزرعة وهي أخطر وأقيح واردى طريق في الدنيا كما قلنا فأنزعجت امرأتي لهذه الاسفار ولركوبها الخيل لأنها غير معتادة عليه وقبل وصولنا الى بكاسين بساعة رأينا أهل القرية كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً أتوا للملاقاة باطلاق البارود والاغاني والزلاغط ومعهم أناس من القرى المجاورة يبلغون الالف شخص وبقينا سائرين على هذا الحال حتى وصلنا الى البيت المهد لاستقبالنا وكان فيه ما ينوف عن الف مستقبل وكان يومئذٍ والذي في جزين استقبلني والذي في المترل وبعد ساعة حضر والذي فلاقيناه للخارج ولما رأنا صار يبكي سروراً وبقلنا وظل الناس يتواردون للسلام علينا من كل الاقليم مدة شهرين .

فصل الصيف في بكاسين ولبس قيص النوم

أمضينا فصل الصيف في بكاسين كمادة المتزوجين حديثاً أعني بالزيارات والافراح والتزهر وكنت دائماً لابساً قيص النوم لأنها توافقني بالجلوس في أي محل كان ولا تحفظ حرارة الجسم في الصيف فكان البعض يضحك ولكن ضحكة لا يضرني مثل لبس البنطلون في هكذا محلات وحرارته الزائدة بسببه وخصوصاً كنت في بلدي يعرفوني من غير لبسي لأنني مها كنت لابساً فأنا انا عندهم فلاحسن لبس يكرموني عندهم ولا حقارته تزريني باعينهم ولم ارباستقبالهم لي فرحاً بل كانوا يكرموني كأني لابساً طقمي الرسمي ومن ذلك الوقت صرت البس في الصيف قيص النوم وأوفر عليّ ائقال لبس الثياب الافرنجية لان الانسان اخترع لبسه على حسب مناخ بلاده فالبنطلون لم يخلق لبلادنا بل للبلاد الباردة اذ من المطر ان الثياب الضيقة تحفظ حرارة الجسم بمكس الملايس الواسعة التي يتجدد فيها الهواء دائماً وتوافق البلاد الحارة ولما اخترع البنطلون الذي يمنع لابساً عن جلوسه على الأرض اضطر ان يخترع الكرسي للجلوس عليها وحيث يلزم لتوليد الحرارة ان يأكل اللحوم بكثرة احتاج ايضاً للسكين والشوكة لأجل تقطيعها وأكلها فيتبع من ذلك ان حالة البلاد هي التي اخترعت الازياء فلبسنا البنطلون لبس قهرى لا يوافق الزى والمودة فلهذا متى وجد الشخص منا فرصة لتزعه بأي محل كان لا يتأخر عن ذلك ويلبس القمصان العربية ولهذا ترى اغلب الشبان يلبسونها مدة الصيف لأنهم اقتدوا ببى فيلادنا أحق أن تدعى بلاد القدوة لأن اهلها يجيئون هذه العادة ويميلون اليها جداً لذلك لا ابريء وجهاء البلاد من اللوم اذ بهم يقتدي الاهالي ان كان بالحسن أو بالقيح .

في هذه المدة حضر اخي خليل الى بكاسين وبقينا فيها الى تشرين الأول ومنها توجهت الى بيروت واستأجرت الطابق الاسفل من مترل شلي أفندي الباحث الكائن على طريق الشام وأحضرت معي أخي خليل لأنه خرج من الحكومة وارسلت استحضرت ائمة بيتي من الشام وفرشته قدر الامكان وذلك في ١ تشرين الأول سنة ١٨٧٩ .

سكني في بيروت

كنت في مضر ودمشق كأدم في الفردوس لا هم له سوى حاله وأما سكني في بيروت وقربي الى لبنان فكان مثله عندما خرج من الفردوس وقال له موتاً تموت اعني يموت عن حاله فصار يخدم غيره بزواجه وكنت بزيادة عنه انني حامل اتعاب والذي واخواني .

صدق من قال لا يهان نبي الا في بلده ولكن القائل لم يذكر سبب الاهانة هل هو ناشئ من البلد او من الشخص نفسه اما اعتقادي فافظن ان الشخص يكون الجاني على ذاته بتعرضه لنفع اقاربه او اهله او فته وحزبه وهذا الاختصاص هو الذي يسقط الرئيس لانه يجب عليه ان يكون خالي الغرض او يتظاهر بذلك حتى يعتبره الجميع واننا نكرم الصورة او التمثال لصحته فلو تكلم وميز الواحد عن الآخر لسقط اعتباره قبل ان احدى المعجائر كانت بعد القداس تأتي وتركم أمام صورة مار يوحنا مقطوع الرأس وتبدأ تصلي له وتطلب منه ان يخبرها عن يوم وفاتها وتبقى تصلي في الكنيسة حتى يخرج الجميع فصجر منها خادم الكنيسة واختفى يوماً خلف الصورة ولما سألتها عن يوم وفاتها قال لها الخادم ستموتين يوم غداً فتكدرت من هذا التبا وقالت مخاطبة صاحب الرسم لم يقطعوا رأسك عن شيء قليل بل لكثرة كلامك .

فأنا الذي عشت حتى الان بعيداً عن بلادي وأهلي ما كنت اعرف التحزب ولا الغرض ولكن لما عاشرتهم وسكنت بين ظهرانيهم ورأيت عدوهم يعاديني بدون سبب وصديقهم يصادقني ليسخري لان في بلادنا صاحب الذي يخسر أكثر من العدو لأن هذا تتبعه اليه ولا يمكنه يحكم كل وقت ولكن صاحب يخسر أكثر خصوصاً متى كنت طيباً والقصة الآتية مع عميلنا في بيروت تظهر حقيقة ما قلناه .

تغيرت في الطباع القديمة التي كنت اكسبتها من هذو المصريين ودماثة اخلاق الدمشقيين فكنت أظعن بالمرأين اللذين كنت اعرفهم والقصد ان ينكشفوا ولا يفشون احداً فالبعض كان يستأجر الفضيحة ويكف عن العمل الردي والبعض كان كأبن الملوخية .

(ابن الملوخية) كان رجل اذا قيل له ملوخية يتكدر ويشتم ويلعن القائل فأحد اصدقائه دعا اليه رجلاً وقال له اعطيك ريالاً اذا ذهبت الى فلان وقلت له ملوخية قال هاته ولا تأخذ الريال توجه اليه وقال له أنترف من انا قال كلا أجاب انا ابن القواد وامي عاهرة واختي فاسقة وصناعتي لص . ملوخية . ملوخية . ملوخية . فسكت الرجل فقيل له لماذا لم تتكلم أجاب انه يفخر بالصفات التي كنت أريد شتمه بها ولم تنق لي حيلة الا السكوت .

حاصله حضرت الى بيروت وسكنتها وانا لا اعرف احداً بها وكنت مصاباً بالأم عصبى في رأسي يمرنى النوم ليلاً والراحة نهاراً وكان اخي خليل في البيت عندي بدون وظيفة اخي الثاني أمين لم يزل تلميذاً في مدرسة الطب بمصر ووالدي ترك بعد شهرين وظيفته وهو مديون بمائة وخمسين ألفاً وهذه نتيجة خدمة الحكومة بصدق وامانة وكنت ملزوماً ان أقوم بمصاريف بيت بيروت ولا مدخول الا الذي أكسبه من عملي والشغل في بيروت كان وقتئذٍ كالعدم لأنني كنت مبتدئاً فضلاً عن كيد الاعادي الذين كانوا يريدون اغتنام الفرصة لأجل خرابتنا وتراكت عليّ كل هذه المصائب والانتعاب في آن واحد فاحترت بأي امر ابتدىء ان كان اوفاء الديون أم ترضية الخصوم او البحث عن شغل للقيام بالمصاريف هذه كانت حالتي لما قدمت الى بيروت وكنت مجتهداً ان اصبر الدائنين حتى أتمكن من وفاء ما علينا غير ان الاختصاص لم يرضوا ذلك وزيادة عما لهم من الدين اعتمدوا يزورون مبالغاً جديدة وهذا التزوير هو الذي نشطني لان بتزويرهم أصبح الحق معي وضعف حقهم (آه ما احسنت يا حق) فصرت انا الدائن وهم المدينون وقد كشفت هذا التزوير وغلصت منه والوسائل التي استعملتها وساعدني التقادير عليها هي الآتية التي نعلم كل من سقط بهكدا ظروف كيف يمكنه النجاة والخلاص .

اجتهدت على مركز اناله لشغلي وأحصل منه على شهرة وعلى مبلغ افي به ما على والدي وكانت هذه الاشياء موضوع تأملي وتفكري كذلك ان أجد واسطة توصلني الى المنصرف ليعرف الحقيقة واستعملت لذلك ثلاث طرق اولاً جبارتي التي اكتسبتها عندما ابتدوا يزورون كما قلت ثانياً عقلي الذي كان يقودني الى الطرق الموصلة للنجاح ثالثاً لساني الذي كان يوقف الذين كانوا يساعدون اختصاصي على تزويرهم .

وبعدما تعرفت بالدكتور سنس الفرنسي وذلك بسبب الألم العصبي في رأسي دعاه اليّ أحد اصحابي دخلت معه في خدمة .

المستشفى الفرنسي الأول

أسس هذا المستشفى الأخت جلاس رئيسة راهبات المحبة في بيروت التي حضرت من أزمير ومعها راهبتان وعند حضورهن لم يجدن محلاً لسكناهن فاعطاهن فورتنه بورناتليس منزله في بيروت ولدة تسعة اشهر وذهب الى قرية بناتر في لبنان وبنى كرخانة حرير وسكن فيها وذلك سنة ١٨٤٨ ولأجل هذه الخدمة لم تنس الاخـت جلاس ثم اشترت ارضاً على ساحة البرج كانت بستاناً الى بيت الشلقون وبنت فيها ديراً الى الرهبان العازاريين الذين يخدمون الراهبات ثم الكنيسة الشهيرة ومحلّاً لتعليم البنات ومحلّاً للمرضى وآخر للأطفال المتروكين وقد طب في هذا المستشفى بستلوسا ثم الدكتور سوكة الشهير وفي سنة ١٨٦٠ أنشأت مستشفى للمريض والنوم خدمه الدكتور سوكة ولما حضر الدكتور سنس في ايار سنة ١٨٧٩ استلمه من الدكتور سوكة وفي ١٤ تشرين أول من هذه السنة دخلت بخيمته وكان قسم من هذا المستشفى للمرضى الداخليين والقسم الأكبر للمخارجين فهو الوحيد الذي كان اولاً وكان يزوره يوماً لحد ثلاثمائة مريض .

جلاس

هي التي است كل ما هو للعازارين في سوريا ولدت في ١١ كانون أول ١٨١١ بمدينة ريفرغبار بفرنسا التابعة لابرشية ليون ودخلت الرهبنة في ٦ شباط سنة ١٨٣٤ في باريز ثم حضرت الى أزمير وبقيت فيها الى سنة ١٨٤٨ وفي ٢٤ ايلول من هذه السنة حضرت الى بيروت مع راهبتين ولم تعرف انها تعينت رئيسة حتى وصلت الى بيروت وكان الرئيس على العازارين الموسي لروا وقنصل فرنسا الجنرال الموسي بوره وكان أهالي بيروت يومئذ نحو عشرين ألف شخص وحلودها الصور المسى عصور .

(اعمالها) أولاً بنت الدير الموجود فيه الراهبات مع مدرسة البنات الداخلية ومكتوب على بابه الشمالى هذه الكلمة التي عليها مدار العالم للتمدن وهي (الرحمة)

- ثانياً : انشأت عملاً للبنات النيامى جنوبى الدير .
- ثالثاً : انشأت مدرسة للأولاد الايتام يتعلمون بها العتاتع .
- رابعاً : أسست دير رأس بيروت .
- خامساً : أوجدت الحديقة التي على طريق الشام .
- سادساً : عمرت مدرسة بمحلة الكورنتينا .
- سابعاً : أسست المستشفى الفرنساوي الكبير .
- ثامناً : أقامت ديراً بطرابلس .
- تاسعاً : جعلت ديراً في الزوق .
- عاشراً : انشأت ديراً في الشام .
- حادي عشر : أسست دير برمانا .

ثاني عشر : أقامت مدارس للبنات في لبنان . ثالث عشر وهو الأهم وهو الرحمة نبعينها بمستوصف الأناث الذي بني عمل المستشفى الأول والذي يزوره يومياً لحد مايتان مريض من كل الأمراض وهو شرقي الدير .

وكانت دائماً تقول لي انها تريد ان تنشئ داراً للعجزة وكانت تخدم المرضى بذاتها وتطعم الجياع وتقوي المرضى وتعزي الحزاني والمستوصف الباقي للان هو من صنعها ويعجز القلم عن حصر الخيرات التي عملتها هذه الأخت واذا اعتبرنا ان الانسان يكون عبداً للاحسان فيجب ان نكون جميعاً عبيداً لهذه الفاضلة التي فاقت بعقلها وتبديرها وحسن ادارتها وسجى مداركها على فحول الرجال وقد خلفت ادارة من بعدها لا تزالها الايام ويخضع لها قلب الانسان وهي ادارة الرحمة وعمة الفقرا فأني قلب لا يجب فتاة كرمست حياتها لخدمة البشر تطعم الجائع وتكسو العاري وتسعف الضعيف وتنشئ المريض وتعزي الحزين فهي لليتيم وللقيط ام وللعاجز ملجأ وللجاهل مطعة ترور المسجونين ولا تطلب أجرة سوى رضاه تعالى وكل الذين

ذكرته عنها كنت اشاهده بأمر عيني لانني قضيت معها ثمانية عشر عاماً اراها كل يوم تحضر لعندي لزيارة المرضى وتساألني عنهم وتذهب لحل توزيع الطحين على الفقراء وتنظر مراضع اللقطاء .

وعندما كنت اشاهد هذه الاعمال من الرثيسة والراهبات وأرى منهن من كانت جميلات الصورة وغنيات من اصل شريف يخدمن المرضى خدمة لا تقوم بها اهلهم وليس لهن غاية دينوية وقد عرفت منهن الأخت مرغريت التي كانت توزع الدراهم التي تأتيها من أرث ابيا على الفقراء فزال من غيلبي الفكر اغذي كنت اعتقده بالربان والراهبات وانهم لا يسلطون الاديرة الا لسد جوعهم ولكسلهم واعتقدت ان العامل الديني هو الذي يدفعهم الى هذه الاعمال وقد قلت يوماً لاحداهن لو صدق الكفار ولم تكن توجد آخرة ولا ثواب فتكوني قد خسرت خسارة فادحة أجابت ان اعتقادي بالآخرة واستراحة فكري واملي بالمكافآت الاخرى تجعلني في هذه الدنيا كفى السماء والحق يقال ان هؤلاء الراهبات كن يشتغلن أكثر من الفعلة ويعرضن انفسهن لخطر العدوى من الامراض وكفى الدين المسيحي فخراً انه انتج مثل هؤلاء الفاضلات لخدمة العالم ويخضعن لهن القلوب القاسية وقد سمعت بعض للترددين على المستوصف لما توفت الأخت جلاس وذلك في 4 تشرين اول سنة ١٨٩٧ ودفت في وسط الكنيسة الكائنة بمدرسة البنات في الديران المسلم يقول ان نفسها في اللجنة والاسرائيلي انها في حضن ابراهيم والمسيحي انها عن يمين الارب وهذا هو تأثير الاحسان .

(مساعدة الأخت جلاس) وكانت أعظم مساعدة للرئيسة جلاس الأخت اسطفاني التي لم تزل للآن بسن ثمانين سنة حافظة كل ذكائها وقواها العقلية وهي اللطمة لكل من أتى بعد الأخت جلاس في احوال الادارة وهي من الفاضلات .

(رفيقاني في المستشفى) لما دخلت في تعذيبه كان رئيسة الادارة فيه الأخت كليانس وبقيت معنا حتى نمر المستشفى الجديد ثم ذهبت الى بلاد العجم وعادت منها الى فرنسا حيث توفت بعد برهة وجيزة وكانت مدبرة ذات ذكاء ثاقب وأوصافها كباقي رفيقاتها الراهبات وخلفتها الأخت مرغريت ثم الأخت اوجني ثم الأخت جان وجميعهن باعمال واحدة في الخير لا يمكن تميز واحدة عن الاخرى كما انه لا يمكنك تميز واحدة عن الاخرى بلبسها لانه واحد ويوجد من هذه الراهبات عدد عظيم من ابناء العرب لا يمتز عن الافرنجيات بكل عمل خيري ومنهن الأخت مريم عكر موزعة الادوية والأخت روزلين من دير القمر ايضاً تغير على الجروح وماهرة جداً بقلع الاسنان .

(الدكتور سوكة) هو طبيب صحة جمهورية فرنسا في سوريا وقد كان كما قدمنا أول طبيب للمستشفى الذي انشأته الأخت جلاس وهو الذي رفع شأن الطب في سوريا وهو الذي جعل اجرة العيادة ريبالاً مجيداً وتوفي في فرنسا وأتوا بجثته الى هنا كما أوصى يصحبها احد اقاربه وقد استقبلناها الى البحر مع

القنصل لابتيت فيل فنصل جنرال فرنسا في سوريا وتوجهنا مع سنس ودفن في صربيا في القبر الذي انشأه وهو حيّ والان قائم على تلة فوق السكة الحديدية وكان ذلك سنة ١٨٨٥ .

ومن العجب انني عندما كنت أصلح هذه المسودة للطبع حضر لعندي كاهناً سربانياً من جوبنيه بدعوني من قبل الخواجات باغوص ماثوك لحضور حفلة نقل جثة اخيم المتوفي نجيب الى المدفن المقام له جنوبي كنيسة صربا التي جترنا فيها الدكتور سوكة ومن ذلك الحين لليوم ما دخلتها وغبطة البطريك الحالي اليوم كان حاضراً حفلة جناز سوكة وكان لم يزل خورياً وهو غبطة البطريك الياس الخويك الماروني ويصحبه غبطة البطريك افرام الرحاني السرياني الكاثوليكي في هذا الاحتفال .

المستشفى الفرنسي الحديث

قبل فتح المدرسة الطبية بنى المستشفى في المحل القائم به الان وكان رئيس اللعازرية في بيروت يومئذ الموسيو ده فن الذي اشترى ارضه وبناه ونقل اليه المرضى الداخليون واستقل بادارته اما المستشفى الأول فبنى للمرضى الخارجين وبقيت فيه طبيباً للعين ثم دخل الدكتور صوما بعدما تعلم في المدرسة سنة ١٨٩٥ وهو من الاطباء المعبرين وماهر في صناعته ولم أزل لليوم منذ ثلاثين سنة اطبيب فيه العميون والدكتور صوما يداوي باقي الامراض والمرضى خارجيون .

عميلنا في بيروت

ان هذه القصة تنبه كل من يتعاطى الاشغال الى عميله لان الاحتراس لازم مثلاً اذا كنت مسافراً وأخذت معك سلاحاً مفكراً ربما تلتنى بقاطع طريق فتدافع عن نفسك فاذا ما وجدت لصاً وكان معك سلاحك لا بضرك ولكن اذا ذهبت من دون سلاح ووجدت اللص فتكون خسرت يلزم ان الانسان يفكر بالأذى له قبل حصوله ويعمل احتراسات لئله عن وقوعه فيه من ان يسلم نفسه بدون اتباه للذي يحد عليه من المصائب وهذه القصة هي حيث لا بد لكل رجل مهم في الجبل من عميل له في بيروت وقد اتخذ والذي هذا الرجل التاجر عميله وكان يطلب منه اغراضه في بيروت ويستدين دراهماً منه بالفاضض وكانت له به ثقة عظيمة حتى أصبح كواحد منا كل من يتعاطى معه بالأخذ والعطاء خصوصاً المحرم أخني خليل الذي كان يساعده بقضاء اشغاله ولما أتيت الى الوطن صرت اتعاطى معه ايضاً وكان والذي استدان مبلغاً من جوسني المصور الذي أوصى بتركه الى البابا والقاصد ياتي وكل موسى افندي فريج يجمع الديون فسمح بروتستو على كل المديونين وقد حصل اختلاف بينه وبين والذي على رصيد الحساب الذي كان حسب والذي ألف وثماتماية غرشاً وعلى حساب فريج افندي اربعة الاف غرش واختبراً كتب عميلنا لوالدي يخبره ان موسى افندي لم يقبل الا بحسابه وكان والذي يعتبر الاشخاص أكثر من الدراهم فلكي لا

يحمل اختلاف بينه وبين فريج افندي كتب للعميل ان يدفع له مطلوبه فأرسل هذا تحريراً لوالدي فيها علم الحساب ومن جملة اربعة الاف غرش لفريج افندي رصيد الحساب وكذلك بعض اغراض وبقاى حسابات وكان مجموع ما يطلبه ١٢٠٠٠ غرشاً حرر له بها والدي كميالة .

وبعد حضوري الى بيروت وسكني بها كلفني والدي ان اذهب الى موسى افندي فريج واستلم منه الكيالات لأنه دفع قيمتها كلها ولم أكن وقتئذ اعرفه وتوجهنا اليه وسألته عن الكيالات قال انها دفعت ولكن لا اسلمك اياها حتى تأتيني بالوصلات فحررت بذلك الى والدي وأجابني انها مع عميلنا ذهبت الى دكانه وسألته عنها قال انها في المنزل ويحضرها في اليوم الثاني وفي القند لم يأت بها وهكذا جملة ايام بقي يراوغني ويحاولني اخيراً توجهت الى فريج وسألته عن عدد الوصلات لأنها مقيدة دون شك في دفاتره فأمر الكاتب باعطائي علمها فأخذته وارسلته لوالدي فتعجب غاية العجب من الوصل الاخير رصيد الحساب اذ مذكور فيه انه دفع لفريج افندي ١٨٠٠ غرشاً مع ان العميل ذكر انه دفع اربعة الاف غرش فعند ذلك عرفت سبب محاولة العميل وذهبت الى فريج افندي وطلبت منه تحريراً بحقيقة الحال فكتب لوالدي كتاباً يقول فيه ان رصيد الحساب الذي كان اربعة الاف غرش قبضناه اكراماً لخاطركم حسب ادارتكم الف وثمناغاية غرشاً وسلمني التحرير مع الكيالات بعدما أخذتها افكرت في الفش الذي ظهر من رجل كنا نحبه ونعتبره كواحد منا ونعتقد به كل الاعتقاد انه يلاحظ مصلحتنا وأربابنا بالعكس قد أخذ منا ما تركه الغريب لنا فقلت بذاتي كم غش هذا الرجل والدي هذه المدة الطويلة حين كان لا يظن بوجود مراجعة حساباته نظراً لثقتي به وافكرت ان اذهب اليه واصفحه أمام الناس وأكشف غشه غير اني ارتأيت ان ذلك لا يوافق فأخيراً توجهت اليه وأخبرته عن خلاصتنا من موسى افندي فقال لي كميالة باثني عشر الف غرش عند والدك اريد انقلها لاسمك لآنك هنا اقرب قلت له لا بأس من ذلك فقبر الكيالة علي وأخذت كميالة والدي منه مع تحرير اليه مفاده ان جميع الحسابات التي بيننا حتى الان قد انتهت ولم يبق لنا بدمتكم شيء . ولما استلمت هذا التحرير ارسلته الى والدي ورجوته ان لا يتعاطى مع هذا العميل ابداً .

ولادة ابني حسيه

في اليوم الثالث عشر من شهر ايار نهار الخميس الساعة الثانية ونصف بعد الظهر سنة ١٨٨٠ ولدت لنا ابنتا البكر التي دعوتها حسيه باسم التي كان مرادي اتزوجها في الشام ولما عرف والدي بولادتها ارسل لنا هدية من الجبل وفي شهر حزيران ذهبت لآزوره فقال لي انه تكدر لولادة ابنة لنا فأجبتني لم أزل وامرأتي بأول عمرنا وسندل لنا ذكوراً فيها بعد قال اعلم ذلك ولكن ارجب بأن اراهم قبل ان أموت وكان قوله نبوة .

وفاة والدي يوسف الخوري ابراهيم

ولد في ٩ أيار سنة ١٨١٨ وبقي حتى صار عمره خمس عشرة سنة كان يدرس في بيته العلوم البسيطة وفي هذا السن توجه الى قرية مشغرة بأمر المرحوم الامير بشير الشهابي لأجل المناظرة على الحديد الذي كان يستخرجونه من وادي السديان بين مشغره وكفرحونه وكان لا يسوغ لأحد من اهالي جبل لبنان ارساله الى الخارج وكان ذلك سنة ١٨٣٣ وبقي في هذه الوظيفة الى ان سقط الامير المذكور وبعد ذهابه حكم أقليم جزين آل جنبلاط واتخذاه احمد بك كاتباً خصوصياً له وتوجه مع مناصب لبنان بخدمة الوالي الجديد المرحوم الامير بشير ابو طحين الى باقا لمحاربة ابراهيم باشا المصري حين كان راجعاً من سوريا وبقي برفقة احمد بك حتى جرت الحادثة الاولى بين الدروز والنصارى وفي المدة التي انقضت بين الحادثة الاولى والثانية كان كاتباً عريباً في قونسلاتو دولة انكلترا الفخيمة بصيدا وكان يومئذ قنصل الجبل على سوريا الكولونيل روز بك ولما انتهت الحادثة الثانية طلبه سعيد بك جنبلاط من صيدا الى المختارة وبعد حضوره مدة وجيزة واستخدامه كاتباً خصوصياً له صدر الامر المشيري من بيروت بتولية سعيد بك على الشوف وأقليم جزين وأقليم الخروب وأقليم التفاح وجبل الرمان وبقي في هذه الوظيفة مدة سبع عشرة سنة ورجعاً عن اسهامه في الاشغال كان يتلقى العلوم العربية والفقه على فضيلة الشيخ ابراهيم الاحدب الذي استحضره سعيد بك لتعليم اولاده وقد نسخ سبعة عشر كتاباً بخط يده منها قاموس المطران والحريري والمتنبي وجملة كتب شرعية وفي هذه المدة تعين من قبل الحكومة مأمور النفوس بقضاء جزين وجبل الرمان وبعد حادثة سنة ١٨٦٠ وتشكيل متصرفية لبنان طلبته الحكومة الى القومسيون المعين من ذوات لبنان لأجل التحقيق على بوافي الاموال الاميرية ولما اعمل هذا القومسيون انتخب عضواً لمجلس ادارة لبنان عن قضاء جزين وهو أول عضو لهذا المجلس عن الأقليم مدة دولتو داود باشا وبقي ست سنوات وانتخب ثانية ثم نقله دولتو فرانكو باشا الى مجلس الدتفرخانة الذي كان رتبته ولم يكن موجوداً في نظام جبل لبنان وبقي بوظيفته الى ان حضر دولتو رسم باشا فألغى هذا المجلس وفي هذه المدة ذهب الى مصر لزيارتي ومعه ولده أمين فدخل هذا مدرسة الطب وعند رجوعه الى لبنان عينه دولتو رسم باشا عضواً في مجلس الجنايات الذي كان شكله حديثاً وفي هذه المدة مرض مرضاً ثقيلاً وفي ك ٢ سنة ١٨٧٦ تعين قاضياً على محكمة جزين وهو ثاني وطني كان فيها بعد سراييون ابي رزق وبقي بهذه الوظيفة الى أول كانون الثاني سنة ١٨٨٠ فيكون قد خدم الحكومة ٤٧ سنة وعاش ٦٢ عاماً وهذه المدة لم يعزل ولا مرة وكان له المركز الأول في الخدمات وهو أول عضو في مجلس الادارة عن أقليم جزين وأول عضو بدائرة الجنايات عن الموارنة وثاني وطني تول قضاء جزين وكان يبعد عن الشرك باقه والاضرار بالناس .

هذا مختصر تاريخ حياته . وقد تعلم الصرف والنحو والفقه والعروض والحساب والجغرافية والتاريخ وعلم الطبيعة وعلم الفلك بدون استاذ وهو منعمك بالاشغال الادارية المهمة وقضى حياته ولم يتشك عليه أحد ولا هو تشكى على انسان في الدعاوى الحقيقية وكان يساعد اعداءه كاصدقاته وفي مرضه الاخير الذي اصابه في أول تموز سنة ١٨٨٠ دعاني اليه من بيروت فتوجهت وبقيت عنده الى مساء يوم الخميس

الساعة الثالثة ونصف عربية الواقع في ٥ آب سنة ١٨٨٠ وهو تاريخ نظرتة الاخيرة الي وكلمته الاخيرة معي وكان دفنه في اليوم الثاني نهار الجمعة الساعة العاشرة عربية في ٦ آب وانتشر منعا فاجتمع الوف من اهالي اقليم جزين وعدد عظيم من الكهنة والرهبان في مأته ولا استطاع ان أصف الغم والكدر الذي اصابني بفقدته وكل من عرف سلوكي معه يقدر المصيبة التي رزئت بها لفقدته وكان دائماً مشغول الفكر نحوي من حيث الديون والعداوة وخلافها وكان يقول لي مدة مرضه انني حزير جداً لسببك ولما توفي شعرت كأنني منفرد في العالم دون محب حقيقي لأن من فقد والده يفقد المخلص والمشتار أما انشغالي بالدعوى فقد خفف من لوعي اذ لو كنت أحملت اختصاصي لكنت تلفت لا بحالة لأن الموت الحقيقي هو موت الانسان وهو حي اعني وفاة كرامته وجاهه أما الموت الطبيعي فأمر عمومي على الجميع وكنت دائماً ا تذكر هذا البيت :

كل المصائب عند الموت في صغرٍ وللموت عند هوان النفس في حقر

دعوى عميلنا

بعد وفاة المرحوم والذي قدم عميلنا دعوى عليه وان له بدمته خمسة وعشرين الف غرش وانه حولها علي ورفضت التحويل ويطلب الرجوع عليه ولم يكن عنده لاثبات مدعاه ورقة خطية بل قدم شهوداً على صدقه وهم اصهرته وأولاد عمه والذي دربه على هذا الامر احد اقاربنا وكانت الدعوى منظورة محكمة جزين التي كانت يومئذ حسب التشكيل الاصلي مؤلفة من قاض من الطائفة الأكثر عدداً من كاتبين أول وثان وكان القاضي يومئذ من الطائفة المارونية وناثبه درزي والكاتب الأول من طائفة الروم الكاثوليك والثاني من الطائفة المارونية وقد سعى العميل بالحصول على توصيات عديدة من المركز الى الهيئة الحاكمة وكان كل اقربائنا يساعدونه وبقيت وحدي ادافع وارافع واشترت نظام الحقوق وكنت أدرسه وسألت عنه بعض المشرعين فأجابوني انه لا يمكن لقاض ان يسمعها واخيراً توجهت الى المحكمة لرؤية ما يصير وعزمت ان أكمل القاضي واعرض له الدعوى كما هي مستنداً على عدم وجود مسوغ شرعي لاستماع شهادة الشهود .

(رئيس المحكمة) لم أكن اعرف هذا الرجل ولا سبق لي ان دخلت بدعوى فكنت أظن انه يصني للحق لأن هيئته الظاهرة الجامدة تدلني على ذلك ولما كنت أكلمه لم يكن يصني لحديثي بل كان جوابه الوحيد ان الحق بجانب خصمي ويعلمني ان أنكلم بالمحكمة كلاماً رأيته مضراً بي واخيراً تنكرت منه ولم اعد اعتبره .

(اعتراف اللص) في أحد الایام وهو نهار الاربعاء دخلت عليه فرأيتة يأكل زيتوناً وزعترأ لبخله لا كما كان يدعى لدينه فأتوا له بهدية وكان كأس من اللبن فقال الى الهادي اما تعلم انني لا أكل اليوم زفراً

فضحكت وسألني عن سبب ضحككي ظناً انني حسبه بلا دين قلت قد خطرت لي حكاية اعتراف قاطع الطريق قال وما هي قلت ان احد قطاع الطريق أتى يوم العيد الكبير الى كنيسة القرية ودخلها بسلاحه فاستباه الحاضرون لما عرفوه وأوسعوا له مجالاً فوصل الى الكاهن الخالس بكرسي الاعتراف فلما رآه ارتعب منه وسأله ماذا يريد قال اني اريد الاعتراف قال ابدأ بذكر خطاياك قال انني يوم أمس رأيت مكارياً قتلته وأخذت ما معه وما هو بالذنب الكبير أحسبه على رجلي وذكر له جملة خطايا وكلها حسياً على رجله فصرفه الكاهن وبعد ان خرج من الكنيسة رجع وقال للكاهن يا أبت انني نسبت خطية عظيمة اعظمها لا تتغفر قال وما هي قال اني أكلت لحماً يوم الاربعاء قال الكاهن فأحسب هذه على رجلي انا .

ولما سمع هذه الحكاية ضحك لخبثه وعندما نظرت هذه الحالة تركت الحضور الى الجلسات وحكم عليّ حكم غيابي فاستأنفته وحكمه كان بقبول الشهود على تحويل والذي اليّ بدون تحويل ولا كتابة تدل على ذلك وكان له أحكام لا تطابق النظام ولا الانسانية بل مرامه ومن جملتها الآتي :

(أحد أحكامه) ادعى رجل على آخر بأن له بناء سفلياً امام عليّة شخص آخر وان صاحب العلية له حق المرور على سطح هذا البناء وانه الان يقيم خيمة على السطح ويقطر العرق عليه فيتضرر من ذلك (الحكم) .

بناء على اتفاق الخصمين قبل صاحب البناء الأسفل بأن صاحب العلية لا يمكنه عمل خيمة مدة نصف سنة ابتداءها من تشرين الثاني لغاية ايار وفي السنة الاخرى يمكنه عمل الخيمة وتقطير العرق فأخذ الرجل الحكم وابتدأ يصرخ ويقول من في بكاسين يعمل خيمة بشهر كاتون ويقطر عرق العنب بشهر شباط وقد اراني الحكم فما قول القراء بهذا الحكم وهي في محكمة قضا جزين لليوم عن سنة ١٨٨١ وبني في وظيفته حتى تولى واصه باشا فعزله حين توجه الى جزين وعزل معه الكاتب وقد نظمت له اشعاراً ورد بعضها في القصيدة العمومية التي نظمها لموظفي رسم باشا وكان مجتهداً في تحميم الشكر برسم باشا لابقائه متصرفاً لبيق قاضياً وكنا نسميه النحاس وكان مستندا على مأمور اسمه فنجاس في المركز :

عبوساً بالنساء وبـ الخراذ
وكان الداء فيه بازدياد
وكان قضاؤه لامساً بصاد
وكان يختمه ختم الفساد
طليق الدمع ماسور الفؤاد
بنوح نادماً يدعو بنادي
فلا تترك حبيك في ابتعاد
وعيشي واتماني واشتدادي

وقفاض في قضا جزين يقضي
لذلك قد أصيب بداء صرع
أنساه عزل من ولاه يوماً
ولم تجزع به اختتام شكر
بكاه ناحباً معتوه عقل
ودار بنعشه بتساع يشكو
فراقك بفساد عليّ مر
بموتك مسسات عزمي واعترازي

وما النخاس من فحساس الا
يدجل بين فخذيه لضيم
ويتزل رأسه للأرض يومئذ
وفي كـلـ الأمور فلا تراه
ومن يرجو استقامة ذيل كلب
كـذـبـل من وراكـب وراـدي
يحرك يوم رغـد للتمـادي
اذا ما جاء عكس المراد
بحالٍ مستقيم للتمادي
يقود المستقيم الى الفساد

وكان النخاس من قوم لوط .

وقد حررت له كتاباً ونظمت له ابياتاً مخصوصة لحكمه وهذه هي :

حولت قلبي اليها حين بت لها
أمضت عليه سيف اللحظ قاتلة
حاولت ارجاعه شرعاً فما قبلت
لما رأى بندها قاضي الهوى ففضى
على المحول لم ترجع حوائثه
كأنه اليوم عباس يحاكمني
مـدبـون لطف وديني غير مكفول
لطفة فيه أضحى غير مقبول
وحاولتني بتحويل كـفـيـل
ظلمت عليّ بيند غير منقول
والحق عندي لذى جاء وبرطيل
والمال بغيره ضدي كمكحول

وكان عزله في ٣ أيلول سنة ١٨٨٣ .

استئناف الدعوى

بعد اصدار الحكم المذكور وتبليغه لي مع المضبطة استأنفته الى دائرة الحقوق بمركز متصرفية لبنان وكانت وقتئذ مؤلفة من افاضل اللبنانيين ورئيسها بطرس بك كرم واعضاؤها ارسانوس افندي المذكور عن الموارنة والشيخ سعيد حان من بناتر عن الدروز والشيخ يوسف الخطيب عن الاسلام وجبران افندي مشاقه عن الروم الكاثوليك واسكندر الخوري عن الروم الارثوذكس والسيد علي عن المتأولة .

وعندما كنت اسمع احد الاعضاء يقول انه لا يحكم بدعوى ما لم يأمره المتصرف على ذلك لان المتصرف أكبر وأعلم منه ولولا ذلك لما أصبح متصرفاً وحيث كنت اعلم عداوة رسم باشا ونخزيه لاضداده خشيت ان تبلغه المسألة على خلاف الحقيقة فيأمر بالحكم عليّ وعندئذ لا تستطيع قوة ان تضاده لان متصرف لبنان له السلطة المطلقة وكل المستخدمين تحت امرته المجردة يعزل ويولي من اراد ومتى اراد وان شاء تصدير دعوى احد يحرك عليه اقاربه فيصدرونها ويأمر بالحكم عليه فيكون الظلم شرعياً ولا أحد يمكنه رده الا اذا حركته الشفقة .

وكنتم اعتقد باستقامة رسم باشا متى عرف الحقيقة ولكن الوشاة كانوا يحيطون به ليكتموها عنه وكل حزب يمثلها له حسب مآربه ولم يكن يتنازل ليخصص عنها بذاته بل يستخير عنها من اتباعه المحدثين به وقد مهر اهل بلادنا بقلب الحقائق لذلك افكرت ان ابحت عن شخص غريب اخبره حكايتي وارجوه ان يبلغها لدولته ويعرض عليه مظلمتي ويرجوه بأن لا يصني لكلام الاعداء المفسدين وأمر الهاكم للقضاء عليّ وأخيراً أتأيت ان أذهب لمقابلة امرأة عبدالله باشا .

عبدالله باشا رجل انكليزي خدم الدولة المصرية ودعي بهذا الأسم ولما أحيل على المعاش اتى الى سوريا مع زوجته وبناته تصرف برسم باشا فكان يحبن ويكرهن لأنه كان عزيزاً ويتردد بكثرة الى منزل عبدالله فاشا فكانوا يضيفونه في بيت الدين بالسراي .

(اقتداء أهل بلادنا) نظراً للملاطفة رسم باشا للسيدات اقتدى به سائر المأمورين وكان بينهم شيخ بلغ من العمر نحو السبعين سنة حاز مركزاً عالياً وتربى التربية القديمة التي كانت تحم على الرجل أن يقول كلمة (اجلك الله) حين ذكر النساء فصار يستقبل السيدات ببشاشة وأنس وسأله بعضهم يوماً ما هذا الانقلاب يا عم أجاب هي المودة اليوم .

وبالاختصار اتنا تطعم بسهولة بطباع رؤسائنا .

(مقابلي امرأة عبدالله باشا) في أحد الايام توجهت لبيت عبدالله باشا وكان ساكناً في رأس بيروت ولا اعرف منهم احد فطرق الباب وحضر الخادم فاعطينه ورقة باسمي وطلبت منه ان يسلمها للسيدة وبقيت واقفاً في أسفل السلم وبعد قليل نزلت الى منتصف السلم وسألني ماذا اريد وهل ارغب بمقابلتها او مشاهدة الباشا زوجها ولما قلت لها اني اريد مقابلتها أجابت اني لا اعرف اللغة العربية فقلت لها اني اتكلم الفرنسية والانكليزية فدعني ودخلنا الى غرفة المائدة واعتذرت مني على استقبالها ابائي في ذلك المثل لأنها نزلت حديثاً من الجبل ولم تنعم فرش مترها وسألني ماذا اريد قلت سيدتي ان الناس يتقولون كثيراً وينهمون رسم باشا بما هو بريء منه ولعلمي صداقتك له جئت اخبرك ما تخبره حاشيته من المفاسد التي ينسبون لها ليتفقدوا اغراضهم وتأيدوا لقولي اسمي قصتي ان تكرمت وذكرت لها تفصيل حكايتي مع عميلنا وتزويره بدعواه وقتلها ان ميدان الطيب الذي يدعي التفوذ لدى رسم باشا من جملة انصاره وقد كفل له النجاح لانني عندما كنت في دمشق اختلفت مع الطيب ميدان (وكان ذكر ميدان شافع لي لانها تكره ابته غيرة) فأرجوك أن تتدخل بمسألتي وتخبري دولته حكايتي وأنا ارضخ لكل ما يأمر به بعد ان يتلو مضبطة قضاء جزين فوعدتني ان تفعل ذلك متى عاد من الجبل واعتذرت انها لا تستطيع الكتابة لهُ فشكرت لها فضلها وخرجت .

وبعد مدة اخبرني اسكندر بك توفي الذي كان يومئذ متحطاً نقوده عند دوله وكان هناك بعض

اخصامنا من المأمورين فقال لهم دولته من هو الدكتور شاكر الخوري الذي بان له دعوى لا يدعون له بالحكم فيها فأجابه احدكم (وكنت أظن به الصداقة لانه لم ير منا قط معاملة سيئة ولم تؤذ بشيء) انه شخص مفسد مقلق أخذ دراهم شخص مسكين وحتى الان لم يدفعها له فتشكى عليه قال وما هي مداخلة الطبيب ميدانا أجابه اقسام لدولتك ان ميدانا لا يعرف له وجهاً قال وهل كان هذا الطبيب بالشام أجاب الامير سعد شهاب الذي كان يومئذ رئيس مجلس الادارة نعم فحيثئذ التفت رسمً باشا وقال بغضب مخاطباً المفسد ان الدكتور شاكر تشكى منه ومنكم جميعاً بأنكم تتدخلون ضده فيزعم ان لا تتدخلوا بدعواه فيها بعد بأي وجه كان .

ولما عرفت ان دولته لا يتدخل بدعواي توجهت ثاني يوم الى دائرة الحقوق نشيطاً متقوياً وكان ضدي الرئيس بطرس بك كرم لان خصمي اتى له بعدة وصايات من سيادة مطران الدبس وكان لا يعرفني يومئذ ومع هذا لا يلزم مداخلة في مسألة لا يعرف حقيقتها لانه لم يستمع كلامي للحكم بيننا وهذه التوصية احتقار للحاكم لأنه اذا كان الموصى به محقوثاً فلا توصية سيادته تنفعه واذا كان اكراماً لخاطره يعطه الحق فهذا عيب عظيم فاذا كان سيادته معتقداً ان هذا الحاكم مستقيم فلا يلزم له وصاة حاصله هكذا كانت العادة فدخلت المجلس وكان قد مر على دعواي سبعة أشهر في الاستئناف ولم يطرحها الرئيس للمذاكرة لعله اذا طرحها لا يحكم بها فطلبت منه كالعادة انتهاء الدعوى فأجابني كالعادة سزاها في الاسبوع القادم وكنت قبلاً اسمع امره ممثلاً واخرج اما هذه المرة فأجبتني حتى متى التأجيل والتسويق فقد مر عليها سبعة اشهر ولم تطرحها للمذاكرة قال تشكى عليّ قلت هذا ما سأفعله ان لم تقدمها يوم غد للمذاكرة واعلم عندئذ انك انت خصمي لا الخصم ودولته لا يرضى هذا الامر خصوصاً بتحريك لرجل مزور وكان عميلنا واقفاً فسمعتني وقال انني ارفع عليك الدعوى الجزائية لاتهامك اياي بالتزوير قلت انني اثبت قولي واخرجت تحرير موسى افندي فريخ الى والدي يكونه قبض منه ١٨٠٠ غرشاً مع ان هذا اخبره بكتاب مرسل منه انه دفع اربعة الاف غرشاً وقد رأيت هذا التحرير بين أوراق والدي وقدمته للمجلس .

فلما رأى هذه التحارير بيدي التي تثبت تزويره سكت وأصفر لونه كذلك عروق الرئيس جمدة فخرجت وقلت سأرجع غداً .

(المصالحة على هذه الدعوى) وفي اليوم الثاني اتيت الى المجلس وبيننا انا واقف قرب بابه رآني الرئيس فخرج من الغرفة مدعياً انه يريد ازالة الضرر ولما رجع قابله وسأله ماذا يريد ان يعمل اليوم فضحك وأخلفني بيدي الى جانب وقال اصديقي الستم مديونين لهذا الرجل قلت بلى انا وأخوتي مديونون له ولكن ليس والذي قال وما هو مقدار دينكم قلت ستين ألفاً قال انه يزعم ان الدين أكثر من هذا القدر اجبته قد كذب بقوله وأظهرت له تزويره وكيف كان يقيد كل دفعة يرسلها لأخي امين ثلاث مرات وأطلعتني على خوافي سر هذه المسألة وقد كان بطرس بك عادلاً فحين رأى هذه البراهين وان دعواه على والدي محض افتراء اراد ان يصلحنا فقال لي ادفعوا لي ستين ألفاً وانا اصرف لكم هذه الدعوى قلت لا نستطيع دفعها

مرة واحدة بل تقسطها قال وهل لك من يكفلك على ذلك قلت نعم قال فليأت ويكفلكم ونحن نهي هذه الدعوى .

(سلم بك طرابلسي) لما تركت بطرس بك انشغل فكري لوجود كفيل لان ذلك وقتئذ كان عسراً جداً لأنني لم أكن اعرف احداً يستطيع تقديم هذه الكفالة خصوصاً لأن حالتنا كانت لا تجريء احداً على المخاطرة بهكذا مبلغ لكن اذا اراد الله توفيق انسان سهل له كل الوسائط من حيث لا يعلم فتوجهت حالاً لاذكر ما جرى الى ابن خالتي سلم بك طرابلسي اميرالاي ولم يخط بيالي ان اطلب كفالة لانه كان حريصاً جداً على كل ما يملكه ولا يتعرض لمثل هذه الامور ولا استطاع أن اصغ عجبني حين قال لي اذهب وقل لهم اني انا كفيلك فلم اصدق حتى رأيت علام الجذ بادية على وجهه واعاد علي كلامه فقلت له ان املاكنا تزيد على هذه القيمة فانا ارهنها عندك قال هذا الامر لا يكون ولو ذهب المال فداؤك فقلت بذاتي ان الله لا يريد خراب هذا البيت لذلك ارسل له مساعدة غير متظرة وتوجهت الى المجلس واخبرتهم عن الكفيل قبلوه وطلبوا حضوره فأتيت اليه واخبرته فترل حالاً ووقع على كسيالات التقيط وشرح عليا انه يقوم بالدفع يوم الاستحقاق اذا تأخرت عن دفعها وكنت أوفر ما اجمعه حتى اني به الدين كي لا يطالب احد سلم بك بشيء وهكذا انتهت هذه الدعوى وكانت كل اقاربنا تتوجه الى زوجة سلم بك وتخوفها من الكفالة حتى تبطل زوجها فما أمكن ولا هي فعلت .

(حضور اخي أمين) لما كان والدي في حالة الخطر ارسل تلغرافاً ل اخي امين يطلب حضوره اليه وكانت سته الاخيرة في المدرسة ولم يبق عليه الا أخذ الشهادة فحضر بعد وفاة والدي بعشرين يوم ثم رجع الى المدرسة قبل انتهاء الدعوى لأخذ شهادته فتوجه الى مصر وشر شهادته واستخدم طبيباً في العسكرية ثم نقل الى مستشفى دمياط وكان بمدة استخدامه يرسل قسطه من الدين الذي عليه والذي على اخي المرحوم خليل لانه كان بلا وظيفة واخيراً اسبنا كل الديون التي كانت على والدنا وقد أخذت املاكاً بما دفعته زيادة عن الهوي وبالبقي اقتسمناه .

كل من كان يعرفنا من اعداء واصدقاء كانوا يقولون ان بيتنا قد تلاشى ومن اين هؤلاء الاولاد ان يأتوا بهكذا مبالغ جسيمة في الجبل ولا بد لهم من بيع املاكهم التي سيأخذها شليط الذي كان يومئذ شهيراً بتلك التواحي نظراً لغناه ولكن تدبير البارئي قد رد كيدهم الى محرمهم .

الحية وابن الفلاح

وبعد انتهاء الدعوى اراد عميلنا ان يعيد الاشغال القديمة ونرجع تتعامل فقلت له هذا المثل كان لفلاح سيرة لزوب مواشيه وكانت تسكنها حية فكان يأخذ كل يوم ثلاث بيضات ويطعمها للحية فكانت بعد ذلك تبصق له من فيها ذهباً وترجع الى وكرها وكان يستمر على هذا الحال بدون ان يخبر أحد في

أحد الأيام مرض وقارب الموت فدعى اليه ولده الأكبر وأخبره بسر المسألة وان يلزم كل يوم ان يأخذ الى الحية ما كان يأخذه والده فتوجه الولد في اليوم الثاني وقدم البيضات وقبض الذهب ثم افكر ان لا بد من ان يطن الحية بملموه من الذهب فالأحسن بعد ما تأكل البيضات وترجع اضربها واقتلها واستخرج المال من بطنها فاستحضر على عصا واختافها وراء ظهره فبعد رجوع الحية الى مركزها ضربها فأصاب ذنبها فانقطع فرجعت اليه ولذعته في عقبه ورجعت الى عملها فحسم الرجل ومات وكان الأب رجع الى صحته فبعدما دفن ولده أخذ البيضات مثل العادة واتى الى الحية ودعاها الى الخروج فأبرزت رأسها من الوكر وشاهدت الأب راجعاً الى عملياته الاولى فقالت له انتهت كل معاملة مع بعضنا لفقد الأمانة فيها بيتنا فأنا لا يمكنني انسى قطع ذنبي ولا انت يمكنك تنسى موت ابنك فودعته وذهبت وهكذا نحن يا صاحبي وكان هذا آخر معادنا .

(انتهاء عميلنا) قد قيل لا تقاص من كان مرتكباً عن يديك لان استمراره على الارتكاب لا بد ان يجعل من يقوم عليه ويهلكه فان الذي اجراه عميلنا معنا جرأه على ان يستعمل هذه الطريقة مع الغير ولما تنبها الى امره صددوا الدعاوى عليه حتى انه نظراً لكثرتها اضطر ان يعطل شغلهم ولم يعد يجلس في مخزنه فخسرت تجارتهم ولكثرة مصاريف الدعاوى انهك جسمه الذي كان لينفاوياً صغروباً ولم يمكنه احتمال هذه المشاق فمرض وتوفي خلفاً لطفلاً صغيراً وأرملة جاهلة لا تدرى شيئاً وكان باقياً له ديون عند كثيرين في الجبل ارادوا اختلاسها فساعدتهم مع المرحوم اخي خليل وحصلنا لهم مائتين وخمسين ألفاً وكانت الدراهم التي تحصلت تودع عند الأم لأنها وصية اولادها لكنها كانت تبذر المال ثم قامت الدعاوى بينها وبين اخوتها لوراثة والدها وكان الجميع يساعدها اما الان فقد تزوجت ثانية وتركت اولادها وذهبت مع زوجها الى امريكا .

وبعد وفاة عميلنا حصلنا له كل ديونه ما عدا الذي كان له عند قريبنا الذي لقي الفساد بيننا وبينه ودبره على تلك التزويرات ولما سقط وسقطت عائلته لم يلتفت اليه بشيء وطالبه صهره بالمبلغ المديون وهو ستون ألفاً أجابه وقد كنت حاضراً اني لا أسلم هذا المبلغ الا للأولاد واخيراً توفي وكاد الأولاد يموتون من جوعهم ولم ينلهم منه شيء أما نحن فنشكر فضل قريبنا الذي سعى بضررنا وخرباننا ولكن سعائهم عادت علينا بالضع اذا انتهت لعميلنا الذي كنا نأتمنه ونستهل الاستدانة منه حتى كدنا نصل الى الخراب ولكن نيقظنا واجتهدنا بسداد ما علينا دعانا الى كشف الستار لذلك صادقت قريبنا المذكور وصرت احدهم في اشغاله ولما توفي لم ير غيري مدة مرضه اما الشهود الذين شهدوا على والذي فقد ألت بهم مصائب جمة وكنت اساعدهم وقد لامني بعض الناس على ذلك فأجبتهم ان الله انتقم لي منهم عني اذا وصلهم الى هذه الحال ومهما كان انتقامي شديداً لا يوازي انتقام الله منهم .

ان هذه القصة تعلمنا ان لا نسلم ذاتنا لأحد بل يلزم التدقيق في الحسابات ويجري النظام والقانون في كل اعمالنا ولو شغلنا مع اخوتنا لاننا نرتاح اذا حصل اختلاف بيننا الذي لأجله وجدت الحكومة فكما ان

حادتي السرقة وهي الدين نيتا فكري للبحث عن الدين كذلك نيت هذه الحادثة فكري الى الحكومة
وابتدأت اعمل مقابلتها مع جسمنا الذي هو محكمة وهذه المقابلة هي :

ضرورة السياسة للهيئة الاجتماعية

السياسة هي أول ضروريات الهيئة الاجتماعية وعليها مدار الترتيب والنظام الاجتماعي ويستحيل
الاستغناء عنها لأن شهوات الافراد والطامعهم تجعل الاختلاف دائماً بينهم فوجب والحالة هذه حصرهم
بحدود وشكيمة هي القوانين التي اساسها الاستقامة اي اعطاء كل ذي حق حقه ولما تكونت هذه الشريعة
وجب لها اناس مخصوصون يديرون حركتها ويسرون بموجبها وهؤلاء هم الساسة ولا توجد جمعية قط بدون
قانون او ناموس وكل ما اشترك اثنان او أكثر بعمل فلا بد من نظام يتفق عليه قبل مباشرة العمل ويجب ان
يكون النظام موافقاً صالح الفريقين نافعاً لهما ومتى نفع النظام فقد وافق العقل الذي هو اساس الشرائع التي
تقسم الى قسمين الواحد يتعلق بحقوق الافراد بين بعضهم وهو المهم والثاني يتعلق بحقوق الهيئة عموماً مع
هيئة أخرى وهذا هو القسم السياسي اذ دائماً يفضل الصالح العام على الخاص ولأجل تنفيذ هذه الأمور
كلها وجب ان يديرها فئة معصومة يرأسها شخص تعطي له السلطة ومن مساعدين له في اجرائها وحيث ان
هؤلاء يتجردون لخدمة الموموم وجب ان تخصص لهم الرواتب الثلاثة بوظائفهم وان يودع المال العام تحت
ادارتهم وان يتخبط مدير لهذا المال واذا حكموا بالحق وحكموا الفريق دون آخر واراد العصيان وجب قوة
لردعه تكون خاضعة لهم لتنفيذ اوامرهم ومنع كل تعدي على الافراد او الموموم فانظر ترتيب الخالق
لمخلوقاته فانه اسس كل هيئة على هذا القانون وهو ما ثبت ان الطبيعة صنعة عاقل اذ ميزت كل واحد
بشيء فالواحد قوي والثاني ضعيف كبير وصغير ليم النظام اذ لو وجد شخصان متعادلان ورفض احدهما
الطاعة للآخر وحدث اضطراب في الجمعية لخربت لذلك قد حصر الباربي السلطة بيد واحد . قرأت بعلم
الفلك ان الشمس هي ام الكائنات وبواسطتها يتكون عالمنا الشمس وتعلم كيف تدور النجوم السيارة حولها
وكيف هي منجذبة اليها وتدور حولها على نواميس وقوانين لا تتغير وكيف ان النجوم الثابتة لها قوانين ولكل
منهم سير مثل شمسنا وهو مملكة اخرى ولو فرضنا ان المريخ اراد عصيان الشمس وعدم الدوران حولها او
عدم الانجذاب اليها فيتحرك حركة غير قانونية او يسير سيراً معوجاً افلا يخرب الكون الشمس .

وأعظم برهان نقدمه لو مشت المنظمات السياسية عليه لكانت ثابتة ابداً وهو الترتيب الذي وضعه
الباربي في خلقه الانسان تأمل هذه الهيئة السياسية كيف تجري احكامها وترتيبها وانظر الاعضاء كيف تتم
وظائفها على ما ينبغي وتجري لغاية واحدة وهي حفظ الحياة ومتى غير عضوا منها سيرة الطبيعي مرض او
مرضت الاعضاء الاخرى وكانت النتيجة عكس الغاية وهي الموت .

أما لأجل قيام الحياة فليزم جهاز مخصوص مكون من اعضاء لكل منها قانون مخصوص ولتقابل الان
بين اعضاء الجسم واطعاء الهيئة الاجتماعية فنقول .

المقابلة بين الحكومة والجسم

لأجل هذه المقابلة يجب ان تعرف الاعضاء التي تتألف منها الحكومة وهي :

من الحكومة	مقابلاً	من الجسم
اولاً الملك	مقابلاً	الرأس
ثانياً الوزير الأول او صدر الوزراء		الرئة
ثالثاً وزير المالية		القلب
رابعاً الخزينة		المعدة
خامساً الدرهم		الدم
سادساً العسكرية		الاطراف
سابعاً السفراء		الحواس
ثامناً الولاة		الاعصاب
تاسعاً المفسدون في المملكة		الافرازات
النتيجة منهم جميعاً العدل		الحياة

ولنفحص كل عضو من الجسم ووظيفته ووظيفة كل عضو من الحكومة ولنرى قبل كل ذلك هل السياسة ضرورية للهيئة الاجتماعية .

(الرأس) هو أعلى الاعضاء مركزاً تحيطه الحصون من كل ناحية فالشعر يقيه الحر والبرد وله علة مخصوصة موضوعة في الاعلى تمنع عنه الصدمات الخارجية ولو كان الرأس على القدمين لتعرض كل ساعة لصدمة بالأرض وله بمجانب اطرافه العليا خفراء تنقي عنه العوارض فلا يسيب نرى هذا التحفظ الكلي للرأس بخلاف الاعضاء الاخرى : الجواب لان الرأس وظيفته مهمة جداً وعليه مدار الحياة وهو يدير الجسم ويحركه بأمره لأجل نفعه لانه مركز العقل ويميز النافع من الضار وحيث ان جمعية الاعضاء عرفت فضله وان كل اوامره آتت لنفعها اطاعته فهو يشعر بكل ما يحتاج اليه باقي الاعضاء ومتى وجد عضواً في خطر يأمر باقي الاعضاء بالمحاربة عنه واتقاذه من الخطر مثلاً لو مست القدم ناراً واحترقت يشعر الرأس بذلك سريعاً فيأمر باقي الجسم بالابتعاد عنها فترجع القدم عن النار وتطيعه الاعضاء لانه يشفق عليها ويدافع عن حياتها ولو شعر باحتياج الاعضاء الى غذاء يأمر القلب بموزع الدم بإرسال القدر الكافي لكل عضو فهو لا يميز الواحد عن الآخر ويعطي كلاً حسب اهميته ويساوي بينها فيأخذ العضو ما خصه حسب عمله . ولو شعر ان المعدة فارغة يأمر الاعضاء كالاطراف وخلافها ان تذهب وتسعى لجلب الغذاء . ولو أحس بشيء نافع او مضر يجهز باقي الاعضاء لرفع الضرر وجلب النفع النتيجة ان الرأس يعرف كل شيء وهو عامل على سد احتياجات كل عضو وهو مربوط بالجسم ولو بعيداً عنها بواسطة الاعصاب المتصلة به

فهو هو كل شيء وجميع الاعضاء تحت امرته لا يفعلون شيئاً بلا ارادته يجلب النفع لاعضاء الجمعية ويرفع الضرر عنها يقطاً عليها شقيقاً رؤوفاً والحياة متعلقة به كما ان حياته متعلقة بباقي الاعضاء ولو خرج عضو عن وظيفته يضر نفسه والجمعية والرأس .

(الملك) وظيفة الملك الحقيقية هي وظيفة الرأس فانه اعلى الجميع ويحاط بتحفظات قائمة لخدمته كالرأس فالاحتجاب والخفاء والحراس لازم له ووظيفته ملاحظة كل أمور المملكة ليعرف احتياجها ويعمل الجهد الكلي لرفع الضرر عنها وجلب النافع لها وان يحامي عن كل عضو او كل فرد من تبعته ويلاحظ جميع الأمور في اشتغالهم حتى اذا اخل احد بوظيفته يعطده لان وجوده يضر بالهيئة وبالمملك وان يعمل الصلات بينه وبين شعبه بواسطة الأمور فيعرف منهم حقيقة احوال ملكه .

(الرئة) هي العضو الثاني في الأهمية بعد الرأس وبها يتقى الدم ويدخل الهواء من الخارج الى الجسم وهي عضو الصوت ووظيفتها مهمة جداً ولذا وجدت في الصدر محاطة بقفص عظمي من ناحية لأجل حمايتها وبجانباها الاطراف العليا لتحميها وتحمي عنها وهي اقرب الاعضاء الى الرأس ووظيفتها مهمة جداً اذ بتنقية الدم تصطلع جميع الاعضاء فيدخل النافع الى الجسم ويتردد الضرر اما اذا فسدت فتضر الجسم بل تؤدي بحياته .

(الصدر الاعظم) له الوظيفة المهمة بعد الملك فانه يصلح احوال المملكة الداخلية ويدخل اليها كل شيء نافع لبلاده فاذا فد وادخل اشياء مضره يضر مملكته كالثرة التي عوض ما تدخل الهواء التي الى الجسم تدخل اليه هواء مملوء بالابخرة المضره فضررها يكون عظيماً لأنه كل ما زادت اهمية الوظيفة زاد نفعها او ضررها .

(القلب) وظيفته توزيع الدم الى كل الاعضاء واستقبال الدم الوارد منها فله دورتان يستقبل لكي يصلح ومنى يصلح يوزع ويكون توزيعه بامر الرأس الذي يرسل اليه العصب الرئوي المعدي فيحركه دائماً ويفرق الدم على الاعضاء حسب حاجتها فان نقص او زاد تختل الميزانية وتلف العضو ويحافظ عليه كمحافظة الرئة لأن اهميته عظيمة .

(وزير المالية) عليه ان يوزع المال الذي هو عبارة عن الدم الى جميع الاعضاء بأمر الملك حسب احتياجهم ويصلح المالية .

(المعدة) هي الخزانة لأنها تقبل كل شيء داخل اليها من الخارج وتعهده ليصلح للغذاء وترسله الى القلب الذي هو وزير المالية وتحمل الداخل اليها الى واحد فان قل الغذاء فقدت الاعضاء حياتها كما انه اذا فرغت الخزانة من المالية فلا تكفي مصاريف موظفيها .

(الاعصاب) هي التي تتصل من الرأس بالجسم وتليقها ادارة العضو الواصلة اليه فتخبر عن حاجاته ولوازم الرأس وتنفذ اوامره بتحريكها وتيسيتها للعمل وهي اعظم شبيه للولاة وتوافق دائماً الشرايين والاوردة التي تحمل الدم من القلب واليه وتشابه الشرايين والاوردة مديري الاموال بالجهات والاعصاب تحكم الاجزاء فلو اجهلت لمدم صلاحيتها او مرضها فتلف ومتى قطع اتصالها فلا توصل الحاجيات الى المركز وتغوت .

(الولاة) هم بالحقيقة الاعصاب فانهم يخضعون لاوامر الملك وسلطته فلا يعينون الا بامره وبواسطتهم يعرف احوال رعيته لانهم يوصلون احوال الاعضاء ويرافقون وزير المالية فيجمعون المال ويصرفون الرواتب ويقبضون الخراج كما توافق الاعصاب الشرايين والاوردة فتى كانت هذه الاعصاب سليمة تقوم بوظائفها في انتظام وان تعطلت او اصابها مرض فسدت كذلك اذا قسد الولاة ولم يعلموا الرئيس بمرض الاعضاء ليتلافاه بالدواء اللازم وكل قسم من الجسم عبارة عن ولاية الوالي فيها بمقام العصب ومأمورو المال بمقام الشريان وكلها عائدة الى المركز الاصلي فواجبات الولاة مهمة جداً الا وهي اخيار المركز الاصلي اي الملك كل ما يلزم للولاية وما هو نافع لها ويحافظون على الذين تحت ادارته فاذا كان الوالي سليماً فهو النافع واعظم مرض للعصب هو تفرقه عن الرأس واعظم خطر يصيب الوالي هو عدم طاعته .

(الاطراف) هي التي تظهر أدنى الاعضاء وهي ذات أهمية عظمى لانها تتمم العمل وبدونها لا يقوم الجسم فهي تحمل ثقله كله كما في الاطراف السفلى وتفتش على الغذاء من الخارج كما في الاطراف العليا وتدافع عن الجسم وعن كل عضو وتغني كل آفة وتعرض نفسها للخطر لأجل وقايتها فالاطراف العليا تشبه الخيالة والسفلى المشاة .

(العسكرية) هي حاملة اتعاب المملكة والحماية عن حقوقها فتجمع المال من كل ناحية وتفتح البلاد بلدها وترى الاطراف مرتبة بوضعها كترتيب العسكرية ومستعدة دائماً للحرب فالعسكرية مؤلفة من انصار ومن رؤساء وقادة عشرة ومئات والوف وفيها القائد الكبير وكلها تتحرك بأمر الملك والاطراف لها هذا الترتيب ايضاً اذ ترى الاصابع مركبة من السلاميات الصغيرة وتعرضها الدائم للاختطار تزاماً لآلية درع من الاظافر وهي عبارة عن المدرعين الذين يسيرون امام الجند كالنبطجية وبعد هذه السلاميات الثانية وهي أكبر من الاولى فالثالثة أكبر من الثانية والرابعة أكبر الجميع ثم يأتي المشط وهو عبارة عن أركان حرب يجمعها الرسخ وهو القلعة ثم الضابطان وهما الرند والقصة والشظية في الساق ثم القائد الكبير وهو العضو في الاطراف العليا والقفز بالسفلى وتتصل اليها جميعها اوامر الملك وهو الرأس بواسطة الاعصاب فتري ان الانفار حين الحرب هي أكثر تعرضاً للخطر وعددها أكثر من الجميع ثم المشط الذي هو أكبر وأقل عدداً ثم المساعد فالضمد وهذه الاعضاء التي تشبه العسكرية شيئاً كلياً هي مثلها وظيفة قائدات الكبير أقرب للملك والوزراء من الانفار ومقامه كمقام وزير وترى الأطراف العلوية والسفلية موضوعاً

كالمساكر على حدود المملكة ولها أهمية عظيمة ولكنها يعتاض بالواحد عن الآخر بعكس وزير المالية الذي هو واحد فان فسد لا يوجد من يقوم مقامه كالقلب وترى الاطراف موضوعة بمنة وسرة للمحاماة بواسطة حركاتها فلو انغلبت البينة تقوم اليسرى لتصرتها او تخلفها وبالعكس وترى الاصابع تحامي جداً عن المعصدا ان المساكر تحامي عن قائدها لانه متى فقد القائد يتبدد المعسكر ولا نرجو الاطراف مكافأة الا ما يصل اليها من الغذاء لحفظ قوتها فهي فتوة صابرة لا تراحم احداً .

(الافرازات) هي السوائل غير النافعة للجسم وبوجودها فيه يضر كما تضر المملكة لوجود الاشخاص المفسدين والمقلقين فيها .

وكما ان الاطراف تنفع بالغذاء القليل كذلك العسكرية التي عليها مدار شرف المملكة وحمايتها فتكني بنذاتها فقط لان ليس لها سلطة الادارة فالتساوة على الاطراف كالتساوة على المساكر لان الاطراف لتعودها من الارض فيقسو جلدها ويصير قليل الاحساس كالعسكر الذين يعتادون على الشغل والتعب والحر والبرد ولا يجوز لهم الترفه لانه يضرهم فلو رفعت القدم وعودته على الدفا فادنى تعرض لبرده يضر الرأس واذا مرضت الاطراف كلها هلك الجسد كذلك لو ضعفت المساكر او غلبت فتضعف المملكة فللعسكرية يجب الاهتمام الأول لأنها هي القوة والخادم الحقيقي .

(الحواس) وظائف الحواس اشراك الجسم بالعالم المحيطة به والرأس بالعالم الخارجي فيحكم بما هو نافع لها وما هو مضر فيرفض ويقبل ما يلائمه فلو سمعت الأذن صوتاً توصله الى الرأس فان كان حسناً قبله او كريهاً رفضه وتحذر الجسم من أخطار العالم المهددة به ولو هجم على الانسان حيوان مفترس يراه بعينه فيقاومه او يتجنبه .

(السفراء) وظائفهم ان يخبروا ملكهم احوال الممالك الاخرى ويعرضون عليه كلما يروونه فيها فيدخل النافع لبلاده ويرفض المضر وكذلك اذا اشهرت عليه مملكة اخرى حرباً فعليه ان يخبره فيقابل القوتين وان رأى ذاته كفوفاً لها حارب وبالعكس سلم ويجب ان تكون الحواس خالية العيب لكي تنفع الجسد كله لأنه اذا كان الانسان اعشى فيسقط كل يوم في حفرة وكذا السفراء يجب ان يكونوا خاليين من البوب وكم من سفير غش ملكه وطوحه لحرب كان في غنى عنها .

(الدم) هو حياة الجسم وبدونه لا حياة له فهو يغذي الاعضاء ويقربها وينمها وفيه كل المواد النافعة للاعضاء فيسير اليها كلها وكل عضو يأخذ منه كفايته ويحيله الى منافعه الخاصة أولاً ثم الى العامة مثلاً ينتجه نحو الكبد فيأخذ منه مقداراً كافياً لغذائه الخصوصي ويحيل قسماً منه الى صفراء التي وظيفتها التفتدية العمومية التي يعود نفعها لمعوم الاعضاء .

(المال) وظيفته ذات وظيفة الدم للجسم لانه حياة الجميع ويدونه لا تقوم قائمة ومنفعته الخصوصية هي كيفية توزيعه على الاعضاء ويلزم ان يأخذ منه كل مأمور حسب وظيفته وعمله في الجمعية وبعد ان يتناول منه ما هو ضروري لمعاشه يستعمل الزائد عنه للنفع العمومي كما يجب ذلك على الاغنياء وان زاد الدم في عضو من الهيئة امرضه وان قل اضعفه واذا دخل عليه غش او اجسام غريبة امرضه ومتى مرض الدم مرضت الاعضاء عموماً .

(غاية وظائف الجسم) المحافظة على حياته ورفاهته .

(غاية السياسة) المحافظة على كل فرد من الرعية والعدل لانه حياتها .

فيستج من قولنا ان التسوية هي مساواة كل عضو بحقوقه لانه من المعلوم ان الوظائف تختلف عن بعضها في الأهمية فنها ما لا تقوم الحياة بدونها وان فقدت هذه فقدت تلك وغيرها ينقص في كمالها غير انها لا تموت بفقدائها فالأول نظير التنفس اذ لا يمكن فقده الا بفقد الحياة ومثل الثاني الحركة فلو فقد طرف من الاطراف او حاسة من الحواس حركة لا تفقد الحياة بل تحسر كمالها .

فيستج من هذا ان الوظائف لا تساوى في أهميتها ويلزم لكل عضو وظيفته ينمها ويجب ان يكون العضو بمجهزاً مركباً بكيفية تجعله لائقاً ومقتدرأ ان يقوم بهذه الوظيفة مثلاً حتى يتمكن الرئيس من اصدا الاوامر يجب ان يكون مركباً ومجهزاً من مواد مخصوصة حتى يتمكن من القيام بهذه للمأمورية كذلك القلب الذي يجب ان يكون بكيفية يتمكن فيها من توزيع الدم كالتجاويف والمضلات القوية لأجل استقبال الدم ودفعه هكذا كل عضو فأنه مؤلف من اجزاء تليق بوظيفته .

فالوظائف مختلفة في الأهمية ولكل عضو وظيفة ويكون مؤلفاً بهيئة تجعله قادراً على اتمام هذه الوظيفة وكلما كثر أهمية العضو كان أكثر كمالاً وتركيباً وهذا التفضيل سنة من الخالق ليس من العضو ذاته وليس من الحكمة ان يتساوى الرأس والقدم لانها لو تساوى لأختل النظام وخربت الحياة اذ لا يمكن القدم ان يقوم بواجبات الرأس ولا لهذا ان يخلف ذاك ولكل منها وظيفة خصوصية يتكافي او يتجاوزى حسب ضرورتها وحاجة الحياة اليها وهذا التمييز هو عين العدل مثلاً يجب للرأس بتدنيته خمسون غرام من الدم وللقدم يلزم عشرة غرامات فيلزم ان يعطى الخمسون غرام من الدم أولاً للرأس اذ بدونه لا تقوم قائة للقدم ولذا ترى ان الدم أول ما يتوزع للرأس وتقسم هذه الوظائف كما يأتي :

اولاً : السهر على جميع اعضاء المملكة والبحث عن حقيقة حالهم .

ثانياً : عدم تمييز عضو عن آخر الا بحسب اهميته ووظيفته ونفعه العام .

ثالثاً : جلب النافع الى بلاده وطرد المضر والمخامة عن كل عضو كمحاماته عن نفسه .

رابعاً : ان يعرف ان كل عضو مها كان دينياً فيلزم لخدمة مملكته .
خامساً : انتقاء الأمورين حسب صفاتهم الحسنة ومعارفهم في الوظيفة التي تجب عليهم خدمتها فلا يعين مهندساً ناظرًا للمالية ولا العالم الفاضل قائداً للجنود وان يجري عليهم صارم القصاص لو خالفوا اوامره وبالأجمال فيطلب منه كل ما يطلب من أب لأولاده .

(الخلاصة)

السياسة طبيعية في الانسان وهي ضرورية لكل هيئة اجتماعية ولا بد لها من رأس ونظام واساسها الراحة وكما ان الدين يعلمنا عبادة الخالق ومحبة القريب وعدم اضراره فكذلك اساس السياسة الحق واساس الاجتماع المحافظة على الحقوق واساس الاداب المحافظة على الشرف والعناية واحدة وهي المحافظة على الحياة ورعايتها .

وأهم ملاحظة ضرورية في الادارة ان لا يعطى الحكم لفاسد اذ ذلك العمل شر ما اوجده الانسان لان الردي اذا حكم استبد وقد نظمت بذلك شرعاً يوجد في قصيدة قدمتها للامير سليم منصور شهاب .

معلوم ان المعجز وحده بخفي اللؤم ولو حكم لثيم لقطع شكيته وداس الجميع وهذا ما يجب الانتباه اليه ولمعرفة اللثيم يجب ان يسأل عن اسبقيات وتصرفاته مع الذين هم أدنى منه خصوصاً من هم من أهل بيته فان رأيت اصدقاءه كثيرين فهذا دليل على جوده وكل ما كثر المشتكون من امريء وقل مادحوه فهو علامة اللؤم .

وحيث اتنا نكلمنا عن الواجبات التي على الانسان مراعاتها والوصايا الدينية التي عليه حفظها فتكلمنا الان عن واجبات سلوكه وتصرفه مع الافراد .

(السلوك)

اذا شئت ان تعرف كيف يرضى عنك من هو أعلى منك فقارن بين ما يرضيك من من هو دونك وسر بموجه . يرضى الانسان من خادمه لطاعته وامتثال اوامره وخلوصه وامانته وآداب كل ما تقرب اليه لا بطمع معروف بل دائماً يحفظ معروفه ويذب عن صالحه ويغار عليه ويدافع عنه جهده ويخدمه بكل شرف غير مائل الى الدماء .

هكذا فليعمل الانسان مع من هو اعلى منه .

كيفية اختيار الأصدقاء

لا يظن الانسان ان كل من يش بوجهه خصوصاً اذا كان محتاجاً اليه يكون صديقاً له فلربما صناعته توجب بشاشة الناس اليه ولربما فعل ذلك البعض هذا الامر استخداماً لهم بمجاناً والبعض لقضاء اغراضهم وأقل من القليل من كان ذا عجة خالصة .

فالساحب الحقيقي من يريد منفعة صديقه يسعى له بها ويجامى عنه بغيابه كحين حضوره ويجب على كل انسان ان يحافظ على هذا المبدأ : اذا اردت ان تتخذ صديقاً كن له صاحباً : ابدأ بالمعروف مع أي كان واستعمل الانسانية مع كل فرد من الناس ومن صنعت معه معروفاً ولم يكافئك عليه حين اللزوم متى كان قادراً عليه فلا تعمد معه معروفاً ومن جازاك بالاساءة بدل الخير فاتركه لأنه الردي الذي اخبرتك عنه اخبر من ودفع عن نفسك جهلك ولا تدعه يتسلط عليك قط اذ يستطيع ضررك ولا بممكنك ان تناله بسوء . هذا هو الصالح العام الذي يفضل على الخاص واذا كان قد قيل اتق شر من أحسن اليه فلا بد لهذا الغادر من السقوط يوماً ما .

من جازاك معروفاً معروف او اباداك به فكرس لخدمته نفسك وكن له عبداً ولا تتأخر عنه اذ تلقاه في مثل هذه الظروف اذا احتجت اليه .

كل انسان يستطيع ان يفعل الخير المجرد بدون ان يحسه ضرر او يطلب مكافأة على معروفيه فوه القدرة .

لا ترجو من انسان مساعدة هو محتاج لها .

خير المعروف ما صنع وقت الحاجة فلورأيت ظمناً بغاية الضيق وبردة لظاه بجرعة ماء او محتاجاً بغا الفاقة وانجذته او مريضاً مدناً وعدته وشفيته فهذا هو المعروف الحقيقي الاعظم ولذا قيل خير المعروف نجد الملهوف .

لا تتخذ لك صديقاً لغاية مالية لان المال فان لا يعتمد عليه . اعتبر صاحب الفضيلة لا صاحب الما لان الغني المجرد عن الفضيلة والمنفعة لا اعتبار له ولا صاحبه بصاحب حقيقي .

اياك لم اياك ان ترجو صداقة بخيل لانه يؤثر المال عليك ومتى رأى ان صداقتك متخسره يسته عنك ولو شعر ان خيانتك تكسبه مالاً لا يتأخر عن اجرائها لان المال الهه قالخيل لا زمام ولا مروءة و داد له فكيف ترجو صداقة . من طبع البخيل الرداة وقساوة القلب يفضل الدرهم على كل شيء .

تأمل منه امرأً ولا ترجو منه خيراً واذا لاطفك أو أكرمك بالقول والبشارة فما قصده الا الكسب منك ولو جاد عليك بأقل الأشياء يحسبها نعمة عظمى فلا تخلص من جميله الى الأبد لهذا يجب على الانسان ان يرفض منه كل شيء . ويبعد عنه قدر الامكان اما الكريم فانه يحتر المال محافظة على شرفه وسمته ويكون ذا مروءة وحاسة . ويجب صديقه ويعتبره ويصرف ماله لأجل اكتسابه فالكرم والبخل سجتان في الانسان . اخذم الكريم بلا عوض وعامله بعمله ولا تندم على الاحسان اليه اذ يأتي يوم يقابلك فيه بالمثل وأبدل جهدك على تخيب صفاته الممدوحة اليه .

ان رأيت عيياً في صاحب وكان عيه غير مضر سامحه لانك لا تخلو من العيوب وقد قال المثل من طلب صديقاً بلا عيب عاش بلا صديق .

سامح صديقك بهفواته ولا تبعد عنه الا اذا رأيتَه تعمد ضورك ولا تتأذى بالمزاح معه الى درجة رفع التكليف بينكما اذ يأتي يوم تبدل عليكما الايام فادنى مزاح عندئذ يزعجه بل يكدره منك فتبعد عنه ويكون المزاح سبب انفصالكما .

استعلم دائماً عن سيرة الذين تريد معاشرتهم وانظر تصرفاتهم مع سواك هل هم ثابتون على الود ام متقلبون وراقب سيرهم مع أهلهم فان رأيت بهم لفة على ذويهم فذلك علامة حسنة فعاشرهم والا فاجتنبهم لان معاملتهم اذا كانت بهذه الصفة مع العود الاخضر فكيف تكون مع اليابس .

احترس من اشقر اللون النحيف الجسم ذي الوجه المتجمد العيوس العلي يضحك قهراً عنه .

احترس من من يكون بحالة واحدة مع صديقه وعدوه فهو ذو مقدرة على اخفاء احساساته فاجتنبه .

احترس من من بصادق خصمين متباعدين جداً ويظهر المودة لكل منهما فيذم الغائب ويمدح الحاضر .

احترس من الذي يدعي صداقة الجميع او يسلك مسلماً واحداً مع عدوه وصديقه فانه خبيث يكن الغيظ لحين القوة .

صادق حاد الطباع والافكار الذي تظهر عليه علامات الكدر والفرح فانه لا يفشك .

لا تصلق بسرعة من كان محتاجاً .

البشاشة علامة القلب الجيد .

لا تصدق الرجل الذي يحلف بكثرة ولا المرأة التي تبيكي بسرعة .

ابتعد عن الذي يمدح عدوه وصديقه الفاضل والرهيل اذ من واجبات الصديق ان يتكلم بصراحة لان الصديق مشتق من الصديق فصدقك من صدق معك .

ابتعد عن كل من يأتيك بدناة وقت ضيقه وينكرك حين يستغني عنك .

كل من يغير سلوكه مع صديقه وفقاً لاحواله الدنيوية فهو ذني .

لا تخجل من من لا يخجل منك المعروف هو الجوهر الكشاف للرجال من أثر فيه كان عظيماً ومن لم يؤثر فيه كان دنياً ردياً .

لا تضر احداً لان الضرر عداوة لا تحي يعود اذاها عليك او على نسلك .

صاحب المتكبره لا شريف النفس اشفق على الشخص قدر شففته على حاله وكذب الشخص يبعد الشفقة عليه .

ابتعد عن الذي لا يفرق اهائه من اعتباره لانه ذني من مدحك بما ليس فيك ذمك بما ليس فيك .

اذكر لصديقك بعض نوادر توجب له الحماة للشفقة فان تأثر منها صادقه والا فابتعد عنه لانه لا ينفع لا تطلب زيادة عما تستحق من الاكرام .

ذو الوجه الاصفر النحيف العابس الساكت يكون حسوداً رديئاً وأعظم ردي من يغمض عينه عند الكلام معه .

اعتبر اعمال اصدقائك فقط ولا تعتمد على التمليق والكلام ولا تحذعك الظواهر .

لا يمكن الصداقة بين الارزال ولا الأمنية بينهم فهل سارق يدع ماله امانة عند سارق آخر ولو سرقوا سوية .

كيفية السير مع من هم أدنى منك

أرفق وأرحم وصامح ولا توبخ الا حين اللزوم . ولا تسامح الا اول مرة متى تحققت القدر .

الظلم يعطي جسارة للمظلوم .

أظهر الغيرة والرؤى والمساعدة لمن هم أدنى منك فتكسب مودتهم ويعتبرونك .

لا تماذي من هو أصغر منك لأنك بعداوتك له تجعله نظيرك وترفعه بصداقتك له تجعله اصغر منك فانه يطيعك .

إذا ظلمت احداً لا يهابك فيها بعد ويقلب مدحه الى قدح . اذا لم تنفع فتبقى مردولاً اعدل اذ لو تحزبت بملكك لفريق زوراً فتخسر الفريق الآخر احتس منهم اذ تبقى ابدأ عرضة لفضهم اذا شئت ان تترأس على فيئة اصرف عليهم فاذا كنت في قهورة مع جماعة ودفعت عن الجميع صار الجميع أقل منك اعتباراً ولو كان مهم من هو أكبر .

اذا شئت ان تكسب محبة ومجداً ومترلة ونفوذاً واعتباراً كن كريماً ودوداً متصفاً .

لا تتكل على شرف محنتك نعم ان ذلك ليساعدك لو اقتديت باحدادك فانه يرفعك بأعين غيره وتكون اهلاً للتقدم والعكس بالعكس ولا يبنى الحكم على نص الا حسب تصرفاته الشخصية وقد نظمت بعض ابيات بهذا الشأن تراها في قصيدتي للأمير سليم منصور شهاب .

(واجبات الطبيب نحو صناعته)

أخدم صنعتك نخدمك واعلم انه يجب ان تكرمها بعد الله ووالديك لانه سبب معاشك فلا تنها واجعل تصرفك لائقاً بمقامها ولا تفش احداً ولا تكذب ابدأ احبر المريض الذي تداويه ما يعلمه وعرّف اهله الحقيقة ولو قاسيت لبقى شرفك ومهارتك محفوظين عنده .

انفن صنعتك قبل كل شيء اذ اعظم اهانة تلحقك اذا دعيت جاهلاً مارستها دائماً وتعلم ما يتجدد فيها اذ لو اتكلت على ما تعلمته في المدرسة فيعد مدة تراه اضحى قديماً فتأخر .

عين وقتاً للدرس يومياً ولا تدعه يذهب سدى مارس ما تعلمته واجعل التجارب استاذك لا تحزج بصناعتك واجعل لها مقاماً لائقاً بها ولا تدع لاصحابك مجالاً ان يمزحوا معك بشأها .

اشفق على المريض وشاركه باحاساسه لانه اذا رآك لم تتأثر لمصابه تقل ثقته بك فشطه وعزه لان صنعتك انسانية محضة ولها الحل الأعلى بين العلوم والصنائع .

لا يفرك المال واقتكر بالمريض الذي تعالجه وشفاهه قبل كل شيء ومتى عاجلت اجتهد بشفائه ولو كنت

غير ماجور اذ كلما كثر الشفاء بواسطتك زاد طالبوك فشتهر وبشهرتك تكسب الغنى ولا تحسب ان الغنى يربحك اذ يأتي وقت يظهر غشك وتحسر عمك لأن المريض اذا شفي بواسطتك وعرف نصحتك له فتكسب صداقته الدائمة اما اذا رأك غششته فيبعد عنك ولو كان اخوك .

لا تعتمد على اصحابك وتضعهم لك بصناعتك لأن الصديق لا يؤثر على ذاته فلو مرض واعتقد بك عدم الكفاة لا يدعوك لمداواته لانه يخاف على حياته وبالعكس متى اعتقد بمهارتك فان عدوك يطلبك ويتذلل اليك ولا صداقة في الطب .

صديقك الحقيقي هو مهارتك في صنعتك فلا تمل من الشغل ولا ترجو الشهرة سريعاً فانها لا تنال الا بالعمل والتجارب التي يقتضي لها زمن طويل اذ قد لا يوجد مرضى تداوهم ويستحيل عليك معالجة مرضى المدينة يوم واحد ولا تحصل اليها الا مع الزمن ومهارة الطبيب اعتقاد المريض به .

صناعة الطب لا تحيي من الموت فلو مرض الطبيب لا يمكنه دائماً ان يشفي ذاته ولكن عليه ان يخرج من المعارك فائزاً . افحص مريضك واعرف مرضه وانخر اهل كل اعراضه واستشر الاطباء امثالك حتى لا يلومك احد ولا يعود عليك ضميرك بالتوبيخ . اعتن بمريضك لأنك اذا لم تعتن به او اهملته ولم تسمع شكواه قلت ثقتك بك ورفضك .

اخدم الفقير كالغني بل اعتن بالفقير زيادة لانه يزيد شهرتك ولكثرة الفقراء تؤمل منهم الكسب زيادة لان الكثرة تغلب الشجاعة . الفقير يعتبرك ويعتبر صنعتك وفيك حقل قدر امكانه اما الغني فيظن انه قللك جليلاً لو دعاك لمعالجته ويعتبرك ادنى منه مقاماً . اظهر ميلاً للفقراء تنال الاجر من الله والثناء من الناس والاعتبار والمكسب منهم .

لا تأمن من نكران جميل المريض بعد شفائه لانه يعد كثيراً وبني قليلاً كالعشرة البرص الذين شفاهم المسيح ولم يرجع لشكره الا واحد منهم .

ليست صنعتك للمكسب او المال فقط بل لخدمة الانسانية لذا ترى الحكومة تعضد الاطبا وتستخدمهم كالجنود لتنافسهم والقيام بمعاشهم لان الطبيب يداوي مائة مريض بجنا وخمسة باجرة . والطبيب هو رجل الانسانية الذي يحب قريبه وهو الذي جعله المسيح مثلاً لحبة القريب وكرم الاخلاق في مثل الرجل المسافر الى اريحا .

سامح قدر الامكان واخرج مع من تدلوه على سلام ولا تدقق في الحساب معه ما لم يعتد على صناعتك وبالاجمال كن انساناً قبل ان تكن طبيباً لان الانسانية خير من الطب .

إذا استخدمت في الحكومة قاطع رئيسك واستشره ولا تعمل عملاً إلا برأيه وإن احسنت صنماً بأمر فإظهار أن الفضل عائد له وإنك تستفيد منه ولو كان دونك في المعارف . كن أديباً معه وأكرمه بهذه الوسيلة بتقديم ولا تعود تخشى من تقدمك لأنه إذا كان حسوذاً وأقوى منك يضررك ويهلكك عن مركزك خوفاً من أن تفوقه وتخلقه فيما بعد ولا يمكنك مقاومته أما إذا سرت معه بالحسن فأنك تستفيد منه علماً لو كان أعلم منك ويحبك كولدك وتقدم عنده ولو عملت على مضادته أو إظهار جهله وعدم اعتباره فيلحقك الضرر ولا تنتفع شيئاً خصوصاً متى كان شهيراً . بالاختصار أكرم رئيسك ولو كان حماراً .

أكرم مهارتك لأنها بهكذا ظروف وهكذا مصالح تضر بك وهذا ما يدلنا على تقدم بعض الجهال على استائذتهم لأن الجاهل يظهر لرئيسه اعتباراً واتضاعاً فلا يخشاه ويعرف أنه أدنى منه معارفاً فلا يخشى تقدمه أما الذي لا يخشى أفكاره ومهارته فإن رئيسه بمنع من التقدم ويخشى دائماً منه ولذا تراه يتأخر هذا إذا كان الرئيس درياً حسوذاً أما إذا كان منصفاً فأظهر له مهارتك وأطعمه دائماً فإنه يعتبرك في الباطن ويقدمك في كل مصالحك وتصرفك لأجل النفع العام فأجعل دائماً تصرفك موافقاً لأحوال رئيسك ومطامعه .

أكرم السيدات قبل كل شيء لأن عليهن مدار المتزل والامراة هي المؤثر الوحيد بانتخاب الطبيب فلو مرض الولد فهي التي تقوم بخدمته وتعني به ولها الحق بانتخاب الطبيب الذي تريده معها عائد زوجها برضه فأنها تعرف كيف تقنع ولو مرض زوجها فهي تسلط عليه بسبب ضعفه وقتل وتختار الطبيب الذي تريده كذلك إذا مرضت فالامراة لا تلتفت إلا إلى الذي يكرمه ويعني بها ويحاربها على كل اسئلتها ويريح أفكارها التي تكون مضطربة وقتل وهي التي تقابل الطبيب وكل شغلها يكون معها وأكره شيء عندها عدم اعتناء الطبيب بكلامها لذلك يجب عليه أن يظهر لها الانتباه الكلي ويخبرها حالة المريض بتمامها ويهين بما يقوله له لأن المرأة متى كانت متبنة للمريض تساعد الطبيب كثيراً لأنها نظراً لحبها زوجها أو ولدها تلاحظ أدنى حركاته أو أقل تعب يطرأ عليه ومتى أخبرت الطبيب به بته للمرض وسيره ويكشف الادوية الجديدة فيلزم أن يشكرها دائماً على ملاحظاتها ويطمن لها أفكارها جهد استطاعته هذه نصائح مستعملة لأن الحد الآن رأينا كلما كتب لا يعمل به وكما يعمل به لا يكتب فهذه متوسطة بين الاثنين .

(ولادة أولادي يوسف وحبيب)

في ٢٧ آذار سنة ١٨٨٢ عندما كنت في بكاسين بزيارة طيبة حضر لمعدي رشيد بيشري أن امرأتي ولدت توماً ذكوراً فتكدرت من هذا الخبر لطمي أن التوم لا يعيش إلا نادراً لأن لا بد أن يكون أحدهما ضعيفاً وهو على العموم الذي يولد أولاً ولكن ما الحيلة فبادرت حالاً بإرسال مرضعتين من بكاسين لهما ورجعت إلى بيروت .

سلم منصور الشهابي

ان هذا الصديق من أجل الامراء الشهابيين وهو الامير سلم منصور بن الامير حسن الامير بن الامير علي بن الامير حيدر جد الشهابيين في لبنان وتصل نسبه مثل باقي الشهابيين بأشرف نسب وأثباتاً لهذا النسب ثبت ما قاله أحدهم الامير عامر شهاب الأزرجي بالنسبة الى مدينة ازرج في حوران الذي حارب القرامطة في حوران منهم عن دخول الشام وكسرهم بخمسة عشر الف فارس وكانوا أكثر من ثلاثين ألفاً وعند ذلك نظم القصيدة الآتية سنة ٢٢٥ هجرية فيكون لها ١١٠٠ سنة فهي من اعظم القصائد واليكها :

قصيدة الامير عامر شهاب الأزرجي سنة ٢٢٥ هجرية :

أحب لي من عناق الغيد بالحجب
الذي من كؤوس العيب بالهرب
بل مني في شؤون الذيل اللب
ان لم يرو ظا المنديبة القضب
مناهلاً من دم الاعناق واللب
رأوا الخزعة منجاة من العطب
نسبت من آل عزم فينا نسي
ومالك لم سعد خير متعب
وسايل العرب عن جدي النبي وأبي
والصدق في كلم والفتك في حرب
اسد العجاج وأهل المنزل الرحب
تحت الرماح العوالي عن علا الرتب
كم قصور عفت خسديسه بالترب
فروج ليث بخدر الدلص محتجب
يرى رشاق القتلى برأ من العطب
يسرى صليل الطيى ضرباً من الطرب
يرى قراع الصدا نوعاً من اللعيب
يرى ضرام الوغى برأ للسذي لهب
يرى شراب الدما اشهر من الحب
يفني الكساي بين الكر والطلب
خلت الجبال اتنت كراً على المضرب

هز الرشاق أمام السادة النجب
وشرب كأس المنايا في عجاج وغبي
ما متي يحفون الغيد ذابله
وليس للمرء عز في مراتبه
عاهدت يضر الطيى اني اجرعها
اني امروء لست من قوم اذا اقتلوا
قومي ذوي الشرف السامي قريش وقد
سموت بالحارث المقدام نعم فتى
وقاسم وشهاب طاب بخدمهم
قوم حلا لهم المعروف في سلم
هم الصدور اذا حلو الصدور وهم
ما حل عزمهم المشدود موتهم
سل الرماح اذا لاعنها بيدي
وسائل البيض في يدي وكم هتكت
بني شهاب لكم مني فتى اسداً
بني شهاب لكم مني اسداً
بني شهاب لكم مني فتى اسداً
بني شهاب لكم مني فتى اسداً
بني شهاب لكم مني فتى اسداً
بني شهاب لكم مني فتى اسداً
وان لي منكم اسداً اذا حملوا

من كل ادع تحت الدرع تحببه
ان هز في مفروق الاعساء اسمره
وصل لاعدائنا ان قال قائلنا
تلقى الخوارج من آل الشهاب كما
فجاهدوا يا بني الاعام ان لكم
تمسكوا بحبال الله واعتصموا

بمسدراً قمص في ثوب من السحب
تفرقوا وغدوا بالذل والرعب
هذي العدة فجدوا يا ذوي الحب
تلقى المضاريت رجماً من لظى شهب
عزاً تسمى على الاعجاسم والعرب
فن يكون وانقياً بالله لم يخيب

هذا هو من اجداد الامير سليم الذي هو حفيد الامير بشير الشهابي الكبير من جهة والدته السيدة نور وقد تربي تربية حسنة في المدارس الياسوعية في غزير دخلها بين عشرة سنوات لان والده توفي وهو بين ٨ سنوات والتهى بالشغل من الصغر ودخل في البنك العثماني سنة ١٨٦٦ وهو الان رئيس دائرة الصندوق منذ ١٨٧٥ وفضلاً عن أصله الشريف فهو من أصدق الشبان وأظرفهم وأكرمهم خلقاً صاحب ذمام ولطف لا يوصف محبوب من الجميع كامل المروءة لا عيب فيه نحو اصدقائه وهذا هو المطلوب من الشخص ان لا يفتش ولا يخون صديقه واما مع عدوه فلا بطالب واذا عامله كصديق يكون غاية الكمال وقد عاشرته كثيراً وكنت أحبه كثيراً لوجهه الضحك البشوش واعتباره لاصدقائه وذكراته وبالأجمال انه فريد بين الامراء ومع هذا كله لا تراه يفكر بأصله الشريف ولا يميز حاله عن صديقه لا بجاه ولا تكبر ولم اسمعه بعمري يتكلم مفتخراً بأصله وعائلته وقد اقترن بالسيدة جلتار ابنة الكولونيل شرشل بك احد افراد عائلة مالبروك القائد والوزير الشهير في بلاد الانكليز فنظمت له القصيدة الآتية مطهاراً لفضله الخصوصي ولكي أظهر للناس كرم خلقه لان أصل الفتى لا ينفعه ان لم يكن ذا طابع حسنة .

يسا اميراً في مجد جيد مقباً
انت لا شك في علانك فرد
ما هجاءني سوى بيان شرور
ان للنفس كــالجنوم داء
فعليــل الجفون يدعى مقباً
كل داء الى الدواء باحتياج
فسدواء اللثام هجو صحيح
قــال قوم ان المديح دواء
فعلاج المديح يشفي لثيمــاً
ايها المادح اللثيم اجبي
انت تــدري وصاحب البيت أدري
والعليــل السقيم لم يشفي اصلاً
ان غير الدواء ما كان مرأ

قد كفالك الاله فحراً عظيماً
حيث أصبحت من هجاءني سليماً
لت أهجو الا الشقي الظلومــسا
وسقــسام النفوس امي جماً
وعليــل النفوس يدعى لثيماً
وعليــه ان يقصدن الحكماء
والمدادوي من بهج هجوا ايها
بصلح الظلم لم يشفي الكلومــسا
كفشور الخيــار تشي حمماً
كيف تخفي مسا كنت فيه علياً
بكلام المديح بــات اليما
من سقــام ما لم يصدق حكماً
يلــذق اللذوق عاجلاً والشمياً

دون هجو كان الدواء عقابا
 بل يخافون بلوة وخصوما
 وبخيلا وسافلاً ورجيماً
 ام رأى قوة يلوك الشكيما
 يتني شره وينجي الغريما
 للثيم وكان فيسه رجبا
 وبلاذاً وجسماً شراً عظيماً
 ذا اقتدار او كان هـ ميرا اثماً
 لاجتهاد قد صار شهماً عظيماً
 لفعال يدعى ذنباً ذمياً
 بل صفات تجملن الكريماً
 وثباتاً وهمة وعلوما
 لتراه عنده اللزوم حلماً
 لشهاب ولا عرفناً تمناً
 بل لفضل قد صار موسى كلياً
 أكرموا زمزماً كذا والخطياً
 تخفض المرء او يتسالى النعماً
 دون هذه الصفات اضحى عديماً
 بسواها كان الامير بهيماً
 من وجدنا لديه مجداً قديماً
 يغلب النائبات ثم المومناً
 وفعال من كل عيب سليماً

لا دواء للثوم من غير هجو
 وذو الثوم لا يخافون ريباً
 ويكون الثيم طبعاً جباناً
 خوفه وحده بلجم لفعلاً
 بانكشاف الستار عنه تراه
 واضل العباد من رام سراً
 ولثيم الثام من خان صحباً
 وأثر الثام من كان منهم
 كم أمير واصلته من حقير
 كم حقير واصلته من أمير
 لا لمري فا الامارة ارباً
 وتراه سباحة ووداداً
 عظم شأن ورفعة في كريم
 دون هذه الصفات ما كان ذكر
 لا لأصل أو درهم أو جمال
 لا لثاء لكن لظهور وقسط
 فعلننا ان للغوس صفات
 كل من يدعى الامارة ارباً
 كل من حازها يسمى اميراً
 والامير القريب وابن المعالي
 وتراه المنصور في كل حال
 وتراه في كل امر وقول

سلامة . الدبس . أصفر . رعد . سنة ١٨٨٤

كان هؤلاء الاربعة من اصدقائي وكنا نجتمع كل ليلة معاً للضحك والمزاح ولعب الورق بلا دراهم تقريباً او قليلاً لأجل التلية وكان للرحوم لطف الله رعد صديقنا ونجتمع عنده وهو رجل مستقيم الأطوار ودود يحب السلامة معتبراً في تجارته صاحب ذمة وكان يحبني جداً وهو شقيق للرحوم اسعد رعد الذي سأذكره فيما بعد لانني تعرفت على اخيه لطف الله قبله وكان عديله بطرس الدبس من عداد جمعيتنا وكذلك ابن حميه انطون الاصفر والصديق الرابع كان يعقوب سلامة .

كنا ذات ليلة نلعب (كوتيلو) وهي لعبة بالورق كانت مشهورة وتشتهر فذعبت لعبادة مريض ولما رجعت سألتني عنه الجماعة وقالوا اعطنا ما ملك لانك قد قبضت الان ونشترك سوية بالدرهم فقلت لهم يجب ان تساعدوني بخدمة المريض لتستحقوا الاجرة وتشاركوا معي بها قالوا فعل ونعمل استشارة طبية (كونسولتر) لما مرضه ونحن نعطيك رأينا فقلت لهم ان المريض مصاب بامساك باطني ومعه مض شديد فعملت له تخميلة دبس فضرط فصاً كالرعد وخرج خروجاً أصفر والكل راحوا على سلامه فقام الاربعة ضدي اما الحاضرون فضحكوا وقالوا ان الاجرة استحقها سلامه وفي اليوم الثاني انتشرت هذه النادرة بالبلد وعرفها الخاص والعام .

مدام فريج

نصف جيل اشغلت بيروت هذه السيدة البارعة الجمال والفاتحة الذكاء واللطيف والغنى والبشاشة وهي ذات جمال رائع يضرب به المثل في سوريا من أصل نمساوي ومولودة في بيروت ابنة قنصل جنرال النمسا من أصل شريف ومعتد عال ولا يمكن الانسان ان يعاشر الطيف منها اذا وجدت في مجلس وكان فيه اقوام مختلفون يمكنها ان تكلم كلا بلغته كالافرنسي والايطالياني والنمساوي والانكليزي والرومي والعربي والالاني ولو اجتمع مائة شخص معها يرى كل انها تلتصق اليه فهذا تشغله بجديتها وذاك ينظرها اليه والاخر بالتفات والبعض ينبسم حتى كأنها تكلم الجميع بوقت واحد بشوشة الوجه ضحوكة تكرم ضيوفها وتلبس ابدع ملابس على احسن قوام عتقا وصدرها عريان بالجواهر وقد نالت اوسمة عديدة من البابا والنمسا وحرزت نشان الشفقة الاول من الدولة العلية ولم ار احدا لاق له الغنى نظيرها وبأي محل حضرت لما المقام الاول ان كان في المجتمعات او المجالس او المرافص ولا نفوتها دقيقة من الرقص من المساء حتى الصباح فلا تكل ولا تمل وان تكلمت فيصغي الحضور لكلامها وتشخص لها الابصار وان زارت كنيسة للصلاة فتمثل التقى والتقى ولو جمع احسان لمساعدة شخص او عائلة او منكوبين كانت أول المحرصين عليه فتراها الاولى في مواقف الهناء والعزاء والافراح والسهرة لم يأت وال او قاض او موظف او قنصل او رئيس دين الا عرفها وعرفته وزارها وأكرمتها فاعتبرها ولا ذو حاجة وفقير الا ومدت اليه يد المساعدة وبالاختصار كانت زينة العصر وبهجة بيروت والذي ساعدها على ذلك زوجها المدام المركز .

(موسى افندي) خلق هذا الذات ليكون زوجاً لهذه السيدة البديعة فهو كامل الصورة جميلاً صيحاً محباً للجهاد ويود امرأته جداً داره يؤمها الاعيان من كل الملل والنحل ويقف بذاته خادماً للكل فهو من التجار المعتمدين نال معظم الرب والوسمة المعتبرة من الدولة العلية والدول الاجنبية لطيف متضع وله نحل اسمه جان .

هو الوريث الوحيد لهذه الاسرة جمع بين اللطف والعلم وقد أنعم قداسة البابا عليهم بلقب مركز وقد نظمت هذين البيتين لمدام فريج وهما باكورة ما قلته فيها :

وتفاحه قد أهلك قبل ادماً ارتقي مدام فريج في وسط وجنسة
لقد مات منها آدم بعد أكلها وأما انا قد مت منها بنظرة

يقال ان التفاحه هي الثمرة التي أكلها آدم وسقط بسببها وقلت فيما بفرصة اخرى :

بعصاه موسى شق نجراً احمرأ فصد نيباً بعد ذا بين الوري
واليوم شقت عرسه بلحاظها قلبي فساجرت منه نجراً احمرأ

وزرت مدام فريج يوماً فدار بيتنا الحديث على الشعر العربي قالت ان للشعر العربي مديناً ومبالغة لا يقبلها عقل بشري فيقولون لفلانة انت الشمس والقمر وما اشبه كما ترى بالاشعار التي نظمها لي حنا بك ابو صعب ومع انه شاعر مجيد اقرأ قصيدته وانظر ما فيها من المبالغة والقلوب اخذتها منها وقرأتها وكنت أفكر بموضوع فكبت بقلم الرصاص على الورقة أسفل القصيدة هذين البيتين :

ما شيوها بالبدر وجهك بالسنا بل انت حقاً للشمس ضياء
لكن لبعيد منها لها ووصالها فلا تبتا عنــــــد الوصال سواء

فطربت لها لانها أعظم ما تمدح بها النساء وشكرت لي هذا المعنى المبكر الموافق المقام .

(نكتة) في سنة ١٩٠٧ اصابتني نزلة صدرية الزماني لترك بيروت قبل ميخاوي وصالت عن قفبي بعض الاطباء فقال لما اني اصب بالجنون وما ذلك الا لتعطيل شغلي وانتشر هذا الخبر سريعاً في بيروت ففي أحد الاعياد توجهت لمعايذها كالعادة وكان هناك المركيز موسى افندي وجمهور غفير فلما رأني شهقت وقالت بلغني انك جنت فلما هذه الاشاعة عنك اجبت لو كنت معرضاً لهذا المرض لكنت جنت يوم وأبتك أول مرة فضحكك وضحك الجميع لهذا الجواب .

(كليوبترا) في سنة ١٨٩٦ أقام انجال المرحوم موسى افندي سرسوق مرقصاً عمومياً متكرراً وكان كل من يحضره يلبس زياً مخصوصاً يمثل احد المشهورين من القدماء واختارت مدام فريج ليس كليوبترا وتصورت بهذا الزي واهدنتي رسمها فتظمت لها اياتاً موافقة للمقام . وكانت الصورة تمثلها مادة يدحا كأنها تشير الى جهة وعلى زندها حية ملفوفة هي حية كليوبترا التي كانت ملكت في مصر بايام الدولة اليونانية وورثت كرسي الفراعنة وحاربها انطون القائد الروماني قبل ان تمسقها وبعد ان ظفر بها ابقاها ملكة ثم حاربها قيصر وحارب القائد انطون واخذها اسيرة فلما رأته ذاتها بالاسر اطلقت الحية عليها فلعستها وقتلتها وتذكرت هذه الحوادث فتظمت لها ما يأتي :

هذي كليوبتره التي أخذت لنا
 قد اغرت موسى ببحر جالها
 مدت يميناً للقلوب تشقهها
 أجرت برمش الجفن بحرأ احمرأ
 هذا لمسى حية في زندها
 واذا بها اللسوع عز شفاؤه
 لو كان هارون يرى ما عندها
 في ثار فرعون سليل امونا^(١)
 كحصاة موسى اغرت فرعونها
 وتقلبت عوض العين عيوننا
 متموجأ في الخد نال سكوننا
 نحبي لنا اللسوع والحزوننا
 في ريقها بيد الدوا المأمونا
 لاصاع موسى واقضى انظروننا

(نكتة اخرى) في أحد الاعياد توجهت لاهتها بالميد وكان عندها جملة اساقفة فقدمت حسب العوائد الشرقية وقبلت ايديهم ثم يد مدام فريخ فالتفت احدثهم متعجباً فقالت له يا سيدنا هذه المودة اليوم ان الرجال يقبلون ايدي السيدات قلت فضلاً عن المودة ان تقبل يدك سرني ولني أكثر من تقبل ايدي هؤلاء السادة فضحكت وضحك الجميع لهذا الجواب .

(ليلة رقص) للمركي موسى عادة بكرمه ان يقيم مرقصاً في منزله يدعو اليه الاكابر والاعيان في احدى الليالي التي اقامها احتفالاً لدعوته ناشد باشا والي سوريا كان المدعون يحضرون ويتقدمون الى السيدة التي كانت يبهوا وتحدق بها السيدات بلسهن البديع من الجانبين فكان الرجل يتقدم بأمراته وينحني امام صاحبة الدعوة ويترك امرأته مع السيدات ويخرج حتى تكامل عدد المدعويين وابتدأ الرقص وكانت عاذني هكذا ظروف ان ابقى متفرجاً فلا أرقص ولا تتناول مشروباً روحياً بل انتقل من محل الى آخر وبينما انا على هذه الحال صادفت موسى افندي فسألني اذا كنت مسروراً وما رأيي الشعري بتلك الليلة فنظمت بدنيا الايات الآتية وهي مطبوعة بكتابي صحة العين :

ولما دعينا عند موسى بليلة
 تذكرت فيها عهد فرعون جامعأ
 وكان بنا نساثير ذا السحر مثلاً
 ولكن موسى كالقديم اتاهم
 وقد حاز نصراً وهو في ذاك آية
 وشاهدت ما تبدي الجفون من السحر
 لموسى جميع الساحرين من القطر
 تأثر منه الشعب من قبل في مصر
 يحفن يفوق السحر قد حف بالكبر
 له الجفن مكسور وقد فاز بالنصر

وقد قلت بموسى افندي اذ رأيت وأتقأ بكلم امرأته سراً .

لا شك موسى كليما
 من قبل رب البرايا
 للرب في كسب المال
 واليوم رب الحمال

(١) أمون اله المصريين .

(نكتة مع الدكتور سليمان مشاقه)

كان الدكتور سليمان افندي غيوراً جداً وهو صديقي امزح معه خصوصاً بسبب لحية التي أطلقها عن صفر فني ذات يوم كنا في باتر ودعيت لمعالجة الشيخ سعيد حمدان ومعي سليمان افندي فبقينا مدة خمسة عشر يوماً هناك وذلك سنة ١٨٨١ وكان حاضراً نسيب بك جنبلاط لأن الشيخ سعيد من اقاربه فقال نسيب بك يلزم ان تنزل الى النهر حيث هناك غدير فنتسح به وتتخلص من هذا الحر وذهب معنا الدكتور سليمان افندي ولما وصلنا الى النهر لم يرض ان يسبح غيره فيه فخلع ثيابه أماناً وسبح بالماء ذتركت قول المتنبي :

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فارت ليالي اربعها
واستقبلت قمر الساء بوجهها فارقتي القمرين في وقت معها

فعارضتها وقلت :

ذو لحية دكتور ابن مشاقه قصد الغدير بعصر يوم الاربعا
خلع الثياب وغاص قصد سباحة فاراني الذقنين في وقت معها

وانتشر هذان اليتان بسرعة عظيمة ولم يزل ذكرهما حتى الآن .

(كاسر الجحش)

حضر ذات يوم الي رجل سمين جداً وجلس على المقعد في الدار فسقط به ولكي يعتنر عن نفسه قال ما هذا الجحش فانه ريك للغاية والجحش هو قطعة الخشب التي توضع عليها الالواح فقلت فيه :

سمين قـــــــد علا ديوان داري فكسر جحشهُ واتى اعتـــــــذارا
وقـــــــال الجحش خضع قلت كلا فان الجحش لم يحمــــل حاراً

(أخ الثور)

اتى الي رجل كنت اعرفه في مصر ورأيتُه بعد عشرين سنة وكنت قد نسيْتُ فأخبرني عن حاله وكنت اعرفه فقيراً ثرثاراً كاذباً فتذكرته وقلت له قد عرفتك وانت فلان بائع الدخان بالمحل الفلاني قال نعم ولكن

أحوالي قد تغيرت كثيراً وصرت من المتعبرين في مصر تكرمي الناس وأنا هناك ذو نفوذ عظيم فعرفت من كلامه أنه لم يزل على عادته بالكذب فنظمت له هذين البيتين :

تقول مصر قد غدت مكرماً لما عندنا شك بغورك والنصر
لقد ذكر التاريخ من قبل ذا لنا بأن اخاك الثور يعبد في مصر

ولاء بطرس البستاني

كنت سنة ١٨٦٥ تلميذاً بالمدرسة الوطنية التي أسسها في بيروت المعلم بطرس البستاني وهو أحد أصحاب النهضة العربية المجد المحمّد فأنه ألف بكل العلوم وأعظم تأليفه محيط المحيط القاموس العربي الشهير ودائرة المعارف العربية وانشأ جريدتين أحدها دعاها الحنة والثانية الحنان وكان مواعباً على التأليف والعلوم وتوفي فجأة بين الكتب والمخابر والأوراق في أول أيار سنة ١٨٨٣ وكنت يومئذ في بيروت وحضرت مشهده وحيث أنه كان رئيسي ومعلمي رثيته بالقصيدة الآتية :

فساله في قلبه لسه ولسان
لم يفرق الانسان عن حيوان
بـسـل ميز الانسان عن انسان
لا باللفظ وضخامة الابدان
لكن خلود المذكر بالاحسان
يحنى وليس بنضرة الاعصان
ما فيه من طيب ومن الوان
فها خلاف جواهر العبدان
فضلاً ويفنى سائر الخصال
وابيك الا منتهى الاحزان
من مهرب منه وبرج امان
حي من الاحياء ليس بفان
لولا الوجود بمـسـالم العمران
كرهي له ان جاء قبل زمان
والخو مكروه بفسر اوان
يخلو اذا ما جاء في الاحيان
فرداً عظيم الفسخ كالبستاني
بل في حياة مشيد الأوطان

عش في زمانك ذا نهي وبيان
لو جرد الانسان يومياً عنها
وبسببها عن الحيوان كسان مميّزاً
وبه ينال الجهد ما بين الوري
ليس الفتى بسالمال يخلد ذكره
او ما نظرت الى النباتات لنعمه
والورد ماء الورد يفضل له عل
واذا نظرت الصيدلية لم تجد
كالدهر يبقى للفتى من بعده
وارى الوري يخشى المات ولم يكن
ماذا يفيد الخوف منه هل ترى
ارأيت او اخبرت او حسدت عن
أصل الحيرة هو المات فلم تمت
اننا لا ارى في الموت كرهماً انما
فساله محبوب غدا باوانه
والموت مر غير ان مساره
وامره ما اغتال شهماً فاضلاً
الموت لم يفتك فقط بحبساته

من حيث قد جادت بيطرس ثاني
 ذا للعلوم وذاك للأيمنان
 جعل اسمه في عالم النسيان
 يفنيك حتى منتهى السدوران
 قد بات صاحب جنسة وجنان
 لم تيكسه من امرى عينان
 دمعاً بلا عين لعين زمان
 ففدا بها البهران يلتقيان
 ذا بالعلوم وذاك بالاجفان
 لم يرسل الطوفان للانسان
 نهراً بفيض الدمع كالطوفان
 طوفان نوح ليس عن طغيان
 من حر ماما في القلب من نيران
 متزوداً بمراحم الرحمن
 هذا شهيد العلم والعرفان
 واقسامه لجنانه يستاني

تلك التي بات الزمان رقيقها
 فكلاهما قد كان فيه صخرة
 هيمات ابواب الردى تقوى على
 افنته يا موت لكن ذكره
 كيف الردى يقوى على ذكر الذي
 لم تقن غير الدمع عند معاده
 بل كل عين ألف عين قد جرت
 لاقت بسفه بيروت بحراً احمرأ
 جمع المحيط بموته وحياته
 لولا معاهدة الاله بانه
 ووجوب خشية جمع من البكا
 واليوم سكان الكواكب شاهدت
 بل من دموع بالزفير تيفرت
 وعلى بخار الدمع سار الى العل
 نادت ملائكة الاله امامه
 فاناله رب العباد مقامه

(سائق الاضغان)

في سنة ١٨٨٣ كنت موجوداً في قرية الحدث لمعالجة الامير يوسف بن الامير سليم عبدالله شهاب
 الذي كان قاطناً الجبله ووالده الت سعدا بنت الامير بشير الكبير مع امرأته الثانية . حسنجهان التي رافقتها
 من مصر الى سوريا وكان مصاباً بداء السل الرئوي وتوفي به وكنت ازوره كل يوم وفي مدة اقامتي هناك
 حدث يوماً انني كنت مرافقاً الامير حافظ والامير توفيق المشهورين بالحقم والبلادة وكنت امشي خلفها
 نادياً لانهما امراء في اثناء سيرنا قابلت احد اصدقائي الظرفاء وسألني عنها فقلت ارنحلاً :

سرت بسالميرين توفيق الفتى وأخييه حافظ ذاك الصبي
 نسادت التساس عليّ والى سائق الاضغان يطوي اليه سطبي
 منعماً عرج على كنان طي

(دابة بلعام)

كنت في احد الايام على ساحة البرج ببيروت مجتمعاً مع بعض اصحابي الشهابيين واذ دخل علينا احد سائقي الاطعمان جناب الامير حافظ الذي كان من عادته ان لا يكلم احداً ابداً فخاطبته واجابني على حديثي فتعجبوا من ذلك وقالوا لي كيف انطقته قلت ولماذا قالوا انه لا يخاطب احداً سوى والده الذي قال له مرة يا ابي رأيتك في المنام كديشاً انا راكب عليك فلما وصلنا الى النهر سقطت بي فطرده ابوه من حضنرته غضباً وقال الذين سمعوا هذا المنام الى ابيه دعه حتى ينشلك من الماء وله عدة اعمال اخرى تشبه هذه بالحق فلما رأيتهم متعجبين قلت بهذا المعنى شعراً :

امير حافظ ابدأ سكوت وقد عدوه من بكم الزمان
وقد انطقته لما رأي فظنوا اني بلعام ثنائي

ان بلعام هو النبي الذي أنطق حمارته حين كان متوجهاً الى ملك الموابيين كي يلعن بني اسرائيل .

(انفس المفسد)

كان أحد القسوس كثير الحركة والفساد وان لا يرى اثنين متقنين الا ابعدهما او بلدين متوافقين الا افسدهما مع ذلك يدعى التقى والذكاء والمعارف بالانجيل وتفاسيره فيوماً ما وقد كان يفتخر بهذه العلوم المقدمة خصوصاً بمعرفة الانجيل قلت فيه :

وقس للفساد غداً اماماً ولم يقض الصلاة ولا الصيام
ولم يحفظ من الانجيل قولاً سوى (ما جئت كي القى سلاماً)

(حسن الاعتذار)

كان لي صديق في بيروت اتردد عليه منذ عشرين سنة واعتبره كاهلي فغبت عنه مدة شهرين ولما أتيت لزيارته عاتبوني خصوصاً امرأته فقلت مرتجلاً :

تمسكتني اسمي على طول غيبي كأن ما كفاني في البعاد عذاباً
لئن كان محروماً محاسن وجهها كفاه قصاص لا يزداد عتاباً

(رابع المستحيلات)

دعيت يوماً مع بعض الاصحاب الى طعام عند أحد الامراء اسمه الامير سعيد وتعجبنا من هذه الدعوة ولكن لمل السياسة دعت لدعوتنا لأنها كانت مخصوصة لشخص مهم في السياسة ولكن مها كان الداعي البيخل متكارماً فلا بد ان ترى على مائدته ما يدل على بخله فحين تناولنا الطعام قدموا لنا شكلاً يدعى المحشي وهو من الكوسا او الباذنجان او ورق العنب ويتكون من الأرز واللحم اما هذا المحشي فكان خالياً من اللحم واشمرت بذلك من طعمه غير اني اردت ان اتحقق ذلك ففتحت واحدة واذا بطني استحال الى حقيقة فخطرت على بالي مستحيلات العرب وهي الغول والعقاء والخل الوفي اذ يزعمون انها اسم بلا جسم فارتجلت قائلاً :

قد قيل ان المستحيل ثلاثة والان رابعة انت بمزيمـــ
الغول والعقاء والخل الوفي واللحم في محشي الامير سعــــ

(الشاهد المجرع)

من عادة الناس اذا سأل الواحد الآخر عن محبه له يقول قلبك شاهدك واتفق اني سئلت هل تحبني اجابت كالعادة فقلت بذلك حسب الشاهد لان الشريعة لا تقبل شهادة مدمن على السكر او سارق او شاهد زور او امر غل بالأدب فتجرح شهادته ويقال عنه انه شاهد مجروح فقلت بهذا المعنى هذين البيتين :

فأنتها هل بالأكيد تحبني قالت فؤادك شاهد يا روحي
فأجبتها أهل الهوى لا يقبلوا ابداً شهادة شاهد مجروح

(قضاء داود سنة ١٨٨١)

كان لي صديق من الامراء اللعين وكان اسمه الامير داود ففي ذات يوم حضر عندي الى بيروت مع امرأة جميلة اسمها نور من عائلته فسألته عنها قال انها زوجتي قلت ومتى تزوجت وكيف توقفت سريعاً الى هذا المجال اجاب ان المسألة كانت غير متظرة لأن الست نور كانت محبوبة لامير يدعى الامير عامر وهي مفصوبة على هذا الزواج لانها كانت تميل الى الامير داود واتفقت معه ذات ليلة ان يأخذها خفية من بيت والدها في قرية بحسن ويأتي بها الى برمانا ليتكلم عليها وهذا ما تم وبعد ذلك اتى بها الى بيروت ليبعدها عن محل الحادثة وكلفني ان أنظم له شعراً فقلت في ذلك :

أخذت بهاء النور من دار عامر وأحرمته نور الهدى دون تهديد
وقد ذاق أوريسا قديماً نظيره وهذا قضا داود في مجلس الغيـد

إشارة لما فعله داود النبي مع أوريسا إذ أرسله للحرب فقتله وتزوج امرأته وهي أم سليمان (سفر الملوك
الأول) .

(تاريخ أما)

كان لي صديق في بيروت صيدلي يدعى ملحم مطر من حاصيا تزوج السيدة أما ابنة الخواجة طعمه
غبريل والخواجة طعمه من أحسن الرجال بالمرأة واللفظ والزماد والمودة وله امرأة ذات فضل وعفاف لا
يقدر وله عدة اولاد من أطرف الشبان وقد تربت السيدة أما ابنته الكبرى جيداً وتهذبت بمدرسة العازاريه
وكنـت اعتبرها جيداً نظراً لصفاتها الأدبية ومعارفها خصوصاً باللغة العربية وولعها بالشعر وقد نظمت تاريخ
زواجها لأنها تزوجت بالمصيطبة ونقلت الى الدار التي عمرها رجلها في برج ابي حيدر نقلت :

للمشم برج في كـــــــسل شهر انبأنا عنه حباب قيصـر
واليوم أرخ حلت ربوعاً أما تراها في برج حيدر ١٨٨١

وقد طلبت مني كتاب صحة العين فأهديته لها وكانت يومئذٍ ارملة لم أرها منذ ستين وحررت عليه
هذين البيتين :

صحة العين أمدها لميون ناعات يواظق وصحاح
علها تنق اما قد كفاها ما أصاب قلوبنا من جراح

بعد هذه الجلسه وتقديم الكتاب لها لم أر وجهها مدة ثلاث سنوات وتزوجت ولم ادر بزواجها غير اني
لم أزل اعتبرها وابجدها وامدحها في كل مجلس ووقت لأنها تستحق كل مديح واعتبار وافقتها السلامة أين
حلت كما وافقتها الطهارة اين تجلت .

وفي شهر شباط سنة ١٩٠٧ حين كنت في مصر ماراً بشارع الفجالة رأيتها عن بعد فأوقفت عربي
واتيت وسلمت عليها وعلى زوجها وسررت كثيراً لسلامتها وولادتها اولاداً فرأيتها كما كانت وكنـت كما كنت .

أميرة القمل

لما كنت في الحدث كما قلت لقيادة الاميرة سعدا بنت الامير بشير الكبير وزوجة الامير سليم عبدالله التي كانت مصابة بالبول السكري ومعها نكروز في العظم الصدغي مرت ذات يوم على دار ورفقي الخوري حنا ناصيف خادم كنيسة الحدث وقد توفي في شهر آذار سنة ١٩٠٦ وحزنت عليه لأنه كان ذا مبدأ قويم فأرأينا على باب الدار اميراً شيخاً جليلاً لم أكن اعرفه من قبل فدعانا ولشدة الحاجة علينا أجبنا دعوته وكان ذلك وقت العصر ودخلنا الى غرفة فيها ديوان بالجهة القبلىة واخر بالجهة الغربية ورأينا اميرة عمرها سبعون سنة تقريباً وقفت لنا وعند وقوفها سعلت لأنها كانت مصابة بسعال مع ربو وجسمها سمين للغاية فلما أبدت هذه الحركة ضربت مدفعاً بصوت جبير لاستقبالنا وسعلت وعطست وكان يسمع مع سعالها دوي قوي فكلفت الخوري ان يتقدمني ففعل وسلم على الاميرة ثم جلسنا على الديوان وكانت المدافع تتكرر مع كل سعال اخيراً حكّت رأسها بشغف وجالت بين اصابعها وجمعت اظافر الابهام وفقسّتها ففرغنا منها قتل قلة ولما رأيت عملها أخذت ورقة وقلم رصاص وبدأت أكتب والامير والاميرة ملتئين بالحديث مع الأب حنا وبعد مدة سألتني عن سبب سكوتي أجبت اني اسطر بعض حسابات اخشى ان انسها وبعد برهة استأذنا بالذهاب وكان وداعنا كاستقبالنا بدوي المدافع ولما خرجنا قرأت للخوري القصيدة التي نظمها ارتجالاً فأغرب في الضحك وأخذ نسخها وتبلغتها الاميرة فنظفت داتها وصار اذا حصر أحد مجلسها واشمرت بالسعال تخرج من المجلس واستراحت من نهش رأسها لانها غسلته وحسب رواية الأب لم يبق في رأسها شيء مما كانت تعمله وكانت القصيدة دواؤها الوحيد لذلك القمل وقد جرت الحادثة في ١٦ آب سنة ١٨٨٣ في الحدث وهي :

بقصر اميرة العصر
يجيش القمل بالعصر
تنش القمل للنحر
بأيديها على شير
قصاص القمل بسالك
هنا شطر على شطر
من الاسرى عسى الصدر
ولم نعلم ولم نستر
أم الاصوات من نحر
ورعد من وراء الظهر
وفي حجر وفي اسر
وقد ابتغى في حجر

جلسنا اليوم في العصر
أميرة ماجد فتكت
اذا عطست قطت
هناك النفخ متصب
بظفر الباهمين غدا
تري القتل ممدة
وبطن الكيف ممتلىء
ببذات للفقس فرقة
اهل هذا الصوت من دبر
سمعال ثم فرقة
وجيش القمل في هرب
ولا ملجأ لمهربه

عليه الكف كوردون اقسمتموها على النحر
ظننا الأرض مرجفة كسان القمائل في الحنجر
فويسل القمائل ان وقعت بكف اميرة العصر

كانت احدى الخرائد شهيرة بالجمال فريدة بلطفها وظرفها ذات لون وردي يسلم بوجتها عند أدنى تأمل فيها او ادنى اضطراب يصيبها غير انه لا بد لكل بداية من نهاية فلم يمر وقت طويل عليها أي من يوم نظمت لها الايات الى يوم تحرير هذا الكتاب حتى أصبحت هذه الملكة عبدة فبحان من يغير ولا يغير وهي ذات هيئة كنية وأصبح ذلك الاحمرار كالطخ دهان الجدران اذا اذاب المطر وانغى وجه ذلك الوجه المستدير وتجمد حتى لو مرت عليه عربة لا تقلبت بها فأين منظرها الان من ذلك المنظر البديع الأول وقد كانت وقتئذ ملكة الجمال في الحدث حيث نظرتها وذلك سنة ١٨٨٣ وقد أصبحت سنة ١٨٩٣ بهذه الحال ونظمت لها يومئذ الايات الآتية :

هذي الميككة اقبلت	نحوي بعهد جنودها
وخلدودها شهدت عل	عندم الوفيا بيهودها
قلبي عليها شاهدا	في قلتي بنهودها
لما نكرت غرامها	شهدت شهود خلدودها
جرح شهودي عنسدما	حساولت جرح شهودها
لما عجزت حسرت فسي	دعواي كسل بنودها
فرصت مهسا كليا	ترضاه دون صلودها

أما اليوم فلورأيتها لهوتها ولكن ما العمل وقد سبق المدح فلا يجوز القدح خصوصاً لكونها غير مذنبه .

(حوت يونس)

يونس هو يونان وكان رجل يدعى بهذا الاسم نقلاً سمياً لا يقبل له كلام وهو لا يتأخر عن الرذيلة ولو مع أعز اصدقائه وقد توكل بدعوى ومع علمه تزويرها قبل الوكالة بها بغية اكساب الدرهم بالحرام فخرسها ونهب المدعي واراد يوماً ان يغير وظيفته ويصير كاتباً لأحد الامراء الحائزين وظيفه مهمة في الجبل فحررت للامير الايات الآتية :

يسسا من نجل لسه بجلا	أبونس نخساره مؤنسا
الا نذكر الحوت مع هضمه	عقيب الثلاثسة قسايسونا

وهي قصة يونان النبي الذي ابتلعهُ الحوت وبعد ثلاثة ايام اخرجهُ من جوفه لعدم هضمه وذلك كتابة على صديقنا يونس سنة ١٨٨٤ .

(شقيق النعمان)

في احدى ايام الربيع بينما انا متوجه باكراً جداً الى قرية الحدث قبل شروق الشمس وراكباً فرسي الزرقاء التي سرقت مني وصلت الى رمل الحرش فرأيت زهر الشقيق مفتحاً واللون الاحمر ناصعاً والسواد في قلبه عابساً فصررت اتأمل هذه الرياض حتى امتلا دماغي من الافكار واشعلت سيكارة دختها وانا واقف لم مشيت الهولنا وكبت هذه الاسعار على الطريق حتى وصلت الى الحدث وذلك في شهر آذار سنة ١٨٨٣ :

أرت أمها في ذا الشقيق شقيقا
على خاله ما كان قط شقيقا
وصارت دمائه في الخلدود عقيقا
عدو لخال لا يكون صديقا
بنار ومنى الدمع كان طليقا
غريقاً ينادي الخال مات حريقا
واحيت ميتاً وانتشت غريقا
لان لماها قد سقاني رقيقا
اذا عتق الحلو استحال عقيقا
يصير الى ذاك العتيق رقيقا
فلم تر حتى الخصر منه عقيقا
قد بما حديثاً لم تزوه رقيقا
تزوه رقيقاً في هواها عقيقا
فكاد ليلق ان يموت سحيقا
كذلك سواها لا يريد رقيقا

ولما ارتقي في الخلدود شقيقا
شقيقان بل خال وابن شقيقة
وما بدا من خاله اسود قلبه
تقول لنا الامثال ابن شقيقة
نقصت في حال التزاع ومهجني
بدمعي قضى ابن الشقيقة نجبه
فقبلت ذين الميتين مودعاً
وفي في سر نساء عش روح ميت
تقادم عهد بالخلاوة قطره
فن ذاقه يوماً في الحال انه
لما من رقيق رام في الصدر عتقه
وان تسألوا عن قلبها نحو حيا
وان تسألوا عن حال قلبي بجها
خطوق يلدق الصدر ساعة ذكرها
لما أحسد ساواه في حبسه لها

وكان المرحوم الامير سعد ابن الامير خليل بن الامير بشير الكبير يسر جداً لهذه القصيدة وهو يومئذ رئيس مجلس ادارة لبنان ويعرف قيمة الشعراء ويستظرف نكتهم وهو دمث الاخلاق .

نسيب بك جنبلاط قائمقام الشوف

في ٢٥ ايار سنة ١٨٨٤

كان يظن ان هذه القاعمة لا تخرج من يد الاعمراء الارسلانيين لأنها العائلة الوحيدة الدرزية التي لا حزب لها كالجبلانيين والبيزيكيين وقد ذكرت تاريخها . وعندما حضر وامه باشا متصرفاً على لبنان سنة ١٨٨٣ عين نسيب بك جنبلاط قائمقاماً على قضاء الشوف ولم القبول بالفضل فسكت الطائفة الدرزية لهذا التعيين ورضيت عنه فحيثما نظمت له القصيدة الآتية لتهته :

ولا للديح لغير الحق من همي
ان كان هجوي لم حقاً ولم يلم
عهد لب ولا حفظ على ذم
كان عهدي لم يوماً لسفك دمي
في العمر عنك فهم اسرى لضعفهم
كالليل عن صميم في فقد فلسهم
وسرعهم لا يمسك اداول برة الفهم
اسك بايديك غرماً من امامهم
وحركوا ذيلهم شوقاً لفرشهم
وليس في حكمهم حشد لظلمهم
ويجمعون شتات الخلل والحرم
عيمد غرش فهمل يسوون للحكم
كريم نفس عفيف ثابته القدم
تليسد بحد طريف الفضل والشيم
فضلاً على كل عالو ناهض المم
ولم ينسل صحة من كان ذي سقم
كالفرق ما بين نخاس وذي قلم
وذاك آتته من آلة العسدم
كالفرق ما بين نور الشمس والظلم
هل يتوي اليوم غنوم مع الخدم
مضرة نفهمها للطرق لا الحكم
فهم وان حجبا فالتناس في أزم
ولم يفت قط شخصاً طم خبزهم

ليس الخضوع لغير الحق من همي
ولا ابالي بمن اهجوهم ابداً
هل يدحون اناماً ليس عندهم
ذبيان فصل اذا عاهدتهم حثوا
لاذوا بكم في اوان البير واتمسدوا
ان يكسبو الفلس مالوا نحو صاحبه
فهمل تبالي بمن غرشن قيمتهم
ان شئت تغريب مغتباط وذي كدر
واصرخ لم شو شو شو تلقهم رجما
اوغرساد قوم اذا وليهم ظلموا
هم يفرقون ابداً عن ابنه حداً
ان جوعوا سرقوا او اشبعوا فقوا
من لم يكن صاحب الانعام عن صغر
حراً حليماً ودوداً ليناً بطلاً
نسيب كل مقام في الملا وعلا
لا يرجى منه ان وليته ارباً
والفرق ما بين ذي فضل وذي لؤم
هذا يسوس برفق حسب آتته
والفرق بينها اصلاً ومرتبسة
بأي عدل يساوي بينهم ابداً
هجوم من كان كالنحاس آتته
ملحت من كان نفع الناس مرتبطاً
قوم يحرون اعسدهم اذا ظلموا

مضت ثلاثون عاماً في الحياة ولم
ابن السعيد ومن نسل البشير ومن
لجده قالت الامثال من قدم
وشهرة لا يبيته أصبحت مثلاً
وكلاً نسبوا في ملحه قدماً
قد نلت ما لم ينالوا في زمانهم
جعلت اعداهم صحباً وما رفضوا
لكن بما نلت من حزم ومن كرم
ومن ذكاء ومن لين ومن سعة
فضائل حزنها لم يحوها بشر
لم انس يوم توليت الزمام به
اوهاهم حداً اعلاهم شرفاً
قلنا الى جث من حولنا ضخمت
وعندما عرفوا للعقل منزلة
ذاك الذي ذاب من غيظ ومن حد
ظننت عن شحمهم يستمضون نهى
قاعقاية الشوفين قد نطقت
لك المنشاء بها ثم المنشاء لها
ما دمت بالعدل مخوفاً ومنتظراً
والعدل لا شك روح الحكم ان فقدت
قدم على رأسها كالنيرين كما

وقلت مؤرخاً :

قاعقاية الشوفين قد بزغت
أت من الشرق ضمن المغرب قد أسرت
مذ خيروها أجابت ارضوا هربي

أمدح سوى صاحب الانساب والهم
أضحى نيب العلى والهدد والكرم
السيف أصدق انشاء من القلم
جاءت بأشهر من نار على علم
كنت النيب له بل فوق مدحهم
احيت في جنبلاط نشر ذكرهم
عنه انالوك لا باليف والحشم
ومن تأن ومن صبر ومن حكم
ومن ثبات ومن لطف ومن هم
عند الثلاثين بل من مقتضى الهرم
وأنت مـا بين اجواق من الأم
أقواهم همماً بل رأس كلهم
قوموا انظروا الفرق بين العقل والضخم
أعلى من الشحم ابدوا لعن شحمهم
والنار أدنى احتراقاً من لظى الالم
فأصبحوا بعده من انحف السهم
اعلاً وسهلاً بأهل الجود والكرم
لقد علت رتبة عن سائر القدم
فأنت اثبت في حكم من الهرم
روح من الجسم كان الجسم في عدم
دامت عليك صفات الفضل والشيم

كانها نجمة في الأرض سياره
واليوم قد هربت للشرق دواره
فانني لنيب الهدد محتاره ١٨٨٤

ونظمت له تاريخاً ثانياً تبركاً بالرتبة الاولى التي انعم عليه بها سنة ١٨٨٨ .

فأنت يا من قبل من قبل المولى
وأنت يا في أروع ابدأ أول

فلا عجب من نيل رتبتك الاولى
وغيرك قد نال السعادة لفظاً

سماعة اعمال سماعة مستول
اتينا نفي فيك ربتك الاولى ١٨٨٨

سماعة اموال سماعة مولد
ولا غدا التاريخ أبجد مباح

(ميدانا الطيب)

فظن يخوضه خوض الجيــــــــــــــــاد
كديش أقل من قهر النقــــــــــــــــاد
لكسان الطب لا يــــــــــــــــأتي بزاد
وأمت للردى أقوى مــــــــــــــــواد
الى دار البقــــــــــــــــاء من النــــــــــــــــفاد
جاء أنت فــــــــــــــــارجع للحمــــــــــــــــاد

وميداننا له الميدان خــــــــــــــــالو
فلان الحق ان الركن ركنــــــــــــــــو
ولولا قمع ابتــــــــــــــــه شيعــــــــــــــــا
وأدوية لــــــــــــــــة أضحت رــــــــــــــــسلا
بهم بخارهمــــــــــــــــا الأرواح تــــــــــــــــري
نقول لمن تــــــــــــــــساووا لــــــــــــــــدداء

(وصية همام لولده فحاس) هذه هي الوصية التي ذكرتها في متصرفية لبنان :

بلا بب سوى حفظ الوداد
بعميت ولا يــــــــــــــــمور وادي
وخذ عني الســــــــــــــــياسة والمبــــــــــــــــادي
وشمتــــــــــــــــنا هم لم الــــــــــــــــايــــــــــــــــادي
واشعمل بيهم قــــــــــــــــدح الزنــــــــــــــــاد
لشق يــــــــــــــــدخل المــــــــــــــــأمور غــــــــــــــــادي
لهذا الشق يومــــــــــــــــاً بــــــــــــــــانــــــــــــــــداد
بهذا الــــــــــــــــانــــــــــــــــشقــــــــــــــــاق عل الهوادي
الى الحكمــــــــــــــــام من عمق الوهــــــــــــــــاد
وحــــــــــــــــاول ان تــــــــــــــــقيم لهم اــــــــــــــــعــــــــــــــــادي
يرون بــــــــــــــــأنكم أقوى القــــــــــــــــيــــــــــــــــاد
وفي تمدــــــــــــــــاحه كن أي حــــــــــــــــاد
بــــــــــــــــه الأقوى لقصــــــــــــــــد واستــــــــــــــــداد
ضعوا في طرفــــــــــــــــه شك القــــــــــــــــتــــــــــــــــاد
وفي اضراره بــــــــــــــــالسر بــــــــــــــــاد
عن الاضرار مــــــــــــــــلول الــــــــــــــــايــــــــــــــــادي
حزيناــــــــــــــــً سوداً مــــــــــــــــثل المــــــــــــــــداد
فلا نــــــــــــــــقيــــــــــــــــه تــــــــــــــــقلأ من غــــــــــــــــار

وفحــــــــــــــــاس بنوح مع أيــــــــــــــــه
لما أبــــــــــــــــكرــــــــــــــــها تــــــــــــــــن قــــــــــــــــوي
نقــــــــــــــــفه يــــــــــــــــا بني وكن لــــــــــــــــيبــــــــــــــــا
ولا نــــــــــــــــشى من الحكمــــــــــــــــام جوراً
وأقســــــــــــــــم بين حكمــــــــــــــــام وشــــــــــــــــعب
وهذا العمل سمــــــــــــــــوه انتــــــــــــــــقــــــــــــــــاد
ومن يــــــــــــــــدري الســــــــــــــــياسة ليس يــــــــــــــــعى
فتــــــــــــــــضحــــــــــــــــي حــــــــــــــــاكم الــــــــــــــــاثنين عــــــــــــــــالو
وأزــــــــــــــــرع دائماً أنجــــــــــــــــبار كــــــــــــــــذب
واشــــــــــــــــغل فــــــــــــــــكرهم في القــــــــــــــــير دوماً
بــــــــــــــــيــــــــــــــــذا يــــــــــــــــضحون في عوز البــــــــــــــــكم
ومن تــــــــــــــــحاجــــــــــــــــه اــــــــــــــــخدمــــــــــــــــة مــــــــــــــــطبــــــــــــــــعا
وبــــــــــــــــعه من عــــــــــــــــداه بحيث تــــــــــــــــشــــــــــــــــري
ومن يــــــــــــــــظهر لــــــــــــــــكم أدنى انــــــــــــــــحراف
وقــــــــــــــــل فــــــــــــــــيه الى الحكمــــــــــــــــام هجواً
فــــــــــــــــلان افــــــــــــــــشى بسر لم يــــــــــــــــصلق
وان قــــــــــــــــابلــــــــــــــــته ايــــــــــــــــديــــــــــــــــه ووجهــــــــــــــــا
وابلــــــــــــــــك دمعــــــــــــــــة مــــــــــــــــعــــــــــــــــة ولكن

واسلب منهم سلب البوادي
ومهد للصدقة كالمهاد
يرب الأرض والسبع الشداد
لكل منهم بسلا لافراد
لتمكين الصدقة والوداد
وعرقل شغل خالو غير آد
فلا تسمع له ذاك المنادي
ولا نهيم عفواً في الضماد
وخادع من اتاك ولا تعاد
فلا ذنب سوى ذنب اليمسداد
ودس ان قسد علوت ذرى الجواد
بترك المال او فيه تفادي
وليس عليه عزمي واعتماد
ويحمله بعنق كالنجماد
بلا علف كذلك بلا بسداد
وجسد في كسب مال واحتشاد
ولو ان الهدية من رمسداد
ولو بعث البلاد مع العباد
وكن في أكله مثل الجراد
دهاة الناس وارتفعت عادي
وانشرها الى يوم للمساد

وأدخـل بين اخصام لكـب
لكـل منهم اظهر وداداً
ولا ضرر اذا اقمـت يومـاً
بـانك خـالص الود عـب
وأكـشف سرهم بعضاً لبعض
وانجز شغل من اعطاك قبلاً
اذا المـروح قد ناداك يومـاً
وعـلـل الوعد منك بلا وفاء
ولا تـسـدب خـيلاً قد تـهـاءى
وقاطع صاحباً ان غاب يومـاً
وقبـل في المـبـوط مـداس دون
وحـد عن ان تـيـل لكـب فـخر
فـان الفـخر فـخـار قـديم
وذو خـزف يـلـذ به لـهـل
وذو الحـاجـات يـلـوه بـانـاً
فـاتـرك فـخر ذـي خـزف واسـرع
واقـنع بـالـهـدـايـة كـيف كـانت
واغـطـس في بـحـار الكـب يومـاً
فـلا يـفـعـل غـير الكـب سـراً
وتـلك سـيـاسـتي غـالـطت فـيـا
فـأحـفظـها تـنـقـل فـعـماً عـظيماً

ولما حكم واصله باشا متصرفاً على لبنان سنة ١٨٨٣ عزل فتحاس واباه وابن عمه وسلم وظيفة فتحاس الى حنا الشهير وقد كان قبلاً فيما قللت بهذه المناسبة :

وظيفة يوحنا القديم معمداً
لذلك يوحنا الجديد اقتدى به
(تاريخ) كالبط فتحاس في بحر الهواء زلق
وخاض في كل عمق من جوانبه

وتوفي بغثة في شهر نيسان سنة ١٣٢٠ فقلت فيه :

غرقت في بحر الانكسار مكتباً
ناحت عليك رجال كت مرشداً
حتى قضيت وقابلت السذي خلقك
الى السياسة حتى ارخوا غرقك (١٣٢٠)

مطارنة الطائفة المارونية

سر عزل رستم باشا كل مطارنة الطائفة المارونية لأنه كان ضدهم وقد أبعد المطران بطرس البستاني عن مقره في بيت الدين ولا أتى واصله باشا اجتمعوا في بيروت عند المطران يوسف الدبس الذي كانت له اليد الطولى بعزل رستم باشا لأنه ارسل المرحوم عبد الأحد خضرا الى الاساتذة العلية لهذه الغاية لان مدته وهي عشر سنوات كانت قد انتهت أما للمطارنة فكانوا المطران يوسف الدبس لبيروت اسطفان عواد لطرابلس بطرس البستاني لبيت الدين نعمة الله الدحداح للشام يوسف فريفر للبيرون يوحنا الحاج لبطبك وكان يومئذ البطريرك بطرس مسعد وهو الذي أمرهم بهذا الاجتماع فقلت ذلك سنة ١٨٨٣ :

لنا سادة لم تخل منهم فضيلة	وكل له فضل به امتياز عن ثاني
سلامة قلب الدبس فيه شهرة	سلامة عواد واقدام بناني
معصاوف دحدحاح وحزم فريفر	سياسة حج تجمع الشئب بالضان
لهم بطرك حاوي الرزائفة كلها	لله صبر ايوب وحكمة لقمان
وقسامهم دهي الخناس والناس ربه	وقسامهم بالاولى وصية هامان

(عدم الوفاء)

وعذني رجل وأكد لي وعده باقام عظيمة كما هي عادة كل كاذب اذ قيل لا تصدق رجلاً يخلف بسرعة وبلا لزوم ولا امرأة تبكي بسرعة وبعد مدة لم يف وعده وهذا الامر يضر كثيراً لان الانسان يتكل في عمله على وعد آخر يصدقه فيترك كل واسطة اخرى ولا يطالبه بالانجاز ولا يفي وعده فيتضرر ذلك الرجل والاجدر عدم الوعد بشيء لئلا يؤمل الموعد والأمل هو العبودية لذلك ترى كل واحد يعتبر الغني اذ يحسبون الجميع اصدقائه او قاعين بخدمته للانتفاع منه ولكن اذا قطع الأمل من عدم نفعه فلا أحد ينظر اليه لذلك اذا اراد الانسان ان يكون معتبراً يجب ان يكون نافعاً لان المنفعة تقبل او تكثر القيمة وصدق ابن الوردي في قوله قيمة الانسان ما يحسنه وقد نظمت في هذا المعنى الايات الآتية :

المرء يربط واعداً بلسانه	والثور في قرن ويباليقمان
اوعدتني يا برج عمال طوره	وتزوره شمس الضحى بنسان
للآن انتظر الوفاء بوعدكم	فكان وعدكم عديم الشأن
ربط اللسان لكم بسدون عمله	قد كان يلزمك الرباط الشاني

تولى الامير حسن شقيق الامير بشير الكبير كسروان فلاجل تولي اخيه طلب الامير بشير من الشيخ فضل الخازن حاكم كسروان وصاحب المهدة يومئذ ان يتنازل عن المهدة لاخيه الامير حسن فارسل اليه الشيخ

منصور الدحداح وطلب منه ان يتنازل عنها ويطلب ما يريد سواها فأجابه اني انتازل بشرط ان لا يعين ناطور لمزرعة كفرذيبان (قرية الشيخ فضل) الا بامري فضحك الامير بشير من طلبه واعطاه هذا الامر وعمل حسناً بذلك لانه كان يأخذها قهراً فرضاه عين الفلسفة .

(الامير متقذ) هو ابن الامير عبدالله بن الامير حسن شقيق الامير بشير الكبير واخوه الامير سليم عبدالله الذي تزوج السيدة سعدا ابنة الامير بشير الكبير التي ذكرناها كان لطيفاً ظريفاً جليلاً كريم النفس تعين ياوراً عند داود باشا ثم دخل العسكرية وترقى الى ان صار صاغ قول آغاسي ثم ترك الخدمة العسكرية وانتظم في الملكية وصار مديراً على ساحل بيروت وهناك تعرفت به حضرت لطفه وهو متفنن ذو الملام بكل شيء له عدة نوادي يسلي بها محاضريه .

(نادرة) كان الامير متقذ صديقي ومضت مدة لم اره وهو يومئذ مدير جيل وقد توفي بهذه الوظيفة بدء البول السكري فرأيتُه على ساحة اليرج ماشياً يوماً ومن وراه عسكريان لان المدير له الحق بذلك فلما رأيته توجهت اليه وكنت راكباً فرسي الزرقاء التي سرقها مني شخص من جزين حين كنت اشتغل في المستشفى وماتت على الطريق وتناديت الامير فالتفت اليّ وتقدم نحوي فهممت أن انزل فعني فقلت له انني حلفت بيمين ان انزل عنها قال ولم يمينك قلت حلفت ان انزل عن فرسي احتراماً لمن هو ارذل مني فضحك وتبسم العسكريان ونزلت عن فرسي وسلمنا على بعضنا وكان هذا اجتماعنا الاخير وقد توفي ١٨٩٦ وهو مدير جليل وله ابنة وحيدة السيدة ملكة كانت أنموذج الجمال وسميتها يوماً تطلب ان تتصور تصويراً شمسياً فنظمت لها هذين البيتين :

لقد طلبت مني المليكـة رسمها فامسكتها في الحال في يدها اليمنى
وأخرجتها للدار عند ظهيرة وقلت انظري فالشمس صورتك الحسنى

(السيدة حسن) لما كنت مقيماً في الحدث رأيت مع السيدة ملكة فتاة اخرى تدعى السيدة حسن ولكنها كانت عكس اسمها ولم تر عيني من مصريات وسوريات وخلافهن اقيح من هذه منظرأ طويلة القامة نحيفة الجسم كالسمار شبّية المومياء وجلدها كالجلد الملبوع للسكافة وانفها يزيد عن فها وعينان صغيرتين مستديرتين وفيها لا تفتحان أكثر من ثلاثة ميليمتر وشدق واسع اذا ضحكت تبرز منه اسنانها الكبيرة ومجموع كالبادخان المحشي أرزاً بارز وكانت ابن ذهبت السيدة ملكة تذهب معها وتجلس بجانبها فرأيتها مرة ونظمت الايات الآتية :

قد اجتمع الشيطان بافه ثانياً كما اجتمعنا في عهد ايوب سابقاً
وقد قال كل يخلق اليوم صورة مثالا له فيه يكون مطابقاً
لذا خلق الرحمن وجهه مليكـة ترى الشبه فيه بالحقيقة ناطقـة
وهي صورة الشيطان في حسن تتجلى وهما وجهها للكون قد صار ماحقـة

(الامير عباس كنج الشهابي)

هذا هو الامير العظيم الذي كنت اجله واحترمه ولما كنت في بيروت كان ساكناً الشياح وهو وريث وقريب الامير حيدر شهاب صاحب التاريخ اللبناني القاطن شمالاً وهو ذو عقل رجيح وذات ذكاء عجيبة وقد عمي بسبب طلق ناري اصابه بعينه وذلك في مدة الامير بشير ابو طحين فانه بينما كان عائداً من دير القمر كان رجل من الشياح اسمه معوض واقفاً بجانبه فاطلق بندقيته فاصابت عيون الامير بقضاء وقدر وبقي مدة حياته اعمى وكان يشتغل يديه نوعاً من الورق ويعمل قطع هندسية جميلة للغاية وهو كريم النفس جداً يحب الضيف وله مكتبة عظيمة فيوماً طلبت منه كتاب لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري لانه كان اخبرني وجود هذا الكتاب عنده وبعد نحو شهرين اجتمعت به صدقة في محل وقبل ان اسأله شيئاً قال لي بحثت عن الكتاب الذي طلبته فلم أجده ولا أتذكر من استعاره مني فشكرت له همت وتذكره وعده لي وكنت احبه لشهامته وظرفه وبعد هذه الحادثة نظمت له هذين البيتين :

خصم رأى عيناً لباس الوغى في يقظة فارادها بنعاس
وسي ببس اذا غمضت له عين تمحض كلسه للبس

أي اذا حذف العين من عباس يبقى باس أي شدة وقوة وهذا مديح من ذات الصيب الموجود فيه فسر الامير منها جداً وشكرني لانني قليل المدح .

وبعد مدة ارسل لي الامير عباس قصيدة نظمها للكاذب كان وعده وعداً لم يفه فطالبه بانجازها وماطله جملة امرار الى ان اجتمعنا في مكان وسأله الامير أمام الحضور انجاز وعده فاشهد عليه الجماعة ان بني وقال له امسك الحيتي عهداً لك فسكها ومع ذلك لم يف فتظم له قصيدة ومسا هذان البيتان :

امسكي الســـــــنذفن التي اضحت مشاعـــــــراً للورى
يحدهـــــــا قبلـــــــة بيت الخلا الموجود في كـــــــل القرى

بيد ان هذه القصيدة ولو بها عيوب بالوزن غير ان معانيها دقيقة فأرسلها لي لأطلع عليها وطلب رأيي بها ولم يذكر اسم المهجو فأجبت بما يأتي :

من ذا الســــنذي اضحى لهجوك مصدرا ولاسمه بين الورى لن تـــــــذكرا
فكــــأنــــه فــــر عرف وجوده بالــــممع لكن لا تراه ولا يرى
قد قلت فيه ما وفى بوعوده وسكــــبه من ذقــــبه لما افترى
المرء يربط بــــاللسان لوعــــده والثور في قرن وذا امر جرى

لم يرتبط في ذنقه لوفائيه الا قبيح او ذني قسدا سري
حددت لحينه بتحديد كا قد جاء في كتب السيوع مطرا
ونسيت ما ككل المذاهب قررت ان التجاسة لا تبساع وتشتري

فكان لهذه القصيدة رنة في بيت الامير الذي توفي بعد ستين وخلف اولاداً لم يزالوا كرمي النفس والخلق وما ضرهم الا عدم اهتمام الاحل بالعلوم والمعارف والصنائع وعدم ميلهم للعمل لأنني اعتقد ان كل غني لا يشتغل فهو فقير وبالعكس اذ لا توجد في بلادنا اموال ترقم بحاجيات الانسان وتغنيه عن العمل لذلك متى حرم العمل افقر ما لم يكن له من يشتغل مكانه لذلك للزواج باكراً ضروري للبشر حتى اذا ادرك العمر الذي لا يمكنه فيه الشغل يعتمد على ولده ومن الضربات التي نحل على بلادنا طول العمر لأن من عمر كثيراً مات فقيراً خصوصاً اذا كان له اولاد لا تهم به او لا تستطيع اسعافه بل تنهيه .

(اسرة الامير فارس منصور شهاب . الحدث)

كان هذا الامير كريماً محبوباً لطيفاً ورعاً عن شيخوخته فانه كان شاباً بالافكار وقد عاشته مدة وجودي بالحدث سنة ١٨٨٣ وابنته السيدة رشيدة زوجة الامير يشير سليم شهاب ولها اخوة هم الامراء خليل وفايز وفاتك وفائق وشقاقتهم من دره ونحيبه ونقيه وكانت هذه سمره اللون نظير السيدة رشيدة اما نجية فكانت لطيفة بشوشة وقد توفت سنة ١٨٩٧ وتزوجت ابن عمها الامير سعيد ملحم شهاب من محمد المعوش والسيدة درة كانت بديعة الجمال تزوجت الامير سعيد قعدان من غزير وهو مدير عييه وتزوج ولدها الامير فريد ابنة عمنا عبدالله نصرالله المدعوة انيسة وبعد زواجها بقليل اختلفا ولم يزالا للأن مختلفين فصار الى تونس ثم الى مالطة وذهبت انيسة الى شقيقها نجيفا اما السيدة رشيدة فقد كنت اعرفها أكثر من الجميع وهي من عائلة بيت الامير سليم في الجيه وزوجها ابن السيدة سعدا توفي قبل والدته فأصبحت السيدة رشيدة وولدها الصغير الامير سعيد بلا ارث وطلبت مني المساعدة لدى حانها التي كانت يومئذ مريضة وانا طبيبياً فرجوتها ان تكب لحفيدها القسم الذي كان يناله ابوه لويحي حياً فأجابت طلبتي وبعد برهة وجيزة توفيت السيدة سعدا ولو لم اعجل بطلبي هذا الامر منها لأصبح الامير سعيد فقيراً لا يملك شيئاً وقد بلغ ما ورثه نحو خمسة الاف ليرة ولما كنت في الحدث اجتمعت عائلة الامير فارس وزوجته السيدة هند مع الأولاد فقلت بهذه العائلة الايات الآتية :

رشيدة عقل عروها بلونها نوا انها من ككل عيب نقيسة
وهب لم يكن في وجهها وجه درة كفى انها في كل فعل نجيسة
بنو فارس من باطن الهند قد اتوا اتى الجود معهم والسخا والفضيلة
فكم فايز منهم بكل كرامة وكم فاتك هابته في الهي جيرة

وكم فرائق اقرانه في حاهم خليل له منا القلوب خلية
لفصلهم لبسان قد سات شاكرا بطوع والا اكرهته الحقيقة

وقد توفي اليوم والداها والسيدة نجية زوجة الامير سعيد وهي تضاء فحزنت عليها كثيراً .

(حامد افندي شاول)

هو أحد عظماء الرجال يجبل لبنان وقد اشتهر والده من قبله وقد حصلت لي معه القصة الآتية وما قصدت بها الا المزح لا عدم الاعتبار .

التقيت به يوماً وهو نازل من الحدث مركز المتصرفية الى بيروت فقال لي يا عم بلغني انك هجوت كل مأموري الجبل الذين كانوا مستخدمين بأواخر مدة رسم باشا قلت نعم قال عساك لم تذكرني بسوء أجبت انني كنت نيتك وحيث فكرتني بذاتك فيصلك نصيبك غداً ان شاء الله اذا خطر لي معنى مبتكر اتأسف لذهابه طي الكيان او النيان ولو تكدر للمهجو .

وفي اليوم الثاني أرسلت الى الأمير منقذ الذي كان يومئذ مدير الساحل اليتيم الآتين فكسبها ووضعها على طاولة حامد افندي قبل حضوره فلما اتى ورآهما تكدر وقالاني بعد ذلك فعابني لأجلها قلت ما فيها ما يكدر وقد نظمتهما للمزح ليس الا وهما .

اذا حميد الانسان ما الله ذمه لحامد شاول غدد اللعن منقولا
فشاوول بالتوراة قد جاء لعنه لذا فالعنوا بالحق حامد شاوولا

(يعقوب)

هو شاب ذكي جداً درس الطب بالكلية الاميريكية في بيروت وهو شاعر ادب وطبيب ماهر ومن نحسه أصيب بألم شديد في رأسه وكانت تحكه نوب في الاسبوع كان يسجن بخلاها في البيت ولا تذهب عنه التوبة يعود اليه عقله اخيراً اختل شعوره وكان فصيحاً جداً وقبل ان يصل الى هذه الدرجة اجتمعت به في الحدث قرب بئر الجسر بينما كنت عائداً مساء الى بيروت فقال لي مر نصف النهار علي وأنا أنمت عن طبيب من قفاك بقتل له لو مددت يدك الى قفاك لوجدته واستغثت عن كل هذا التعب فضحكنا وطلاني ان اتوجه معه الى كفرشما لعبادة مريض من بيت الشمل فتوجهت معه وبتنا تلك الليلة هناك فأضطرب فكر عائلتي لتباني تلك الليلة دون سابق علم وكان يعقوب يطلب للخطابة ولا بلغني ذلك نظمت له هذين البيتين :

ولا بدأ يعقوب عند خطابه ظننا لصوت منه نسمع ضراطاً
وكان خطاب كالمواء مملطاً على فيه سموه لذلك ملاطاً

وبعد مدة رأيته على ساحة البرج في بيروت وقد أرخى لحية فسلمنا على بعضنا واخبرته اني اريد ان
أنظم تاريخاً للحية وان نظمي يكون حسب الموضوع وهو قابل للسفاة فنظمت له التاريخ الآتي :

لحية ابشع منها	وجوه حياويها المؤرخ
والها ملط في	فلذلك الشعر فرخ
حذفوا المايبة منها	عند ذا الملاط صرخ
ارجموا خمسة جيرا	زين الجبير فرخ
بقطاط ارخوها	فاستحقت قلب ارخ

والتاريخ يأتي بعد كلمة ارخوها وهو سنة ١٩٨٢ فلو حذفنا منها مائة يبقى ١٨٨٢ وان جمعنا اليه
خمسـة تصير ١٨٨٧ وهي السنة المطلوبة اما نكتة التاريخ فقلب ارخ .

وقد كثرت النزب على الدكتور يعقوب حتى اختل شعوره والمرض بازدياد عليه وسببه العزوبية وقد
اشرت عليه بالزواج لعله يجد معزياً لأنه كان يظن ان كل اقاربه واثاء فاروس اعداء له .

(قساوة القسس) في احدى الجلسات وجد قس فصيح يحب التنكيت والزاح وكنت مباشراً عملية
جراحية في العين ولا انهيها وأخذت مكاني قال القسيس ان قساوة الاطباء شديدة قلت له ان الحقيقة
عكس ما تقول لان المسيح ضرب المثل بهم معيراً قساوة القسوس واسمع ما قال :

وفي مثل المسافر في اريحا اتى مثل القساوة في القسوس
ولكن الطيب اتى مثلاً لحب الغير مسرع كرم النطوس

وهذان البيتان يذكراننا بقول المسيح وحكاية مثل المسافر الى اريحا الذي سقط بايدي اللصوص
وجرحوه وسلبوه ومر به كاهن فلم يعن به اما السامري فاعتنى به وعالجه حتى شفي فكان الكاهن مثال
القساوة والمداوي مثال الرحمة .

(جرجي دكتور) كنت يوماً في صربا مدعواً لمنزل الخواجه رزق الله خضرا وزوجته السيدة مريم
نصرحا حاضرة وهي لطيفة ذكية تحب المزاح وكان موجوداً هناك الدكتور جرجي لسبب لا اعلمه وقد
عرفت فيما بعد انه اتى لمعالجة بواسير الخواجه خضرا وكنا وقتئذ بكرخانه المشهورة فترجعتي السيدة مريم

ان انظم لما شئتَ بمرجي المذكور الذي كان درس الطب بواسطة المطة روزا في مصر وهي احدى قريباته
فنظمت :

في شخص جرجس مارون قد اجتمعت حاجات طب حوت كل المقاقير
رؤياه سهلة ايديه قابضة وشارياه ريساطياً للبواسير

فملا الفضحك ولم أكن اعلم سبه حتى اخبرني الخواجه رزق الله انه دعاه لعيادته واثار عليه باجراء
عملية ربط البواسير .

(دعوى جنائية) شرط الدعوى الجنائية والحكم بها ان يرى المشتكي اثر الجرح والدم ويأتي بالشهود
بذكون دعواه ومتى تمت هذه المعاملات يحكم على الجاني ويمكن للمدعي عليه ان يتخلص بمرح شهادة
الشهود وقد نظمت بهذا الشأن ما يأتي :

شكت الخلدود بأنني جرحتها وبها دمماء الجرح عـلـدن ركودا
فصت الى رمش الحفون بـلـديني وأنت بعينـنا على شهودا
وأنت بخط الحاجين مـذـكيـنا فقضي بقتلي عـلـاجـلاً بـلـودا
فأجبت يا رمش اتشد في قلتي الخط زور مـلـلـنا تراه ورودا
والطرف سكران وليس بمنهجي ان السـكـارـي يقبلون شهودا

(المعالجة) بعد هذه الجنابة التي كان سببها الاخصام التقينا في مجلس انس فاذا كل يلتفت الى الآخر
وكانت عيوننا تتكلم ونحن سكوت اخيراً رق الواحد منا على رفيقه وابتدأنا بالكلام وبعد ساعة تصالحنا
فنظمت بهذا المعنى :

نخاصمت من ذنب المـدـاة بما سموا افنا خصاماً قام نـاقـة صالـح
ولما تقابلنا اقامت عيوننا حروباً عليها النوح من كل نـابـح
ترامينا بالانبال فهي بـخـدـها أصيت وقلبي كان مرمي الصـفـائح
ولما رمينا في الكفاح توسطت لاصلاحنا الاجفان في كل صالـح
عقدنا عقود الصلح ثبت حكمها بتقيل جـارـحـها وتقييل جـارـحـي

وهذه الايات نظمناها وادرجتها في ديواني الأول الذي نظمته في الصبا بمصر واغلبه خيال لا حقيقة له
وقلت في عفيفه :

ولي في الهوى عينسان عز وعفة
لعلمي بين العين والعين عفة
قطعت صبا عمري خلياً من الهوى
ولا رأيت عيناى عين عفيفة
اداريها من رمسدة العشق في عمري
يعاب بها الانسان من حيث لا يدري
ومن عفي بين الورى قد سما قدري
تركت عفا في فوق رمانة الصدر

قالعيان المذكورتان في البيت الأول هما العز والعفة وما بقي من العيون فهي العفة والعشق والعمرين .

(قلب القدح) وكان في بعض الاجتماعات يتعاطون المشروبات الروحية التي كنت أكرهها جداً ولم اعتمد عليها ابداً وكنت اذا وجدت في مجلس وأجبرت املاً كأساً على تناول شيء منه واضعه أمامي والحس منه واستمض عن الشرب بأكل ما يقدم مع العرق من الاشكال ففي ذات يوم قلموا لي الكأس فأخذته تأدياً لأن الشرب يدعو للكرم وكل ما شرب الانسان يريد ان يكرم ضيفه ويتكدر جداً من الذي يرفض الشرب معه وكنت احياناً أقوم واسقي الحضور وأطرب جداً من الصوت الحسن وقدم لي أحد الحضور بجلسة كأساً من العرق فارغلت قائلاً :

كلاننا سواء ندير القدح
فأنت سكرت باقداحها
وقد اسكرتنا مدام الفرح
واني سكرت بقلب القدح

(بطرس) في أحد الايام ذهب لزيارته مع بعض الاصحاب وكان ذلك برأس السنة فلم يجده فكبت له هذه الايات :

اتيناك في فصل الشتاء لزيارة
فبطرس قبلاً كان مثلك ناكراً
فانكرتنا حتى فررت كما الفطرا
ليده جهراً واسبابه الشتا
ولكنه قد تاب عن ذاك عاجلاً
متى توبه منك ناهما متى متى

(نعيم قيقانو)

أصله من عيظورا كسروان تعلم اللغة الافرنسية بمدرستها وأتى الى بيروت ودخل في التجارة عند المشرق بلاك التاجر الانكليزي ثم انتظم بحكومة جبل لبنان مدة داود باشا بواسطة المطران طويبا عون سلف المطران يوسف الدبى وهو اشهر المطارنة واقدرهم على السياسة وكان من مبادئه ترقية وتقديم النجباء والمعتبرين من أبناء طائفته حتى يستريح في اشغاله لكي يساعده اذ كان مضطهداً وهو راهب من معلقة الدامور وسكن مدة في دير مشمومة وذلك حين كان جدي الخوري ابراهيم في بكاسين لأن الدير قريب منه وعندي بعض أوراق بنخله حتى الان وقد نجح هذا المطران جداً وانشأ كرسياً في بيروت وجعل اهابة

للطائفة وكان نعوم افندي من الاشخاص الذين يخصونه وتوصل الى ان صار قائمقام المركز في لبنان مدة
فرفقو باشا وقد اعترضت اخيراً الدول على تسميته لانها خارجة عن الوظائف اللبنانية ف عزل وبقي فرفقو باشا
يدفع له معاشه بعد العزل ثم تعين عضواً بمحكمة التجارة في بيروت ثم عزل ولما حضرنا الى بيروت كان بلا
وظيفة وكنت اتردد عليه لصادقته الحميمة مع والدي في لبنان .

ولكثرة ترددي عليه صرت اعد من اصدقاء المنزل واختاروني طبيباً خاصاً لهم وكنا نقضي ليلتنا مع
المرحوم اخي خليل الذي كان يومئذ معزولاً من الخدمة بأواخر مدة رسم باشا ولأجل ان نمضي اوقاتنا
تسلي بلعب الدومينو وكان نعوم افندي يتكدر جداً من الخضارة اما اذا اغلب فكان يستهزي بالمطلوب وله
ولد اسمه خليل يميزه بالحلب عن باقي أولاده لمرض في رجله وكان يمزح معي دائماً ان كنت غالياً او مغلوباً
وكنت استحمل مزاحه اكراماً لوالده في احدى الليالي زاد خليل مزاحه فقلت لهم هذه الحكاية .

كان رجل صاحب ذوق لا يمكنه ان يسكت عن أمر ثقيل يجري امامه فاحتاج في بعض الايام
لدراهم واتي الى صديق له يستدين منه فقال له يا صاح ان المطا لا يدوم ولو اعطيتك اليوم لا استطيع ان
اعطيك غداً ولكنني ارسلك الى امر تكتسب منه بسهولة قال وما هو .

قال انه يوجد في الحي الفلاني بالمتزل كذا رجل غني وله ولد يحميه جداً وكل من يمدح الولد لاييه
يكرمه فأذهب اليه وامدحه فتعال الفتى حتى يقضي الله امرأ كان مضطراً واضطر الرجل الحر ان يمثل لرأي
صديقه فدخل على الفتى وبعد ان جلس قليلاً طلب الولد فأنتى وجلس بحجر والده وصار يمسك له شاربه
ولحيته ويقفز على ظهره والرجل يتأمل هذا العمل وهو ساكت الى ان انتهى فقال الوالد لصيفه كيف رأيت
ولدي وما حكلك عليه أجاب انه ثقيل ثقيل ورزقي على الله وتوجه وانا أقول لك يا نعوم افندي ان ابنتك
ثقيل ثقيل ثقيل وسهرني على الله فضحك حتى استلقى على ظهره .

وتعين بعد ذلك نعوم افندي رئيساً لمحكمة بداية الجزاء في بيروت حين تشكلت العدلية في سوريا وكان
مفتشها دولتو احمد عزت باشا العابد الذي عين المرحوم اخي خليل عضواً ملازماً بالادارة ذاتها وبعد نحو
عشر سنوات اقبل نعوم افندي من وظيفته وعمره نحو سبعين سنة وبعد مدة توفي اما المرحوم اخي خليل
فحين اتى دولتو واصه باشا متصرفاً على لبنان اعاده الى مركزه مستقطعاً للمركز .

ولنرجع الى التقرير في أحد الايام حضرت مساء فوجدت نعوم افندي مع عائلته على المائدة
وجلس في الايوان الذي كنا نسهر فيه ورأيت على طاولته ديوان شعر صرت اتصفحه فتمرت على قصيدة
بعثها الناظم الى زوجته وأولاده وكانت بغاية الركاكة تنزل بها بأمراته مع انه من أحسن رجال سوريا علماً
ولطفاً وذكاء ورأيت بآخري الديوان تقارير الشعراء له اذ جعلوه متنبئ زمانه كمادة الشعراء المتملقين التي
تجلب اشعارهم صاحبها .

(رواية الحسود) حضرت ليلة أقامها عزتلو نقولا افتدي نقاش تذكاراً لمولده مثلوا فيها رواية الحسود تأليف اخيه المرحوم مارون وكان مدعو اليها والى الولاية عزيز باشا وذوات بيروت واعيانها فاستهل الحفلة ابنه بخطاب مدح فيه والده الذي كان حاضراً معنا وشكر له تهديه اباه وقد نجح الممثلون نجاحاً عظيماً فنظمت هذين البيتين وقلتها اثناء التمثيل :

حكوا على شخص الحسود بأنهُ قد لا يسود بما يشا ويريد
فتوكل النقاش في دعوى له وبحقسه جميل الحسود يسود

كل ما قل الشعر تكرم وكلما تكرر سقط وكان قديماً لا ينظم الا لكل ممتاز فلا يدعى اي كان العالم التحرير او البطل الصنيد او الشاعر الماهر وكأنه كان يحوي حقيقة الممدوح اما الان فبالعكس نراهم يمدحون الفاضل كاللص حتى أصبح الشعر للتمليق لا للحقيقة وحين رأى العالم والفاضل والشاعر والبطل مدحه كمدح من لا يماثله بهذه الصفات كره الشعر ولم يعد يعتبره فلما قرأت تقاريط هذا الديوان وهذه القصيدة من حيث عدم ذوقها سبق تأثر فكري فارجلت هذين البيتين :

ديوان مفضال شعر جاء منطقاً وافتيه بغتة في حن تقريظ
قد قلت فيه وقاربه يقر به ما جاء من فيه طبقاً جاء من ...

(القاضي العبوس) كان أحد القضاة ماهراً جداً بالاحكام خصوصاً متى قبض الجمل المعلوم له وحركة عظيمة يعرفها المدعي او المدعى عليه وهو ذو هيئة كنيية وعبوسة وجه نبيث ان المدعي كان يخاف من هيئته ويكثر عليه الاسئلة والاعتراضات حتى يرتبك في الاجوبة اما اذا قبض فتزول عبوسه ويصير بشوشاً ويختصر الاسئلة فنظمت له هذه الايات :

وذي دعوة ما قام بالوعد والوفا فانكره القاضي كما انكر الصفا
واعرض عنه دون ذنب وزلة وابدى نه قلباً أصم من الصفا
ومد له ايدي السؤال لصرفه ولما بدا الدينار في كفه عفا

وقلت في قاضي آخر ارتشى بكيس من الطحين :

وقاض خلتسه في الحق طوداً وعــــوده من الركن اليمن
ولما حجة المظلوم فــــامت فزازل ركنــــه كيس الطحين

مبالغة مدح الجمال

قلت في مليحة جميلة جداً لانه عند رؤيتي الجمال اندهش لأن الجمال والصوت الحسن هما عاملا سروري وأظن اسها يؤثران عليّ اذ هما مفقودان مني لان الانسان يحب ما كان محروماً منه ومتى تأثر الانسان يخرج عن حدود عقله لذلك أقول ان لا عقل لكل ذي شهوة مثلاً اذا رأينا شخصين يتخاصمان ويتصاربان فضحكك منها ونقول اسها مجنونان ولكن لو اصابتنا تلك الظروف لقلنا مثلها فأين ذهب عقلنا وقد كنا نضحك من عملها ونستهزيء بها وانني اعتقد ان العقل هو الضعف فتى عجز الانسان او كان خالياً من الشهوات يكون عاقلاً وهكذا ترى الفلسفة والعدل اعظم افعال العدل خلقها الانسان لغيره لا لنفسه تراه يتغلف ويعدل متى بعد الامر عنه ومتى وصل اليه فلا يسمع ولا يرى مثلاً لو مات لانسان عزيز بتأسف ويبكي وينوح فيأتي اصدقاؤه ويسردون له جمل العزاء الرقيقة فلا يصغي لهم وبعد ساعة يبلغه موت والد صديقه فيذهب اليه ويبعد له ما كان سمعته قبلاً فاذا نفعت الفلسفة وهكذا قل في العدل لأن الانسان يعدل للغير لا لنفسه ولا يمتاز من البشر الا من حكم على نفسه بالعدل ومن منعه الفلسفة عن الغم فهو لا هم المختارون وقد نظمت لحسان هذين البيتين وفيها من المبالغة ما فيها ولكن لفرط جهازا قلت ان الخالق عز وعل لا بد له من تمييز الحميل عن الصبيح ولا يمكنني ان افهم الا ما يدركه عقلي فأني صانع يعمل تمثالاً جميلاً ولا يتعب عليه أكثر من التمثال القبيح فقلت :

ابت الطبيعة ان اخود تثلها وغدت كرهها لاعظم فعلها
وقفت سنيناً ليس تحصر عدها في صمها حتى انتهت من شغلها

رب جميل لا يراه عبري مثلي فالجمال هو موافقة نظر واحد لآخر يستحسنه واعظم شيء عند الرجل ما يعجبه وقد قالت الامثال حير الحاجة التي تعجب صاحب

أقول كرجل تعلم جميع العلوم تقريباً خصوصاً الطبيعة منها اني رأيت مشابة عظيمة بين الامور الادبية والطبيعية وكما انه توجد في الطبيعة اجسام تتحد مع بعضها واجسام تتنافر كذلك في الامور الادبية نرى هذا الامر مثلاً ان الحامض الكربونيك يتبع الكلس ايس ما وجد ويتحد معه بالتركيب ويعيشان سوية ولا أحد يعلم سر ذلك وهكذا الانسان فان فيه خاصية تجذبه بتجذب قهراً عنه الى شخص لا يعرفه من قبل ويريد ان يتحد معه ولا يفارقه وهذا الامر لا يمكن تفسيره الا حسب علم الكهربائية ان لكل جسم جهاز كهربائي كعامود فولطا وخلافه متى كانت الكهربائية موجبة في ذلك تكون سلبية في الآخر فيتحدان اعني متى كان لكل منهما غرض خلاف الآخر يتحدان واما العرض الواحد يتنافر ومع الوقت نرى ان الكهربائية هي من اعظم عناصر الحياة ايضاً وقد قال المنبي :

وما هي الا نظرة بعد نظرة اذا سكنت في قلبه رحيل العقل

فالشاعر يعربد عند رؤية الجمال ولا يعلم ماذا يقول او ماذا يعتقد مدة تهيجه ولكنه بعد حين يعود فيضحك على ذاته كما حصل لي فاني لما نظمت هذين البيتين كنت في حالة لست فيها الان وسب ذلك ان ابن العشرين يفرق عن سن الخمسين فترى الانسان كل يوم في حال حسب امياله وشهوته فالفضل للعمر بذلك كله وقد قلت ولست بنادم لبيتي بعد في ذلك الزمن :

جمالك اغراني وعلمي الهوى	فا لي به ذنب وما لك بالسوى
فحسبك مع عيني يقتل تعاهدا	لسذلك قلبي معها ضاق واستوى
فا حيلتي ان كسان خصمي داخلي	عدو فلا يخشى العذاب لو أكتوى
اراه دعائي للهلاك ولم اجسد	سواه على نار القرام قد انشوى
سألت طيب الحب من برة علي	فجأوني صبراً فذاك هو الدوا

اسعد وعد

رجل لطيف ظريف ذو عقل راجح لطيف المعشر غني جداً ولكنه كان يتباخل ببعض الاحيان وبالاختصار ان كان كريماً او بخيلاً حسب شهوته وهوسه فتراه حيناً أكرم من حاتم وطوراً أبخل من باقر وله عدة خدم مع انه لم يكن عنده سوى امرأته ومصيفه من اجمل المحلات وقد أخذ امرأته في الشتاء الى مصر وصحب معه عدة اشخاص على حسابه كلفوه نحو الف ليرة مع ذلك كنت تراه يحاسب على الباره وبالاجمال كان شخصين في شخص واحد اما تلك فكان متبوساً لوجود السيدة عفيفة .

السيدة عفيفة

كانت هذه السيدة جامعة قلوب الكل والجميع ملهون مغرومون بها ومحضرها محضر لطف وأدب وذوق ونظر والتفات فيظن كل واحد انها تكلمه وكان اسعد يحبها لا لنية فاسدة بل كان يتوس بها ويفعل ما تريده ويرغب سرورها وكانت تحب الأصوات الجميلة اما اسعد فكان يصحب معه الى بيت مري شخصاً اسمه المترجي يعزف بالقانون حلبي الأصل وهو اليوم في مصر ويحتمع اسعد وزوجته التي كانت تحب الطبخ وطعامها فاخر وكانت ملكة المجلس السيدة عفيفة ورجلها مثلنا يجب السرور ولطف الله شقيق اسعد رجل سليم القلب محب لطيف مثل امرأته التي كانت جميلة الصورة وكنا نجلس من الصباح الى المساء ومن المساء الى الصباح في نشيد وأكل وشرب وضحك ونظر ان النهار ساعة وكانت مها طالت سهراتنا تتكدر لانها لم تكن مسحورون وما كان سحرنا الا من السيدة عفيفة بهجة المجلس ومع كل هذه الاجتماعات ورفع التكليف لم انظرها ابداً جالسة جلسة غير ادبية وبقيتنا في هذه الحال طول الصيف ولما نزلنا الى بيروت قضينا الشتاء كذلك سوية اخيراً لما تعلم اسعد لعب البليزك هواه جداً ولسبب عنا السيدة عفيفة التي كانت تلعب به فطلت جمعيتنا وأذهب ه الاون فواء رونقها ولكن من أين لهذه اللعبة لطف

السيدة عفيفة او « الأدير » سحر ناظرها وقد علمتني هذه اللعبة فغرت بها أولاً كما هي العادة وقد سألتني بعضهم ما هذا الانشغال في اليزيك فقلت لهم :

قالوا شغفت بـيازيك فقلت لهم بل في التي علمتني اليوم بـازيك
بنصف بـازيك اون فوا وعدت به لكن أدير ولا بـالعمر توفيكـا

قولي اوعدتني « باون هوا » اي بنصف له نصف بزيك « بز » في اللغة الفرنسية معناها قبله ولكنها لا تفهمها ولكن تجعلها ادير اي في المستقبل .

وكان اسعد يحفظ اشعاراً جميلة وهو يعرف على القانون ويعرف أصول الموسيقى العربية جيداً وكذلك علم الفلك ودرس معظم الكتب الفلسفية نظير قولر وفولنه وسواهما وكان دائماً يشد هذين البيتين :

أنت اسما وساحبة رداها على اثر المواطي من تراها
فـدنتك لو مررت على جفون لما كانت تبسه من كراها

وكانت هذه الايات الجميلة مع الصوت الحسن والقانون البديع والخمر الحيد والمنظر السيج وحركات التأثير من المظور اليهم تخرج الانسان عن طور العقل وربما لو وجدت هذه الاشياء امامي لانتأثر منها كالسابق وكنت نظير اسعد يأخذني افوس أي مأخذ فلا سمحت هذين البيتين اثر على فكري كالخمر واحبباً افكرت بأن البيت الأول ليس فيه معنى دقيقاً بعكس الثاني وارتأيت ان اشطرهما ولما فعلت ذلك عتابها اسعد وقد قلت :

انت اسما وساحبة رداها كما سحت فؤادي في هواها
فرشت الـوحتين لها بساطها على اثر المواطي من تراها
فـدنتك لو مررت على جفون وقد حطت رحالك في حشاها
وحق الود يـسا اسما في قلبي لما كانت تبسه من كراها

فزاد التعمس والنوس ولما رأيت استحسانها زدت هياجاً وصباحاً وفعل الجميع مثلي وبينما نحن في هذه الحال جالسون في الدار اذا الباب فتح فجأة ودخلت منه خزما وهي امرأة وسخة قدرة تناهز الخمسين من عمرها عليها لباس الفلاحين وثوبها وسخ جداً فتكدت جداً لدخولها وقلت ابدلوا الاشعار وقولوا :

أنت خزما وساحبة خزاها على اثر المواطي من تراها
عـدمتك لو مررت على طيور لما كنت تبسه من كراها

عجبت من قسديم من حار تكلم ناطقاً من أجل غايبة
فلم لا تمجّبوا منسسه عام وان لصنسه لم تكفوا ايّسة

وعنت بذلك حار بعام . وانتقل الشعر سريعاً من واحد الى آخر حتى وصل الى الرئيس فقال انا
أتبكم هذه الآية فحكم عليه واسكه .

كنت بالشام جالاً في صيدليتي بسوق الخيل وأمامي مرملة فحضر احد الظفراء وطلب مني شعراً فيها
فارجمت له هذين البيتين :

ومرملة ترمرها حاشاها تعزي من بغير قلد رآهاها
اذا سكب اليراع دموع حزن تشفها برفق مقلهاهاها

البطريرك غريغوريوس يوسف

دعيت للمدرسة عين تراز لمعالجة عيون سعيد الذكر البطريرك غريغوريوس يوسف بطريرك الروم
الكاثوليك الذي كان مصاباً برمد نزلي مؤلم جداً ألزم الامر لاستدعائي من بيروت فذهبت ولما عايته
وصفت له قطرة كانت لم تستعمل في بلادنا وهي المرة الاولى التي أمرت بها ونمها مايتا غرش وهي مركبة
من عشرين قطرة هيدروكلورات الكوكاين وسبب غلائها منافع هذا الدواء في العين ولم تكن توجد منه
كمية وافرة فارتفعت اسعاره جداً وكان الألم على البطريرك شديداً جداً لا يطلق فلما استعمل هذه القطرة
زال عنه بسرعة فقال لي لو كانت هذه القطرة تساوي اضعاف هذا الثمن لاشتريتها وبقيت عنده يومين .
وهذه المدرسة هي أكليركية للطائفة ولها ايراد كاف وظهر منها معلون اشتهروا كثيراً ومن أمدع ما فيها في
الدار الغربية شجرة سندان بلطوا الأرض التي تحيط بها فجعلوها مقعداً يستظلون بها وكانت البطاركة
خصوصاً البطريرك غريغوريوس يوسف تقضي فصل الصيف هناك .

ولد هذا البطريرك في رشيد سنة ١٨٢٣ تهرب في دير المخلص سنة ١٨٤٠ تعلم في رومه صار مطران
عكا سنة ١٨٥٦ وهو من بيت عسكر انتخب خلفاً للبطريرك اكليمندوس بحوث الذي استعفى من هذه
الوظيفة سنة ١٨٦٤ وله خدمات عظيمة للطائفة وهو الذي أسس لها المدارس فالمدرسة البطريركية في
بيروت هي من عمله وقد جعل للطائفة أهمية عظيمة وكان لطيفاً عالماً فاضلاً طاهراً عرفته جيداً وكان يحبي
كولده ويرى لذة بمعاشرتي ويسأل عني دائماً ولما كنت اراه في بيروت كنت ازوره دائماً وقد زرتة عمرضه
الاخير وهو التهاب بالمثانة وتوفي في دمشق في ١٠ تموز سنة ١٨٩٧ وخلفه المطران بطرس الجريجيري
الزحلاوي مطران باناس وكان انتخابه في دير صربا للروم الكاثوليك وذلك سنة ١٨٩٨ .

حبيب بك السعد والآن حبيب باشا

هو أجل هذه الاسرة السياسي عاقل زكي عالم متداخل كريم المخلق والخلق عرفته صغيراً وكان بخلاف اخوته يهتم بالسياسة وقد انتظم في سلوكها بمدة واصا باشا وتعين رئيساً للقلم العربي وفي هذه المدة أصلح احوال ترزا وخلصها والفضل بذلك له وعند حضور نعوم باشا ترك وظيفته وصار يتعلم التركية حتى مهر بها وهو صديق الوالي وأعظم موظفي الولاية وله اصدقاء واحياء يعتبرونه وقد أبدى همه عظيمة لجمعية دار الشفقة بالاستانة العلية وجمع لها الف وخمسمائة ليرا من الطائفة المارونية وارسلها الى الاستانة بواسطة سليم باشا الملحة الماروني الذي كان رئيساً لهذه المصلحة وكان من جملة الذين قدموا البطريك بوحنا الحاج فإنه ارسل لها خمسمائة ليرا واتاه بسبب ذلك النيشان العثماني الأول وبسببه نظمت له قصيدتي الشهيرة .

وقد كافأته الدولة العلية بالرتبة الاولى وهي رتبة رفيعة جداً لمن كان بسنه وفي هذه المدة الاخيرة نال النشان العثماني الثالث ولما نال الرتبة الاولى مدحه الشعراء بقصائد رثائه الا انا لأنني لم افكر بذلك واخبرني بعض الاصدقاء بأن يجب ان امدحه بشيء فلم يخطر لي شيء وقابلته اخيراً فرأيتني متغبراً عن العادة وصار يقول لي بونجور بصوت منخفض فاشعرت انه متكدر مي نظراً للصدقة فعند ذلك نظمت له قصيدة قدمتها له وهي الآتية :

ولما حضر مظفر باشا جملة رئيساً لمجلس الادارة وقد عزل في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٠٥ والتزم بيته وقد تزوج ابنة عمه السيدة نجلا بنت الشيخ سليم الخوري

كأنني يوماً لا أقيم على عهدي
ومن قبل كانت بالترحيب والشد
وضحكك مغضوباً كهزك للبد
ولم ار لي ذنباً يؤل الى البعد
اتك ولكن شعر شاكر لم يبيد
سأبدي لكم عذري وان لم يكن يجدي
الى شاعر لم تلق منه سوى الصلـد
مهيجة للشعر لا يصل الى البرد
ايفرح فــــــــــــــــــا او يبيح للتشد
لكي شاكر يشدو التبان مع الجهد
فلا بهجة ترضيه من نظر الورد

اراك عبوس الوجهه منحرف الخد
واني ارى بونجور منك وكيكـــــــــــــــــة
وجفتك مغضوباً وصوتك واظـــــــــــــــــاً
عجبت لهذا الانقلاب بسرــــــــــــــــة
سوى قد بدى الشعراء في مدح رتبة
فان كان هذا لا أظن خلافه
اذا لم يكن اس المديح مهيجــــــــــــــــاً
فرتبتك الاولى فليت لشاكر
فن كان يدري اصلكم وفصولكم
وهل مثلها بما يزيد مقامكم
اذا اعتاد طرف المرء منظر بهجة

أعجب من أول لطيفاً بني السعد
وهل يرجع الاشبال الا الى الأمد
ومن كان نبع الجد ذا الجوهر الفرد
ولكن حبيب العلم والجود والوعود
ولم تغل من حب التغزل في دعسدي
ولا حبه يوماً يوازي ما عندي
وفي وجهكم شبه عن الأصل والجذ
فلا أحد منهم بعرك في السعد
إذا لم يكن في نيلها جودة القصد
فها شرف الاول وها شرف الجندي
ومن كسان من أب غيور وذو ود
أعجب منسـ ان علا ذروة الجد
فصدري كما قد قلت أكثره زهدي
يرى عجباً من رتبة فائق الحد
ويحطكم انمؤذجاً كندي الكد
إذا لم تكن قطب المروة والجذ
وما ذكروا في الناس الا مع الحمد
أما أنتم أبناء عد بنو السعد

ومن عرف الابساء والجذ والحمى
وان حبيب السعد نال سعاده
فمن كان نيل المعد فالسعد حق
ولست حبيب السعد اصلاً لوجهه
حبيب العلا والجاه والجذ والنهى
وقد صرت محبوباً لدى من تحبه
عرفتك في العشرين تصبو الى العلا
وسرت على درب الجود وفضلهم
ولا شرف في نيل أول رتبة
سعت لاسعاف الفقير فلتها
فمن كان من أم نجر طهارة
ومن كان نسل الفخر والسعد جده
إذا كنت في نظمي بليساً كما ترى
ولكن غيري جاهل المقامكم
فينشدكم مدحاً لنيل مراتب
وأما انما لم تلق مني مدائحاً
كفالك افتخاراً يا ابن اطيب عنصر
وما زادهم فخراً نوال سعاده
ا

اشعار الفؤاد . في رثاء الامير فؤاد

هو فؤاد بن الامير سليم منصور الشهابي الذي ذكرته كان شاباً وحيداً بلغ السنة السابعة عشر ويتعلم بمدرسة الآباء اليسوعيين فرض بداء الحنـ وتوفي وله سبع شقيقات هو وحيد بينها فتأمل هذه الحالة المحزنة شاب عمره ١٧ سنة وحيد لوالديه بين سبع بنات فكانت للمصيبة عليه عمومية وقد حزن لفقده كل من عرفه وقد نظموا له عدة مرثيـ وكنت من جملة من رثوه اما والدته فهي ابنة شرشل بك الانكليزي الذي كان قائماً في الجند الانكليزية وهو من أسرة عريقة في الشرف لم تر الى اليوم .

فلم أجـد كلمة بالسعد تأتـكا
فالصمت أحسن شيء من مزـكا
دقيقة عن صيب السدمع المـكا
بلا فؤاد عن النيران تغنيكـا

ان كان قصد رثائي ان اعزيكـا
فكلنـا عند ذا في موقف حرج
وانما جـل قصدي والرام بأن
ما القول عندي لمن احشاؤه التـ

مصيبة عمت الاصحاب مشركة
لو كنت متيهاً يوم المصاب بأن
لكنت تسمع منهم من تحصرهم
وكنت تلقى عيوناً بالدموع هت
لم نـبـدِ ابن المزي حيث كلهم
ميزتهم عنك في قول لبعضهم
هل للبلاد حقوق في تأمنها
كلا فلا لوم ان تبكي العيون دما
ان تبكي اصلاً فأنت الفرع من شجر
من شرثل وشهاب بت في نـبـ
ان تبكي غصناً فلا العشرون تدركه
او تبكي علماً فقبل الوقت زانره
ان تبكي لطفاً وظرفاً مع آداب فتى
من بين سبع الداردي قد هوى فر
كسوفه في هلاك ان ذا عجب
لو كانت الروح والاموال عنك نبي
تسري الى منزل يسري اليه غدا
نم في هناء لقد خلعت كل اسي
فيما اميراً سلم الخلق متصفاً
ما كان شعري رؤاه اليوم متظراً
يش الزمان الذي يلحي الى عمل
ان شئت في هذه الدنيا معالجة
فلا فقه أقوى ممز في مصاينها
لا شك ان شهاباً ليس مركزه
وعندما الموت ابرخ حل في شهب

١٨٩٠

من كان يسمها حتى عاديكا
تلاحظ الخلق من جأت تأسكا
أقوال حزن كما تبديه من فيكا
ليت بايسر ما جادت امايكا
اصحاب ذا الخطب عانوا ما يعيكا
يا رب صبر ابا فالقول بعنيك
وهل على شدة الاحزان لاموكا
ويـا فؤادي عاذا لت اريـكا
جـنـورـها عن سمو المجد تنيكا
فالشرق والغرب قد ضمت معاليكا
او تبكي فرداً وحيداً من ييايكا
او تبكي ابنأ مطيعاً يقتدي فيكا
فاللطف والظرف والآداب تنيكا
مروره كشهاب في نواحيكا
ان الكسوف لبدر كان ينيكا
لكنت بالروح والاموال افديكا
من كان يبكيك او من كان يريـكا
فلم يزل في أب حتى يلايـكا
سالت ربي لهذا الخطب ييكا
بل كان متظراً فيه ينيكا
عكس الذي يتغني منه امانيكا
في دا المصاب فلا تلقى مداويكا
فهو الوحيد الذي عسا يعزيكا
سوى سماء فهذا الفكر بكفيكا
فلا فؤاد سليم في اراضيكا

مستهدداً بالشهب والتعظيم
فصرعته كسـل فؤاد سليم

١٨٩٠

يسا من يسر الى ضريح فؤادنا
خليت يسا هذا المؤرخ شادراً

ونظمت له تاريخاً هجرياً وهو كما قلنا فؤاد بن الامير سليم شهاب ووالدته جلنار ابنة شرشل بك
الانكليزي :

منذ غيابة عن عيني الفوا
 وشهاب حظي قد مضى
 فجلل للفواد مؤرخاً
 د فجلل ناري بالعنا
 وسليم جمعي في ضنا
 نم في ضريحك بالهنا

١٣٠٧

شرشل بك

هو من اعرق الاسرة الانكليزية شرفاً ولم تزل اسرته من اللوردات في انكلترا . حضر الى سوريا مأموراً عسكرياً سنة ١٨٤٦ وفيها ولم يرجع الى انكلترا وتزوج من النساء الشرقيات وهو سياسي محك خبير رزق ابتان و غلام سياه وستن عرفته جيداً وتزوجت بتاه الواحدة بالامير عبدالله شهاب والثانية بالامير سليم منصور شهاب والدة فؤاد . وكان لشرشل بك اخت في انكلترا اوصت بقسم من أملاكها او قيمة أربعة الاف ليرة انكليزية لأولاد اخيها من زوجته خانم وبعد وفاتها دخلوا بالدعاوي واخيراً اقتسموا المال حسب الوصية ونالت زوجة الامير عبدالله حصتها من الارث أما ولده فتزوج فتاة فرنسية اتي بها الى سوريا ثم انفصل عنها وتوجهت لبلادها غير انه تبعها اخيراً ولا اعلم ماذا صار بعد ذلك انما بلغني انه توفي بلا عقب .

(الدكتور دبران)

هو الدكتور الشهير في بلادنا بالامراض الباطنية وهو اعرسي الاصل اتي مدرساً الامراض الباطنية بمدرسة الطب الفرنسية في بيروت التي تأسست سنة ١٨٨٣ وكان يوم حضوره يوحد محفل تحت ادارة الاءاء اليسوعيين تلقى فيها المحط العلمية ومركزه على طريق الشام في سنة ١٨٨٦ اقيمت فيه جلسة عمومية حضرها جم غفير من الرجال والنساء فخطب الدكتور دبران في موضوع النوم وكان خطابه جميلاً جداً فبعد ان عرّف ما هو النوم وابان لزومه وضرر السهر انتصبت واقفاً وقلت هذين البيتين :

الا فاسظروا السديران في الليل قائماً
 وبين بــــــــــــــــان النوم فرض على القوم
 سهرنا وما طعنناه من حيث اننا
 وجدنا خطاب النوم احلى من النوم

وبعد ذلك قدمت هذا المحفل خطاباً على المعينات باللغة العربية وبعد مدة ذهب الأب صاحب المحفل وتركه بعده وهو الاب برنيه الذي كان مبشراً في حمص وتوفي اخيراً وعند تبيض هذه الترجمة كان في ١٠ ايار سنة ١٩٠٨ وكانت المدرسة عاملة بويلها الفضي .

(ولدي حليم)

ولد في بيت مري يوم الاثنين صباحاً عند بزوغ نجمة الصبح في ٨ تموز سنة ١٨٨٩ وكنا مستأجرين منزل رجل درزي وعمدناه في كنيسة بيت مري في ١٤ ايلول يوم عيد الصليب مساء وكانت تلك الليلة مصافدة لعيد مار ساسين الذي له مقام هناك ودعواته بالمعمودية ساسين وكان عرابه جرجي افندي نقاش وعرابته السيدة ليزه قرينة اسعد وبعد عماده توجهنا الى صور مار ساسين وكان جم غفير ليلة العيد والكاهن الذي عمده يدعى الخوري يوسف حنا من بيت مري وتسجلت اسماء الجميع بدفتر عماد كنيسة مار جرجس في بيت مري واما اولادي الاخر وديع ولد في ١٧ آذار سنة ١٨٨٥ في بيروت وأنيس في بكاسين في ٢٤ تموز سنة ١٨٨٦ .

(ومار ساسين) ذو المقام العظيم في بيت مري ففي ليلة العيد يجتمع خلق كثير من كل الجهات في الحرش ويتدوتون بالرقص والغناء والسكر ويمصرون ليلتهم بهذه الصفة حتى الصباح وبعد القداس يعودون الى محلاتهم افواجا وهذه العادة شائعة جداً في بيت مري .

لما كنا نجتمع كما قلنا في بيت اسعد رعد الموجود في بيت مري كان السرور يأخذ منا كل مأخذ فتقدم لي مرة الخواجه اسعد بكأس عرق وكما ذكرت كنت اقبل الكأس ولا اشربه فظلمت له هذين البيتين :

مذ قد تناولت عين الراح من أسد أصبحت اسعد كل الناس في خلدي
فراحت الروح عنــد الراح في فلك نظرت . كيف نحل الشمس في الأسد

عين الراح هي الشمس ولما دخل حرف العين على كلمة اسد أصبحت اسعد وهو اسم المدحوك وكذلك برج الاسد من ابراج الفلك تدخل فيه الشمس بشهر تموز وهو الشهر الذي كنا نجتمع فيه بيت مري وقت الوثمة وكأنني أقول ان عين الراح بدخولها على أسد الذي أصبح اسعد كحلول الشمس في برج الاسد وقلت له لما اهداني صورته :

اهـديت روحي لخلي بالـحال عوّض عنـها
في صورة انمشتني وصرت اسعد منها

(اسعد عيود مأمور تلغراف بعقلين)

دعيت الى بعقلين لمعالجة علي بك حمادي الشهير وكان في ذلك الوقت اسعد عيود الذي اصله من بيت الدين مأمور تلغراف بعقلين ووالده مأمور السجن فيها وحيث كانت معنا العجلة وكنا نريد ان نقضي

يوماً في بعقلين فقلت الى رفيقي رفول فرح الذي توجه معي من بيروت لأنه كان يعرف علي بك وتام تلك الليلة مع ولده مصطفى بك ولم يدعه يغني لكثرة الشخير وهما جراً تعال فذهب الى المختارة لزيارة نسيب بك جنبلاط الذي كان قائمقام الدروز فتوجهنا وبعد ما قطعنا بعقلين رأينا اسعد راكباً حماراً وسألته لأين ذاهب قال الى المختارة قلت ارجع الحمار وأركب معنا في العربة ففضل ولا وصلنا الى المختارة فتوجهنا الى منزل نسيب بك وبعد السلام صار يمزح مع اسعد مزحاً لطيفاً واخيراً قال لي نسيب بك هل تعرف يا شاكرك بك بماذا يرجوني اسعد قلت كلا قال انه يسألني ان ارسل من يقتل له والده في السجن لأنه مأمور بسجن بعقلين حيث انه شيخ لا فائدة منه ويتم بقطه أحد الاغنياء ويأخذ منه دية ثلاثين ألف غرش وهي خير من والده اذ لا سبيل له لكسب الدراهم غير هذا الباب لأن عائلته كبيرة ومعاشه لا يكفيه وكان اسعد يقول هذا الكلام ليضحك نسيب بك لأنه كان يحب والده كثيراً ولما انصرم النهار عدنا الى بعقلين .

(صدقة غريبة)

عند مرورنا في بعقلين أمام السجن قال لي اسعد ارجوك ان تنظر والذي لأنه يعمل كثيراً وهو الان في السجن قلت له لم يبق وقت الان للعيادة وغداً صباحاً نراه فذهب الى منزله وتوجهنا الى المريض علي بك وبينما نحن على المائدة واذا نفر عسكري اتاني وقال لي يرجوك اسعد افندي ان تحضر وترى والده مأمور السجن قلت وما الداعي لعيادته ليلاً وقد وعدته ان أزوره غداً فهل حصل شيء جديد قال انه يصنع الدم بكثرة فتوجهنا الى السجن ودخلنا غرفة للمأمور فرأيت على نافذة صينية عليها طعام وزجاجة عرق ووالد اسعد مطروحاً على الأرض وفوق رأسه بركة من الدم وهو ميت لا حراك به فقلبت لأرى هل به اثر جرح او رض او خنق فلم ار به اثرأ ظاهراً فقلت انه توفي بسكتة دماغية وصرت افكر يقول اسعد الى نسيب بك والتعجب من الصدقة التي جعلت ذلك واخيراً ادعى اسعد ان والده مخون لأنه توجد في بعقلين عائلة مسيحية كانت تحرك لأخذ وظيفته فاتهمم بخنق والده وكان يساعد هذه العائلة الخوري ميخائيل رزق وكيل المطران بطرس وفي اليوم الثاني حضر طبيب القضاء وفحص المريض الميت فلم يرفه اثر خارجي وبقيت الجنازة مدة اخيراً قلب الى اسعد ما هذا العمل من شتم الكرام فان والدك توفي بدون اسباب خارجية فلو شرحنا الجثة فأننا لا نرى فيها اثرأ وانصرف اخيراً ورفضوا الجنازة وأخذوا الجثة الى بيت الدين ودفنت هناك ورجعنا الى بيروت وظلت هذه القصة والصدقة الغريبة بفكري دائماً وبعد ثلاث سنوات توفي اسعد بقتة مثل والده .

(شفاء العين بقطع الضرس)

حضرت عندي امرأة جليظة جداً تبلغ من العمر نحو السبعين سنة حدث لها في عينا اليمنى قرحة القرنية فأخذت بمعالجتها وعملت كل الوسائط حتى تحسنت القرحة ولما أقبل الصيف بجره تشكت منه فقلت لها حيث معك طبيب وقد عرف كل ما يلزم لمعالجتك فيمكنك ان ترجعي الى الجبل فرجعت وبقيت هناك

مدة الصيف والشتاء وفي ابتداء الربيع اتاني ولدها واحبرني ان والدته كانت تشكي كثيراً من ألم عينها وأن الاطباء الذين عابوها حكوا بأنها مصابة بسرطان في عينها وجزموا بوجود قلعها فلم تقبل الا اذا رأته مرة اخرى وهي الآن في بعيدا فهل لك ان تذهب لعيادتها هناك فتوجهت الى بعيدا وزرتها فوجدتها مصابة بعدة قروح في القرنية خصوصاً في خط قاسم القرنية الى نصفين فأخذت بمعالجتها مدة شهر وعملت عملية للقرحة وجميع الوسائط اجرينها لها فلم تشف اخيراً الزمته ان تنزل الى بيروت وقد احترت في امري لكنني لاحظت ان الاثرويين الذي من خواصه تمديد الحديقة لم يفعل معها شيئاً وكذلك الازريين الذي يقبضها فكان القرنية مشلولة لأن امتصاص هذه القطرات من القرنية فضحت الرأس فلم ار به علة وافكرت بالاسنان لان العصب واحد .

فحضت اسنانها ولم اري فيها الا جزر خرس سألتها اذا كان يؤلمها أجابت انها لا تشعر به قلت انني اريد قلعها قالت ولأني سبب ما زلت لا اشعر به قلت لعله مؤثر على العين قالت ضاقت بك الحيل حتى وصلت الى هذا السن قلت وما ضرك قلعها وهو لا يضر شيئاً فقبلت وقلعته لها وفي اليوم الثاني ابتداء الشفاء وبعد ثمانية ايام شفيت العين تماماً وهي لم تنزل للآن بصحة تامة ولم تعد تشعر بشيء ابداً .

وقد انتشرت هذه القصة بكل المحلات وكان هناك طبيب سمع بها في صيف هذه السنة اتاني مريض اسمه حسين الصباغ وهو مصاب بمرض في عينيه حتى قارب العمى وسببه بزر في الجفون فعالجه الطبيب مدة طويلة لان البزر غطى العين فكانت اشبه شيء بقطعة لحم حمراء لا تعرف لها قرنية واحبرني ان الطبيب الذي كان يعالجه سمع بكوفي قلعته ضرساً للسيدة أم قاسم وشفت من مرض عينها فقلع لي اربعة اضراس ولم اشف فضحكت لجهل هذا المسكين الذي خسر اربعة من اضراسه وقلت له ان مرصك يخلف عن مرض تلك السيدة وقد حصل نضيبك كي حصل لتلميذ طبيب

الطبيب وتلميذه وجمال الحمار

ذهب طبيب مع تلميذه لعيادة مريض ولما وصلا اليه سأل الطبيب المريض هل اكلت بطيخاً فأذكر اولاً ثم أقر فعالجه وذهب فتعجب التلميذ من ذلك وسأل معلمه من أين عرف ان المريض أكل بطيخاً قال أما نظرت عند دخولنا قشر البطيخ بكثرة قرب الباب قال بلى قال منه حكمت ان المريض أكل بطيخاً فتعلم التلميذ .

وفي ذات يوم طلب التلميذ لمريض لأن الطبيب كان غائباً فدخل على المريض وقال له لماذا أكلت لحم حمار فتعجب المريض من هذا السؤال وانكر وعرف الطبيب قصته فسأل تلميذه كيف علمت ان المريض أكل لحم حمار قال ألم تخبرني انه متى وجد شيء قرب باب المريض يكون أكل منه فأنا رأيت جمال حماري في الخارج وحكمت ان المريض أكل لحم حمار فقال الطبيب لو كان لحم الحمار يؤكل لما بقيت

الى اليوم أذهب واستبدل صمتك لأنها لا تليق بك ولا أنت اهل لها . وهذا ما حصل لصديقنا الطبيب الذي قلع اسنان هذا المسكين بمجرد سماعه ان مرض العين شني بهذه الوساطة دون ان يعرف ما هو المرض .

ابراهيم بك مسلم

هو من اسرة كريمة من زحله كان عضواً وحيداً عن طائفة الروم الكاثوليك بمجلس الادارة وأصبح مدة مظفر باشا رئيس قلم الأوراق والان عضو في دائرة الجزاء .

كنت جالسا معه في صيدلية مسعود الحيمري على برج الكشف أمام حديقة البلدية في بيروت فرأينا دب قوي فقال لي تعال نتفرج عليه فقمته ورأيتته وقلت لم ادر عضواً أي طائفة هو بمجلس الادارة قال هو عضو الطائفة الأكثر عدداً (وعني بذلك الطائفة المارونية) قلت بل أظن انه عضو وحيد لطائفته (وكان ابراهيم بك العضو الوحيد لطائفة الروم الكاثوليك عن زحله) فضحكنا لهذه النكتة .

(القاضي المرتكب)

كان متهماً بالرشوة ومتى جالسه انسان يظن التقاوة والعهدة وما اشبه من الصفات الحسنة واذا دخل عليه المدعي يكثر عليه الاسئلة حتى يرتبك فقات فيه :

عجبا لقاضي ملّة دون الفصاة له عوائد
فكاسم موصول غداً لا بد من صلة وعائد

(وقلت فيه ايضاً)

اذا قاضي بلادك صار يعطي فذلك دليل على الجحد ثم حظي
وان تمت له قرشت ينادي نعم الله ويرسون سوف يعطي

كلفتني السيدة عليا الشهيرة زوجة الامير افندي قعدان الذي بقي اخيراً ثلاث عشرة سنة رئيس مجلس الادارة وتوفي في شهر تشرين سنة ١٨٩٩ وهي ابنة الامير بشير الملقب ابو طحين لأنه كان يوزع طحيناً على الفقراء وتولي الحكم بعد الامير بشير الكبير على جبل لبنان عقب حادثة سنة ١٨٤٠ ان أنظم لها بيتين ابن فيها ثقل رجل اسمه عومي ففعلت وانتشرت الايات وشطرها الشعراء وخمسموها دليل استحسانهم لها وقد نظمها سنة ١٨٨٧ .

لما يا شربة تأتني جمأً
عجبنا كلما ابتعدت عنا
علينا بالمصائب والموم
على ادبارنا دوماً غومي

وانا الذي خلفته سنة ١٨٧٩ وكان ملحم قد أصبح غنياً ولكنه لم يزل اعزباً حتى سنة ١٨٨٢ فتزوج السيدة اسما ابنة بشارة الهاني .

اسما زوجة الدكتور ملحم افندي فارس

لا استطع اذكر هذه السيدة الا وأناأسف وأحزن عليها لأنني عرفتها وهي في المدرسة وزوجها كان من أعز اصدقائي تزوجت وعمرها ثمانية عشر سنة وأول هوى دخل فؤادها هوى ملحم كما انه لم يعرف غيرها قبلها من النساء فكانا زوجي محبة لا غاية ولا مآلة وكانا يعبدان بعضهما ولم تتكدر بحياتها من رجلها ولو اسما طلبت روحه لمان عليه تسليمها بكل سرور والخلاصة اني لم ار زوجين في بلادنا احبا بعضهما الى هذه الدرجة وكان يفضلها على أولاده واخوته وكل البشر ولم يكن أحد يلومه على حبه لأنها كانت كاملة الصفات الادبية والطبيعية متوسطة القامة جميلة الصورة معتدلة الجسم سوداء العيون بشوشة الوجه لطيفة الاخلاق كريمة النفس عزيزتها تحب الضيف والغريب قريبة للقلب فصيحة اللسان زكية تذرك فكر الانسان قبل ان يتكلم رقيقة الاحساس شريفة اديبة وبالاجمال انها كانت مثلاً للجمال والأدب والانسانية والعلم كأنها لم تخلق امرأة لا تحب الخروج من منزلها ولا المجلات الاجتماعية تزار ولا تزور الا رغباً عنها مجلسها مجلس سرور فتوة لا تحب الزخرفة ولا المباهاة بالغنى والخواهر مع كثرة ما عندها عاشرتها ست عشرة سنة ولم ارها ليست حلماً مرة واحدة تحب اولادها محبة تقرب من العبادة وهم ذكران وانثى وكانت تعني بلبهم وأدبهم وعلمهم اعتناء عظيماً وكان اذا غاب صديق مدة تعاتبه لغيابه بكل لطف .

ولكن واسفاه فانه مع كل ما حوى جسمها وعقلها وأدبها تسلط عليها داء عضال لم يكن له من دواء فأنظر وتأمل حالة زوجها المسكين فانه كان يعرف النتيجة قبل الوقت ورعماً عن العلاجات الكثيرة وتبدل الهواء قد توفت في بعمدون بأول تشرين أول سنة ١٨٩٩ ودفنت في بيروت وكنت وقتئذ متغيّباً في الجبل ولست استطع ان اصف حالة ملحم المسكين ولما رأته أول مرة لم اتمالك عن البكاء وفعل مثلي رحمها الله رحمة واسعة واذا احبها الله كما احبها البشر فلا شك انها خالصة وان زوجها في ابدية صالحة لان صيتها واسمها وشرفها معروف في بيروت باسرها فالسلام عليها ورحمة الله والى سلام ولكن الحزن كالناس لا يبقى على حال فقد تسلى ملحم الان نوعاً ما وكنت ازوره يوماً بعد الظهر لانه جاري ولم يكن يفصل بيننا سوى منزل خليل افندي الخوري .

هو لطيف زكي ماهر في صناعته ودود ذو مروءة يحب الضيف ويبش للجميع يحب المزاح وقد اشتهر مزاحنا في بيروت ومن جملة نكتي معه .

كان له كلب كبير وضعه في الحنية لحراستها ليلاً فأت هذا الكلب وطلب ان يحضروا له سواء فني

ذات يوم وأنا معه في الجنة اتوا له بكلب صغير فقال اني لا اريدُه لأنه صغير وضعيف قلت لا بأس منه فبصبر بعد مدة ملحمًا (من اللحم) قال وشاكراً أجبت حين يقوى بصبر فارساً واسمه ملحم فارس .

كان ملحم ابيض اللون أزرق العين قصير القامة اشقر الشعر لطيفاً جداً بشوشاً قليل الكدر فحضرت يوماً من ايام الشتاء لزيارته نحو العصر فدعاني لمناولة طعام المساء عنده فقلت معذراً اني لم احضى ساكني معي قال اعطيك واحدة من عندي خذوها من برد الليل فأجبت دعوته ولما أردت الذهاب طلبت منه الساكو قال ان عندي جلال همار ان احببت اعطيك اياه قلت قصير عليّ لأنه مصنوع لسواي فضحكنا . وأعظم نكتة اجريناها معه هي نادرة مع .

جور بك رزق الله من صيدا

كنا في سهرة مع ملحم وجملته رفاق فابتدا يخبرنا حادثة جرت له مع جور بك رزق الله من صيدا وقبل التكلم عليها نذكر شيئاً عن جور بك وعائلته من صيدا .

هي عائلة كريمة غنية معتبرة في الطائفة المارونية أصلها من صيدا وظهر بها عدة نوابغ نحوا ونحوا وشرفوا علماتهم ووطنهم ولم تزل هذه العائلة حتى الان على هذه الحال ومن الذين اشتهروا منها بابامي .

اسطفان رزق الله

هو من مشاهير اغنياء صيدا وكان له ثلاثة أولاد وهم حبيب ولويس ونحله وكان هذا الاخير رفيقاً لي بمدرسة المعلم بطرس البستاني وهو رجل همام يلتفت الى املاكه ويعتني باشغاله تزوج ابنة جبران افندي ابلا فحصل دولة بلجيكا بصيدا . وتوفي لويس بلا عقب وكان متزوجاً شقيقة ميشل افندي اده مدير الامور الاجنبية بولاية بيروت وبعد وفاته تزوجت ارملة الامير فريد شهاب ابن الامير عبدالله من وادي شحرور أما البكر الخواجا حبيب فهو صاحب البيت أبي النفس مضياً يستقبل الاكابر والأصاغر محباً للغير والخير والاحسان وهو صديقي الحميم تزوج امرأة شريفة كريمة الخلق والخلق وله منها أربعة أولاد أكبرهم يوسف الذي اسلم جميع اشغال آبيه والثاني اسكندر اسلم ادارة الاملاك اما اسطفان فغلب فكانا صغيرين وقد تزوجا الآن بنساء كاملات الصفات وتوفي الخواجا حبيب هذه السنة ١٩٠٧ .

(جور بك رزق الله)

كان هذا الذات اعظم الجميع في صيدا وهو زوج عمة امرأتي وتزوج ولده سليم عديلي السيدة تقلا وكان أغنى افراد هذه الاسرة ذهب الى الاسكندرية ومصر وكان في دمياط للتجارة ايام محمد علي باشا ولم

يزل له فيما ملك وكان يحب الصوت والغزل والنساء لطيف المعاشرة معهم وله نادرة مع ساكنه في مصر مشهورة .

وكان عناده سبباً لخراجه وقام عليه فلاحو البلد الذي اشتراه وهي قرية المظلة وسكانها من الدروز ويدعى شيخهم الحجار الذي قتل أخيراً فأهاج عليه الاهالي فصعوا وطردوا جبور بك من قريتهم فتشكى واستأنف وميز مدة عشرين سنة وبعد أن باع كل املاكه وقضى عشر سنوات في الاستانة العلية حكم له بها فحضر الى سوريا واستلم البلدة وباعها باربعة الاف ليرا الى روتشيلد اليهودي وقسم ماله بين اولاده الثلاثة وهم عديلي سليم وعزيز وبشارة وتوفي بعد ذلك اما امراته فتوفت قبله .

ولنرجع الى قصة مع ملحم افندي فارس فنقول :

ملحم افندي فارس وجبور بك رزق الله بصيدا

سنة ١٨٦٥ كان ملحم تلميذاً بمدرسة الطب بمصر وأصيب بالهواء الأصفر الذي حصل تلك السنة وشفي منه واتي الى سوريا لأجل تبديل الهواء وكان والده واهله بصيدا وقد روى لنا هذه القصة ملحم بذاته فقال اني اتيت الى بيروت واشترت بعض ادوية من مسعود الحيمري وذهبت الى صيدا حيث كانت عائلتي وأكثرت دكاناً وضعت فيه الادوية وكنت اطيب بملك جبور بك واتفقتا على اجرة الدكان خمسة عشر غرشاً شهرياً وفي اثناء ذلك مرض ولده سليم وكان ساكناً خارج المدينة بالحسى التيفوئيدية فطلبني والده لعيادته وكنت اذهب يومياً اليه واعالجه واراد مرة ان يستدعي طبيباً من بيروت فعلمته وأخذت عهدة شفاؤه على نفسي وبعد مدة تم شفاؤه فكلفني والذي ان اذهب الى جبور بك مع احد اقاربه نخله رزق الله لتهنته بسلامة ولده من المرض فتوجهنا وانا احسب بفكري الدراهم التي كنت مزعماً ان اقبضها لأنني كنت احسبه نظير بكوات مصر الذين يسعدون الطبيب الذي يعالج مرضاهم لانهم يهيون ولا يسألون خصوصاً اذا تم الشفاء واخيراً وصلنا الى الدار العامرة فاستقبلنا البيك بكل بشاشة ولطف وجلس بجانبني واظهر لي التفاتاً عظيماً وقال اني ممنون لك يا مسيو وسارني بأذني قاتلاً قد حسبتا لك اجرة الولد ستين غرشاً فلما سمعت كلامه ظننت اني سقطت من محل شاق غير اني افكرت ان اقدم هذه الخدمة بمجاناً خيراً من ان اقبض غرشاً اجرة المشوار بدلاً من ريال مجيدي فقلت له يا بيك اقدم لك هذه الخدمة اكراماً لجنايتك نظراً لالتفاتك على والدي واقاربي وتركته يشأ من الطب وكنت يومئذ معيناً من قبل الحكومة حكيم صحة نظراً للهواء الاصفر وقلة الاطباء .

ولما انتهى الوباء رجعت الى مصر لاتمام دروسي وبعد نحو شهرين ورد لي تحرير من والدي يقول فيه ان جبور بك طالبه بأجرة الدكان عن ثلاثة اشهر وطلب مني ان ارسلها له فأجبت والذي ان يفكر جبور بك لمعالجتي ولده مدة شهرين وانه حسب لي الاجرة ستين غرشاً وما قبلت ان اخذها منه فلو حسب اجرة ثلاثة

اشهر بالدكان كل شهر بخمسة عشر غرشاً يكون مطلوبه خمسة واربعين غرشاً فيكون باقياً لي بدمته خمسة عشر غرشاً رجوته ان يرسلها لي غير اني لم اتل رداً على هذا الخطاب ولا انيت دروسي بمصر ونلت الشهادة انيت الى بيروت واكثرت متراً على طريق الشام بملك الباحوط وبينما انا يوماً في غرفتي دخلت عليّ الخادمة واخبرني ان شاباً يرغب مقابلتي فدخل وكان بيده تحرير باسمي اخذته منه بعد ان دعوته للجلوس وقرأت الكتاب فاذا هو من جهور بك يطلب به مني اجرة الدكان وكان الذي احضر التحرير المريض الذي عالجته في صيدا فعند ذلك خرجت عن دائرة الصواب وصرت اشم والسن وقلت له انيت معالجتي اباك وشفاك بواسطتي وما لي عندكم من الاجرة وجاوبته جواباً قاسياً جداً ووبخته توبيخاً مرّاً فذهب من امامي متكدراً ومحبولاً .

وكان حين يخبرنا ملحم هذه القصة يأخذ منه الكدر والتحمس مأخذاً عظيماً كأنها حصلت معه تلك الساعة وكنا نضحك من تحمس ملحم أكثر من القصة . وقلت مرة لرفيق لي مرادي عمل حيلة على ملحم أكتب له تحريراً عن لسان جهور بك فقال لي افعل ما تريده .

(النادرة مع ملحم)

في اليوم الثاني كتبت تحريراً بخط سواي قلت فيه :

الى حضرة الدكتور الشهر ملحم افندي فارس الافخم
لا اخفي حضرتكم ما كنا عليه قبلاً والان بسبب الدعاوى والامراض اصبحنا بحالة غير التي تعرفونها وفيما نحن نقتش بدفاترنا القديمة رأينا ان لنا بدمتكم اجرة دكان ثلاثة اشهر غوز وآب وابلول سنة ١٨٦٥ مع الفايط فاذا هو افر ونحن بحاجة اليه الان فان اردتم خلاص دمتكم ارسلوه لنا مع حفيدنا الواصل اليكم وهو متوجه الى بيروت للمعالجة ويكون الشكر لكم واجباً علينا وان لم تحبوا دفعه نرجوكم تعريفتنا حتى نحري الأصول غير اننا نؤمل أنكم لا تحوجونا الى هذا الامر وبكل اعتبار نقدم الى حضرتكم غياتنا وادام الله بقاءكم .

حرر في ١٥ أيار سنة ١٨٩٢ .

عبدكم المخلص

جهور رزق الله

وبعد ان انيت هذا التحرير افكرت بطريقة اوصلها الى ملحم بحضورنا وكان مشتركاً معي بتسليمه ناصيف بك الرئيس رئيس القلم العربي مدة واصا باشا وسعود الحيمري وعدة اصدقاء وبعد مزيد التروي والتأمل افكرت بالشخص الآتي :

(خليل الطائفة للمدعي بأنه حفيد جبور بك رزق الله)

كنت يوماً بلوكائدة انكلترا التي هي على ساحة البرج اعلا صيدلية مسعود الحيمري عند مريض من عكا يدعى الخواجه الياس الابيض توفي في هذه السنة بكانون الثاني سنة ١٩٠٨ لمعالجة عينيه وكان عنده رجل من عكا يجز معهُ وهو لطيف جداً شائب الشعر لكنه يصبغهُ فخطر لي ان اسلمه التحرير وان يزعم انه حفيد جبور بك وقلت له يا صديقي الجديد اني اطلب منك خدمة بسيطة يمكننا ان نسر بها قال وما هي اقتصيا على الرأس والعين قلت ان تسلم هذا التحرير الى ملحم افندي فارس الحكيم واخبرته قصته بتامها قال لعله يشتمني قلت لو فعل ذلك يكون قد شتم حفيد جبور بك وما قصدنا الا المزاح وانت خير باساليه وترجاه الياس الابيض فقبل طلبي وسألني عن الواجب عليه ان يعمل قلت تدعي انك حفيد جبور بك وتدخل الى صيدلية مسعود الحيمري نهار غدا الساعة الواحدة بعد الظهر فتعطي هذه الوصفة الى الصيدلي وتطلب منه الدواء فيطلب منك الثمن وتقول له اضفه على حساب ملحم افندي فيدلك عليه وتسلمه التحرير ومهما قال لك لا تجبه بسوى قولك جدي امرني ففعلت واجتمعت بعد ذلك مع ناصيف بك وباقي الرفاق وكلفت مسعود ان يدعونا لمناولة الطعام ظهر الغد في صيدليته لان عنده فيها غرفة داخلية كنا نجتمع فيها لأكل طعام السوق نظير فول مدمش حمص بطحينه ولحم مشوي واخبرته ماذا يقول الى الذي يأتي له بالوصفة الطيبة .

وفي الغد اجتمعنا عند مسعود قبل الظهر وتناولنا الطعام في صيدليته وبعد الأكل جلس كل منا على كرسي وفيما نحن على هذه الحالة دخل خليل الطائفة المكاوي وهو الذي كان ساكناً عنده منصور بك شتوان رئيس قوميون تميم الاملاك في بيروت .

ولما دخل لم اتمالك من الضحك فأدبرت ظهري الى ملحم الذي كان جالساً بازائي وأخذت جريدة وصرت أقرأها وأنا لاحظ الرجل الذي تقدم الى مسعود واعطاه الوصفة وقال له قيد تمها على ملحم افندي فارس فقال له الصيدلي هوذا ملحم افندي هنا فكلمه بهذا الشأن ولما سمع ملحم اسمه التفت لأنه ظن انه مريض اتى يريد المعالجة عنده له مخاطبة :

— هل حضرتك الدكتور ملحم افندي .

— نعم .

فرر الرجل سترته وأخذ محفظة من جيبه وفتحها وتناولته التحرير فقرأه وصرخ بصوت عالي يا شاكرك يا شاكرك قلت ماذا تريد قال تعالى انظر اعمال جبور بك وخذ اقرأ هذا التحرير بصوت عال قلت وما فيه قال انه يطلب اجرة الدكان فصد ذلك ضحكنا جميعاً وأخذنا التحرير وصرنا نقرأه اخيراً التفت ملحم الى الرجل وشتم له دينه فأجابه الرجل لا تتكدر يا سيدي مي فا انا الا مكلف وان لم تشأ دفع ما عليك حرر

الى جدي تلعرفاً أخبره انك لم تشأ تدفع لي قصرخ ملحم قائلاً اسمعوا اسمعوا انه يقول ان ارسل تلعرفا لجده انني لم اشأ ادفع والتفت اليه ولعنه وبعد الصراخ والمسابات والشتائم أخذت ملحم بيده وأدخلته الى الغرفة التي أكلنا بها وقلت له أجب جبور بك على تحريره واعطيه ورقة وأمليت له الجواب ولكني قلت له لا تشتمه ولا تسبه ليلا يصدر عليك دعوى فكتب التحرير الأول ثم مزقه لأنه كان كله مسبة ثم كتب تحريراً ثانياً أخذته منه لكي نرسله وخرجنا الى الصيدلية وكان ماراً جبور القرداحي من عكا وقد أخبروه القصة فحين نظر الرجل سلم عليه وسأله عن جده جبور بك وسأل ملحم عن قصته فأخبره بها عند قلنا الى ملحم اعطه ريالاً فقط لأنه محتاج ولم يعطه جده شيئاً لأنه أكلك عليك فلم يقبل قلنا داهو اذا لكونه مريض واعتبره فقيراً فتوفر عليه الدراهم وبالإلحاح الشديد أجاب طلبنا وسأله عن مرضه أجاب أنه مصاب بالداء الزهري فالتفت اليها ملحم وقال اسمع ما اردله فكلفتني ان يدخل الى الغرفة الثانية السرية ودخلت مع ملحم والمريض فقال له ملحم ارني اين مرضك وابندى ملحم يفضحه فعند ذلك لم اتمالك عن القهقهة المعروفة في وضحك الرجل وخرجنا حالاً وتركنا ملحمًا لوحده متفكرًا واخيراً خرجنا وكان الحضور يضحكون وكل ما مر شخص بعيد له ملحم القصة حتى كاد يخنق من الحرق والعطش وبقي على هذه الحال نحو ساعتين اخيراً كلفتني ان نذهب الى المتزل فقام وسرنا وبقي طول الطريق بعيد علي قصته ويقول بعد سبع وعشرين سنة يطالبني بخمسة واربعين غرشاً . وعند دخولنا الى منزله صرخ بامرأته اسما قائلاً ان جبور بك ارسل مع حفيده يطالبني باجرة الدكان وارسل لي هذا المكبوب فاقرأه وسلمها المكبوب فلما تلته قالت لربما احد اصداقاتك اراد معك المزاح وأرسل لك المكبوب عن لسانه قال ومن أين له ان يعرف ان الاشهر المطلوبة مني وهي تموز وآب وابلول سنة ١٨٦٥ فسكت واخيراً خرج من الغرفة فسألتني السيدة اسما ادا كنت انا الذي اجريت له هذا الملعب فأجبته بالاجاب ولما رجع زوجها أخبرته بعقبة المسألة قال انه كاذب في قوله فكيف تأتي له معرفة الاشهر قلب له يا عزيزي ، ما أخبرتنا ان هذه الحادثة توعدت معك لما اتيت من مصر مدة الهواة الا صفر سنة ١٨٦٥ وقد ظهر في اشهر تموز وآب وابلول ولا تحتاج هذه المسألة مربد فلسفة وبعد التعب الكلي اقتنع وعرف اننا اجربنا معه هذا الملعب للمزاح وهكذا انتهت هذه القصة التي نذكرها اليوم .

(لجنة فحاص الطب اللبنانيين والفرنساويين)

في سنة ١٩٠٠ حضر الفحاص الى مدرسة الطب الفرنسية في بيروت وكنت فيها معلماً بالجراحة الصغرى وأكلينيك العين وكان الفحاص وفداً من الاستانة العلية وفرنسا فالفرنساويون هم الاستاذ مورا من ليون والاستاذ فيدال من باريز والاستاذ فالاس من ليون وبتاريخه ورد تلعرفا بوفاة الاستاذ اوليه معلم الجراحة في مدرسة ليون . وحضر من الاستانة بدلاً عن جميل باشا الشهير خير الدين باشا المعلم في المدرسة السلطانية العسكرية وتوفيق بك واسماعيل بك فدعاهم ملحم افندي لتناول طعام المساء بمنزله وكان من جملة المدعوين خيرى بك رئيس المستشفى العسكري في بيروت ويحيى بك الشمعة قومندان الجندرمه ومنصور بك شتوان رئيس قومسيون الاملاك والنجال فخري بك احمد ومحمود وكامل بك فاظر جبارك

بيروت وكنت من جملة المدعوين وفي أثناء ذلك نهض ملحم وشرب سر الحاضرين وقال ان هذه الجلسة جمعت كل معنى ولطف أدبي كخير الدين وخيري وتوفيق وشعمة واحمد ومحمود وكامل وشاكر وملحم وبعد ذلك قلت وقلت ان لكل منا اسم يدل على معنى ادبي كشاكر ومحمود وخير الدين الا ملحم فهو لقب لا يقال الا للحيوانات فضحك الجميع من قلبي وطلب مني الحضور ان انظم شيئاً لخير الدين باشا وتوفيق بك واسماعيل بك فارتملت هذين البيتين :

يــــا اسماعيلـــــــل توفيقى بـــــــلدينى قـــــــد أرى خيرى
بــــلا خيرى وتوفيقى ارى اللــــدينىــــا الى غيرى

اذ لا اسف على الدنيا بلا خير وتوفيق .

وكانت اللغة التركية هي المتكلمة تلك الليلة وحيث انني اجهلها بقيت ساكناً فسألني احد الذوات الحاضرين اذا كنت اعرف اللغة التركية اجبته انني لا اعرف منها شيئاً سوى :

بادشاهم جوق يشا

فصفق الجميع لذلك وعدنا جميعاً ما اعرفه من التركي

« تحميس الايات المشهورة »

كان المرحوم اسعد رعد يغني هذه الايات وكان صوته جميلاً وهو عارف اصول الموسيقى العربية فسمعنا منه وسرور منها فخمستها في بيت مري سنة ١٨٨٦ وهي :

عذبت قلبي بظبي لي به وله اذا نبــــدي لــــناك سهوا ولها
وعندما قد رأى طرفي يقبله غطى الخــــديد يــــمناه فقلت له
لا تمحجج الورد عني قد وهى جلدي

يــــا محجج الورد عني كم أذوب وكـم أموت حزنأً ووجــــداً في الغرام ولم
فقل لمنــــناك من فيه المذاب ألم هل ذا دلال على أهل المحبة أم
فكرت في قلتي يا محرقا كبدي

هل خلت قلبي على غير الوداد رسى حتى فؤادك وهماً بــــالسلو قسى
فأعبره عن ذنبه حتى يتوب عسى فقال لا بل رأيت الخيال رأم اسى
يصيد قلب الشجي من داخل الجـد

رب عل عرش خدي في نجته يريد ان تخضع الدنيا لعظمته
 حملت نفسك جوراً في محبته وقصده دائماً يسطو بصولته
 عل فؤادك فاستمكه يدي

(صيف سنة ١٨٨٧ في بيت مري)

قد اعادني هذا الصيف ابن عشرين سنة فكتت انجيل ذاتي شاباً لا اعرف تعب السهر وطول الجلوس
 وكنت مسحوراً حقيقة لا ابالي بهم ولا ينم وهي الايام التي يمكنني اعتبارها من ايام سعادتي لأننا كنا
 نجتمع اصحاباً بلا كلفة ولكل منا الحرية المطلقة بلبسه وزياراته وكانت الاشغال تضطرني للترول الى
 بيروت ٦ ايام في الاسبوع وكان منزل المرحوم اسعد رعد مجلس الجميع وكان يقطن الطابق العلوي من
 منزل بيت مري وفي الأسفل اخوه المرحوم لطف الله وزوجته الاديبه حنة بنت المرحوم حنا الاصغر والسيدة
 عفيفة فرح وزوجها التي ذكرتها سابقاً وكان مصيفاً معنا المرحوم يوسف رعد ذا الصوت الجميل وصديقنا
 الخواجه جرجي نقاش وسعادة فخري بك وكنا كلنا على اتفاق تام ووثام لا نجتمع الا للسرور والانشراح
 فيتبع عندي الشعر وأميل الى النظم والغزل نظراً للفناء والموسيقى وكنت دائماً انشد الاشعار أما للضحك
 او للغزل وكانت حالتي كما يأتي :

شكوت فقالت كل هذا ترحاً بجبي اراح الله قلبك من جبي
 ولما كتمت الوجسد قالت تعتاً صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
 فادنو فتقصي فابعد طالباً رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
 فشكواي تؤذيها وصبري يؤهلاً فترجع من بعدي وتنفر من قربي
 فيسا قوم هل من حيلة تعرفونها اشيروا بها واستوجبوا الاجر من ربي

هذه صيفية بيت مري وكنت دائماً أنشد الاشعار سراً وجهاً والجميع يسمعون بها وكان لكل منا مزية
 يحرد بها على اصداقائه كالصوت وعزف العود والذكاء والشعر وعدم التكلف وحسن المعاشرة وكان كل منا
 كأنه مسحور ومما قلته عن لسان احدي السيدات هو هذا .

(عن لسانها)

شكرت من العزول عل عفاً في فأضحى كل شخص في شاعر
 بلطني قـــــــد تمت كلام شاك وفي طهري ملكت فؤاد شاك

(ولها ايضاً)

لما رأت عينيها عبداً لما أخذت تصطاد عبداً لها في أسهم النظر
وعندما حركت اجفانها أخذت قلبي وأصبح ذاك العبد بالقدر

(قلت في قلع ضررها وكان غزراً)

قد نلت يا ضرر من ثمر الحبيب مني ما لم تتلسه ملوك في عروشهم
عشرون عام بعدن كنت منفراً تمص شهيداً وخرماً من اعز فم
من كان في جنة هل يعتره ضني ما باللك اليوم تشكو شدة السقم
أجانبني الفرس اني لم أذق علأ مع اني فيه مغمور الى القدم
لأن خلي بخيل لم يبع ابداً يريه خمرأ وشهداً دون طعمهم
فناشوقي لذا قد احرق كيدي فذاب قلبي به من شدة الألم
وعندما قد رأى اني بلا كبد ولا فؤاد وقد أصبحت كالعدم
فماخرجوني من الفردوس دون أزي كأنني آدم افتوا بفك دمي
فهكذا كل من يهوى الملاح غداً محروق قلب ويرمى بعد حبه

(سليم افندي عكاوي)

هو صديقي الحميم كما كان والده صديق والدي ومن العجب ان الصدفة تجعل صديق اهلي صديقاً لي
وبالعكس دون ان اشعر ولعل هذا من فعل الجاذبية التي تتقل من الاباء الى الابناء ولو اختلفت الصوالح
والمصالح وهذا ما حصل لي مع سليم افندي فأننا تعلمنا سوية بالمدرسة الوطنية في بيروت وهو اصغر مني
سناً وبعد ان بعدنا عن بعضنا مدة رجعت الى بيروت فرأيتُه يتعاطى التجارة خصوصاً في الحرير وكانت له
كرخانة في كفر عميل وهو رجل جد لا يلهيه شيء عن شغله ولا يلتذ بالاعمال ولذلك نجح النجاح التام
ومن توفيقه اقترانه بزوجة كاملة الصفات تليق له .

(زوجة سليم افندي)

هي مخدرة لطيفة الذات فائقة الكمال ذات عقل ثاقب بشوشة الوجه محبة الاصدقاء ودودة مدبرة
اشغالها الخصوصية المنزلية عالمة تلتفت الى اللذات العقلية أكثر من اللبس والزينة تحب ذوي العقول
والمباحثات العلمية ويجب اعتبارها في بلادنا كرجل أكثر من امرأة قد ربّت اولادها نظرياً وبالاختصار
ان التوفيق قرن الزوجين وقد توفت رحمها الله في اواخر سنة ١٩٠٥ .

جمعوا لتثنية المحبة شملهم ونعاضدوا حتى يقموا عنهم
 ارجوك ان جساوك تصرم حبلهم او قبل مثاق اليك قبل لهم
 أدري بذنا وانا الذي شوقته
 لما استجرت بفتحكم ما جارني ثم استمرت نعاسه فأعارني
 اغضت جفني والخيال انارني يا حسن طيف من خيالك زارني
 من فرحتي بلقاء ما حققته
 ما أورت العينين غير حبيبها والروح راحت من بعداد حبيبها
 نادت ولا طيف بدا ليحبيبها فضى وأبقى مهجتي بلهيبها
 لو كان يمكنني الرقاد لحقته

فخري بك نامي

هو ابن محمود باشا حاكم بيروت مدة ابرهم باشا المصري ووالدته من زوجات محمد علي جد العائلة الخديوية عرفته في بيروت كما أقول هذا هو الصديق المتجسد وهو الغني الشريف الكريم لطيف ظريف ذو عقل ذكي أول من حافظ على اديياته تعين رئيساً لبلدية بيروت وعمل حديقتهما من جيبه الخاص يجب التنظيم في الاشغال بدقة يخرب ما عمل ولو كلف مبلغاً متى وجده مغللاً بنظام الهندسة او الذوق تعين متصرفاً الى نابلس ثم استغنى وانقطع الى تربية اولاده وهما احمد بك ومحمود بك الذي توفي في حياة والده وابقى له الحزن الدائم .

وأفضل فضيلة في فخري بك هي الصديق لا يمكن يكذب آه لو اقتدى به كل غني لان اذا كذب الفقير او المحتاج او الضعيف يعذر ولكن انت ايها الغني لما هو عذرك ومن المستحيل الكمال عند الفقير نظراً لاحتياجاته لأن لا يكون الانسان كاملاً ظاهراً وباطناً ما لم يكن مستوفياً احتياجاته والقوة تلزمه لحفظ اديياته ولكن انت ايها الغني وقد انعم الله عليك بأهم شيء وهو استيفاء احتياجاتك لماذا تكذب لماذا لا تكون كاملاً وتعطي مثلاً الى من هو اصغر منك فلذلك اذا كان الفقير يبقى في المظهر عشرة ايام لأجل كذبه يلزم ان يبقى فيه الغني لأجلها عشر سنوات ولهذا قال السيد المسيح أهون ان يدخل الجمل في خرم الابرة من ان يدخل الغني ملكوت السموات ولو كان في زمن فخري بك لكان اوسع له خرم الابرة ولكن أقول يوجد اغنياء في زمن فخري بك لو نظرهم المسيح لوجد خرم الابرة واسماً لدخولهم حاصله هذه صفات فخري بك .

(نادرة مع وكيله) هو الذي كان يدير بيت فخري بك ويخاف من مداخلته الغير معه فلذلك كان يعبس بوجه الجميع حتى يتزع امنية البك منهم وكان فخري بك يكرم أحد الاشخاص ووكيله يتصايق

منهُ في ذات يوم. ونحن جلوس بعد ان اجريت العلاج اللازم لعيون اليك تقدم اليّ الوكيل واراد ان يمزح معي وقال لي انظر المرض الذي بعيني قلت له لا دواء لعينك لأنها ضيقة فضحك الجميع لأن العين الضيقة في عرف العوام لا تطيق سواها واختبراً توجه فعري بك الى الاستانة العلية مع عائلته وهناك جرت له قصة غريبة .

(قصته في الاستانة العلية)

عندما رجع الى الاستانة العلية وكان قد سكنها قديماً سأل عن كل اصحابه الذين عرفهم اول مرة خصوصاً عن جار كان يعتبره كثيراً فقليل له انه توفي وخلف ولداً غير مستقيم الاطوار يبدد اموال ابيه وأضحي محتاجاً تطلبه وكان شاباً عمره خمس وعشرين سنة وطيب خاطره وعزاه وقال له اعتبر هذا البيت خاصتك وأحضر اليه متى شئت فصار يتردد عليه وامتزج خصوصاً مع ولده الصغير . وكان الشاب ذكياً جداً تعلم صنعة خفة اليد التي كانوا يسمونها قديماً سبا او سحر وفي أحد الايام قال لأبن صاحب البيت انني اعرف سرأ عجيباً وهو كشف الكتوز وهذا الامر لا يظهر الا على فص من اللباس متى احببت اريك هذا الامر عياناً أجابه انني لا امتلك على اللباس ولكن لوالدتي حلى كثيرة فان اردت نأخذ منها الفص اللازم قال الأوفى ان تأتي بقطعة الحل ونأخذها الى الصائغ ونختار منها الفص الموافق ونعيدها دون ان يشعر بنا أحد وتوافقا على هذا الامر وصار الشاب يأخذ الحل الى الصائغ فيستبدل الفصوص الكريمة بزجاج كاذب ويعيدها قائلاً ان لم يوافقها شيء وهكذا حتى انتهى على سائر الحلى ولم يعبه على زعمه فص منها . وفي ذات يوم ذهب صاحب المنزل فحري مع ابنته وكانت لابسة حلقاً ثميناً الى السوق فخطر له ان يستبدل حلقها بأحسن منها فمر على أحد الصاغة وطلب منه حلقاً نفيساً فأراه جملة اشكال اختار منها واحداً وقال للصائغ انني اريد استبدل حلق فتاني بسواه أكبر منه وادفع الفرق فقبل صاحب المخزن وأخذ الحلق ليحتنه قرأه من زجاج لا يساوي شيئاً فأخبره بما رآه وكاد الرجل ان يمين لهذا الخير فتوجه الى المنزل وسألها هل الصائغ في بيروت ابدل حلق ابتلك بسواه أجابت كلا لأننا لم نرسله الى بيروت وكشفت عن باقي حليها فلما رأتها كلها مغيرة بزجاج اغمي عليها لأن حليها كانت تساوي نحو ستة آلاف ليرا فأhtar الجميع بكيفية هذا التبديل . غير ان الانسان اذا وقع في مصيبة يقل عقله ويصير يعتقد بالخرافات فطلب مبصرة حتى تكشف له هذا السر ليصدق به المثل ما تبقى عن اللص يأخذ المبرر غير انهم اعتمدوا على هذا الرأي واستحضروا امرأة أرمنية ارتدت لباساً محيفاً وجلست في الدار واحضرت امامها كل اشخاص المنزل من الأولاد حتى الخدم وابتمدأت تحرق البخور وتقدم بكلام غير مفهوم اختبراً نهضة وقالت ان الذي اجري هذا الامر سينشق بطنه بعد نصف ساعة ان لم يعترف بعمله وأبدت حركة مخيفة فخاف الولد جداً ولم يمكنه ان يحتمل هذا التحويل فركض الى حوض والدته وابتدأ يبيكي ويقول لها اتا يا امي فقلت ذلك فلما سمع الوالدان هذا الكلام زادت مصيبتها لأنها عرفت ان السارق هو ولداهما وسألاه فأخبرهما القصة بتأملها وتوجه الرجل واخبر البوليس بما توقع لولده غير انه عجز عن الاثبات وذهب حقه ضياعاً اخيراً حرر على ولده بكفيلة بستة آلاف ليرا لامر والدته لانه المذنب الحقيقي بعد ذلك توجه الى

مصر حيث كان له املاك وقد اخبرني هذه القصة عطوفتو منصور بك شتوان مستشار نظارة المالية في
الاستانة العلية حين اتى الى بيروت لأجل بقايا الاموال الاميرية وهو قد رافق البك الى دائرة البوليس حين
ذهب للتشكي وله به معرفة تامة ومن جملة المصائب التي ألمت بفخري بك ان ولده عمود بك توفي بحياة
والديه وكان ذكياً محبوباً جداً رحمه الله رحمة واسعة وهو الان قاطن بيروت .

(توصية بأحد الكذابين) طلب مني أكبر الكذابين ان اوصي به صديقاً لي قادراً على توظيفه وان
اشهد به انه صادق أمين فخطر لي ان احرر له هذين بيتين
موصل شقي بـــــــالصدق مملو ويكتم صدقه حراً عليه
فلو عاشرنه ستين عاماً ابى اخراجه من شفتيه

فافتكر اني امدهم بكم السر فأخذ الشقة لصاحبي الذي ضحك منها جداً ووعد ان يرى له وظيفة
على شرط ان يبطل الكذب فوعده بذلك ويظهر انه انجز وعده لأنه باق عنده او انه لا يكذب عليه فقط
وكان مثلها مثل رجل قدم الى صديقه شخصاً وقال له اني اقدم لك اعظم المنافقين أجابه هل بنافق معنا
او علينا قال معنا أجاب له بأس اذا وهذا ما يضطر اليه الانسان احياناً حين ينقطع عنه الصادقون .

واما باشا متصرف لبنان الرابع

من ١٨٨٣ الى ١٨٩٢

من أصل ارناؤوطي حضر متصرفاً على لبنان وكانت معه زوجته الاولى السيدة كاترين ارثوذكسية
وكانت مصابة بداء السرطان توفت في بيروت ودفنت في الحازمية وهناك قبرها وكانت معه ابنته زوجة
كوبليان التي توفت بالسل الرئوي ودفنت في الحازمية بمحوار امرأة والدها وقد أخذ زوجتين ولم يرزق ذكراً
واخيراً تزوج بمدموازل ريش افرنسية الاصل ورزق منها ولدين ذكراً وها الان عمائيل بك وأخيه ولها
ولولدتها معاشاً من الدولة وقد حضروا في سنة ١٩٠٧ الى سوريا ونزلا عند الخواجه حبيب الدوماني وكيل
املاكهم في الدمامور وقد أحضر وامبا باشا معه اخا زوجته كاترين بوناطي افندي الذي تسمى مفتش
العسكرية وكان شهماً عفيفاً ادوباً لطيفاً توفي في السل وكذلك احضر معه طبيباً رومياً وبعد مدة اختلف
معه بعدما جعله طبيباً أولاً في لبنان فاستغنى ورجع الى بلاده واخيراً توفي وامبا باشا في بيروت ودفن في
الحازمية بين زوجته الثانية وابنته ولم يرجع من اتوا معه حياً الا صهره كوبليان الذي لعب ملعباً عظيماً
مدة حكم وامبا باشا فلذلك نذكر عنه شيئاً خصوصياً .

(كوبليان افندي صهر واصا باشا)

هو الذي سود ادارة لبنان مدة واصا باشا وابقى لها اثراً قيحاً ولولاه لكانت خير ادارة لأنها تكونت من رجل شهم بطل صادق العمانية شجاع كريم الاخلاق والنفس وهو واصا باشا ومن رجل ماهر في سياسة البلاد وهو ناصيف بك الرئيس الذي كان لا يمل من الشغل والتعب وجامعاً شؤون المتصرفية يديرها بمهارته وجاعلاً لها مقاماً عظيماً اما كوبليان فما كان يعرف غير الدراهم ولا يعمل مصلحة الا بالمال وقبل ان اشتهر بهذا الامر ارسلت بحقه رسالة الى الازهرام هذا نصها :

تتين لبنان

ظهر في لبنان تتين قصير القامة اسم اللون ذو لحية سوداء ينظر الى جميع الجهات في آن واحد لا يأكل لحماً ولا نباتاً بل معدناً وخصوصاً معدني الفضة والذهب ويعجب لبنان بالطول والعرض ويستخرج المعادن من الجيوب لا من الأرض اذا أكل فضحك ولعب ومسح شاربيه وفرك يديه وبالعكس اذا لم يقدم له الطعام هاج وماج ورفس الأرض يرجليه لم يظهر حيوان مثله في الكون وقيل انه من الحيوانات التي ظهرت قبل الطوفان لأن عندما جمع نوح عليه السلام الحيوانات في الفلك وطاف على وجه الماء استقرت السفينة على جبال اراط في ارمينيا فخرج هذا الحيوان قبل الجميع نظراً لشراسته وقلت من السفينة وبقي في بلاد ارمينيا فسنأل دولتو واصا باشا ان يني البلاد منه وله من أهلها الدعاء والممنونة .

ولما ظهرت هذه الرسالة في الازهرام نفقت كل نسخها ووصلت النسخة الى فرنكين وترجمت الى كل اللغات وكل القناصل طلبوا منها نسخاً وترجموها ولما سمع بها حمدي باشا الوالي وتليت عليه استلقى على قفاه من الضحك وقد نسب لي هذه الرسالة وابتدت العداوة بيننا بحيث كان المأموروون اللذين ينقلون لي الاخبار عن كوبليان ويدفعوني لنشرها أول من ابعدوا عني حتى لا يظن بهم شيئاً هذه احوال البلاد في ذلك الوقت عرفت ما هم أهل بلادنا وصرت اصادق كل متصرف اتى .

« الدعاوي علي »

وعندما تخاصمت مع كوبليان وادارته جددوا عليّ دعوتين احدهما من ابن خالي سلم بك ناصيف وهي دعوى ماء لي في ارضي ابا له فاخيراً قامت الشريعة في جزين وحكم له سلم افندي باز فيها لان وكيلي عمل تناقض وبلغني الحكم وعملت له الشعر المشهور منذكره في مجمع الحشرات ثم استأنفت وخسر الدعوى ابن خالي واخيراً تصالحنا .

والثانية دعوى حرش وفي هذه الدعوى ساعدني كويليان بواسطة لا بيتيت فيل فنصل جنرال دولة فرنسا وبعدها تصالحت مع كويليان ودابرتة وبقينا اصحاب الى آخر المدة وفي اثناء ذلك دخلت في حابة فرنسا كوكيل له لمير راهبات مار يوسف .

« كيفية الحابة »

حررت رسة الراهبات الى القنصل الجنرال تطلب اني أكون وكيل الدير وكان القنصل بريمونيو والترجان الأول مسيو روسو الذي هو الان قنصل فرنسا في بالرما ايطاليا فحرر القنصل الى السفارة التي طلبت ذلك من الباب العالي فأرسلت الصدارة تطلب الاستعلام من الوالي الذي كان يومئذ حمدي باشا وذلك قبل انفصال بيروت عن الشام والمتصرف في بيروت نصوحي بك الذي عندما انا اصلح هذه المسودة قرأت في جريدة لسان الحال انه تعين سفيراً للدولة في ايران فبعدها فحص نصوحي بك لان مأموريي في بيروت عني من جميع الدواير ان كان للطايبو او من الطابطة اذا كان يوجد علي دعوى او اموال اميرية او خلافها ولا لم يجد شيئاً يمنع قبلت الدولة العلية حاجتي وظيفتي هذه وقد حرر نصوحي بك الى القنصلاتو بقبولي من حايا دولة فرنسا وتقيد اسمي في دفتر الحابات عند مدير الامور الأجنبية الذي كان يومئذ رجل فاضل عظيم يوسف افندي عثمان .

ولا بلغ الخبر واصا باشا اعترض الى الباب العالي واخيراً عرف سبب اعتراضه ولم يقبل وكذلك السفارة استخبرت من قنصلها فكان مسيو روسو الذي حرر تحريراً عظيماً بحقي بتاريخ ٢٥ تشرين ثاني سنة ١٨٨٥ مرة ٣٥ بسجل القنصلاتو وكذلك نصوحي بك عمل مطبوعة عظيمة بحقي اني من اصدق العثمانيين وان لا على شيء يوجب رفض حاجتي وهكذا انتهت .

وعندما كنت في دعوى الحرش في جزين كان قاعقامها قسطنطين بك المخازن الذي هو اشطر سياسي لأنه بقي طول عمره الذي هو ٩٥ سنة لا أحد يعرفه من أي غرض مستقيم عفيف عديم الاذى مع انه كان تقريباً امياً وقصة فحل محل اي فعل محل مشهورة عنه وكان رئيس المحكمة ذيب افندي صفا وكان رجلاً لطيفاً عالماً لا يجب ضرر أحد بل يساوي كل شيء بالصلح وهو الذي دخل بيني وبين ابن خالي سليم بك ناصيف في دعوى الماء وصالحنا وكذلك قد مشى العدل في دعوى الحرش وكان سليم بك ناصيف ابن خالي من المساعدين لي .

والعضو الذي كان مع الرئيس اسمه حسن وكان يحيني جداً وانا كذلك وكان يحب دائماً المزح معي وقد حصل لي معه النادرة الآتية :

(نادرتي مع حسن) لما كنت في المحكمة والقاضي يستمع الشهود وانا جالس بناحية متزوية ارسل لي

حسن ورقة يقول فيها انه حاصل له حريق عند البراز ويخرج معه قليل من الدم فيدنا ماذا نعمل له بلا
رزالة فأجبت بلفنا مرضكم ولا شك ان ما بكم هو من البواسير لان الحريق مع الدم يدلان عليه وهو يشتد
معكم متى كانت للمعدة قابضة ففي هذه الاحوال الجزاء حسن . وكان اسمه حسنا فحين قراها ضحك
ولعن كاتبا .

(نادرة مع العضو الثاني) لما انصرفنا من المحكة قابلي العضو ودعاني الى منزله وسأله ابن هو قال فوق
مار مارون يجزين وكنا عندئذ على النصحة فقلت له يا صاحبي لو كان مار مارون بذاته دعاني الى هناك لما
توجهت لان المحل عالي وطلعت غيصة قال ان اخي هناك يريد مقابلتك اجبت اقرء السلام قال وما توصي
له قلت لا شيء والحق علي بما اوصي له فقلت له لما ضجرت منه قبل قفاه فضحك الجصع من هذا
الجواب .

بعدها رجعت كانت زوجة كويليان ابنة واصا باشا قد توفت ودفنت في الحازمية حيث دفنت قبلها
خالها امرأة ابيا السيدة كاترين التي توفت بداء السرطان وقد حضرت مأتم امرأة كويليان التي كانت
عفيفة الذيل جداً متعذبة لا تحب الكدر وتكره اعمال زوجها وقد رزقت منه ابنتان كان جدما
يحبيها جداً وكثيراً ما كانت توبخ زوجها على حبه الرشوة .

(نوادر كويليان) حضر الشيخ رشيد الى كويليان يرجوه لتوظيف مدير فطلب منه مايتي ليرا وابي
الشيخ ولما لم يتفقا قام الشيخ ليذهب وقبل خروجه قال له كويليان يا شيخ رشيد بلغني ان كاتب المحكة
يرتشي فانتبه له فقال له الشيخ رشيد وماذا كنا نعمل الان عندك يا افندي فضحك كويليان وسكت .

(نادرة اخرى) كان أحد المأمورين مشغولاً بحب إحدى النساء وبعرها كثيراً فصرف كويليان قصته وفي
أحد الايام حضر ذلك المأمور الى بيت الدين وقابل كويليان فقال له صدر اليوم امرأً بختابكم بنني امرأة في
بلدكم وابعادها فهل لم يصلكم قال كلا ومن هي هذه المرأة أجاب كويليان هي التي تدعى لالا طي
طي طي فه لطيف فرجع المأمور وقال ولم ذلك يا سيدي قال لأن الجميع يشكون منك وأنتك بصفتك
مدير تترك الاشغال وتقيم عندها ليلاً ونهاراً ودولة المتصرف نظراً لخاطرك لا يزيد عزلك لذلك امر بنني
المرأة الى المتن فسأله اذا كان الامر قد صدر ام لا فأجابه سيصدر عصارى اليوم وأسرع المأمور يسأل
بعض المقربين وكانت المسألة مربوطه معه فأجابه هذا بما وافق قول كويليان اخيراً أخذ المأمور بيده خمسين
ليرا ودفعها الى كويليان كي لا يصدر الامر بنني خليفته وهكذا ربح الخمين ليرا غنيمة باردة .

وقلت في أميركان صاحبي وعاداني عندما توظف :

سعيد في رئاسته	عل نواب لبنته
بحق قعد وجسدناه	اميراً مما لسه ثباتي

عندما وصلت له علقها وانشرح منها وعندها فسر لها له بعض اللذين اخبرتهم معناها الاصلى خزفها
ولعن قايلاها .

ذكرت انه في سنة ١٨٨٤ بسبب مرض ولدي المرحوم يوسف قضيت فصل الصيف في بلد وكانت
جميع افراد اسرتها الاشراف اصدقائي فلما أتيت مع ولدي المريض حضر الجميع يعرضون عليّ مساعدتهم
الا واحد اسمه شبل لأنه افكر حسب الطريقة القديمة ان تجب على زيارته اولاً وفي آخر الصيف حررت
الايات الآتية :

لكم يا بني الامياد في الناس رتبة فإ أحد من فوقها ابداً يعلو
فأتتم اسود القباب في حومة الوغى واعلاكم سبع وادناكم شبل

والشبل هو ابن الأسد

(خليل جدعون) وقد نظمت له هذين البيتين :

فنيك يدعى عوناً لخلو ولكن عند جد لا يكون
خليل أنت لي في كل حالو وحققاً أنت لي في الحدعون

وقلت في خليل بك عيسى :

لقد جئت كل الناس طراً للطف قد غلبت به انيا
ومثلي الانبياء هوتك ابضاً لذلك قد دعوك خليل عيسى

(السيدة سلمى) حررت يوماً لأزورها في مصيفها في عيتاب فارتني عينيها واخيراً لفت ورقة واعطني
اباها نظير اجرة ففتحتها ورأيت فيها نحاسه فضحكنا وقلت لا بد لهذه من شعر فارجلت :

ونحاسة حاكت خلود مليحة في لونها وحكت صلابة قلبها
مذلت منها الصلب نفسي ايقت ان عن قريب قد أفوز بقلبيها

وقد توفت المسكينة بداء الجدري في بيروت رحمها الله اما زوجها فلم يزل حياً .

(الدكتور بشاره) من عادة اهالي بلادنا اسم اذا رأوا مريضاً مروعاً يتراكمضون من كل ناحية
يبحثون على الاطباء فصادفت يوماً ما رجلاً مصاباً بداء السداد طلبوا له الحكم الأول فأجرى له اللازم

وقبل ان يأخذ الدواء مفعوله طلبوا له الثاني والثالث وهكذا احضروا له ستة اطباء تلك الليلة ولكن في هكذا احوال قل من يأخذ أجرته واخيراً حضر طبيب اسمه بشاره وكان المريض قد استوفى كل الوسائط فلما وصل الطبيب بشاره غاط المريض وارتاح فنسب اهله شفاءه الى هذا الطبيب مع انه لم يحر له شيئاً فقلت فيه :

مريض بالسداد غداً مصاباً ولم تظهر لصحتي ————— اشارة
ولما أقبلت الامي عليه فغناط وكان غناطه بشاره

(المحامي حنا) هو رجل يحب التزوير في الدعاوي واشتره به مع ان هذه الصناعة اما هي لتحصيل الحقوق التي هي أعز من النفس لان الرجل لو كان ذا مال واقامت عليه دعاوى تزويرية حتى افتقر لفضل الموت على هذه الحال وأغلب الذين حل بهم الخراب هم من هذا القبيل وقد قيل في الامثال الفرنسية الصلح الردي خير من الحكم الحسن وكان هذا المحامي شهيراً بتزويره :

فصبح عالم التزوير طبعاً زيننا كل يوم منه فنا
يمادي كل ذي حق بدعوى ولكن حيث كان الفلح حنا

فنظمت هذين البيتين لجريدة المصباح :

فإذا ذهب الى الكنيف فاحترس من ظنمة خوفاً من الاشباح
وإذا اردت ان تبرر آسناً مطمئناً نرّز على المصباح

حبيب بسترس الصغير

هذه الاسرة اشرف امرات بيروت قديمة العهد والغنى وهي الوحيدة التي كانت منذ خمسين سنة وقد ذكر عنها الشيخ ناصيف اليازجي الشاعر الشهير بابتداء شعره وذكرها نقولاً الترك الشاعر الذي كان في زمن الامير بشير الشهابي فاجتماع الشعراء على مدحها دليل على قدمها في الاعتبار ولم تزل حتى اليوم معتزة بالغنى والجاه واستمرت محافظة على مقامها العالي واللذين عرفتهم من هذه الاسرة هم من خير رجال الوطن واثباتاً لقولي أذكر بعض أبيات من قصيدة للشيخ ناصيف اليازجي رثى بها موسى بسترس الذي توفي سنة ١٢٦٦ هجرية التي مطلعها :

ما بال موسى بلا سمع ولا بصر فلا يحب الذي يسدعوه في السحر
الى أن يقول

يا أكرم التراب هذا أكرم البشر
أسمى ضرباً فأضحى منزل القمر
يبقى كتابوت عهد الله معتبر
قد زارك اليوم بالالواح والدفتر
وكان أبعد أهل الأرض عن ضرر
والفاسد الخير في صفو وفي كدر
كالدوح ما زال غصناً زاد بالفر
زادت وداعته في القدر والقدر
في كف موسى على لوح من الحجر
حتى استمد فكانت عادة الكبر
يومياً فأت حبيب العين والافر
اباه وهو الذي رباه من صغر
وكل ذي فاقة من كل ذي وطر
أهوال صفته في المدن والخير

يا صاحبي زر ثرى موسى الكريم وقل
هل كان قبلك من رسل ترايبه
اتاك تابوت موسى في محافله
من كان يعلو سروج الخيل مذهبه
من كان أقرب أهل الأرض متفمه
القائل الحق في سر وفي علن
وكما ازداد مالا زاد مكرمة
وكما ازداد من ماله ومن شرف
قد خط في قلبه ما كان متقشاً
مشي على سنن الغيرات من صغر
ما ذم قط ولا ذمت غلاته
يكيه كل ينم كان بحببه
وكل ذي حاجة من كل ذي املي
ركن نهدم في بيروت فاندفت

فيستدل من هذه القصيدة انه كان رجل زمانه لان الشعراء لا تمدح الا من كان مشتهراً في الجهد والجاه
والأدب وبرهاني على صدق قلبي من هو موجود من سلالته اذ قيل من ثمارهم تعرفونهم . وقد عرفتهم
كلهم في بيروت وأول من عرفته حبيب الملقب بالصغير تميزاً له عن حبيب الكبير .

عرفت حبيب الصغير وهو بن الحسين من عمره وكان ذكياً ثابت الجأش مديراً تعلم معظم ما يعرفه
من نفسه لانه كان امياً فتعلم العربية والفرنساوية واليونانية وكان مع شغله التجاري يحب العلوم خصوصاً
التاريخ ومتى سمع برجل ذكي يزوره ويتعرف عليه ويحاشره وكان يدبر ماليته احسن تدبير حتى انه خلف
ثروة عظيمة وكان يجمع الاصحاب الى بيته ويدعوهم للأكل وفي احدى الليالي دعا جملة شعراء وادباء
منهم ابراهيم بك كرامه ابن المرحوم بطرس كرامه الشاعر الشهير وقد كلفوني ان امدح صاحب الدعوة
فارتجلت هذين البيتين :

لا تظنوا خالفنا للهجو وعداً وانتقلنا الى اللديح الفصيح
قد عشقنا فضل الحبيب لهذا اعذرنا على مديح الحبيب

وكنت اضطر اغلب الليالي لقضاء السهرة عنده وأعزّه جداً في احد الايام كان عرس ابن عمه وجاره
جرجي افندي بتسرس ابن الخواجه حبيب الكبير وكنا مدعون لهذه الحفلة وفيما انا آتٍ بالربة فلما
وصلت الى زاروب الحرامية التقيت بالامير سليم سعيد من بيت مري فاوقفني وقال لا تذهب للفرح فسألته

عن السبب فأعجبني ان حبيب الصغير توفي فجأة ولا استطاع اصف الغم والكدر اللذان الما بي لما سمعت هذا النبا فبقيت جامداً في مكانب وصرت ازرف الدمع السخين ثم ذهبت الى منزله فأريت الحبيب ملقياً لا حراك به وحتى الان لم أكن مصداقاً وفاته ولا اعلم اين ذهب ذلك العقل الفريد فبكيت عليه كانه والدي وكان الاسف بادياً على الجميع وابتدل فرحهم الى ترح وكان المرحوم حبيب مصاباً بداء القلب مع ربو فالظاهر انه تضايق من القلب وقلة التنفس فاصابه ما اصابه في شهر حزيران سنة ١٨٨٦ .

(السيدة زاهية مدام هنري كلياردو)

هي السيدة التي عاشتها أكثر من سواها بسبب صداقتي مع الموسو هنري كلياردو والترجان الأول في فونسلاتو فرنسا فهذه السيدة كانت نموذج السيدات والزوجات فصيحة لسنة اتقنت اللغة الفرنسية حتى كانت لا تميز عن افرسية محبوبة من الجميع لطيفة للمعشر كريمة النفس تحب الناس شقيقة على الفقراء تحب مساعدة المحتاجين لينة الطباع مع الجميع نقية عفيفة بشوشة الوجه مفرمة بالشغل لم أزرها مرة الا وأرى الشغل في يدها وقد اتقنت اخيراً فن التصوير الشمسي وتولمت به حتى صارت تعد أحسن مصورة وقد ذهبت مخصوص الى تدمر وهي المدينة التي اشتهرت بزمن زينوبا ملكتها وهي أول امرأة وطنية زارت خرائب تلك المدينة فكان زنوبيا قد عادت اليها هذه الزيارة .

(نادرة معها واشعاري لها) كان شكري افندي ايلا يتردد على بيت كلياردو لان الموسو هنري كان أصله من صيدا وكنت أتوجه معه للسهرة هناك وفي ذات ليلة طلب مني امامها ان انظم لها بعض ابيات فن مزيت اتضاعها قالت لست استحق المديح بشيء غير انني ارجحت هذه الابيات :

قصد المديح بيان كل فضيلة	خفيت عن الدنيا لتعلم ماهيه
عشاً تهم بمدح من من اصلها	فيها الفضائل والمكارم زاهيه
ان شئت تمسدد المحاسن اختشي	من ان تضيق على مديحي القافيه ١٩٠٦

واراد شكري المزح فقال ان الشعراء لا يصدقون وكل ما قلته عنها غير موجود فيها وكان ذلك مزحاً امامها فأجبتة حالاً :

نعم ان شعري في الانعام حقيقة	فلا أحسد في الكون يسطو على فكري
ولست لغير الحق يومـــــــــــــــــــــــــــــــــاً بشاكر	وان قلت غير الحق فليلعنوا شكري

فعلت ضجة الاستحسان والضحك خصوصاً من شكري لأنه لطيف جداً ومن اسرة معتبرة وصديقاً حميماً لي من صيدا وقد تزوج سنة ١٩٠٣ ابنة المرحوم بشارة الهاني وقد نظرتة معها في باريس وقد

اصيبت الست زاهية بمصائب شتى في اخويها جرجي الذي توفي بغتة وبأخيا ميشل غرقاً وبأخي لما الشاب اللطيف جان وللمرحوم سليم دي بسترس ولدان احدهما موسى وهو شاب لطيف ظريف من أحسن شبان عصره عرفته في الاسكندرية اما الشاب الذي فاق اقرانه بالكرم والجود واللطف والظرف هو الخواجه ادوار ابو راجي بسترس الذي تقتخر به سوريا على مصر لا بل على كل أهل عصره وكذلك اخوه البر والخواجه جبران بسترس فأنهم من الاغنياء الاما جد .

(نادرة مع شاعر حديث السن) في ذات يوم عند الظهر كنت جالساً في بيتي اتناول الطعام فدخل عليّ الى غرفة الأكل والد هذا الشاعر وكان يقتخر به وقال عجل في طعامك لان ولدي الشاعر يتظرك وأن تأخرت يهجوك قلت هذا ما اريده وارغبه فذهب وبعد قليل رجع ومعه هذين البيتين :

هذا الذي بكلامه ذم الأكسابر والاصاخر
ما انت الا قصادح ككذب الذي سماك شاكر

وهذان البيتان قالهما احد الشعراء الى جابر الذي ظهر بأيام الخلفاء العباسيين وألف كتاباً في الكيمياء فجربوا عملياته ولم تنجح فأمر الخليفة بضربه لكنبه فكذب له احد الشعراء ما يأتي :

هذا الذي بكتابيه غش الاوائسل والأواخر
ما أنت الا كسار ككذب الذي سماك جابر

فغيرهما ولا عتب عليه بالنظر لانه فأتى بها والده وهو جذل مسرور فقلت له حد الجواب وكبت :

هذا الذي مع صغره عمل الكبائر والصغائر
لا شك اني كسادب ابداً لهُ ان كنت شاكر

فضحكنا وبقينا اصدقاء .

(فريد بك) قد كثّر المتلقون بهذا اللقب حتى صرت ازدري بهم فيكون كالمزح يحمكي انتفاعاً صورة الأسد وكان من جملتهم فريد بك ولست اعرف كيف لقبوه به مع انه لم ينل الا الرتبة الثالثة ولقبها رفعتلو فظلمت له البيت الآتي :

لما أنت للبيك نـالـت رتبة رفعت الى العلياء فقطعة رأسه

(لا تطرحوا) كنا ذات ليلة مجتمعين نتناشد الاشعار والحضور مسرورين يسمعون اشعاري وانا مسرور

لسرورهم وحكمهم على اشعاري واذا يواحد قال مع رفقاءه البلداء دعونا من الاشعار ولتلعب بالورق فتكدرت وقلت لهم اسموا هذين البيتين وهما آخر ما اسمكم اياه وارنجلت حالاً :

ولقد حفظت عن المسيح وصيةً وهي التي لا تحقدوا بلل اصفحوا
وعصيته في طرح شعري بينكم يا ليتني قد طعت في لا نظرخوا

وهي الآية الانجيلية لا نظرخوا جواهركم قدام الخنازير فضحك الذين يفهمون وطلب اللعب سواهم .

(لعب القمار وتأثيره)

بنى الملمن على لعب القمار كل لذة خلافة ولا يتبع عادة سواه فترك العلم والأدب والمسامرة وكل لذة عقلية وبصير وحشياً بالكاد يرد السلام او يتكلم ففكره دائماً في كدر ان ربح خشي من الخسارة وان خسر خاف من الزيادة بصغر عقله حتى يصير يعتقد بالسعد والنحس وان رأته خسراناً تراه يجلس ثم يقوم ثم يقلب الكرسي ويخرج قليلاً ويصنع حركات مضحكة ومن طبعي بفن هذه الالعب . والذي يلعب التسلي يخسر دائماً لأنه لا يحصر فكره بالربح خلافاً لمن يجعل القمار صناعته وهذا ما اصاب هؤلاء .

(كسر الجفون) تغزلت يوماً بكسر الجفون وكنت احياناً أنظم الشعر غير قاصد شخصاً معلوماً بل لأجل المعنى وعذوبته او الحادثة جرت فقلت :

فؤادي مــــــــــــــــع جفونك في عراك وما أحد تمتع بانتصار
ولكن الكفــــــــــــــــاح غداً سواء فهنا قلبي وطرفك بــــــــــــــــانكسار

وقد ذكرت هذين البيتين في كتابي صحة العين يباب التغزل وما قيل في كسرهما :

(القس بطرس) كان هذا القسيس خادماً عند أحد الذوات المعتبرين الذين كنت أزورهم ويخدمه بكل شيء فتكدر منه معلمه وطرده فذهب ودرس اللاهوت بثلاثة اشهر وسمي قساً باسم بطرس وطلب مني تاريخاً لرسامته او شعراً له :

ساموك قياً لترشد انصاً من حيث انك كاممل الأوصاف
فلأجلك الانجيل جاء بآية يــــــــــــــــا بطرس ذا اليوم ارج خرافي

من كلمتين .

(رواية الوردتين للمعلم عبدالله البستاني)

وهي الوردة البيضاء والوردة الحمراء وهي الحرب التي جرت بين الملك ادوار واقاربيه فاتخذ كل حزب وردة شعاراً له وقد سكب هذه الرواية في قالب شعري بديع ولا مثلت كنت من الحاضرين وكان الشعراء يقرطونها عقب كل فصل وكثر المقرطون حتى لم يبق وقت لاستماع الرواية فلكني أدع حداً لأقوال الشعراء نظمت هذين البيتين وقلتها فكانا ايضاً تقريباً للرواية :

رواية الوردتين اليوم قد ظهرت فقرطت كــــــــــــــــــــل تقريب كليلخ
لا شك في ان ذا التقريط ينفعهمــــــــــــــــــــ لا بد للورد من ذبل لتشيخ

المستخدمون مدة واصبا باشا

(المحاسبه جي) هاشم افندي .

(دائرة الجزاء) نسيب بك جنبلاط ١٨٨٣ : ١٨٨٤ قاسم بك الهاد ١٨٨٤ : ١٨٨٨ ملحم بك تلحوق ١٨٨٨ : ١٨٩٢ .

(دائرة الحقوق) الامير نجيب شهاب ١٨٨٣ : ١٨٨٤ بطرس بك كرم ١٨٨٤ : ١٨٨٧ الامير نجيب شهاب ١٨٨٧ : ١٨٩٥ .

(مدير دير القمر) قسطنطين بك الخازن ١٨٨٢ : ١٨٨٦ الامير مسعود أمين ١٨٨٦ : ١٨٨٧ قسطنطين بك الخازن ١٨٨٧ : ١٨٩٣ .

(مجلس الادارة) الامير سعد شهاب ١٨٨٣ : ١٨٨٧ الامير افندي شهاب ١٨٨٧ : ١٨٩٩ .

(مدير البوليتيك) كويليان ١٨٨٣ : ١٨٩٢ .

(الترجان الأول) اسكندر بك التويني .

« رئيس القلم الأجنبي » كويليان . دياب افندي .

« ترجان » الامير مالك شهاب ١٨٨٤ .

« رئيس القلم التركي » ناصيف بك الرئيس ١٨٨٤ : ١٨٩٢ .

« رئيس القلم العربي » حنا بك ابو ضعب ١٨٨٤ : ١٨٨٧ خليل بك الخوري ١٨٨٧ : ١٨٩٠
حبيب بك سعد ١٨٩٠ : ١٨٩٤ .

« قلم الأوراق » ابراهيم افندي ذيب ١٨٨٣ : ١٨٨٤ ملحم شميل ١٨٨٤ : ١٨٨٥ اسكندر شميل
١٨٨٥ : ١٨٩٢ .

« قاعقام الشوف » نسيب بك جنبلاط سنة ١٨٨٤ : ١٨٩١ .

« قاعقام جزين » الامير نجيب شهاب ١٨٨٤ : ١٨٨٤ الشيخ رشيد الخازن ١٨٨٤ : ١٨٨٦
قسطنتين الخازن ١٨٨٦ : ١٨٨٧ الامير سعد شهاب ١٨٨٧ : ١٨٩٣ .

« قاعقام زحلة » اسكندر الحداد ١٨٨٤ : ١٨٩١ حبيب بك لطف الله ١٨٩١ : ١٨٩٢ .

« قاعقام المتن » الامير يوسف علي ١٨٨٤ وتوفي الامير نجيب شهاب ١٨٨٥ : ١٨٨٦ الشيخ رشيد
الخازن ١٨٨٦ : ١٨٩١ الامير يوسف اسماعيل ١٨٩١ : ١٨٩٢ .

« قاعقام كسروان » الامير قيس قعدان شهاب ١٨٨٣ : ١٨٨٥ الامير يوسف اسماعيل ١٨٨٥ :
١٨٩١ الشيخ رشيد الخازن ١٨٩١ : ١٨٩٣ .

« قاعقام البترون » الامير سعد شهاب ١٨٨٣ : ١٨٨٦ اسعد بك كرم ١٨٨٦ : ١٨٩٢ .

« محاكمة التاريخ لواصا باشا »

كان واصا باشا رجلاً لطيفاً يحب للمعايشة وهو من الشعراء الاماجد في الايطاليانية وهو مؤلف رواية
عالم علامة لكنه لا يحب الشغل ولا يلتذ باشغال الجبل كالدعاوي وخلافها وليس له جلد على هكذا عمل
ورأى بناصيف بك الرئيس كل الشروط المناسبة لاتمام العمل فقوضه ولم يكن لكوبليان سوى للمقاولات
والقبض وكان واصا باشا عفيف النفس لا يقبل ولا يعرف رشوة وقد أكد لي ذلك نسيب بك جنبلاط
الذي لا ينكر ذلك عن كوبليان وكان نشطاً جسوراً لا يهاب احد متى وجد ان الحق معه وكان اميناً جداً
نحو الدولة وقد عمل اعظم الطرقات في لبنان اولها الطريق من عين عنوب الى بتدين وأهمها وأظرفها
الطريق الحالية من دير القمر الى بتدين وأعظم من هذا وذلك طريق نهر الكلب وراحة العالم من ذاك السلم

وهو أول من عمل سرايات للحكومة مجاناً من الاهالي اولهم سراية بعيدا التي ابتدى بها لم كملها نعمو باشا وكذلك سرايا جوينه وخلافها ومن بعده امتد هذا العمل وتنظم الكرا كوتات وله جملة طرق ولكن هذه العمومية النافعة وكان جميل الطلعة وقد ابتدى بتأليف كتاب كان يقرأه لي عندما كنت ازوره وهو عشر سنوات في لبنان لا ادري ماذا جرى به وكانت افكاره شرعية بحيث ما كان يلتذ بكلام هو مادي يفض دعاوى لبنان كريم النفس وبالاختصار شخصه عظيم ولكن وجود كويليان وسخ حكمه وقد ابعده عنه الى الاستانة واخيراً ارجعوه لأجل خاطره لأنه صهره وبالاختصار ان حكمه نافع ذا اهابة لا يمكن لأحد التمدي على حكمه وجعل كل فئة في مركزها واخيراً كان مصاباً في القلب فازداد عليه المرض وتوفي في بيروت في حارة جدي الذي توفي فيها فرنكو باشا بالمرض نفسه وقد حكم تسع سنوات ودفن في الحازمية .

(الشاكريه)

هي قصيدة نظمت عندما اتى دور الوليمة التي والى ناصيف بك الرئيس وملحم لان الاسماء الموجودة في القصيدة اجتمعت كما موضوع فيها وابتدت تعمل ولائم كل نهار خميس وكان أحد الهيئة يدفع كل مرة فرنكين عن كل شخص الى اللوكاندنة واخيراً لكي يظهر البعض كرمه ابتدى يزيد عن الحساب المعتاد حتى وصل مصروف الوليمة الى عشر ليرات وكان صاحب الدعوة يجلس على الكرسي اسمها كرسي الرئاسة وكان دور الولائم حسب القرعة وقد انفقت مع ناصيف بك وملحم افندي ان عند دورنا نقدم لهم القصيدة الآتية وهي :

والمكرمون ببنلسة الدينار
قد يحسب الدينار كالاخبار
كرم يحسب كصيب الامطار
في بدئته بمكارم الاخبار
اروي البلاد وكفاة الاقطار
اياي في ايديكم كالقاري
سلمت دون سلامة الافكار
الاقطار يوماً من يد الاشرار
اشكاله مع رخصة الاشعار

يا ايها الامراء بالاقطار
ما منكم الا اميرٌ ماجدٌ
جمعتكم حن الخصال أخصها
(١) ان الشهابي ابتدا لا تعجبوا
فاضت مكارمكم من النبع الذي
(٢) من بعده جاء سليم مسلماً
لكن بسدا لي بعد ذلك انني
لكن قنمت بقممة قنمت لنا
وقنعت في أكسل بسط شاكرأ

(١) وهو الامير سليم شهاب

(٢) سليم شحاده أول من ادخلني .

فاستكتت منها جيوب الجار
 جميع الكنوز هيئته الحضار
 قد التزمتها للهنسة الخار
 دور مهيبة الى الأكسدار
 في شربها من أحسن الاسرار
 فاستتسه غير معوض الاضرار
 بشوارب تزيي بسذيل حمار
 قد جاد بالاكرام كالاحرار
 يقول عند حابه يا ياري
 مال لى للأذواق والابصار
 لمن الذى القاه في الاخطار
 مغرمة فيه من الادهار
 لوجدت من الرز كالابجار
 لكن حاتمته بسدون قرار
 اعلا من الجوزاء والفسار
 فيكون منحوساً بقرب مزار
 متكبراً يختار كسل فرار
 بحقوقه لنبيه المختار
 اضحى سميناً ملحمأ بل خاري

(٣) جاء الشقيف يحفنا بكفاية
 لكنه اهلى لنا اهل وقد
 (١) قد زادهما كرم الحبيب بخمرة
 كانت على قلب الذى لم يأنه
 (٢) دارت بنا صرفاً فأضحى سرها
 (٣) أما الرشيد فقد أضع لرشده
 يتر تهاً عند مج كؤوسها
 (٤) أما الامير أمين في وعده له
 كرسي الرئاسة طوشت افكاره
 (٥) واسكندر جمع الفطور بمجده
 متمسكاً لكسه في فكره
 اما النيب فكتر كل مكارم
 لو كان دعوتها فطور سياسة
 (٦) ووجود شمعون يسمع خطبه
 كرسي الرئاسة عنده في منزله
 (٧) ان كان معود يقوم بوعدده
 غير له ما لم يكن في اسمه
 (٨) وابن الرئيس عن الرئاسة نازل
 (٩) أما الذى من فضلكم وجميلكم

(٣) اسير شقيف أول من اتى بالكنافة لأنه دعى نيب بك والدوماني .

(١) حبيب الدوماني .

(٢) شربنا نخب واصا باشا .

(٣) رشيد معوض ذو شارب كبير .

(٤) الامير امين ارسلان كلمة بقولها الدروز حين النعمة .

(٥) اسكندر الدوماني ابن عمه حبيب الذي دعاه نيب بك جنلاط .

(٦) سليمان شمعون .

(٧) معود الحيمري تكبير حمار .

(٨) ناصيف بك الرئيس .

(٩) ملحم افندي فارس

مقطعوع ظهر مفكك الازرار
لضيافة وطلولة الاعمار
الا حساب بسات في ايار
ان شتم معه حاب جباري
من غير ثروته فكافل يري
بل شاكرأ أما ابعدت ادواري
نعمي من المصاب بالاضرار
وعى البصيرة فباق عن ابصار
حتى غدا من بعدكم في نار
فأحسار عنها تحفة الاشعار
هل تجهلوا الامثال في الاخبار
أكلوا الطعام وشخوا عنار

أضحى بلا عزم لفعمل عزيمة
يدعو لكم بنجاحكم ويقائكم
ما عنده تمديد ادوار له
يرجوكم ان تمسكوا ما بينكم
(١) لا خوف من قلبي اذ قد غدا
وأنا الذي أصبحت فيكم شاعراً
ان كنت قد ضيعت وقتي خاسراً
فوجدت بين الاعيين تفاوتاً
هذي المكارم اغرق من بعدكم
يختار في ايفاء عزة جودكم
ما قل عقلكم بطقكم لنا
غن الذين يقال عنا داعاً

كان قاض له شهرة عظيمة بالرشوة فلا يحكم بدونها وسرعة حكمة تكون حسب المبلغ المقبوض وقد
أخبرني أحد أصدقائي ان له دعوى بالمحكمة من مدة لأنه كان رئيسها ولم يحكم له بها فأجبت على ذلك :

قبل لقاض كفه البوطا
أحكامه في قلبها مشروطا

ان كنت تطلع ان ترى مبوطا
وأقلب له الدعوى تنل ما تشتهي

أعني يوعد (وهي قلب دعوة) بالرشوة .

كنت ذاهباً بالعربة لزيارة مريض وبيتنا انا سائر في الطريق رأيت متراً جديداً مدهوناً بألوان جميلة
لامعة وصاحبه مطلة من احدى النوافذ ووجهها أبيض كالجلدار فقلت فيها :

بدهن جدارها للعين قره
تريد على دهان البيت مرة

مررت على ديار في بهاء
رأيت الست سلمى في يباس

كنت أحمل ساعة تغير اوقاتنا وحركاتها حسب حركاتي فتمشي اذا مشيت وتقف ان وقفت فقلت فيها :

(٢) هي رتبة كما قلنا .

لي ساعة حركاتها موقوفة لحراك جسمي ان وقفت فتوقف
ان نمت نامت فهي طائفة لنا بما ليت عسذالي بها تعرف

وجدت قصيدة في صيدلية مسعود الخيمري ولم أتم قرأتها حتى تناولت قلماً وكتب على ذات النسخة
ما يأتي :

في صيدلية مسعود قد انتشرت قصيدة قد غدا دوماً يعظمها
غراء في بابها موضوعها بهج تاريخها يسارد لا شك يدمها
فقلت للصيدلي مزجاء شاورني اعط القصيدة وأخط ما يوخها
تاريخها نافع للصيدلية اذ يفتك عن مهمل كاحلام ناظمها

وبعد ذلك نظمت القصيدة الآتية تهته لناصر بك الرئيس الذي تزوج سنة ١٨٩١ وكنت ابطلت
في نظمها وتقديما :

بودك ما الابطاء عن مدحك مطلق اذا كان يعزى لي فما عند لكم عدل
تأخرت عن نظم التهاني لأنني درست مدحاً كنت اجهله قبل
ومذ صار لي خبر اتيتك ناظماً فلا تفكر في غيرك المدح لي سهل
فلو لم يكن قلبي دليلاً قريبتي لما فاق مني الشعر ما جئت النحل
وكان اعتقادي اني غير قادر على المدح لكن خاب ظني والتقل
لأنني ارى شعري يسيل بسرعة بهذي التهاني ليس لي قبله مثل
تيقنت من ذا ان عجزني لم يكن سوى عدم اللوزع للمدح لا يخل
فغبري يقول الشعر عن فكر غيره ويعتبر التقريظ فرضاً لمن ولوا
وينب للمدح ما ليس عنده ولو كان اعمى العين زينها الكحل
ولكن شعري وهو فكري مترجم فزادي ولم يذكر صفات لمن اخلوا
وما هو عندي صنعة او بضاعة سوى مقصد للجسد يستره الهزل
لذلك لا اخشى بيان حقيقة ولو غضب الموصوف وانقطع الجبل
وما حنة الا حقيقة ما به ولا بجره مر ولا وزنه ثقل
ولا يحدثن للسامعين تشاؤماً ولا يسدع الحضار ان سمعوا ولوا
ولا الشمس والأقمار والظبي والقنا ولا عتر او حمام لم دخل
أفضل كسر الشعر مع حسن صمعه على نظم موزون لسامعه قسل
ولست بتظمي مادحاً من أجبه ولا هاجياً بل قائلاً ما هو الشكل
فشعري للموصوف مرآة خلقه يرى صورة الموصوف فهو له ظل

لذلك ان ابلدت هجواً ومصلحة
شهادة من مثلي بألف شهادة
ضمرتك في قولي احق شهادة
فهل قلت انت الليث في حومة الوغى
ولكن جعلت الرمح والسيف عندكم
فصدقت اقوالى واجبح شاعري
فلا مهجتي تهوى ولا الشعر يرغبي
وان كنت اهدي اللوح شهماً اخ النهى
نجست يوماً كي ارى فيك داعياً
وذلك من بعدي لأن بعادكم
فانت كدير في بعادك عتفي
وهب اني ابغى القريض فلم يكن
الا وهي مقصودي وبت قصبي
اذا كنت وحدي شاكراً بصفاته
ولكن رأيت الشاكرين بفضلهم
ولم يبق لي وصف جديد أقوله
اذا قلت شهم صادق ذو مروة
فلا الجاه يلهيه ولا العز والاعلا
ويوليكم معروفاً ونسى صنيعه
ومع كثرة الاشغال من كل جانب
ولا تعلمن برى يديه بما انت
تبيح ليدك العجز في كل ضله
يقولون ذا اصيف والوصف وصفه
وأحسن فصل كان فعل اقترانه
لقد جمعت حسن الخصال وقد حوت
فقدم سلاً رأساً لسلمي معظماً

(تاريخ الرتبة الثانية المتمايزة)

نـالوا العـل رتبـاً وضـلاً قـصروا وعلـيك من شـرف العـلا ما فـازوا
كـنت الرئـيس بعـضـة وامـانة انصـفت في رـب علـيك اجـازوا
انصـافكـم نـظم المـورخ دره أنـت النـصيف بعـرة مـتمـاز
سنة ١٨٨٨

طبعت كتاب في مطبعة كانت حروفها دائماً ناقصة فقرظتها بهذين البيتين :

اذا زرت يوماً دار مطبعة ترى حروفاً بنقصان خصوصاً من القاء
وضاد ولا م لم تجد قط أصلها لما كثرت فيها سوى الخساء والراء

وقد عملت لسيده اسمها لمس عملية ماء الزرقاء فشفت وطلبت مني شعراً لترسله الى زوجها المسمى
سلم وهو سلم بك ابو نكد المشهور في المحافظة على ادبيات الجيل الماضي ووالد الشهم ملحم بك ريس
العائلة الان بالغنا وهو من عظام رجال لبنان .

ولما عين لمس قسدا اضاءت يلمس طيبها ويسد العظم
فما فرحت بهذا النور الا لكي تروي من الوجوه السليم

كان رجل يدعى حماد يتقلد بعض الاحياء وثلاث غير ذات اهمية أما في بلادنا فكثير من الاهالي
يجبون نوال الوظائف ولو خسروا مالهم وما ذلك الا من حيم لنكاية بعضهم لتولي البعض الرئاسة وهم لا
يستحقونها .

ذكروا عن أحد البطارقة انه تقدم في العمر وعجز عن الحركة حتى لم يعد يستطيع النزول من سريره
فاستأجروا له خادماً لكي يقدم له المستعملة متى أراد البراز فسر الخادم كثيراً لهذه الوظيفة التي نالها عن
جدارة ولباقة وخصوصاً لأنها كانت بخدمة البطريرك وكان اسمه مسعود سليم فصار اذا كتب لاحد مكتوباً
بذيله بالتوقيع الآتي :

أحركم
مسعود سليم
محرم غبطته

فأنظر لسخافة هذا العقل وقلة الادراك الى أي درجة توصل بصاحبها . وكثيرون من الاهالي يرغبون
نوال الوظائف لأجل رفع السلطة عنهم اما صاحبنا حماد فكان اذا توظف بمصلحة ما يقوم ظهره حتى اذا
فضل عنها ينحني وكان يعرف اذا كان موظفاً ام لا من قامته وانحنائها فنظمت له هذين البيتين :

قد كان ظهر حاد في بطالتة كالسدال في اسمه يبدو الى الرائي
من بعد توظيفه قد صار معتداً فأصبحت داله بالسدال كالراء

وقلت في جريدة استغن صاحبها فرصة نفوذه وكان يطرحها للاشتراك حتى اشترك ثلاثاً لا يعرفون
القرأ فقلت فيها :

هذه الجريدة في البلاد جرادة أمى بها لبنان أصلح اجردا
مما كونا من ابيض او اصفر وبرازهما ابداً تراه اسودا

وقلت في هذه الجريدة التي أنت بعد تلك لصاحبها خليل واسمها الروضة :

هذه الجريدة في البلاد خريدة بيضاء امت في مناهها الاسودا
بخليلها لبنان أصبح روضة من بعد ما قد كان اصلح اجردا

وقلت في رجل لا يثبت على شيء خصوصاً بالصدقة وكان في محل يراعى به لأجل رئيسه :

صدقة هذا المرء عندي مهمة تقربني عن سد الرئيس بلا شرط
ولكنها مثل الوضوء اذا بدا يقرب من مولى ويفسد بالضرط

(عرس ميشل بسترس)

هو ابن حبيب بسترس الكبير ووالدته من اللاذقية من اسرة نعمة وقد دعانا لحفلة زفافه وكان معنا
صديقنا ملحم افندي فارس فلما جلسنا على المائدة طلب مني ملحم ان انظم شعراً بهذه المناسبة وكان
يخاطبني والى على أمام الجميع لدرجة التزمت ان اجيب بها طلبه فقلت ما يأتي :

قال الملائك لا تقارن بيننا واليوم ميشل الرئيس عريس
لا شك ان عروسه من جنه يا نعم هذا الجنس والتجنيس
لم يأتنا من نلهم بزواجهم الا ملاك طاهر قدس
هذا زواج طاهر ومقدس مع ان فيه حاضراً ابليس

سنة ١٨٩٠

صار اختلاف عليه
فأباعد القط عنهم
بسرعة فيهم حتى

جاء الرئيس وأفضل
والحكم كان معجلاً
من قبل ان قال نوفل

أي نوهي اللفظة التي يقولها القط وقل من ذهب يذهب .

(تاریخ رسامة المطران نعمة الله سلوان رئيس اساقفة قبرص)

بقرنة شهوان الذي توفي سنة ١٩٠٥

بأخذ تاريخ حياته أي متى بصير النور من برنامج غانم وهذا من تاريخ سياسته :

في عين سلوان قد ابرى المسيح لنا
وروحه اليوم حلت عنه نائية
اعطاه نعمته بشفي القلوب بها
فالיום كالأمس ارج شاكرًا ابداً

سنة ١٨٩٢

وقد توفي هذا المطران فجأة في سنة ١٩٠٦ وانتخبوا خلفاً له الأب بطرس الزغيبي وقد نظمت له تاريخاً بهذا المعنى .

المطران بطرس الزغبى

ولد في قرنة شهوان سنة ١٨٣٣ دخل عين ورقة سنة ١٨٤٦ دخل مدرسة غزير للياسوعيين سنة ١٨٥٠ سيم كاهناً سنة ١٨٦١ وسامه المطران حنا الحج تمين معلماً في عين ورقة سنة ١٨٦٢ الى ١٨٦٨ ثم عين نائباً اسقفياً على ابرشية قبرص ايام المطران يوسف جعجع سنة ١٨٧٠ وعندما توفي المطران جعجع سنة ١٨٨٢ وصدر انتخاب خلفه كانت الأصوات له ولكن الظروف منعت وانتخب المطران يوسف الزغبى عوضه سنة ١٨٨٣ وبقي نائب اسقفي وعندما توفي المطران يوسف سنة ١٨٩٠ انتخب ايضاً والظروف منعت فصار الخوري نعمة الله سلوان مطراناً على الكرسي سنة ١٨٩٢ وتوفي سنة ١٩٠٥ وناب عنه الخوري بطرس صاحب الترجمة واخيراً في ١١ شباط سنة ١٩٠٦ رقاها البطريرك الياس الحويك في سيدة بكركي الى الاسقفية التي انتخب لها ثلاث مرات ولم يتوفى فغابراً قبر ثلاثة مطرارين وأصبح مطراناً وهذا من الله لأن هذه المطارنة جهزت له الابريشة مادياً لأنه لا ينفع في الماديات وهو الذي حفظ الوصية

لا نعمل لك فضة او ذهباً فلو كان اتى قبل المطران يوسف اوسلوان لما وجد الكرسي في هكذا احوال ولا المدرسة لان المطرانين المرحومين كانا امهر منه في جمع المال فلذلك اخره الله الى هذا اليوم لينال الراحة ويرحم الفقير لانني اسمع ان كلما يدخل جيبه يصرفه ذلك النهار على الفقرا ففسى باقي المطارنة الذين اكفوا في عمل كراسيم يتدلون بمنفعة الناس منها وقد نظمت لسيادته التاريخ الآتي الذي بالصدقة تاريخه المجري وافق اسمه وهو هذا :

من قبل عشرين عام كنت متظراً	ومستحقاً مقام الأسقف الصعب
لأنكم منذ خلقتم فيكم خلقت	اوصافه في عفاف النفس والأدب
لكن بساسة ذاك الوقت ما سمحت	لكنها قد اتتنا اليوم بالأرب
لأنها قد رأت في عامها عدداً	موافقاً لا يملك المحبوب والعذب
والدين نادى بحق عدل بطركنا	تواقف البدين والدينيا على الطلب
فالبدين كلفني ابدي لعالمنا	عاماً به صرتم في أقدس الرتب
ارختكم بطرس الرغبسي شرفه	ثم اللدني ارختكم بطرس الرغبسي
سنة ١٩٠٦	١٣٢١ هجرية

والأعجب من كل هذا ان سيادته بسن ٧٥ الان اقوى وأحسن من شاب ولا يفتر عن الشغل واعطاء الاحسان وأهم شيء فيه الظهارة ولا أقول عن طهارته الان لأن سن خمسة وسبعين من أعظم الطاهرين ولكن عن حياته الماضية وهذا الذي كان سبباً لسيامته مطراناً من يد الحويك الذي جعل الطهارة موضوع انتخاب مطارته لأنه يعتبر ان لا شيء يعيب الاكليركي الا عدم الطهارة والحق معه بذلك .

(الخواجه مخايل ملوك)

قد ذكرت انه عند زواجي في بيروت دعاني في الشام جاري الخواجه ملوك وكان فرش لي البيت واستدان مني خمسة عشر ألفاً من القروش بالفايظ الماية عشرة وحضرت الى بيروت وعند استحقاقها طلبتها اعتذر بفقيت في هذا الاعتذار ثمانية عشر سنة لا اريد اغيظه بدعوى لأنه استقبلني يوم زواجي واخيراً توجهت بالصدقة الى الشام وقابلته فكان قد شاخ ولم يعد له كلام مع ولده قيصر الذي عندما رأى الكيالة قال مضى عليها الزمان قهراً عن تحاير والده بالتمهد بها اخيراً التجيت الى الدعوى بمجلس التجرارة الذي كان مؤلفاً من الرئيس حسن بك سني والاعضاء أمين افندي كلاراميه وابراهيم افندي التززي اما حسن بك فهو صهر دولتو احمد عزت باشا العايد وبعد مدة صار متصرف اللاذقية ثم عكا ثم طرابلس وانفلق فيها وتوفي سنة ١٩٠٧ وحزنت عليه لأنه كان صادقاً ودوداً فأعرضت لهؤلاء الدنوات مسألتي فأشاروا عليّ بتصدير الدعوى ففعلت ولم يحضر الخصم في اليوم المعين فحكم عليه غايياً وتبلغ

الحكم بكل سرعة وانتهت الدعوى بالصلح بعد مرور ثمانية عشر سنة قبضت من الدين الذي كان قدره خمسة عشر ألف غرش ما عدا القايظ مبلغ الفين وخمسين غرشاً دفعها اجرة مصاريف الدعوى .

اخيراً عندما غادرت دمشق وركبت القطار الحديدي لوحدي في الموقع الأول كنت متأثراً من معروف والطف أهل الشام فنظمت هذه القصيدة التي سميتها الشاكرة وتصورت فيها درب الزينيه مساء الأحد وهي عمل المئزّه العمومي بين الباتين عند باب توما تخرج اليه النساء والرجال والشيوخ والشبان بكل أدب ويمشون سوتاً بدون ضجة وازدحام .

(الشاكرة في الشام)

بأعين غزلان على القرب والبعد
فتخفقه هند ويصبو الى دعدي
ولا لفظ سلمى يترك القلب في رغدي
وقد بات مجروحاً بلحظ وبلي قد
احني يرى او بات ميتاً من الوجدي
تدور وان القطب في وسط النهدي
وان رياض الكائنات على الخدي
حراك جفون والتنفيل من هندي
محسن ليلي هام في شعرها الجمدي
من النيد تمشي كالمجرة في اللدي
غيوماً كست تلك الزواهر بالبردي
يشرن سلاماً بالحواجب والزندي
يقول خطاباً عكس طرفك بالضدي
فترميك نحو الأرض جمماً بلا رشدي
وتبعها باللحظ والقلب في وقدي
تسير ولا سير المظلمة الجرد
كأنك لم تقدم اليها على وعد
تجد وتلقى ان جسدك لا يجدي
فترجع مشغوف واحقر من عبدي
مع النجم في ذل وشوق وفي نكدي
وعزة نفس فهو لا شك في الحدي
تذل لها اسد وتسطر على الجندي

عن الشام لا ابدي هيامي ولا وجدي
أصبت كغيري من غدا زائراً لها
فلا لحظ اسمي فيه يبقى تعلاً
فيصبح سكراناً يسمع ونظرة
ولم يدرك ابن الأرض والبدر والفضا
يظن بأن الأرض في صدر خولقة
ويحب ان البدر وجه فريدة
وان حراك القلب فيه متابع
يردد طرفه في سلمي وان رأى
فا باله ما بين الفين قد جرت
عجوبة في الأرض تحب انها
لن وجوه مشرقبات ضواحك
اذا حدثت فالطوف منها كأنه
فتخفقه عند الوداع بلحظة
تبيت صريعاً جامداً غير ناطق
وان ارجعت منها اليك التفاتة
وتجمد عند القرب منها مغالطاً
وحين تراها قد مثلت بعض خطوة
فتبقى الى حين الغروب مجاهداً
الى غرفة تطوي بها الليل ساهراً
فويل لمن قد بات في ذل حاجة
تصدق قولاً قبيحاً في الشام انها

فمن كان هذا حاله من يلومه
وأما أنا ان جئت في ذكر فاضل
فسيان لي الخمسون ابقت تعقلاً
وأما اذا ما جئت يوماً بذكرهم
فلا العمر يني شاعراً فهو دائماً
يكون كما الموضوع في كسل حالة
غدا عاشقاً ان بات يدي تنزلاً
فمن شعره لا يستبدل لعمره
ومن طالع ابن الفارض في فهل يرى
رجال لهم فضل علي ومنسة
اذا المرء لم يذكر جميلًا ففاضل
واني امرؤ قلبي يقود عواظني
وبالعكس اني لت يوماً بشاكِر
مدحت لاسباب واهجوا لفضدها
وكل امرؤ لا يفرق الفضل والاذى
ومن سامح الانذال سهلاً يعوفه
رجس مال دمشق لو عرفت بما بهم
لما ذكرت اسماء وعلومه
صفات تميل الوحش للأنس عاجلاً
كبار لدى المعروف والجود والوفاء
اذا كنت في عز بعيداً تراهم
كأنك اعلا رتبة ان سألهم
اذا ساعدوا الانسان سروا لكبه
لهم لذة المعروف اعظم لذة
وان وجسدوا دعواك ليست محقة
على رأسهم شهم وزير يزيدهم
جري جبهه في قلبهم مثلاً جرى
وأصبح قلب المعدل تلتف حوليه
فمن كان ذا عدل وحلم وعفة
فأنأي فواد لا يميل لحبه
(١) وان كنت وحدي ناظماً عدل ناظم

(١) ناظم باشا .

اذا لم يدرك ذكر الرجال ولا يخدي
يكون الحوى ولي وهما زمن الجدي
لذكر رجال قد علوا ذروة الجدي
تراني لدى العشرين والشب في فؤدي
لدى النظم في سن الشبيبة والوجد
ويتزل من اعلى الجبال الى الوحد
ويصبح ليشياً ان تكلم عن اسد
ولا فرق بين الاب والابن والجدي
تقول شيخ شاخ او غزل المرد
لقد حفظوا وعددي وما نكوا عهدي
فهذا دليل اللؤم والسفل الوغدي
واني عبد الفضل والجود والوعدي
لمن هضموا حقى او اشتغلوا ضدي
ولا ذنب في الخالين مقترف عندي
فلا خير فيه لا يكون من العمدي
تعرض للأخطار والذل والفقدي
من الأنس والمعروف والطف والود
ولا هم في هند وفي خدعها الورد
وعدل يميل الظالمين الى الزهد
صغار اذا ما جئت عن وجودهم تبدي
وتلقاهم يوم الكربة والشدي
قضاء أمور لا تقابل بالصد
وفساقوه في بطن لهم فساق الحدي
خصوص الى القاض ولو كان من سند
تبدل ذاك اللين والطف بالصلد
محاسن عدل والجميع له تفدي
رئيس دماء القلب في جسمهم يفدي
رجال كما انضمت الى الجوهر الفرد
وصاحب معروف وفضل وذا كسر
واية نفس لا تميل الى انشهد
بشعري ولكن لت شاكره وحدي

فخرج على الفيحاء او جنّة الخلد
 يدوراً مساء الاحاد مطلعها يهدي
 له الأسم متمساز واعطى من ندى
 هو الصادق الصديق من قبل او بعد
 ترى الانس مع عدل وصدا مع الحد
 وكن واقفاً ان العدالة في مهدي
 كما العدل حسني والتراحم من مجدي (١)
 ففي القيد لا شغل له ابدأ عندي
 يطمئن علي من ذوي الحل والعقد
 لدى نائب البطريرك حنا ترى قصدي (٢)
 هناك اعتدى القديس بولس من جد
 وتعرف كم تطو الرجال مع الجهد
 يهدي المبسدي ان ذلك من سعدي
 كرام لهم شكري وطول المدى حمدي

وان كنت في شك بقولي وخبرتي
 تلاق بسدرب الزينية في المسا
 (١) وتلقى ولياً في الولاية قائماً
 عرفناه قلاً مثلاً اليوم ماحجداً
 وان زرت داراً للتجساسة دائراً
 تناديك هاتيك المنازل فانشرح
 (٢) فضوي أمين والخليل خليله
 لما كسان في وسعي قضاء بساعتي
 لان لذيذ العدل يذهب باطلاً
 وان شئت ربا النفس بالدين والتقوى
 تلاقى حنائيا يرد ضلالة
 تلاقى محبباً للفقير ماعسداً
 فهناك رجلاً في دمشق عرفهم
 عظام لهم عندي منازل وقصة

طبعت في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٨٩٨

للبطريرك يوحنا الحاج

عندما نال العتاني لتقدمه اعانة الى دار العجزة في الاساتنة ١٨٩٨ ومن القصيدة يعرف كل ما عمل
 وما كان :

وفيه قلب نعال فوق تيجان
 تيمله عن كالات وإيمان
 وحفظ كل ذمام نحو سلطان

أصدرك اليوم محتساج لنشان
 خاض المصامح والسبعين ما قدرت
 قد بات صخرة إيمان لطائفة

(٢) ولي افندي .

(٣) امين افندي عضو .

(٤) حسني بك ريس .

(٥) الخوري حنا كبلاروس .

حتى غدا متراً للسدين مشتراً
 مذ بات دارها قاما يزيتيه
 لنسا نهى فيه شخص حامله
 ان توج الرأس فالاعضاء نائلة
 لا يفلح المرء يوماً في وظيفته
 شرط الرئاسة قلب لا يخاف اذى
 عقل لشهوات نفس عاقل ابداً
 طرف على كسل امر ساهر يقظ
 ولا يضيع امراً وقت متعمدة
 هذي رئاسة دنيا لا تبالي بها
 لكن سياسة دين انت تابعها
 اعطاك ربك اوصافاً تكون بها
 لذتك سدت بمصر أنت بهجت
 احنت حباً باحسان بلا غرض
 لا فرق عندك ان اعطيت ذا عوز
 ان كنت بطرك دين عند طائفة
 أصبحت فرداً لشعب لن يري ابداً
 لا تعجب صاحبي من قول شاكره
 حتى عدا شعره تدكار من نشرت
 د كان ذاكراتي يوماً لمن سلمو
 والشعر بالصدق لا باللفظ قيمته
 فن رأيت لشعري صار يعرفني
 فلا يرد عليه حيث سامعه
 برهان قولي بهذا من قبل بطركنا
 من شامها ظن كسرى اليوم منيعاً
 ومن اتى بعده لم يلق من عوز
 من قبله شاد في باريس مدرسة
 والقدس منه رأيت بيتاً يقسمها
 كأن هيكليها ليست ترينه
 وان بطركنا حنا أقام به
 من قبله ما سمعنا بطركنا ابداً
 ومن أتى بعده لم يعمل رتبته

ودار حب لسطحان واحان
 لذك اهـ ذاك مولى الشرق عثمان
 لكن نهى فيه كسل موراني
 ما ناله من رفيع الجهد والشان
 ما لم يكن فيه طبعاً شرطها الباني
 ولا يبالي بتهديد وعدوان
 قسوة ثم لين بعض احسان
 وغضه عن مهي بعض أزمسان
 ولا يحرك امراً وقت خسران
 ونحن تتبعها حفظاً لوجدان
 هي سياسة احسان وغفران
 رئيس دين ودينياً غير غفلان
 وقصد علوت على عصر واقران
 المذهب او جنس او لأوطسان
 ما بين أبناء مارون وسودان
 فبالمرقة بسابا كسل انسان
 قلاً شبيهاً له او بعده ثاني
 ما قال قولاً ولم يثت برهان
 افعله فيه لا يبل بنسيان
 يكون جاءت به اشعار ازمان
 وقوله بيان لا بأوزان
 هجواً غدا او مديحاً صدقه دائي
 مصلق قوليه من دون نكران
 قد شاد للسدين كرسياً باتقان
 في كسروان وهذا نفس ابوان
 بقم اعظم منها غير بنيان
 وعند لاون احبي ذكر سمعاني
 كقلمه ما رأيت عيناً سلبان
 من قبل او بعد الا ارض لبسان
 ومن رآه فهذا نفس سمعاني
 قد نال أول نشان لعماني
 لان لا رتبة اعلى لنيان

من بطريرك وهذا حـد موراني
لكـسب فضـل وأنوار لاذهـمـان
في الشرق بأفضل من أرباب أديان
يـوحنا مـسارون في حزم واحسان
ويستمد لنا من فضل رحمان
وان يـزاد لـه في العـمر عمران

وليس في الشرق أعلى اليوم منزلة
فكـل شخص من الاعيان حج له
هـذي براهين قولي لا شيهـه له
فـاق الحدود بفضل ما علاه سوي
يا ليت يصـفي الى ابنائه كرمـاً
ابقـاء بطرـكنا فخرـاً لطائفة

رثاء المطران يوحنا الحبيب

بمجد جمعية المرسلين المارونية

لهوى الى ادنى من الحيوان
في الذات والافعال كالشيطان
من نعمة الايمان في الاديان
لـولاه لم يصير على الهجران
بـمـدأ عن الاهلين والخلائ
لفـمـائل الخيرات والاحسان
عن ضيغ بل ميز بالايمان
لا العقل عن كل اللذائـه نـافـي
مـخصـوصـة وعن العطـسـا الهافـي
مـتـفـانـيـاً فـالـدين قد رباني
لم يـسـأـت من ارض ومن انسان
مـني على ما قـتـله برهاني
مـيـسـل وشهوات وعن عـسـدوان
لـكن يـقـيـده قـوي ثـانـي
لا بـسـد من غير عليه الجاني
يـنـيـيه عن غـيـر وعن طـنـيان
ارأيت حراً يـتـجـي لـنـان
يُـنـهى ولا في شهوة اوصافـي
اعطيت من اعطاك بالميزان
من طـبـسـع انسان من الغفران

لو لم يكن وعـد الى الانسان
وغدا الذي لم يدر اين مسيره
لم يرسل الرحمن اعظم نعمة
لـولاه ما حن الغني لفـاقـة
لـولاه ما احتمل التـك عابـد
وبـدا يـقـدم نـفـه كضـحـة
لا بالقوى والعقل بات مـيـزاً
لا العقل يـهـيـي الى دار البقا
لـكنـه يـدي لـجـر مـنافـع
امـا على حب القريب ونفـه
لا شك ان الـدين اـزـل من علا
ان كنت في شك فخذ يا صاحبي
ما الـدين الا رابط الانسان عن
لم تلق حيوانـاً يـقـيـد نـفـه
ان تلق سـبـعاً بـالحـلـيد مـكـبـلاً
لا بـسـد من أقوى من الانساني قد
لم يشرع الانسان ضد طـبـاعـه
دين الحقيقـة من غدا عن شهوة
ما الفضل ان آتيت من اخـاك او
حب العـدى ضد الطـيـعة لا نرى

لا شك ذا طبع الآله وان من
ان التي هو السيد حقيقة
فضمه في راحة ومعاشه
لم تلق محبوباً على وجه الثرى
تلقاه ما بين المصائب ضاحكاً
لا يعرف الانسان فضل ديانته
وكذاك لا يدري لا كلى قيمة
لولا ثلاث لم يكن دين ولا
موت وافلاس وضعف كلما
من لم يكن حب القريب شعاعه
من كان للاديان عبداً طائعاً
فهو الذي حاز القداسة والتقى
ان شئت مني قدوة فاذهب الى
(٢) منذ نعمة الله اعتلته رئاسة
زر تربية ضمت حياً للملا
هذا الذي رب العباد اقامه
وطن يسوع السيد من اسمه
ابدي لنا حبراً بهمة رسله
اوصاه يسوع بسأولاد له
في مثلاً اوصى الحبيب بأمنه
من بعد الف تسعة قد خلت
من قبله لم يلق قص مبيحنا

قد قاله هو سيد الاكوان
في الأرض قبل معادة الازمان
وحياته وماتته بأمان
مثل الذي يزي الى الاديان
ومن العدا قد فاز بالرضوان
ما لم يكن في حالة الاحزان
ما لم يكن في حالة الجوعاني
ذكر من الانسان للسيد ان
عنه نالت يدنو من الكفران
وكريم خلق ليس بـالانسان
ومنى بسامر وصيبة الاحسان
وهو الذي يعلو على الاقران
دير الكريم الرافع الصليبان (١)
قد بات شكر الله فرض جناني (٣)
تنظر بها حنا الحبيب الثماني
مطران ناصرة علي الشأن (٤)
كل تسمى في الورى نصراني
حفظت مبادي شعبه الموراني
هم مرسلون لنصرة الايمان
منذ بات أوجاع الصليب يعاني
ست بهذا اليوم في لبنان
خلا حياً مثل ذا المطران

سنة ١٨٩٤

- (١) يضع المرسلون صلياً احمرأ على قنصواتهم .
- (٢) المطران نعمة الله سلوان كان رئيساً على الكريم .
- (٣) وكذلك المطران شكراته .
- (٤) لأنه كان مطران الناصرة .

الى خير الدين باشا رئيس اللجنة العلمية للمعاهدة لفحص تلامذة المدرسة الافرنجية في بيروت :

تركتنا خير دتياننا لخير خير اغنى
فخير الارض مهـوم وخير الـمـدـين لا يفنى

(أحمد مرتضى) كنت في أحد الايام جالساً عند فخري بك نامي فأتني لزيارته مصريان اب وولده وكان الأب شيخاً جليلاً متعمماً بعامة خضراء اما الابن فكان لا بأساً حسب الزي الافرنجي ويتكلم اللغة الفرنسية جيداً ويتقلد الافرنج بحركاتهم وبكلامهم اللغة العربية فكان يلفظ الضاد داد وهي الحرف الذي ميز به العرب عن سواهم حتى قيل عنهم الناطقون بالضاد فعند ذلك ارتجلت هذين البيتين :

من بات احمد مرتضى متفرنجاً لم يحسن اللفاظ باسم ابيه
ان قال عمه والدي خضراً تجد من غير ضاد اخرجت من فيه

فحين سمعها فخري استلقى على ظهره من الضحك وسر من المعنى .

(ملكه) طلبت مني هذه السيدة نسخة من كتابي صحة العين تذكراً فكُتبت عليها هذين البيتين :

يا صحة العين غص العين محتشماً عند اللقاء ولا تبدي ولا حركة
ان العيون التي قد بت تنظرها أصبحت عبداً لها اذ انها ملكة

اسما وسلمى

هما بنات الامير سليم منصور شهاب الذي ذكرت عنه قبلاً وهما على جانب عظيم من اللطف والاداب والعلم مدحتهما وخصصت بمدحهما الجدة الاصلي شهاب وبشر أول حاكم لبنان من هذه الاسرة والامير سليم ووالده الامير منصور ووالدته نور وبنته اسما وسلمى فقلت بذلك :

تشاورت الفضائل في ساهها لترسل بعضهم للأرض قسا
فقد أخذت شهاب الجو سلكاً يضم الارض والعياء ضما
وقد كان الشهاب لنا بشيراً يشر ارضنا عبداً وحلاً
ولما بات منصوراً عليها فاضحى والداً والنور أما
لذا دعيت باسم بني شهاب وقد أخذت لها في الأرض حكماً
وقت اعطت لذي عقل سليم ليعطي الكل القاباً واسما

فسمى الظرف والادراك اسما ومسمى العلم والآداب سلمى
فسمى من عيوب الارض سلمى واسما من سماء الأرض اسمى

املي جورج سرسق

اشهرت هذه السيدة بفضلها ومبراتها في سوريا ولها مآثر عديدة لا يمكن نكرانها تساعد الفقير والمسكين وهي مؤسسة ورئيسة المدرسة الارثوذكسية للبنات ومؤسسة لراحيات مخصوصة ومساعدة المستشفى الارثوذكسي في بيروت وقد تصورت بيته (مرفيلوز merveilleuse) ونظمت لها ثلاث ابيات حررتها على صورتها ولكن قبل الكلام عن الاشعار أذكر شيئاً عن عائلة سرسق .

عائلة سرسق

لم يكن أصل هذه العائلة غنياً كما هي عليه الآن بل أكتسب افرادها غناهم سنة ١٨٥٦ من تجارهم بمصر وكانوا ستة اخوة وهم نقولا وموسى وخليل وابراهيم ويوسف ولطف الله لم يبق منهم سوى يوسف وانقسمت هذه العائلة الى ستة بيوت كلهم اغنياء حتى قيل ان كل واحد منهم يملك ثلاثين او اربعين الف ليرا ايراداً ولم يقترب احد الى هذه الاسرة ما لم يفتني فهم يتساهلون جداً مع مستخدميهم ومن هذه العائلة الياس بك سرسق قنصل جبرال دولة ايران وهو من الاذكياء وكريم النفس وكذلك اخوه الخواجه نقولا من الشبان المعتبرين وكل من الخواجهات جرجي موسى واخوته وميشل خليل سرسق اللذين اعرّفهم من المعتبرين وأما الخواجه يوسف الباقي من الستة فهو رجل عظيم كريم الاخلاق محب الخير وكذلك ولده نجيب الذي نال أعظم الوسامات والمقامات نظراً لمبراته وقد تزوج ابن عمي قيصر الخوري باحدى بنات الخواجه يوسف وعلى العموم ان هذه العائلة كثيرة الاحسان لا يلقى اليها احد ما لم تغنيه وعندما أصل الى سياحتي في الاسكندرية اذكر الخواجه اسكندر نقولا سرسق الغني العظيم وأولاده لأنهم من أهم التجار في الاسكندرية وكذلك عن الخواجه جورج لطف الله .

ولما أقامت اميلي المرقص المنكر وكانت متكررة بزي ذات المعجزات كما قدما اعطيني صورتها فنظمت لها الاشعار الآتية :

لم يكفنا عجب ما فيك من ادب	حتى برزت لنا في ذلك العجب
ما دمت في عجب من كل ناحية	ان كسان في الزي والآداب والحب
عذراً لناظم شعر ليس يدرك من	أصحت منسازها اعلى من السحب

الادام الطازا

او تأثير المال في الرجال

نقلها جريدة الروضة نمرة ١٧٦٦٥ ت ١ سنة ١٩٠٦

لجناب النطاسي الشهير رفعتلو الدكتور شاكر بك الخوري الشاعر المعروف قالت الروضة هذه المقالة ستظهر في كتابه « مجموع المسرات » نشرناها هنا لتبين للقراء ان هذا الكتاب الذي بشرت بقدمه عالم الأدب السن الصحافة يحتوي على كل المواضع التاريخية والانتقادية لا كما يتصور السواد الأعظم انه مجموع اشعار قالها جناب الدكتور المومي اليه اذ ان الحقيقة هي ان الشعر فيه قليل جداً نظراً لما فيه من المباحث التاريخية والانتقادية وذلك لأن صاحبه لم يدع باباً من الكتابة الا طرقة وما نال هذه الشهرة العظيمة عن قصيدة وقصيدتين ومقالة ومقالتين . وهاكم ما قال في الادام الطازا او تأثير المال في الرجال :

اذا امتلأت كف التلم من الفنى تمرد كالمرحاض فاح وانتسبا
وان كريم الأصل كـالفن كليا تحمل بالانمار مال وانحنى

هذا هو تأثير المال في الرجال فهو لا يغير الصفات بل يزيد بها فاذا زار كريماً ازداد كريماً او بخيلاً ازداد بخلاً او لثيماً ازداد لثوماً ولا يجعل البخيل كريماً ولا الكريم بخيلاً وما أكثر هذه الشواهد والبراهين على هذا القول في ايامنا المقلبة وقد قلت مراراً أن ابواب الفنى كثيرة في هذا العصر لأننا نعرف بعض اناس كانوا لا يملكون درهماً قد أصبحوا اصحاب ثروة طائلة غير ان اخلاقهم لم تنزل كما كانت وما زادهم المال غير وقاحة وقباحة اذ صرت ترى احدهم اذا رجع الى بلاده وتذكر ما كان عليه ونظر الى حالته الحاضرة تنحه العظمة ويتولد في فكره الحسد القديم ونهب في صدره عواصف الانتقام من سيده القديم فيغير ظواهر بيته باذلاً امواله عليه حتى يصير شبيهاً ببيت سيده كأنما قد فاتته ان اتساع البيت بكثرة ضيوفه وهذا هو الاساس الراسخ للبيوت القديمة ولكن من أين ذلك لغيتنا الجديد الذي يصح ان يقال عنه :

رأى الصيف مكتوباً على بساب داره فصفحه ضعفاً فقام الى السيف
فقلنا له خيراً فظن بأننا نقول له خيراً فأت من الخوف

والأهم من الفنى هي اسبابه لأن اللص يغني سريعاً والمجهنم يحصل الاموال رويداً رويداً ولكن أين يمكن ان يكون اكرامها واحداً لأجل الفنى كلا . بل الكرامة تأتي من اسباب الفنى ولا يعتبر اللص غير لص نظيره ولكن ظاهراً فقط لأنه لو فرض ان لصين سرقا الف غرش وقساها بينهما واراد بعدتد كل فرد منها

ان يستودع احد الناس قسمة فهل يسلمه لرفيقه ؟ كلا وان كان شريكين في العمل بل يستودع قسمة رجلاً معروفاً بالأمانة والفضيلة فيكون من هذا البرهان ان الاعتبار للفضيلة ليس الا .

لو دخلت بلدة ورأيت فيها متزلاً عالياً والناس تزدحم حوله من جهة فتعجبت حتى انك سألت لمن هذه الدار العالية العظيمة فأجابوك ان هذا كله لرجل لصر ذنيء « عمل الطريقة الفلانية » ونهب مال فلان وفلان وكلما هو عليه من الغنى أكسبه عن طريق النهب والذل فهل يبقى له بعد هذا ذاك المقام والاعتبار في عينيك ؟ — كلا .

وقد رأيت من هؤلاء (الاوادم الطازا) من يستخدم والدته في البيت ويعملها صامته امامه لا تتكلم لكي تعتبره بصفتها وهو يظن ان له في العمل اعتباراً فكل من هؤلاء يصح ان يقال له :

لئن كانت الدنيا انالك ثروة انسالت بني الدنيا بلاء وتقمعة
فكسل من الرحمن يطلب طلبية ليخزي كذا مال ويلعن صدفة
غدوت بها في اليسر مذ كنت في العسر
فقد كشف الاثرء منك حقانقاً بأنك من بعد الغنى صرت فاسقاً
ومن قبل ذا لا شك قد كنت سارقاً وهذي فعال عرفتنا خلائقاً
من اللوم كانت تحت ثوب من الفقر

وكيفما يحول الانسان فانه يجد امثاله هذه الامور وبالعكس فانه يرى اناساً كانوا فقراء فزادهم غناهم شيعة ومحبة للقريب والسلام وسلكوا الطريق المستقيم وجعلوا الرب الثاني الذي هو المال تحت امر الرب الأول فلمثل هؤلاء يليق الغنى والجاه اذ تكون منهم منفعة عظيمة للبلاد ومن فتش عن اسباب غناهم عرف ان ذلك ناتج عن جدهم واجتهادهم وصدقهم وامانتهم فانظروا الفرق بين هؤلاء وأولئك .

ولو اعتبرنا ان الانسان مها كان غنياً لا يأخذ من الدنيا أكثر من غيره نعرف ان الغني وكيل مسخر بل هو خادم غيره لا الغير يخدمه كما يتوهم .

والغني رجل مفلوج يحتاج الى من يلبسه ويطعمه ويسوسه ويمشيه وكل ذلك يكلفه كثيراً اذ افتركم قصى من التب والشقاء حتى حصل هذه الدراهم التي يدفعها الان الى خدمه وكم كلفته (بوسة يده) وكلمة يا (معلمي) لأن كل هذا لا يوازي اتمايه الماضية حتى حصل المال واتمايه الحاضرة على حفظه وخصوصاً متى كان واضحاً ماله عند أحد التجار وأفلس وقد قال احد الفلاسفة : ان كلما تملكه زيادة عن احتياجك فهو ليس لك .

وبينا كنت زائر احد الاغنياء الكبار الكرماء في بلادنا اصحاب الدور الواسعة والضيوف المتراكمة والحشم العديدة وهو نسيب بك جنلاط لأنه هو الوحيد الان الحافظ عادة اصحاب الضيافة القدماء وأظن تنتهي بعده سألتهم كم من الارغفة عندك هذه الليلة فضحك وأجاب لا ادري فقلت بالله عليك يا بيك اسأل لي (الكراجي) فسأله فأجاب انه يوجد عنده نحو مائتي رغيف فقلت له كم رغيف منهم الى اليك فأجاب كلهم له ولكنه لا يأكل غير واحدة وما بقي الى الضيوف والخدم فيكون اليك مادياً كأحدهم ومعنوياً صاحب الكل ويبيع رزقه من ضيوفه بكلمة (يا سيدي ومتشكرون ودائم) وهذا الدعاء الاخير يعود للضيف يعني انه دوماً يأكل عنده وعلى هـ : الكلام شرح عظيم ولكن لا فائدة منه اذ لا احد في الدنيا يكره الغنى مها ذاق لأجله من العنا ولكن هذه الكلمات علاج يُسكن به أُم الفقير وهذا التقدير يوجد وقت المعجز وكل العلوم والفلسفة لتسكين الأوجاع وتغذية المصاب واذا لم تكن مصيبة فلا تلزم تغذية وكلامي هذا اوجهه الى المحتاجين كيلا يحسدوا الاغنياء الذين لا راحة لهم حقيقة لان حفظ المال متعب أكثر من تحصيله وقد سأل احد الملوك وزيره ان يأتيه برجل لا هم له فشرع هذا الوزير بالسؤال وكان يفكر ان الخالي من الهم هو من كان لا يعرفه ولكنه عند السؤال كان يراه كرفقائه الى ان ذهب ذات يوم الى الصيد فوصل الى غابة وهناك وجد رجلاً عرياناً تحت ظل شجرة فسأله الوزير ايها الرجل هل عندك هم ؟ فأجاب الحمد لله كلا فقال له الوزير ولماذا انت عريان ولا تحيط لك قيصاً تستر فيه فأجابه ان تسألني اذا كنت خالياً من الهم كأنك تجهل اني اذا لبست قيصاً لبست معها الهم اذ يصير يحمي غسلها وترقيعها واذا جلست على الأرض اتخاف عليها من الوسخ فدعني من هم لا لزوم له عندي . فاذا كانت القميص تهم فكيف الالوف من الليرات والقصور الشاهقة والاملاك الواسعة ؟ الا تقتل اصحابها ومع ذلك تراهم يكتفون بأن يقول لهم الناس يا سيدي .

أما الآن فأراني خرجت عن الموضوع الذي هو تأثير المال في الرجال لا الغنى والفقر ومع كل هذا لا يمكنني ان أفضل الواحد عن الآخر ولكن بالاختصار أقول في تأثير المال :

المال كالرياح ان مرت على عطر نزكو وتنسن ان مرت على جيف

وبالاختصار فليفتكر كل غني ان لا اعتبار حقيقي له ما لم يجعل الرب الثاني تحت امر الرب الأول .

وقلت مؤرخاً زواج الخواجه يوسف مرهج من دير القمر بالسيدة السيدة نظيره التي بالحقيقة ليس لها نظيره بالجمال والذكاء والعلم

وعرس مرهج فيـــــــــــــــــه تجلت عروس في محاسنها اميره
أقول ليوسف ارح فريحاً عرومي ما لها ابداً نظيره (١٨٩٥)

توفي في صيف سنة ١٩٠٠ .

يعتقدون ان مار انطونيوس الذي تسمى الدير باسمه يظهر فيها معجزاته بشفاء الامراض خصوصاً داء الجنون وقد صدف ان احد قضاتها كان مختل الشعور ولكنه لم يعط هذا القلب لان العادة في بلادنا ان يكون لكل مرض اسمان اسم للمرضى الاغنياء وآخر للفقراء فقليل الذكاء عند الفريق الأول يدعى طيب القلب بسيطه وعند الفريق الثاني يسمى حاراً مع ان الداء واحد .

ولنرجع الى موضوعنا . فوصفت علاجاً لصاحبنا قاضي تلك الجهات لأنه محتاج للمعالجة وذلك في شعر نظمته فقلت :

دواء في قضاء البتون قــــــــــــــــاضي لمختل الشعور بلا طيب
له في غار قزجيا شتاء كذلك الصيف في ظهر القضيب

(نيشان الاكاديمي الفرنسي)

فلما نلت هذا الوسام قالت لي احدى السيدات المعتبرات التي كانت صديقة لي اهنئك بالوسام الذي زين صدرك فقلت بهذا المعنى :

لما وسام معــــــــــــــــارف صديري علا وغلبت منه عالياً بفخاره
قالت فرحت لزينته فأجبتها كل امرى يصبو لزينته داره

قلت في ريكا اسوسكي الجميلة وكانت تدوي احدى عينيا عندي والعين الاخرى كانت سليمة وهي اسرائيلية .

لها مقلــــــــــــــــة مرضى واخرى سليمة اعالج احداها تعالجي الاخرى
فبين علاجي في الهوى وعلاجهمــــــــــــــــا لقد ذهب الاثنان عقلي والاجرهم

(لا دين لمن غير دينه)

قد كنت في مجلس اتكلم عن قانون الصحة واثبت بشواهد توجد في الاديان تثبيت الصحة لأنه يوجد في كل دين بعض شرائع لا يقال انها انزلت الا للصحة كتحریم أكل لحم الحيوانات النجسة لأنها عسرة الهضم فحرم أكلها وكذلك صيام الیومين في الجمعة هو قانون صحي لأجل تجديد شهوة أكل اللحوم وكان حاضراً تلك الجلسة الرجل المدعو نمرأ فصار يحادل ليؤيد مدعاه الذي كان يخالف معتقدي جدالاً اقرب منه الى النزاع فقلت :

ما بين اجناس البهائم لم أجد
ترى لحمه بخساً كذا السدين نه
فلا تعجب ان قابيل الخير بالأذى
واني امرؤه العين بالمعين مذهبي
على مذهب التوراة انجس من نمر
وعند بني الآداب يوصف بالفسد
رفعت له علماً فكوفيت بالمكرى
كذلك في الاحسان فالشكر بالشكر

(المجادلة في الدين)

المجادلة في الدين لا تزيد ولا تنقصه ولا تزيله ولا توجد ولا ترفعه ولا تخفضه بل كل فئة تبقى
متحيزة للفئة التي تنتمي اليها أكثر من ذي قبل لان الدين ليس كعلم الحساب اوبآي العلوم لو خالفنا منه
قاعدة لفسد المبدأ وكم من جاهل يفكر انه اذا عاب جملة او حقيقة تاريخية من دين يزيله بعد ان مرت
عليه الوف من السنين ويظن بعضهم ان السامعين يميلون الى هذا الحزب او ذاك لجرد براعته في نطق المتكلم
ولا يعرفون ان الدين ليس بالمنطق ولا بالقصاحة وان العقل لا يغير منه شيئاً فالدين سر من اسرار الطبيعة
موحى به لا دخل للعقل فيه . يتمسك المرء بدين ويتركه قهراً عنه ويبقى الانسان جاهلاً السبب الذي
يدعوه للتمسك به فالدين من خصائص القلب لا العقل .

(البخل)

فكل البخل ان يرضى غنياً يعيش زمانه عيش الفقير
البخل مرض في القلب لا في العقل ولأجل ذلك يجب ان نحص ما هي افعال القلب وما هي افعال
العقل .

العقل اعطى الى الانسان لكي يسير بموجبه حتى يدبر اشغاله واعماله كي تعود عليه بالنفع وهي النفع
المادي فقط والقلب اعطى الى الانسان لكي يعيش به مع قريبه ومن يحبه فيضحي النافع لأجل
الاحساس والعقل يضحي الاحساس لأجل النفع فكل من حب جمع المال وعدم بذله يكون العقل
مسيطر عليه وكل من يبذل المال لأجل رضى نفسه وغيره يكون خاضعاً لسلطة القلب . فحبة الأولاد
والقريب وهلم جراً تحض القلب نرى الانسان يضحي ماله لأجلها ويجب ان يكون غياً لأجلها وعندما
نقرأ بعض اقوال ابي العلاء المري نراها عظيمة اذا لاحظنا العقل وبعيدة جداً اذا لاحظنا القلب ومن
جملة قوله عن الأولاد وهكذا كل اقواله مقولة عذبة الاحساس .

لمعرك ليس بالاولاد خير
فأما ان تربيته عدواً
فطوبى للذي أضحي عقبا
وأما ان يربوه يتبا
فتبقى بعينه صبياً ابداً
وأما ان يموت وانت حي

وبالحقيقة لو تأملها الانسان بعقله يراها عاقلة للعقل لأن الرجل الذي يتعب ويشقى ويقع في كل خطر مهلك لأجل كسب المال فليس من العقل ان يضحي وبضحيه لميل صغير او مدح طفيف او لقصاء شهوة ولكن متى وصل هذا الميل الى القلب فانه يضحي بحاله وماله لأجل من يحبه فالبخيل والكرم صفتان مولودتان في طبيعة الانسان كما ان الاسمر خلق اسمرأ والابيض ايضاً فالبخيل مرض في القلب بل هو الداء المميت لهذا العضو الحساس فلا شفقة ولا رحمة ولا عفة مع هذا الداء . ترى البخيل عقلاً وفلسوفاً في كلامه واعاله متى كان من وراثها صرف الدراهم تراه قد اتخذ مبدأ وقاعدة قوله ادخر القرش الابيض لليوم الاسود . لا يضع الانسان الا دراهمه . قيمة المرء قيمة ما معه ليس من العقل ان تنفخ بمدبح او شفقة لتبذل دراهمك . وتتأهى البخيل في فلسفته وذكر اعذار واهية ولكنها مقبولة ومعقولة خصوصاً اعتذار ابي الاسود الدوتلي عن بخله وهو عذر لا ريب فيه .

يلومونني بالبخل جهلاً وغلطاً وللبخيل خير من سؤال البخيل

لم أجد عذراً أحق من عذر هذا البخيل لأنه يفضل البخل على طلبه شيء من بخيل .

العذر هو طريقة حقيقة او شبه حقيقة يقدمها الانسان ليخلص من ملامته وغالباً يختلفها بعد العمل والعمل هو الأصل والفاعل هو الاحساس فالبخيل يجد اعذاراً عديدة لبخله والكرم يجد ايضاً اعذاراً لكرمه ولكن ليست الاعذار هي المحركة بل الطبع أما الرجل المتوسط فيجب عليه ان يكون تارةً بخيلاً وطوراً كريماً حسب الظروف الحقيقة ان كل كريم محبوب وكل بخيل مذموم لان كل انسان يتأمل بالكرم وكرمه لان امه به يكون وطيداً وقد قلت من يريد يعرف قيمة الدرهم يستدينه من بخيل .

(من اسباب البخل)

ان للعادة تأثيراً عظيماً على الانسان فتى اعتاد الانسان على كثرة المصاريف لا يعود يبالي بها قلت او كثرت ويهون عليه دفعها فالرجل ذو العائلة لا يمكنه ان يتباخل كالرجل الذي لا عائلة له لذلك ترى اغلب عديمي الاولاد بخلاء لأن الذي يحب ولده يصرف عليه بسهولة وهذا الحب غير موجود عند الذين لا اولاد لهم وتتحول محبة اولادهم الى محبة الدراهم واللكرم وللبخيل سبب آخر وهو ان الذي لا يتعب بكسب درهمه يهون عليه صرفه بسهولة بعكس من يتعب بجمعه فالتاجر يفضل صرف الدرهم على الحاصلات بعكس الزارع الذي اذا ضفته يقدم لك افخر الطعام من خبز وفاكهة وطيور عن طيب خاطر ولكنك لو طلبت منه درهماً يتمتع عن اعطائه مع ان هذا الطعام يكلفه أكثر من هذا بكثير وما ذلك الا لأن المحصولات موجودة عنده بكثرة فلا يعرف لها قيمة وبالعكس ترى التاجر انه يهون عليه ان يعطى درهماً ولا يضيف احداً لأنه يعرف انه يشتري الخبز والخضر والدجاج بدراهم يعرف قيمته لذلك ترى أهل الجبال كرماء بضيافتهم بخيلين بعبائهم وأهل المدن ينفلون دراهمهم ولا يضيفون احداً وكل ذلك من

تأثير العادات قد أكثرنا من الفلسفة بهذا الموضوع فبالاختصار نقول ان البخيل بخيل من طبعه والكريم كريم من خلقه وهذه الحوادث الاخرى ما هي الا مثل صقل الحجر اذا كان قابلاً للصقل كالرخام يكون ناعماً ولو صقل حجر معتاد حتى صار يشبه الرخام بنعته فانه يظهر عند كسره وتعرف طبيعته فالتجارب هي وحدها التي تعرف الكريم من البخيل ولترجع الان الى موضوعنا الأول .

وقد مرض بخيل في آخر السنة وشاع خبر موته ثم شئ فقلت فيه :

تمنى يوسف الموت اقتصاداً وقبل نهاية السنة المجيدة
لكي ينجو بلا تلك لابن صباح الخير في السنة الجديدة

وقد توفي بطيريك متقم فراح البشر من انتقاماته ونظمت له هذا :

توفي بطرك الدنيا اغتيالاً وقد ترك البلاد وما وراها
وسلم نفسه لله طوعاً لمن الله لن يرضى يراها

وقلت في طيب حاهل :

أراد الموت تعبير الوزارة اتى الطاعون واحمى اليه
فلم يقبل بتلك ومذاته فريسد العصر قد خلعت عليه

(حرب الانسان) فترى الانسان مجتهداً دائماً لمناسبة ما يضره فهو في حرب دائم مع نفسه والطبيعة ولولا وجود الضرر لما وجدت الصنعة محربة قائمة دائماً أولاً ضد الطبيعة فكل من البرد والحر والهواء مضاد له ويعمل سبباً لنزع ضرره ثانياً ضد شهواته التي لا يمكنه مقاومتها اما لمجزه او لفقره او لسطة عليه ثالثاً مع مزاحميه على حاجات معيشته من انسان او حيوان .

وكان في بيت اسكنه اشجار من الشمس اللوزي والاكي دني وقبل انناول ثمرة ناضجة منها ارى الوطواط او الخفاش يزاحمني عليها ويأتيا ليلاً ويسبقني عليا وكنت افكر اني ادفع احرة هذه الجنينة واصحابها تعبت في غرسها واموال امرئها والوطواط مرتاح الفكر من كل هذا ويسبقني في اكلها فن منا اسعد من الاخر .

فالسعيد من كانت حاجاته أقل من قوته والتعيس من كانت قوته أقل من حاجاته فيتوهم الانسان مع مجزه وتعبه انه يستطيع ان يجد ما يريجه وهذا التوهم يؤديه الى الاعتقاد بالخلاص .

(الاعتبار قدر الحاجة)

كلما احتاج انسان لآخر يكون أدنى منه فالانسان في ذات يوم يكون كبيراً وصغيراً عدة مرار فانت يا طبيب لو احتجت الى اسكاف لعمل حذاء لك تقول له ارجوك يا فلان ان تصنع لي حذاء حسناً فان كان منهكاً في شغله يجيبك لا وقت عندي لعمله فانت في تلك الساعة محتاج اليه خصوصاً اذا لم يكن من اسكاف سواء وانت مضطر لحذائك فتتدلل اليه وتكون في تلك الساعة صغيراً وهو الكبير وبعد ساعة تصيبه نكبة في عينه فيأتي اليك ويرجوك لمداوانه فتفضل ما فعل معك وتتدلل اليك فتكبر عندئذ ويصغر أمامك فالكبير من قل احتياجه والصغير من كثرت احتياجاته . وحيث ان الاحتياج هو كل شيء فالصناعة تكون معظمة قدر الحاجة اليها فالطلب هو الصناعة التي تنشي الامراض وتريح من الأوجاع وهي أول ما يحتاج اليها الانسان ولذلك ترى صاحبها مكرماً وذا سلطة ولو وقية .

(نادرة مع والي)

طلبني احد الولاة في بيروت لميادة ابنه ومعالجة رمد في عينه فررتة وعالجته حتى شفي فأمر احد وكلائه ان يدفع لي اجرني فرفضت قبولها لأنني قلت بذاتي انني مها أخذت منه فغطاؤه لا يغنيني خصوصاً وانني أكون قد خدمت حاكم البلاد ويمكنني ان أكسب اعتباره وقد توجهت مرة الى دار الحكومة للمقابلة والوالي فوجدت عنده عدة من ذوات البلد واغنيائها والجميع جالسون امامه مكثين لا يهيمون ببنت شفة فلما دخلت عليهم وقف لي ودعاني الى جانبه فأخبرته عن حاجتي وخرجت وبينما انا واقف قرب الباب خرج أحد كبار الاغنياء وسألني عن كيفية تعرفي على والي وسبب اعتباره لي فأجبته لا نظن يا سيدي ان الاعتبار لا يكون الا للقي فقط أما تعرف اننا معاشر الاطباء معتبرون لصناعتنا أكثر من صناعتك فالواحد منكم ليتعرف على والي او عظيم يتكلف لدعوة يبدل فيها ما لا يقل عن الخمسين ليره وما ذلك الا ليزورك او يعرف اسمكم ولربما بعد مناولة الطعام يصيبه عسر هضم فيدعوني لمعالجته فأعطيه مسهلاً فيشفى فيكون ممنوناً لي من خروج أكلك أكثر منك من طعامه له واذا قلت له ان الطعام كان غير جيد وعسر الهضم يقول لي عفارم وعنك بازونك فما اعتراضك بهذا القول اجابني صدقت وانصرفنا .

(اركع وأدفع) وكان لي صديق يتقذ على الاكليروس في بلادنا ويذكر قلة نفهمم وانهم ضربة على رقاب العباد وهي أفكار يرتأيا كل واحد بالاكليريكي عديم النفع وكثيراً ما كان يساورني بأفكاره ولكن كنت أجيبه انه يجب على الانسان مراعاة الحوادث في ظروفها وهي اننا نعيش بالتأثيرات الدينية وان بلادنا بلاد الدين وبلاد التأمل والتصور الديني ومتى قوي التصور على العقل ظهرت المعجزات والمعجزة لا تزول الا باخرى وأقول ان المعجزة تصديقك للمعجزة فعلي الرجل العاقل الواجب عليه ان يعيش فيها ان يسير حسب هواها يلزمه استنشاق الهواء الحاضر لا للمستقبل يلزمه ان يلبس لكل حلة لبوسها والمساكين من تقدمت افكاره عصرها فهو الذي يكون الضحية الاولى . واني نظراً لهذه التجارب قلت لصديقي ان افكاره

كلها تذهب سدى فلا حيلة بذلك خصوصاً بين الطوائف الشرقية التي افرادها عبارة عن عائلة واحدة وكلهم يتسبون الى بعضهم ولكل منهم قريب او نسيب اكليريكي فلا يمكنك ابعادهم عنك لمخافتك الشخصية والاعجب عندما كنا نتباحث سوية في هذا الموضوع وهو محند جداً ويبرهن بعدم لزوم الاكليروس والا دخل علينا مطران الدبس فأول من رفع طربوشه وقبّل وركع فقلت في نفسي هذا هو البطل الذي يريد ازالة الاكليروس وما تجاسر عند دخول احدهم ان لا يقلع طربوشه ويركع فهنيت الاكليروس بفكرتي بهذا اختصار ثم نظمت له :

مــــا دام موت وامراض وتفليس	مــــا دام في الارض مطران وقسيس
ان شئت تغيير حكم فــــاتخذ وطناً	لا موت فيــــه ولا داء وتفليس
او اخلق الناس يوماً غير ما خلقت	ان كــــان يمكن للانسان تجنيس
مــــا دمت انت كما انت فلا فرج	فالعيش عندك تبوس وتكيس
اركع وادفع وصم صوماً وطع خيراً	وطــــاطي الرأس ان دقت نواقيس
هذي نواميس ارض انت ساكنها	وما لنا غيرها في الارض ناموس
نمسي اوامرهما في صحة واذا	جــــاء المات اتى ذلّ وتكيس
لا نمسي يا صاحبي جهلاً اوامرهما	فــــانت في العجز لا بغريك ابليس

فالدين للأوضاع الادبية كالورفين للألم الطبيعية فلا مسكن غيره .

(الخوري حنا كليزلوس وكيل بطريرك الموارنة في دمشق)

هو كاهن العصر كريم النفس محب الغريب والفقير وبالاختصار عكس الخوري موسى وكنت كل رأس سنة اعياده بشرع في سنة ١٩٠٠ ارسلت له الايات الآتية وكان لي سنة من الزمان لم ار منه تحريراً :

فــــاطعت عامماً فخلنا	الفــــأ مع التعايبة
فــــدم برغبت فــــهذه	لشاكركل عــــايبة
ودم لغيري الفــــأ	لترسلن الف صايــــبة

لان كل سنة كانت تطلب منه الصايات الى المطارنة .

وقد نال الوسام المجيدي الثالث فأرسلت له هذين البيتين :

قد حلّ فيك من الاله الثالث	وعليك من شرف الخليفة ثالث
ارجو الاله بأن فما يبتا	ابدأ ودومساً لا يحل الثالث

وفي تلك السنة أرسلت إليه هذين البيتين :

وغيري شاكر ابداً كذا الخوري كذا النوري
وغيري لا تری احداً دواماً شاكر الخوري

وهنأت به الخليل العشرين فقلت :

ادامك الله جيداً كذا تقول الشاب
هذا الدعاء متحيل لكنك تستطيع

الدرهم النقدي

بعد التفكير وجدت ان الدرهم النقدي هو كل شيء في الحاضر بخلاف المستقبل مثلاً ان الدرهم النقدي لا بد ان تنقص قيمته كما جرى في الماضي فقد كان قانص المائة اربعين او اربعة وعشرين غرشاً سنوياً وأصبح الآن بالمائة تسعة قانصاً وربما نقص عن هذا القدر والمادة التي كانت تقابله قد ارتفع سعرها فقد القمح كان بعشرة غروش وأصبح الآن يساوي عشرين غرشاً فيستدل من هذا ان الدرهم النقدي نقصت قيمته وزادت قيمة الحاصلات والصنائع ومثل الذي ينخر ماله نقدياً مثل مسافر في البحر وصاحب الاملاك كالمسافر في البر نعم ان سفر البحر اريح ولكن لو غرق لذهب مع ماله أما المسافر برأ فلو انه يتجشم المشاق ولكنه يكون آمناً انه لو سقط وكسر رجله او رضى ذراعه لبقى له أمل بالنجاة ورخصه ناشيء ايضاً عما يخرج من الذهب سنوياً من الارض الذي يقدر بجليار فرنك الذي يتراكم مع القديم الذي لا يأكل .

(سعدا الدوماني)

هي زوجة صديقي الخواجه حبيب دوماني صاحب الكرم والزماء لم يتفق وجود الباشاة واللفظ والذكاء والوداد وكرم النفس والاعلاق الرضية الا مع السيدة سعدا الدوماني عفيفة الخواجه حبيب الدوماني وكريمة ايوب ثابت من بيروت اعطتني صورتها فكبت عليها هذه الايات .

ملاك اني فالشمس عند نزوله الى ارضنا ابعدت لصورته رسماً
وقالت خلّوا عنها المحاسن والها ولا تذكروا من بعد سعدا لكم اسماً

(جميل بك ابو نكد) رجل صادق علموه شهامة ومروءة وشرف نفس وقد اختبرته وعرفت فيه هذه الصفات وقد طلب مني صورتي فاهدته اياها وقد حررت له عليها الايات الآتية :

انت الجميل فلا جميل لي اذا همام الفؤاد بجبكم والخاطر
فماذا قبلت محني فلك الثنا مني ورسمي من جميلك شاكر

وقد قلت في تشبيه الناس بالقراطيس ما يأتي :

الناس عندي قراطيس وقيمتها بقدر ما يحتوي بطن القراطيس

فالحقيقة يوجد فرق ما بين ورقة قيمتها عظيمة وبين ورقة تُظلم فيها بيت من شعر بليد .

المدرسة الطبية الفرنسية

كان أول درس في ١٥ تشرين أول سنة ١٨٨٣

ان الذي سعى بتأسيس هذه المدرسة هو الأب نورمان رئيس الآباء اليسوعيين وساعده على ذلك الموسيو بريمونيو فحصل جنرال فرنسا في بيروت بمصادقة الدولة العلية أخيراً اعتمدت الحكومة الفرنسية على تأسيس هذه المدرسة وسلمت ادارتها الى الآباء اليسوعيين الذين يتخبون المعلمين والحكومة الفرنسية تصادق عليهم .

(اليسوعيون)

لا اذكر هنا تاريخ الآباء اليسوعيين ولا قوانينهم وما عملوا وما عمل لهم في الدنيا غير اني اذكر ما شاهدت منهم وما عرفته فيهم مدة اثني عشرين سنة فأقول ان اليسوعي هو رجل قانونه لا يتعداه ولا يسمع لأحد ان يعتدي عليه رجل العمل نظير السكة الحديدية لا بد لها من المسير وكل من يقاومها تسحقه ولا تبالي به ولا تدع شيئاً يعيقها في سيرها ولو قصر قليلاً رئيسهم الأكبر بواجباته لأنزلوه عن مركزه ونصبوا سواه فالكبير فيهم لا يكلّ عن العمل ولا يحيد عن طريق واجباته وهذه السلك الحديدية تمشي بلا ضجة ولا صغير حتى لا تعرف اذا كانت سائرة او واقفة وتجّر معها كل من يتعلق بها وتحرك هذه السكة هي الساعة فأنتا توقفها وتحركها والجميع خاضعون لها فتى دقت الساعة لعمل ما يتحرك لصوتها كل عامل ومتى دقت للوقوف وقف جميع عالمها كل منهم ينسى نفسه لخدمة الجسم كله ولا يعرف الا المصلحة العمومية فيتجرد عن كل شيء في العالم لخدمة مصلحته لا يعرف اباً ولا امّاً ولا اخاً ولا صديقاً واليسوعي

هو الوحيد الذي اتبع وصية المسيح بقوله دع الموتى تدفن موتاهما وهو الذي يكرس فكره وذاته لنجاح مصلحته وعمله العمومي ويحمل صلياً ويتبع سيده .

اليسوعي عامل لا يكل من التعب ولا تراه قط بلا عمل الا مدة النوم ومن يعلم ماذا يشتغل ساعة نومه وفي ساعة العمل لا يفرق بينهم الشاب من الشيخ ولا نجد ياسوعياً يمشي على مهله بل بكل سرعة ممكنة فلو جردنا كل الرهبانات عن ثوبها الرسمي ومشت لعرف اليسوعي من مشيه عنها وخصوصاً متى كان اكليركي شرقي ولا غرو من ذلك لأن مشي اليسوعي مشي عسكري وباقي الرهبانات مشي فضاة وأعضاء مجالس يشتغل الواحد منهم ان كان جالساً أو قائماً اما بالقراءة او بالعمل او بالكلام ولا يدع لذاته دقيقة يفكر فيها بنفسه كل منهم رئيس في عمله ومتى انتهى منه يخضع لرئيسه وبالاختصار هم رجال الكد والجد والعمل لا يرهيم شيء الا مخالفة قانونهم ومتى ابتدأوا في عملهم فلا احد يؤخرهم عنه متبعين بذلك قول رئيسهم الاعلى القديس اغناطيوس دي ليولا قبل ما تعمل عملاً اتكل على الله ومتى ابتدأت به اعمله كأنه لم يوجد فانظر الى هذا الاجتهاد ما ابعد مرماه .

لست احتاج ان اذكر ان يوجد عندهم جميع العلوم والصنائع وما يلزم للانسان والاغرب فيهم ان عددهم في الدنيا لا يتجاوز ١٣ الف يسوعي من كل الملل والاجناس ولكنهم كلهم كرجل واحد لا يفرق بينهم جنس ولا وطن ولا لغة يجمعهم لقب واحد يسوعي تصور شخص في العالم له ست وعشرون الف عين وست وعشرون الف اذن ومثل هذا العدد ايدي وأرجل وثلاثة عشر ألف لسان فن يضاهيه بقوته وهذه الاعين والايدي ممتدة الى اربعة اطراف للصور وهي بالحري لتلغز بلا شك توصل الاخبار الى بعضها من كل ناحية ولست أذكر شيئاً عن مداخلاتهم بين الناس اذ لا توجد مدينة عظيمة من العالم الا ولهم اخوية او عميل فيها .

المعلمون حسب حضورهم

فالذي حضر أولاً هو روفيه معلم الولادة وقد علم في السنة الاولى التشريع ثانياً سنس ابتدئ بتعليم الجراحة الصغرى وكان ابتدئ الدروس في ١٥ ت ١ سنة ١٨٨٣ بأمر تلغرافي حضر من باريس وبعد ذلك حضر نكر معلم التشريع وديران معلم الامراض الباطنة وفلافار وعندما ابتدئ سنس بالجراحة الكبرى وما عاد امكنه يعلم الجراحة الصغرى طلب معلماً لذلك وحيث كنت موجوداً في المستشفى الفرنساوي كما قلت مع سنس من سنة ١٨٧٩ دعاني رئيس المدرسة الاب لوفافر والشنليه الاب مرسله بناء على قرار المدرسة ومصادقة فصلاتو فرنسا الذي كان يومئذ موسيو بريمونيو ان أكون معلماً للجراحة الصغرى وحيث لا يوجد بين المعلمين من يدرس الامراض العينية وكنت مشهوراً بها عينت ان أكون معلماً للأكلينك العيني ايضاً وابتنى درسي سنة ١٨٨٥ وفي سنة ١٨٩٥ اتعمت على دولة فرنسا بنشان الاكادمي مثل باقي المعلمين وها هي المعاملات الرسمية . حضر لي أولاً هذه التذكرة من القنصل الجنرال .

BEYROUTH Samedi 6 Avril 1895

Mon cher docteur Chaker Khouri.

Je m'empresse de vous donner une nouvelle qui vous fera plaisir, sur la proposition du Consulat général, vous êtes nommé officier d'academie, le brevet vous sera transmis officiellement.

Mille félicitations et croyez moi votre tout dévoué.

L. Saint René Taillandier.

هذه ترجمتها بيروت السبت في ٦ نيسان سنة ١٨٩٥

عزيزي الدكتور شاكر الخوري

تراني مسرعاً باخبارك خبر يسرك جداً وهو ان القنصلاتو الجزائالية طلبت تسميتك اوفيه داكادامي
وقد تسميت وستصلك البراءة رسمياً أقبل مني ألف تهنة واعتقد انني مخلص جداً .

من رنه تالنديه

Consulat Général de France en Syrie
BEYROUTH, 8 Avril 1895

Monsieur

J'ai l'honneur de vous informer que sur la proposition de Mr. Jullemier gérant du consulat général de France à Beyrouth appuyée par Monsieur Cambon, ambassadeur de la République à Constantinople et par moi-même, le ministre de l'instruction publique et des Beaux-arts, vous a conféré les palmes d'officiers d'academie en récompense des services que vous avez rendus.

Monsieur le docteur Chaker Khouri professeur à la faculté de médecine de Beyrouth.

A l'enseignement comme chargé des cours de la Faculté de médecine française de cette ville.

Vous trouverez ci-joint le brevet de cette décoration, délivré à la date du 8 Février dernier.

Il m'est particulièrement agréable Monsieur d'avoir à porter à votre connaissance cette bienveillante décision du gouvernement de la République, et en vous adressant mes plus sincères félicitations pour la distinction dont vous venez d'être l'objet, je vous prie de recevoir l'assurance de ma considération très distinguée.

L. Saint René Taillandier

(ترجمته) قنصلاتو جنرال فرنسا في سوريا بيروت في ٨ نيسان سنة ١٨٩٥

سيولي الشرف ان ابلك انك حسب طلب مسيو حليمه وكيل قنصلاتو جنرال فرنسا في بيروت وعضد

مسيو كامبون سفير المشيخة في الاسنانة لهذا الطلب وعضدي ايضاً قد سماك وزير المعارف والصنابع اوفسيه
داكادمي مكافأة لما اديته من الخدمات .

(مسيو الدكتور شاكور الخوري استاذ في المدرسة الطبية في بيروت) بتعليمك في المدرسة الطبية
الفرنساوية في هذه المدينة وباطنه براءة هذا النيشان المعطاة في ٨ شباط الماضي .

وانا منشرح جداً بتبليغك هذا القرار الحسن التي عملته حكومة المشيخة ومع تقديم اخلص التهانئي
بهذا الامتياز الذي كنتم موضوعه ارجوك ان تأكد اعتباري الفائق جداً .

صنرته تلنديه

وهذه البراءة هي

REPUBLIQUE Française

Ministère de l'instruction publique des Beaux-arts et des cultes.

Le ministre de l'instruction publique des Beaux-arts.

Vu l'article 32 du decret organique du 17 Mars 1808.

Vu les ordonances royales du 14 Novembre 1844, 9 Septembre 1845 et 1 Novembre
1846 vu les decrets de 9 Décembre 1850, 7 Avril, 27 Décembre 1866 et 24 décembre
1885.

ARRETE

Monseigneur le docteur Chaker Kouri, professeur à la faculté française de Beyrouth, est
nommé officier d'Academie.

Fait à Paris le 8 Février 1895

Le Ministre de l'instruction Publique
des Beaux-Arts et des cultes

Pour ampliation
Le chef du Cabinet
Signé

B. POINCARÉ

وهذه ترجمتها

المشيخة الافرنسية

وزارة المعارف والصنائع والاديان

قد رأى وزير المعارف والصنائع والاديان .

مادة ٣٢ من النظام الاساسي ١٧ آذار سنة ١٨٠٨

والأوامر الملوكانية في ١٤ ت ٢ سنة ١٨٤٤ وتسعة ايلول سنة ١٨٤٥ وأول ت ٢ سنة ١٨٤٦ .

وقرارات ٩ ك ٢ سنة ١٨٥٠ وسبعة نيسان و٢٧ ك ٢ سنة ١٨٦٦ واربعة وعشرين ك ٢ سنة ١٨٨٥

يسمى

مسيو الدكتور شاكر الخوري استاذ في المدرسة الطبية الافرنسية في بيروت

اوفيه داكادمي

اعطي في باريزي ٨ شباط سنة ١٨٩٥

وزير المعارف والصنائع والاديان

بوانكاره

ريس الاوضة

الامضا

وهذا النيشان من فضه بشكل نخله وله شريط بنفسجي

وعندما استلمت هذا النيشان اخبرت عنه الأب كلره الذي كان يومئذ ريس مدرسة الطب Recteur

وريس عام للرهبة اليسوعية في سوريا .

وكان يومئذ في تعاليل فحرر لي التحرير الآتي :

TENAIL 12 Avril 1895

Mon cher docteur,

Je vous remercie de la nouvelle que vous m'avez annoncée, et j'envoie mes plus cordiales félicitations au nouvel officier d'academie.

C'est une distinction que vous avez bien méritée par vos années de service déjà longues et par le dévouement que vous apportez à remplir les fonctions que vous a confiées l'administration de l'école fière de vous compter au nombre de ses professeurs.

Veuillez agréer mon cher docteur l'assurance de mes sentiments dévoués

E. CLAIRET S.J.

تعاين في ١٢ نيسان سنة ١٨٩٥

العنوان الى الدكتور شاكر الخوري استاذ في المدرسة الطبية
الكاثوليكية الافرنسية

عزيزي الدكتور شاكر

اشكرك لتبشيري بالخبر المحرر عنه وأقدم التهانى الى الاوفسيه داكادمي الجديد

وبكل استحقاق نلت هذا الامتياز نظراً للسنين الطويلة التي خدمت فيها وللغيرة التي أظهرتها بانعام
الوظائف التي سلمتها لك ادارة المدرسة التي نفتخر ان تملك من جملة اساتذتها .

أقبل يا عزيزي الدكتور تأكيدات احساساتي الغابقة

كلره

وحيث ان النظام عندما ينال أحد نشان من دولة أجنبية يلزم له الرخصة بحمله من دولته فقد قدمت
لتصرفنا نعم باشا عرضحالا بذلك فحضر لي الأمر الآتي وهو
الى الدكتور شاكر افندي الخوري

متصرفية جبل لبنان

تحريرات عريية قلم

عدد

٢٠٨

رفعتلو افندي

بناء على استدعائكم صار تقديم الانها لجاناب مقام الصدارة العظمى بشأن تعليق نشان اوفسيه
داكادمي المعطى لكم من طرف دولة فرنسا فحصل التشرف بأمر سامي مؤرخ في ١٧ ذي الحجة سنة
٣١٢ و٢٩ مايو سنة ٣١١ غمرة ١١ يعلن بالامر الوسم بأنه لدى الاستئذان صار شرف صدور الارادة
السنية الملوكانية بالرخصة بتعليقه وعليه مع اظهار محظوليتنا بهذه المنحة وارتياحاً للتبريك بها اقتضى ترقيم
هذه الشقة المخصوصة بها .

في ١٠ محرم سنة ٣١٣ و٣٠ حزيران سنة ٣١١ الختم نعم

وبعد خمس سنوات نلت من مشيخة فرنسا نيشان اوفيسه دانستريكيون بيليك اي نيشان مجلس المعارف وهو بيعة الأول لكن من ذهب وهو أعظم نيشان للعلماء .

وقد طلبوا لي الجييون دوتر مرتين كما انهم طلبوا لغيري من المعلمين جملة امرار ما أحد ناله الا الدكتور دبرن لأنه طبيب صحي لفرنسا وقد ناله الدكتور روفيه ايضاً الذي استضى سنة ١٩٠٦ .

وباني المعلمين المذكورين في تاريخ المدرسة كاللكتور هاش الذي حضر محل سنس وكذلك بويه الذي توفي وكذلك لابورتديه ومن الياسوعيين الأب مرسلية الذي كان شئليه ومعلم الطيبة وهو الذي عمل جميع بنايات المدرسة وعمل ترتيبها ودروسها واليوم يمشي بموجها وابتدى في المكتبة وصار مرتين شئليه هو من الرجال الياسوعيين العظام وكذلك الأب فنس الذي كان يعلم التاريخ الطبيعي وتوفى وعمله الأب بولوا الفاضل وكذلك الأب كولنجة والمعلم الأب سولرن .

(دبران) معلم البتالوجيا الباطنية أي الأمراض الباطنة اشطر المعلمين سياسة ومكسباً وكان يمزج معي احياناً .

(نادرة معي)

توجهت يوماً الى المستشفى لاتيوجه مع دبران لعيادة مريض من بعدا وكان موجوداً تلك الساعة في الاكلينيك مع التلامذة وكان يعاين مريضة مصابة بالثرة الصدرية وفي عينا مرض غير ذي بال وبعدما اتفقنا على الوقت الذي نذهب فيه لعيادة المريض خرجت فناداني وقال لي تعال انظر اذا كان يقتضي قلع عين هذه المرأة وضحك فأجبت اذا بقيت حية ليوم غداً ننظر في امرها فضحك وضحكت التلامذة .

وأناته يوماً مريض فقال له يا دكتور انني كاثوليكي وابن الكنيسة فأرجوك ان تعالج لي البواسير التي معي ففحصه ورآه مصاباً بزوائد زهرية فقال له يا صاحبي ان كنت كاثوليكيّاً فليست بواسيرك كذلك .

(الأب كاتين)

(ريس المدرسة الحالي) هو الذي جعل مدرسة الطب على ما هي عليه الآن مدرسة حقيقة لأن قبل توليه ادارتها كانت التلامذة تذهب الى الاساتذة لنوال الشهادة فاخيراً تحصلوا على ارادة سنية ان يتوجه كل سنة ثلاثة من اساتذة مدرسة الطب في الاساتذة مع المعلمين الثلاثة الذين ترسلهم جمهورية فرنسا لفحص التلامذة واعطاءهم الشهاداتين العمانية والفرنسية .

وقد ألف الأب كاتن جمعية طبية تجتمع فيها التلامذة القدماء مع المعلمين كل سنة ويقدم كل منهم تقرير طبي بما رآه وجد عليه علماً وقد نظمت له هذه القصيدة بأول اجتماع الذي كان في ١٨ ايار سنة ١٨٩٩ في الحلقة الصومية :

في حيرة واضطراب القلب تلقاني
كأن قولي من زور وبهتان
ويميس الوجهه من مدح وشكران
والطف الخلق في استقبالي انسان
ولا يرى شاكرأ في وجهه غضبان
ضد التواضع في تمسداد احسان
وخشاني الصبر في صمتي وكثاني
ام هل أكدر نفسي طول ازماني
ولم يعد ابداً صمتي بأمكناني
ان لم يكن عاذري فالحلم غفاني
كي لا اجرح نقواه بعرفتي انسان
من ترجم الشعر في تكديره جاني
لكنني ذاكر تاريخ اوطاني
لطب من بعد اتعاب وخسران
وضمّ مسا بين فيلكس وسلطان^(١)
حتى بثت مبداه ببرهاني
من كسل مرد فرنسي وعثاني
تجلسه في الوري ارباب اديان
فالفضل في كل ذا للأب كاتان

ما بين ملحي وزهد الأب كاتان
اذا ملحت ناه بات في خجل
بحمر وجهأ اذا عدت فضائله
مع انه لبشوش الوجهه مشتهر
سكت عن مدحه كي لا أكدره
ولا يظن بأنني قد اجره
سكت حتى سكوتي كساد يزعجني
أصبحت في حيرة هل ان أكدره
لما أتى عيده قد خاني جلدي
قدمت شعري ليديه اليوم محتزراً
مدحتنه بلسان ليس يعرفه
ان كان من بعد حين بات يعرفه
مع كل هذا فأني لت امدحه
فكتب الطب لولا فرط همته
خاض البحار وجاب البر مجتهدأ
وكم أنت بفصيح القول غيرته
لقد غدا مكيبأ في الترق معترأ
مذ بات لاون من عرش يباركه
ان كان مكيننا الطبي في نعم

وكتب لي يوسف ابو سليمان معلم البيان في كلية القديس يوسف للأباء اليسوعيين هذين البيتين بعد تلاوة هذه القصيدة :

نظم القواني طالساً بالياً
فهي وحقك طرفة في بياها

فه درك شاعراً متحريراً
اما القصيدة في مديح رئيساً

(١) هو فلكنس فور رئيس المشيخة يومئذ .

(استغفاني من مدرسة الطب)

بسبب نزلة صدرية أصابني سنة ١٩٠٥ تركت الشغل مدة ثم رجعت السنة الثانية اليه واخيراً اشعرت بقلة جلد وضعف في الجسم فقدمت استغفاني وقد قدم الدكتور هاش استغفاء ايضاً في هذه السنة ١٩٠٨ تنأسف لمفارقته هذه البلاد لأنه جراح عظيم .

وقد العلوا بطدي درسي في الجراحة الصغرى واعطوا الاكلينيك العمي الى تلميذي ابراهيم افندي المدور معاون للدكتور دبران وهو من الاطباء الماهرين بالامراض الباطنة .

(الخوري يوسف ذيب) عرفت هذا الاب شامساً وكان اسمه حنا ذيب يعلم في مدرسة اليسوعية وهو راعي الاولاد وي ١٥ كانون ثاني سنة ١٨٩٧ سم كاهناً وقدمت له هذه الايات :

رجــال يسوع اضحوا	اعجوبــة في المساعي
وخير معي اتــوه	تغير نسل الــافــاعي
لو ارشدوا اليوم ذبــاً	وكان قــاسي الطــباع
لوعظهم « حــنا ذيب »	وأصبح اليــوم راعي

ودعي حنا ذيب باسم الخوري يوسف ذيب .

(الخوري اغناطيوس جعجع) هو مثال الآداب وانموذج الكهنة الطاهرين قد خلق ليكون كاهناً وهو وديع لطيف ذو مروءة وغيره يحب الفقير ويعتبره له سمعة جيدة وهو مدرس في كلية القديس يوسف للآباء اليسوعيين .

(مهندس الطرقات)

وكان احد مهندسي الطرقات يفتخر في صنته ويفضلها على كل صنعة حتى الطب وكان ذلك أمامي فخطر لي هذا المضى فقلته له نظماً :

اذا صعد الحمار على جــال	يــندس طرقهــا وهو يسير
فهذا مهندس الطرقات اصلاً	وما زالت تــندسها الحمير

فبالحقيقة ان الحيوانات هي التي هندست كل الطرقات الجبلية لأن الانسان يمشي على القادومية كما

يقول وعندما كنت في مصيفي في جبل طورا وكانت طرقاته عسرة المسلك افكرت ان اصلح بعضها فأرسلت لذلك فلة مع وكيل عليهم

فذهبت في اليوم الثاني لأرى الشغل الذي وجدته كالمدم فاخيراً اخبرت الوكيل ان يسوق حماراً ويتبعه ويحفر وراءه وعند انتهى الطريق يرجع ويشغل على الحفر ففعل ذلك وكانت أحسن طريق وهذا معقول لاننا نهندس الطريق لأجل تسهيل مرور الحيوانات عليها فالحيوان يعرف الطريق التي يستررع بسلوكها أكثر منا فتراه يمشي ويدور حسب راحته فاذا لا يلزم نستخف بالحمار ولا يلزم ان يتكدر من نقول له حمار لأنه عرف انه أول مهندس الطرقات واذا فحصت ترى جملة اشياء عملتنا اياها الحيوانات خصوصاً الطيب فالذي علمنا الحققة هو طير البجع ومستكشف الكينا هو الأسد والذي استكشف خواص اللبن هو الخنزير ومثله الضفدعة استكشفت الكهربائية وهكذا اذا فحشنا عن كل شيء ترى الحيوانات اسانذتنا ما عدا الكذب فانه من اختراعاتنا لأن عندما الانسان ابطل الزراعة والفلاحة ابتدى يكذب ويشغ الفلاح لأخذ غذاءه منه لأن الغذاء هو أصل كل شيء .

(الدني والفقر من عمل الانسان)

العقل قوة يميز بها الانسان النافع من المضر والخير من الشر وجلب النافع وابعد المضر اولاً عن الانسان نفسه ثم عن الهيئة العمومية وعندما اعطانا الباري هذا العقل اعطى لنا الحرية لاستعماله فالعقل هو موهبة من الله وأما نتيجة استعمالك له للخير وللشر للنفع وللمضر فهو منك مثلاً .

قلما اجتمع الانسان على هذه الهيئة الحاضرة كان كالوحوش في عيشته ولآن ترى شعوباً يعيشون على هذه الحالة فكان الانسان يأخذ غذاءه من أي محل كان من الارض ويشرب مائه من أي نبع كان وينام في محلات مخصوصة التي تقيه من البرد والحار فبالطبع ان محل سكنه لا يتوقف بقرب محل غذاءه وشربه فكان يأكل في محل ويشرب من محل آخر وينام في محل ثالث فلأجل ذلك كانت تلزمه الحركة فاذا ما تحرك يموت جوعاً فكان يلتزم اذا كان نائماً وعطش ان ينهض من محل نومه ويذهب ليلاً لـ محل الماء وهكذا في الغذاء وعندما وجد حاله تيباناً في هذه الحالة وبالصدفة وجد حجراً مجوفاً فيه قليل من الماء وكان الحجر صغيراً يمكنه حمله افكر ان يأخذه معه الى منزله بحيث اذا عطش ليلاً يشرب منه ويوفر تعب السفر عليه ليلاً ففعل ذلك وهكذا عمل في جمع الغذاء بحيث استراح جداً وكان لهذا الرجل جار لم يشأ يفعل ما عمله جاره فكان يتعب ويشقى واذا احتاج الشرب في احدى الليالي به حتى جاره ليعطيه قليلاً من الماء فصار في هذه الحالة ادني من جاره الذي تسلط عليه باحتياجه له بفضلله . نيه لموزة وهكذا صار فكل من يسد عوز اخر خصوصاً بالاكل والشرب فهو أكبر منه لا محالة .

فيستج من ذلك ان الغني والفقر من يد الانسان لان صاحب التدبير اغتنى واراح فكره وصاحب

الاهمال وعدمهم الادارة افقر وتعب فاذا يخص الباري من ذلك فانه اعطاك عقلاً مثل جارك لماذا لم تتدب به فاذا ما كان عندك قوة عقل مثله للاختراع فهو يظهر لك الطريقة لماذا لم تفعل مثله فيكون اذا راحتك وشقاك من يدك فلتنجاح طرق وللخسائر طرق وللانسان الحرية التامة في استعمال احدهما فالشيء يكون شقياً من يده والمتراح كذلك ربما يمرض ان كثيرين ممن يتعبون ولا يمدون توفيقاً نعم ان ذلك حقيقة ولكنه نادر وأغلب النجاح هو المشي على طريقه حاصله انظر الى أين اوصلنا الحمار بسبب هندسته وهذا يعلمنا ان الانسان لا يلوم الا نفسه ولا يتشكى من الخالق ويصح القول الذي هو خلاصك في يدك يا اسرائيل فاذا مشيت على طريق النجاح ولم تنجح فلا ملام عليك ولا تلوم نفسك لان اللوم بالقصير هو قصاص للمذنب وهذه هي جهنم له .

(اسعد بك لحود)

شاب زكي لطيف جميل الطلعة وهو أكرم أهل زمانه مألأ وجهاً مروءة يفدي نفسه وصالحه لخدمة اصحابه طلق المحيا ذو غيرة عظيمة حاد الطبع لا يفش ابداً ولا يكتم حقداً وكان عضواً عن كسروان في مجلس ادارة لبنان وكان بمنزلة مضيافاً كريماً وعقيلته هي ابنة عمه وهي على غاية ما يكون من الجلال والكمال كريمة الاخلاق لطيفة المعاشرة بشوشة الوجه طليقة المحيا ذات جلال بديع على وجبتها صفان من الخالات وهي تتجاوز السبعة على كل جهة كأنها صور تحيط بورد الخد وهي تدعى روزة وهو لفظ افرنجي معناه الورد .

وقد حررت على صورة السيدة روزة هذين البيتين :

لرؤزة اسمعـد في الخـد ورد	له صور من الشامات يعبيد
فن قد شامه اضحى سبيداً	ومن قد شته لا شك اسمعـد

(غيره)

لرؤزة في الخـدود بيّ روض	تقيم به العبيد على الخدود
لتحرس ورده من كـل لص	فهل لي ان أكون من العبيد

واسعد بك من الذين توجهوا الى الاساتذة من قبل لبنان في يوبيل مولانا السلطان الاعظم ونال المتول بين يديه وهو قائم مقام جزين الآن .

قنصلية جنرال دولة فرنسا في بيروت

أول من عرفت فيها بتريمونيو وترجانها الأول مسيو روسو ثم لا بيتيفيل ومسيو كيو وكذلك مسيو سترنه
تلنديه ومسيو جيلميه ثم بعده المسيو سوار الذي اهداني صورته مع صورة قريته التي نظمت عليها :

ان شمننا رحت كمال جمالك فقلوبنا رحت جال كالك
اشقت قلب النساظرين وطرفهم وجال وجهك صدقي فيها لك
لا يختشون سوى بهادك عهم وكذا اذا انكسر وأفن امالك

وأعطني صورة ولديها متعاقين فكبت عليها :

سمعننا من قلدبم عن ملاك بشير مع ملاك قد ترافق
وقبل بني سوار ما سمعنا ملاك مع ملاك قد تعانق

وقد حررت على صورته ومعه عدة وسامات :

هكذا الوزير سوار للورى عضد وما علا صدره برهان برهاني
لو صوروا ما حوى في صدره ادباً لكان يعلو سوار فوق تيجان

وخلف موسيو سوار الكونت دي سره ومعه مسيو بيان ثم حضر مسيو فوك دي بارك مع مسيو كامبانيا
الذي انتقل اليوم للوزارة مع مسيو بيان .

(فوك دي برك) ولد سنة ١٨٦٣ وسنة ١٨٨٦ توظف في سفارة برلين سنة ١٨٩٩ كان محرر الادارة
السياسية في الشرق الأقصى ثم كاتم اسرارها من الدرجة الاولى سنة ١٩٠٠ ثم وكيل قنصلاتو جنرالية
بيروت سنة ١٩٠٥ وهو زكي راق كانه ليس بافرنسي معتدل اللهجة متأنى يسمع كلامك وبينه يفحص
هيشك لا يصدق كل الكلام بسهولة بل يفحصه في فكره وبالاختصار انه من المهمين ومدامته من عائلة
الدكتور هاش .

(رئيس محكمة مديون مفلس)

(اعرابه)

ما فيه من رفيع سوي رفيع الشوارب وهو لاحس

مفني على نعب وقـــــدد كسروره في كـــــل المجالس
وبه علامـــــة جزمـــــة لسكونـــــه بين التواعس

(مجلس حكمه)

واذا نظرت جنـــــابـــــه في ذكـــــة الاحكام جـــــالس
فترى الجموع بضجـــــة لدخولهم قبل الدماس
يتراحمون بيـــــابـــــه لــــديونهم والشهم عـــــابس
هـــــذا يــــدفش جـــــاره ويقول دوري وهو داعس
هـــــذا يطالب مـــــاله عند الرئيس عن المـــــالس
هـــــذا في حق الطحين وغيره حق المكـــــانس
لو كان يــــدفع دينه قتلوا المحاكم والمجـــــالس

(حالة الشعر)

لا يــــدد للشعر خصم ان كان مدحاً وذمـــــاً
اذا مدحت فلانـــــا فنضمـــــه صار خصمـــــاً
اذا هجوت عـــــددوا عليك قـــــد بـــــات بجمي
اذا تغزلت يومـــــاً قـــــالوا تهكت رضمـــــاً
قـــــالوا جنت سريـــــاً اذا نغمست لـــــا
اذا افتخرت بـــــاصل قـــــالوا تكبرت ظلـــــا
بقـــــال عنك كـــــدوب ان قلت أعمى لاعمى
دع عنك شعراً وأنزع من قلبك اليوم هما
واصبر على كـــــل عيب وكن بليـــــداً اصـــــا

(نغميس)

اعمار وميض برق بـــــارق ثغره وشهب السدري أصبحت عقد نغره
ودر الثريا قد احاط بخصره أضاف السدجى معنى الى لون شعره
فطال ولولا ذاك ما خص بالجر
وقد خفنا من كسر القلوب اذا رنت بكسر جفون فائقينا وما انتقت
ظننا بنون الحاجبين قد انوقت فحاجبه نون الوقاية ما وقت
على شرطها فعل الجفون من الكسر

والأصل سريــــــــــــان والايان موراني
من كل جنس ولو كانوا كجبراني
والسود تبغضني والفرس تهزاني
لو كان ايمانسه في الدين ايماني
يقول في قلبه ذا الوغد سرياني
يقول في سره ذا الكلب نصراني
يقول يا لته قد كان يوناني
يقول في قلبه هذا لغتاني
نادى اعوذ بربي ذاك روماني
قالوا بأنّي فلاح ولبناني
لا العدل يحفظني من مذهب ثاني
وتحب اليوم افضالاً لانسان
يقدمون الفتى قدراً لاحسان
صفيرة او بسدين غير اديسان
او مــــــــــــأكلي دون سكين لالوان
والأرض ارضي والانسان اسناني
يضرّ انسانسه بالحق ينهاني
لــــــــــــه عليّ حقوق الكراه والجاني
اذا اساء ابيــــــــــــاديه بغفران
هذا هو الدين والدينا للانسان

الله اوجدني في أرض لبنان
أصبحت مضطهداً من كل طائفة
ان قلت سريان فالاعراب تبعني
اما الفرنجي فودي لا يصدقه
او شامي عربي في نهى وذكــــــــــــا
او شامي مسلم في الجاه مفتخراً
او شامي ارثوذكسي فــــــــــــاعجبه
اذا لقــــــــــــاني فرنجي ومــــــــــــازحي
ان البروتنت ان يــــــــــــابلقه سحرا
اذا اتيت لصيــــــــــــدا واشتريت بها
لا العلم يفعني لا العقــــــــــــل يرفعي
اين البلاد التي تحنو الى أدب
من دون جنس ودين او بلا وطن
ما السذب لي ان يراني الله في بلد
او كان لبي طريوشاً وكوفيــــــــــــة
فالرأس رأسي وكفي لي غدت وكذا
لو كان أكلي بلا سكين مصطحاً
لو كان ديني ينادي كي اضر به
لكن بالمعكس ديني قد يعلمني
لــــــــــــه عليّ يمين لا اضر به

(وقلت الى صديق اتاه لقب باشا)

وهو فريد باشا باباز اوغلي مدير الاشغال العمومية في مصر وهو ابن ايوب باباز اوغلي الشهير في القطر
المصري بكرم الاخلاق وقد نال رتبة ميرميران فحررت له هذه الايات وهو عديل اخي الدكتور أمين زوج
السيدة كليوترا .

بــــــــــــل سروراً وبهجة واتمــــــــــــاشا
زدت حباً وداعــــــــــــة وانكــــــــــــاشا
ان علا فلي المهين هــــــــــــاشا

لم تزدنا في صنف باشا اندهــــــــــــاشا
كلما زدت في المــــــــــــالي ارتفــــــــــــاعاً
كل مره سواك يسوى سواكــــــــــــا

وتراه ان قيل يا شيخ اهلاً
وتلى من شاربيه ارتضاعاً
ربكم عارف بأكثر منا
مرجياً فيك قام رأساً وطاشا
فهو شيخ فكيف لو كان باشا
فهو يعطي الى الخلائق مـاشا

ثم قلت له هذا التاريخ سنة ١٩٠٨

انت يا ابا لصادق
وفريد في صفات
مير ميرانـا ارخ
مثل ايوب لشغل
عند اشفاق وعذل
صرت للعليا اوغلي

وهو من الرجال التي تفتخر فيهم اصلاً سوريا .

وقد نظمت هذه الايات لحضرة محمد افندي بهم صاحب البيت البديع المقابل الفنا في رأس
بيروت وهو اطرف محل في بيروت :

لكم بيت نجح لـه القلوب
فلا للشمس عنه من غيباب
غدا رأساً بيروت مكاننا
غدا يوم بهم من كل حال
فليس لفضلكم ابداً حدود
وقلب لا نجح لـه السذوب
وليس لحدكم فيـه غروب
وانك رأس بيروت الأديب
فتعم الأصل منكم والحبيب
وان مـدبحنا فيكم يطيب

وعندما تزوج المرحوم يوسف افندي المطران ابن المرحوم حبيب باشا المطران من افراد سوريا واخو
ندره بك والياس بك المشهورين بعلو الهمة بالسيدة فاني الفرنسية حررت له الايات الآتية :

لشكك واجب يوم افتران
فلا تفكر بهذا المدح اني
وعودت اللان على مـديح
فا والله مـدحك من لاني
عجايب فعلكم قد حيرتني
وقد نلت مقاماً ثم جاهاً
كسبت من المغارب قلب فـاني
مـديح مـا تعود لاني
تغير خاطري وخلقت ثـاني
وقد شئتـه حب الاوان
ولكن كل مدحك من جناني
وقد جاءت بايات الزمان
له في ارضنا اعل مكان
وذكرا في المشارق غير فـاني

وقد توالى عليه المصائب كسرعة تقدمه فيس الزمن وقد توفت فاني بعد زواجها بعشرين يوماً وهو
بعدها بشهرين حزناً عليها .

(قوة الجلال)

ما عليكم حاكم غير الجلال وفقداه كسل جساو وكال
 لم تقواوم نفس حر نظرة من عيون نساءات ودلال
 فهو عبد عندما ينظرها ويهان الجاه والمال الحلال
 كم شجاع بات عبداً طائماً وقوى عند مراها خيال
 كم عبيد بات سهلاً ليناً كم بخيل قد غدا سهل المنال
 كم جهول بات فها عاقلاً كم ثقيل خف وزناً لا محال
 كم من الانس ذال اضحت اسداً عندما قد وعدتها بالوصال
 يحرم الانسان عقلاً حينما يجعل الدين محطاً للجدال
 وكذا فالدين يفي مذي يرى درهماً في الجيب قد صال وجال
 وكذا الدرهم يضي مذي يرى صاحب الدرهم ربات النصال
 لجلال كسل شيء خاضع ما عليكم حاكم غير الجلال

(فارس بك شقير)

فاعظام الكورة سابقاً كان لفارس بك اخ شاعر مجيد كاتب مفلح اسمه شاعر توفى بمصر وكان صديقاً
 للمرحوم اخي خليل الذي كان شاعراً ايضاً وتوفى قبل شاعر فاني فارس بك لزيارتي وتعزيتي بفقدته ورتاه
 بقصيدة بليغة فلما توفي اخوه شاعر حررت له هذه الايات :

اتذكر ما قد قلت يوماً لشاكر فها شاكر يبيديه في فقد شاكر
 كلانا نعزي بعضنا والذي مضى ففي راحة من كل امر محاطر
 تيقن بأن الموت اشقى على الذي يعزي فما واقه هذا بخاطر
 فأنى فواد لا يذوب توجعاً بمراى شقيق للمقابر زاير
 تنادي فلا يسمع وبكي فلا يرى وعما قلبيل لا يرى في المقابر
 وقد كنت قبلاً ساعة صاعياً له ويديك بالافكار لست بفكار
 فأين القوى والفضل والصدق والذكا وأين النهى والعلم او نظم شاعر

وقد توفي فارس بك فجأة في ٢٨ ك ٢ سنة ١٩٠٨ وقد رتاه بديع ابن اخي المرحوم خليل وله من
 العمر ١٦ سنة لان فارس بك رثى اياه ومن الرثاء هذا :

فيما نفس خير الراحلين لك البقا يحضن (خليل) لا يفاجتك الضد
 ومنها تأخرت عن تأيينه وتقدمت رثاني مراث ليس يحصرها عد

وذاك لان الحزن قبيح منطقي لفقدني فرداً لا يضارعه فرد
فأنني ابن ذبيك الخليل ولم يمت بقلبي حباً شاده الاب والجد

وقد بكيت كخليل وما أمكنني أقول في رثاء غير هذا البيت :

ارثي لحالي اذا ما كنت ارثيكاً فالدهر لم يبق لي دمعاً لا بكيكاً

« كميل اده »

هو أكبر اولاد ميشيل افندي اده مدير سياسة ولاية بيروت وهو من الرجال المقربين في عصرهم رجل الذكاء والسياسة والامانة نحو دولته توفي سنة ١٩٠٧ وقد خلفه ولده كميل في وظيفته وصفاته وقد نال رتبة فنظمت له هذه الايات :

قبل من الكمال نلت الكالا بذكاء ورتبة يا كميل
وبجاه لوالد نلت جاهاً من ملك ونعممة لا تزول
اد شكراً ودم لتيسل المعالي ودع الحاسدون مهما يقولوا

« تخميس »

نس الزمان وبش المآل ما فعلا جميلة الوجه اضحى بعلها جعلا
وطاب بالكأس شيطان وما انحلا ليت الملاح وليت الراح قسدا جعلا
في جهة الليث او في قبة الفلك
لو شام ذلك حرمات بالكسد وليس عن غيرة منسه وعن حسد
لكن لصون جال من يد الوغد كي لا يقبل ذا حسن سوى اسد
ولا يطوف بكاسات سوى ملك

زرت إحدى البيوت الاسرائيلية نهار السبت وكانت سهواً ميكارة يدي فتقدمت اسلم بالايدي على السيدة فرفضت فرفضت ذلك وقلت :

من آل موسى فتاة قد فتنت بها فزرتها يوم سبت بعهد افطسار
لما رأته في يدي ميكارة نفرت ولم تشأ سهواً خوفاً من النار
اجبتها عجباً تخمين من قيس والنار في الخد كم حيرت افكار

ان كنت ابنة موسى فاصحني كرمأ
 اطفاء نار بتقييل وامطار
 قالت لنا نار موسى ليس يلمها
 لكن بعدها من بعد الباري

استأجرت الطابق السفلي لبيت جميل كان لصاحبه ولزوجته عادة يغمضا اعينها عند التكلم معك
 وكان الحق بالتغميض للمخاطب .

قبل ان احد الاغنياء بني منزلاً جميلاً جداً واتقن فرشته من أحسن الرياش فحضر لزيارته صديق
 وبعد ما تفرج عن المنزل وتعجب من فخامته واتقن فرشته ودار كل غرفة بصق في وجه صاحب الدار
 وقال له اعذرني لأنني لم اجد عملاً اوسخ من هذا لايصق فيه وكان صاحب البيت قبيح الوجه جداً وكان
 يسكن الطابق العلوي اسكندر افندي الجاويش وكان عنده ديك يلقني بصياحه فحررت له :

الى اسكندر الجاويش جئت اشتكي الديكا
 فيحرفني نوم الصباح صياحه
 وفيما اننا في عز نومي مطحناً
 فاسمع صوتاً منه تهتر اضلعي
 فأرفع رأسي بفتة عن مخدتي
 لأعلم ما هذا واية ضريبة
 ارى حضرة السيدك للصون مرغماً
 أكلمه لطفلاً فيغمض جفنه
 فأوسعه بياً فيرجع دائراً
 لا ضربه فيه ولكن لم أصل
 فهما أنني من عهد شهرين صابر
 ولا عجب ان فاروق الصبر مهجتي
 اذا كان قبل بطرس وهو صخرة
 فما حال عبد واهن الدين والقوي
 ولا شك هذا السيدك مؤذ وذبحه
 لان جناب الست فيه شفيمة
 يرفع الأذى عني بمنع صياحه

يطلع ديني في الصباح بكي كيكاً
 ويعمل بعد الظهر في المضم تليكا
 وأحلم احلاماً تلذ لداعيكاً
 ويحدث في اعضاء جسمي تشيكاً
 وافرك عيني في يميني تفريكاً
 فأخرج من نخي اهرول ملبوكاً
 يوقع الحاناً على الرصد والسيكاً
 كأن مودة التغميض في الحمي اتيكاً (١)
 لنا ظهره اذ ذاك اسحب لسنيكا
 الى ضربه بالصبر احمل تذريكا
 على جوره لم ابد امراً وتخريكا
 وان اشتكي ديكاً اليك وتديكا (٢)
 لـدين أضع الدين مذ مع الديكا
 وينظر في كل الحقائق تشكيكا
 حلال فاعط الامر بالذبح من فيكا
 واني ارجوها كذلك ارجوكا
 بذبح يعبد كل ما كان يرضيكا

(١) اشارت الى صاحب الدار وامراته اللذان يغمضا اعينها .

(٢) لأنه قاطن الطابق العلوي ودائماً تسمع ديكه .

ولما وصلت اليه هذه القصيدة امر بذيح الديك ونظمت لديك هذا الرثاء :

واشكر فضلاً ثم فيه اعزى
على قلب زوجات عاه يواسيك
بفرط التبعاع احزن اليوم داعيك
لاعلم اسباب اليك في نواحيك
ويتقرن في أرض كثر اعاديك
بأبدع ريش من سلاله افريك
بنوبة هتريا ترمغ ارضيك
كمنظر سكران باقة مستيك (عرق)
لقد قلن لي انت المسب يخزيك
وسل ارملاً عن حالنا اليوم ينيك
وكم صحت مثل الديك كيكاوكمي كيك
وايقظت نماناً له اسوة فيك
مراقبة الخيار في لب بازيك
خلقم لذبح من يدي من بلايك
فيعضهم يقلبك والبعض يشويك
وما بين مطران وقس وبطريك
وليس حرام عندهم ما يقليك
فا حريم الا لأكل معاريك
كمعدة جاويش وباشا مريك (١)
ولكننا نهوى القعود بناديك
وليس عذاب ان تراه يضاحيك
باعة موت ان اتى كيف يأتيك
لترزقنا موتاً سريعاً وتلييك
قظلهوننا عنه كما الارض تلهوكم
ولو كان كالاعداء قتلاً وتتيك
ومع كل هذا بهجة الكون تفريك
ديوكاً وهذا الحكم من عدل باريك

الى اسكندر الجاويش جئت اندب الديك
وأخيره عما جرى من فراقه
سمعت نواحاً في غروب عثية
فجئت لنحو الصوت أكشف امره
وجدت دجاجات بنوح وكربة
بنحن على ديك عريس مزين
فواحدة في الأرض خلت مصابة
واخرى تمد العنق ثم تضمه
ولما نظرن الوجهه مني عثية
ذبحت لنا زوجاً فصرنا ارملاً
اذا كنت شيخاً هل نيت شيية
وأقلت جيراناً وغاقت حارماً
ومن أعظم الاكسدار للشاب ان يرى
فقلت لقوم السديك هذا نصيكم
فاعداكم مع صحبكم مثل بضهك
فلا تفرقوا بين ابن آوى وسيد
نراهم جميعاً في سباق لأكلكم
اذا اختلفوا مع بعضهم او تحاربوا
تعزوا بنيل السديك اعظم تربية
فقلن نعم هذه حقيقة حالنا
لان عذاب الموت في فكركم به
ومن نعم الرحمن للخلق جهلهم
فلا تلجى في أي حال للعب
فعدكم لا ندري ساعة موتنا
نحب لذيق العيش مع من يسونا
فان غرنا فالعيش يغريك مثلنا
تفركم السديك كما قد غررم

(١) اعني اسكندر الجاويش وابن عمه ابراهيم الباشا .

وفي السنة التالية ١٩٠٨ جمع الافندي الجاويش كل دجاج البلاد ورعى قرقه واتى بديك حبشي ونسي القصيدة وفضل الديك علينا فسكرنا الشباك وقطعنا الزيارات وتوفي صاحب البيت وبعد توفيه اجرت زوجته البيت التي كانت فيه مدرسة للبنات فسكرنا الشباك الثاني وصرنا بين ديوك وفراخ .

الخوري طويلا داويت ولده وعند الحساب ذهب ولم يرجع فحررت له ما يأتي :
حضرة الأب وبعد الدفع المحترم

غب طلب الدراهم قبل دعاكم ومن ذلك تعرفون الباقي لا تجعلوني غير شاكر الخوري ونظمت له هذين البيتين :

يقولون طويلا القسديم لبره بيت بلا أكل ليدفن انسانا
فطويلا هذا المعصر بالعكس فاعل ينش امواتاً ويأكل اكفاناً
وبعد هذه الكتابة بيومين حضر ودفع ما عليه لذلك ادعوه الان عتراً .

دولتو نعم باشا متصرف لبنان الخامس

في سنة ١٨٩٢ : ١٩٠٢

أول ما أهتم دولته في تدبير الأمور وحلّ مجلس الادارة ثم دائرة الحقوق وعزل وولى وهؤلاء هم
المأمورون :

المحاسبه جي	هاشم افندي
دائرة الجزا	نسيب بك جنبلاط من سنة ١٨٩٢ : ١٨٩٣ سميح بك تلحوق من سنة ١٨٩٣ : ١٩٠٢ .
وكيل المدعي العمومي	نعان بك حيش ١٨٩٢ : ١٨٩٣ الامير مالك ١٨٩٣ : ١٧٩٦ نعان بك حيش ١٨٩٦ : ١٩٠١ نجيب افندي البستاني ١٩٠١ : ١٩٠٥ وهذه الوظيفة اوجدتها نعم باشا
رئيس دائرة الحقوق	سليم بك عمون ١٨٩٥ : ١٧٩٦ الامير نجيب شهاب ١٨٩٦ : ١٩٠١ نعان بك حيش ١٩٠١ : ١٩٠٣ .
مدير دير القمر	الشيخ أمين الخازن ١٨٩٣ : ١٨٩٤ الامير خليل سعد شهاب ١٨٩٤ : ١٨٩٩ الشيخ يوسف عواد ١٨٩٩ : ١٩٠٠ الشيخ كنعان الضاهر ١٩٠٠ : ١٩٠١ الامير فائق شهاب ١٩٠١ : ١٩٠٢ .

الامير قبلان امبي الملح ١٨٩٩ : ١٩٠١	وكلاء مجلس الادارة
اسكندر بك التويتي وهذا كان المعتمد	مدير البوليتيك
دياب افندي	رئيس القلم الأجنبي
الامير مالك	الترجمان
بهجت بك	رئيس القلم التركي
سلم بك عمون ١٨٩٤ : ١٧٩٤ خليل بك الخوري .	رئيس القلم العربي
اسكندر افندي شميل	قلم الأوراق
الشيخ سعيد حمدان ١٨٩٢ : ١٨٩٢ الامير مصطفى ١٨٩٢ :	قائمقام الشوف
١٩٠٢ الامير شكيب ارسلان ١٩٠٢ : ١٩٠٢ .	
نعان بك حبيش ١٨٩٣ : ١٨٩٦ سلم بك عمون ١٨٩٦ : ١٨٩٩	قائمقام جزين
الامير حارس شهاب ١٨٩٩ : ١٩٠٢ .	
الياس بك الياشا ١٨٩٢ : ١٨٩٥ حبيب لطف الله ١٨٩٥ : ١٨٩٧	قائمقام زحلة
الياس الياشا ١٨٩٧ : ١٩٠٩ سليمان الجاهل ١٩٠٠ : ١٩٠٣ .	
الامير قبلان ١٨٩٣ : ١٨٩٩ الشيخ رشيد الخازن ١٨٩٩ :	قائمقام المتن
١٩٠٢ .	
الامير نجيب شهاب ١٨٩٣ : ١٨٩٤ الشيخ رشيد الخازن ١٨٩٤ :	قائمقام كسروان
١٨٩٨ اسعد بك كرم ١٨٩٨ : ١٩٠١ سلم بك عمون ١٩٠١ :	
١٩٠٢ .	
علوان بك حبيش ١٨٩٢ : ١٨٩٤ الامير نجيب شهاب ١٨٩٤ :	قائمقام البترون
١٨٩٦ اسعد بك كرم ١٨٩٦ : ١٨٩٨ الشيخ رشيد الخازن	
١٨٩٨ : ١٨٩٩ سلم بك عمون ١٨٩٩ : ١٩٠١ اسعد بك كرم	
١٩٠١ : ١٩٠٢ .	
حنا الخوري ١٨٩٦ : ١٨٩٩ اسعد طالب ١٨٩٩ : ١٩٠١ .	قائمقامية الكورة
أمين الجرديني ١٩٠١ : ١٩٠٢	

لا يظهر جميل لمحي في بلادنا الا بعد موته وهذه البلاد هي دون شك بلاد المسيح لأننا لو نظرنا ما عمله المسيح من اقامة الميت يوم السبت وما عملوا له من الاستقبال نهار الشعانين وفي الاسبوع التالي صلب حياً لا تتعجب مما نكافئ عليه منهم .

في بلادنا عادة انهم يقيمون احد شعانين لكل قادم حديثاً اليها ويصلبونه يوم ذهابه فالعاقل لا يفره الاستقبال الحسن . قال جنرال لئابوليون بونايرت بعد انتصاره العظيم في موقعة اوسترليتر واستقبال الشعب له . انظر يا سيدي لهذا الاحتفال الذي لا نظير له أجابه بونايرت لو كنت ذاهباً الى الشق لالتأم حوالي هكتاراً .

المرحوم اخي خليل

(ولد في ١٥ تموز سنة ١٨٥٠ توفي في ٢٥ تموز سنة ١٨٩٤)

تعلم في الابتداء مثلنا في القرية وهو أول تلميذ دخل المدرسة الوطنية للمعلم بطرس البستاني في بيروت وخرج منها بعد سنة ونصف لأن صحته منته عن اتمام دروسه وصار يمارس العربية بنفسه وكان أول كاتب وشاعر فيها ثم استخمد في الحكومة مدة فرنكو باشا في قلم المحاسبة وقد أصبح مدة رسم باشا كاتباً في مجلس الادارة عندما كان رئيسه عمون بك عمون ثم انتقل باشكاتب دائرة الجزاء ثم خرج منها وحضر معي الى بيروت وصار عضواً في دائرة جزاء بيروت مدة رئاسة نعم افندي قيقانو وعندما حضر واحداً باشا تعين مستطلق مركز جبل لبنان ثم الفيت هذه الوظيفة وبعده صار عضواً في محكمة الشوف عن الموارنة ثم باشكاتب في القلم العربي في المركز ثم عضواً ادارة جبل لبنان عن اقليم جزين مدة نعم باشا الذي حل مجلس الادارة بومئذ وكان عضويه عن جزين ابن خالي سليم بك ناصيف وقد توفي وهو في هذه الوظيفة في دير القمر ونقلناه ليلاً الى بكاسين ودفن في المدفن الذي عملته لولدي يوسف الذي توفي في بيروت في ١٦ نيسان سنة ١٨٩٣ ثم نقلته الى بكاسين وعملت المدفن المشهور فيها الان باسم والدي الذي نقلت رفاته اليه .

وقد توفي المرحوم خليل عن ابنة اسمها عفيفه ولدت سنة ١٨٩٠ وعن ذكر اسمه بديع ولد سنة ١٨٩١ وولد آخر توفي بعده اصغر من بديع بحيث ترك هذه العائلة في هكذا عمر وزوجته هي عادليده ابنة المرحوم عمه يوسف بك مبارك يا ليت لم يكن اخي حتى اصدق بما اقله عنه من الصفات الحميدة التي قلما تجتمع في شخص واحد فهو محتاج الى درهم ويعرضه على ضيفه كأنه صاحب ملايين ويرفض الوفا اذا تصور انها تأتيه بدون شرف وأوصافه مشهورة في لبنان وكان أول شاعر وله ديوان سيطبعه له ولده بديع الذي اصبح شاعراً ابن ستة عشر سنة .

لم يقدر القلم يشرح ما ألم بي من الفهم والاحزان عن مصيبتين اصباتاني سنة بعد اخرى اولها توفي ولدي يوسف الذي كان بسن اثني عشر سنة يتعلم في المدرسة الكلية الياسوعية في بيروت وكنت اعبدته نظراً لاطباعه اللطيفة وذكاه وما مرض غير يومين من ١٤ نيسان الى ١٦ والثانية في المرحوم اخي الذي كان عضداً لي ولكل لبنان افتخر فيه بشرف النفس والعلم وجميع الصفات الحميدة بحيث غمي على ولدي واخي ووالدي وجدي لم يمكنني في رثاء واحد منهم وكلما شئت ان انظم شيئاً يغلب عليّ البكاء ويضيع فكري ولحد الان ايضاً لم يمكنني التفكير بهم بدون بكاء وكلما امكنتني اقله هو هذا البيت :

يا ليتني فقت ما في الدر من نكد ولا بكيت اخي او صحت يسا ولدي

وعند كتابتي هذا البيت الآن بكيت وقد رثته الشعراء ، وفي مقدمتهم اخوه امين بقصيدة طويلة محزنة جداً غائين بيتاً اولها :

عدمك ما هذا التجلد يا قلبي يموت ولم تخرج لك الويل من صدري
ولم تبسح فيه الصبر والنهي ولذّة عيش قد ثوت معه في القبر
انقطع ان نحيا وقد مات من له تعيش وترجو ان تمتنع بالعمر

والذي عزاني هي مجاورة نوم باشا الذي حزن عليه مثلي لأنه فقد خادماً أميناً وقد أرسل مع الخنازة خياليين الى بكاسين وارسل تلغراف للقاء مقام نعمان بك حيش ينوب عنه بالخلعة والذي لم أزل نمنواً له المرحوم نجيب بك جنلاط الذي حضر من المختارة سفر ثلاث ساعات عن بكاسين وحضر الدفن من دون دعوى وعتب لعدم اخباره لأنه كان لا قانا ليلاً باهل الشوف ونشكر اهل الكحلونية ومزرعة الشوف اللذين لا قونا ليلاً وحملوا بالخلعة في خراجهم .

وقد نظمت اولاً هذه الايات على صورة نوم باشا الشمسية التي اهداني اياها ولم تزل عندي :

اذا كان رسم الجسم للشمس معجزاً ففي رسم افضال فما يفصل العقل
وان كان شعري راسماً بعض فضلكم فما ذاك من رسم ولكنّه ظلُّ
فبع ملوك سملك زماناً لفضل ثمان قد سمّت فيك من قبل
عفاك والتقى وعفوك والقوى ولطفك والعليا وحلمك والعسل

ولما زار امراطور المانيا هذه الديار واجرى له نوم باشا ذلك الاستقبال الشاق في عاليه اهداء نيشان النسر الأحمر من الرتبة الاولى فنظمت لدولته هذه الايات وكان صدره مزداناً بالنياشين التي كان يزيد عددها عن الخمسة والعشرين .

سأبقت في أوج المعالي مع النسر فقصر عنكم فاستراح على الصدر
ماء غدا ذا الصدر من حيث قد حوى هلالاً ونسراً مع بهي الانجم الزهر
ما انا ممن يرصد الصدر ظاهراً ولكن رصدي ما حواه من الكبير
شعة اكس قد حوتها نواظري لكشف الذي عنا تحجب بالسر
ذا لم أجيد خلف الوسام فضيلة فلا ناعظم شعري ولا مظهر شكري
أكليل شوك مع فضيلة حاملي ولا تاج در بالفيانة والفدر
اكان ظهر الصدر جمع جواهر فباطنته جمع الشهامة والظهر

عماكمة التاريخ لنعم باشا

لا أقول فيه ما يأتي حيث انه لم يزل حياً وفي مركز عالٍ لما هذه هي الطريقة التي استعملتها للان بل طريقي طريقة الصدق لأن لا يشبث غيره في التاريخ فأقول ان نعم باشا رجل حلیم طبعاً بعيد عن الضرر وهو أول متصرف بمحاذلك بالبرهان المقول تدخل عنده شككراً وترجع مشرحاً بدون ان تنال منه غرضك فقط تكون مقتنعاً من برهان عمله لا يكمل من التعب ولا يلهيه شيء عن شغله سهران على مصلحته يعزز الأمور ولا يقبل عليه تشكي الا بالبرهان ولكن يوبخ ويهدد سراً ويبرزه ظاهراً ولا يمكن ان تذكر له عيوب مأمور الا بحيلة وقد صدف معي انني كنت اعرف احد المأمورين الذي اشبعني كذباً في مسألة وما كانت تنتهي اخيراً انوجدت بحضرة دولته وصألي عن هذا المأمور الذي كان يعتقد فيه الكذب فقلت لدولته لحد الان ما كان يمكنني ادراك التلث والتوحيد عند التصاري الا اليوم فقال كيف ذلك قلت عرفته من المأمور الفلاني لأنه يقول شيئاً ويعمل ضده ويكتب شيئاً ثالثاً وكله كذب والثلاثة واحد فضحك .

وكنيت عنده مرة اخرى وقتحتا تاريخ مدينة جبيل فقلت ان هذه المدينة كانت من أعظم المدن وابتدت تنزل نزولاً قاحشاً حتى اصبح فلان مديرها فضحك وعرف أعمال المدير .

حاصله ان من اعاله فتح طريق العرييات من بيروت الى صيدا الى جزين وهو الذي اوصلها الى البترون وعمل الجسر الحديدي لنهر ابراهيم وجد جسر نهر الكلب الذي خرب كما قلت عنه وفي زمانه امتدت السكة الحديدية من بيروت الى المعاملتين والعرييات من بتدين الى صوفر ولم يحدث أدنى حادث في زمانه وكان له انحصام تعرضوا ضد تسميته للخمسة سنين الاخرى وتجاهروا بذلك وعرفوا وبعد تشيته قال له احد اصحابه ماذا تفعل بالمضادين فقال ولا شيء لأن الباري تعالى نصرني عليهم وبقيت ضد ارادتهم كفاهم قصاصاً انظر العدل والانسانية وعند خروجه من لبنان تأسف الجميع عليه لان لبنان كان بكل راحة فالتاريخ يحترم ويكرم هذا المتصرف الذي كان كاتباً للبنان .

وفي مدته افتتحت جزين الى كل العالم لان معبورها وهو صخر ابدي كان مانعاً دخول العرييات اليها فهجمه قائمقامها سليم بك عمون حفر هذا الصخر لعمق عشرة اذرع بطول مائة ووسع ستة ومشت العرييات به الى صيدا وهذا عمل مشكور من سليم بك عمون الذي ما كان أمكن عمله من غيره لأنه افكر يخلد اسمه بذلك وهكذا حصل .

السيدة مريم عدام نعوم باشا

هذه السيدة بل الاميرة هي عنصر الكمال والآداب واللطف والذكاء والعلم والمودة والشفقة والصدقة وهي ابنة المرحوم فرنكو باشا متصرف لبنان الاسبق وابنة خال بلها نعم باشا فهي ابنة امير وزوجة امير وستكون ان شاء الله والدة امير لأن ملامح الامارة ظاهرة على عجا ذلك الثبيل السعيد الأديب اللطيف الودود الوارث صفات ابوية .

حضرت احد البالات في بيت الخواجه جورج موسى سمرق وكان من الشروط ان يتكرر كل واحد يزي غريب فارتدت الاميرة لبس الهة الفنون عند الاقدمين من اليونان وارتسمت بهذا الزي فقلت بذلك على الصورة :

لبست ثوب الـه
فحن ابتلاء قوم
قد كان في الروم يكرم
لنا عبادة مريم

ولما حضر جلالة غليوم الثاني امبراطور المانيا كما قلت أجد يدها وقبها واهدى لها سواراً من ذهب عليه صورته الكريمة فضجت البلاد لهذا الخبر وكادوا لا يصدقونه حسب عوائد بلادنا وسألتها عنه فصادقت على صحته وارفعي السوار الذهبي والرسم الامبراطوري فقلت لها لا بد لهذه الهدية من شعر وارنجلت قائلاً :

قُبِلَ العاهل ايدى مريم
ففسدا في رسمه بحرسها

ظنها ملكاً جديداً مكتب
وأقسام الحد صورا من ذهب

توفي مدام نعوم باشا

في ١٨ ت ٢ سنة ١٩٠٧ حضر تغراف من الاساتذة لدولة يوسف فرنكو باشا متصرف لبنان الحالي بتوفي شقيقته السيدة ماري مدام نعم باشا فكان لهذا الخبر فاجعة عظيمة في كل لبنان فتأسف الجميع عليها وقد عزيت دولة زوجها وولده وحيث كنت متأسفاً جداً طلبت صورها وكتبت ما يأتي :

تخاصمت السما والأرض حتى
 فضلت المات على حيااة
 فاعطيت السما نفساً تسامت
 وعند ملايك خلقت نفساً

تكوني لهذه او تلك قسا
 لكي لا تحبلي في الكون خصما
 وأودعت الثرى والأرض جسما
 كما خلقت في لند ان اسما

ومن دار السعادة غبت عنا لـلـدار سـعـادـة ابقى واسمى
ولما شخصك السامي توارى أفت لرسمه في الأرض رسماً

وعندما رأته الذات العلية السلطانية حزن هذا الخادم الأمين نوم باشا وولده انم على ولده عزتو سعيد بك نوم بالرتبة الثانية المتأيزة وامر بتوظيفه في الخارجية عند والده انظر هذه العواطف الشريفة عند سلطاننا العظيم فحررت الى سعيد بك تحريراً مع الاشعار :

نوالكم رتبة المتناز بشرنا ان قد اخذتم لكم في العرش اعوانا
ذا تلغراف اتى في ان والسدة نالت من الله رضواناً وغفراناً
تشفت فيكم في نيل مرتبة لظنها لحظة تنيك احزاناً
لما الاله استجاب اليوم ما طلبت اوحى خليفته اعطاك احاناً
فلم تزل في السما كالارض طالبة بمجد لكم ومن الرحان رضواناً
اعطتكم نسباً نباهيك من نسب اباً وجداً وخالاً منهم كاناً
حكاهم لبنان في انصافهم شهروا وكلهم زينوا بالعدل لبناناً
لكم ملاكان عند الله والسدة ووالد عند مولاكم ومولاناً
بالحق انت سعيد كي تدوم كذا فاسمع مقالة حرّ قط ماخاناً
فه كن شاكراً في كل طارقة وارض خليفته سرّاً واعلاناً

صاحبة الخليس ومحلة الانيس

السيدة الكسندره كريمة المرحوم قسطنطين الخوري البيروتية الأصل فكما زين ملك السباوات وجهها بالجمال وعقلها بالكمال زينت ملوك الأرض صدرها بالوسامات واسمها باسمى المقامات واقتداءً لأوامر الله وللملوك الارض نظمت لها ما يأتي عندما جلالة ملك ايطاليا لقبها بلقب اميره :

لقب الاميرة لا يزيـد علاك لو كان من اعلا الملوك اتاك
انت التي لفـضـايـل وشائـل كنت الاميرة قبلما سماك
ان كان اعطاك الملك شعارها فالفه اس امارة اعطاك
اس الامارة عزة وشهامة وعليها ريت منى صباك
هل من ملك قادر يعطى الورى هذي الصفات الناشرات لوك
لولا الصفات لما دعيت اميرة والفضل في اعطاءها لنهالك
لما ملكت شعورننا وعقولنا وقلوبنا قد أصبحت مأواك

ان الامارة حطمة لعلالك
لا بالقصد وما حواه لماك
وبسه ملكك اليوم قلب عبداك
ملك الفضيلة اثبت الاملاك
وكما اشتهت الله قسود سواك
نتنز فخرأ في بهى حلاك
وجعلت من فمها اسير هواك
في الصدر كل علومها تلقاك
وغدا انيس جليها مرآك
واليوم قد نهنا ببحر زكاك
لو كان حيا لاشتهى ملقاك
وجميع اهل العلم تبغي بقاك

صرت للملكة لا الاميرة فاعلمي
ولقد ملكت قلوبنا وعقولنا
لكن لفضل وهو أعظم منالك
ملك العيون موقت لكننا
ولقد خلقت شريفة وجميلة
رجت بك الاسكندرية مذ غدت
ارجعت ما قد كان فيها ضايعا
احيت مكتبة لما غدت
ارجعت نور منارة لانيتها
كانت تنير التاهين بسابجر
احيت بالاقدام ذكر اسكندر
لا زلت في أفق الصحافة شمة

(الشيخ رشيد الخازن قاعقام للتن) ١٨٩٩

في الارض شهم كباين
اجساد حر صاين
هل للبياسة وازن
نهادي البشر آمنوا
واليوم ربك آذن
فهو الرشيد الخازن

هل للمودة والوفاء
هل خازن لفضائل ال
وبرشه وبقلبه
وانا بذى الافكار قد
رجل المروة قد اتى
في المتن ارخ شعره

مظفر باشا متصرف لبنان السادس

١٩٠٢ - ١٩٠٧

هو المتصرف السادس لجبل لبنان أصله أمير بولوني خدم والده الدولة العلية ولم يرضى الخضوع لروسيا
وأنتظم هو في عسكرية الدولة العلية وترقى فيها حتى حاز رتبة مشير .

(مأمورون مظفر باشا)

هاشم افندي
ملحم بك تلحوق ١٩٠٢ : ١٩٠٥ مصطفى بك العباد

الحاسبه جي
رئيس دائرة الجزا

سليم افندي ياز أول عالم ومؤلف بالقوانين	وكيل المدعى العمومي
يوسف افندي الخوري ١٩٠٢ : ١٩٠٣ سليم افندي ثابت ١٩٠٣	رئيس دائرة الحقوق
الامير فايز افندي شهاب ١٩٠٢ : ١٩٠٧ ملحم بك ناصيف ١٩٠٧	مدير دير القمر
حبيب باشا السعد ١٩٠٢ : ١٩٠٥ حبيب بك البيطار ١٩٠٥	وكيل الادارة
١٩٠٥ الامير قبالان ابي اللمع ١٩٠٥	
عبدالله بك الخوري ١٩٠٧	ترجان أول
الشيخ يوسف حبيش ١٩٠٧	رئيس قلم الأجنيبي
بطرس كرامة ١٩٠٢ : ١٩٠٣ جرجي بك زوين ١٩٠٣ : ١٩٠٧	ترجان
الامير فائق شهاب ١٩٠٧	
ناصر بك الرئيس ١٩٠٢	رئيس القلم التركي
خليل بك الخوري ١٨٩٤	رئيس القلم العربي
ابراهيم مسلم ١٩٠٢ : ١٩٠٦ نغله الخوري ١٩٠٦	رئيس قلم الاوراق
نسيب بك جنبلاط ١٩٠٢ : ١٩٠٤ الامير سامي ارسلان ١٩٠٤ :	قائمقام الشوف
١٩٠٥ الامير توفيق ارسلان ١٩٠٥	
الامير فائق شهاب ١٩٠١ : ١٩٠٣ الشيخ كنعان الظاهر ١٩٠٣ :	قائمقام جزين
١٩٠٤ الامير فائق شهاب ١٩٠٤ : ١٩٠٧ الامير فايز شهاب ١٩٠٧	
ابراهيم بك ابو خاطر ١٩٠٣ : ١٩٠٦ سليمان الجاهل ١٩٠٦	قائمقام زحلة
الامير قبالان ابي اللمع ١٩٠٢ : ١٩٠٣ الامير يوسف اسماعيل	قائمقام المتن
١٩٠٣ : ١٩٠٦ الشيخ كنعان الظاهر ١٩٠٦	
الامير يوسف اسماعيل ١٩٠٢ : ١٩٠٣ الشيخ رشيد الخازن ١٩٠٣ :	قائمقام كسروان
١٩٠٤ الشيخ كنعان الظاهر ١٩٠٤ : ١٩٠٥ الشيخ حبيب البيطار	
١٩٠٥ : ١٩٠٦ الامير يوسف اسماعيل ١٩٠٦	
سليم بك عمون ١٩٠٢ : ١٩٠٣ الامير فائق شهاب ١٩٠٢ :	قائمقام البترون
١٩٠٤ نهمان بك حبيش ١٩٠٤ : ١٩٠٤ الشيخ كنعان الظاهر	
١٩٠٤ : ١٩٠٦ الشيخ حبيب البيطار ١٩٠٦ ولم يزل	
عبدالله الخوري ١٩٠٢ : ١٩٠٣ فارس شقير ١٩٠٦ : ١٩٠٥ اسعد	قائمقامية الكورة
طالب ١٩٠٥	

وعند حضوره نظمت له هذه الايات :

لما رأوا الشهم المظفر عابداً في قلبه عبد الحميد الثاني
ومشير حرب في البلاد لبساًه ولصدق ود يـاور السلطان

لاح الحميدي من صداقة خدمة مثلاً في صدره الشماني
فلوده ولبأسه وصدقته ظفر المظفر في لوا لبنيان

وطلب دولته آيات لتوضع على الباب الذي جدد بناءه في سراي بعدا وهو باب مدخل السراي التي
انشأها وأصا باشا وأكملها نعم باشا وحيث ان باب مدخلها ضيق غير مناسب غيره دولة مظفر باشا
فقلت بذلك حسب طلبه :

ادخل ليكل حكم العدل واحتشم وأطلب لعبد الحميد السيد العلم
سلطاننا دام في عز وفي مرح وفي انتصار وفي رغد وفي نعم
قيد شاده عبده وأصا وأكملته نعمون لكن لهذا السباب لم يقيم
جاء المظفر باب العدل وسعه حتى غدا مركزاً للذنب والغنم

وكان دولته طلب ايضاً من جملة شعراء كما طلب مني وعندما كثرت الاشعار عمل لجنة لفحصها
وكتابة الاحسن منها وكانت هذه اللجنة سياسية راعت ان شعراءها المأمورين بحيث لم يكتب شعري
فقلت في ذلك :

قد كان في فحص شعري كثر وجعش وعسير
لو ان شعري شعير لاستطيت به الحمير
لكن شعري شعور همل للحمير شعور

فانتشرت هذه الايات أكثر من التي كتبت على البوابة .

وكان حضر مع دولته ابنتا اخته نديا وايزا وطلبتا مني شعراً لما فقلت بذلك :

كان عيون نديا ذات يوم اصابت قلب مركبوني بفتنك
تحرك قلبه لحرارة عين فتبسه فكره من ببدون شك
لسير الجاذبية دون وصل فانشأ التفراف ببدون سلك

وقد قلت لمظفر باشا يوم الاستقبال في بيته :

رعى الله ينشأ للمظفر بأساها بدولته اصل المكارم والنجدي
فن حولته الجنات لبت بعرفها باطيب من ذكر المظفر بالحمدي
له موعد الزوار في يوم جمعة وجدت به جمع القلوب على ود
ولا رنت ايزا ونديا من الحمى عجت لغزلان تعيش مع الاسد

محكمة التاريخ المظفر باشا

لا شك ان مظفر باشا كان عادلاً وعديم الضرر لكنه مصاب بمرض في دماغه وهذا سبب عدم ركه على امر وجميع تقلبات أوامره ناشئة عن هذا المرض فصار بسببه عدم اعتبار للاوامر فأخذت الاهالي الطمع به ولذلك كثرت القلاقل بين الشعب وأصبح كل فرد يتجاسر على اوامره وكان محاطاً بزوجته وولده فواد اللذان لم يراعيا صيته وكانا يغصبان دولته على كل عمل يريدانه ولضعف جسمه ما كان يمكنه المقاومة فيرضى او يقهر على ما يريدانه ومصيبة ولده الاول رشيد والحكم عليه بالاشغال الشاقة في اوربا اثرت فيه جداً فكان المسكين بين مصايبه الداخلية واشغاله الخارجية معرضاً لكل غلط وهكذا انتهت حياته في ٢٩ حزيران سنة ١٩٠٧ وأخذت جسده الى الاسنانة وفي تشرين الثاني لهذه السنة توفت زوجته في المستشفى وكذلك توفي ولده رشيد في حبس ايطاليا وقد شفقت الدولة على ولده فواد وارسلته قسلاً الى البرازيل وهو فيها وهكذا اضمحلت هذه العائلة بكل سرعة واما نديا وايزا لا يعرفا اين هما وماذا جرى لها .

وكانت صداقة قوية بين احمد افندي جميل قاضي صيدا سنة ١٩٠٠ وبينى نظراً لاستقامته وصدقه وكنت مدة بعد مدة احرر له ويمرر لي وكنت عابجت عيونه وقد حررت له :

لم يجمع قاض وخوري معاً	ما لم تكن جمعية التفريق
نحن اجتمعنا والمهجة بيننا	من حيث قد جئنا بغير طريق
(غيره) فلا لقب القاضي ولا الخوري بيننا	لقد جمعنا في الحب بين وينكا
ولكن مني الشكر والحمد منكم	نجانسا في افعال جبي وجبكا

كنت في احد الايام الشتا لشغل في بعدا مركز الحكومة فصادفت عضواً فأخذ يدي للسلام فقال هنياً لك اما يدك دافية فأجته حيث انها مضبوطة ولكن اليد المبسوطة مثلك تكون دائماً باردة فضحكنا وقد عرف الجميع مزجي بحيث لم يعد أحد يزعل من قولي بل يضحك حتى المقال له :

وقد عملوا تقويم الى جريدة المشرق ابتداء سنة ١٩٠٢ فنظمت له الاشعار الآتية التي نشرت جملة امرار

بمعد الف ثم	تسماية واثنين عام
عماد للمشرق نجم	نوره يمحي الظلام
فيه تقويم لمعام	فيه تقويم الانعام
صوته العالي ينادي	دون ان يبيدي كلام
في الملا لله بمجد	وعلى الأرض اللام

ففي أحد الايام بينما كنت ماراً من تلك الجهات في الصيف عرجت عليه لازوره فوجدت هناك
الرهبان ولم اتق الرئيس فسألتهم عنه وأخبروني بغيابه وسألوني عن الذي اطلبه منه فقلت لهم اعطوه هذه
الورقة وسلمتها لهم ولم يتنازل أحد منهم لدعوتي للاستراحة فقلت من ذلك :

رهبان صير قد عرفنا انهم لا يرغبون منهم جميعاً بل للبشر
لم يشهروا بياسوع في تساريفهم الا ببلاد لـــــــه بين البقر

خطبة لنسب بك جنبلات عندما تولى قاعقامية الشوف للمرة الثانية في ٨ ك سنة ١٩٠٢ في
الشوفات

سيدي الحبيب النسيب

لا اهني الحبيب في ذا النسيب بل اهني النسيب في ذا النسيب
لا ينسب ادي لصاحب البيت اهلاً بل ينادي الى الدخيل الغريب

سيدي شكراً لمن احياني لهذا اليوم الثاني الذي اراك فيه قائماً بين اجواق من الامم هاتفين بدوام عزك
وبقائك في منصب خلقت له وخلق لك .

اي شيء يحتاج الشوف وما حواه شخصك الكريم يحتاج الى الكرم والعفة فانت الكريكم العفيف او
الحسب والنسب فانت الحبيب النسيب يحتاج الى رحمة وشفقة فانت ملجأ الضعيف ان حبك لهذا المقام
حب والدة تضي فؤادها لراحة بيتها وأولادها ولولا هذا لما تركت القصور الشاهقة التي تجري من تحتها
الانهار لتسكن بلداً يباع فيه الماء كالبهار ولا كنت تركت املاكاً تخدمها المئات لتحتفظ ملك الغير من
التعدييات هذه غايته ولا غاية لك سواها .

واذا قيل ان قصدك نوال الشرف فانت شرف الشوف او الكرامة فهي تابعتك اين كنت وكيف كنت .

له الكرامة عند الناس واحدة ان قام او نام او قد عام او غرقا

وان كان قصدك الغنى فهو يرجو غناك وليس له سواك فأصبحت أنت الشوف والشوف انت تعينه
ويعينك .

ما سمعنا في الشوف تاريخيت غيريت الجبلاط رحيب
لا ولا حاكم خلاف علي وبشير قبل السعيد السيب

مولاي لو كنت في ديار غريبة لكنت أطلت الكلام ولكن حديثي أبسطه لقوم يعرفونك أكثر مني
فقولي تحصيل حاصل والسلام وقد اقتصرت عن النظم في هذا اليوم لكثرة الناظمين :

فلم تترك لي الشعراء معنى مدحك ولا ادنى عبارة
إذا كررت ما قد قيل فيكم كأنني في ثياب مستعارة

فوقفت وقفة الرفيق لا فرق بين الصديق والتقليد فمن بعد السماع والتقليد حكمت :

ما قد سمعت من النظام من قدم واليوم في مدحك مع كل ما نطقوا
فيه اختلاف بأوزان وقافية لكنهم بـاتفاق كلهم صدقوا
وصدق شاكرك

(عبد الجلال افندي) كان عبد الجلال من التمسكين بحركات الشعر كالرقص والنقص أكثر من
معانيه البديعة وكنت نظراً لفصيح الوقت وما كنت اهتم بهذه الحركات لعلمي ان المعنى يظهر من محليتي
بسهولة الفاظه وقوله الطيبي وكنت افكر ان مع المراجعة تصلح تلك المقوفات ولكن معناها يذهب اذا
ابطلت عن نظمها لذلك كانت اشعاري تنتشر قبل اصلاحها وكنت كلما قلت شعراً لأحد يداوله بسهولة
ومثل شعري مثل ابنة جميلة جداً لكنها عريانة فكل من يراها بأسف على جمالها فيحيرها قطعة من ملابسه
حتى تبدوا اخيراً مكتسبة اجمل الملابس فشعري يكون غالباً مصاباً بأحدى الحركات فينظره الغير ويلبسه
ثوباً اي كلمة او حرفاً الا عبد الجلال بقي بعينه فقلت :

ارى عبد الجلال يعيب شعري ويرمي كل اشعاري بعبار
فكيف يعيب شعري ذو جلال ومما عبد الجلال سوى الحمار

فانتهى اعتراض عبد الجلال بهذين البيتين وكانت اشعاره كاشعار ذاك الامير الذي مرض ذات يوم
فدعى طبيبه فقال له الطيب يلزم لجناحك مهمل فساله الامير كم مرة اخرج على هذا المهمل فأجابه
الطبيب مرتين او ثلاث فقال له الامير اذا خرجت أكثر او اقل اقطع رأسك اترضى بذلك فأجابه الطيب
لا شك لا ارضى وهكذا عمل مع كل طبيب دعاه فاتصل الخبر الى أحد الدجالين المقلبين قال لا بد ان
اخاطر بروحي وأذهب الى الامير فذهب فطلب منه الامير الشرط أجاب بقبوله اي يعطيه مهلاً يخرج
عليه اربع مرات فقال الدجال ان لي شرط ايضاً يلزم تقبله مني وهو ان منذ اخذك المهمل الى انتهاء لا

تتكلم ابدأ فقبل الامر الشرط فلأجل عدم السبب للتكلم قبل الابواب وبني ينظر من الشباك واذ بهال
 محملة كانت تأتي تحت شياكه وتحط وتزل فهاج في فكره الشعر لأنه كان يدعيه وعندما مضى النهار وجد
 انه لم يخرج على المسهل الا مرتين فقط فدعى الطيب وقال له لم اخرج الا مرتين فقط لا بد من قطع
 رأسك فساله الدجال احلف لي انك ما تكلمت ابدأ أجابه ما تكلمت فقط نظمت بيتين من الشعر عندما
 رأيت الجمال فقال الدجال فما هي هذه الاشعار فقال الامر هي :

يا	جمال	البوعبات	الحاملات	الثقلات
الرافعات	روسهن	هكذات	هكذات	هكذات

فأجاب الدجال لقد تم الشرط تقول انك خرجت اثنيتين من فوق وهاتين اثنيتين من تحت فهذه هي
 الاربعة .

(أحول) كان احول لا يستقر على رأي دابه الفساد ويتداخل مع كل حزب فقلت فيه :

لا تركن لاصول	اذ لا يقصر على خسر
يعطى لحزب عينه	ويستدير اخرى للأخر

(الى اوجيبي مدام بتاني)

أصبحت وردة بتاني بحافظها الـ	سنجيب من كل لص دان او جاني
والورد للعين لا للثر مرجعه	فلا تخافي العدا ما دام بتاني

(الى السيدة مريم زوجة المرحوم رزق الله خضرا)

لها صورة تسبي القلوب بنظره	وهي مريم حاسك بعفتها العذرا
ولكن تراني عند ملقى جالها	ولو كنت في الخمسين نفسي بها خضرا

(تاريخ رزق الله خضرا)

هذا هو رجل الجلد أول من احيا صوفر ويلزم ان تسمى الخضرا باسمه وطول حياته يعمر ويشغل توفي
 في جونه ودفن في صربا وايجابا لطلب امراته السيدة مريم نهر قلت هذه الايات :

قــد كــان لله رزق	في الارض قــد عــاش حرا
وكــل ارض اناها	اضحت بمــها خــضرا
مذبات زوجاً عفيفاً	لمريم نــال نصرا
قد عاش سبعين عاماً	لله لــم يعــصى امرا
من غير سبعين عمراً	ارخت رزق الله خــضرا

لوجمت أحرف رزق الله خضرا وحذف منها سبعون لكان الباقي ١٩٠٤ وهي تاريخ وفاته .

(نظيره في الدامور)

قصدت الدامور وهي واقعة قرب السعديات على طريق صيدا لأجل التربة وكان من جملة من معي السيدة نظيرة وكان النهار مغيماً وقبل الغروب بقليل بينا نحن في السعديات اشرقت الشمس وكان قسماً منها غاطساً بالبحر والاخر يستره الغيم فقالت لي نظيره انظر هذا المنظر البديع وتأمله فانه يستحق الشعر وكانت جالسة بجانبني لآبة ثوباً اسود فقلت :

ولما في ربي الســدامور قننا	بشوق نــرــقب الشمس المنيرة
واذ بزغت لنا ما بين بحر	وغيم خلتها نــاك الاميرة
بشوب اسود تصطاد فيه	قلوبنا في محبتها اسيرة
فلم اعلم يقيننا اي شمس	من الشمسين للآخرى نظيره (١٩٠٤)

(نظيره) هي شقيقة نعمان بك الخوري قنصل فرنسا في مداغور ونجيب بك في صفاقص وأخت عادليدا ارملة المرحوم اخي وابنة عمي المرحوم يوسف بك مبارك قاضي دير القمر سابقاً . فيوماً كنا نتتره سوة عند الصباح وبرجعونا الى بيروت من الحدث مررنا بحقل مملوء بالشقائق المسمى شقائق النعمان فقلت :

ولما بدت صباحاً شقيقة نعمان	لقــد خجلت منها شقائق نعمان
لذاك قد أحمرت حياء خدودها	وقــد احـرقت قلباً بغيظ ونيران
وقالت بدت لي في الانام نظيرة	وقــد جمعت في وجهها كل الوان
لما نرجس الالحاظ عني زينة	ووجنة تفاح وثمرة رمان
ولما بدت ازهارها قلت هانفاً	ايــا ليتني قــد كنت حارس بستان

(القسان العسان)

كان قسان شقيقين يقفان سوية فدخلت مرة الى الكنيسة وحين رأيتها قرب المذبح الذي عليه الصليب قلت :

لما رأيت صليباً فوق مذبحه ما بين حنا وجبرائيل قسين
حينه واقفاً من فوق جلجلة وانسه لم يزل ما بين لصين

كانت جميلة اسمها مريم تشم وردة لم تزل زراً فقلت لها :

وعندما يأمر يا الورد قبالك وضم فاهها لتقييل وقبلك
والله لم نسدّر في تقييله ابداً فسأني ثمر من الثغرين فهو لك

وقلت في صاحب مكتبة لا يعرف منها شيئاً :

قالوا فريد من حديث قد بدا في جمع مكتبة نعي الاشعارا
فأجبتهم هذا اقراء ببل له عشرين عاماً يحمل الاسفارا

وقد سم مطران اللباسة أكثر من الدين لأنه لا يعتقد فيه أنه رجل دين وكلما يقال في مدحه انه عظيم الجسم ولا احد يقول انه نقي او دين وكانت سيامته في آذار الذي تحمل فيه الشمس في برج الحمل حب علم الفلك فقلت :

في حلول الشمس في برج الحمل حل روح القدس في هذا الحمل
لا تخف ان وعظمه يهلك عن اعتزل ذكر الاغواني والفرل

وهكذا كل قصيدة ابن الوردي والبيت الاخير :

للذي يأمّن في تقواه قلل كيف يعنى في جنون من عقول

(المراميون)

ان السيد المسيح مثل الصبر والاحتمال والمنفرة وحب الاعداء ما غضب الا على المرامين فكان في صلبه ينفر لصاليه ولكن ما أمكنه احتمال الخبث والفسخ تحت طي الصداقة فانا معذور ايضا فكنت في

أحدى الجلسات امرأة متوسطة العمر خيثة ومعها ولدها بنن الخامسة والعشرين من انحس الاولاد وكان معي ولدي حلم وكنت اتحدث بحدّة عن رجل قبيح وعند الحدة يفقد العقل ويفلت اللسان فقلت عنه عكروت لأن هذا وصفه فهل عندك اسم له خلافة مها تلاحظت واذا ما قلت الاسم سريحا نشير عليه فيفهم السامع كأنك قلته حاصله عندما قلت ذلك اجابني السيدة ان هذه الالفاظ معيبة لا يلزم تتكلم بها أمام ابنك فأجبته ان ولدي لا بد ان يتعلمها فليتعلمها مني احسن لأنني اعرفها له حقيقاً وانها كلمة معيبة وصنعها العن فيرتدع عنها أحسن ما يستحبها من غير فهل حضرتك تكلمتي بهذه الكلمة أمام ولدك قالت كلا فقلت لها لماذا طلع أول عكروت لو افهمتيه اياها أولاً برواق لكان تحاشاها فضحك الكل وعرفوا خبيثا .

(حادثة اخرى) وكنا في جلسة مع سيدة تدعي بالجمال وتنكت على الغير جميلين فارادت ان تعمل معي هذه النكتة فقالت يا دكتور لماذا كل أهل الجبل اوجههم ملخبطة فقلت لها حيث اهم لا يغيرون البذار فسكت وتابت عن هكذا سؤال :

وقلت لراهب اسمه عريان كان سمياً بليداً :

لو كان يسوع بنسى فضل جدكم
لكن ان يحكي من الغبراء ذكركم
عليه في مزود مذ بات بردانا
ولن ترى في ربي لبنان عرياننا

قلت في مدير المعارف ولم يعرف شيئاً منها وكان اجرداً :

لعلكم ان المعارف جمّة
وما ذاك الا لاختراع علومه
عجبت بان اليوم ناطرها اجرد
بتقديمه خطي وتأخيره ايجد
فهنوه بالنصف الاخير لسفص
تطيب له قرشت وفي ضطخ يسعد

(عرس اسما شهاب) هي احدى السيدتين التي نظمت لها الايات التي ذكرتها سابقاً وكانت حفلة الاكليل في ٢١ حزيران سنة ١٩٠٣ :

فن كان اصلاً سليل شهاب
وان الخدود لمن جناحار
فوالله حق لطلعة اسما
واننا نقول بهذي الليالي
ونشرب كأساً بسر الشهاب
وفيك ايها دهر ارخت كأساً
ومن نل نور أمــــا يعتلي
يقطب سليم نقبي جلي
تقول الشمس النهار احجلي
اقيمي دوامــــاً ولا تعجلي
فسر الشهاب شريف علي
فاسما عروس ات تنجلي (١٩٠٣)

(وقلت في مليحة اسمها مريم)

لما بدت مريم في الصدر حاملية رمان عदन وفي الخدين ازهارا
عجبت في الحال من رمانة حملت في منظر واحـــــــد زهراً وأثمارا

(مكتبة انطون كتمان)

كنت أزور مكتبة هذا الرجل فلم أجد فيها غير زيور داود المشكلة ولا يوجد فيها كتاب علمي وكانت
ممتلئة من الخوارنة من كل الاجناس فطلب مني ان اقرط المكتبة فقلت فيها :

ومكتبة لكتمان تامت بملقى كـــــــل قيس وخوري
كان جمجمة التوراة يوماً اقامتها لشكيل الزبور

(خلف الستار)

كنت جالسا ازاء نافذة عليها ستار سدول كان خلفه بدبة لا تظهر الا قليلاً وكنت انحمر كي اعلم من
هي على عادة الشرقيين بالفضول خصوصاً بهكذا ظروف وببها كنت اترقب الغرض اذا بنسمة لطيفة
ابعدت الستار وارتي من خلفه تلك المليحة فنظمت لهذه الصدفة ما يأتي :

وغنائية خلف الستار تحجبت لذلك قد ذاب الفؤاد من الجوى
انت نسمة زاحت ستار حجابها فلاح جين قد اعاد لي القوى
فلم تذكر العشاق من قبل صدفة بأن الهوا الممدود قد ساعد الهوى

(مطران اسود في ثوب احمر)

قابلت أحد المطارنة الذين يلبسون الثياب الحمراء وهو اسود اللون فحالاً افتكرت بحقل كنت ماراً فيه
وأبته مملوءاً من شقائق النعمان وببها نبات يسمى اللوف وهو ذو زنبور تدعوه العامة بز العبد فقلت بذلك :

ولما بدت صباحاً شقائق نعمان تحيط ببز العبد من أصل سوداني
علا رأسه عنها فعالاً حبيته سيادة عمان بملسة مطران

(سن الخمسين)

كنا في جلسة تنازل الاشعار وكانت احدى السيدات الجميلات حاضرة وهي نحب المزاح ممي
فقلت لي اراك نحب اشعار النزل كأنك لم نزل بسن العشرين فقلت بذلك :

قالوا تعديت حد العشق في عمر اذ صرت مــــا بين خمسين وستين
نراك تذكر اسما كل طالعة تصبر اليــــما كمن في سن عشرين
اجنهم سادتي ما دمت في ولــــه احس في نيل عين بسات يرميني
ودمت اشعر في الطــــفاف انكم لا فرق بين عشرين وتعين

(المصور الاخ جبرائيل)

هذا الاخ ماهر جداً بفن التصوير وكان وكيلاً لمصروف مدرسة الحكمة في بيروت التي اسماها المطران
يوسف الدبس وقد وضع لي صورة تشيني جداً فاعجبني وطلب مني شعراً فقلت فيه :

ولما بيــــدا الرحمن صورة ادم هنالك جبرائيل قد كان حاضراً
فلمــــه الرحمان تصوير خلقــــة لذلك في ذا الفن قد صار ماهراً
فن شاء فليذهب اليه فانــــه بلا شك مثلي يرجع اليوم شاكراً

(تخميس غصبوا الصباح)

قوم لقد أخذوا الكرام جددوا وهم ظباء قد ولدت اسودا
من بعد ما سلبوا الحشا وكبودا غصبوا الصباح قسموه خدودا
وتاهبوا قصب الازراك قدودا

هتكوا بجز جالهم احوالــــنا ونحجبوا كي لا نسال منالنا
وخشوا بضوء جيهم اوصالــــنا فتظفروا بظفائير بدلوا لنا
ضوء النهار يليلها مقودا

مع انهم ملكوا المرأة عينها لنفوسهم غللت المرأة دينها
كي لا ترى نقاً تقارب بينها صاغوا الثغور من الاقحاح وبينها
ماء الحياة لمن اردن وورودا

وقد اختشوا من بعد ذل غدرنا لم يتركوا من الــــة في حربنا
وتفتنوا ككل الفنون لقهرنا لم يكفهم حد الانسة والقنا
حتى استعاروا اعيناً ونهودا

وعندما كنت ماراً أمام كنيّة وجدت كاهناً يدعى متى عاظاً بناس تقبل ايديه وهويارك فخطر ما
يأتى بفكري فنظمت :

لما بدا متى يسارك قومه	وتباس ايديه بكسل وقار
آيت اذ عاينت اهل بلادنا	سقط عقولهم لهذا المقسدار
نم أن تاريخ البلاد افادنا	عن قوم مصر عابدي الايقار
وكذلك قد عبدوا الهام كهلها	لكنّ مـــــــا نوحوا أكف حار

اخبرت ان الامير سعيد يزم احد اصحابي ويقول كلاماً قيحاً قلت بذلك :

ان الامير سعيد من عاداته	زَمَ الاجبة والعدا مع ذاته
فكلامه افراز ما في قلبه	فيكون طبعاً مثل افرازاته

وكنت أشد بعض اشعاري فقال لي احد الحاضرين ان قولك وكلك مرّ فأجبت (ومعى البول
السكري) :

اذا كان قولي ظاهراً ذا مرارة	فبولى من فرط الخلاوة قـــــــد يسمو
نصحتك علماً بالذي في حشاشتي	بحريسة فاختر لنفسك ما يحلو

(شاكر بك هيكل)

هذا هو الان معلقة الدامور بالفتا والجاء والكرم وملقى الاكابر زرتة في ١٧ حزيران سنة ١٩٠٦
ف نظرت على جدار صالتيه صورة اسدين احدهما راكم والاخر قايم فقيل لي انها من شغل ابرة مدامته
السيدة فرجيني كريمة المرحوم دركلو فتصل فرنسا في صيدا الذي ذكرت عن هته في حادثة الستين و اخت
مسيو اوجن الذي كان يومئذ قنصلاً محل والده وتوفي سنة ١٩٠٧ فقلت عن الصورة :

بـــــــدت في دار فرجيني اسودّ	لو انتسبت لهم كــــاتوا جــــدودا
قد اصطادتهم بشباك جفن	فخروا نحو طلعتهم مـــــــا سجودا
مقيــــدة بــــايرتها برسم	ومــــا زالوا لهيئتها قعودا
ولم نعجب لبيع قــــاد سبعا	ولكن ظيــــمة اسرت اسودا

(المطران باسيليوس حجار مطران صيدا للروم الكاثوليك)

ولد في جزين سنة ١٨٣٩ دخل للمخاضية ثم توجه الى مدرسة رومه واختيراً أصبح مطراناً على حوران والان على صيدا عرفته في دمشق مطراناً لحوران الذي عمل فيها اعمالاً تذكر في القاء الصلح بين القبائل وتخليص ابنة اسمها حرايا من السبي وبعد توفي مطران صيدا انتخب لها وهو الذي اظهر صيدا للوجود لان النباتات التي عملها في خارج البوابات اظهرت صيدا ونقلتها من الظلمة الى النور ومشي الجميع على هندسة بناياته واعطى كل ذلك اللوقت وقد عمل مدرسة الان في دير القمر لا يكل من التيب صاحب غيرة على أي من طلب مساعدته يتحمس للعمل ويخاطر بحياته للمساعدة زار الاسكندرية وقابل الذات الشهانية ونال كل الوسامات وعندما كتبت في صيدا نهار عيد الفصح سنة الف ١٩٠٦ عيذته ووجدت فرصة لا أقدم له ما يأتي :

لکم شاکر قد جاء في العید شاکراً	ينیکم فیسه بأصدق اشعار
یعلل ما سمیت فیہ لعالم	لتعلم کسل الناس ما أنت في الدار
دعیت بیاسیسل لأنک بسازل	حیاة لب الخیر والبر للجار
ولأرأوا ما شدتسه من کنائس	ونزل واسواقی دعویک بحجار

(السيدة اليس مطران سنة ١٩٠٤)

هي ابنة الخواجه خليل زهار امتازت بذكائها ولطفها ومعارفها عرفت والدها في القاهرة وقد تزوجت خير الشباب وأكملهم مروءة وكرماً وهو رشيد افندي بن اسعد بك مطران من افراد هذه الأسرة الكريمة في بعلبك وانت الى بيروت وكان لها ولد صغير أصيب برمد في عينيه فعانته وشفي وبعد سنة اتى رشيد افندي مع اخيه نسيب افندي الذي كان يضارعه بالصفاء الحميدة وأنت معها عقيلة رشيد افندي السيدة اليس وكانوا يحبون استماع بعض اشعاري وارى السيدة تمر لتلاوتها فاستنتجت من ذلك انها ذات علم وأدب لأن اغلب الناس يتامون عند تلاوة الاشعار وهذا دليل على جهلهم وبلادتهم لذلك قدمت لها الاشعار الآتية :

اليس زهرة زهـر مكرمة	وقد غدت زينة في رأس نوان
ان شئت تعلم من أي الزهور غدت	فانظر الى نرجس بالعين نسان
لا شك زهرة زهـر مكرمة	هـذا هو اليوم ايماني وبرهاني
لو لم تكن بين ازهار مكرمة	ما كان ربك اهداهـا لمطران

والاغرب انه عند تصليح هذه الاشعار حضرت السيدة اليس مع زوجها رشيد وسلفها الى بيروت ومعهم ولد مريض باعينه كآخيه والان ادويه سنة ١٩٠٨ وشفي .

(تهته دولتو احمد عزت باشا العابد بنيشان الامتياز المرصع)

بعد رجوعي الى بيروت من صيفية سنة ١٩٠٤ قرأت في الجرائد خبر انعام الحضرة العلية السلطانية على عبدها احمد عزت باشا كاتنها الثاني بالنيشان المذكور وانها البسته اياه بيدها الكريمة وهذا امتياز اعظم من نوال النيشان المذكور فأرسلت لدولته التاريخ الآتي

في عزة ونعم دمت متشحراً	فلذا جزا عابده المولى ومريضه
لما رأى قلبكم رب البلاد غدا	مثل المرصع في ود بصافيه
وكنتم في امتياز في نهي وزكا	وفي امانة متبوع وتفديده
اهداكم اليوم نيشاناً لمملكة	فيه امتياز وتعظيم لحاويه
(١٩٠٤) اضحى المرصع ارخ وسم صدركم	قد بات يعلو عليه مثل ما فيه

(اعترافي للخوري)

اراد كاهن تعريبي فقلت له بعد الاعتراف :

من بعد تعداد ذنبي والقرار به	قد حلني كاهني من كل تقصير
ناديته يا ابي ارجوك مغفرة	نيت ذنباً فاني شاكر الخوري

اختلاف مطران مع قس

حدث في صيفية سنة ١٩٠٤ اختلاف بين مطران وقس وانقسمت البلاد قسمين وصار كل حزب ينشر اعلاناً وي طرحه في الطرقات ناسباً الى الحزب الثاني كل معصية وقد اطلعت على هذه الاعلانات القبيحة في بابها وقد قلت في ذلك :

في سب قس ومطران نرى علناً	في كل سوق على احبطان اعلانا
كل ثبت ما في الغير من زلل	اذ يحين نفسه حراً ومتحاناً
قد كنت في مجلس دار الحديث على	من منها يدعى زوراً وبتاناً
قلت يا سادتي فالمدين يمتعنا	من ان نكذب قبياً ومطراناً

« نغميس أبيات تنح عن القبيح »

وقول ديوانة للناس عده وكرره على من لم نجده
يلذ لكل من لم يقتعهده تنح عن القبيح ولم نرده
ومن زودته حسا فرده
ولكن للسياسة غير قيده وتصطاد الرجال بغير صيده
وقد قال الجرب عن رشيد متلقى من عدوك كل كيد
إذا كاد العدو ولم تكده

« أحمد ومحمود نجلا فخري بك نامي »

يزداد فخري كل ما شاهدتكم فلذلك احمدكم مدى الايام
وغمدت محموداً لاني شاكر ما دمت شاكركم فخري نامي

« على ضريح هجاء عظيم »

هكذا ضريح السذي ولي بلا أسف هجا ملوكاً وخلاننا تلاففه
حتى هجا كل فرد من اقاربه وكل من قد يراه او يصادفه
لم يبق شخص على الغبراء مشتهراً الا وأضحى بشر القول يقذفه
ان كان لم يهج بين الناس والده ما ذاك الا لئلا يفسد يرفه

آل جنبلاط الآن

بعد توفي سعيد بك جنبلاط وكان الدعاوي عليه من كل جهة وقد ظلمت أملاكه وهربت اولاده
وقامت عليه أصحاب الديون التي كانت لحد مليون غرش لأن عندي علم بذلك من والدي وسكن العسكر
الشهاني المختارة قامت في هذه المصايب مقام الرجل زوجة سعيد بك الست بدرايم الدين والدة نجيب
بك ونسيب بك اولاد سعيد بك المتوفي وكان عمر نجيب بك في الثالثة عشر ونسيب بك بالسابعة فجددت
هذه الست نفسها لخدمة هذا البيت وعملت اعمالاً تعجز عنه فحول الرجال وبخس سياستها وكدها
حفظت البيت كما هو ووفت جميع الديون وحفظت البيت من الخراب خصوصاً بدعوى نعمان بك اخي
نسيب بك الذي يحق له نصف الملك اثناً عن ابيه ولما قصة غريبة حتى اتصلت الى تعيين معاش الى نعمان
بك اربعين الف غرش سنوياً وهكذا انتهت جميع الدعاوي ووظفت مدة رسم باشا اولادها نجيب ونسيب
مديري الشوفين بعدما كان خطار بك جنبلاط وعلي بك جنبلاط مديرين فيها وبقت الاعمال في يدها الى

ان رشد البكوات وقسموا الاملاك بينها فأصبح كل منها مديراً في الشوف احدهما للسويجاني تسمى بذلك بالنسبة لبني السويجانيان الذين حضروا مع بني القوارس الى لبنان وسكنوا فيها والثاني في الشوف الحثي .

وقد كان حزبان بين الدروز في لبنان جنبلاطي ويزبيكي وأما الآن لا يعرف الواحد من الآخر بل كل يتبع منفعة ففظام لبنان حسب التوظيف يعطي لدرزي وظيفه درزي آخر وليس وظيفة موراني والموراني وخلافه بالمثل فما عاد نفور بين درزي ودوزي وموراني وموراني وحيث توظيف الدرزي يكون حسب يزبيكي وجنبلاطي صار اليزبيكي ضد اليزبيكي والجنبلاطي ضد الجنبلاطي والحقيقة ان الحزب تابع المنفعة والدراهم .

فكل هذه المقدمة الى ان تصل الى توظيف نسيب بك قائمقاماً على الدروز لأن كان يفكر الجميع ان لا يرضى الحزب اليزبيكي بذلك ولا يكون حسب الاصطلاح القديم تحت امر شيخ مثله بل كان الحزبان يخضعنا للامراء آل اوسلان فاتفق حزب من اليزبيكي مع نسيب بك لأجل طلب القائمقامية فاخيراً نالها مدة واصا باشا فأصبح نسيب بك قائمقام الدروز وقد نال ما اراده فوق الأمل وهو رجل عظيم كريم الاخلاق والنفس وقصائدي له نفعي عن وصفي وأما نجيب فكان رجل محب لاصحابه وكان مقتنع بمديرية الشوف الذي توفي فيها وله ولدان علي بك وفؤاد بك اللذان تقلبا في مديرية الشوف وأما علي بك فانه باع كل أملاكه في جبل لبنان واشترى عوضها في بيروت وهو قاطن بيروت وعمل جيداً بذلك لأن ما عاد نجد فلاحاً لأملاكه في الجبل بسبب المهاجرة لأمريكا وقد تزوج وله ذكران وأما فؤاد بك لم يزل في المختارة مديراً دو اعتبار عند الجميع ووارثاً محل اجداده .

علي باشا جنبلاط

هو أبين احمد بن حسن اخو الشيخ بشير جنبلاط وكان والده قاطن بيروت فاراً من سعيد بك الذي كان ضابطاً بأملاكه مع انه صهره وعندما بلغ علي باشا سن الاربع عشر سنة جده سعيد بك الى المختارة قهراً عن أبيه وزوجه بانيته الست امنه وذلك قبل حادثة الستين واسكنه في بزازان دار اجداده فبعد الحادثة صار علي بك مديراً على الشوف بعد الشيخ خطار الذي زعل منه جداً لأخذ وظيفته وكان الشيخ خطار زوج عمته بدون عقب فنكابة فيه وقف أملاكه الى نسيب بك ومنها الملاية فوق صيدا التي شاد فيها نسيب بك قصره الآن الذي عملت له التاريخ ثم توجه علي بك الى البرامية وسكن فيها وشاد فيها قصره الجميل الآن واعتنا بأملاكه التي كانت تدخل له أولاً من الاربعين الى الخمسين الف غرش أصبحت تدخل لحد الاف والخمسمائة ليرا وقد نال رتباً حتى وصل الى رتبة روملي بكلكر بك بلقب باشا ما عدا الناشين المجيدي والعثماني الثالث والایراني الثالث وهو رجل سلامة بعيد عن الشر يحب راحة الفكر وقد توفت زوجته ابنة سعيد بك وله منها الآن شكيب بك عضو مجلس الادارة عن قضا جزين وقد تزوج

وكل شيء سواه عندنا عرض فان أبي فالأقاحي منه لي عوض
من عرض الدر عن زهر فابضاً

(تاريخ لأبن بطرس الدبى)

للقدس بطرس قدس أنى
تاريخه قسالى لك
ولدى بكـ انون رسا
هذا خلفه بطرسا ١٨٨٣

(إلى قائم مقام بعد عزله)

عهدي بما سر شامخ متجرف ويزيد عند الفوز بالوصول
واليوم أضحى باللطافة فائقاً لا شك ذلك تلطف المعزول

(برديوت) هي رتبة زائر الكنائس وتدعى باللغة السريانية سبور وقد منحت هذه السنة لأحد الكهنة
فقلت فيه :

أنت المعلم في إسرائيل من قدم
في أنزلوك مقاماً في سيماهم

(الخوري يوسف العلم) هو وكيل المطران يوسف الدبس ورئيس الديوان الاسقي من الكهنة المصلين الماهرين في حسن السياسة شاعر مجيد وقد نظم قصيدة بمديح مريم العذراء في عيد يوبيلها الحبل بلا دنس وسماها حامة الشرق وترجمها وارسلها الى البابا فالت شهرة عظيمة وقلت مرقظاً الحامة :

حتى غدا مثلاً للحب في الأم
منه حاتمته ناراً على علم

(مونسنيور) يجوز لحامل هذه الرتبة ان يلبس خاتماً وله امتياز بلباسه وقد كثرت جداً وصار الكهنة يتراحمون على نوالها ومن جعلتهم كام اسرار احد المطارنة قتلته :

الى كاتم الاسرار قد جاء رتبة
فرحت لمونسبور في نيلسه العلا

« تذكّار المهاجر »

هذا ديوان قصير بك ابراهيم المفلوف من اهالي رحلة القاطن سان باولو في البرازيل ارسله هدية اليّ مع هذه الكتابة هدية واكرام الى جناب الشاعر المصري المتفنن والدكتور النطاسي شاكر بك الخوري من المعجب بخفة روحه .

قصير ابراهيم مفلوف

لما رأيتك للمعارف عاضداً وبكرمة الآداب أفضل عاملاً
القيت بين يديك ديواني على أمل بأن يحظى بنقد عادل

« الجواب سيدي القصير » كذاك اسمك لتكون سيداً تطلب حكماً وانتقادي على تذكّار المهاجر
فحكمت نقداً بأن قصير الشعر شعر قصير وهذا قرار الحكم :

مذ دخلنا ديوانكم قد رأينا فحسب شعر مفلوف در وجوه
ليس فيه غزالية او غزال لا ولا حوام كذلك وعنز
ماشياً في السهول مثل القوافي من معاني الصدور قد كان يسر
فنويت تقديم شكر بشعر في مديح لقصير الشعر يذكر
فأني القريض اني بليد في مديحي فقال لي وهو اخبر
لت اهلاً للمدح في كل حال قم واعطي لقصير مــــا لقصير

وقلت في جملة اسمها روزا حضرت لمعالجة عيونها وكانت بديعة في الجمال :

طرف روزا لولاي قد بات روزا مذ كشفت السواد منه سباني
كساد يعنى لولا علاجي وطبي مذ رأيته بهمه قد رماني
كان عبداً حررتّه في علاجي في علاجي جنّاه فاستبداني
قبح الله اسوداً كــــل حين ليس يومياً لاسود من امان
فهو عبداً لا تشتري العبد الا ان ذا قاله نبي المعاني

اشارة الى المتنبي الذي قال لا تشتري العبد الا والعصا معه . وروزا معناها ورد وقد شخصت في
اليسوعية رواية وفاء السموّل تأليف الاب خليل اده وقد قرطتها :

حضرت ربابسة فرأيت فيها مثالاً للشهامة لا يزول
وقد نظمت بها تلك الدراري بنظم ما له ابداً مثيل
توهت المزل عباد حياً وللأرباب قد رجع الخيل

الخليل هو الذي وضع العروض للشعر .

وقد اعطاني السيدة اسما كريمة الخواجه خليل سركيس وزوجة الشهم الفاضل جرج افندي فيليزي
مدير المطبعة في بور سعيد كارت بوستال عليها صورتها فحررت عليها ما يأتي :

ما هذي هي كرت بوستال كظاهرها لكنيها تلغراف الشهم ماركوني
انظر الى عين اسما عند جانبها تجرُّ من دون سلك قلب مشجون
فان غدت في حجاب عن نواظرنا فالفكر فيها غداً سلكاً لمفتون
لذاك فكري بها قد بات يحذيني لبور سعيد مع اني في محمودون
الف وتسعة مئات وثمانية يسر طيسار عينها بكانون

وقد حررت لها هذه الايات بخط يدي الذي هو غير جيد فلكني اعتذر لها عن شاعة الخط قلت ما
يأتي :

لا تنكري سقم خطي في مكاتبي ولا سطوراً عن التخطيط منحرفه
ما تفكر بك كطيسار ير يدي فكيف نحن خطاً وهي مرتجفه

وقلت عندما كنت في البترون راثراً ابراهيم بك عقل مديرها ورئيسها واكرمها وشاكراً اللطاف مدامت
السيدة الماسة :

رأت في قضا البترون عينا ي درة يقال لها الماسة ما لها مثل
تبيت مدى الايام في الجاه والضفا بلا كدير من حيث حافظها العقل

« منصور بك شتوان واخوه يوسف بك »

هو من عائلة شتوان الشهيرة من طرابلس الغرب وقد حضره والده الى الاستانة العلية وكان عالماً مكرماً
وله اعتبار عظيم لدى الوزراء ومن جملة ما اخبرني عن صداقة والده مع عالي باشا الصدر الاعظم الشهير
وذلك ان والده كفل رجلاً يبلغ خمسة الاف ليرا وأفلس الرجل فالتزم والده ان يدفع الدين ولكن

ولكنني اشدو بمن طــــاب عنصراً
له شهرة بالعدل والجدو والنهى
فلست سوى ذا الشهم يومئاً بشاكر
وجدت منى قلبي بذات مليكنا
سليــــل ملوك ساهر لرعيــــة
فان ندعه عبد الحميد فاننا
ولكنه لا كالميد يسونا
رؤوف حلیم عادل ذو ساحة
يغازي أميناً او يعاقب خائناً
فما ولي الاجساد قهراً وانما
رقاب البرايا ملكه كفلوهم
فهذا هو الحكيم الصحيح وعثره
يعطرب قريباً ويفرح شاعراً
فهذا اقتضار للملوك بحكمهم
ولما سمي بالعدل عصر مليكنا
وفاضت على الطلاب انوار شمه
فخفت على ابصارهم من دروسهم
فلا غايي فيه بيان فصاحة
ولكن قصدي حفظ صحة يافع
ويجمع ما بين القلوب لائقه
ولا يرتضي حب الملك تيسادلاً
الى بابك الاعلى تقدم جائياً
اعاديه بالقرب الذي منك ناله

وفاق رجال العصر بالحن كالعين (٨)
مضوعة في كل صقع من العين (٩)
ولو جاد في الدنيا وما ثم من عين (١٠)
له العدل طبع وهو اعدل من عين (١١)
كما سهرت ام على الابن والعين (١٢)
عييد له يقون اطوع من عين (١٣)
ولكن كابتناه له موضع العين (١٤)
تفيض كفيض القطر من سحب العين (١٥)
ويقضي به في الشرع للعين بالعين (١٦)
جری حبه في القلب كالماء من عين (١٧)
لذا خضت رأسي وما ركمت عيني (١٨)
مدى الدهر محظوظ من الضر والعين (١٩)
وينشده صوت البلابل والعين (٢٠)
وليس يجوز في الرعيــــة او عين (٢١)
نامت به كل المدارس كالعيني (٢٢)
كما اشترت شمس الضحى في ضيا العين (٢٣)
فجئت لهم بالحال في صحة العين (٢٤)
ولا نظم در اللفظ من لجة العين (٢٥)
ليخدم سلطان البلاد بلا عين (٢٦)
كما جمعت في كلمة لفظة العين (٢٧)
ويقضي ولا يخشى مراقبة العين (٢٨)
على رأسه لا بلل على ركب العين (٢٩)
مرارتهم شقت كشبح من العين (٣٠)

- (٨) قبة العراق (٩) الناحية (١٠) الذهب (١١) عين الميزان (١٢) الاخ الشقيق (١٣) جريان الماء
(١٤) الضمير (١٥) السيل الذي لا يتقطع (١٦) المثل بالمثل (١٧) نبع (١٨) الركبة (١٩) الإصابة
(٢٠) طير (٢١) ضرر (٢٢) مدرسة قصر العيني (٢٣) شعاع الشمس (٢٤) اسم الكتاب (٢٥) اسم
كتاب للخليل (٢٦) رب في المكاشفة (٢٧) عين الكلمة وسطها (٢٨) الجاسوس (٢٩) نقرة الركبة
(٣٠) خرم في المرأة

لقد نال فخراً بعدما كان صاعراً على كرة الدنيا كراس من العين (٣١)
فحب به أهل البلاد جميعها وقد فرحت فيه للنازل كالعين (٣٢)
واصف له أهل العقول لأنه أرق من الشكوى وأحل من العين (٣٣)
جمعت به كل المعاني بعينه ولم يبق له معنى يرد في عين (٣٤)
ولا ينهي مني المديح وإنما على الرغم قد انتهت فاقية العين (٣٥)

وقلت في صدر الكتاب

لسلطان الورى عصر جديد أنت لفلاحه كل العناصر
فلنسا من عدالتنه نجاحاً وأضحى الكسل حتى العبد شاكر

قدمت من هذا الكتاب نسخة مذهب من أحسن ما صنع تلى جلالة مولانا السططان الاعظم بواسطة دولتو عزيز باشا والي بيروت وكذلك قدمت نسخة منه بواسطة المکتوبجي حسن افندي الايويي لنظارة المعارف الجليلة في الاسانة العلية واتاني جواب شكر من وزيرها بواسطة اسماعيل كمال بك والي بيروت ولم يزل هذا التحرير عندي وهذه صورته :

تحرير الولاية بيروت ولايتي مكشوفي قلمي عدد ٣٤

لقد صار مطالعة التحريرات الواردة من مقامكم العالي المؤرخة في ١٦ تشرين ثاني سنة ٣٠٧ والمتضمنة ارسال اربع نسخ من كتاب صحة العين الذي توقع لتأليفه الدكتور شاكر افندي الخوري من ادياء بيروت واطباءها الحاذقين وحيث ان همة وغيرة المومي اليه بهذا الخصوص موجبة للمكافآت فانشاء الله سيصير الاجتهاد بتطبيب خاطره في الوقت المناسب فتفضلوا بتفهم ذلك وبيان المخطوطة منه باسم النظارة ٢٢ جهاد الأول سنة ٣٠٩ — ١٢ كانون أول سنة ٣٠٧

نمرة

٤٢٢

الى الدكتور شاكر افندي الخوري من اطباء بيروت .

ان التحريرات الجوابية الواردة من نظارة المعارف الجليلة بناء على تقديم نسخ معلومة من كتاب صحة العين الذي الفتوه وارسلوه بواسطة مقام الولاية صار نقل الصورة عينها اعلاه فبلغكم ذلك في ١٨ رجب سنة ٣٠٨ و ١٥ شباط سنة ٣٠٧ والي بيروت اسماعيل وبعد مدة نلت النيشان العثماني الرابع مكافأة .

(٣١) اسم بلدة (٣٢) اهل الدار (٣٣) المعاشرة (٣٤) لفظة مشترك (٣٥) حرف العين .

وقد ارسلت نسختين من كتاب صحة العين الى باي تونس والى الوزير الأكبر عن يد ابن عمنا نعمان
بلك الخوري الذي كان يومئذ في الوزارة التونسية فورد لي التحرير الآتي من الوزير الأكبر وهي :

الحكومة التونسية الوزارة الكبرى الحمد لله الفاضل الأديب الآتي على فنون الحكمة باحسن الاساليب
الدكتور السيد شاكر الخوري ادام الله رعيه وشكر سعيه

أما بعد فإنه بلغنا كتابكم مصحوباً بنسختين من تأليف جنابكم المتع المقيد المهدي للعيون من
النصايح ما تريد المسمى بصحة العين بواسطة غبة اقراوه الاكتب البارع الشيخ السيد نعمان الخوري فتلقينا
ذلك بالسرّه ورأينا من هذا التأليف ما اهدى للعيون قره مع ما هو موشع به من الاداب وبلغنا لحضرة
المعظم الارض مولاي وسيدي دام عزه وعلاه النسخة التي خصصتها لعالي جنابه فتلقاه دام بقاءه
بالبشرى واثنى على جنابكم بما هو به اخرى ونحن نشكر جنابكم على اتحافنا بهذا التأليف الشاهد لدينا
جنس مؤلفه بالايجاد واهليته للابداع والافادة والله تعالى يديم ترفيكم في مدارج العرفان ويعينكم على
ابدى المسامرة الحميلة للعيان .

حرره الفقير الى ربه تعالى امير الامراء محمد العزيز بوعتور الوزير الأكبر عفا الله عنه في ذي القعدة
الحرام سنة ١٣٠٩ .

محمد عزيز بوعتور

وهذا ما قلته في صدر الكتاب :

وجدت لعميان البواصر صحة ولكن لعميان الصاير لم أجد
فمن شاء يوماً حفظ صحة عينه بلا شبهة عن صحة العين لم يجد

نادرة مع الخوري يوسف العلم

تقابلت معه صباحاً وأنا ذاهب الى مستشفى راهبات المحبة لأجل مداواة اعين المرضى فقال لي أين
انت ذاهب بهذا الصباح اجبت الى حيث انت ذاهب قال وكيف ذلك قلت اننا نسعى لعمل واحد وغاية
واحدة فاذني اسعى لمداواة مرضى العيون ومعاشي عليهم ويشفون أما انت فعاشك على عياني القلوب ولم
يشفوا .

وقد وجدته مرة اخرى مع ابن عمي الذي هو الان المطران شكرالله متوجهاً نحو كنيسة مار جرجس
فصرخت له هل ذاهب بابن عمي على جناح الميكل لان الشيطان أصعد المسيح الى هناك .

(على صوري في كتاب صحة العين)

على الوطن العزيز وقتت نفسي
سأحمد فضله ما دمت حياً
طرزت هذه الأبيات باسم اسما
اسرت فؤادي عينها ففدا بها
سمعي وعقلي والحواس واجمعي
مقومه نمانسة سكرانسة
اجفانها عمداً تخون اسيرها
لما يلبسه نحوي من مآثر
ويبعد الموت هذا الرسم شاكر
متحركاً بجراكمها وسكونها
لم يدركوا السر الذي بيوتها
حملت على الغنى سيف جفونها
مع انه ابداً بني يمينها

وقلت في كحال دجال اسمه امين ولكن لا على العين :

وكحال بمالنج كل عين
له ايسد عصا موسى تحاكي
اذا مد الشمال لكحل عين
له في الطب دوماً معجزات
فيوشع رد شمنسا في غروب
ومذ طمت بما قد كانوا ظنوا
فلو القناه في بيدر وشمس
وله : يا زائر الكحال صباحاً فانتبه
لا ترعجن فلن من عاداته
نظير الفرس بالقلع المتين
تفجر كـ كـ ل يوم الف عين
فخذ عكازة لك بالعين
عالفقة لآيات ابن نون
وذا اخفاهها عن متكلمين
اصاب سوادها كحل الامين
بلا شك لاعصى النيرين
ان الرجوع يكون في وقت الما
لمرضه لقيادة يعطى المصا

(حسين افندي الاحدب)

هو ابن الشيخ ابراهيم الاحدب العالم العلامة الشاعر اللغوي الفقيه المستقيم الذي كان معلماً حين كان
عند سعيد بك جنبلاط معلماً لأولاده وفيما بعد انتقل الى المحكمة الشرعية في بيروت وتعين فيها باشكاتباً
وبقي في هذه الوظيفة حتى سنة وفاته سنة ١٣٠٨ هجرية وقد اختلف ذكوراً وأكبرهم رشيد الذي توفي
بعده بمدة قليلة وسعيد الذي كان باشكاتب مجلس الادارة في بيروت وكان رشيد في المحكمة الشرعية ايضاً
ولخوهم عبد الحميد من التجار المعتبرين الان وحسين افندي المذكور الذي هو رئيس قلم الأوراق في
الولاية وهو أنموذج الصديق والامانة والمودة والذكاء حتى أجمع الكل من سائر الملل والنحل وتباين
المذاهب والأغراض على امتداحه وقد نال الرتبة العليا والنياشين العظيمة وقد رزق ولد ذكر سنة ١٣٢٢
هجرية وسماه ابراهيم باسم جده وطلب مني تاريخاً هجرياً لولادته فنظمت له ما يأتي :

نسل الحسين مطهر	ومشرف ومسؤوب
يحيى الحفيد فضائلاً	في الجدد كانت تطرب
ولي ابراهيم شاهيد	فيما أقول وأكتب
عشر واربع حجة	قد غات ذاك الكوكب
واليوم ارج شمس	رجس ابراهيم الاحدب ١٣٢٢

وقولنا عشر واربع حجة اعني اربع عشرة سنة وهي المدة التي مضت على وفاة ابراهيم الجدد فاذا حذفت هذه المدة من سني ولادة ابراهيم الحفيد يبقى ١٣٠٨ وهي سنة وفاة الجدد فيكون هذه الايات قد حوت تاريخين الأول لولادة ابراهيم والثاني لوفاة ابراهيم الجدد .

اسكندر بك التويني

هو الرجل الذي خدم حكومة لبنان مدة ٣٦ سنة متصلة وكان سياسياً عظيماً ليس بالعضوان والقوة بل بالبرهان والرفق واللين وكان صديقاً لصديقه وحزبه لم يفلك عنه ابداً فتارة يرتفع الى اعلى الدرجات فيرفع معه من يخصه وحين كان يهبط يهبط معه اصداؤه وهو الوحيد الذي حافظ على حزب سياسي في لبنان بيروت الأصل من عائلة كريمة اشتهرت بمكانتها منها عمه المرحوم الخواجه جرجس التويني صاحب الجاه وكرم الاخلاق وأولاده منهم الخواجه نخله معدن اللطف والانسانية واحد تراجمة قنصلاتو فرنسا وقد دخل في خدمة الحكومة اللبنانية مدة فرنكو باشا كترجان المتصرفية لم أصبح مدة نعوم باشا مدير البوليسك وبقي في وظيفته الى مدة مظفر باشا سنة ١٩٠٢ وبعد ترك وظيفته تقريباً توفت زوجته السيدة نظله صاحبة العقل الذكي والتدبير والسياسة ولم يمض على وفاتها ثمانية اشهر تقريباً حتى تبعها زوجها اسكندر بك الذي كان قد تعين عضواً بمجلس ادارة ولاية بيروت .

وقد نظمت هذه القصيدة للسيدة نظله مترضاً بها لشاعر لم يزل كشمراء الف سنة يشبه الممدوح بالشمس والقمر والغصن فالوضوح بين هالين من قصيدته :

مذ شيوخا نظلة بالريم والذهب	واقه قد أنزلوها اليوم عن رتب
ما الريم ما الغصن ما الاقار في فلك	(ما الصبح ما بين غخور ومضطرب)
فصارت الناس غير الارض عابدة	بل كل فضل وعقل واثق طرب
هل عن ملاك يقال الليل طوته	(من فوق غصن باننداء النهى رطب)
ان شئت وصف ملاك مثل نظلة قل	هي الكمال ولا (اصفى من الذهب)
ولن تحدث عن أوصافها ابداً	في السن الناس من عجم ومن عرب
بل خذ لسان ملاك حين تذكرها	مترضاً في سماء الجدد بالسحب

عن نعمة الله حدث حين أحدثها
وعندما خرجت من حضن والسدة
والعلم والجلود والمعروف قدد خلقت
ما هذه بشر لو منهم وجدت
بل روح قدس لغات الخلق قد عرفت
من كان يا شاعر هذه محاسنه
لكني عساؤلا شاكر ابداً
من حيث انك مهزار رضىت به
بالخمر فالخمر احل ما تهم بها
وعندما قد قصدت المدح في ملك
لا شك انك اقوى شاعر يزغت
لا عيب في الوقص او في التقص عندكم
فأنت بالشعر بحر كامل عذب
لو كنت من قبل وزن الشعر متمدحاً
عروض شعرك تعريض بلا غرض
ما كان اغناك يا مهزار لو كرمأ
لان لا شاعراً منى غرضاً

من خير والسيدة لاقت لخير ابر
منى تملأ حضن المجد والحب
تجدت فدعوها نظلة الحقب
ترى عيوباً بها والله لم تعب
حلت على اسكندر الاعلى من الشهب
هل جاز تشبیهه بالخمر والعنب
فيا اتيت به في الوصف واللقب
وأكل النمر قد شبت بالرطب
شبتها دون تكليف ولا تعب
قد كنت (ما بين محمود وذى عجب)
له الدراري بالفاظ من الضرب
ولا زحاف ولا بالخين والسب
لكن في مدح ذات الفضل لم نصب
وزنت عقلاً لما عرضت للشغب
مضعف فاعل ما جاء بالطلب
ملطت فاك ولم تدخل بهذا السب
في مدح نظلة ذات الفضل والأدب

وعندما لبست في البالوليس جنية وهي عبارة عن شبكة وضعتها على رأسها ورفعتها على ايديها نظمت
لها ما يأتي على صورتها التي تصورت بها بهذا الزي :

هـل يخفى شمساً شباكُ	اشتبكت بر	مهما
مما أنت الا ملاكُ	كجني	ولسو

ولما تولى متصرفية لبنان نوم باشا وعاد اسكندر بك لنفوذه الأول بعد ذهاب كوبليان قدمت له هذه
القصيدة :

تراه يصغي لزل طيبه عبقا	من كان في مجده او جده غرقا
ام يحببه خيالاً قل ما صدقا	أينظر الشعر في حين الرضى ابدا
لا في ممانيه او لفظ به نسقا	ظرافة الشعر في الموضوع كائنة
وما له رهجة ان جال او شرقا	فالهجو كالمدح في غير أهله عدم
لا ادري ان حسناً قد جاء او لبقا	فالشعر عندي شعور القلب اعرضه

لا بد من بعضهم عنه بلا غرض
 مدحت قوماً فقالوا ملحم كذب
 هجوت قوماً فقالوا الصدق شيمته
 لا بد من سبب للمدح اعرضه
 ان كنت أصدق في الخالين لا عتب
 لا يعرف المرء الا حين قدرته
 ان كان في هذه الأحوال ذا كرم
 او كان بالعكس فاذم لا تخف ابداً
 من كان بالذل منقطعاً بأكثر ما
 ان الذليل لثم عند قدرته
 والكسل في المدح لاسوفى ولا أحد
 اقمت من بعد ذا لا المدح انظمه
 فكرت في استعذر المقدم شيمته
 ولم تجد قط مأموراً يقابله
 ولا حزين وذا دعوى يساعده
 ولم تجد ذكره ان جبال في بلد
 ولا الذي قد رآه غر مكرمة
 ولم تجد صاحباً بمن يماشره
 له الكرامة عند الناس واحدة
 فـاليوم جئت بهذا الشعر مفتخراً
 وفخره واقتخاري قول سامعه

راض وبعض لاغراض له حقها
 فرما صدق الراوي وما رفقها
 والبعض قد كذبوا من بينهم فرقها
 وللهمج سبب كالصبح قد فلقها
 بل كل لزم على من أوجب القلقها
 لأنها تجعل للظوي متعلقها
 أمدح ولا تخش تكذيباً ولا زلقها
 لان هذي طباع المرء لو يرقها
 يلقي في العز غداراً وعزرقها
 وابن الكرام لذل يلحق الشفقها
 في المجر الا لضحك شذقه انشدقها
 حتى ارى الكل في المدرج متفقها
 دون اعتراض ولا من ضدها نفقها
 ويشكي راجعاً ان جيبه اغرقها
 ويشكي قبل حكم فله نفقها
 لان كل امرئ في لعنه نطقها
 لكن عليه اذا دار القفا بصقها
 قد شك في صدقه او فيه ما وثقها
 ان نام او قام او قد عام او غرقها
 فيه على كل شعر في الوري سبقها
 وقول كل امرئ عنه لقد صدقها

وقلت في تعزية له بفقد ولده البكر جرجي بسن ١١ سنة ١٨٩١ :

ان الذي ابكاك قد ابكاني
 ان قلت اول منك تعزية به
 انت الذي سبب التبايع واحد
 وزيداني اني اراك بهذا الاسى
 لوحل هذا الخطب في اعدى العدى
 ولقاء والدة بشاشة وجهها
 نسد بـسدت من نضرة ومسرة
 صرانا وجدا ولوعة جـدة

فن الذي منا يعزي الثاني
 لا تعجب فـاصح الي برهاني
 وانما الشريك به ومثلك عان
 ولقد عهدتكم رقيق جنان
 كنت الحزين فكيف بالولـدان
 تنني عن المحزون كـسل هوان
 عبرات حزن قـضن كالطوفان
 يصدعن قلباً قـسداً من صوان

وأرى منازل كلان افراحي بها
تلك المشاهد حجبتي في لوعة
ضلام ذاك الانقلاب بسرعة
يا أيها المول الحزين لفقده
أعطاك ربك الكثير فقل من
أعطاك عقلاً كاملاً وشهامه
وبشاشة ورموه ومعارفاً
وقرينة حوت الفضائل كلها
فقد القليل من الكثير خسارة
لا تأسن ان قد فقدت قليله
ماذا أقول معزياً وملياً
او كيف يمكن ان اعزى والى
من لا ينوح على الزكي وعلى النهى
من كان يعرفه وما عرف البكا
يما قدوة الاولاد لم ابرهم
ان غبت عن عيني فأنت متمله
انت المللك فلا مفرك دارنكا
دعنا نعماني العيش بمسك غصة
في ١٥ ك ١ سنة ١٨٩١

واليوم أضحت ملتقى احزاني
لي فوق لوعتكم وحزن ثمان
فغيب جرجي قسالب الأزمان
اننا عليه في الأسى سيان
أعطى كما أعطت من احسان
ووجاهة ومكارم الاعيان
ومعبدة الاعضاء والخلان
وكذا ملايكة من الغلمان
وذهب كل غايبة الخسران
كن صابراً بكل شاعر الرحان
وبئني القضاة واي لسان
وانا بهذا ما واحد عزاني
من لا ينوح على فتى الفتية
ليكاه لم تكفه عينان
بالوالدين وسلوة الاخوان
في خاطري وهواك في الازمان
دار الشقاء بل في نعيم جنان
نم واسترح في جنه بامان
من صديقه

الدكتور شاكر الخوري

وقد انسريت جداً من تعين ولده اسعد ترجان منصريفه لبنان وذلك من انعام دولتو يوسف باشا الذي
عرف خدمة اسكندر بك بزمان والده وصهره فهنا دليل العنصر الكريم وذلك في ك ٢ سنة ١٩٠٨ .

المطران بولس عواد

عائلة عواد من حصرون لاوية دون شك ويقول اخر ان افرادها لاوين الطائفة المارونية لأسهم كلهم
كهنة ومطارنة وبطاركة ولو قرأت تاريخ هذه العائلة نجد صدق قولنا فقد ظهب منا السمعاني الشهير
وسمعاني آخر والبطريرك سمعان عواد والبطريرك يعقوب عواد والمطران والمطران يعقوب عواد الذي عمر دير
قطين والان منها مطرانان هما المطران اسطفان الذي توفي سنة ١٩٠٨ والمطران بولس وجمله كهنة ايضاً
وافراد هذه العائلة نشيطون جداً وقد أتى كل فرد من بطاركتها ومطاربيها بحركة قوية في زمن البطريرك
يعقوب حصل انقسام كلي بين المطارنة وبعدها أنزلوه رجع بأمر روحه وقهر اخصامه وفي زمن البطريرك

سمعان اختلفت الطائفة على بطريركين وأما للطران بولس الذي صار مطراناً مع ان قسماً عظيماً له فهو مثال النشاط والكد وهو الوحيد من المطارنة صاحب التأليف فقد كان خورياً عند القاصد يباي وكان تلميذه بالنفوذ والنشاط وهو يجب النفوذ كثيراً ولذا ترى له اختصاص بكثرة وبجب الشغل وقد ترجم مصنفات مار توما اللاهوتي الى اللغة العربية ويأخذ باقي تاريخه من برنامج غانم وهو شقيق يوسف بك عواد مدير حصرون الدائم وكذلك الشيخ لطف الله والشيخ محاييل من الذوات الكرام والتجار العظام .

(الى لساني)

ان كشف العيوب مر كعظم
لرجال خدعت للصمت الزم
همل بهذا ظننته صار يفهم
همل ظننت احواله تنظم
ان نراه وحق عيسى ومريم
لم يشا تركه ولو بات معيدم
كل يوم تلقى عدواً مقم
ألف خصم نراه حولك حرم
الف نذل ييكك دمعاً معندم
ويريد استناعه لو تالم
م يخشى اشعارنا لو تسم
دع وودع قواي المهجو تلم
خلته ساقطاً لذك تقدم
كل وغدي فقه قد تالطم
كل شعر من غير هجو محرم
او لسان او غسانني ان اكرم
اظهر الحق لو غعدت مهشم
عند ذي الذوق عالياً ومعظم
لا لبحر ولا لوزن نحكم
واغلب القبح مثلاً هو يرسم
قلت في هجوه القريض منظم
فغرامي ابديته شعراً ليظم
ووجدنا في نظمه القلب بظم
ان تخاسنا دني ملطم

يسا لساني أكشف عن المهجو وأعلم
اقبني من ذاك اصلاح شأن
سابق الظعن حافظ قلت فيه
قد هجوت اميرة القمصل حقاً
لا وربني فــــــذاك امر محال
كل وغدي على خطاه مقيم
مالك عايد سوى كب خصم
ان كنبنا بالمهجو خلا وحيداً
واذا مــــــا اضحكت مرأ يزل
سامع الشعر منك ييدي ابتساماً
وبسر يلوم من قــــــد تلاه
دع رجــــــالاً عيوبهم في حشاهم
كم قبيح هجوتــــــه لعيوب
ان هــــــذا الزمان وقد وهوى
فأجــــــاب اللسان دعي وشاني
أظنت المــــــهجواء مي لكب
انما مــــــذهبي وجل مرامي
افتدري يسا صاح لم صار شعري
لا نظــــــم لا ولا لــــــروى
بل ترى الحق واضحاً فيه طبعاً
ان طبعي اذا وجدت قبيحاً
ان اتــــــاني بالفكر معنى ضحوك
ان منــــــحنا عن القريض اغتصاباً
احفر الارض غيلة وانــــــادي

الكذب

(ارسلتها الى مدير المذهب في زحله الفاضل الخوري بولس الكفوري)

سيدي مذهب المذهب

اعلم سيدي انني ابتدأت بتحرير هذه الرسالة الساعة الثالثة بعد نصف الليل هيب لها من رقادي وقد اضأت القنديل بجانيبي ولعدم انتباهي له وكان قوياً انكسرت الزجاجه ، فاستعصت بغيره حالاً ولكني لم اتل مقدار الضوء الكافي لاتارقي .

واما سبب قيامي في تلك الساعة فهو انشغال فكري واضطرابي واسي وهلم جراً من حادثة جرت لي يومئذ ، وذلك انه كان لي صديق قديم العهد . وبالأول انا كنت صديقه لان الصديق من صدق معك . فكنت انشرح منه لظرافة حديثه ودماثة اخلاقه ، فكانت هذه عمله معي وانا منشراح بها . وكنت مقابلة لذلك اخدeme بكل ما قدرت عليه ان كان طباً او جاً .

فمن مدة شهر حصل لي شغل عنده لغيري يمكنه عمله . فرجوته . فوعد ولم يفعل مدة شهر . فانزعجت جداً من هذه المحاولات خصوصاً من رجل كنت افكر انه يفدي نفسه لأجل حديثي فخاب الأمل . وناهيك ما هناك من الغيظ والكدر والتأسف والاحتقار يكذبه عليّ لأن للكذب تأثيرين الأول انه اضلك عن الحقيقة وتضررت بضلالك عنها والثاني ان الكذاب قد احتفرك لما سحرك بك وعرفك غير الحقيقة .

وبينا انا في تلك الحالة وجدت بجانيبي كتابكم الذي وصلني في ذاك اليوم والذي تطلبون به مني بعض مقالات لادراجها في مذهبكم . وما ذاك الا من غيرتكم على جريدتكم التي تصرون اجتهادكم لنجاحها وانشراح وافادة القاريء كباقي اعمالكم . وحيث كنت متأثراً من كذب الرجل وكنت اراجع في فكري اضرار الكذب فجعلته موضوع المقالة . وحيث جريدتكم المذهب قصدها كاسمها فأول تهذيب هو التعود على الصدق . وحيث وجودكم في مدرسة وشباب حديثي السن فيكون التهذيب مؤثراً مهم خيراً ونافعاً أكثر من الذين مضى زمن تهذيبهم وانقطع منهم الرجاء .

لا اعيد ما قاله المهذبون والدين والاداب عن الكذب وتغريمه واضرارها فهذا تحصيل حاصل . ولكن غايي الوحيدة ان اعالج هذا الداء كويأء ميم . فكل من تكلم عن الكذب يذكر لنا قبحه فقط ولكن لا يقول الطريقة لردعه او تخفيف انتشاره فغاية مقالتي هذه ان ابين أسباب الكذب حتى تعرف هذه الاسباب ويتبعد عنها .

فأول اسباب الكذب هو التربية القاسية لأن الولد يكذب ليتخلص من ذنب ارتكبه لأنه لحد الآن لا يعرف ان يتخلص منه فكل من الوالدين والمدارس هم بالأكثر يولدون الكذابين لأن الكذابين على جملة أنواع وعلى حسب السن والصنعة والحالة فالولد يكذب ليتخلص من قصاص والكبير للغش والمغفلة وهذا هو اللص الحقيقي مع ان كل ذلك غير صحيح لأن الذي يقش ويغافل الناس فشهته يكون مرة واحدة فلا يمكنه ان يعيدها لصاحبا مرة اخرى وهذا المغشوش يفضح الكذاب ويعطل شغله وقد رأيت الآن في احوال التجارة ان من هو صادق يكسب أكثر من الجميع . لأنه من زمن عندما كان الكذب قليلاً والصدق أكثر كان الذي يكذب يربح لبطالة المشتري واليوم حيث كثر الكذب صار الذي يكسب هو الصادق .

وأما التربية وخصوصاً في المدارس فهي ينبوع الكذب فقساوة المعلم وقصاصاته الصارمة هي التي تجعل التلميذ كاذباً طيفتكر كل منا عندما كان تلميذاً وسقط بخطأ كيف احضره المعلم والرئيس وكيف كان وجهها العابس والقصيب في ايديها ويقولان له قر في ذنبك فكيف يقر ولكن لو أخذوه باللطف والبشاشة وقالوا له بلغا انك عملت الامر الفلاني الذي هو مضر وضرره كذا وكذا وله قصاص ولكن حيث هذه أول مرة تسامحت فقل لنا كيف صارت المسئلة ودا فت لا قصاص عليك وبالعكس اذا كذبت فتراه يقر حالاً ولم يعد الى ما عمل وبهذه الكيفية لا يتعود الولد على الكذب . لان في تكرار العمل نصير العادة وتنمي وبالعكس اذا لم يتكرر هذا دواء عظيم هذا الوباء .

والتربية هي اعظم شيء كما قلنا فلو كانت الأهل والمدارس تحمل اهمية عظيمة لمنع كذب لكان يقل جداً وهذا العمل يلزم ان يكون من قبل الأهل والمدارس واهية الاجتابة ان تقصص كذاب وترميه من هيشها فحينئذ يعرف مقدار خطائه

عندما كنت في مصر سنة ١٨٧٠ وجدت رجلاً من أهل بلادنا سألته عن شغله فقال انه مستخدم عند لورد انكليزي حصر هذه البلاد ليسكنها فأجفته كيف يترك سكن انكلترا ويأتي الى هنا خصوصاً مدة الصيف فضحك وقال ان له قصة غريبة فقلت له وما هي قال ان من عادة اللوردات ان تعاشر بعضها وقبيل ما تختلط بغيرها في أحد الايام كان لوردنا يلعب الورق مع رفاقه فوجدوا ورقة ضائعة فسألوا عب فانكرها الجميع واخيراً وجدوها معه فعند ذلك كتبت الجرائد عنه وطردته اللوردات من بينها وامرانه تبرأت منه فما عاد يمكنه ان يسكن انكلترا انظر تأثير التربية .

مثل آخر اخبرني عنه بعض الذوات وهو انه دعا رجلاً من بلادنا له معرفة في الخيل واعطاه مائة نيرا ليذهب الى العرب ويشترى له حصاناً فتوجه هذا الرجل ودخل على شيخ قبيلة وطلب منه حصاناً ضريباً فأراه الشيخ واحداً وطلب في ثمنه مائة ليرا فرفض الرجل ودفع له خمسين فلم يرص الشيخ فأخيراً طلب منه الرجل ان يرسل معه دليلاً يوصله الى قبيلة اخرى لمشتري حصان فطلب الشيخ صعلوكاً من العرب

وأوصاه ان يرافق الرجل ويرجع معه فتوجهوا وعندما وصلا الى شيخ القبيلة الثانية طلب الرجل حصاناً فأخبروه له فطلب الشيخ ثمنه مائة ليرة فأجاب الرجل انه عرض عليّ حصان من الشيخ الغلاني بخمسين ليرة مثله وما رضىت فعند ذلك خرج الصعلوك رفيق الرجل من الخيمة وناداه فخرج الرجل فقال له الصعلوك اني راجع الى قبيلتي الان ولا ارافقك فأجابه لماذا فقال له انت كذاب قلت ان الحصان عرض عليك بخمسين وما قبلت فهذا كذب لا ارافق الكذاب فرغماً عما وعده واعطاه ليقبى معه فما قبل فتزكه . انظر هذه الترية فلر كان هذا الصعلوك أمامي لكنك اقبله والرجل نفسه اخبر هذه القصة .

وقد اتفق لي عندما كنت في الشام وحضرت الى بيروت انني اشترت عدة كتب بلغ ثمنها مائة فرنك فقلت للبائع سأعطيك تحويلاً على فلان عملي . فقط لا تقول له انه ثمن كتب لانه يستغنيا وربما لا يدفعها لأن العميل كان صاحبي جداً ولا يريد ان افطر الدراهم . فقال لي اذا سألتني أقول له ولا يمكنني ان أكذب وهذا الرجل ليس يعني بل محتاج فقلت له اذا انا اترك الكذب فقال اتركها فتزكتها وذهبت ولم يأسف على تركها . ولكن بقيت مؤثرة في شهامة هذا الرجل وصدقه فأعجبت عملي انني اشترت كتباً من فلان لازمة لي سأحول عليك بمائة فرنك فقبل في اليوم التالي رجعت اليه وقلته بين عينيه واعطيته التحويل وكان أغلب رجوعي لصدقه لأنني قلت لا بد ان يكون صدقه سبب خسارته فيتعلم الكذب اخيراً على حسابي وقلت له عن ذلك وحرصته على مداومة الصدق ولحد الان لم انس هذا الرجل من مدة ثلاثين سنة وما عدت نظرتة عمري وهو اخو مسيو عصا عيصو التاجر في بيروت وعسى ان يكون لم يزل كما كان .

فهذه الحوادث تلذ جداً حتى الكذاب نفسه ينشرح منها لأن الكذاب ليس بطبيعي في الانسان بل أخذه الخوف او لجر منفعة ويعرف جيداً انه معيب لأنه لو لم يكن معيباً لما يستحي الكذاب اذا قالوا عنه كذاباً.

والخلاصة ان باباً كهذا متسعاً جداً يوجد له جملة كتابات ولكن فليعلم الكذاب ان باحتقار الناس له وعدم تقديرهم فيه كفاه قصاصاً . فأعظم محب للشخص هو والده وقد كان لرجل ثلاثة اولاد احدهما كدوب جداً لا يصدق والثاني صادق جداً لا يكذب والثالث تارة في حالة الكذب وتارة بالصدق فسألوا والدهم اذا طلب الباري تعالى منك ولداً يريد ان يميتهم فأبهم تسمح به فقال بالذي تارة يصدق وتارة يكذب لان الكذاب عرفته فلا أصدقها مها قال ففكر في مرتاح معه والصادق مرتاح معه أكثر وأما الثالث فيبقى ففكري مشغولاً بين صدقه وكذبه فافقه يريحي منه .

وكان رجل يرتكب جملة معاصي ولا يرتدع عنها وكان تحليله لها انها غفية فقالوا له لا تطلب منك تركها فقط تطلب منها واحدة وهي ان تصدقنا ولا تكذب فوعد فعند آخر السهرة حضر فسألوه اين كنت

فأراد ان يكذب فقال فابوه فعند ذلك ارتدع بالتدريج واصلح حاله بترك الكذب والضرر الحقيقي للكذاب هو احتقار الناس له مهما كان غنياً .

فلو كنت في مجلس ورأيت رجلاً مهيباً غنياً فصيح الكلام حلو الالفاظ عالم في كل فن كم تعتبره في عينيك ولكن بعد كل هذا قالوا لك انه كذاب فتراه يسقط من عينيك ابداً وقد قلت في هذا المعنى :

مها يقولون هـذا الشاب محتشم مؤدب عـالم او صاحب الـذهب
فلا يوازي اذا من بـعد ذا عطفوا لكنه كـساذب فـالمـلدح لم يبط

هذه افكاري واعتبر ان الكذاب مضر بالهيئة الاجتماعية فترجو الموكلين بالتزينة من هذه الهيئة ان تخلص حالها منه وتقاصصه في نفيه منها وعدم اعتبارها له وانفراده منها وهذا يمكن بكل سهولة وكذلك المحبين في البيوت والمدارس بان يعطوا اعظم قصاص للكذاب ويسامعوا الصادق اذا ذنب وأقر بذنبه وبذلك ترى اولادنا جيلاً بعد جيل يستريحون وارجو من المهذب ان يمسك هذا المبدأ ضد الكذابين وبذلك يكون هذب حقيقة .

واعظم ضرر للكذاب عدم حيائه من الكذب فلكنة العادة لم يعد يخشني ويفش نفسه . صدف لأحد الكذابين انه رجع من سفر بعيد من عند العرب فحضرت الناس نتهته بسلامة الرجوع وكان حاضراً في هذه الحفلة رجل حر الضمير لا يطيق الكذب فسألت المهتون الرجل عن سفره وما حدث له فأجاب انني كنت في بلد عند العرب فيها نهر عظيم (كالبردوني مثلاً) فكان عندما تأتية الجمال لشرب تنشف الماء تحت محل شربها ففزع الرجل الحر رأسه فاحيراً قال ايضاً انه عندما اراد ان يعلق الى حصانه ادخله الى حاصل الشعر فأكل ربه ففزع الرجل الحر رأسه بزيادة وانحراً قال ذلك الرجل انه بينما كنت جالساً واذا بامرأة بدوية تصيح وتأنى تحوي فقالت لي : والله ما انت ولد فلان ؟ فقلت في نفسي ربما يكون لهذه المرأة ثأر على والدي فتأخذني فأجبتها حالاً كلاً لست بولده فعند ذلك امي الرجل الحر غليونه من يده وقال له يخبر بيتك حتى باسلك تكذب وخرج فكان لذلك ضجة ضحك ولكن الكذاب لم يخلج .

أقبل أيها الرئيس احتراماتي الفائقة ولا تعد ذلك من جملة المقالة بل اعتبرها من أصدق الصدق وان شاء الله أقدم قدر الامكان ما يخطر لي في البال وأكون سعيداً ان قدرت أقدم كل مدة بعض افكاري عسى تنفع القارئء واملي ان جريدتكم تمتلي بكل نجاح وقد تصفحت اعدادها الماضية فوجدتها نافعة مهذبة ملدة المواضيع وخصوصاً خالية من اخبار اليابان ونروج والولايات المتحدة وغيرها مما لا يهمننا ولا يفتننا امرها فدوموا للتهذيب بدعاء .

شاكر الخوري الكفوري

أكليروس بلادنا

الاكليروس فئة من البشر لا يفتخرون بالحسب والنسب مثل جددهم ملكي صادق الذي لا يذكر له اب ولا ام في سائر الأمم وهكذا كانت الرسل بل يفتخرون بالأعمال الحسنة والعلوم والسلوك الحسن ويكرمون لأجل ذلك فلهذا لا اذكر نسب واحد منهم ولا ما كان عليه قبل دخوله في هذه الوظيفة فكيفما كان حاله فيكون اشرف نسباً من نسب الرسل فقط أذكر ما عمله من المرات وما أبقي من الآثار مبتدأة بالطائفة الأكثر عدداً في لبنان وهي الطائفة المارونية التي خلد ذكر أكليسها الفاضل يوسف افندي خطار غانم الكافيري الشهير ولو كنت من الاكليروس لكنت لا انسى فضله لانه جمع وتعب وصرف واخيراً أفلس ولكنه باقى ريس جمعية مار مارون وقد تشكى يوسف المذكور من عدم وفاء الاكليروس الماروني معه ونشر صور التحارير التي حضرت له من اللذين قدم لهم نسخاً ومن جعلتها قداسة البابا وقد نال نيشان برتبة كاظمي وكتب هذا التحريير البابوي بالاطالانية واسم الكاب برنامج اخوية مار مارون فقلت له :

لا تمنع يسا يوسف كن عادلاً	وتأمل الافكار في اشعاري
هب لم تنل من آل مارون مناً	من جمعت البرنامج الخطار
ان كان من جهة خسرت دراهماً	فكسبت من اخرى السعد ثمار
لولا ما سميت طلبانية	جوزيبي او لقت كـ كـ كافيري
ولكل اسم قد أخذت تقاعداً	من كبه والقبض في نوار
وتقول مع هذا قلت بغانم	با خيبة المعروف بالاشعار
هذا جزء للذي في كبه	لا يفرق الاشرار عن اختيار

غبطة البطريك الياس الحويك

حاصله ان رئيس الطائفة الموارنة الان هو غبطة مار الياس الحويك رجل الدين حقيقة وعنده في الكرسي مطرانان وهما المطران يوسف نجم والمطران بولس عواد الذي ذكرناه مع عائلته وأما المطران يوسف نجم فهو رجل سياسي ماهر كاتب عظيم وهو وكيل البطريك الزمني وأما الكاب فهم ابن عمي الخوري عبدالله الخوري الذي نال ثقة البطريك وهو المونسنيور الأكبر وصاحب الأهمية والخوري يوسف صقر الخوري اللطيف الكاتب صاحب الباشاة والعلم والخوري عريضة عالم لاهوتي وأما المطارنة منهم مطران بيروت ومطران صيدا اللذان سأذكرهم وأما مطران بعلبك فهو المطران حنا مراد ابن اخت البطريك حنا الحج فهو محافظ على اموال الوقف لا يفرط منها وملفت لنجاح ابرشيته كما والمطران يوسف اسطفان الذي انشأ التمدن المعاري في عين ورقة فرتبها على النمط الجديد لاستقبال التلامذة وهو من عائلة تستحق المدح

لوقفها هذه المدرسة للطائفة التي رعتها بالعلوم والمعارف في زمن الجهل واما المطران بولس مسعد مطران دمشق من عائلة اهتمت على الطائفة بطريك وهو البطريك بولس مسعد عالم تزيه بملو شرف فانه رفض مايني الف ليرا من لافجري في حادثة الستين حتي لا يقال عنه شيئاً وقد احيا المطران بولس الابرشية بعد ما كانت خربتها ديون المرحوم المطران نعمة الله الدحداح فيني لها كرسي عظيمة تنطح الجو بطولها وهي مصيف عظيم وعلى العموم ان مطارنة هذه الطائفة حريصون جداً على أموال الوقف وهم اللذين يسميهم وجدهم اوجدوها وشادوا هذه الكراسي لأن من مدة مائة سنة تقريباً كانوا ضيوفاً عند البطريك او في احدى الاديرة فلهم الفضل في كلما جمعوا وعملوا من الماديات وتراهم الان محافظين عليها ولا تنفع سواهم ولكن يأتي وقت تنتفع منها الطائفة فتلهم كمثل بخيل يجمع أولاده .

وخلاف الأمور المالية التي رتبوها فانهم يحافظون على دين طائفتهم واذا ما كانوا اهدوا اصحاب الاديان الاخرى الى دينهم لكنهم حافظوا على من عندهم وبقت طوائفهم هم فيا ليت الاكليروس اللاتيني حافظ على شعبه في اوربا وحفظه مثلاً هذه الرعاية حفظت شعوبها .

وخلاف ذلك فهم رؤساء طوائفهم حقيقة لأن الشعب مشغول في معاشه وعياله ولم يعد أحد منه بمون على اثنين فكل طائفة تعتبر ذاتها عائلة واحدة والديها الاكليروس حافظ اموالها وأوقافها ولم هيئة مرتبة من شماس الى خوري الى مطران الى بطريك وأما الشعب ليس له هذه الميثة فالأوقاف تخص كل فرد من الشعب اذا اراد الدخول في هذا السلك ولا يخص عائلة واحدة حتى نحاربها كما كان في زمن اللاوين .

(هارون والارملة)

ذكر تلمود بابل ترجمة جيلبر كولن Gilbert Goulmin صفحة ١٦٩ نمرة ٢٩٦ الحادثة الآتية التي جعلت اختلافاً عظيماً بين هارون الكاهن الاعظم وبين كوره وابيران ودانان من بني اسرائيل من جهة اخرى وهي كان لأرملة فقيرة غنمة لا تملك سواها فجرت صوفها لأول مرة فعندئذ حضر هارون وأخذ صوفها مدعياً ان أول صوف هو للرب حسب الشريعة فذهبت الارملة الى كوره تشكي من هذه المعاملة فذهب كوره الى هارون وكلمه فلم يجبه اخيراً دفع كوره الى الارملة ثمن الصوف وذهب ساعطاً على هارون فبعد مدة ولدت الغنمة حملاً فحضر هارون وأخذه مدعياً ان بكر حيواناتك للرب حسب الشريعة فتشكت الارملة ثانية الى كوره الذي لم يستفيد شيئاً فضضبت المرأة اخيراً وذبحت الغنمة فأخذ هارون الكرش والكف لأنها للكاهن فعند الارملة ذلك لعنت الغنمة فحملها هارون كلها بقوله الشرعي ان كل ملعون يكون لك فكيف لو كان هذا معنا الان فنشكر فضل المسيح الذي خلصنا من هارون .

فهذه الاديرة هي دار عجزة لمن اراد الدخول فيها وقد قالوا ان مرادهم يخصصوا ديرين للعجزة فضحكت لطمي ان كلها دور عجزة ،

وأما الماتلات التي لها الفضل على الطائفة بأوقافها هي عائلة بيت اسطفان لعين ورقة وبيت اصف
لما عبدا هرهبيا ومن جديد وقديم عائلة بيت زوين الذي شاد رثيسها المرحوم الخوري لويس المدرسة في
غزير التي يستفيد منها كل طالب من كل الطوائف والذي يديرها اليوم بكل اجتهاد ونشاط منسيور
الخوري لويس ابن اخيه .

وحيث كنت موجوداً في سيامة البطريرك الياس الحويك الذي اعرفه خورياً ومطراناً وفي كل ادواره
تمثل الصيت الحميد والدين المجيد وهو الذي يشغل ضد صالحه ولا يشغل ضد ضميره وقد حضر من
رومية لأجل الانتخاب فنظمت له هذه القصيدة في سيامته التي كانت في ٦ كانون ثاني ١٨٩٩ وهو خلف
البطريرك يوحنا الحج وكانت الأصوات بينه وبين المطران يوسف ابو نجم والاغلبية معه فعند ذلك قدم
المطران ابو نجم اصواته له حتى تم الانتخاب لان يلزم له ثلثي الاصوات وهذا ما رفع المطران ابو نجم في
أعين الجميع لأنه صرف مشكلاً عظيماً عن الطائفة تحب له وهذه القصيدة هي :

ونادى الله هذا ابني الحبيب
اتانا الياس عن رب ينوب
لكي بدعائه تحمي الذنوب
وغير الحمي طبعاً لا يحيب
وقال لقوميه صوموا وتوبوا
بعمدكم بنار لا تذيب
لاشجار النار بلا ثمر يطيب
ويرمي التين بأكله اللهب
لابراهيم اولاداً تنوب
من الاصلاح اخره الصليب
شجاع ليس ترهبه الخطوب
بحب الله جور أو حرور
وبعل ام يخادعه الكنوب
تراه كأنه فيها الغريب
اليوم تفتح القلوب
بنفس حرة لا تنهيب
وما مضى منه القريب
ولم يمتحه اياه النصيب
وفكر الكل متفقاً بصيب
الى هذه الاريكة بل شعوب

يوم هلت فيسه الشعوب
بمركبة البخار كما توارى
لعرش البطريركية قد دعاه
أجباب دعائه والقلب مني
فيوحنا اعد له طريقاً
ومن بعدي الذي يأتي اليكم
ويعطي الفأس كي يبرى اصولا
ينفي ييهدراً ويصون قحاً
يقيم من الحجارة من جديد
ولكن لم يقل من بحر هذا
لعلم منه ان الياس حي
ولم يرهبه صلب او عذاب
امار الياس يره من اخاب
ترهب في متاع الارض حتى
ومن قبل الجيوب لزهدي دين
علا فوق الثرى حتى الثريسا
سوى ما كان ضد الله امراً
لفضل نال هذا العرش حقاً
وفكر الكل متفق عليه
وشعب واحد لم يتخبه

فكننا قبل ان خضنا حديثاً
 اشار الكل مع شكر اليكم
 اذا سألت قسداً منكم لماذا
 اذا الجندي وافى عن بعدي
 فأنتم قد لبتم ثوب طهر
 بهذا الثوب قبل قسداً عرقم
 فلا لون الحرير ينوب عنس
 تحمل البطركيسة ابن حلت
 ولا عجب لهذا الطهر فيكم
 فدرسة اليسوعيين روض
 أليس جوار مارون اخذتم
 اما لاون عاشرم فزدم
 نشرم طيكم شرقياً وغربياً
 ولا في قولكم اقوال ربي
 حوى صدقاً وزهداً لم علما
 اذا ألقيت اربعة سواكم
 غدوم راسنا من غير عيب
 ومن فرض الاصحاب ان يسداوا
 اروننا بعض ما قد قال يبعي
 ودوموا ما يلدوم الياس حيا

على خلف ليحيى مـــــــذ يغيب
 وأول شاكر هـــــــذا الطيب
 اشير اليكم بـــــــانسا المحيب
 ألم يعرفـــــــه من زبي رقيب
 وذا ثوب البطســـــــاركة المهيب
 وليس لعرفـــــــه امر عجيب
 ولا يمتـــــــاضه البرد القشيب
 فليس سواه جليـــــــاب رهيب
 امنا ريباكم البيت الحبيب
 وقد غـــــــذاكم الروض الخصيب
 لكم وطنـــــــاً نحن لـــــــه القلوب
 على افضالكم فضلاً بطيب
 وليس لفضلكم ابـــــــداً غروب
 ولا في صيتكم امر يشوب
 وحب الله صدركم الرحيب
 نظيركم فن هجوـــــــي اتوب
 ونحن الخـــــــاضعون لـــــــنا عيوب
 مريضاً قلبـــــــه المضي كيب
 ليحيى الـــــــدين اذ تـــــــرى الذنوب
 أظن الله مـــــــي يستجيب

وعند رجوعه من سياحته ونواله العثماني المرسع ارخت ذلك ١٩٠٥ :

محتم وزادكم غـــــــدا تقواكم
 فضميركم قد كان قائداً فعلكم
 مذ بيوس قد باسكم عشراً فقد
 نلت امتيازاً من خليفة بطرس
 واستقبلتك حكومـــــــة فرنسا كما
 وجلالة السلطان من احبانه
 ما ذاك الا قـــــــدر رأى في صدركم
 مذ صدركم ارخ به جمع التقى

من كان هـــــــذا زاده لم يثر
 قلـــــــدا حلاطم في المحل الأكبر
 أصبحت أقـــــــدس بطرك في العصر
 أصبحت منهـــــــا فوق اعلا النبر
 شأن الملوك بها ومثـــــــل القيصر
 امـــــــدى مرصعـــــــة لأول محضر
 قلباً قـــــــبلاً جوهرأ لم يكر
 فتقاط الالاس فوق الجوهـــــــر

وقلت عندما نال وسام القبر المقدس من غبطة البطريرك اللاتيني على القدس :

لما رأى القبر المقدس قلبكم
وافواه امسى كي يرد زياره
فكانه لم يفرق عن قومه
الامضا ولدكم

قديماً شاكر الخوري
وأحياناً لطهران
جديداً شاكر البطريرك
إذا قسامني شرك

فدخلت على غبطته بعد ذلك سنة وكان عنده جمهور عظيم ومن جملتهم سليم بك فقال لي غبطته لم
تزل شاكر البطرك أحبته حيث لم تتغير بعد فأنتي لم أزل كما كنت فأجاب سليم بك وكان سمع ذلك مي مرة
ان شاكر يبقى شاكر ما دام ذنبه محفوظاً ولكنه متى قطع يصبح شاكياً أعني عن الراء التي في آخر شاكر
إذا زالت يصير شاك فأجبت صدقت والذنب ذنبهم ان لم يقولوا لي ذنبي سليماً فضحك الجميع وانقطع
ذنب سليم وسكت .

وقد توفت والدة البطريرك بسن التسعين وكانت منذ عشرين سنة تنام في الكنيسة متعبدة جداً وعند
توفيتها نظمت هذه الايات لغبته ولم تصله :

اشار لي بعض صربي ان اعزيك
من كان يعرف ايماناً لكم ابداً
في سن تسعين ماتت وهي طالبة
واليوم نالت منها من يشك بها
ان كان يسوع اضحى لاعناً شجراً
بأنه مكرم من كان ذا ثمر
من اثمرت مثل مار الياس بطركنا
سمعت في أذن ايماني يقسم بالها
وعند اققدام يسوع للجائسة
من بعد ذا هل لكم عذر لفاجعة
أظن ان سكن الفردوس أحسن من

في فقد والدة كانت توأسيكا
فلا يعزبك فيما بل يهنك
من سن ستين ملقى الله بساريكا
بأنها لم تكن في دار فاديكا
لا ثمر فيه فهذا الامر بينيكا
مبارك كل غصن فيه تبريكا
فهل لها غير عدن ان تلاقيكا
اهلاً بمن اثمرت للكون بطريكا
ترجوه للبر والخيرات يتيكيكا
او فرط حزن عليها اليوم ييكيكا
حلتا^(١) وأطيب عيشاً من نواحيكا

(١) بلد غبطته .

وقد حدث حادثة مثلها مع اسعد وعد الذي توفت والدته بسن ثمانين ولا يخفى ما يكون عليه الانسان في هذا السن وكان اسعد صديقي جداً وعندما توجهت لاعزبه قلت له انشاء الله تكون في حضن ابراهيم (لان هذا مركزنا في الاخرة) ولكن الله يساعد ابراهيم هذه الليلة فضحك وهو يبكي .

وقد قابلت شاكر بك الخوري ترجان الجيش المصري في مصر وقد شكى لي امر توفي زوجته وهو حزين جداً فقلت له اشكر ربك الذي انت بكيتها ولا بكلك لان لا بد من واحد يبكي الآخر فضحك وحلف ان هذه أول تعزية دخلت عقله وسمها .

في يوم عيد غبطة البطريك الواقع في ٦ ك ٢ لكل سنة يعطى غبطته ولحمة عمومية وعد الأكل يضع الشماس اسماء الزائرين ليجلسوا على المائدة حسب ترتيبه فينظر الواحد منا اناساً فوقه دونه لان ذلك شيئاً وهذا متوظف وهذا راهب وهذا كاهن وهذا قريب مطران وقد وجدت مرة قرأت نفسي تقريباً الاخير مع انه في الايام المعتادة الذي أتناول فيها الطعام على مائدة غبطته يضعني بعد المطارين فعند ذلك نظمت القصيدة الآتية حتى يصير الانتباه لذلك .

ومقدامنا في الشرق جئت اشتكي الامرا
لأنني سمعت اللوم في حاكم مرا
تعد ذنوب التابعين لكم شرا
تلاقي عليهما القس والشيخ والحرا
فلا تعرف الاسباب في ذا ولا السرا
فما سبب التفضيل شماسكم أدرى
فأبصرت فوق زمرة دوننا قدرا
فليس له فضل سوى كان مجتراً
سوى لقب عن عييه يسبل الشرا
ففي حكمه من كان ينصفه عرا
فكم مرة خرا وكم درهم برا
اذا قابل الاعداء أول من قرأ
وقد تفر الانفسار منه اذا عرا
كذلك شماس لشماسكم خرا
من الشعر نظم خلته الاية الكبرى
بمدرسة فساق علا على الشرى
وفي كل ناد قد أقاموا لها ذكرا
وعندي وساميات تزودي الفخرا

الى البطريك الياس ذي الغبطة الكبرى
فحببي دعاني ان ابث شكايي
ومما ذاك من ذنب عليكم وانما
ففي عيبيكم المانوس تعطى ولحمة
يرتيم شماسكم في حلوسهم
تلاقي فلاناً جالسا فوق آخر
ولما جلسنا قد نظرت لجانبي
ومما بينهم شخص قبيح مملو
كذلك شيخ ما له من فضيلة
كذلك عضو لو وعدنا بعدله
ومنهم مسدير قبلنا نال قصده
ارى ضابطاً فوق يمس سيفه
ولكن في حال السلام معجرف
كذلك رهبان واعضاء مجلس
فتشت في نفسي وجسدت بشأن لي
واني استبداذ الميوز معلم
ولي شهرة في كمال قطر ومجلس
واني خطيب عالم ذو معارف

واني من افرنا حايبة شعها
وعندي تاليف اذا ما ذكرتها
وعندي مال لو يقاس بالملم
واني متى شئت الدرهم حاجة
فكم سهوت عني لئيل مراتب
واني منسوب لتعمان من آتت
ومنا بنو الحليان فرسان عصرهم
فنا بنو كاروز اصحاب جبة
فهم غدت في كل ماض وحاضر
غدا ارز لبنان شعار ثباتهم
ومنا بنو الخلو الذي شاع صيتهم
كذلك ابناء القريب من بهم
بنو مله منا ليه عيارهم
بنو قاضل منا بنو الفضل والاعلا
ونحن بنو الخوري قد تلتنا شهرة
(١) فنا غدت نواب لبنان اولاً
(٢) ومنا قضاة علمهم فاق علمهم
(٣) ومنا مطارين ومنا قناصل
(٤) وعندنا ابطال قاضف واحداً
(٥) وعندنا نجار اذا بات درهم
(٦) ومنا شياطين ومنا فطاحل
ومنا نساء كالرجال مهابة
(٧) في كل وقت بات مهم مدبر
تسازل خوف الشر واعظم راهب
فكم راهب منهم رئيس مكرم

فحرسني بجرأ وتكرمي برأ
كأنني ذكرت الشهدة والبحر والدرأ
ليرفعني فتراً ويخفضهم مترا
فلأجمعها نذاً واقضها شعرا
وكم سمرت نجماً وكم شاهدت فجرا
على ذكره الثوراة في سفرها سفرها
فقد أكتبوا حمداً وقد زينوا مصرها
لم في ساجد هلال غدا بدرها
اسود وفي تاريجهم زينوا الدرهم
فلا يعرفون القدر والمكر والكفرا
بيطركهم حنا الذي خلد الذكرا
يجر ذا رق ويستعبد الحرأ
يكر اعداءه وما عرفوا الكبرا
نحرم ذلك الذي شرف الحرأ
يقر بها خصم لنا اين ما قرأ
تعلوا منا الطهر والفضل والبرأ
فن نظرة في الجاني قد كشفوا الدرهم
ومنا اطباء ومنا بنو غرا (١)
اذا اشتهك الفرمان أول من كرا
بـاعلا من الجوزا لجسيم انجرا
وكهتنا قد بات ايمانهم صخرا (٢)
وعندنا رهبان بهم نرب الضرا (٣)
كذلك رئيس العام منهم غدا شهرا (٤)
وأفضلهم من يرب الله والشرأ
لاديرة كبرى واديرة صغرى

(١) والدي واخي خليل (٢) والدي لجزيين ويوسف بك مبارك لدير القمر (٣) المطران شكرافه ونجان بن يوسف بك (٤) اطباء أنا واخي أمين وولدي حبيب وتوما الخوري وولده شكري (٥) منصور مبارك (٦) ابراهيم نصرافه واخوته وسليم شهدان (٧) أنا وأنا (٨) الخوري ابراهيم (٩) عمانويل وغناطيوس (١٠) وجيدوس (١١) ارساتوس النيجادي تنازل

فأحسبوا من غير احسانهم زخرا
ومع صفه قد نال ميلكمُ جهرا (١١)
فضيفنا مكروم ولو نب العبرا
اتننا ودوماً قد تقم لها شكرا
وتبعد عنا كل من جار او ضراً
ولا نخش جوراً ولا نرهب الفقرا
ولا لخلاف الموت نخش لنا ظهرا
فنحملها طوعاً ونسرع الصبرا
نفضل عن اذلالها القبر والحشرا
وجاوا واکرام وجب وما جراً
(من عين شامس كان لم يكن امرا)
يرتب من قد بات من حولكم ترا
ليلقى لسه من نفسه مركزاً حراً
الى مثلنا في عتبه يلتقي عذرا
اذا لم يكن شامسكم يعرف القسدا
وكان مقاسمي اقصر من ابي سمرا

ترأسوا احوامنا وعند رحيلهم
ومنا عيسد الله كم سرکم
وانا لنا في كل قطر كرامة
فتس المعطى لكن لم تنس نعمة
نصاهر دوماً كل من كان مثلنا
ولا نخفض النفس لغير ضيوفنا
نعيش برغد لا بلذل كغيرنا
وانا اذا يوماً بلينا بتكبة
فان لم نجد صبراً وكادت نذلنا
وقهراً لما لي عنسدكم من معزة
ومع كل هذا لم اتل ادنى نظرة
فأول بشامس يثلها حفلة
ويترك من يقى بسدون مراقب
بذلك لا عتب عليه ولا يرى
حلفت يميناً لم أكن يوم عيسدكم
لاني ارى نفسي صغيراً على القسدا

عائلة بيت الخوري في بكاسين

حيث الزمتي ظروف الحال ان اذكر هذه القصيدة فاختصر تاريخ عائلي فيها وهي :

ان أصل هذه العائلة من عين حليا وهي شمالي الزبداني ولم يبق فيها شيء سوى عين ماء وتوتة وقد زرتها والتقليد يقول انها بلد نعمان الابرس وزير ملك ارام في دمشق الذي ذهب للمداواة عند البشاع النبي اخبرني مفتي الزبداني ان عنده اوراق قديمة تقول انه جرى حرب بين أهل عين حليا مع عائلة من بلودان اسمها بيت هلال لقتيل بينهما التي تغلبت على أهل عين حليا وحرقت البلد وشتت اهاليها ويقول النقل انه مر على عين حليا والي الشام يومئذ ونزل ضيفاً على جدنا جمعة الذي كان اغني البلد ورأى عنده ابنة جميلة اسمها ست الاخوة طفلها منه فوعده بها حتى تكون بلغت لانها صغيرة وتوجه الوالي فعند ذلك هرب جمعة واتى لبنان الى بشراي كما ذكره الدويهي في كتابه تاريخ الموارنة صفحة ١٤٠ سنة ١٤٧٠ في

(١٢) الخوري عبدالله .

ايام المقدم رزق الله ابن جمال الدين بن سيف قال الدويهي بسبب ما اشتهر به لبنان يومئذ من الأمن قصده الناس من الأماكن البعيدة مثل أولاد جمعة الذين تركوا عين حليا وسكنوا بشراي فجمعة هو الأب الاصلي لهذه العائلة وكان له ستة اولاد : كيروز ورزق وحوش وضاهر وشدياق وابوزبك وسهام الدويهي عاتلة وهم الذين حكموا مثل مقدمين في جبة بشري كما ذكره الدويهي .

وعندما سكنوا بشراي سكنوا برج ابو كاروز للان وهو محل راجي بك ويوجد مرج يقال له مرج ابي كاروز نزل فيه جمعة وأولاده وعندما عرف والي الشام بهرب جمعة بابتته ارسل حرق عين حليا ونشتت سكانها اللذين كانوا سريان ارثوذكس وعندما تفرقت الاهالي كان لجمعة اخان احدهما توجه الى راشيا وبقي محافظاً على مذهبه السرياني الارثوذكسي تسمى بطائلة الحلبياني في راشيا والآخر الثاني اسمه الحلو ذهب لجهة حمص وحماه وسكن محل اسمه مشتي بيت الحلو ومنه عائلات بيت الحلو في بعيدا وجزين وغوسطا الذي كان منها البطريك يوحنا الحلو والذين بقوا في المشتي بقوا روم ارثوذكس وخلافهم تومرونا لوجودهم بين الموارنة .

وقد تفرع من هذه الثلاث اخوة عيال عديدة خصوصاً عائلة ابو كاروز من بشراي التي منها بيت ابو ملهب في بجمري وبيت الغرب في بقلين وبيت ابو كاروز من يحشوش وبيت ابو فاضل من البوشرية وبيت دياب من حلب أخذها السلطان سليم .

وعائلة بيت الخوري في بكاسين

أتى حدها الخوري جرجس عبود مع ابيه ابو سمرا الى نبحا في الشوف لخدمتها الدبية مع مر:عها ومن حملة مزارعها بكاسين وقد رسمه البطريك اسطفان "الدويهي في كنيسة غوسطا على نبحا ومرارعتها سنة ١٧٠٣ كم في سجلات البطريكية فتوجه اليها وكان ذلك مدة حكم محمود باشا ابو هرموش رئيس الحزب انبي الذي كان قاطناً نبحا وكان للخوري ابنة جميلة عرفها احد خادمي الباشا نصراني وطلب ان يتزوجها فرفض الخوري ذلك لأنه ليس من مزايجه فوسط الخادم الباشا الذي توجه في السهرة الى بيت الخوري وعند خروجه وضع صرة في الشباك وقال يا صرة اريد ابنة الخوري بمجزة لزواجها بخادمي فلان وخرج هكذا كانت العادة وعندما تأكد الخوري ان ليس له مناصر من ذلك رجل ليلاً الى عاطور لان لها حق نحمي من يأتيها مدة سنة فأكرمت اهل عاطور وقدمت له كل لوازم معيشته وبعد هذه السنة رحل الى الباروك لانها تخص الحزب القيسي فلا دخل لأبي هرموش فيما فتوى فيها وكان له ثلاثة أولاد الأكبر كان متزوجاً من بكاسين عندما كان والده يأتي اليها من عائلة بيت عفيف وكانت والدتهم من عائلة عيسى سيف من عمرون كسروان التي رحلت الى بيت لها وخدمت عند الامراء الشهابيين بسبب حروب بينهم وبين بيت حبيش لان احدى رجال بيت عيسى سيف قتل حبيشي عندما كان يعارضه في سني الماء وقد اخبرني القس زوين الراهب انه كان يوجد اتفاقية بين بيت حبيش وبيت زوين على عداوة بيت عيسى

سيف وان الذي يخون من الاثنين يكون عكروناً (هكذا كانت المعاهدات) فعندما توفي زوجها أنخت اولادها الى عند اخوتها في بيت لها اللذين سماوا بالكساووه وعندما احتاجت بكاسين الى كاهن طلبوا صهر الضيعة ابن الخوري عبود الذي رسمه المطران سمعان عواد على مذبح مار تقلا في بكاسين في ٢٤ ك ٢ سنة ١٧٢٨ كما هو موجود في أوراق المطران المذكور في بكركي وهذه هي صورة السيامة .

انتخب الثالث الأقدس الشماس اسطفان ابن المرحوم الخوري عبود قساً على قرية بكاسين من معاملة جزين اذ تم عن يد المطران سمعان عواد المحصور في مطران دمشق الشام (فيكون روحنا من روح بيت عواد) وهو الخوري اسطفان الأول وبقت اخوته في بيت لها وهي عائلة الخوري الآن وكان للخوري المذكور عندما حضر لبكاسين ثلاثة أولاد أكبرهم ابو عساف رزق الله والثاني الخوري ابراهيم والثالث ابو فارس انطون وقد قال الخوري الى أولاده انكم في ارض غريبة وحتى تكونوا معتبرين بين اهلها يلزم ان يرسم منكم كاهناً على القرية واخر يخدم حاكم البلاد وهكذا حصل فأبو عساف خدم عند الشيخ علي جنبلاط أول جنبلاطي حكم وكان وكيل املاكه في إقليم جزين وساحل صيدا ووكله في الأحكام توفي له ابنتان تزوج أحدهما فرنسيس العازوري وهذا سبب دخول بيت العازوري في خدمة بيت جنبلاط وقد تزوج بالثانية اخو سلفته الخورية ابراهيم وابن عمه يوسف الخوري من نسل اخي الخوري عبود الذي بقي في نبحا واسكنه بكاسين وهو جد بيت نصرالله في بكاسين وتوفت عن ابنة تزوجها خالد ثم تزوج امرأة ثانية من بيت عزيز في جزين ارملة رجل من مسري وكان عمره سبعين سنة حين ولد ثلاثة اولاد ذكور نصرالله وفتح الله ويوسف فنصرالله خلف عبدالله وابراهيم وسلم سليمان ولويس والبادري قيصر سليم سكن حيفا له ثلاثة أولاد يوسف قيصر نصرالله وعبدانه وسليمان توفيا بدون عقب ذكر وابراهيم عازب ولويس خلف فريد ونصرالله وجميل وقيصر هو رئيس اللعازارية في الاسكندرية وفتح الله خلف داود الذي خلف سليمان وجاد وفتح الله ويوسف سليمان وجاد في البرازيل وفتح الله توفي وسليمان له قيصر والباس والفردواما يوسف اخو نصرالله خلف وبطرس ومرعي الذي ولد ولدان وقد حضر من بيت لها صمور ومن نسله عازر حمود الذي ولد ولدان شديد وخليل مكنتا حيفا .

وأما الحوري ابراهيم ابن الخوري اسطفان ولد الخوري اسطفان الثاني وغنطوس المسمى ابا خالد فمن نسل الخوري اسطفان جدي الحوري ابراهيم والخوري عبدالله الخوري ابراهيم ولد يوسف والدي الذي ولد شاكر وخليل وأمين وشاكر ولد يوسف توفي وحبيب وديع وأنيس وحليم وابنة اسمها حسيه وخليل ولد بديع وعفيفه .

والخوري عبدالله ولد الخوري اسطفان وسعد وفرنسيس وتوما فالخوري اسطفان ولد جملة اولاد حبيب وفرح من الاحياء وبشارة وابراهيم ولويس ويعقوب توفوا ولحبيب ولدان عزيز وبديع ولفرح ولدان يوسف ونحيب سعد توفي عازباً فرنسيس ولد القس عانويل ويوسف في اميركا البرازيل وتوما ولد ولداً وهو شكري .

وغنطوس ابن الخوري ابراهيم الأول ولد خالد ومبارك وتادي ورشا .

خالد ولد الخوري يعقوب توفي دون عقب وكليب ولد خطار ومبارك ولد عبد الأحد ويوسف وحنون ومنصور واسكندر توفوا بدون عقب ما عدا يوسف له نعمان ونجيب ولنجيب ولد جورج ولحنون سليم وتادي له خليل وغنطوس وبطرس خليل بدون عقب غنطوس له ثلاثة اثنان في اميركا خالد وتادي وواحد بشارة في بكاسين وبطرس له ولدان في اميركا عبيدالله ويوسف .

رشا له مرعي وابراهيم والقس يوسف مرعي له سليم وسليم ثلاثة الكبير نجيب وقد توفي وباقي شكري والياس وابراهيم له عبيدالله ولعبيدالله ولدان حبيب في اميركا ويوسف ولابراهيم ايضاً مارون وأمين لمارون يوسف وابراهيم و خليل وجورج ولأمين طانيوس .

ولانطون ابو فارس اخي الخوري ابراهيم وابن الخوري اسطفان الأول ولد اسمه فارس وفارس خلف لبوس وجدعون وابو اسطفان الذي توجه الى الاسنانة في ذلك الزمن على قدميه وجدعون توفي في حياة والده وخلف انطون الذي توفي بدون عقب ذكر .

وأما لبوس فولد شهدان ومارون فشهدان ولد سليمان وشكرالله وسليم وعبيدالله وشكرالله مطران صور وعبيدالله خوري كاتم اسرار البطريرك الياس الحويك وسليم له ولدان يوسف وجورج وأما مارون فله يوسف روضة وفريد في اميركا وحليم توفي .

والفرع الثاني لهذا الفرع هو بيت الخوري في بيت لها والخوري الحصباني ونسله .

والفرع الثاني الذي بقي في نيحا وعري تشتت في البلاد والذي اشتهر منه القس ارسانبوس النحاوي والقس غناطيوس وفرح النحاوي في حاصيا واخيه ولم يبق أحد منهم في حاصيا بل أولادهم سليم في بيروت وشاكر في حيفا ولشاكر اولاد وسليمان نجم من فرع عريه في بيروت .

المشهورون من عائلة بيت الخوري

في الدين المطران شكرالله مطران صور الى مصر واخيه الخوري عبيدالله كاتم اسرار البطريرك الياس الحويك والخوري اسطفان انموذج التقوى بسن ٨٤ سنة وابن اخيه القس عمانوئيل رئيس دير الناعمة والقس اغناطيوس رئيس دير بختين وكان منهم قديماً رئيس عام الرهبة اللبنانية ارسانبوس النحاوي ومدير القس جيلوس بيت لها وجدي الخوري ابراهيم الذي كان وكيل البطريرك والمطران في ابرشية صور وصيدا سابقاً .

ومنها الأب البادري قيصر رئيس الاديرة العازرية في الاسكندرية أول مدير وخطيب وعالم .

وفي السياسة الان نعان قنصل فرنسا في مقدور في مراكش واخوه نجيب مفتش بلدية صفاقس في تونس وابن عمهم سليم في مصر من كنية الداخلية وفرح ابن الخوري اسطفان يوزباشي في الجندرية اللبنانية ثم مدير في فنوح كسروان وكان منهم والذي يوسف الخوري عضو مجلس ادارة لبنان عن جزين ثم عضو في دائرة الجزاء ثم قاضي على جزين وكذلك المرحوم اخي خليل عضو ادارة وابن عمي يوسف بك مبارك مديراً على سوق الغرب وقاضي دير القمر وتوما الذي كان عضو مجلس في عكا ثم مدير المقاولات في قضاء جزين وسليم مرعي كان مستنطق البونيس في بيروت وولده شكري صراف البور وأول شيخ القرية منصور مبارك وخيال القضا وبعده شهدان في مشيخة القرية .

وفي العلوم الطبية انا الذي تعلمت في مصر وعلمت في المدرسة الطبية الفرنسية في بيروت وألفت صحة المتزوج ونائب الطبيب وصحة العين وجمع المسرات والثاني اخي الدكتور أمين تعلم في مصر وهو شاعر وكتب له روايات ادبية طبيب الجيش أولاً ثم طبيب بلدية دماط ثالثاً ولدي الدكتور حبيب ملازم أول في الجيش المصري الان كطبيب رابعاً ولدي وديع طبيب اسنان اصولي في بيروت خامساً ولدي انيس صيدلي عملي سادساً الدكتور شكري توما تلميذي في مدرسة الطب اليسوعية سابقاً والده توما والمرحوم ابن عمه الدكتور بشاره تلميذ الاستانة والذي توفي جديداً بكل اسف الدكتور نجيب سليم مرعي طبيب قضاء جنين .

وفي التجارة اولهم وأغناهم سليم نصرالله الخوري في حيفا وأخوه ابراهيم ومن بعده اولاده الان وكان اخوهم عبدالله باشكاتب مجلس التجارة في بيروت وهو الذي دير اخوته وله الفضل عليهم والتجار الان في امريكا هم جاد الخوري في البرازيل مع اخيه يوسف وكذلك اخوه سليمان ويوسف فرنسيس وخالد غنطوس واخوه وأولاد عمه بطرس وحبيب عبدالله وكان قبلهم ابن عمهم مارون ومن أصحاب الصنائع اليدوية بالحفر الياس سليم مرعي في صيدا وأهم التجار في القطر المصري سليم شهدان وقد أدخلت في بيروت ولدي حلم للتجارة في محل براجم في سوق الطويلة الذي مديره الخواجه نقولا الشويري من اشطر شبان بلادنا وصاحب ادارة عظيمة وقد تزوج اخيراً وقدم له ولدي حلم الخطبة الآتية :

« سيدي »

ان لموتي هذا ثلاثة اغراض . اوله لأهنتك بزواج اتحنى لك به السعادة والتوفيق . وثانيها لاطهر ممنونتي لما علمتني في الاشغال من البحث والتدقيق . وثالثها وأهمها لاقدم شكري لكم ولموسو برانجه ذي العصر الكريم لاعطائكما لنا هذا الدرس العظيم وهو انتخاب زوجات جميلات فاضلات وسيدات تقيات عفيفات فلا شك انكما ماهرين بانتخاب العرايس أكثر من الملابس دوما بالسعادة والاقبال ولكما

من الشكر والامثال . وانت ابنا الروزة المزهرة في آذار قبل اوانها . اهنيك برجل كريم ساهر وشتم ماهر
ودليل مهارته . انتخابه لك رفيقة لحياته وشريكة لصفاته . وانت ايها المدير الجدير بالشاء اتحنى لك البنين
بأقرب حين ولكن نحن على ثقة وبقين انهم لا يحبوك أكثر من تلاميذك المحتمين في هذا المجلس العظيم
حتى ولا مثل احدهم حليم الذي يهتك من صميم الفؤاد ويقول لك طالباً من رب العباد :

دم في نعيم وفي رغد وفي فرح وفي انشراح وفي عز وفي سلم
وافرح بمن امها بسر وجدتها شمس ووالدها من اسلم الأمم
وانا قد عدت يوم الطراد لكم فلتها مثلهم عالي المهم
لما غلوم نقولا وهي روزنكم فاهناً بما نلت فضل الكد والشيم
مذ نلت روزا بتاريخ يقرئنا نال الثوري نقولا كافة النعم

١٩٠٨

ومن التجار وأصحاب الضمانات في بكاسين حبيب ابن الخوري اسطفان وسليان شهدان الذي كان
خيالاً في القضا .

أصحاب الرتب والنياشين رتبة ثانية منازرة الى المرحوم سليم نصرالله مع كونداد البابا بيوس التاسع .

وأنا صاحب المجيدي في الرابع والعشاني الرابع ثم العشاني الثالث ونشان جمعية الاكاديمي الفرنسي
ونشان مجلس المعارف الفرنسي ونشان محامي القديس بطرس مع لقب بك من الذات الشاهانية
وترجان من ترجمة دولة فرنسا في بيروت وحايها .

فهذه هي العائلة التي التزمت ان افتخر فيها عندما وضعي الشمس تقريباً في آخر المائدة فتكون هذه
العائلة مكونة من بيت الحلبي في راشيا وبيت الحلبي في مشي بيت الحلبي وبيت ابو كاروز في بشراي وبيت
ابو كاروز في يخشوش بيت ابو مله في بمهري بيت الغريب في بعقلين بيت الحلبي في بعدا وفي جزين وفي
غسما بيت ابو فاضل في البوشرة ووادي شحور بيت الخوري في بكاسين بيت الخوري في بيت لها وفي
اصح من فرع الحلبي بيت دباب في حلب وبيت ابي شقرا في مزرعة الشوف .

المطران شكرالله الخوري مطران صور

كان هذا المطران يرفض المطرنة لأنه رئيس مرسلين الكرم وهو مرتاح فاختار الجبر بقبولها وقسمت
الابرشية الى قسمين صيدا بقي فيها المطران بصبوص والقسم الثاني صور اعطيت للمطران شكرالله مع اربعة

الاف ليرا من ابرشية صيدا وقد ارتسم يوم سبت النور في ١٤ نيسان سنة ١٩٠٦ وقد قلت الى البطريك ان ابن عمنا استغاث بك لأجل اعفائه من المطرنة فلم ترض كما وانه استغاث في رومية فكذلك وخفتم ان يستغث بالمسيح ويخلص رسمته مطران في اليوم الذي كان فيه المسيح في القبر وقدمت له القصيدة الآتية :

اوشعنا في العلي

حتى اصدق من أنس ومن جـان
لأنه كان من اهلي وجيراني
خوفاً من الشك في قولي وبرهاني
من العدى مثل تمداحي وايماني
بالسر والجر من اعداك اذ آني
حتى تري منزلتكم عند أوطاني
عجيباً برتبة جليلي ومطران
ولا بشوب حرير احمر قـان
الوان ثوب ولا تغميض اجقـان
في لبكم ثوب طهر طول أزـمان
ثوباً نظيفاً عفيفاً كل احـان
ولا مكـان ولا آن من الان
وفي الكريم وفي انجاد لبـان
وانتم اين مـان كنتم بطهران
اعطاك وجهاً بشوشاً رابقاً داني
لبسات في الحال نصراني وموراني
في كهنة قلبكم جالت بيمـان
وقيصر خالك في الفضل اركـاني
فكل ما نلت من فضل رحاني
فكن له وحده دوماً بشكراني
أصبحت مطران صور وارض عـان
قد ذاق يسوع فيا كل احـان
وصير النور في ابصار عيـان
هذه مكافأة ديانا لاحـان

يا ليت ما كنت من اهلي وأوطاني
ولا يقال بياني شاكر رجلاً
قد كنت ابني سكوتاً عن صفاتكم
لكنني اذ سمعت اليوم مـدحكـم
نظمت مدحي بشر وهو ما سمعت
والان جئت به عمداً أقدمه
ولا أنيت اليك اليوم مفتخراً
ولا فرحت بساطواق مذهبة
من كان مثلي فلا بغربه قاطبة
لكن فخري بكم بل فخر عائلية
في من عشرين مثل الاربعين غدا
لا العمر دنسه يوماً ولا احد
في كسروان وفي الأقليم مولدكم
فانتم انتم في كسل طارقة
اعطاك ربك عقلاً سامياً فطناً
لو ان رأه محمي بلا عظـمة
هذه صفات لكم ارث عائلية
كان اسطفان وابراهيم قلبكم
سبقتهم فلماذا اصبحت اسقهم
فقدم كما كنت شكر الله عن صغر
وعندما روحه حلت ببطركنا
اقامك الله في ارض مقدسة
اقام ميتاً وابرا الصم مع برص
كانت مكافأته صلباً فكن يقظاً

في الصلب فخر ولا للز متزلة
حملته مثل خوري براكم^(١)
ان كان للمرء فخر بعد عيشه
هذه بلاد تالقي الانبياء بها
وايقظوا البعض منهم بعد ميتة^(٢)
عشر كالمسيح بلا مأوى ولا سكن
وكن كما الياس من غار الى جبل^(٣)
وقم من الموت ابراشية وجدت
لو لم تكن قادراً ما كنت متخياً
من حيث عصيته بآت مؤكدة
كن متعبداً صبوراً رايقياً يظلاً

في الدين فأحمل صلياً فوق امكان
فأحملة في عتكم من اجل مطران
في الصلب لا بسالغنى او بس نشان
ماتت برجم ونشر فوق صلبان
فلم يجد راحة حتى بأكفان
وطف وكن سابعاً في كل بلدان
وأجعل غذاك من انعام غريبان
أشبع بربع رغيف كل جيعان
من بطرك الياس اومن بابا روماني
في ظنه فيكم ليس بظلمان
براً غيوراً وقبيل الكل عثاني
كبراليون

ابن عمكم الدكتور شاكر الخوري

« المطران بولس بصيوص »

من التاريخ تعرف حياته الادبية وهو ١٩٠٠ :

خدمت بائر الاقطار ديناً
فكل يدعي فيك اختصاصاً
تنادي اسكندرية ذا يمي
وصيدا تدعي ذا تاج راسي
فار الياس رب الدين فينا
قضى عدلاً واسى عن ضمير
لخدمة دينك التاريخ حيا

بكل امانة وبكل حين
وبطيك الرئاسة عن يقين
وباريز نجابها معي
وبيت الدين ذا بصيوص عي
رأى البصير الزم من يمين
وقبال لبولس الابن الامين
فحقك في ورائسة يت دين (١٨٩٩)

(١) لان مرسلون الكرم يضعون علامة الصليب فوق قنسونهم .

(٢) اشارة لشاول الذي أقام صاموئيل بواسطة العرافة .

(٣) اشارة لمار الياس الذي كان تاهاً من وجه أخاب وكان الغراب يأتيه بالغذاء .

وحيث المطران بصبوس مطرانا ذهبت ليلة سيامته الى بكركي ونحن هناك فاتفق وجود بطرس افندي ناباً في غرفتي فبدت منه كل هذه الافعال المذكورة في القصيدة فقلت :

تباً لها ليلة قد طيرت نعي
قد كان يغني قسوس الدير عن جرس
على البروج خلافت الربيع والخمس
عند الماء ويلات الليل في مفس
لوزن فاصولاً سي من ذلك القلس
رفعت في الحال لحفاً من على رأسي
قرب فقلت له لا لا فقال سمي
في جمع فادماً مع صوفيا نعي
باصبعي كي أرى الانقسام في خرس
في الليل في الفجر صابون مع المرس
في الليل او صجراً في الفجر من تفس
مع نقحة ضبقت من شمشها نضي
لاوضي وبها المرتين في قبس
كل الماشي وامشي مشي مختلس
وكنث مفكراً لم ألق من أنيس
صوت الشخير من الشمس في غلس
لم ألق شماساً او مدافع الترس
صوت المدافع والانقسام مع رجين
قد كان أولى به غيري من القفس
يقول في فكره كفاً من المفس

يا ليلة بها مع بطرس الترس
لم يبق ثقب به ما جاء نغم
كانت لانقسامه الاوزان قاعة
واصلها من عشا فاصوليا انتهت
لذلك قد أصبحت لحناً موافقة
لما سمعت دويماً تحت ملحفة
من بعد دو قدر مي فاصو فقال لنا
متمماً سلم الانقسام مجتهداً
أدور الرأس والاذان اصدهم
حتى اشتيت النعي في الصبح مع صمم
كي لا أرى منظراً في الصبح او سمماً
ضائق بي الدنيا مذ دوت مدافعها
كان حرب البوير اليوم متقل
فت اللعاف على كني وطف به
حتى وصلنا الى صالون سهرتنا
وعندما جث ابني رقدة فاذا
نهضت في الحال ابني شمشة فسي
فضلت نومتها عن اوضة جمع
سالي وليلة ارياح اقبالها
من بدر بدري ومن لم يدركيف جرى

« كريستوف كولومبو ومعرض شيكاغو »

كريستوف كولومبو الايطالي الاصل ذهب بامر ملكة اسبانيا واكتشف القارة الاميركية بعد تعب وعناد زائدين ولما اقيم معرض شيكاغو سنة ١٨٩٣ اقاموا الى كريستوف كولومب تثالاً وحرروا عليه اشعاراً بكل اللغات وارسل من ببيوت اشعاراً باللغة العربية وكنث من جملة الذين نظموا وكولومبو معناها الحماة
فقلت :

مذ كنت حياً يا كولوب حمامة اغت شيكاغو عن حمامة نوح
واليوم فيها قد حلت ولم تكن من قوم نوح بسل حمامة روح
فجميع النسوة الوردى انطلقها شرأ على ثمنالك المنوح

ملحوظاتي على من نجحوا في الدنيا مثل كريستوف كولوب وخلافه أقول ان الصدفة وظروف الاحوال
جعلت النجاح هؤلاء لأنه لو كان صادف كريستوف كولوب احدى الزوايج في الانتليك وغرقت مراكبه
لما كان استكشف امريكا ولو ولد نابليون الأول في زمن لويس الرابع عشر لما أمكنه الوصول الى الدرجة
التي وصل اليها وهكذا نرى لكل مأنور ظروف صدفة حصلت له وهذا ما نسميه عناية مخصوصة الهية
مهدت لذلك الشخص طرق النجاح .

وكان رجل اسمه الاب جيوريطم في مدرسة في لبنان وقد ظهر منه فساداً عظيماً فطرده وكان طرده
مدة الشتاء وكان النهار ممطراً فخاف عليه البعض من الفرق لكثرة الامطار فقلت :

خافوا على الأب جيور لى سفر من التريق لامططار بلنسان
فقلت لا تختوا من موتته غرقاً لم يفرق الله لوطياً بطوفان

كان يدعي احد الثغلاء انني صديقه وكيف انني الان ابعده عي فقلت بذلك :

كان خلي سيدي سعيد وكنا من قديم استكسه في حشائي
فراي من ثقلسه عبر هضم فلهذا اخرجته من معاشي

(المطران يوسف الدبس)

ان ما قلته في يوبيله كافٍ وقد توفي في ت ١ سنة ١٩٠٧ .

أكليروس الروم الكاثوليك

ان هذا الأكليروس هو مثال الهمة والنشاط فهو الذي رفع شأن الطائفة واقتنى لها املاك الوقف وكل
ذلك من كده وجده ولم يكن عندهم امراء او مشايخ كما في الطائفة المارونية لتوقف لهم املاكاً بل كل
ذلك من كدهم وجدهم قهراً عما حصل لهم في الابتداء من المقاومات وتعب السعيد الذكر البطريك
مكسيموس مظلوم كما ان الفضل في تقدمهم المادي والعلمي عايد الى بطريزكهم السعيد الذكر غريغوريوس
يوسف الأول الذي عرقته جيداً وكتبت عنه وكان يرجى كثيراً من السعيد الذكر البطريك البحرى

ولكن الاضطراب الذي حصل في ايامه وبسببه أصيب بمرضه الاخير أخر كل نتيجة حسنة وأما الذي جمع الراحة والسكينة في الطائفة وتابع اسلافه في النشاط والغيرة هو :

غبطة البطرك الحالي كيرلس الثامن جعنا

الذي له الفضل العظيم في راحة الطائفة ولهُ الحمد الفخيم أولاً على انتخابه مطارنة لا يمكن يقال عنهم شيء وللذين عرفتهم منهم ثلاث عنصر اللطف والظرف والعلم والاداب والهمة وهم سيادة مطران انناسيوس صوايا مطران بيروت الذي اسمه يعني عن الوصف والمطران مكاريوس سابا في مصر والمطران ديمتريوس قاضي في حلب الذي زرته في حلب ونظمت له هذين البيتين :

يا رئيساً لا عيب فيه وفيه كل خير مستقبل مثل ماضي
مذ رأتك الشهباء خرت وقالت فلك الأمر فاقصص ما أنت قاصر

فترى عبثه كل يوم في أقليم وفي منطقة لصالح طائفته وقد ترأس هذه السنة حفلة مار يوحنا فم الذهب في رومة وقد نال اعظم اية وأجى شرف الى الشرق ولهُ اعمال خيرية عظيمة .

واما مثل الاتحاد والنجاح الوطني نراه بسيادة المطران باسيلوس حجار الذي مر ذكره وكذلك بسيادة عري غوريوس حجار مطران عكا والسيدان المطران انثيموس رحف مطران صور والمطران كليمتيوس معلوف مطران بانياس وقد اوجد هذه الكرسي من العدم المرحوم الجرجيري وام اندي احيا بعلبك وجمع . وقد تدرج وبسات عصمة فالمطران عبيدوس معلوف وأما النائب البطركي سيادة المطران اغناطيوس حمصي الذي عرفته وهو في عين تراز رئيساً كان أعوذج الاجتهاد صادق نحو رؤساء محب الخير ولد في دمشق في ١٥ ت ١ سنة ١٨٥٢ م دخل في المدارس الاكليريكية وترأس في عين تراز وفي مدرسة باوزير الى ان اتصل الى درحة اسقف في ٨ أيلول سنة ١٨٩٩ ورقاه المرحوم الجرجيري وجعله نائباً عاماً على الكرسي الانطاكي ونال وسام الاكاديمي الفرنسي والعثماني الرابع والجدي الثاني ولأجل اعطاء برهاناً عما قلت عن غيرة واجتهاد اكليريوس هذه الطائفة أذكر .

(سيادة كيرلس مغيّب مطران الفرزل وزحله وما يليها)

هذا الذي خاض البحار ومشى القفار وتعرض للاخطار لأجل مجاح ابرشيته ولأجل ذلك أذكر تاريخه بالتطويل ليحل القاري صدق مقال .

ولد سيادته في عين زحلته في ١٠ ت ٢ سنة ١٨٥٥ دخل مدرسة عين تراز سنة ١٨٧٢ مدة ستين ثم

توجه الى مدرسة القديس اثنايوس في رومية وبقي فيها احدى عشرة سنة ثم ارتسم كاهناً في ٢٥ آذار سنة ١٨٨٣ ورجع مديراً لمدرسة عين تراز وعلم فيها الفلسفة واليوناني والتاريخ المقدس من سنة ١٨٨٥ الى سنة ١٨٩١ وأخذ دكتورية من البرويوكاندا سنة ١٨٩١ ثم رجع الى فرنسا يعلم ويتعلم مدة اربع سنوات وبعده رجع رئيساً الى عين تراز سنة ١٨٩٧ ثم صار كاهن اسرار السعيد الذكر الجريجيري ورافقه الى رومية ومصر والى الاسكندرية العلية وحيتند فرغت كرمي زحلة فرسمه البطريرك مطراناً على زحلة في ٢٨ ايار سنة ١٨٩٩ في الاسكندرية فوجه الى رومية وأخذ أذن من البابا لاون الثالث عشر للسباحة في اوروبا وامريكا وذلك سنة ١٩٠٣ توجه أولاً الى سويسرا ثم الى الازراس واللوين ثم الى بلجيكا ثم الى هولندا ثم فرنسا ثم الى البرازيل في امريكا فلزم ان تضع أماناً خارطة امريكا الجنوبية والشالية لتعرف اسماء المحلات التي دخلها زار ١٢ ولاية من البرازيل واشترى ارض وقفها على ابرشية زحلة وبعده توجه الى ولاية اوركان ثم الارجتين زار فيها ١١ ولاية ثم صعد جبال الثلج على البفال التي علوها ٤٦٠٠ متر عن البحر وفوق هذه الجبال صلياً هو الحد الفاصل بين الشيلي والارجنتين وبقي مدة ستة اشهر في الشيلي ومنها توجه الى البرو ثم الى بولونيا وقطع بحرة بقي كاكما للمتجدة بعلو ٤٢٠٠ متر ثم رجع الى البرو ثم الى بنما بقي فيها ٢٧ يوما ثم الى كولومبيا ثم الى جايك ومنها الى كوبا وستياكوكوبا ثم الى فانا ومنها الى المكسيك ماراً في فراكوزا ومن المكسيك الى لادروستانونو واخيراً الى ستلوس ومنها الى كاتيسس ومنها الى لوسيني ومنها الى اوهاما برسكو ثم شيكاغو فيلادلفيا ثم الى نيويورك بوسطن ثم نيويورك ثم الماهر باريس ليون مرسيليا الى بيروت في ١٢ آب سنة ١٩٠٧ . أعلن كريستوف كولومب ما زار هذه الأماكن كلها ولا سابع واحد زار كل هذه البلاد وكل ذلك لخدمة طائفته وابريشته ولذلك مدة غيابه اقام وكيله الخوري مقصود الشيط البناء في الكرسي فبنى الانطوش في زحلة وعمل خلافه في الفرزل ثم في سرعين كلف لحد القين ليرة ويوجد عشرون مدرسة في ابرشته يدفع معلمها ومصاريفها خوارثته لحد ٥٥ خوري ومنها لحد التسعة يأكلون على مائدته في زحلة بصورة داعة واسس جمعيات خيرية ونال المجيدي الثاني ويعرف من اللغات العربي والعبراني واليوناني واللاتيني والتلياني والفرنساوي والبرتغالي والاسبانيولي وقليلاً من الانكليزي فلا شك ان حل عليه الروح القدس لمعرفة هذه اللغات .

فهذا مثال الجد في العلوم واللغات والاسفار والاختطار لأجل نجاح ابرشته وخدمة طائفته ومثال كرم الاخلاق والذكاء واللطف وتوفد الفكر وحياته برهان قولي وقد قلت فيه الايات الآتية :

من شرط شعري يرى للناس مآثرة	في الشخص يُخفى على غيري من البشر
لم أجد شرط اشعاري باسقفنا	لذلك قد قلت فيه قول مختصر
فكلما عدّ فضل من فضائله	اراه متشراً في البـــــــذل
يكفي لصاحب الفضال يقال له	انت المغيب كــــالتعريف للقمر

ومن عدا المطارنة الغيورين لهذه الطائفة يوجد فيها ثلاث رهبان المخلصية والشورية والمحلية وفيهم

افاضل اجلاء والذي له الفضل على بلادنا وعلى الشرق لجمع هو دير مار يوحنا الشوير الذي ابتدت فيه اول مطبعة في الشرق بالعربية والفضل في ذلك الى رجل اسمه عبدالله زاهر الذي اول من تعلم العربية من المسيحيين في حلب وهرب منها واتى الى دير الشوير حيث كان اخوه رئيساً عليه وعمل اول مطبعة فكان هو الحفار لأنه كان جوهر حياً والصيف والطابع وأول ما ظهر مطبوعاً زبور داود ١٧٣٣ وقد توفي عبدالله واستلمت الرهبة المطبعة .

وقد زرت المدرسة الكلية الشرقية الزحلاوية مدة رئيسها الفاضل الخوري بولس الكفوري ونظرت الاجتهاد والسهر والترتيب الجليل للعلوم المفيدة فكانت صور الماضي مملوءة من الصور النباتية والحيوانية والجلوجيا حتى تربية دود الحرير وعلوم اللغات الحية الضرورية لبلادنا العربية والتركية والانكليزية والفرنسية ويخرج تلميذها عارفاً هذه اللغات على ما ينبغي واخيراً عمل مطبعة وجريدة اسمها المهذب واكراماً لخاطره كنت احرف فيها بعض مقالات فهذا مثل الاجتهاد والغيرة في الرهبة .

أكليروس الروم الارثوذكس

ويوجد جملة افاضل لا اعرفهم لان في شرط كتابتي عن شخص أن أكون اعرفه .

ان اكليروس بلادنا لهذه الطائفة قد نهض نهضة عظيمة لم يذكر التاريخ مثلها نهضة دون عراق وسفك دماء وهي انتقال البطريركية الانطاكية من يد الاروام ليد الوطنيين فن ذلك الزمن ابتدت البطريركية الانطاكية في التقدم والتجّاح أول هؤلاء البطاركة سعيد الذكر ملايوس دوماني الذي اجتمعت الاراء على انتخابه وقد عرفت غبطة البطريرك الحالي غريغوريوس حداد في دمشق عندما كان مستخب بطريركي وفي ١٨ حزيران غربي لسنة ١٩٠٦ أصبح بطريركاً على الكرسي الانطاكي وقد قدمت من بيروت لغبطته هذه الايات :

وستة اعوام البناء الصفا عادا
يسود ويسمو بالجهاد كما سادا
مشى بالطريق المستقيم وما حادا
ليتخبوا رأساً لرأس اسبــــــــــــــــــــادا
كما حلّ في صهيون قدماً وقد جادا
غدا منهم الحداد اذ ذاك صبادا
لما كان صياداً يوكّل حدادا

هو اليوم بعد الالف والتسماية
يقم لانطاكية خير بطرك
اتى الشام لكن غير أعمى كبولس
وقد جمع السادات من كل جانب
لذا حل روح القدس يوم اجتماعهم
ومن جعلوا التقوى شعار انتخابهم
ولولا التقى والطهر والبر والوفــــــــــــــــــــا

ومن العبث ان أذكر ما لغبطته من الأتس والطف والعلوم والاجتهاد على تقدم الطائفة وقد ذكرت

عن التقدم الذي حصل للكرسي عندما تولتها الوطنيون وأقدم مثلاً لذلك الحبرين الجليلين اللذين عرفتهما
وهما :

« سيادة المطران مسره مطران بيروت »

أقول ما اجراه سيادته من الاعمال العظيمة ومن النهضة في بيروت فقد ابتدى بعمل مدرسة للحقوق
ونال الرخصة السلطانية بذلك وعمر الوقف ان كان في بيروت او في سوق الغرب ولم يزل كل يوم يفتش
على مسرة للشعب وعمل خيري له فصيح غيور يحب الالفة بين الطوائف وهو المترج بين جميع الرؤساء
من اية طائفة كانت وهذا أهم شيء للراحة ولا اذكر شيئاً من اعماله القديمة وعلومه وولادته وسيامته لان
كل ذلك مذكور والحبر الثاني هو :

« سيادة المطران بولس ابو عضل مطران جبيل والبترون »

قد رجعت هذه الكرسي بعد مدة طويلة كأنها قامت من بين الاموات وبالحقيقة ان بولس احياها وقد
زرته في مركزه في الحدث وكان مستأجراً محلاً لسكنه ومباشراً بعمل مركز في أجمل محل في الحدث وكان
مفكراً يوثق بعمل شعار لهذا المركز بالنخل والأرز شعار لبنان وقد نظمت لها التاريخ الآتي سنة ١٩٠٨ :

عادت الى الروم كرسي ^٤ قد ارتفعت	كالنخل والأرز في لبنان بالعمل
أقامها حبرها الفضال من عدم	من بعد الف وقطع الجهد والعمل
من يجي مبتاً بلا شك يكون له	روح مقدسة جسم بلا علل
فحبرنا بسات بالتاريخ نوره	فالروح من بولس والجسم من عضل

فهذه كرسي جديدة اوجدها أهل الوطن وقد عرفت عند زيارتي حمص .

« سيادة المطران اثناثيوس عطا الله »

فرايته على جانب عظيم من اللطف والأنس والاجتهاد في انتشار المعارف في ابرشيته والالفة بين
الطوائف وهذا ما نشكر فيه الاكليروس من جميع الطوائف .

ولا اذكر ما عندنا من الاكليروس الاجنبي لان القصد في كتابي ذكر من اعرفهم فقط وليس
تاريخ عمومي لان بلادنا أصبحت الان بجمع الاكليروس ورؤساء الاديان وأهم هذه المراكز الكاثوليكية
هي :

القصادة الرسولية

اعني وكيل الاب الاقدس البابا على كل الطوائف الكاثوليكية في الشرق وطينة وأجنبية ومركزها بيروت شتاء وحريصا في لبنان صيفاً اذكر من عرفت منهم عرفت المرحوم يياي الذي صار فياً بعد بطريركاً للآتين في القدس وتوفي فيها كان رجلاً يجب السلطة والمداخلة فلذلك تولد في ايامه قلاقل كثيرة ولكنه كان رجلاً قديراً في السياسة فهو من الرجال العظام وخلفه في الوظيفة نايه كودنسيو الذي كان عباً للسلامة اخيراً انتقل الى قصادة القطر المصري وتوفي فيها وكان هذين القاصدين كام اسرار المطران بولس عواد .

وقد حضر القاصد ديفال مع وكيله الاب بره فكان ديفال رجل عظيم يحب السكينة ولا يتداخل في الجمعيات الاكليريكية كالرهبنة المارونية مثلاً كان يتداخل يياي ويحصل الانقسام فكان يشتغل بكل سكينة فكان النشاط عند الاب بره واخيراً توفي ديفال وكان قد شرع في عمل شخص سيدة لبنان مع عبطة البطريرك الياس الحويك الذي حضر في هذه السنة ١٩٠٨ ونصب فوق جونية وكرسه البطريرك الياس مع القاصد الحديد .

سيادة فرديانو جنيني

ابطالياني الأصل ولد سنة ١٨٦١ من الرهبنة الافرنسيسكانية أقدم رهبنة دخلت بلادنا سنة ١٢٥٠ مسيحية بعد ما تعلم سيادته وعلم وترأس اديرة واخر رياسته تسمى كيستود في القدس اي محافظ علي جميع الاديرة في الشرق سيم مطران شرف سنة ١٩٠٥ وسمى قاصد رسول في سوريا ونائب رسولي في حلب ولا أعلن انه يوجد رجل ذو جاذبية للقلوب مثله يحبه أي من رآه بشوش لطيف وعند الجد ثابت العزم يتكلم الافرنسية ولا يتداخل الا بالأمور المهمة واما نائيه الاب شيلو فهو من الرجال المهمين يعرف العربية جيداً وكذلك الافرنسية وعليه اشغال القصادة ويوجد معه الاب كوسا أصله وطي من رهبنة الفرنسيسكان رجل لطيف وعسى في ايام القصادة نرى ترتباً حديداً للرهبنة المارونية بعد فحص الأب بينديكوس .

سياحي بالاختصار

وعندما بلغت من السادسة والخمسين وصرت قريباً من الآخرة قلت في نفسي لا بد لي من معرفة الدنيا قبل الآخرة لانه بلا شك لا رجوع لنا فلننتقم فرصة ما بقي لنا .

ولعلمي انه يوجد ثلاث مدن في العالم تعنيث ان ررتها عن زيارة مدن الدنيا لأن ما بقي فهو ظل لها توجهت افكاري لزيارتها أولاً وهذه المدن هي :

فالمزج كالنوم فيه راحة لفتى
 ذي وصفة من طيب شاب من محن
 كم شاعر غصاض بحر الشعر مشتغلاً
 حتى يقول لكم انتم ضيماً قير
 او غصن بيان ونار الخد ملتهب
 وان تعطف بالأوصاف مكرمة
 تباً لنسائهم شعر ليس بعجبه
 ولم ير في الذي قد بات مادحه
 لم يدور من أنزل الآيات من قدم
 مضى زمان غزال مع تغزله
 وعاببدو الشمس قد زالوا بلا أسف
 هذا الذي حط للاشعار قيمتها
 لو اظهروا من صفات المرء صحتها
 لكنهم البوا في شعرهم عثماً
 فالشعر بالصدق لا بالوزن قيمته
 والصدق في الشعر موقوف على ادب
 مها يقولون هذا الشاب عثتم
 فلا توازي اذا من بعد ذا عطفوا
 ان الكرام اذ مــــا يسروا ذكروا
 اما اللثام اذا ما يسروا تكروا
 من كان ينكر فضلاً سابقاً ومضى
 ان العلا دوحه كالبحر يدركها
 لكن من كان معناد العلو فلا
 اعراضها (الفتش) في عز وفي نعم
 فعكسها ذو العلا ينسى فضيلته
 شرط الكرام غدا نسيان فضلهم
 اما اللثام فلا تنسى هليتها
 فلا أمر على حر يقول الى
 تنبي ولا ردها قيل من قدم
 بلا اللذ على عبيد يقول الى
 يلقي نممة من فضل غيرته
 ن لم يكن ربك العاطفي فلا أمل

بسل ذاك ترويض فكر كل من تعب
 شعراً ولكنــــه في الشعر لم يشب
 ليلاً نهراً وكـم قــــد ذاق من وصف
 او عتر او غزال او ضيــــب الشهب
 والقلب من ذاك محروق من اللهب
 يقول عن فتركم يفتر عن شنب
 غير الغزالــــة او غصن على كتب
 من عزة النفس والاخلاق كالضرب
 كم قال نبأ الى حاله المخطب
 ويات من كان مشوقاً بلا ذنب
 وعاببدو النار ايضاً مع ابي لب
 وأصبح الشعر يندأ من فضا الكذب
 بالحن والقبح لا يلقون من غضب
 ثوب الصحيح الى من كان في جرب
 ولا يوقص ولا في أبحر الخيب
 كالصدق في القول موقوف على نسب
 او عــــالم او كريم صاحب القب
 لكنه كاذب فالمدح لم يطلب
 من قبل عليهم من كان في صلب
 فضل الذي كان مجاهم من الكرب
 سينكر اليوم فضل الله لم نبي
 من كان متشلاً من اسفل الترب
 نرى له دوحه لو بات في السحب
 ومنه لم تطلق والكذب مع عجب
 كأنها لم تكن يوماً ولم تصب
 وليس ينسأ من فيــــه نبي وربي
 ومن أتى فضلهم ينسى ولم يجب
 من كان عبداً له يا سيدي وابي
 من كان رأساً فلا يتفاد للذنب
 من كان سيده في البعد والقرب
 يحس لها شاكراً يتجو من العطب
 في نيل صاحب اغراض من الارب

بـل زاده رضىة في صدره الرحب
وفي عـفـافـي وفي ود في حسب
يعطيك ما قد جباك الله من وهب
ان تفتخر فافتخر بالأصل والحب
في رضىة النفس والمعروف والأدب
احتار في القول مهم في قضا طلبي
فكان ذكركم في الحال يشفع بي
واليوم متضمناً مع كثره اللقب
فينحي تـمـمـهـ للـقـرب والـقـرب
السيف اصدق انباء من الكتب
الصدق انباء من سيف ومن ذهب
دار السعادة دم فيها ولا تـفـب
وفي امانة مولى المعجم والعرب

لا خيب الله عبداً كان شاكره
اعطاك ربك حظاً في نهي وذكى
خليفة الله طوعاً للاله غدا
لذلك قد نلت حظاً من خليفته
مع كل هذا فأت اليوم مشير
فكنت ان جئت من لي عندهم غرض
فجمال في الفكر ان اذكركم لهم
عرفتكم من قديم العهد مرتفعاً
أصبحت كالغصن ان اثماره كثره
قد قبل من قبلكم والقول مشير
واليوم من اجلكم فالتناس قابلة
كم خضت من اجر حتى وصلت الى
دم في نعيم وفي عز وفي شرف

وقد تعرضت بهذه القصيدة الى الشعراء اللذين لم يزالوا يشبهون هذه التشبيهات حتى الموصوفون لم
يقبلوها وهذا ما يقال عن لسان موصوفة :

لقد شبه المجنون خدي بالورد
وان قضيب البان يشبه قلدي
سلوه لماذا جاء بطلبه عندي

نقول وقد شبهت بالورد خدها
كما قال ان الاقحوان كيممي
اذا كان هذا في الباتين عنده

وبعد حضوري من الامانة طلبت صورة دولته الرسمية فأرسلها لي فنظمت فيها الايات الآتية :

من نوره لت محتاجاً الى النور
الى قلوب غللت صفحات تصوير
لكنه خالد في شاكر الخوري

أصبحت آلاءة تصوير لرحمكم
فالعين بلورة تهدي اشعة
لذلك في كل قلب جمال رسمكم

وقد هتته بالسام المرصع كما ذكرت .

وقد زرت دولة نعم باشا متصرفنا السابق في الخارجية وتعرفت يومئذ بأبن عمه دولتو يوسف باشا
فرنكروحيته كمصرف مستقبل للبنان ولم أنس بحاملة سعادة منصور بك شنوان وعطوفة اخيه يوسف بك
اللذان دعاني لطعام الظهر في مصيفها حيدر باشا .

وعندما كنت في جنية اسمها (بني شان) نظمت الايات الآتية :

الا يا داخل (دار العادة)	يتزه طرفه يبحور ماء
فلا تنظر لفسادات تبسدت	بطرف أكحل عند الماء
محافسة ان نيت اخي غريقاً	يبحر اسود عند اللقاء
فيغدو الطرف في (دار العادة)	ويحيى القلب في دار الشقاء

وعندما ودعت الاستانة نظمت بيتين لمحمود باشا حتي ناظر الدروس وقد أبدى لي كل لطف ومعروف :

هذا الذي بعلومه سبق الاوائل والاواخر
من كان محموداً فلا يحتاج يوماً شكر شاكر

وقلت في صهره خالد بك طيب الاسان وهو من ألطف الرجال :

هذا طيب عظيم في كل فن مجاهد
لو مرّ سنّاً مريضاً لأصبح الن خالد

ومن اطباء بلادنا الشهم صاحب السعادة يوسف بك الرامي معلم التشريع الذي خسر كرئيس اللجنة الخيرية لفحص تلامذة مدرستا في بيروت فهو من الاطباء العظام وصاحب الرتب والوسامات والمهمة والنشاط .

وقد شاهدت رجلاً يدعى الملهوف مصاحباً لنجيب باشا ملحمه لا يتفك عنه ليلاً ونهاراً ويأخذ غذاءه في بيته وعندما اجتمعنا سوية كلفني نجيب ان أنظم ابياتاً تمثل حالة الملهوف فقلت :

فلما بدا الملهوف وسط دياركم ولهُ ماء كل يوم مطعمه
صدقت قولاً قد يقال بارضنا ان الكلاب تعيش حول اللحمه

الجناب

عندما كنت جالساً في منزله بني شان في الاستانة سمعت رجلاً يقول الى رفيقه ارجوك يا صاحبي ان تحبرني عن سبب خصوبة حديقتك فانها لا تساوي مساحة ربع حديقتي ومع ذلك يدخل لك منها أكثر مما

تدخله حديقتي وكان السابل ارمياً والمساؤل لائياً وكان من عادة الارمني ان يدعى خوريه نهار عيد
المنصرة ويرش الحديقة بلماء المبارك ويحمل باقي لوازمها واما الالائي فكان يكثر الزيل فيها فأجابه يا
صاحبي ان الجثنين (بدها خرا وما بدها صلاة) .

الشاهد الميان

كنت في احدى الجلسات مع قوم مختلف الملل فقال الارثوذكسي مازحاً ان الحق معنا بولادة المسيح
لأنه ولد في يوم محط وعيد ميلاده عندنا في هذه السنة كان محطراً وأما الموارنة فكان عيدهم صافيا الجو
فأجابه احد الموارنة وكان ضخم الجسم جداً كلا فالحق معنا فارجع الاثنان الحكم لي بذلك لأجل المزح
فأجبت ان الحق مع الموارنة لان فلان اي الضخم كان شاهداً عياناً لانه كان ينفخ على المسيح عند ولادته
فانصرفت الجلسة على تصديقي لمشابهة صاحبنا بالثور .

السياحة الى باريز

وقد توجهت من الاساتنة الى باريز في السكة الحديدية أكسبرس اورياتال ومررت بصوفيا في البلغار
والسرب وبودابست في المجر وفيانا ومينك في بافاريا الى ان وصلت اخيراً الى باريز والذي أوجب سفري
اليها هو شوقي الى ولدي حسيه وزوجها الخواجه يوسف اسعد رحيم من جزين شريك صهره وابن عمه
داود يحمل قوسيون يتعاملا مع اميركا ويا ليتني لم أكن عمه لاشرح اوصافه الحميدة بالصدق والدراية
مع الصفات الحسنة التي تلزم للانسان وعرفت اخيراً انه شاعر بارساله لي الاشعار الآتية بعضها مشطر
وبعضها مخمس .

فعبجت من تاجر شاعر وهذه الاشعار لجمال الدين الافغاني وتشطيرها له :

بروحي جيرة ابقوا دموعي	ولم يرثوا لزلي وانكاري
شكوت فراقهم قالوا اصطبأرا	وقد رحلوا بقلبي واصطبأري
كأننا للمجاورة اقتسمنا	وكسل طالع حب الجوارى
كذا الايام قد حكمت علينا	قلبي جارهم والدمع جاري

وقد خمس ما يأتي :

أطلت بهجراني واقصرت حيلتي	ومسوى بوى مرآك بروء لعلتي
فمطفاً على حالي ورقفاً بذلتي	الى الطساير النسر انظري كل ليلة

فاني اليه بالعيشة ناظر

وما نال مني الطير قليلاً متيماً
ولكنه عهد لنا قد تقدمنا عسى يلتقي طرفي وطرفك في السما
فنشكروا له ما تكن الضماير

وقد سبق لي وخمست هذه الايات وهذا هو التخسيس :

اذا كنت مثلي في الهوى ذات لوعة
وكسبان لظى العشق يطغى بنظرة
لما وجدت عيني لهذا غير حيلة
الى الطاير النسر انظري كل ليلة
فأني اليه بالعيشة ناظر
فما دامت العزال في الارض مثلاً
رأينسا ولم تشغف فؤاداً متيماً
دعينا نزاعي الكائنات لربما
عسى يلتقي طرفي وطرفك في السما
فنشكروا له ما تكن الضماير

وقد تعرفت في باريز بقنصل جنرال دولتا العلية عطوفة الشيخ شديد حيش وغيره من السوريين
الذين تفخروا البلاد باستقامتهم وهمهم .

وكان دليلي في زيارات باريز ولدى حسيه التي تركت كل شيء وتبعني ولم تبق شيئاً من الواجبات نحو
والدها فأنمى لكل محب ابنة مثلها وكان يرافقتا أحياناً صهري العزيز قهراً عن اشغاله الكثيرة .

(سياحتي الى لوندرا)

ثم بعد ذلك زرت لوندرا والتقيت فيها بالشهم العظيم قنصل جنرال بيروت الانكليزي مسيو درموند
هي الذي اظهر لي انس ولطف ومن هناك رحمت الى باريز وسافرت منها في اواسط ايلول عن طريق ليون
ومرسيليا ومنها الى نابولي واليونان ثم الى الاسكندرية وعند وصولي اليها توجهت حالاً الى منزل دولتو محمد عزة
باشا قاهر حالاً باعطائي النشان الثاني الثالث الذي صدرت به الارادة السنية بعد انتهاء دولتو رشيد بك
والي بيروت الاسبق الذي يضرب به الرمثل يحفظ الوداد لاصحبيه والامانة لخدمته وسعرة السياسة ثم
حضرت الى بيروت برفقة الوالي الحالي دولتو خليل باشا لتساهر على الراحة ومن اعاله العظيمة انشاء
مدرسة الصنائع التي تفوق كل مدرسة .

وكان برفقتنا من مرسليليا الى اثينا عائلة يونانية كريمة الأصل مع ابنة اسمها سبازيا وهي اسم امرأة
ركليس وكانت آية من الجمال والكمال وهي غبراء ووالدها كاملة الأوصاف وبقيت اكاتيب والديتها

ونكاتبني مدة ثلاث سنوات وبعده انقطع خبرها ولا ادري ماذا جرى بها وقد نظمت لاسبازيا شعراً عندما نظرتها تعزف في البيانو وتقتل اباها بكل سرعة عليها :

ولما ببحر الروم تهاوت عقولنا	وبتنا بارض طاب ذكر جدودها
رأينا ضياء ايبازيا فوق مركب	كتجمة صبح يتدي بوقودها
فاضحت قلوب الظاعنين مراكباً	نحركهم دوماً بنار صدودها
ولما رأنا الالمهم من حريقهم	فزعزعتهم في ارغسل من قصيدها
تقبل كفلاً لا تراه لسرعة	كان يديها فوق نار خدودها
فأمنت بالتقميص من حيث ارجعت	الى أرضنا ايبازيا مع عهدودها

(سياحتي الى مصر سنة ١٩٠٧)

عندما جمعت كتابي هذا وشئت اطبعه اشار عليّ الخواجه ابراهيم يعقوب ثابت وهو أول من فكرني ان اجمع هذه الاشعار والحوادث التي جرت لي ان اتوجه الى مصر وهو رجل عظيم في غناء اعظم يجب العلم وينشطه فقهرأ على ما هو عليه من ضعف الجسم وهو من أعظم رجال التجارة .

فوجهت من بيروت في ٢٦ ك ١ سنة ١٩٠٦ وصلت في اليوم الثاني الى بور سعيد وعندما عرف بقدومي اخي الدكتور امين القاطن المنصورة حضر الى بور سعيد وتوجهنا معاً اليها من طريق بحيرة المتزلة الى المطرية وتزلت ضيفاً عنده واشكر ما لاقيت من الانسانية والاكرام من السيدة عزيزة زوجته وبعد ثمانية ايام توجهت الى مصر ومعني تحارير توصاه من مسيوفوك دي بارك فنصل جبرال فرنسا في بيروت الى وزير فرنسا فيها الذي استقبلني بكل اكرام سألي عما اريد فطلبت اليه مقابلة سمو الخديوي فحرر الى ورير السر تشريفات بذلك وبعده حضر لي التحرير الآتي من وكالة فرنسا السياسية في القاهرة :

Agence diplomatique de France
Le 16 Janvier 1907. Cair

Mon Cher Bey docteur Chaker Khouri
Le grand ministre de cérémonies vient de faire savoir à Monsieur le ministre que vous pourrez être reçu par son Altesse le samedi prochain 17 Janvier en 11h. 30.
Monsieur Klobukozysky devait lui-même vous présenter au Khedive vous prie de vouloir vous trouver à l'Agence à 11h. très-précie.
Il vous Conduira au palais d'Abdine.
Croyez Cher Bey à mes sentiments très distingués.

Felcourt.

من الوكالة السياسية الافرنسية في مصر في ١٦ ك ٢ سنة ١٩٠٧

ايها اليك العزيز الدكتور شاكر الخوري

ان وزير التشريفات اعلم حضرة الوزير بانه يمكن لفخامة الخديوي ان يستقبلك يوم السبت القادم في ١٩ ك ٢ الساعة الحادية عشرة وثلاثين دقيقة وحيث ان موسيو كلويكوسكي سيدعلك بنفسه الى الحضرة الخديوية يرجوك ان تكون في الوكالة الساعة الحادية عشرة تماماً وهو يرافقك الى سرايا عابدين اعتقد ايها العزيز باحسانك لك المتابعة

فلنكور

فذهبت في الوقت المعين الى الوكالة المذكورة فوجدت الوزير باستنظاري فأخطني في مركبته الخاصة الرسمية ومشي أمامها اثنين من المجرين وعند وصولنا الى السرايا اخذ سلامتا فرقة من العسكر وقابلنا رئيس التشريفات وصعد بنا الى الطابق العلوي ثم ادخلنا ردهة الاستقبال وكانت الحضرة الخديوية على بابه فدخلنا الى اخره ولما استقر بنا المقام قال الوزير مخاطباً الخديوي ان الدكتور من معلمي مدرستا العلية في بيروت فتكلمت انا اذ ذاك موجهاً الحديث الى فخامته من العلوم التي تعلمتها في مصر مدة ساكن الجنتان جدك اسما عيل هي التي اعلمها في بلادي كما انني حضرت افراح ساكن الجنتان والدك وسمعت أول مدفع بشر بطولوعك على هذا العالم ثم تركت مصر منذ ذلك الوقت ثم عند رجوعي اليها الان وجدتها بجالة غير التي تركتها عليها ولما كنت أنظم الشعر في بعض الاحيان نظمت لفخامته الايات الآتية وكان قد كتبها بخطه الجميل على رقعة جميلة حضرة نجيب بك هواويي الخطاط الشهير هذه هي :

اتيت لمصر منقـــــــباً	اداً لا مبر	من الله المحيط بكـــــــــــــــل علم
يقول لخلقـــــــــه هيا اليها	بأمن وارتموا بيديار سلم	
ديار للفراعنة ادخلوها	ولا تحشوا اذى رق وظلم	
لان ارسلت مع فرعون سخطي	فقد ارسلت مع عباس حلمي	

فسر فخامته جداً وشكرني عليها ثم طلبت منه الاطلاع على السجلات لأفص على بعض نقط تاريخية فاصدر امره بذلك الى شفيق بك رئيس القلم العربي والأجنبي في المية فكتبت احضر اليها وهناك تعرفت بشفيق بك والشاعر الشهير شوقي بك وبعد ثمانية ايام من ذلك الوقت كان عيد الاضحى فذهبت لاهنءه فخامته وانا بين مئات من المعبدن مارين امام فخامته دعاني باسمي الخصوصي فتقدمت اليه فاعطاني يده فشكرت لفخامته هذا اللطف ومن هذا الالتفات وقلت في ذلك :

حلمت ان زرت مصرأ	أنال جاهأ لعلمي
فالعلم اضحي يقينأ	ما عشت اشكر حلمي

وقد نشرت كل جرايد مصر المهمة مقابلي واشعاري فاشكر جميعها هذا الفضل .

كما واني اشكر سعادة ادريس بك راغب لاستقباله اللطيف لي ولوالده الفضل عليّ بدخولي في المدرسة الطيبة كما ذكرت وقد نظمت له هذين البيتين :

ايها راغباً بالفضل والعلم والملا فكل انتحي فضل لذكركم حيا
فلا شك مشعل ادريس للخير والزكى سيقى مدى الايام ذكركم حيا

وقد لاقيت كل أنس وملاطفة من الكونت حبيب باشا السكاكيني صاحب القصر الشاهق في الضاهر ومن سعادة مصطفى باشا وهبي البغدادي الشاعر العظيم في العلوم وحافظها وسأذكر في سياحتي الخصوصية في مصر جميع الذوات الذين زرتهم وزاروني ومن لطفهم سحروني اخص منهم اسكندر بك عمون وسلم افندي بترس الصيداوي وعائلة الصدناوي التي بكل أسف فقدت رئيسها المأسوف عليه سليم وكذلك البكوات حنا وانطون صباغ ومنصور باشا شكور وعمه ملحم بك وبالأخص عديل اخي فريد باشا بابازاوغلي مع مدامات المحترمة ولوشنت تعداد الجميع لاقتضى لذلك كتاب آخر .

وكذلك توجهت الى الاسكندرية وطلعتنا ودمهور والسويس ودمياط والاسماعيلية والفيوم وفي كل محل كنت ارى من اولاد الوطن نجاحاً عظيماً .

والذي سرنا جداً مقابلة سعادة عبدالله بك العازوري الذي يفتخر به وطننا السوري وسعادة شاكركم بك الخوري الحاصباني والصدّيق الحميم اسكندر افندي شاكركم صهيون صاحب صاحبه وسعادة جورج بك عيد فحصل بلجيكا ومؤسس كل جمعيات مصر تقريباً وكذلك الخواجه انطون اده رئيس كمانية ليون في مصر وكذلك سليمان بك ناصيف من المعتدين هناك وقد قابلت في الاسكندرية الخواجه يوسف دوماني صاحب الاملاك العظيمة والطف الاعظم وهو مشهور جداً وكذلك أكرم اهل زمانه الخواجه ادوار ابو راجي بترس الذي يفتخر به وبكرمه النازله السورية وكذلك موسى افندي بترس ابن المرحوم سليم دي بترس والخواجه نجيب يوسف سمرق الرجل الملم في الاشغال وابن عمه الخواجه اسكندر سمرق وقد ابتهجت جداً عندما حظيت بمشاهدة رفعتي في المدرسة الوطنية الخواجه روفائيل عبدالله الخوري مدير بنك الرهونات والخواجه يوسف بطرس خضير الذي نجح نجاحاً عظيماً وانشاء الله لم تصبه البورس في شيء .

(السيدة سلمى بولاد)

هذه هي السيدة التي قابلتها في بيتها في الحلة الكبرى وأظنها سميت كبرى بوجود السيدة سلمى فيها فهي مدام الخواجه سليم بولاد من الطلغ السيدات وأكرمهن واعلمهن تحب العلوم والمعارف ولم يفتها شيء من

الكال ويصادق على قولي هذا كل من يعرفها حضرت أزورها وكان وقت غدا الظهر فجلست معها على المائدة وقد صادف وجود الخواجه سليم في مصر وكان معنا كاهن هرم لكنه يحب المزح فعندما رأى السيدة سلمى ملهية مشتغلة معي بالحديث قال لي لم تدع لي مجالاً أتكلم مع السيدة سلمى فأجبته ان الأحسن ان تقسمها بيتنا سلمى لي وبولاد لك فضحكنا جميعاً وكاد هو ان يستلقي على قفاه .

وقبل خروجي من القطر المصري رجعت الى المنصورة لوداع اخي وشكرت جميع من لقيت هناك من الاصدقاء الذي اذا شئت تعداهم اخاف من ملل القاري فلذلك اختصر وايتدي بالشكر لحضرة الخوري يوحنا الخوام الكاهن الحقيقي الذي يحب السلامة والامتزاج بين الطوائف وهو رئيس كهنة الروم الكاثوليك فيها وقد تشرفت بمعرفة السيد الجليل حسين بك العمري صاحب الجامع العظيم ومدرسة للفقراء وهو ابن عبد الباقي افندي العمري البغدادي الشهير وكذلك من الخواجات انطونيوس وانطون صالح وبلدينا يوسف حروفش .

واشكر على الخصوص لميشيل افندي الخوري مفتش التلغراف في الزقازيق ولكل من اسوفني بالطافهم وحال حضوري الى الفيوم وجدت كل موانسة من الخواجه شكري الحداد الصديق القديم ومن مدامته الشهيرة باللطف والانس وكذلك من الدكتور الشيخ سليم تلمحوق والدكتور غبريل افندي من عبرا الذي سرتني بنجاحها بما لا يقدر كما وقد سررت ايضاً من نجاح تلميذي الدكتور لكح في الاسكندرية الذي حصل شهرة عظيمة وكذلك الدكتورين فتح الله افندي الدهان وسليم افندي عمور في طنطا كما انني لا انس في طنطا الخواجه جورج خوري صاحب قايور القطن والخواجه اسكندر بكته التاجر الشهير او ابراهيم بك مظهر في دمنهور والخواجه خليل طراد الذي زرته مع اخيه ومدامته اسكندر بك طراد لمهامي الشهر .

« رجوعنا من سياحة مصر »

في ٢٩ آذار خرجنا من بور سعيد وأصبحتنا في يافا وكان برقفتنا اسير افندي شقير بروقوقنلس دوله انكلترا في بيروت ولهذا المناسبة اذكر لحة عن هذه القنصلاتو التي لها أهمية عظيمة في بلادنا .

ان أول قنصل تسمى لهذه القنصلاتو هو بتر ابوت Beter Abbot سنة ١٨٢٠ حتى هذه السنة ١٩٠٨ مر عليها ثمانية قناصل والذي عرفته العموم سنة ١٨٤١ هو الكولونيل روز الشهر وبعمده القنصل مور والذي عرفته على الأخص هو القنصل الخزال مسيو درموندي الأخير عرفته في بيروت وقد التقيت به صدفة في بحر المنش فابدي لي كل لطف مدة اقامتي معه في لوندرا بتزل سن ارمسن وستمنستر وهذه ترجمته التي تدل على أصله الشريف وأعماله العظيمة .

(هذه ترجمة القصة)

هو السر^(١) روبرت درمندهاي قنصل جنرال دولة انكلترا في بيروت ابن السر الشريف جون هاي درمندهاي الذي بقي اربعين سنة معتمداً فوق العادة ووزيراً مفوضاً في مملكة مراكش وهو من عائلة اسكوتلندية عريقة بالنسب ذات املاك واسعة بقيت كلها لبيت كبير العشرة نحو الف سنة وقد اقترن بالسيدة اغاميا كاترين وبليس فلامنغ كريمة المرحوم تومس وبليس فلامنغ من جنوبي ستونهام همشير من اعضاء البرلمان الانكليزي عن ولاية ونشستر وكان أبوه قبله عضواً في البرلمان حينما بقي فيه خمسين سنة متتابعة .

وقد دخل أولاً في السلك القونسلوس بمعية المرحوم والده في طنجة سنة ١٨٦٩ وبقي الى سنة ١٨٧٥ فتمين حينئذ قونصلاتو في مدينة ماغادور وقد رافق والده المومي اليه بمأمورية مخصوصة الى بلاط مملكة مراكش سنة ١٨٦٣ وسنة ١٨٧٣ ثم تعين مأموراً ليرافق العملة المراكشية للمخصوصية التي زارت انكلترا سنة ١٨٧٦ ثم تعين قنصلاً في ستوكهولم عاصمة بلاد اسوج سنة ١٨٧٩ ومنها انتقل الى تونس سنة ١٨٨٩ حينما تسمى قنصل جنرال سنة ١٨٩١ ثم تعين قنصل جنرال في سورية مع حق المناظرة على قنصليي الشام والقدس وذلك سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩٧ اخذ مدالية بوييل جلالة المرحومة الملكة فيكتوريا ونال نيشان سان ميشيل وسان جورج سنة ١٩٠٢ ثم منح لقب سر الشريف سنة ١٩٠٦ وانتقل من بيروت للتقاعد في ٢٠ ك ٢٠ سنة ١٩٠٨ .

(اسير افندي شقير)

هو الرجل الوحيد الباقي من اصحاب السياسة القديمة والجديدة في بلادنا فهو رجل فريد علم نفسه وهذبها حتى توصل على ما هو عليه الآن من سمو المقام وعلو الهمة وسمو المبادي وهو ابن عبدالله بن لحد شقير من الشويفات سمي ترجاناً لامريكا في بيروت سنة ١٨٧٣ وفي سنة ١٨٧٥ دخل ترجاناً في كونصلاتو انكلترا ترقى الى وظيفة كونشلير ثم بروتوقونصل اي انه صار يمكنه ان يخلف الجين ويصادق على الامضاوات ثم رافق سفير انكلترا في سوريا السر هنري ونال النيشان الجيادي الثاني من الدولة العلية وهو رجل لبن الطباع طويل القناة حاذق الفكر لطيف المعشر لوفتشت انكلترا الف سنة على مثله لم نجد اللهم الا اذا كان ولده فؤاد : ومن هذه الاسرة المرحوم اخوه عيود بك الذي خلف لنا صديقاً فاضلاً الا وهو حليم بك شقير يوزباشي الجندرمة اللبنانية وكذلك عبدالله بك شقير احد موظفي الحرية في مصر وهو صهر اسير افندي .

(١) أصلها عربية أعني السري .

وكانت هذه السنة وبالأعلى علماء النحو والشعر والكاتب في بلادنا قلت بذلك :

اتى عام هو العام الميـد	فاتفى من يشاء ومن يريد
من الطاء عز الدهر يوماً	وليس يمثلهم يوماً يحود
بدا باليازجي امام علم	وثنى بالدور يستحجد
جميل في العلوم له جميل	نجيب في معانيه فريد
وابن حيقه قد كان ركناً	وذكر الدبس في الدنيا حميد
وشرتون بكت اسفأ رشيداً	وذلك بكل مدرسة رشيد
سلم شحادة ميثال (اده)	وتقاس الحديث غدا يبيد
وعباس الغريب في صباح	عن الشعر المنظم لا يحيد
خليل بات للخورى نيباً	وهذا في فنون الشعر سيد
قد انتهت المصائب في شقيـر	هو العلامة الفرد المهيـد
فلم يبق لنا ذا العام علماً	ولا من يخبر عن جاء زيد

(سياحي الى بعلبك وحمص وحما وحلب)

خرجت من بكاسين في ٤ تموز سنة ١٩٠٧ مستصباً معي وكيلي امين مخايل ميزان فهم شعري الذي ذكرت عنه حين توجهنا الى بدين ومنها الى الباروك ثم صوفر وأخذنا السكة الحديدية فيها الى بعلبك التي هي حسب فكري أجمل مدينة في العالم بالنسبة لمركزها لان مائها من رأسها وتسمى رأس العين والشهير فيها قلعتها التي كانت مركز الدين مثل القدس الان وجيبل في الماضي وبعل معناها السيد بك ربما كان معناه في السريانية البقاع يعني سيد البقاع وكل الناس تعرف قلعة بعلبك وما لها من العظمة ودقة البناء وزخرفته فقلت فيها :

فسي	بعلبك	عروس	يزورها	كل	آت
فهي	على	رأس	عبي	لم	أنهـا
					للما

ومن الاسر الشهيرة فيها قديماً اسرة الامراء آل حروفش حكام تلك البلاد فلم يبق منهم احد بصفة حاكم واسرة آل حيدر كانت كأخيه عند الاسرة الاولى والمشهور فيها الان اسعد بك خليل حيدر رجل محب للعلم فاضل واخوه الدكتور حين بك حيدر تلميذي في الطب من رجال بعلبك ومن الاسرة الكريمة فيها ايضاً اسرة آل مطران وهناك نزلاً نازل سعيد باشا سليمان وكذلك آل هراوي التي سكنها حديثاً وفيها يوسف بك الهراوي الذي انتقل من عضوية المحكمة الى عضوية الادارة صاحب املاك واسعة وله ثلاثة أولاد ذكور من الشبان الازكيا وكذلك اسرة بيت نجم في دورس قرب بعلبك ومنها ابرهم بك

والباس بك اولاد محابيل بك وكلهم اصحاب املاك ونفوذ وقد تقلبوا في مراكز الحكومة مراراً وكنت أنزل في فندق كراباج أجد فيها كل حرية وراحة وله عابلة مؤلفة من شبان ذات لطف وزوجة الطف وأظرف وفي اليوم الثاني نزلت الى :

(حمص)

وكان النهار حراً جداً وكان في المحطة الخواجه قبوات فقابلت في حمص رفيقي العزيز في المدرسة حبيب افندي جبور الذي كان طبيب بلدية رحلة سنة ١٨٧٥ ثم في بطيك مدة ٦ سنوات ثم في حمص مدة اربع سنوات وهو من عشرين سنة قاطنها وقد سررت جداً من تقدمه ونجاح اولاده الذين بعضهم توجه الى امريكا وبعده قابلت سيادة المطران اثناسيوس عطالله نموذج الاجتهاد والغيرة لابناء رعيته وقد نظمت لما هي عليه من شدة الحر بيتاً من الشعر اتبعته بايات بطيك فقلت :

فحمص قـــــــــــــــــد حمصتي حتى بـــــــــــــــــدت قبواتي

(حما)

ومنها توجهنا الى حماة في يوم من ايام جهنم ولكن الله رحمني بمعرفتي الخواجه كبس مدير المحطة فأترلتني عنده وفي اليوم الثاني نزلنا الى البلد وكان حراً لا يطاق ولم أزر احد سوى اديب افندي الجراح الشامي رئيس دائرة الجراء لأنني صديق عائلته منذ كنت في الشام وقد تفرجت هناك على النواعير التي تستحق الزيارة وقلت في حماه ابياتاً اتبعها باشعار بطيك :

(نهر العاصي)

يا ليتني انما عاص ^(١)	ومـــــــــــــــــا نظرت حاني
قد كان فيما انيني	كـــــــــــــــــاتنة الثـــــــــــــــــاكلات
حـــــــــــــــــاكت نواعير مـــــــــــــــــاء	لكن بعكس الصـــــــــــــــــفات
فذلك انت لـــــــــــــــــبرد	والحر اضــــــــــــــــنى لهــــــــــــــــاتي

وقبل خروجي من حمص زرت مقام سيدنا خالد بن الوليد الذي اعتزل في طاعته وشجاعته دائماً لأنه وفر على الاسلام اختلافاً عظيماً بطاعته عندما عزله سيدنا عمر وأطاع الأوامر بقصاصه وكانوا يومئذ ابتدوا بترميم القبر وهو بجانب العاصي فقلت في ذلك :

عجبت لمن قد كان أول طائع	بحاور طول السدھر في قبره العاصي
لطاعته قد بات بالجد خالداً	وبالسيف كم افنى وطوع من عاص

١ حلب

عجبت لمدينة يحيطها الفقر من كل ناحية وتبعد عن البحر مسافة وترى فيها التمدن والتجارة والعلوم والحضارة فمن عرف تاريخ حلب وما انتجت من الرجال والعلماء يعرف ما لها من الفضل على سوريا فليطلع القارىء على مقالة الاب شيخو في المشرق تظهر له الحقيقة جلية واضحة وما اني اقتصر عما اعرفه من رجالها الافاضل فأقول ان اول من أوجد مطبعة في الشرق حلبي وهو عبدالله زاهر وكذلك مؤسسي الرهينة المارونية حليون ومن بنى افصال المطران جرمانوس فرحات على اللغة وعلى تنظيم ترتيبات الكنيسة المارونية ومن بنى افصال السيد الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم على طائفة الروم الكاثوليك وفضل بطركها الحالي غبطة كيرلس جحا على اني اقول كلمة موجزة انني دخلت حلب في ٧ تموز في القطار الحديد الذي لولاه لما نظرنا عمري وهو من مآثر الذات الشاهانية ايدها الله فرأيت بناياتها عظيمة على النسق الجديد والشوارع متسعة وقد رأيت المدينة القديمة ذات اسواق مبلطة نظيفة متسعة كأحسن مدن سوريا والأهم فيها قلعتها عديمة النظر في بلادنا ومركز البلد من اجمل المراكز فهي على سهل كاشف لا تصدمه الجبال ومن حولها ارتفاعات قليلة وهي بشكل هلالى .

وأكثر فرش بيوتها على النسق الاوروباي الجديد والالفة سائدة بين جميع الطوائف والهدو شامل حتى مستراحاتها وكل ذلك لا يوازي لطف وشغل وحماية ونشاط رجالها فترى منها في الدنيا كلها تابعة للتجارة والعلوم .

وقد نزلت في اللوكندة العزيزية وهي لوكندة عظيمة يزيناها لطف صاحبها ومدامته وقد افردوا لي غرفة في الجهة الشرقية وهناك مربوط الخاروف والديك والحمار وهما جرا فكان الخاروف يصرخ ساء والحمار ينهز ليلاً والديك يصبح صباحاً واخيراً اخبرت صاحب التزل الذي ذبح الخاروف وابعد الحمار وأما الديك فابقاه فكأنني لم أزل في غرفتي في بيروت مع ديك الجاويش فقلت لصاحب التزل واسمه كورك اوهايان :

اذا كان صوت الديك ارجع بطراً الى دينه بالعكس بفعل مع ديني
الا فابعدوا عنا صباحاً لديكمم والا لننسا دينكم عنسد تلحين

كأنني ما لعنت شيئاً فضحك وابتقى الديك فسكت لأن سفرني كان قريباً .

« الفردوس الارضي »

اتفق انه كان في التزل رجل انكليزي من مستخدمي مصر وعندما كنا على المائدة اخذ يتكلم عن الفردوس الارضي اذا كان قرب القررات او في دمشق او في الهند فأجبت انه لا يوجد فردوس ارضي

فأجاب كيف تنكر الثوراة التي ذكرته وما هو برهانك لعدم وجوده قلت أعظم برهان عندي لعدم وجوده هو انه لو كان موجوداً للملكة انكلترا لان جهنم التي هي افريقيا دخلتها فكيف لو كان يوجد فردوس في الارض فمعد ذلك استلقي على ظهره من الضحك مع السامعين .

« سادات وذوات حلب »

فتوجهت في اليوم الثاني لأزور سيادة مطراني المطران يوسف دياب في كرسه ولم يسبق لي معرفة به معرفته في نفسي فلاقيت منه كل انس ولطف وقد دعاني الى مائدة محصوة في اليوم الثاني وكان ظاهراً فيها كرم سيادته ومن عرف تاريخ اصله وفضله لا يستغرب ذلك فوالدته من عائلة كويا الكريمة الشهيرة في ليفورنا وأصل عائلته من بشري من الكوارزة فنكون من اصل واحد كما ذكر الدكتور رشيد شكرافه الحلو من بعدي في سلسلة بيت الحلو حاصله انه خلف الشمالي وقد جدد كل بنايات الكرسي وانشأ المدارس واشترى أملاكاً للكرسي ووزع احساناً وهو اغنوج الاجتهاد ولد سنة ١٨٤٩ في حلب ووالده انطون وسم مطراناً سنة ١٨٩٦ ونال المييدي الأول والعناني الثاني من لدن جلالة السلطان الاعظم وله عمرة عطيمة على خرافه وقد عرفني بنوات الطائفة وزرت بمعيته الخواجه يوسف اندريا من التجار العظام وكذلك جرجي بك عابديني الذي لاقيت منه كل التفات وهو الذي كان يقدمني الى ذوات حلب وكان يرافقي النهار بطوله يبارك الله في الانسانية واللطف الكامل وفضلاً عن ذلك فهو من التجار المعتبرين وعضو ادارة عن الموارنة وقد عرفني بالشهم الكريم صاحب النبل الخواجه يوسف الاسود الذي رأيت منه كل ملاطفة فهذه العائلات المارونية احضرها من لبنان ساكن الجنان السلطان سلم واسكنها حلب لأجل حركة التجارة ومنها عائلة جورج بك عابديني لم يزل اسم عابدين عليا وحضر جدنا الى حلب وكان كاهناً اسمه الخوري موسى سنة ١٥١٦ .

ولا انسى لطف الخواجه البرحمي الذي رافقي مع جرجي بك وهذه العائلة هي من أعظم العيال واغناها كاملة الخلق والأخلاق وعرفت منهم الخواجات نعم وديزيره وكذلك الخواجه نصرافه بطرس وهم من الذوات الكرام والذي عرفته وجذبي اليه لطفه بسرعة هو الخواجه هانزي ماركوني من التجار العظام وفي اليوم الثاني زرت سيادة المطران ديمتريوس القاضي وقد ذكرت عنه .

والذي أنست به جداً هو سعادة بحبي بك الشمعة كومتندان الجندرية في ولاية حلب وكنت عرفته في بيروت وهو من الذوات الكرام وخدمة الدولة الامناء ابنا حل نحل الراحة والسكينة وقد كنت مسروراً جداً من استقباله وكنت أجول في البلد محل المتزهات وفوضت امري بالنزّه الى العربيي بأخذي ابن شاء ولكن لم افوض اليه امري بالحساب وادفع له ما شاء لان القريب مطمعة ابن ما كان خصوصاً وقد علمتني كثرة الاسفار اشياء كثيرة وكان منظر المدافن في حلب مدهش وعندما كنت أمر على تربة اتصور ان الاموات

قامت وان كل واحد واضحاً على صدره لوحاً بشير على اسمه وقد قابلت رفيقي في المدرسة الذكور انظرون افندي الشعراوي الذي سررت جداً وقدمني لمعركة مدامته وبناته اللطيفات .

ولم يضائقني في حلب سوى الحر الشديد والهواء الحار الذي لا يطاق وهذا سبب سرعة رجوعي وقد قلت في ذلك :

اعطيت من رب السما
في خصم عام كامل
عن كل يوم سنة
وَصَلَّى فِيهِ سِدِّى الطَّالِبُ
فِي مَسْأَلَتِي بَيْنَ اللّٰهِ
مَسْأَلَةً بَيْنَ حَمِيٍّ وَحَلِيبٍ

ولكن ليس الذئب على حلب بل الذئب على من يزورها بعير فصلها العظيم لأن البلاد كالعباد لا يمكن الكمال فيها فالبلد التي تكون باردة في الشتاء تكون لطيفة في الصيف وهكذا فصل حلب هو فصل الربيع وفي هذا الفصل كانت تحلوفه زيارتها ولكن مرضي لم تكن ذاك الفصل والخلاصة اني خرجت منها محملاً لاهلها جداً واذا كان حرها شديد فلا ذئب نسيم فهم ثلثنا يتألم فرجعت منها الى عيلبك رأساً ومن عيلبك الى صوفر ومنها الى بدير ومنها الى الحنابلة الى عين قنا وزرت هناك .

« زين الدين ماشا حسن »

وهذا لا يمكن السكوت عن ترجمة هذا التابعة في عصره لابي اعرفه من صغره - وفي عبقبه سنة ١٢٥٠ هجرية وعرفته عندما كنت في المختارة وكان يومئذ من تلامذة الشيخ ابراهيم الاحمد وكان له عهد داود باشا عمياً لحقوق الطائفة الدرزية ثم عمياً لدعاوي بيت حبلاط واحسن شيء عمله هو تربية وتعليم أولاده الثلاث اكرهم محمد بك وثانهم سلمان بك وثالثهم سعيد بك وقد نال زين الدين باشا رتبة امير الامراء مع لقب باشا وأولاده مثله في حفظ الزمام وكرم الاحلاق نقلوا غاموزيات عديدة .

ثم بعد ذلك ذهب الى باقر مع ملحم بك حمدان بجل الشيخ سعيد حمدان .

« الشيخ سعيد حمدان »

ان هذا الرجل هو الصدق المحمد عرفته من مده مديدة لا يعرف الكذب ودود صادق لا يمر العبد
من الصديق عند الحكم وقد أصبح لفضيلته قائمقام الشوف الامر الذي لم يأت له من عائلات المشايخ
وهو العضو الدائم الدرزي لدائرة الحقوق وكان قاضي في الشوف فلا يؤثر عليه المناخ ولا الظروف ولا
الاحوال دائم الصدق وولده الشيخ ملحم مفتي اثره في هذه الصفات وكان عضو محكمة جزيين وله ولد

اسمه كامل وهو مثل باقي العائلة وعائلة آل حمدان هذه كانت ذات مقاطعة اخلفت منها واعطيت لخلافها في أيام الأمير حيدر وهي عائلة كريمة تصل بها صلة الرحم بيت جنيلاط وبالاختصار ان الشيخ سعيد هو اغوج الصديق والزمام ولم يزل عضواً في دائرة الحقوق للان .

وقبل وصولنا الى باتر عرجنا على عاطمور لزيارة قاسم افندي وحسين افندي عبد الصمد وهم من عائلة بيت عبد الصمد الشهيرة التي لها حزب في البلاد فيقال هذا صمدي وهذا شقراوي نسبة لعائلة اخرى كريمة في عاطمور وهي عائلة بيت ابو شقرا ولها تين العائلتين اهمية كبرى في الشوف فقد كانتا تملكان اقليم التفاح باجمعه ملكاً مطلقاً وهو كناية عن عشرين الى ثلاثين بلد أما الان فلم يبق لها شيء فقد بيعت تلك الارزاق وانقر منها في سبيل الكرم والضيافة واما الصداقة التي بيننا وبين قاسم افندي وحسين افندي هي قديمة من زمن والدي مع جدنا الشيخ احمد علي المشهور وقاسم افندي الان عضو في محكمة جزين وحسين افندي كاتب في دائرة الحقوق الاستئنافية وقد بنى قصراً في عاطمور جميلاً . ومن باتر رجعنا الى جزين الى بكاسين لتكلمة فصل الصيف هذه هي سياحتنا الاخيرة .

« محكمة الشوف »

عندما تأملت في هذه المحكمة وبين ترأسها وبالقائمات الذين تولوها وجدت فيها امر عجيماً وسراً اعجب كيف انها جمعت رؤساء وقائماً لا عيب فيهم بالرشوة يعطون ولا يأخذون اولهم الامير ملحم ثم الامير مصطفى ثم نسيب بك جنيلاط والان الامير توفيق فلم يوجد اشرف نفساً من هؤلاء فذلك كانت رؤساء المحاكم مثلهم ولذلك لا يلزم ان نسكت عن صفات هؤلاء الرؤساء ليكونوا مثلاً لمن بعدهم فالذي عرفته منهم هو المرحوم .

« الشيخ سعيد تقي الدين »

لا أتكلم عنه الا بصفة رئيس محكمة وليس بصفة عضو في دائرة الجزاء وبغير مأموريات فهو أزرى سامع وأفصح متكلم عالم اديب وهو من عائلة اولدت رجلاً مهين منذ ابتداءها حضرت مع المعنيين وظهر منها الشيخ زين الدين عبد الغفار الذي اشتهر بكتبه اولها بحرى الزمان وثانها النقط والدوائر وهما أحسن الكتب الدينية الدرزية ثم الشيخ احمد تقي الدين الذي تولى القضاء في جبل لبنان مدة حكم الامير بشير قاسم الشهابي وعند تشكيل لبنان تولى قضاء الشوف الشيخ ابو صالح تقي الدين المشهور بالعفة والاستقامة فهذه هي العائلة الدرزية العلمية ولم تزل اولادها مقضية اثر العلم منهم اولاد المرحوم الشيخ سعيد الخمسة أكبرهم محمد افندي وهو الان مدير مال الشوف والثاني طيب في حكومة امريكا والثالث امين يدرس الحقوق في المدرسة الافرنسية في مصر وشاهدته هناك الرابع يتعلم الطب في بيروت وكان أول سنة تلميذي في مدرسة الطب الافرنسية ثم انتقل منها الى الامريكانية والخامس في المدارس حتى

واصهرته من اصحاب العلم ايضا كالذكور علي سليمان من امهر والطف الاطباء وهو طبيب خستخانة
بمقلين الانكليزية .

والعائلة الثانية العلمية والتي خلفت رئيساً لمحكمة الشوف علو استقامة وعفة نفس هي عائلة عز الدين
الذي ظهر منها مدة الامير بشير الشيخ حسين ماضي شيخ العقل والان منها صاحب الشهرة كما قلنا .

• محمد افندي عز الدين •

الذي ترأس كما قلنا محكمة الشوف وهو الان عضو في دائرة الجزاء ومنها من الاطباء قاسم بك عز الدين
طبيب كرنتية بيروت من الاطباء الممتازين وقد ترأس هذه المحكمة الشيخ سعيد حمدان كما قلت وكذلك
عباس افندي حميه ولو كان ضدي في دعوى ماء بكاسين لكنه من الرجال المستقيمين واخيراً استضى منها
لكثرة اشغاله ومها اختلفت مشارب القاعقامين مع بعضهم فلم يختلفوا بانتخاب قضاة صادقين لهذه
المحكمة فهذا من توفيقاتها .

• المعطاء الجزيل بدون وفاء •

في اثناء هذه السياحة بينا نحن في السكة الحديدية بين حمص وحلب سمعت رجلاً يخبر قصة جرت
له وهي انه دخل على رجل عظيم واشده قصيدة بليغة (كأنه شاعر) فامر له بمائة ليرا فخرج هذا الرجل
حتى كاد يطير من الفرح فبقي ينتظر الدفع من يوم الى اخر حتى ضجر وكان الرجل يهرب منه تفريراً كلما
صادفه في ذات يوم ارسل له الاشعار الآتية :

عطاك جزيل غير انك معطل وتذهب لذات المكارم بالمطلس
فوسى كلم الله اوعد قومك ولما أطال المكث مالوا الى العجل

ومع كل هذا لم يقبض شيئاً فأصبح الشاعر عدوه وبشس العداوة فبدل المدح بالهجو وكان هجوه مرأى.

(قصة نديم) طلب أحد الملوك من وزيره نديمه لأنه اشتهر بظفره ومناذمته فأمر الوزير النديم ان
يعمل جهده ليسر الملك ونبه عليه ان لا يطلب دراهماً منه واذا طلب يقطع رأسه فدخل النديم عند الملك
وجاد في المناذمة حتى سر الملك جداً وعند انتهاء السهر قام الملك ليدخل الى الحريم فافكر النديم ان كل
تعبه ذهب سدى وان الملك مسرور وهذه الفرصة لا ترجع فتقدم الى الملك وقال له مولاي لقد نبهوا علي
ان لا اطلب دراهماً من جلالتك ولكن من نبه عليك ان لا تمطين فضحك الملك وامر له بمائة عظمية
وعندما علم الوزير بذلك سأل النديم فأجاب اني ما طلبت حسب امرك لكن قلت كذا فضحك الوزير
واجازه .

زيارتي للقدس

صرت حاجاً

لا شك بأن ما يسمعه الانسان في صفته يؤثر عليه في كبره لان المرء ابن تربيته ولا بد ان يبقى اعتقاده الأول راسخاً في ذهنه ولو كبر وغير معتقده فلا العلم ولا العمر يمكنه ان يزيل منه ما تعلمه صغيراً فالقدس او اورشليم وساكنها هو أول ما يسمعه الانسان في الشرق والغرب ويعتقد به فتذ أول ادراكه ومعرفتي كنت اسمع بمزامير داود النبي والملك واقرأ ما ورد فيها عن صهيون جبل قلمه سليمان وحكته وامثاله وغناه وما اشبه حتى انني كنت اتشوق كسواي لمعرفة مركز هؤلاء الانبياء والملوك الذين هم حتى الان محطتي للذكر رغماً عن تقدم العلوم والمعارف وما استطاع أحد من الفلاسفة او العلماء ان يشتر نظيرهم ولم يزل زبور داود في كل لغة منتشر يترنمون به في كل كنيسة كما ان حكمة سليمان وامثاله لم تزل حجة الأقوال وليس عن عبث احترم الجنس البشري هؤلاء الانبياء والملوك معاً وأكرمهم وهذا الامر نادر جداً لولا عناية مخصوصة ولا جرم بأن الارض التي وطئها بمنازة كاميلاهم عن باقي البشر . أما الامر المهم الذي جعل اورشليم قدس الاقداس فهو وجود المسيح فيها وقصته وأعماله ومعجزاته وهذا ما تعلمناه في الصغر ولذلك كنت اتشوق لارى تلك الارض المقدسة ولكن الظروف لم تتلني فأرسي الا في هذه السنة بعد رجوعي من مصر ان ازورها وجعلت شرط زيارتي منوطاً بميئنا يافا التي اشتهرت بردائها وهي التي تمنع أكثر الناس من زيارة القدس غير ان الله اذا اراد امرا سهلاً وسائطه فقد وصلنا الى يافا ورأيت الميئنا بقاية الهدوء والسكينة والبحر صاف كأنه برضاً نزلت من الوابور ووصلت الى البر بكل راحة اما فكري فكان مضطرباً لان شهرة هذه الميئنا بردائها لا تجعل الانسان اميئاً منها كمعادة كل شرير لا يأمن له الانسان ولو تظاهر بالصلاح فزرت بيت الخواجات حاج وبعد الظهر بساعتين توجهنا الى القدس مع نجيب افندي الحاج ومدامة رشيد افندي الحاج بالسكة الحديدية ومررنا بالطريق على اللد والرملة وسجد وبيتر وبعد اربع ساعات وصلنا الى اورشليم الساعة السادسة من سبت النور الواقع في ٣٠ آذار سنة ١٩٠٧ وكان البرد قارصاً والرياح عاصفاً .

« زائر اورشليم »

يزور القدس ثلاثة ملل لكل ملة غاية مخصوصة وافكار مخصوصة . يزورها اليهودي والمسيحي والمسلم . فاليهودي يتذكر بها عزه وجاهه وداود وسليمان والميكل وباقي ملوك أمت فيتأسف ويتحسر وينوح فهي له ذكرى حزن في الحاضر وعظمة في الماضي والمسلم يتذكر بها معراج النبي صلعم وصعوده بالخراب ودخول عمر اليها وصلاته فيها وهي مركز قدس له كانت ولم تزل حتى اليوم اما للمسيحي فيتذكر بها صلب واهانة وعذاب واحتقار وميتة معلمه وسيده ذلك الذي لم يجد له مأوى لولادته ولا لموته ولا في حياته ولد في مزود وعاش على الطرقات ومات على صليب معلقاً وفي ايام عزه ويحمده استجار حجاراً وركبه . وتروزل هذه

الأحزان القديمة عند المسيحي حين يرى ملوك الأرض ورؤسائها وشعبها يأتون الى هذا المكان يفتشون على التراب الذي داسته اقدامه ليرغوا به تيجانهم فيعرف ان أكليل الشوك قد تسامى على أكليل الجوهري فيفسر ذلك الحزن القديم ويتاجي ذاته قائلاً . بالحقيقة لو جحد البعض الوهية المسيح في السماء فلا شك بأنه اله الأرض .

﴿ القبر المقدس ﴾

لا اتعرض لمحل هذا القبر ان كان هو الحقيقي ام لا لأن العلماء اختلفوا في آرائهم بهذا الشأن وهل كان خارج المدينة او داخلها وما هذا الامر بالجوهري حتى يؤثر على الاعتقاد لان المهم بذلك كله ان حكاية المسيح جرت في هذه المدينة ولا احد ينكر مجيء المسيح اليها وصلبه وموته فيها ولا بد لأي عمل يدوسه الانسان فيها ان يكون قد سبق وداسه المسيح فقبره كمحل اقامته لانه لم يبق في القبر سوى ثلاثة ايام وقام من بين الاموات كذلك معرفة محل صلبه ليس بالامر الجوهري لان المكان اذا لم يعرف بالوضع فبالصور ومع ذلك فقد اجمعوا منذ القديم على هذا المحل بكونه القبر المقدس وهب انهم اخطأوا بحكمهم فطول الزمن الذي قد مر عليه يجعل له الاحترام وبعدما انتهينا من هذه الزيارة التي لم استعد فيها لفكر نخشعي نظراً لظروفها وعدم الاحتشام الديني لان كنييسة القيامة والقبر المقدس كانا كسوق يدخله الزائرون ويدورون حيث لا يستقرون في محل للصلاة وفي كل جهة يسمع الانسان الصباح بكل اللغات والصاكر تسير بكل جهة وقد كان يخشى الجميع ان احدى الطوائف تدوس محلاً لا يخصها او تطفئ قنديلاً لا تملكه لتلا تقوم القيامة فافتكرت بأن المسيح الذي اتى الى الأرض ليعلم السلام والوئام فقد أبدلوا تعليمه بالاختلاف عليه فعندئذ ركعت أمام القبر وقلت مصلياً :

سيدي يسوع مها جئت من رحمة للناس منذ خلصتهم
لا يوازي شر من قصد خسبوا يقولون بــــــان خلقتهم

وخرجت من ذلك المحل تاركاً ما كان عندي من بقايا الدين على باب القيامة.

الجامع الأقصى

في ظهر ذلك اليوم اتانا احد افاض الجندرية من قبل نجيب بك القباي مدعي عمومي القدس ليتوجه معنا لزيارة الجامع الأقصى وهو ابن صاحب السعادة عبد القادر افندي القباي مدير معارف ولاية بيروت ولا استطع وصف ما هو عليه هذا الشاب من الأدب والمروة والاخلاق الحسنة ومن ترجمة سعادة والده يعرف ان هذا سجية طبيعية متأصلة في العائلة .

ولا استطيع وصف الدهشة التي ألت بي حين اشرفت على القسم الذي فيه الجامع الاقصى وهو جبل موريا حيث كان هيكل سليمان (اي الهادي) وحيث اعتمدت ان لا اذكره ما ذكره غبري انصرفت عن ذكر جبل موريا والجامع الاقصى للقائم عليه وأقول بالاختصار انه أول جامع مما رأيتهم في حياتي .

« عبد القادر افندي القباني »

ولد السيد عبد القادر افندي قباني ابن السيد مصطفى الذي نال من ساكن الحنان السلطان محمود رتبة اسطبل عامره مديري في بيروت سنة ١٢٦٥ هـ وفي سنة ١٢٩٢ تحصل على امتياز جريدة نمرات الفنون التي خدمت ولم تزل تخدم الوطن وأول دخوله في خدمة الحكومة كان عضواً لادارة بيروت ثم عضو محكمتها الابتدائية ثم عضو محكمة الاستئناف ثم وكالة رئاسة البلدية ثم رئيساً للبلدية ثم مدير المعارف في ولاية بيروت بارادة سنية ولم يزل فيها صاحب الرتبة الاولى صنف أول والنيشان المجيدي الثاني والمائي الثالث ومالية التخليص ومالية السكة الحديدية الحجازية ومالية وصول السكة الى معان وهو اخو السيد سعد الدين باشا القباني الذي توفي سنة ١٣١٨ الذي من اولاده سعادة عبد الغني باشا فيتنج من ذلك ان هذه عائلة كريمة خدمت مدة طويلة الحكومة ولم تزل اولادها ماشية على الخطة ذاتها فلا عجب من امانة وصدق نجيب بك .

« الروح القدس المقوي المعزي »

من عرف تاريخ الرسل قبل حلول روح القدس عليهم وبعده يعتقدون دون شك بأنه هو الروح المقوي ومن كان يظن بالرسل جبناً كهذا ليلة مسك المسيح ونكره بطرس وفر رفاقه عنه بعد ان اجري لهم تلك المعجزات العظيمة وكيف انهم بعد حلول الروح القدس عليهم جاهروا بايمانهم وسلموا ذواتهم الى الموت وطافوا الارض مع انهم خافوا قليلاً من رجال قيافا والبرد وكيف اهتم بحالة جهالة كانوا يمهون وهم دائماً في شك يتعجبون لكل كلمة يسمعونها وقد كتبوا فيها بعد ما كتبوه كرسالة مار بطرس ويعقوب ومن يقول ان هذا الكلام يصدر من صياد ومن اين انت تلك الشجاعة التي دعت ان يذهب الى رومية وسواها ويعرض نفسه للموت وبالحقيقة ان روح القدس هو الروح المعزي المقوي المنير للعقول الذي جعل اليكم فصحاء ويا ليت كان حل عليّ وعمل معي خلافاً ما عمله مع الرسل الذين وهبهم الفصاحة ويا ليت كان اسكنني واخرسني فلكنت استرحت من كل منتقد .

« الزيارات »

وقد كان معنا في زيارات البطريك اللاتيني ورئيس دير الفرنسيسكان والمتصرف وقنصل فرنسا المونسنيور الخوري يوسف المعلم الوكيل البطريكي الماروني في القدس وهو رجل مجتهد وصاحب غيرة

وحمية وله صداقة مع رفيق نجيب افندي بحيث أنزلنا عنده فرأينا جماعة من الزوار الموارنة نازلين هناك والمحل مشحون لكنه منفرد وليس فيه تذكار وهو داخل المدينة وقد اقام المونسنيور يوسف كنيشة باسم مار مارون وعندما نظرت غيرته نظمت له الايات الآتية وعمل المطرانحاتة في جبل صهيون :

قد كان يوسف للمسيح معلماً واتى به يوماً الى صهيونا
واليوم يوسفنا الجديبد لقد أتى وأقام في صهيون مار مارونا
ولكنثرة الزوار دوماً حولـه فحبت صهيوناً غدا البطرونا

ففي أوقات زياراتي وجدنا رئيساً مدعياً غشياً كما هي العادة فعرفونا به . فقلت شعراً :

وعندما زرت قديماً زرت اديرة للقبط والروم سريـمان ولاتين
قد كان ما بينهم علاج يظن به في سن خمسين أو في سن ستين
قد عرفوني به تعريف مشتهر بانـه خير قيس في فلسطين
من نزل ذلك الذي سوع شرفه اذ قد علا ظهره يوم الثمانين

« زيارة المتصرف »

في مساء يوم الثلاثاء زارنا نجيب افندي قباني كما قدمت وطلبتا منه ان نزور المتصرف فأجاب طلبنا وفي اليوم الثاني توجهت معه وصحبنا الخوري يوسف ونجيب الحج فرأيت المتصرف من أطرف وألطف الشبان يتكلم اللغة الفرنسية ويجيدها كأفرنسي وهو ابن كمال بك الشاعر الشهير وقد علمه والده سائر العلوم في منزله ثم خدم المابين الهايوني ست عشرة سنة وأول وظيفة تولاه في الخارج هي متصرفية القدس ويدعى علي أكرم بك وقد نظمت له هذه الايات :

فلو عيسى جاء القدس قصد كرامة لكان علي ذو الكمال له أكرم
وكان له من كل كبد مخلصاً ولم يسدع المظلوم في حكمه يظلم
فن كان من بيت الكمال شعاره فلا عجب ان بات في حكمه يرحم

« بيت لحم أي بيت الخبز »

هي افراته القديمة ومعناها للخصبة لأنها انصب ارض هناك تبعد عن القدس نـع كيلومترات ويمكن الزائر ان يقطع هذه المسافة سيراً على الاقدام كما يفضل زوار الروس .

وبعد ذلك وصلنا الى بيت لحم وكانت أصغر قرى يهوذا ولكن نظراً للعادتين اللتين جرتا بها فقد اشتهرت جداً وهما ولادة داود وتكريس صاموئيل له فيها وولادة المسيح وهي قاعة على سفح جبل محاط بأراض محصنة بالزيتون والفاكهة بعكس القدس المخزنة الفاحشة .

المغارة

التي ولد فيها المسيح ولم تزل في عملها لا يشك فيها كما يشك في القبر المقدس وقد بني عليها كنائس واديرة وفيها كنيسة للروم من عهد الملكة هيلانة وكنيسة ثانية للأرمن والثالثة للاتين باسم القديسة كاترينا وهي بيد الرهبان الفرنسيكان .

اثر على رأى المغارة عكس تأثير كنيسة القيامة فيها ترى التأمل والسكوت وبها يركع الزائر ويصلي ولا احد يعكر صفاء تأمله فهي خشوية أكثر من كنيسة القيامة وقد افتركت في غشم هيودس الذي يدعي المعرفة والسياسة بكونه ائكل على الخوس ليرجعوا ويعطوه الخبر عن المسيح لما هذا فعل رجل سياسي فكان يلزمه عندما رأى غرباء يفتشون على ولادة ملك ان يصحبهم برجال من عنده ليعرف تصرفهم ويطلع على الحقيقة ولا يتقم من الاطفال فكان أول به ان يقتل نفسه لخطاه السياسي عوضاً عن الأطفال ولكن هذا أمر امني لا نذكره كما وان الخوس أول من آمنوا في المسيح ولحد الآن لم يؤمن به أحد من بلادهم لأهم من الفرس أو الشرق كل ذلك عجيب .

نادرة مع اهالي القدس

في أحد الليالي حضر عدة اشخاص لفضية السهرة معنا وكان بينهم رجل ظريف لطيف جداً فقال لي قد أتيت الى هنا لتتقدس دون شك منا لأننا قوم مقدسون ومنا ظهر كافة الانبياء والمسيح قد اتى في وسطنا فأجبت ان المسيح اتى اليكم لا لقصد الاكرام بل لأنه عرف انه سيصلب فداء عن البشر فتزل الى الارض لهذه الغاية من اعل السواوت وتسأل عن اردل خلقه في الدنيا ليتجاسر ويصلب ابن الله ولم يربن مخلوقاته شراً منكم فأنى اليكم لتصلبوه وكما انك لو رأيت عدة اطباء خارجين من محل ما فتعرف دون شك ان اجتماعهم اما لمداواة مريض وحيث الانبياء هم اطباء الروح وروحكم مريضة لذلك اجتمع الانبياء عندكم لاصلاحكم ولكنهم لم يفعلوا فأنى اليكم المسيح ولما يش منكم قال عنكم مخاطباً مديتكم يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين كم من مرة اردت ان اجمع فيك بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها وما تريدن . فاذا كان المسيح ما جمع كلمتكم هل من بشر يقدر فيها بعد على ذلك .

فضحك وقال أحمد الله لكوني لست من أصل قديم والحق يقال ان سكان القدس الان هم غير

الذين كانوا في زمن المسيح بل هم جماعة من سائر الاجناس واللل والنحل ينطقون بسائر اللغات كأنهم غاروا من الرسل فحل عليهم الروح القدس ثانية واتقنوا سائر اللغات ومحمل القول اننا في الساعة الثامنة من يوم الاربعاء الواقع في ٣ نيسان سنة ١٩٠٧ توجهنا الى يافا ووصلنا اليها الظهر تماماً فذهبت مع رفيقي نجيب افندي الحج الى منزله وسألت عن معابد الوايورات الذاهبة الى بيروت فقيل لي ان في الغد وهو يوم الخميس يسافر الفرنسيون منها فررت جداً .

« كنيسة الطائفة المارونية في يافا »

بعد ان وصلنا الى يافا بنصف ساعة درى بنا الاب الدكتور القس بولس عبود من افراد الرهبان البلدية من غوسطا وهو ابن اخت الرئيس العام المرحوم مرتينوس غسطاوي الذي تولى الرئاسة العامة من مدة طويلة وشقيق المثري الشهير بطرس عبود وقد تلقى دروسه في رومية حتى حاز شهرة عظيمة جداً وحين اتى الى يافا رئيساً للدير رأى كنيسها صغيرة تكاد لا تذكر فجمع لها الدراهم اللازمة لأجل انشائها وكلفتها مبلغاً طائلاً فأقامها على نسق بديع جداً وقد تم بناؤها وزارها البطريرك الياس عند دهايه الى رومية وبعد حصوره توجه سيادة ابن عمنا المطران شكر الله الخوري الى هناك وكرسها لانها تابعة لابريسته واسما نخس الرهبنة البلدية الذي كان رئيسها يومئذ الاب يوسف رفول الاجبي وقد وعدت الاب المذكور بتقديم تاريخ للكنيسة لأنها مشيدة على اسم مار انطونيوس فنظمت له الايات الآتية :

أقام بولس عبود للكنيسة	مقام دين بشكر الله كرمه
قد زاره الطررك الياس الذي اشتهر	افضاله فلذلك الله قدسه
رهبان لبنان في ايام يوسفهم	قد وكلت فيه انطونونا ليحرمه
لذلك تاريخه قد حن عن نفة	لا يهدم الله ركنه كآن اسمه

سنة ١٩٠٧

وقابلت في ذلك النهار الشيخ سليم بن الشيخ خطار الدحداح استاذي القديم وهو شاب ذكي اديب متعلم ورئيس ادارة رزي التنيك واحواله على غاية ما يرام فررت جداً لمراه وكان من جملة الاصدقاء الذين قابلتهم شكيب افندي الحج شقيق نجيب افندي وهو محرر النفوس بقضاء يافا ومدخلاته حسنة مع القاعقام وكان مركزه في الميناء يتناول الجوازات من الركاب فطلب مني ان انظم بعض ايات لقاعقام يافا محمد رضا افندي لانه صديقه فأجبت طلبه وقلت :

يا يافا^(١) انت جميلة وجمالك لا ينقصى

(١) يافا لفظة سريانية معناها جميلة .

هبت عليك عواصف وزواياي لا ترضى
فـالان كوني امينة من كل شر قد مضى
من ريسك ومليكك وعمد نلت الرضا

وفي يوم الخميس بعد الظهر ساعتين توجهت الى الواور فقام عند غروب الشمس وفي الساعة السادسة من يوم الغد في ٥ نيسان وصلنا الى بيروت حيث لا قاني اولادي وديع حليم .

(نكتة) طلبت من بعض اصحابي واسمه كامل قضاء حاجة الى صديق لي وألححت عليه جداً فأجابني ماذا تفعل اذا ما قضيتها أجبت بصير كل ما عكس اسمه .

(نكتة أخرى) كنت في مجلس واذا دخل علينا رجل اسود الوجه مع زوجة تحمل البدر فابتدا الحاضرون ينظرون بعضهم بعضاً ويتغامزون كما هي العادة ويقول كل بفكره يا للخسارة فقلت بذلك :

نكدت الخواطر منذ رأينا برققة اسود بـدر التمام
فلا عجبٌ بهذا اذ قد عرفنا بان البدر يطلع في الظلام

(لامليل باغوص) تشق عينك هذا الشاب لطيف الخلق والاخلاق لأول نظرة تنظره وتلتحقها اذلك لأول حديث منه تسمعه ويتبعها قلبك عندما ترى الاخلاق الكريمة والمرؤة والشهامة وبعد ربع ساعة تصبح كلك له وكله لك هذه أوصاف العائلة وقد طلب مني كتابي تحفة الراغب في صحة المتزوج وزواج العازب فقلت له :

ارسلت تطلب مني تحفة جعلت لنصح متزوج او زيجة العـذب
كي تلقى من نصحتها يوماً بلا تعب نـلاً جميلاً صحيح الخلق والادب
فل اذا شئت عن ذا السر والسـدة تفنيك عن كلا قد جاء في الكتب
لأنها وضعتكم في السـدنى مثلاً للطف والظرف من عجم ومن عرب

رأني احد الشبان كنت اعرفه قديماً فقال لي يهزه قد شبت وما عدت تنفع فأجبتته الحمد لله الذي ابقاني لأرى شيي وربما انت لا تراه .

وقلت في وغد متفرنج كان يلبس برنيطة ويجدفا الى الوراا ويمشي متعجرفاً كأنه خلق البرنيطة وما تقبعا غيره وهو من أصل دني جداً وكان مصاباً بالداء الافرنجي فقلت فيه :

انظر لهذا الوغد ما بين الوري
فترأه يحني للورا برنيطنة
بتقليد الافرنج من بعد العري
فكأنه اخذ للفرنجي من ورا

قلت في مدرسة كثر فيها الفساد من المعلمين والرؤساء وعندما حضر رئيسها الجديد قلنا له ما يأتي ليعلم
انه اذا مشى مثل سالفه يكتب الشهرة نفسها وكان يفتخر رئيسها السابق بخيله وعربه وهلم جرأ :

الى ملجأ الرئاسة والحضارة
فليس يهتما ان كان خيل
ولكن السذي نفيته منكم
ولم نسمع صراخاً كل ليل
ولا ابقاء مدرسة لفسق
سبدي ما امر من المارة
يياخور وان كانت حارة
تمام براحة في الليل جاره
وتهدب البوليس وشيخ حاره
لغير او لاوسان مفساره

عير واوان هما اولاد يهودا ولكي تعرفها اقرأ الاصحاح ٣٨ من سفر التكوين .

(نكتة) التقيت بمطران راكياً عربة وبجانبه كام اسراره وكنت ماشياً وبالصدفة بجانب كلب فطلب
كام الاسرار من سيادته ان يسألني عن الذي بجانبني فقال لي سيادته ما هذا الرفيق الذي بجانبك فأجبت
كام اسراري فضحك ما عدا الكام الذي كتم الغيظ أكثر من السر .

ونظمت تاريخاً لدار الخواجه درويش الشبخاني حيث طلبه مني عندما كنت في بكفيا ليكتب فوق
البوابة ١٩٠٦ :

هذا جزاء الذي قد بات مجتهداً
نسال الغنى والمنى والجاه مفتخراً
وضيع العمر في جسد ونفيس
بسم نقي بلا عيب وتحديش
قد بات ابوان كسرى بيت درويش
قد فات الناريخ قيده

ويوجد في بكفيا عائلة عظيمة ظهر بها في كل زمن رجال عظام وهي عائلة بيت ززل الذي منها
الان الشهم اللطيف السياسي قليب افندي ززل من متوطني قنصلاتو فرنسا في بيروت وهو الوحيد من ابناء
العرب الموجود في القنصلاتو وكل ذلك من استقامته وصدق مودته وامانه .

« جرائد بلادنا »

أذكر ما قرأته وعرفته منها أولاً جريدة لسان الحال لصاحبها خليل افندي سركيس صاحبني القديم
فهو الذي عرفني بالجريدة وليس هي عرفني به وهو رجل أديب لا يحب المجادلة اسهل من الماء يمتزج مع

الكل وكذلك جريدة ثمرات الفنون لصاحبها صاحب السعادة عبد القادر افندي القباي ثم جريدة بيروت لسعادة عبد القادر افندي الدنا رئيس بلدية بيروت الحالي ورئيس مجلس التجارة سابقاً وهو من أصحاب السلام ويمتزج مع كل الانام .

ولي في جريدة البشير مقالات كنت انشرها من كتابي نائب الطيب كما وان لي في مجلة المشرق جملة مراسلات علمية .

والجريدة التي لم تزل تصاحبني اليوم منذ ظهورها هي جريدة الأرز فأصحابها اثبت من الأرز بالصدق والمودة والمباديء وما الشيخان فيليب وفريد الخازن ولي في جريدة الروضة مقالات ايضاً كما وفي جريدة المهذب لصاحبها حضرة الأب بولس الكفوري الذي ذكرت عنه .

هذه هي الجرائد التي قرأتها وعرفتها وأقدمها في بيروت حديقة الاخبار للمرحوم خليل افندي الخوري .

(نكتة) كنت مشتركاً باحدى الجرائد وعند آخر السنة ارسل صاحب الادارة يطلب قيمة الاشتراك فأرسلت له نشرة كتابي بجمع المسرات وقيمة الاشتراك دفعة واحدة فقبل بكل سرور المبادلة فحررت له ان قيمة جريدتكم وكتابنا واحدة الان ولكن الفرق بينها في آخر السنة اين يكون كل منها .

(نكتة اخرى) ارسل لي صاحب جريدة جريدته بدون طلب مي فكانت تعزني عن كل من مات وتعم واحاته الدينية (كأنني مأمور الانفس) وعن المرتبات والالوان التي قدمها فلان عندما شرفه فلان (كأنني عشي) وعن الزياحات والاحتفالات التي اقيمت في عبد القديس الفلاني (كأنني من المرسلين) وعن تشريف الأجل الاكرم او قدس فلان او عدالة فلان قبل بصلوا وبعد مدة حصر من قبله وصل لدفع لاشترك الذي قيمته ثلاث ريالات مجيدي فقلت الى الرسول هل معك ثلاث ريالات لاعطيك ليرة انكليزية قال مع فدفعها لي ثم حررت له وصلاً أقول فيه وصلي ثلاث ريالات مجيدي من فلان الفلاني اجرة قرائني جريدته فتعجب الرسول فقلت له خذها له اخيراً أخذها الى صاحب الجريدة وبعدما حلف لا يرسلها لي فيها بعد ارجعت له الثلاث ريالات .

(الدور الثاني لمتصرفي لبنان)

يوسف باشا فرنكو متصرف لبنان السابع

وأول متصرف ابن متصرف لبنان . تموز سنة ١٩٠٧

ولد دولته في الاساتنة العلية سنة ١٨٥٨ وتعلم العلوم في بيته وفي سن العشرين دخل في الخارجية

وأصبح مدير القلم الشخصي لرابورتات السفراء والخارجية ولم يخرج منها الا متصرفاً على لبنان وقد ألغيت من بعده هذه الوظيفة .

تزوج بالسيدة لوسي كرمية كورال صاحب بنك في الاسكندرية افرسية الأصل ذات صفات ممدوحة لا يهبها اشغال المصرفية ولا يمكننا نقول شيئاً عن دولته لأنه مستجداً ولكن الذي شاهدناه لحد الان يدل على انه رجل حزم عزم ذو اهاية والبرهان انه قبل حضوره كان لبنان مضطرباً جداً لان السنة الاخيرة لظفر باشا كانت توجب الاضطراب لأنه كان مريضاً لم يمكنه حفظ النظام فأصبحت الاهالي غير مطمئنة الحكومة وكان كل واحد من الموظفين كمتصرف لان على العموم متى كان الحاكم ليتاً يستبد كل مأمور وبالعكس متى كان صارماً لم يكن غيره فالأحسن استبداد واحد ولا مثبات فعندما حضر اوقف كل واحد على حده فأرواه القوة وعدم السماح لمن يخطئ ويتعدى الحقوق وأهم شيء عدم قبول الرجاء في مزول وعدم تأثير احد على فكره واعتداله مع الاحزاب الذي يريد كل منهم ان يهلك الآخر فهذا كفاية الان وانشاء الله نرى منه اصلاحات عديدة كما نرى من استعداداته ومن عدله ابقى كل متوظف في محله وابتدى يخصص عنه فخير البعض وابقى الكل تقريباً وهؤلاء هم المتوظفون الحاليون .

مأموري يوسف باشا

(وكيله في الادارة) الامير فعلان ابي الله رجل الحزم والصدق مع الاصحاب وله من عزة النفس أعزها ولا يسمح لأحد يدوس حقوقه .

(رئيس دائرة الحقوق) سليم افندي ثابت .

(رئيس دائرة الخزانة) مصطفى بك العماد .

(المحاسب جني) هاشم افندي .

(وكيل المدعي العمومي) سليم افندي باز .

(رئيس القلم الأجنبي) الشيخ يوسف بمقوب حيش رجل محب السلامة ولا احد يتشكى منه الا الكرسي وهو قادر في الافرنسية .

(رئيس القلم التركي) ناصيف بك الرئيس .

(رئيس القلم العربي) خليل بك الخوري ابن المرحوم الشيخ بشارة الشهير وهو من الفرع العلمي لعائلة مشايخ الخوري من رشميا .

(نرجان أول) اسعد بك التوفيق ابن المرحوم اسكندر بك التوفيق هذا الذي جددته دولته نظراً لخدمات والده مدة ٣٦ سنة وهذا شاهد على عدل وضمائم متصرفاً .

(ترجمان) الامير فائق سعد شهاب البق من ترجم وأصدق من خدم صاحب المودة والزام .

(رئيس قلم الاوراق) نغله بك الخوري .

(مدير دير القمر) ملحم بك ناصيف .

(قاعقام كسروان) سليم بك عمون ١٩٠٨ حبيب بك البيطار .

(قاعقام البترون) الشيخ رشيد الحازن .

(قاعقام الشوف) الامير توفيق نجيب ارسلان .

(قاعقام المتن) الامير مالك شهاب .

(قاعقام جزين) حبيب بك البيطار ١٩٠٨ اسعد بك لحود .

(قاعقام زحلة) سليمان افندي الجاهل ١٩٠٨ الياس بك الباشا .

(قاعقام الكورة) الياس بك بمحمدوني .

وقد اوجد دولته هاتين المأموريتين وهما :

(مفتش العادلية) سليم بك ظاهر المعوشي .

(مفتش المالية) نمر افندي شمعون .

وقبلا اني كتابي اريد ان اضع هذه المقالة التي نشرتها في المشرق لأن فائدتها عظيمة وهي :

التدخين

والدكتور شاكر بك الخوري

مدرسة الاكلينيك العيني والجراحة الصغرى في المكتب الطبي

بعث الينا الدكتور شاكر بك الخوري الرسالة الآتية :

سيدي مدير المشرق المحترم

ابعث اليك بهذه المقالة التي كتبها منذ اربع سنوات وما كنت انجراً على نشرها لاني كنت أكذب قولي بعمل « ولا نفع في قول يكذبه الفعل » واما الآن « فقد تطابق عندي القول والعمل » وتركت تلك العادة التي استعبدتني خمسين سنة فلا اخشى من ان ابعث بهذه النبعة راجياً ادراجها في مجلتكم الغراء عساها

تفتح عيون المبشرين بداء التدخين وتحملهم الى التخلص منه كما فعلت انا . وقبل الخوض في بيان أصل الدخان واضراراه اذكر تاريخ عبوديتي له ونحري منه تفككة لقراء المشرق الكرام ورغبة في انقاذ من كان مثلي عبداً لتلك العادة السيئة

٩

« تاريخ عبوديتي لشرب الدخان » بدأت بالتدخين وانا ابن سبع سنوات وقد كنت مدفوعاً الى ذلك بمشاهدتي شيوخاً رانهم الشيب ووقار العمر غلايينهم في افواههم كل اين وآن وزاد تشوّقي بما كنت اشاهده في بيتنا ايام جدي ووالدي في ليالي الشتاء الطوال حيث كان يجتمع عندنا زهاء ثلاثين الى اربعين شخصاً كل ليلة فيمد كل واحد قسيمة غليونه الطويلة امامه ويحشوه تبغاً ثم يشطه فيتصاعد الدخان كيفاً كأنه خارج من المداخل فيملأ البيت فيكون تأثيره في المستشفى اشد من تأثيره في المدخن نفسه . فلما كنت ارى ذلك كانت تدفعني الرغبة الى ان أجرب وأفضل ما يفعل اولئك وكان بإمكانني ان احصل الدخان دون عناء ولا مال لأن ابي كان يدخر منه مؤونة كاذخاره للحنطة . وأما جدي ووالدي فكانا يمنعايني عن التدخين باشد العقوبات لكنهما لم تكن تؤثر في أقل تأثير حيث كنت أقول في نفسي : ان كان التدخين شراً فلم لا ينقطعان عنه هما . واذ لم اجد برهاناً يقنعني بابطاله مضيت في سبيلي وركبت هواي وداومت التدخين وهذا ما منعي عن نشر ما انشره الان قبل الاقلاع عن عادة اذمها وانا ملازم لها :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عــــــــــــــــار عليك اذا فعلت عظيم

فأحسن الوعظ المثل ومن لا يعمل حسب ما يقول لا يصدق فقيت اذ ذلك مواظباً على التدخين مستعملاً التبغ البلدي لم انتقلت من هذا الى تبغ الرجعي حتى بلغت بي العادة الى تفريغ ثلاث علب نمرو ٢ يومياً وذلك عبارة عن احراق ستين لفافة (سيكارة) في اليوم ولبتت على ذلك لغاية يوم الاثنين الواقع في ١٤ تشرين الأول سنة ١٩٠٤ صباحاً عند الساعة السادسة اذ مدت يدي الى جيبتي لأخذ العلبة حسب مألوف عادتي فعن لي ان أطلع عن التدخين . وقد كنت نهار الأحد احترقت ستين لفافة فأخذت العلبة وكتبت عليها اليوم والساعة والسنة كما ذكر ورميتها في الصندوق وأقفله وخرجت الى شغلي في مستشفى راهبات المحبة للعازيات .

ولكن يا له من يوم شديد عليّ فلا أظن أحداً كان في وسعه ان يراني في تلك الحال ويتألك من الضحك اذ كنت امد يدي الى جيبتي واخرجها فارغة وكنت معتاداً ان اشغل في كل ربع ساعة سيكارة فكانت اذ ذلك تأتيني النوبة في كل ربع ساعة مرة وانا اصبر نفسي ققصيد ثمانية ايام على هذه الحال وكادت تنقطع مني الانفاس . فعمدت الى التارجيلة تخفيفاً لبعض مما كان بي وتسلية لنفسي في انفرادي وتبئيا لفكري حين الكتابة لظني ان التدخين بينه الفكر ويسل خاطر المنفرد وانا كنت أكتب وانا منفرد

وحدي . فالتارجيلة التي أخذتها لمجرد التسلية أصبحت على ترانخي الزمن عادة جائرة فكنت ابتاع اجود جنس من التبنك واتفق نظام التارجيلة لأنها لا تلذ المبقق فيها ما لم تكن منظمة غاية التنظيم . لذلك كنت انتهر الخادم لاهماله وتارة اتفجع لانطفاء الفحم وأصبت بالترلة الصدرية فتوفرت عندي الاسباب لتترك التارجيلة فزكتها وأصبحت حراً معتقاً من التدخين والبقية . واذ مضى عليّ سنة وشهر من ذلك العهد اعتقدت اني ابطلت العادة وأصبحت مالكاً قياد نفسي فعدت الى تجيير مقالتي هذه وفي اثنتائها كنت افكر بالعقوبات التي حلت بي بسبب التدخين في البيت من قبل جدي والدي وفي مدرسة عين طورا من قبل النظار والرؤساء وانا لم أكن ارتدع ولا ارعوي وكم كنت أقدم من الاعذار الفارغة لمن يشير علي بابطاله فكان يقول لي كل من يراني بعد الغداء اشعل سيكارة وراء احبائي الى الخامسة : يا دكتور انت طيب وتعتقد بضرر التدخين فلماذا تستعمله اذن ؟ فكنت أجيب اني اعتدت على التدخين قبل الطب . فما أضر الانسان في استنباط المعاذير الفارغة للدفاع عن امياله المتحرفة او ارادته على كل ما نوى . ومن قال : « لا استطيع الاقلاع عن عادة التدخين او عن غيرها من العوائد المضرة » فهو ضعيف الارادة ليس الا — انتهت حكايتي مع التدخين فلنبحت الآن عن تاريخ استعماله وعن اضراره .

« التبغ والتدخين به » ان الخالق جعل في الارض نباتات تختلف طوائفها وأنواعها الى ما لا حد ولا عد فهمجيو امريكا الاولون كانوا يؤثرون النبات على اللحم وكانوا يأكلون من كل الحشائش فغرفوا بالاختيار والملاحظة ان التبغ ليس بغذاء بل انما هو نبات مقيء سام فكانوا يسمون بعصارته اسمهم لايادة اعدائهم . فلما شاهدوا فتك سمه بالاعداء رفعوه الى رتبة الالهة ودعوه باسم باتن (Pétun) فهذا كان دأب الانسان قديماً فكان يعبد النافع لمنافعه ويسجد للمضر تخلصاً من اذاه وقد كانت تقام لهذا الاله اعياد مخصوصة يحرق فيها التبغ فيستنشقون دحانه وتلذ لهم رائحته فشأت من جراء ذلك عادة التدخين وانتشرت عبادة هذا الاله في كل الاقطار وكل يوم يزداد عدد المتعبدين له الدائنين بدينه حتى بلغ الرسم على الدخان في انكلترا ٢٠٠ مليون فرنك سنوياً وفي فرنسا ٣٠٠ مليون وفي الولايات المتحدة ١٢٥٠ مليوناً . ويبلغ عدد الذين يستعملون الافيون ومركباته ٤٠٠ مليون والذين يستعملون الحشيشة ٣٠٠ مليون عدا المولعين بالكوكا والبيتال (Pétal) .

« اسم التبغ ومادته السامة » ان أصل التبغ من الهند العربية وجده الاسبانينيون في جزيرة (Tabago) فسموه باسم الجزيرة تاباغو فعربه العرب ودعوه تبغاً وفي سنة ١٥١٨ ارسل بذره الى الملك كارلوس الخامس فاقبله كهدية من البحارة الاسبانينيون وفي سنة ١٥٦٠ قدم هدية منه يوحنا نيكوت سفير فرنسا وقتئذ في البرتغال الى الملكة كاترين دي مديس ففرع باسم حشيشة الملكة ودعاه غيرهم بحشيشة نيكوت . ثم خصوا باسمه ما يتضمنه التبغ من المادة السامة فدعوها بالنيكوتين .

والنيكوتين من أقوى السموم واسوأها فعلاً بعد الحامض السيدانريك فال مقدار الموجود منه في سيكارة

واحدة يبلغ ٧ في المئة وهو اذا استحضر بالنقع يقتل رجلين واذا وضعت نقطة واحدة على لسان كلب تيمنه الفور واذا استشق المستحضر رائحته يموت في الحال .

وكمية النيكوتين تختلف في ضروب التبغ وكلما زاد مقدار النيكوتين عُدَّ الجنس أجود فالدخان اليوناني والجمري يتضمن واحداً في المائة والعربي والبرازيلي والمهافاني والباراغي اثنين في المائة . واللو (le Lou) وهو أقوى الاجناس ٦ و٧ و٩ في المائة .

٢

« مفاعيل الدخان » ذكر الاطباء انه بين ٣٠٠ ولد يشتغلون في معامل التبغ لاحضار الفائف قد اصيب ٧٧ بامراض مختلفة في سنة واحدة ومات بعضهم .

فالتدخين يؤثر كثيراً في الاعصاب المرافقة للشرايين وعلى القمادي يضعف النبض ويجعله مضطرباً متقطعاً وكثيراً ما يحدث الموت .

وأشد الاعضاء تأثراً من التدخين هو القلب فيحصل من جراء خفقان وعدم انتظام في الدورة الدموية واغواء .

ومن تأثيره في المعدة انه يسبب عسر الهضم ويفقد شهوة الأكل سبباً اذا استعمل على الريق .

وكذلك يؤثر في العين فاني قد ذكرت في كتابي صحة العين الداء المعروف بالكنة Amblyopie وبصبي عيناً واحدة وهذا ما يميزه عن الكنات الاخرى التي تختلف اسبابها وما الكنة الانوع من العمى فترى المصاب بها يمشي وهو رافع رأسه طلباً للضوء على عكس المصاب بالماء الزرقاء او الكتركتا فانك تراه مكساً رأسه الى الأرض هرباً من النور وكذلك يعرف جنس المرض من مشية المريض .

وللتبغ تأثير في الفم يسبب احياناً فيه اوراماً سرطانية وقروحاً وغير ذلك من انواع البثور . لكنه اشد تأثيراً في المنع فانه يسبب الامراض المعصية والصداع والجنون احياناً . ويحدث في الذاكرة آفة النسيان فيخل المدخنون خصوصاً عن اسماء الاعلام . وهذا من غرائب الامور فانك ترى لبعض الاشخاص ذاكرة عجيبة فاذا أذكروا من التدخين مدة اعتراهم هذا الداء فلا يتذكرون اسم فلان وفلان مع انهم يتذكرون بقية الاشياء .

وقد شوهد قلة العمل والكسل عند المدخنين فقد اختبرت الامر بقضي لما كان العملة يشتغلون في

اراضي فالذين كانوا يواظبون على التدخين كانوا قليل العمل والنشاط بطيئي الحركة يضررون الارض بكسل لارتخاء اعصابهم فضلاً عما كانوا يضيعون من الزمان بلف اللغائف واشغالها . ولاضاعة الوقت كانوا يستعملون القداحة . فلثلاثي الامر كنت اتباع علب كبريت وأدفع لمن لا يدخن عشرين بارة علاوة عمن يدخن وذلك بحق وصواب وقد لوحظ في المدارس ان الطلبة المولعين بالتدخين بطيئوا الحافظة خاملو الذاكرة ، وقد لوحظ أيضاً في الجنود ان أصحاب التدخين هم أقل شجاعة ممن سواهم وبالجملة ان كل مدخن كثير الكلام قليل العمل .

وزد على ذلك ان للتبغ عملاً سيئاً في جهاز التنفس وكثيراً ما يؤثر التدخين في الصوت والحنجرة لذلك ترى الكثيرين من المولعين به تيج اصواتهم او يصابون بامراض الشعب والصل .

أما النساء فقد ذكر الدكتور برادل انهن اذا اشتغلن بمعامل التبغ كان حملهن نادراً وان حملن يسقطن الجنين او تكون اولادهن ضعفاء البنية .

« تأثيره الادبي والمادي » وجد بعد الاحصاء من بين ٦٠٣ اولاد ممن يتعاطون السرة ان ٤٣٥ ولداً يألّفون التدخين . وهكذا قل عن القتل وبقية المجرمين فأكثرهم من اصحاب التدخين . وأقول بالجملة ان جميع المخدرات مؤذية مادياً وأديباً وصحياً لكن أكثرها ضرراً وأذية الدخان .

وللتدخين ما عدا ما ذكرنا تأثير مادي ايضاً فاذا اعتبرنا تعطيل الاراضي التي يزرع فيها الدخان والحريق للسبب عن السيكرة وتعطيل اوقات مستخدمي التبغ والمدخنين وسائر المهريين ونفقات التدخين لوجدنا الخسائر باهظة وتستتف الانظار اشد استنفات . فانك ترى المدخنين لا يتفقون على الطعام والشراب مقدار ما يتفقون على التدخين . فقد اتفق لي ان رجلاً أتاني لمعالجة عينيه فطلبت منه مبلغاً قدره خمسمائة غرش لاشفيه فأجاب انه ليس بطاقته دفع هذا المبلغ لان راتبه الشهري لا يتجاوز هذه القيمة . طلبت منه سيكرة فأخرج علبه ثمة ١ تساوي قيمتها ربع مجيدي فقلت له : كم علبه تدخن في النهار . قال واحدة . فقلت له : ان هذه القيمة التي تنفقها على ما يؤذيكي وبأود معالجتك فلم لا تنفق جزءاً منها على ما يعود عليك بالنفع ويزيل المرض عن عينيك . فأجاب : أفضل العمى على ابطال التدخين . فقلت له : ان عمى القلب اشد من عمى البصر . فتأمل بهذه العادة وقبحها .

والتدخين يضر كثيراً بالحوزيين وخيلهم فان المولع منهم به يوقف الخيل مراراً كثيرة ليف السيكارة او يشعلها وبعد ذلك يوسع الخيل ضرباً لتعلمو بسرعة وتعرض عما اضاعه صاحبها من الزمان فيوجع الخيل ويتعبها لأجل التدخين (فتكون الخيل المسكينة أكلتها على كيس الدخان) . فاذا كنت راكباً في عربة فتأمل بعد اشغال السيكرة بقطعة الخوافر وانسياب الساط متلعباً في الفضاء وهزيم الدواليب ولث الجياد مع الخطر بانقلاب العجلة .

وقبل الختام يجدر بنا ان نذكر القراء الكرام ان كثيرين من مشاهير الكنية وفطاحل الشعراء كتبوا عن اضرار التدخين . وقد اتى الشاعر الانكليزي الجيرون على يعقوب الأول ملك انكلترا لانه قطع رأس راليغ (Raleigh) الذي أدخل في بلاده التبغ .

ويوجد في ابامتا جمعيات كثيرة غايتها مقاومة التدخين كان من اعضاء أحدها من المرحوم والد الدكتور هامش زميلا الذي شاهدته عندما كان في بيروت فاعبرني عن نجاح الجمعية .

وقد يحتاج البعض للمداومة على التدخين بان الدخان يقتل المكروب ويحمي منه كما ادعى الدكتور يشاليه من مونييه وهذا زعم وهمي غير مبني على مبادئ العلم الثابتة فقد شوهد المكروب في موقع الدخان وقد وجد بالاحصاءات ان الوفيات بالسل والهواء الاصفر وبقيّة الأوبئة كانت في المدخنين أكثر مما كانت في غيرهم .

وكفى بما مرّ لظهور مضرة التدخين حتى لا يخال قولنا من قبيل التخويف والتويل وان قال قائل اني لا اشعر بشيء مما ذكر ولا ارى الدخان احدث بي ضرراً وانا دائب اليه من زمان طويل فاجيبه : كل آثر قريب فأبشر بوجع العاقبة فعادة التدخين كسائر العوائد السيئة أولها حلاوة وآخرها مرارة فتنى جاوزت الخمسين او ناهزت الستين تراكم عليك اضرار التدخين . وما أجدر بالحكام ان يقفوا في وجه هذا العدو الدلس ويقتدوا بمشروع ولاية نيوجرسي (New-Jersey) في الولايات المتحدة الذي حرم بيع الدخان للذين لم يبلغوا السادسة عشرة من عمرهم .

فعل والدين والمعلمين منع الأولاد بكل قوة عن التورط بهذه العادة المضرة وذلك بوسائل اللطف والاقناع فالذي يخلص ولداً من عادة التدخين يحبه مادياً وادبياً اذ يوفر عليه اموالاً كثيرة وامراضاً شديدة . ثم اننا نثني خاصة على عقال الدروز الذين يعملون التدخين في جملة المسكرات وهو محرم في معتقدهم .

وهاءنذا احصي ما وجدته من المنافع من ابطالي التدخين : « أولاً » عادت اليّ شهوة الأكل التي كنت اقدتها . « ثانياً » اشتد النبض الذي كان ضعيفاً عاجزاً عن اتصال الدم على اطراف الجسم والى الوجه خاصة لذلك كنت اصفر اللون أما الان فقد عاد لون الشفتين الى احمراره وبقي لون الوجه على حاله لأن اللون الاحمر لا يظهر على الوجه الاسمر . « ثالثاً » ان الدوار الذي كنت اشعر فيه كالسكران زال عني . « رابعاً » اشتدت عضلات جسمي واعصابي التي كانت ارتخت حتى كنت اتميل يميناً وشمالاً في مشتي كالمثل ولم يكن قديمي يثبت في الارض والان صرت امشي كالاسد . « خامساً » وهذه أهم المنافع كنت أصبت بالسيان والسيان آفة الانسان وهذه المصيبة كانت من أكبر المصائب عليّ لأن الذاكرة رأس مال الفتي فلم تعد حافظتي تمي ما كنت اسمعه وكنت انسى خاصة اسماء الاعلام . وأما الان والحمد لله

فقد عادت اليّ القوة الحافظة ورجعت الذاكرة . والبرهان على ذلك اني ما نسيت ان أُكتب هذه المقالة عن أضرار التدخين ليضع منها كل مفرور به فيتلافي الشر قبل وقوعه ولو استاء بفعل ولاية امر (الرجعي) وباتعوا الدخان ولكي أؤكد لهم بان لا خوف عليهم لأن المثل يقول ما أكثر الناصحين وأقل السامعين .

كما انني بالتدخين قلمت نصيحة للرجال فأقدم بالكحل مثلها للسيدات ولو ما صدقن عليا ويربرن عليّ ولكن هذا الحق .

في الكحل

نشرت في مجلة المشرق في السنة الاولى ١٨٩٨ وجه ٢٠٦

كأن الانسان لم يكف بالامراض العديدة التي تحيط به حتى اخترع بعض امور تلذ له ظواهرها وعاقبتها عذاب له وأوجاع والمرء يعثر اذا اصاب بطة انته بقضاء ربه من حيث لا يدري لان اسباب الملاك لا بعدها احصاء ففها صنع الانسان لا يمكنه التخلص منها جميعاً لكن من الامراض انواعاً لا علة لها سوى ارادة من ابتلى بها ومخالفة للقوانين الصحية فاذا عبرت احداً لم يستطع ان يبدي عذراً لانه جلبها لنفسه باطلاقة العنان لشهواته مع معرفته بسوء عواقبها فتراها لا يسمح كلام نذير ولا امر مدير ولا مختبر حتى تؤدي به الى هلاكه فتباً لها من شهوات نضيج العقل وتعدم الراحة والصحة ونضحي انواع الرفاهية في سبيل الهوى الباطل .

وما يزيد في غرابة الامر ان بعض هذه الامراض ناتج عن اقدام الانسان على شيء يلذ به غيره ولا هو ينال منه الا الضرر والالام لكنه يفعل ذلك لينسب اليه الجمال ولعله هو خلوه منه ولا يجهل كذب به يصفه به .

ومن جملة هذه العادات السيئة كحل العيون فاني متكفل باظهار اضراره وشرح عواقبه لمن يستعمله طبعاً في استحسان غيره لمنظره وكفى التكحل ذماً ما يقال في حقه انه ذو العين السوداء الكاذبة واني استسمح المذرة من المتكحلات اذا ما اتى الشيء يسوءهن في اثناء مقالتي هذه عن شرح مضار الكحل فاني طبيب رمدي وبهذه الصفة اشاهد عدداً وافراً من السيدات المصابات بامراض في عيونهن لا سبب لها غير الكحل ولا يمكن للطبيب ان يرى عادة يتأتى منها عدة اضرار ويسكت عنها فن قد تكلفنا هنا شرح ما تورثه هذه العادة الوخيمة من المرضى في العيون الا وهو المرض الكحلي .

وقبل الابتداء بشرح اعراض المرض نذكر نبذة تاريخية في هذه العادة الجارية في العالم من القدم ولا نعلم ان احد بحث فيها بحثاً مدققاً لتبين مضارها رغمًا عن قدمها .

« تاريخ الكحل »

قد ذكرنا في كتابنا صحة العين في فصل زينة العين عن تاريخ هذه العادة التي ابتدت ولم تزل في الشرق فأحبينا لأجل انعام الفائدة ان نختصر ما قلناه وهو :

ان هذه العادة قديمة كالعالم فكل من المصريين والكلدانيين والاسرائيليين كان يستعملها وذكر المؤرخون دوريس وساموس ونقولا وسموريوس عن سردانا بال ملك لشور انه كان يقضي مدة من الوقت في تكحيل عينيه وصبغ حاجبيه وتحسين وجهه وذكر أيضاً مؤرخو اليونان واللاتين هذه العادة فهم أوفيد قال ان النساء كن يحشون حواجبهن في الحبل الخالي من الشعر ولم يكن يخجلن من تزيين العين بمسحوق ناعم او بزعفران قيليقيي وذكر بلين الطبيعي انه لم يكن يغني يوم واحد على اهداب رجال زمانه ونساء عصره من دون ان تصبغ وذكر عدة مؤرخين عن استعمال مزيج من الالئم والكبريت لتكحيل العين ومن جعلتهم بلين المذكور وفي الحبل الثالث عشر كانوا يعتبرون العيون السود اعتباراً عظيماً بحيث ان سواد العين كان يعد من أقوى الاسباب لاستئالة القلوب في ذلك الوقت فكانت صاحبة العين الزرقاء تجعلها سوداء بوسائط متعددة منها وضع عصارة الحمرة (البلاذونا) داخل الجفن لأن خواص هذه العصارة ان تمدد الحدقة فتصير العين سوداء فكان ينتج من هذا التمدد المستديم ضرر عظيم بالبصر .

أما أهل الصين فيستعملون ورق رهر الورد والثر يجبون اللون الاصفر الضارب الى الحمرة فيتخذون لذلك العصيرة (البلسمي) ولا تعرض في مقالاتنا هذه نبقية المذمومة المستعملة لصبغ الوجه والحواجب وان كان تأثرها مصرأ بالعبر أيضاً وبالنصوص السيدج الذي هو مركب رصاصي . وقد وجدوا في مذافن المصريين ونميفيق مكاكل ومروود وغير ذئث .

« قصة مضحكة » كنت رائراً حلوان وهي مياه معدنية كبريتية وكانت احدي السيدات من جملة الزائرات وعندما خرجت من محل المياه ونظرت نفسها في المرآة وجدت لها وجهاً اسوداً كالزئروج فصهرحت ونادتني وارتي حالها مفتكرة ان مرض غريب اصابها فطمنتها لانني عرفت ان السيدج الذي كان على وجهها هو مركب رصاصي انعمد مع الكبريت المتصاعد فكان كبريتور الرصاص الذي هو الكحل ونصحتها ان لا تأتي حلوان مع الاسيدج والا يذهب الحلوان .

وكانوا بالأكثر يرمون على هذه الالات صورة مسخ شنيع المنظر يدعونه البس يزعمون انه زوج الزهرة الالهة العشق وكانت غايتهم بهذا القبح ان يشيروا الى رجال قبيحي الصورة يتزوجون بجميلات .

أما المرايا فكانت مشوهة برسم هذا المسخ لا تخلو منه البتة وربما غايتهم في ذلك الوقت ان يحسنوا للنساء في وجوههن وذلك ان التي تنظر وجهها في المرآة تجد هيئتها دائماً جميلة بالنسبة الى صورة المسخ

الشئبة واحياناً كانوا يرمسون شخص هذا المسخ قائماً بنفسه وحاملاً مكحلة فيها ميل بقدماً الى المتكحلات .

« اعراض للمرض »

لا يمضي يوم الا ويحضر البتا مرضى يشكون حرقاً في العين مع تدمع غزير وبعد الفحص المدقق نجد من الكحل كمية وافرة في بطن الجفن السفلي وهو المسبب لهذا الميجان وعدا عن ذلك ترى حافة الجفن الملصق عليها التكحل متبججة سيكة والشد الذي توجد بين انسجتها ملتية ايضاً وحافة الجفن محمرة ملتية ويصير الشعر سريع الانقصاص والسقوط حتى يتلف تماماً ويشت ويصير المنظر كريهاً جداً وتعمر ابطال عادة التكحيل لان من اعتاده وتسلت بذلك اهدابه يحاول اخفاء هذا التشويه الناتج عن استعمال الكحل كما يحصل للذين يزيتون وجوههم لكي يستروا التجمعات المسبية من استعمال الزينة .

وقد احصيت عدد هؤلاء المرضى فكان في هذه السنة ما ينيف على المائة والخمسين وجميعهم في سن الشبوبة وكان خير علاج لهم ابطال هذه العادة فقط وبعض غسولات لنظافة الاهداف من التكحل ولعل جهل مضار هذه العادة كانت سبباً لانتشارها في بلادنا .

ويحتمل ايضاً ان هذه العادة لم يجر عليها فقط للزينة بل ايضاً تخفيفاً لاشعة الشمس الزائدة عن المقدار اللازم للبصر في البلاد الحارة وكان ذلك كالمام مطابق للطبيعة لان اغلب سكان البلاد الحارة لهم عيون سود لأجل امتصاص واحتال اشعة الشمس القوية .

(تركيب الكحل الكيماوي)

يوجد عند العامة نوعان من الكحل : الاصياقي والحجري وعند الكيماويين نوعان ايضاً الأول كبريتور الرصاص والثاني كبريتور الانتيمون الاسود وهذا الثاني أكثر استعمالاً من الأول ويعتني الناس به اعتناء كبيراً فضلاً عن التأثير الموضعي الذي يفضله في الهدب وفي الجفن كجسم غريب فان فعله الكيماوي اشد تأثيراً خصوصاً على غدد ميوموس (Meibomius) وهي التي تفرز المادة الدهنية لأجل نمومة الجلد والشعر فبالاعتمادات الكيماوية التي تحصل بين هذه المادة الدهنية وكبريتور الكحل تتولد اجسام اخرى لها خواص مخالفة للخواص الموجودة في المادة الدهنية فيفقد الشعر لونه ويتقصف والقدر المفرزة تلتب ويقبل افرازها فتسلك حافة الجفن ثم ان البوصلات الشعرية تصاب ايضاً فالشعر النابت فيها يكون ضعيفاً قليلاً ويتصلب التهاب من حافة الاجفان الى الفتحات الدمعية وقنواتها فيسبب انسدادها فيسيل الدمع على الحدود سيلاً مستمراً يلزم ان يتعالج من اعتل به معالجة طويلة المدة .

فهذه هي الاضرار التي اراها يومياً من الكحل فاردت ان انشر هذه الرسالة لا طمعاً بان تسمع المتكحلات الزمنات لقولي ويتفطن به ولكن لكي انبه اللواتي يتكحلن من عهد حديث او اللواتي لم يتعودن الى الان على التكحل فيرتدعن عن اتخاذ ولعل هذه الرسالة تهيج علي غضب المتكحلات الزمنات ولكن استمرارهن على استعمال هذه العادة يعد هذه المقالة بأخذ ثأراً منهن فالأمل منهن عندما ينظرن وجوههن بالمرآة يتأملن في عيونهن ويعرفن صدق مقالنا .

• المعالجة الأدبية •

ان عادة التكحيل قد دخلت في هذه السنين الاخيرة بكثرة عند التمدنات في بلادنا وعند النساء العاقلات ظناً منهن انها لا تضر وتريد الميعة جمالاً فعبثاً نحاول ازالة هذه العادة برسالة كهذه لأننا أول من كتب عنها ولا رجاء لنا ان تبطل هذه العادة عند من يألفها وانما غايتنا ردع من اراد ان يعود عليها في المستقبل وخصوصاً البنات الخارججات من المدارس وأرى ان المطبات في المدارس يجب عليهن ان يظهرن للتلميذات اضرار هذه العادة ويعطين درساً بالاملاء عليها وعلى اضرارها حتى تأنف التلميذات منها فكما ان غاية المدارس هي حفظ الآداب كذلك يقتضي ان يتعلم التلامذة البعد عن اضرار الجسم والعقل والصحة فكما يوصيهم الاستاذ بتحاش ضرر القريب كذلك يلزم ردهم عن ضرر ذاتهم .

وعلى المعلمة ان تبين للبنات ضرر زينة العين والوجه وليوضح صور في المدارس للمصابين باضرار التكحل كما يلزم فعل ذلك في مدارس الصبيان من تعودوا شرب الدخان والمسكرات فيفهمون اضرارها سواء كان بالعقل او في الصحة او المال فهذا ضروري جداً .

وساين أن شاء الله في كتاب اسمه (أمراض التمدن) جميع هذه الاضرار الناتجة من الدخان والمسكرات وزينة الوجه والفساد ولعب القمار واضرارها الصحية والعقلية والمالية والادبية لان هذه الامراض مفسدة جداً وليس من قانون لمنها ولا مبشر بمضارها لان الاباحة سهلت لفاعلها الاكثار من استعمالها ليس لما مانع الا العقل والعقل لا يقوى على العادة الا نادراً .

وربما رأيت عقلاء يعرفون هذه الاضرار جيداً كالاطباء المحبرين كل ذلك مثلاً ومع ذلك تنغلب العادة على عقلمهم واختبارهم وتعني الانسان عن صالحه فكم يلزم من الملاحظة من الأهل والمعلمين والمطبات لمنع هذه العادة عند هؤلاء الصغار اللذين سلمتهم اياهم يد الربانية ولا يكتفي في الايذاء وعظهم بالعقل فقط لانه لا عقل لهؤلاء الأولاد حتى يدركوا الاضرار المستقبلة غير المحسوسة بل يلزم القوة والقصاص لمعهم واذ اكبروا فليعملوا بالعقل الذي تساعده القوة المستعملة قليلاً والقرينة الاولى فينبذون هذه العادة الذميمة ولولا ذلك لما فعل العقل شيئاً ما لم تحمل نعمة خصوصية قوية جداً مساوية لحمل الانسان على ترك عوائده وقد اقتصررت في مقالتي هذه على ذكر الاضرار التي تحصل من كحل العين لانني اشاهدها

يومياً راجياً بأن تنتبه السيدات ويمنع الآباء والأمهات بناتهم عنه وحتى تعرف الابنة الى اين مصيرها بعد هذه العادة ارجوها ان تطلب من والدتها المتعودة على الكحل ان ترها نفسها عند الصباح بعد قيامها من النوم فتري تلك العيون المسلحة الحمرة المدمعة والحكة المستمرة بها والشعر الضعيف الذليل كأنه محروق مقصف واذا كان باقياً اثر الكحلة السابقة ترى حول الشعر مواد فحمية كميون الوقادي في البواخر واذا حل لون الكحل بسبب التمتع على خديها فتري ميازيب مواد قرره ولر بما كلفتك اينها الابنة والدتك ان تفتعلي ما يحرق عينها ويسبب لها الحكة فتجدين في باطن جفنها السفلي خيطاً مسوداً مستقر في هذا المزرب بين الجفن والعين التي تتيح من احتكاكها ببقايا الكحل كأنه رمل او غبار متلب داخل العين وخصوصاً اذا كانت زينة والدتك ليست مقتصرة على العين فقط فترين الوجه والحواجب والاسنان بحالة أفضل منها سن الثمانين فتألمي اينها الابنة النضرة الصبا واتعظي وأكثي بما اعطاك الله من المينة الطبيعية والصحة والعقل واطلبي من الله ان يرجع عقل والدتك لها ويرمجها من كل ذلك وان لا يدخلك في التجارب بل ينجيك من التكهيل آمين .

(حكاية) كنت جالساً مع بعض البخله الاغنياء بدعي العلم وكنت أقرأ له في كتابي مجمع المسرات فكان كلما اصل الى مدح فلان يقول انه دافع الاشتراك أكثر من غيره وهكذا بحيث كان يبني اساس المدح والذم حسب الدفع او حسب طبعه فاخيراً قلت له فلنفترض ان هذا ممدوح لأجل اعطائه الاشتراك أما العطاء فضيلة تمدح انتكر ان هذا المشترك كريم النفس يجب العلم او كما تقول انه خائف مي أما الخوف فضيلة ايضاً وبه الانسان يستر عرضه لانه قبل ان اعظم المال ما يصرف لوقاية العرض ومع هذا أي شيء يخوف هؤلاء المشتركين اللذين هم أكبر مني ومنك واذا كان يريد الشهرة يذكر اسمه فهذا احساس جميل ايضاً دليل على شرف النفس وحب الجاه فبأية طريقة كانت أو بأي سبب كان فان العاطي يمدح ويكرم معها كان عذره للمعطاء ولكن ما هو عذره من كان مثلك بخيلاً متناً لا يتحمس ولا يندفع ولا يهيمه غير حفظ الدرهم والذي بعدما يكتب اسمه يلحسه فهل تتساوى مع ذاك بالمدح فالأحسن ان تسكت على عييك ولا تنفي شرف النفس والغيرة والحب من الدنيا فخرس عند ذلك والأمل ان يخرس كل نتن مثله يفكر هكذا فكر .

انتهى كتابي هذا بمنصرفية دولة يوسف باشا ومن الان وصاعداً أجمع ما يجد عليّ وما أنظم واجمعه في آخر كل سنة فيكون ذيلاً لمجمع المسرات وعدد الاذيال يكون حسب سني حياتي في المستقبل وجعلت يدل هذا الذيل ربالين مجيدي وكل سنة فن اراد الاشتراك فليخبرني ويدفع سلفاً وربما البعض يقول إنشاء الله لا بطلع له ولا ذيل والآخر يقول انشاء الله تتكرر اذياله بحث ان الانسان يكون شيطاناً عند فتنة وملاكاً عند اخرى فقل مثل باقي البشر .

﴿ توفيق الكتاب ﴾

من أعظم توفيقاتي كتابي مجمع المسرات انتباه طبعه في ٢٤ غوز ١٩٠٨ في اليوم العظيم الذي نشره الدستور ونودي بالحرية فيكون جبل به في الظلم وولد في الحرية وقهراً عن ذلك فهو في تأليفه حر قبل الحرية .

﴿ فلتحي الحرية ﴾

الحرية التي نعرف حقيقتها فالحر حسب فكري من لا يكذب قوله فعله ولا يوبخه ضميره وجاره فالحر من استعبد لقوانين العدل ونظام الانسانية الحر من يكشف عن جيبه ويقول من يصبي فهل من مرتكب او سارق او فاسق يمكنه يقول هذا القول فاذا ليس بحر فالحر من حافظ على حقوق غيره وحقوقه هذه هي الحرية الحقيقية وليس كما اتخذتها صبيان قربتنا عندما بلغ معلمهم خبر الحرية اعطاهم يوم عطلة اكراماً لها وقال لهم انتم اليوم احرار اذهبوا بسلام فذهب قسم منهم ينهب عربشة جاره والاخر تيته والاخر سحرته وهكذا فهموا في الحرية فالأمل ان نفهم عكس ذلك ونعرفها انها طاعة لقوانين الهيئة الاجتماعية ولا يمكن تعبيرها بغير ذلك فاذا اخذنا الكلمة على محورها اللفظي نقول ان الحرية هي ان يفعل الانسان ما يريد ولأجل فعل ما يريد يلزم ان يكن قادراً فمن من البشر قادر على فعل ارادته المطلقة وهل ارادتنا هي حرة كلا لاننا لا نفعلها الا لمرض او جبننا فعلها مثلاً اذا خيرت بين الذهاب والجلوس فلا يمكنني افعل هذا او ذاك الا لسبب فهذا السبب هو العبودية لارادتي فاذا لست بحر فالحرية الشخصية عديمة الوجود ولكن الحرية السياسية التي نلناها هي خلاصتنا من الجاسوسية والمراقبة فالاولى غريباً ونجعلنا محتالين غشاشين قاتلين ونجعل حياتنا بيد مفسد ذي بيبعا حسب شهواته والثانية نجعلنا في جهل وتأخر بحيث نرى نفسنا أدنى من الحيوانات فالمراقبة هي التي جعلت صاحب مطبعة كتابي ان يقول طبع في مصر مع انه طبعه في بيروت والذي علمه الكذب هي المراقبة فلا ظلم امر من الجاسوسية ولا صعب أدل من المراقبة التي تفنكر ان بمجرد كتاب او حرف في كلمة او كلمة في جملة تحرب المملكة وتغير افكار العالم فالفضل ليس هاهنا بل لمن سفك دمه لانتشارها فهم مرسلها وشهداها ولذلك عندما تلاشت مرسل زردشت ذهب الزندافستا وهكذا غيرها .

والسبب الثاني لانتشار مبدى هو جعل الناس مستعدة لقبوله فالظلم السابق يجعل الانسان يتغير بسهولة وينتقل الى مبدى ضد هذه هي الاسباب التي تغير الافكار والدستور الذي هو الكتاب السياسي المقدس للمملكة العثمانية لا يمكن حفظه ما لم نخفذه الجندية وتحامي عنه فيلزم عند دخول الجندي في العسكرية ان يخلف يميناً بالمحافظة عليه وكذلك كل مستخدم والأمل من المبعوثان تعديله ولا يكون اجنابهم كبير بابل تبليل فيه اللغات لكثرةها ويتقلدون الخطباء الاقدمين بخطاباتهم ويخرجون من موضوع الاصلاح

الحالي وان يسرّ لكل ولاية بعض قوانين مخصوصة حسب عوايدها ومناخها وعلمها وجهلها ليكن الاتحاد اعظم كما فعلت الولايات المتحدة لأن مملكتنا مكونة من ولايات فيها أعظم تمدن ومن اخرى متوحشة جداً فلا يمكن تكلم الاثنين بلغة واحدة فحكمة المبعوثان ترتب ذلك .

قصة عن المراقبة

قبلاً شئت طبع كتابي طلبت أحد المراقبين للنظر به كي اذا طبع لا يوجد سبب سياسي يوقفه فحضر وعندما وصلنا الى لفظة امير قال يلزم حذف الحرف الأول حتى لا يشبه بأمر المؤمنين فقلت له ان لفظة مؤمنين تميز هذا الشبه فقال لا تجادل هكذا الامر وعندما رأيت لا سبيل للتعلل صرفته وذهب مع مراقبه بحفظ أمير حسب حذفي لا حسب حذفه .

الجنسية

عليك سلام الله يا صاحبة السيف ولم تجرده لأعظم عمل في الدنيا وهو تنزيل هيئة ظالمة واقامة اخرى حرة لم يذكر التاريخ حادثة مثلها لم يفسك فيها دماً فهذا من اعظم حكمتك يا ابنتا الجمعية العظيمة جمعية الاتحاد والترقي التي ادهشت السياسة ونخضت لك الرئاسة عليكما سلام الله يا نيازي وانور ناشري الدستور ومديري الامور .

يا كتابي

نحت ظلال السيوف أصبحت حراً قم وحي السيوف في ذي الصفوف
قد غلوم في جنّة بعد نار جنّة الخلد نحت ظل السيوف

مضامين الكتاب (١)

١٠٢	المدرسة الوطنية في بيروت	i	مقدمة
١٠٦	المواء الاصفر سنة ١٨٦٥	٥	السلطان عبد الحميد الثاني
١١٠	دير مشموشة	٧	مقدمة المؤلف
١١٤	اول دير مسيحي وربيعة	٩	عائلة كرم
١١٧	الربيعة الانطوية أو مار شعبا	١١	وجودي في هذا العالم
١٢٤	حزبي الخوري ابراهيم	١٨	ادارة القرية في ذاك الزمان
١٣٠	رجوعي الى المدرسة	٢٤	اعيان لبنان
١٣٥	مدرسة في بكاسين	٣٤	مدرسة مشموشة
١٣٧	مستخدم الحكومة في لبنان	٣٥	صورة حرم
	دخولي في معمل الحريري في القرية	٣٦	بادرة لحر ابي حبيب أبو عتمه
١٤٤	سفرنا الى مصر	٣٧	الموارنة والدروز
١٤٨	المفتود . رتب . لعة . دين	٤٠	سوق البطية
١٥٠	ديانة المصريين القدماء	٤١	قلعة ارنود
١٦٦	العائلة الخديوية	٤١	قصة منصور مبارك
١٧٦	حادثة الارناؤوطي	٤٣	الشاولة
١٧٧	حادثة ضرب الرمل	٤٤	حادثة الوهاء
١٧٨	دخولي مدرسة الطب	٤٥	صيدا
١٨٦	افراح المصريين	٤٩	جبل طورا
١٨٨	نظرخانة الموارنة في مصر	٥٢	عؤاد باشا
١٩٣	فتح ترعة السويس	٥٤	الخوري بمقوب الحاصاني
١٩٦	امراضي في مصر	٥٥	ما شاهدت من مكاسين الى عيظورا
٢٠٣	قصة الخروف . الابوان وكتر المغربي	٦٧	قايمقامية الدروز
٢٠٥	غفارت مصر	٦٨	قايمقامية النصاري
٢٠٧	بعض اشعاري في مصر	٨٠	عيظورا
٢١٠	سياحي في النيل	٨٨	منصرفية لبنان
٢١٤	خصامي مع رئيس المدرسة	٩٢	انتخاب مشايخ الصلح
٢١٩	مقابلتي مع الخديوي	٩٤	اصطلاح الكتاب في ذلك العصر
٢٢٤	صورة امر عزل حسن بك هاشم	٩٧	تشكيل حكومة لبنان

(١) لقد أرتأينا في وضعنا مضامين الكتاب اختيار بعض العاوين الهامة . (الناشر) .

٣٧٠	الطيب وجلال الحار	٢٢٧	فصل اسبانيا في مصر
٣٧٣	الدكتور ملحم فارس وبيت رزق الله	٢٢٩	شراكتي مع محمد بك عرف
٣٨١	صيف ١٨٨٧ في بيت مري	٢٣٠	عصاة القرن
٣٨٤	فخري بك نامي	٢٣١	اسرة شكور
٣٨٦	واصا باشا	٢٣٦	حسنجهان ارملة الامير بشير
٣٩١	حبيب بنرس	٢٤٢	صور
٤٠٦	اطران بطرس الزعبي	٢٤٣	رسامة بطريك الاقباط
٤١٠	لنطريك يوحنا الحاج	٢٤٧	تأثير مصر علي
٤١٢	رثاء المطران يوحنا الحبيب	٢٥٠	فرنكو باشا
٤١٦	الاوادم الطازا	٢٥٢	رسم باشا
٤٢٧	المدرسة الطلية الفرساوية	٢٥٥	سكي في سوريا
٤٣٨	قنصلية فرنسا في بيروت	٢٥٦	صاهر العمر - الجزائر
٤٤٦	نوم باشا	٢٦١	دمشق الشام
٤٥٢	صاحبة الحليس وبحلة الانيس	٢٧٥	افتكاري بالدين
٤٥٣	مظفر باشا	٢٨٨	تعلمي عرف العود
٤٦٨	اختلاف مطران مع قس	٢٩٢	الامير عبد القادر
٤٦٩	آل جبلاط	٢٩٤	كلثبي صحة المتزوج
٤٧٦	عبد الحميد حاد	٢٩٥	زواجي في بيروت
٤٨١	اسكندر بك التويحي	٢٩٥	حكائني مع المغربي
٤٨٦	الكذب	٣٠٢	هصل الصيف في بكاس
٤٩٠	اكليروس بلادا - البطريرك الحويك	٣٠٣	سكي في بيروت
٤٩٧	بيت الخوزي في كركلا	٣٠٤	المستشفى الفرنسي الاول
٥٠٦	اكليروس الروم الكاثوليك	٣٠٧/٣١٠	عميلنا في بيروت ودعواه
٥٠٩	اكليروس الروم الارثوذكس	٣٠٨	ولادة ابني حسيه
٥١١	سياحي الى الاسنانة	٣١٥	الحية وابن الفلاح
٥١٦	سياحي الى باريز	٣١٧	ضرورة السياسة
٥١٧	سياحي الى لوندرا	٣٢٤	كيفية اختيار الاصدقاء
٥١٨	سياحي الى مصر سنة ١٩٠٧	٣٣٠	سلم منصور الشهابي
٥٢٣	سياحي الى بعلبك وحمص وحما وحلب	٣٣٣	مدام فريج
٥٢٧	زيارة بتدين - المحارة وعين قيا	٣٣٧	رثاء بطرس البستاني
٥٣٠	ريارني للقدس	٣٤٢	اميرة القمل
٥٣٨	يوسف باشا فرنكو	٣٤٥	نسب بك جبلاط
٥٤٠	التدخين	٣٤٩	مطاردة الطائفة المارونية
٥٤٦	في الكحل	٣٥٩	مبالغة مدح الجمال
٥٥١	توفيق الكتاب	٣٦٤	حبيب باشا السعد
٥٥٣	مضامين الكتاب	٣٦٥	رثاء الامير فؤاد

م طبعه في المطبعة العربية بيروت
في المجلد الاول من
سنة الف وتسعمائة وخمسة وعشرين

